مختارات الفكر المسيحي/١٢

مقالات الاب بيوس عفاص

ثلاثون عاما مع القلم

الفكر المسيحي

١٩٧١-١٩٩٤

5000

إعداد وتقديم
الاب بيوس عفاص

بيبليا للنشر/ الموصل ٢٠١٢

مختارات الفكر المسيحي

سلسلة توثق ما نشرته مجلة الفكر المسيحي، بين الاعوام ١٩٧١-١٩٩٤، سواء في ابوابها الثابتة، او في اعدادها الخاصة، او لكتاب تركوا بصماتهم فيها...

صدر منها، أولاً، كتاب وثق تاريخ الكنيسة الشرقية (١٩٧٣)، ومن ثم كتابان وثقا بابين ثابتين، قبل ان تعمد دار بيبليا للنشر، عام ٢٠٠٦ الى مواصلة المشروع، بدءاً من الرقم ٣، وهي من إعداد وتقديم الأب بيوس عفاص.

(-) تاريخ الكنيسة الشرقية/ج١ (ركن التاريخ)	الاب البير ابونا ٢١٦ص، الموصل ١٩٧٣	نفد
(١) همسات ابو فادي/ج١ (الزاوية ذاتها)	الاب (المطران) جرجس القس موسى ١٦٨ص، بغداد ١٩٨٥	١٥٠٠ د
(٢) ابت، هذه مشكلتي (الزاوية ذاتها)	الابوان عبدالسلام حلوة ويوسف توما ١٠٠ص، بغداد ٢٠٠٤	٢٠٠٠د
٣. اسئلة واجوبة (صندوق الاسئلة...)	مشترك بين اكثر من ٥٠ كاتبا (١٢٠ اجابة) ٢٢٨ص، الموصل ٢٠٠٦	٢٥٠٠د
٤. افتتاحيات (٢٠٢ افتتاحية)	الابوان بيوس عفاص وجرجس القس موسى ٥٠٠ص، الموصل ٢٠٠٧	٣٥٠٠د
٥. همسات ابو فادي/ج٢ (الزاوية ذاتها)	الاب (المطران) جرجس القس موسى ١٧٨ص، الموصل ٢٠٠٧	٢٠٠٠د
٦. من وحي الانجيل (الزاوية ذاتها)	مشترك بين ٢٥ كاتباً (١١٧ مساهمة) ٢٩٤ص، الموصل ٢٠٠٨	٢٥٠٠د
٧. خواطر وشذرات	١٦٨ خاطرة لكتاب من كل افق ٢٠٨ص، الموصل ٢٠٠٩	٢٠٠٠د
٨. المختار من الأعداد الخاصة	٦٦ مقالة لـ ٢٧ كاتباً من كتاب الفكر المسيحي ٥٠٨ص، الموصل ٢٠١٠	٣٥٠٠د
٩ - كتّاب رحلوا وتركوا اثرا	٣٩ مقالة لـ١٩ كاتباً ٢٩٢ص، الموصل ٢٠١١	٣٠٠٠د
١٠ - ملفات الفكر المسيحي	٥٧ ملفا بقلم ٢٣ كاتباً ٤٨٠ص، الموصل ٢٠١١	٣٥٠٠د
١١ - من البيدر العتيق/م. جرجس القس موسى	٤٤٠ص، الموصل ٢٠١٢	٥٠٠٠د
١٢ - ثلاثون عاماً مع القلم/ الاب بيوس عفاص	٤٥٢ص، الموصل ٢٠١٢	٥٠٠٠د

(سعر خاص للأجزاء الأربعة (٧-١٠): ١٠٠٠ د. عوضاً عن ١٢٠٠٠)

تتوفر نسخ من اعداد المجلة للاعوام ١٩٧١-١٩٩٤

في مجموعات

المجموعة الكاملة ١٩٧١-١٩٩٤ (٢٤ عاماً/محدودة):	٢٥٠,٠٠٠د.
المجموعة الكاملة عدا ١٩٧٥-١٩٧٧ (٢١ عاما):	١٠٠,٠٠٠د.
مجموعة اعداد ١٩٨١-١٩٩٤ (١٤ عاما):	٥٠,٠٠٠د.
مجموعة الاعداد الخاصة للاعوام ١٩٧٨ - ١٩٩٤ (١٦ عدداً/١٢٥٢ص)	٧٠٠٠د.

(ويمكن الحصول مجانا على اعداد متفرقة)

تطلب من مكتبة بيبليا/ كنيسة مار توما-الموصل (العراق)

ذار بيبليا للنشر

e-mail: bibliamosul@yahoo.com

منشورات دار بيبليا للنشر

ملفات الكتاب المقدس

مجلة بيبلية مصورة بقلم اختصاصيين فرنسيين، عمد م.د.ك.، منذ عام ٢٠٠٠، إلى تعريبها ونشرها بوتيرة ٤ ملفات في السنة. ظهر منها ٤٨ ملفا في العهدين القدي والجديد، ومع عام ٢٠١٢، بدأت عامها الثالث عشر، وهو عام اليوبيل الفضي لمركز الدراسات الكتابية (١٩٨٧ - ٢٠١٢).

تتوفر منها مجموعات للسنوات الماضية وباسعار مخفضة:

مجموعة ٦ أعوام (٢٠٠٦ - ٢٠١١)	الملفات ٢٣ - ٤٦	٢٣٠٠٠د.
مجموعة ٥ اعوام (٢٠٠٦ - ٢٠١٠)	الملفات ٢٣ - ٤٢	١٨٠٠٠د.
مجموعة ٣ اعوام (٢٠٠٩ - ٢٠١١)	الملفات ٣٥ - ٤٦	١٢٠٠٠د.
مجموعة عامين (٢٠١٠ - ٢٠١١)	الملفات ٣٩ - ٤٦	١٠٠٠٠د.

سلسلة "ابحاث كتابية"

كتب بيبلية رصينة تمكّن القراء من الدخول إلى عالم الكتاب المقدس، وفق منهج علمي وراعوي رصين. انطلقت عام ١٩٩٩ بمعدل كتاب أو كتابين في السنة، ظهر منها ١٣ كتابا بقلم كبار البيبليين؛ ولعل ابرزها "المدخل إلى الكتاب المقدس" باربعة اجزاء (٨٠٠٠د.) مع سعر خاص للجزئين من "قراءة في العهد الجديد" : ٣٠٠٠د. فقط)

سلسلة تفاسير

تظهر منذ عام ٢٠٠٨، ضمن "سلسلة ابحاث كتابية"، سلسلة جديدة بعنوان "تفاسير" تغطي بعشرة اجزاء العهد الجديد برمته. ظهر منها ٧ أجزاء (انجيل متى، انجيل يوحنا، رسائل بولس بثلاثة اجزاء، الرسائل الاخيرة، انجيل مرقس). وتظهر الاجزاء الثلاثة الباقية على مدى العامين ٢٠١٢-٢٠١٣: انجيل لوقا، اعمال الرسل، الرؤيا.

تتوفر الكتب بسعر النسخة ٣٠٠٠ د. (سعر خاص لثلاثية رسائل بولس (٧٠٠٠د. عوضا عن ٩٠٠٠د.)

دوريات وكتب مستنسخة

منذ عام ٢٠٠٠، عمد م.د.ك. خدمة لقرائه، إلى تكثير عدد من الدوريات والسلاسل والكتب الرصينة في اللاهوت والكتاب المقدس والروحانيات والتاريخ والقضايا الاجتماعية والتربوية... فالى جانب "جريدة بيبليا" (٥٤ عدداً) و "مجلة بيبليا" و سلسلة "دراسات في الكتاب المقدس"، هناك اكثر من ١٣٠ كتابا في شتى المجالات وباسعار مدعومة.

تطلب كافة المنشورات من مكتبة بيبليا/ كنيسة مار توما الموصل (العراق)

ولد في الموصل في ١٩٣٩/٧/١٩. كاهن يسوع الملك في أخوة الحياة المشتركة والمسؤول العام الحالي، وهو احد مؤسسي مجلة الفكر المسيحي ورئيس تحريرها قرابة ٣٠ عاما. تعين كاهنا لرعية مار توما منذ عام ١٩٦٤. واصل الدراسة لسنة في معهد لومين فيتيه ولثلاث سنين في جامعة لوفان وحصل على ماجستير في وسائل الاعلام (١٩٧٢ – ١٩٧٦).

اسس عام ١٩٦٤ الشبيبة الطالبة المسيحية والندوة الدينية للجامعيين واطلق العديد من النشاطات الثقافية والراعوية والخيرية... وعمل في خدمة كنيسة مار توما وصيانتها وتجميلها، يدا بيد مع الاب نعمان، فاشرف على انشاء ساحة السيارات وتشييد واجهة الكنيسة وصيانة المدرسة التوماوية لتحتضن متحف مار توما الذي اسسه عام ١٩٩٦ واستمر في توسيع احنحته واخرها جناح الفكر المسيحي...

اطلق عام ١٩٨٧ دورة كتابية تمخضت عن مركز الدراسات الكتابية الذي يؤمن فيه منبر العهد الجديد، وعلى مدى ٢٥ عاما، تخرج فيه ٤٠٣ على مدى ٩ دورات متتالية. ويشرف على ادارة دار بيبليا للنشر، وله في اصداراتها عدد من الملفات والكتب في سلسلة ابحاث كتابية/ تفاسير، وفي سلسلة مختارات الفكر المسيحي.

شارك في عدد من المؤتمرات الدولية الاعلامية، والبيبلية منها بنوع خاص. ويستعد للاحتفال الكبير بمرور ١٥٠ عاما على تشييد كنيستي الطاهرة ومار توما في الموصل.

وسرعان ما لاحت اضواء الهوبيل الكهنوتي الذهبي ليسجل منعطفا في مسيرة ذينك اللذين ربطتهما صلات وثيقة منذ الدراسة في معهد مار يوحنا الحبيب، وتواصلت عبر حياة مشتركة في جماعة كهنة يسوع الملك غداة الرسامة الكهنوتية، واملت عبر نشاط إعلامي مشترك في 'الفكر المسيحي' -وقد وضعا سوية لبنائها الأولى وسارا بها، يدا بيد، طيلة ثلاثين عاما من مسيرتها الصحافية...

[...] هدية يزفهما صاحبا الهوبيل إلى قراء قدامى واكبوا مشوارها وما زالوا يذكرون باعتزاز سنواتها السمان التي طبعت تاريخ كنيسة العراق، كما إلى قراء جدد سيقفون معجبين بخط المجلة ومواقفها الجريئة وطروحاتها النبوية...

(من كلمة الناشر)

إلى جانب ٩ اعداد له في "السلسلة"، وعدد من الاجابات نشر منها ٢٦ اجابة في كتاب "اسئلة واجوبة"؛ فضلا عن افتتاحياته (١٩٧١ - ١٩٩٤ باستثناء ٤ أعوام) المنشورة في الكتاب -وقد بلغت ١٥٨-؛ تاتي المقالات، باستثناء المقابلات واللقاءات التي سيضمها كتاب خاص؛

يأتي في المقدمة ٢٤ ملفا نشر ٨ منها في "ملفات الفكر المسيحي"؛ والملفات التي تنشر هنا، معظمها إعلامي..

وتحتل مكانة هامة المقالات التي تضمنتها الاعداد الخاصة، وهي ١٤، نشر منها سبع في "المختار"، وسبع في هذا الكتاب.

اما سائر المقالات المنشورة هنا، فتتوزع بين الاستفتاء والطاولة والتحقيق وشؤون راهنة والمنبر الحر والقضايا التربوية والريبورتاج... وهكذا يكون الكتاب الذي بين يديك، ايها القارئ، قد أثبت ٨٨ مقالة لم يسبق لها ان نشرت.

كتاب هو هدية دار بيبليا إلى مديرها الاب بيوس عفاص بمناسبة يوبيله الكهنوتي الذهبي (١٩٦٢ - ٢٠١٢).

تطلب كافة المنشورات من مكتبة بيبليا / كنيسة مار توما، ومن مكتبات الكنائس

شركة الديوان للطباعة والنشر
بغداد - العراق

سعر النسخة: ٥٠٠٠ د.
(سعر خاص للكتاب معاً: ٩٠٠٠ د.)

ثلاثون عاما مع القلم

١٩٧١-١٩٩٤

سلسلة "مختارات الفكر المسيحي" / ١٢

ثلاثون عاما مع القلم

مقالات
الاب يوسف عفاص
في
مجلة الفكر المسيحي
١٩٧١-١٩٩٤
(تزفها إليه دار بيبليا للنشر بمناسبة يوبيله الكهنوتي الذهبي)

اعداد

الأب يوسف عفاص

دار بيبليا للنشر
الموصل-العراق
٢٠١٢

كانت مهمة نشر مقالات "فارسَي" الفكر المسيحي -بعد رحيل الفارس الثالث الاب نعمان اوريدة- في كتابين توأمين من سلسلة "مختارات الفكر المسيحي" معدّة إلى ما بعد الرحيل! وكان هناك شبه تعهد متبادل خفي في ان تقع هذه المهمة على كاهل من كُتب له عمر اطول -والاعمار بيد الله! وسرعان ما لاحت اضواء اليوبيل الكهنوتي الذهبي (١٠ حزيران ١٩٦٢ – ١٠ حزيران ٢٠١٢) ليسجّل منعطفا في مسيرة ذينك اللذين ربطتهما صلات وثيقة منذ الدراسة في معهد مار يوحنا الحبيب، وتواصلت عبر حياة مشتركة في جماعة كهنة يسوع الملك غداة الرسامة الكهنوتية، وامتدت عبر نشاط إعلامي مشترك في "الفكر المسيحي"، وقد وضعا سوية لبناتها الأولى وسارا بها، يداً بيد، طيلة ثلاثين عاماً من مسيرتها الصحافية (١٩٦٤ – ١٩٩٤).

وسرعان ما ابتسمت فكرة ان يكون الكتابان هدية اليوبيل الذهبي تزفها دار بيبليا إلى صاحبي اليوبيل، فيعكسان ويوثقان ما دبّجه قلمهما في "الفكر المسيحي" على مدى الثلاثين عاماً الأولى... وهدية يزفها صاحبا اليوبيل إلى قراء قدامى واكبوا مشوارها وما زالوا يذكرون باعتزاز سنواتها السمان التي طبعت تاريخ كنيسة العراق، كما إلى قراء جدد سيقفون معجبين بخط المجلة ومواقفها الجريئة وطروحاتها "النبوية"...

ووجدنا انفسنا للحال ازاء كمّ كبير من المقالات، فيها التحليل الجاد والدراسة المكثفة والريبورتاج والتحقيق والمقابلة والطاولة والاستفتاء... عبر ابواب عدة، من الافتتاحية إلى الملف، مروراً بشؤون راهنة والمنبر الحر والجواب على سؤال، ناهيك عن الانباء... إلا ان جمعها لم يكن بالأمر العسير، سيما وقد كان لدينا كشافان لكل عشر سنوات (١٩٧١ – ١٩٨٠؛ ١٩٨١ – ١٩٩٠)، فضلاً عن كشاف مصغر للسنوات الاربع الاخيرة (١٩٩١ – ١٩٩٤) قبل تسليمها إلى الآباء الدومينيكيين في مطلع عام ١٩٩٥. وازاء هذا العدد الكبير من الاسهامات، سرعان ما قرّ الرأي على إرجاء نشر المقابلات واللقاءات في كتاب مستقل يوثقها برمتها، وبينها مقابلات دسمة مع شخصيات ذات وزن...

وكان لزاماً علينا، اولاً، ان نصدّر الكتابين بجرد شامل لعناوين المقالات المذيلة باسمهما -حتى إذا كان التوقيع بالحروف الاولى او باسم مستعار- بدءًا بأعداد "سلسلة" الفكر المسيحي (١٩٦٤ – ١٩٧٠)، ومن ثم مساهماتهما في باب "اسئلة واجوبة" -وقد اشرنا بعلامة (*) إلى كل سؤال سبق ان نشر في الكتاب (دار بيبليا – الموصل ٢٠٠٦)؛ كما اثبتنا عناوين افتتاحيات رئيس التحرير، سنة تلو السنة، وقد ضمّها الكتاب بالعنوان ذاته في سلسلة "مختارات" (دار بيبليا – الموصل ٢٠٠٧) -وكان للاب جرجس القس

موسى منها اربع سنوات (ت٢ ١٩٧٢ – ك١ ١٩٧٦). وفيما كان له، منذ العدد الأول، "همسات" تحت اسم "ابو فادي" اثبتنا عناوينها كلها –وقد سبق ان نشر القسم الاول منها في كتاب مستقل عام ١٩٨٥، ولحق به قسم ثان ظهر في سلسلة "المختارات" (دار بيبليا للنشر – الموصل ٢٠٠٧) –وكان للاب بيوس عفاص زاوية "افكار" احتلت عام ١٩٧٣ مكان الهمسات.

وادرجنا اخيرا فهرساً بما خلّفه قلم الرائدين، سنة بعد سنة، لحق به من ثم توثيق لكافة المقالات التي لم يسبق ان ضمّها كتاب، باسقاط ما نشر لهما من مقالات في كتاب "المختار من الاعداد الخاصة" (دار بيبليا للنشر – الموصل ٢٠١٠)، اشرنا إليها بعلامة (*)، إلى جانب ما نشر لهما في كتاب جديد ظهر مؤخرا بعنوان ملفات الفكر المسيحي اقتصرنا فيه على الملفات الدراسية دون الاعلامية، واشرنا إليها بعلامة (**) (دار بيبليا – الموصل ٢٠١١). وهكذا، باستثناء المقالات التي وثقتها سلسلة "مختارات الفكر المسيحي"، وبعد ارجاء المقابلات لكتاب يظهر لاحقا بإذن الله، نكون بازاء قرابة ٩٠ مقالة لكلّ منهما ضمّهما كتابان دسمان تزفهما إليهما بمناسبة يوبيلهما الذهبي، ونضعهما معاً، وفي آن واحد، في متناول القراء!

وكان لا بد لنا من خيار في عملية التوثيق: ان نثبت المقالات تباعا، دون تغيير او رتوش، حفاظاً على مبدأ التوثيق، وإن كنا على يقين من ان هناك بعض العثرات، وان هناك مقالات اعلامية تحمل ارقاماً واحصائيات لم تعد صحيحة، ولكنها تعكس ما كانت عليه في حينه، وفي ذلك تكمن قيمتها؛ إلا اننا احجمنا مع ذلك عن توثيق الاحصائيات عن كنيسة العراق، بطوائفها وابرشياتها، وقد عكسها عددان خاصان عام ١٩٧٧ و ١٩٨٦، كما لم نثبت التحقيق بشأن الكنائس الشرقية الملحق بالعدد الخاص "في الحركة المسكونية" عام ١٩٩٠.

من هذا المنطلق أبينا ان نحدّث المقدمات التي كانت قد تصدّرت المقالات، واحجمنا عن كتابة مقدمات جديدة حين كانت قد خلت منها ، وذلك بدافع الابقاء على الطابع الذي اتسمت به المساهمات في السبعينات وحتى اوائل التسعينات، وما تخلل تلك السنوات من احداث على الصعيدين الوطني والعالمي، وعلى مستوى كنيسة العراق وكنائس العالم –ولَكَم سنقرأ في ذلك الماضي، مشرقا كان ام مظلما، شهادات وعبرًا...

وفيما ترفع دار بيبليا إلى رائدي "الفكر المسيحي" المطران جرجس القس موسى والاب بيوس عفاص اسمى آيات التهنئة بيوبيلهما الكهنوتي الذهبي، تزف إليها بالمناسبة مقالاتهما على مدى ٣٠ عاماً، مع كل الاجلال والتقييم لاسهامهما الثري في حركة الفكر والبناء، على صفحات الفكر المسيحي، ابان مرحلة دقيقة من تاريخ كنيسة العراق تركا فيه بصمات لا تمحى!

الموصل ١٠ حزيران ٢٠١١ مع تحيات دار بيبليا للنشر

لم يكن يخيل لي . . . !

لم يكن يُخيل لي ان اقرأ مقالاتي مجتمعة في كتاب من سلسلة "مختارات"! –وكنت قد عهدت بالمهمة، في "وصيتي"، إلى ما بعد رحيلي! ولكنها فكرة ولا اروع ان تُهدى لي هذه المقالات بمناسبة يوبيلي الكهنوتي الذهبي، وكانت الفكر المسيحي قد ابتلعت اكثر من نصف حياتي الكهنوتية! فيما كانت قد ظهرت، في الوقت المناسب، لتسد فراغا كبيرا في مجال الثقافة والاعلام في كنيسة العراق؛ وتزامن ظهورها في حينه مع انعقاد المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني –وهي الذكرى الخمسون على انعقاده– وما خلفه من انعكاسات على حياة الكنيسة الجامعة في كل جنبات العالم. فلَكَم أصدت الفكر المسيحي لوثائقه واستلهمت توجهاته واعتمدت طروحاته في حركة التجدد التي اطلقتها في حياة كنيستنا في العراق... فكانت بحق صوتا نبويا، حتى وإن تعرضت لحملات هوجاء لم تقو على ان تثنيها عن خطها الفكري واولوياتها الاعلامية! ويكفيها فخرا وعزاء انها واكبت جيل الستينات، متجاوبة مع تطلعاته في عالم اكثر عدلا واكثر انسانية، وفي كنيسة متجددة ابدا تصغي لصوت الروح وتشهد لقيم الحب والحق والحرية والسلام، ولا تخشى ان تقول كلمتها النبوية في قلب الصراعات والتحولات التي شهدها العالم، وعلى اكثر من صعيد...

وفيما كنت اصحح "مسودات" هذا الكتاب –وقد تبرع بتنضيده مشكوراً مع توأمه، السيد قيصر القس موسى– استوقفتني المقالات التربوية في اول السبعينات، حين تقمصت شخصية "فوفو" وشخصية والدها لطرح مشكلات كان ولا

يزال يعاني منها النشئ الجديد... وقرأت بلذة الرسالة المفتوحة إلى الاساقفة، وكنت قد اعقبتها برسالة إلى مسيحيي العراق على لسان القديس بولس؟ وعجبت كيف ان الاماني ما زالت هي هي! ومن جهة اخرى، لمست مضامين التحرر والاستقلال التي اشاعتها ملفات ساخنة عن بلدان افريقيا واميركا اللاتينية، حين كان لاهوت التحرير في بدء انطلاقته، وحين تزامنت انتفاضة بلدانها وكنائسها مع اعمال القمع والترهيب التي مارستها سياسات الامن القومي التعسفية. واستمتعت بمقالات في الصحافة المسيحية وفي مهمات الاعلام والتعامل الجاد مع وسائله... في اعقاب عودتي من دراسة وسائل الابلاغ في لوفان عام ١٩٧٦، حين تبنت المجلة آنذاك خطا إعلاميا واضحا جلب عليها المتاعب مع سلطة كنيسة لم تكن على بيّنة من طبيعة الصحافة المسيحية ومقوّماتها!

وفي هذه الجولة الواسعة بين ملفات إعلامية —وقد سبقتها إلى النشر ملفات دراسية ذات شأن في "ملفات الفكر المسيحي" (المختارات/١٠-٢٠١١)— لَكَم كانت بليغة تلك التي تناولت وضع الكنيسة في بلدان العالم، من استراليا وزائير وزيمبابوي، إلى بلغاريا وكوريا الجنوبية واسبانيا، ومن هولندا واندونيسيا والمغرب إلى تشيكوسلوفاكيا والنمسا ورومانيا... وإذا كان بعض هذه الريبورتاجات" قد عكس وضح كنيسة لزمت الصمت واضطرت إلى مهادنة السلطة، عكس غيرها تحديات الكنائس ازاء سياسات استبدادية انتهجت القمع سبيلاً إلى الحكم —ولا يسعني ألاّ اذكّر بالشبه الغريب بين رومانيا في زمن تشاوشيسكو وبين عراق صدام حسين، ولم تخفَ تلك المقاربة آنذاك على احد! وعلى ذكر العراق، يحق للفكر المسيحي ان تفاخر بأنها حافظت على استقلالها ولم تنجرف في تيار التبعية او المداهنة، وانما طغى عليها الطابع الوطني في طروحاتها ومعالجاتها، كما كانت الحال لدى زيارة رجال الدين المسيحيين إلى الجبهة! — وقد اسقطنا التقرير عنها وما تلاه من لقاءات مع وفد الكهنة إلى جبهات القتال!

وبعين المنظار، انطلقت التقارير في باب "شؤون راهنة" لتصدي لبابوات تعاقبوا على كرسي روما، من بولس السادس إلى يوحنا بولس الثاني ولرحلاته

العديدة إلى مختلف القارات: من المكسيك إلى رحلة الـ١٧٠٠٠ كم إلى ايرلندا وامريكا والامم المتحدة، ومن استانبول إلى افريقيا واميركا اللاتينية وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا... فيما تناولت التقارير قضايا راهنة وساخنة: النظام الاقتصادي الجديد، صمود كنيسة السلفادور، تحرر كنيسة اليونان، مجلس كنائس اميركا اللاتينية في بوبيلا، قضية اللاهوتيين المبعدين، اللقاء بين روما وكونتربري، قنبلة الاساقفة الامريكان، المعانقة بين روما وانطاكيا، اسيزي ملتقى الديانات، لقاء القرن بين موسكو والفاتيكان، يوم الشبيبة العالمي، كتاب "التعليم المسيحي" الجديد الخ...

وفيما عدا تلك المقابلات الهامة التي امتدت على سنوات –وسوف يصدي كتاب خاص لاولئك الاعلام من كل الافق– وجدتني ازاء مجموعة كبيرة من الاستفتاءات والطاولات والمناقشات... عكست آراء القراء وتطلعاتهم في قضايا الايمان، والعقبات بوجه الزواج، ومعاني الالتزام الوطني، ودور الشباب في حياة الكنيسة... ومن قضايا الحب إلى الامنيات بشأن الكنيسة التي نريد، ومن موضوع الكهنة واي نوع من الكهنة نريد، إلى قضايا الانسان بين الواقع والطموح... وإلى التناول الاول بصفته خطوة ايمانية هامة...

ناهيك عن مواضيع متفرقة، اذكر منها على سبيل المثال، ومن الاخير صعوداً إلى البداية، بدءاً بمغامرة عمرها ٣٠ عاماً –وقد سبقها، عام ١٩٨٩، الاحتفال بيوبيل "الفكر المسيحي" الفضي–، الاوخارستيا في نصوص العهد الجديد، رواية الآلام بحسب لوقا –حين كان التوجّه البيبلي قد شق طريقه عبر مركز الدراسات الكتابية الذي يحتفل هو الآخر بيوبيله الفضي هذا العام... فضلاً عن تحقيقات في دير ماركوركيس، وبين طلبة المعهد الكهنوتي الكلداني، كما بين رهبان الربان هرمزد، وساحة الكاتدرائيات في موسكو...

وإذا كانت المقالات في معظمها قد حملت اسمي، إلا ان هناك عددا منها قد وُقّع بالحروف الاولى منه: ب.ع. أو ز.ع.، فيما غيرها تبنّى الاسم المستعار

"عصام المقدسي" –سواء بهدف كتمان الهوية او بغية التنوع في الاقلام! – وغيرها قليل وضع حروفا لكاتب اعيدت صياغة مقاله بالكامل!

وفيما اتلقى بمشاعر الفرح هذا الكتاب /الهدية الصادر عن دار بيبليا في سلسلة "المختارات" ويحمل الكتابان التوأمان رقم ١١و١٢! – وهو حصيلة ثلاثين عاما من العمل الصحافي الدؤوب في خدمة قراء "الفكر المسيحي"، اتلقاه هدية ولا اروع بمناسبة اليوبيل الكهنوتي الذهبي، مع رفيق الجهاد المطران جرجس القس موسى، وازفه بدوري هدية الى قرائي من القدامى والجدد، متمنيا ان تبلغ "الفكر المسيحي"، عام ٢٠١٤، معنا ام بدوننا، يوبيلها الذهبي... اصوغ امنية واحدة: ان يبقى قراؤها، قدامى وجدد – بالرغم من اجتياح الانترنت! – يجدون فيها ما التقى ويلتقي مع تطلعاتهم المشروعة في الكلمة الحرة والجريئة، في احضان كنيسة لَكَم تمنيناها تستفيق من غفوتها لتشهد نهضة كالتي اطلق شرارتها، في الستينات وما بعدها، المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، وعلى الصُعُد كافة... لعلّ هذا الكتاب وتوأمه يسهمان في تنشيط الذاكرة، ولا سيما لدى الذين ينسون او يتناسون! استميحهم عذراً عن كل ما لم يَرق لهم من مقالاتي هنا وفي غير مكان، وقد يكون ما زال لا يروق لهم! فما كتبت قد كتبت!! ويقال أن المكتوب لا يمحى! ولعل في ذلك عزاء!!

الأب يوسف عفاص

دير مار اشعيا/ لبنان

في ١٩ تموز ٢٠١١

فهرس المحتويات

(١) سلسلة الفكر المسيحي (١٩٦٤ - ١٩٧٠)

الكنيسة عبر القارات/١، صندوق الاسئلة/٩، صندوق الاسئلة/١٥، العلم والدين/٢٠، صندوق الاسئلة/٢٣، الانبياء اعلنوا المسيح/٣٠، صندوق الاسئلة/٤٥، هل الايمان عثرة ؟/٤٩، صندوق الاسئلة/٥٦.

(٢) في باب "سؤال وجواب"

لم تكن الاجابات عام ١٩٧١ وبداية عام ١٩٧٢، مذيلة باسم كاتبها -وكانت في معظمها بقلم الاب بيوس عفاص، لذا ادرجناها هنا تحت اسمه— ونشير بعلامة (*) الى كل إجابة نشرت في كتاب "اسئلة واجوبة"، دار بيبليا للنشر، الموصل ٢٠٠٦.

١٩٧١: *كنائسنا والمجمع المسكوني/ك٢، والدي والنشاطات الدينية/شباط، الشابة التي لا تبالي بالدين/آذار، *توحيد عيد القيامة/نيسان، *الكهنوت والبتولية/ايار، *موانع الزواج والزواج المدني/حزيران، اين كان المسيح بين ١٢- ٣٠ سنة ؟/ايلول، الكهنة والخمر/ايلول، *الزواج بيد الاقدار؟ /ت١، *هل الدين تقليد؟ /ت٢، غاية الندوات الدينية/ك١.

١٩٧٢: الرسائل المغفلة ذات الوعود/ك٢، *الصداقات قبل الزواج/شباط، *مخيرون ام مسيرون؟ /آذار، *شريعة موسى وشريعة المسيح/نيسان، *الزواج المبكر/ايار.
*العلاقة قبل الزواج/ك٢ ١٩٧٧؛ الشباب ورقابة الوالدين/ك٢، ١٩٧٩؛ الاعلانات في الكنيسة/ايار١٩٧٩؛ *التلفزيون وجرائم الاطفال/حزيران١٩٧٩؛ نبذة عن كنيسة الصين/نيسان١٩٨٠؛ *بدع في اوربا/اذار١٩٨٢؛ متى يتوحد العيد؟/ايار١٩٨٥؛ القداس من اجل الموتى/ك١ ١٩٨٦؛ اسئلة متفرقة/اب- ايلول ١٩٨٧، تشكيك في الايمان (لفهم النصوص الكتابية)/ك١ ١٩٨٧؛ * الاعتراف الفردي والتوبة الجماعية/نيسان١٩٨٨؛ *المعجزة علامة/حزيران- تموز١٩٨٨، *للحب حسابات/ك١ ١٩٨٨؛ *ظهورات يسوع/ايار١٩٨٩، خيانة يهوذا/اب- ايلول ١٩٨٩؛ *فتيات شاردات/حزيران- تموز١٩٩٠؛ *صعود ام تمجيد؟/اب- ايلول١٩٨٩؛ رؤيا دانيال/ك٢- نيسان ١٩٩١؛ *ارقام المزامير/ايار- تموز ١٩٩١؛ *مزامير اللعنة/اب- ت٢ ١٩٩١؛ *سفر اشعيا النبي/ت٢- ك١ ١٩٩١؛ *المنشورات الانجيلية/ايار- تموز ١٩٩٢؛ *يسوع "ابن الانسان"/تموز- ايلول١٩٩٣؛ *الاناجيل المنحولة/ك٢- اذار١٩٩٤، *القيامة في "اليوم الثالث"/نيسان- حزيران١٩٩٤؛ *روايات الطفولة بحسب متى/ت٢ — ت١ ١٩٩٤.

(٣) افتتاحيات:

(كل الافتتاحيات، ما عدا التي كتبها الاب جرجس القس موسى من تشرين الثاني ١٩٧٢ وحتى كانون الاول ١٩٧٦ -وقد ضمها كتاب ظهر في سلسلة "مختارات الفكر المسيحي"/ رقم٤، دار بيبليا للنشر، الموصل ٢٠٠٧.

١٩٧١: اليكم هذا العدد الجديد/ك٢، متى نتحد؟/شباط، سلام... سلام/اذار، "قام المسيح" /نيسان، يوم العمال العالمي/ايار، فلسطين الجريحة/حزيران، ذلك القمر جارنا (الاب جرجس القس موسى)/ايلول، مجمع الاساقفة/ت١، ما ابشع الحرب؟/ت٢، مولد النور/ك١.

١٩٧٢: يوم السلام العالمي/ك٢، كنيسة في ازمة !/شباط، واذا صمتم.../آذار، وتكونون لي شهودا.../نيسان، يوم الدعوات العالمي/ايار، يوم وسائل الاعلام العالمي/حزيران، الى اين يسير "التعليم المسيحي" ؟/ايلول، هل حقا ذهبت الاخلاق؟ /ت١ ...

١٩٧٧: وهذه سنة اخرى!/ك٢، "زمرنا لكم فلم ترقصوا" !/شباط، يدا بيد في بناء الثورة/اذار، ما اطيب ان "يعيد" الاخوة معا/نيسان، على هامش يوم العمال/ايار، الخامس من حزيران/حزيران، هذا العدد(عدد خاص: كنيسة العراق)/ايلول، كنيستي احبها.../ت١، للحصول على ٢٠٠٠ مشترك جديد/ت٢، من وحي سينودس الاساقفة/ك١.

١٩٧٨: معا... على الطريق!!/ك٢، علامات الازمنة/شباط، التفاتة كريمة/اذار، متى يستفيق لبنان؟/نيسان، أصحيح ان هناك ازمة؟/ايار، من اجل مناقشة جادة/حزيران، مات البابا!/(عدد خاص: البابا بولس السادس)/ايلول، البابا "الراعي" /ت١، في اعقاب "كامب ديفيد" /ت٢، رسالة الميلاد/ك١.

١٩٧٩: السنة الخامسة عشرة/ت٢، من اجل اطفال سعداء!/شباط، رجال ونساء!/اذار، سلام ام استسلام؟/نيسان، العامل مستحق اجرته!/ايار، فكرة...عساها تلقى صدى!/حزيران، كهنة... لمن؟ ولماذا؟ عدد خاص، بعين العنوان،/اب- ايلول)، مجلتكم... كيف تريدونها؟/ت١، لو عاد المسيح يوما.../ت٢، حقوق الانسان في ضوء الميلاد/ ك١.

١٩٨٠: من عام...الى عام/ك٢، أهي استدارة الى اليمين/شباط، ومع ذلك احبها !/اذار، مع الرسل في اكتشاف يسوع القيامة/نيسان، ...وكان للاعلان صدى!/ايار، أفرقة الكنيسة الافريقية! /حزيران- تموز، قانون الرعاية الاجتماعية: كرامة الانسان/اب- ايلول، اورشليم... مدينة السلام/ت١، اذا اردتم لمجلتكم البقاء.../ت٢، وانتم من تقولون اني انا؟ /(عدد خاص: شخصية يسوع المسيح)/ ك١.

١٩٨١: ... والى أمام/ك٢- شباط، هوذا زمان التوبة!/اذار، جيل الرفض/نيسان، احبك يا وطني/ ايار، ماذا وراء الاعتداء الصهيوني؟/حزيران- تموز، كفانا رياء!/اب- ايلول، اليكم هذا الكشاف(عدد خاص: كشاف ١٩٧١- ١٩٨٠)/ايلول، في الطريق الى المدرسة/ت١، حكاية ما بيننا ! /ت٢، ميلاد السلام/ك١.

١٩٨٢: مجلة ملتزمة/ك٢، الاصالة/شباط، كنيسة الشباب.. شباب الكنيسة/اذار، شهود القيامة/نيسان، فلسطين في القلب/ايار، من اجل شهادة مسيحية/حزيران- تموز، في انتظار القمة السابعة/ اب- ايلول، الكتاب المقدس.. كلام الحياة (عدد خاص في الكتاب المقدس)/ت١- ت٢، الميلاد.. ولادة جديدة/ك١.

١٩٨٣: على عتبة العام الجديد/ك٢- شباط، من اجل تثقيف مسيحي جاد/اذار، كفانا تمزقا وانقساما !/نيسان، الحوار من اجل السلام.../ايار، احلم بكنيسة...! /حزيران- تموز، رسالة بولس الرسول الثانية/اب- ايلول، الاسرة...حب والفة وعطاء ومسؤليات (عدد خاص: الاسرة المسيحية)/ت١- ت٢، هل سيولد المسيح هذه السنة؟!/ك١.

١٩٨٤: السنة العشرون/ك٢، "لو...لولا...لو لم... "/شباط، العنف يولد العنف/اذار، سنة توبة ومصالحة/نيسان- ايار، هؤلاء الصحفيون/حزيران- تموز، من وحي المناولة الاولى: كي لا تموت البذرة/اب- ايلول، الانسان ...هذا المجهول (عدد خاص: الانسان...على صورته ومثاله)/ت١- ت٢، ...وعلى الارض السلام/ك١.

١٩٨٥: لا حرب... لا حرب ابدا !/ك٢، الوحدة...هل تبقى امنية وحسب؟/شباط- اذار، سينودس...عشرون عاما بعد المجمع/نيسان،...لئلا ينطفئ السراج !/ايار، الشباب...طاقة يجب ان تتفجر/حزيران- تموز، "لا نريد الحرب، ونتمنى لو انتهت غدا"/اب- ايلول، الشباب...علامة استفهام (عدد خاص: الشباب..وعي وطموح)/ت١- ت٢، ولد لكم مخلص... هو المسيح الرب/ك١.

١٩٨٦: قدما الى أمام/ك٢، سنة دولية للسلام/شباط، الحياة اقوى من الموت/ اذار- نيسان، حاجتنا الى كهنة /ايار، التعليم المسيحي...مهمة الوالدين/حزيران، اكليروس وعلمانيون...ام "شعب الله"؟ /آب -ايلول، كنيسة العراق...اي مسار؟(عدد خاص: كنيسة العراق، ٢٠ عاما بعد المجمع)/ت١- ت٢، سلام، سلام، وسلام ! / ك١.

١٩٨٧: على عتبة العام الجديد/ك٢، مأوى للذين بدون مأوى/شباط، ها نحن صاعدون الى اورشليم/آذار- نيسان، "نعم" لعطية الحياة/ايار، وتكونون لي شهودا/حزيران- تموز، مسؤلياتنا

في صنع السلام/آب- ايلول، العذراء مريم، أم المسيح وأمنا(عدد خاص: ام الفادي/ رسالة بابوية)/ت١، التقدم، الاسم الجديد للسلام/ت٢، "هوذا الرب آت".. هلليلويا ! /ك١.

١٩٨٨: للحصول على ٣٠٠٠ مشترك جديد!/ك١، قصة العيد...آن لها ان تنتهي !/شباط- آذار، المسيح قام... حقا قام/نيسان، بمناسبة يوم الدعوات: هاءنذا يا رب.../ايار، سابقى احبك يا وطني/حزيران- تموز، طبول الحرب...واجراس السلام (الاب جرجس القس موسى)/آب- ايلول، للدخول في عالم الاطفال(عدد خاص: الاطفال...أمل المستقبل)/ت١- ت٢، ميلاد السلام ...انتصار الحب/ك٢.

١٩٨٩: السلام ...مهمة الجميع/ك٢، صراع بين النور والظلمة/شباط- آذار، قيامة المسيح...حياة دائمة/نيسان، الروح يهب حيث يشاء/ايار، ٢٥ عاما في خدمة كنيسة العراق/حزيران- تموز، وذهبت الحرب الى غير رجعة/آب- ايلول، اليوبيل الفضي: ربع قرن (عدد خاص: الفكر المسيحي ..ربع قرن في خدمة الكلمة)/ت١- ت٢، الميلاد بشرى أمل/ك١.

١٩٩٠: حين تصحو الشعوب وتشرق الحرية/ك٢- شباط، البيروسترويكا في الكنيسة/آذار، قام المسيح: شهادة للرجاء الذي فينا /نيسان، الكنيسة والوطن: أمانتان/أيار، ما يقال... وما لا يقال !/حزيران- تموز، تعليم مسيحي ام كرازة انجيلية/آب- ايلول، الحركة المسكونية: مسار لا رجعة فيه (عدد خاص: الحركة المسكونية: ٢٥ عاما بعد المجمع)/ت١- ت٢، طوبى لفاعلي السلام/ ك١.

١٩٩١: ... وانت يا كفرناحوم، العلك ارتفعت الى السماء؟ /ك٢- نيسان، كنت جائعا فأطعمتموني.../أيار- تموز، كشاف العقد الثاني(عدد خاص: كشاف١٩٨١- ١٩٩٠)/أيلول، "جلاء"... وأي جلاء/آب- ت١، ميلاد الشركة والاقتسام/ت٢- ك١.

١٩٩٢: الهنا... اله الحرية/ك٢- شباط، وانفتحت أعينهما وعرفاه/آذار- نيسان، الكنيسة التي أومن فيها... /أيار- تموز، الاوخارستيا...خبز مكسور للجائعين (عدد خاص: الاوخارستيا... شركة واقتسام)/آب- ت١، ميلاد الفقراء/ت٢- ك١.

١٩٩٣: لعلها أحلام اليقظة ! /ك٢- آذار، قيامة، صعود، عنصرة: حقيقة واحدة!/نيسان- حزيران، حلم في الظهيرة! /تموز- أيلول، ميلاد الرجاء/ت١- ك١.

١٩٩٤: آمال وأمنيات لعام ١٩٩٤ /ك٢- آذار، طوبى للذين يؤمنون ولم يروا/نيسان- حزيران، في البحث عن ايمان لعصرنا (عدد خاص: المسيحي والمعاصرة)/تموز- ت١، من اجل ديمومة الفكر المسيحي/تموز- ت١، كشاف رقم ٣ (١٩٩١- ١٩٩٤)/ت٢- ك١، مع العدد ٣٠٠: أي منعطف؟ / ت٢- ك١.

(٤) في زاوية افكار"

(اخذت هذه الزاوية مكان الهمسات على مدى عام ١٩٧٣)

قضيتنا مجهولة/ك٢، بلاد البترول/شباط، يا لغنى طقوسنا/اذار، ابعاد الحب الشامل/نيسان، "اولاد الله" /ايار، الصحافة تلك الملكة المستعبدة/ت١، الازمات؟ اشراقة امل/ت٢.

(٥) المقالات

تشير علامة (*) الى ان المقال منشور في "المختار من الاعداد الخاصة" (مختارات الفكر المسيحي/٨، دار بيبليا للنشر – الموصل ٢٠١٠)، اما علامة (**) فتشير الى ان الملف منشور في كتاب "ملفات الفكر المسيحي" (مختارات الفكر المسيحي/١٠، دار بيبليا للنشر – الموصل ٢٠١١) –علما بان من بينها ١٧ ملفا، معظمها اعلامي . وتشير علامة (+) الى ان المقالات تنشر في هذا الكتاب، باستثناء "المقابلات واللقاءات" التي سيضمها كتاب خاص يظهر لاحقاً.

١٩٧١

+ كل انسان هو أخي /ك٢ ٢١
+ مشكلتي... مشكلة /ك٢ ٢٣
مع المطران زكا عيواص/مقابلة/شباط -
+ راحت.../ قصة/آذار ٢٦
+ هل مات الله؟ /ملف/آذار ٢٨
+ رسالة مفتوحة الى الوالدين/نيسان ٣٤
+ وجهة نظر الوالدين/حزيران ٣٨
+ بابا، هكذا أريدك/ت١ ٤١
+ على هامش رسالة البابا "في الذكرى الثمانين" /ت١ ٤٤
+ استراليا، تلك القارة المجهولة/ملف/ ت٢ ٥٠
مع المطران غريغوريوس صليبا/مقابلة/ك١ -
+ عزيزتي فوفو/ك١ ٥٦

١٩٧٢

+ هو وهي / ت٢ ٥٩
+ رسالة مفتوحة الى الاساقفة/آذار ٦٣
+ هؤلاء المراهقون/آذار ٦٧
+ نفسية الشاب/أيار ٧٠
+ نفسية الشابة/حزيران ٧٤
+ رسالة القديس بولس الى مسيحيي العراق/منبر حر/ت١ ٧٩

١٩٧٣

مع الاب فرانسوا هوتار/مقابلة/ايلول -

١٩٧٤

*الصحافة المسيحية، رسالتها ومقوماتها/عدد خاص/ت١-ت٢ -

١٩٧٧

مع المطران اسوغيك غازريان/مقابلة/ك٢ -
+ الكنيسة ووسائل الابلاغ/شباط ٨٥
+ مفهوم الاعلام في الصحافة المسيحية/اذار ٨٩
+ من اجل نظام اقتصادي جديد بين الدول/قضايا الساعة/ايار ٩٣
+ وجه يتوارى: المونسينور جان رودان / ايار ٩٧
+ جماعات القاعدة في الكنيسة/ملف/حزيران ١٠٠
كنيسة العراق في ارقام/ عدد خاص/ايلول -

مع المطران عمانوئيل بني/مقابلة/عدد خاص/ايلول –
+ الفكر المسيحي والسياسة/منبر حر/ ت١ ١٠٧
+ السلفادور: كنيسة صامدة/قضايا الساعة/ك١ ١١١

١٩٧٨

مع الشيخ محمد مهدي الخالصي/مقابلة/ك٢ –
+ متى تتحرر كنيسة اليونان ؟/ش.ر/ك٢ ١١٥
+ زائير: البحث عن الاصالة/ملف/ك٢ (ن.ع) ١١٩
+ زيمبابوي: ولادة عسيرة/ملف/آذار ١٢٥
مع الكاثوليكوس فازكين الاول/مقابلة/آذار –
+ تعامل جاد مع وسائل الابلاغ/حزيران ١٣٢
+ من سيخلف البابا؟ عدد خاص/أيلول ١٣٦
+ من بابا الى بابا /ش.ر/ت٢ ١٤١
**الرأي العام في الكنيسة/ملف/ك١ –

١٩٧٩

مع مار اغناطيوس يعقوب الثالث/مقابلة/شباط –
+ بوبيلا، على ضوء رحلة البابا الى المكسيك/آذار ١٤٧
مع مار اغناطيوس انطوان الثاني حائك/مقابلة/نيسان –
+ الايمان بيسوع المسيح من خلال استفتاء/ملف/أيار ١٥٢
+ بوبيلا: منعطف؟ في اي اتجاه؟ /حزيران ١٥٩
*الكاهن كما يراه عالم الاجتماع/عدد خاص/أيلول –
+ كهنة يتحدثون عن انفسهم/عدد خاص/طاولة/أيلول ١٦٣
+ حصيلة رحلة ١٧٠٠٠كم /ت٢ ١٦٨
**الاجهاض.. ثمن الحياة ؟ /ملف/ك١ –

١٩٨٠

+ انها رحلتي المسكونية الاولى/ش.ر/ك٢ ١٧٥
+ ماذا وراء قضية اللاهوتيين ؟ /ش.ر/شباط ١٨١
+ البابا في افريقيا: ابيض بين السود/ش.ر /حزيران ١٨٧
+ بلغاريا: كنيسة وطنية /ملف/ت٢ ١٩٣
+ الاسرة المسيحية الى اين ؟/ت٢ ٢٠١
+ فيلم يسوع الناصري/عدد خاص/ك١ ٢٠٦

١٩٨١

مع الكاردينال لازلو ليكاي/مقابلة/ك٢- شباط –

+ رجال الدين المسيحيون في زيارة الجبهة /ك٢- شباط ٢٠٧
+ اميركا اللاتينية: كنيسة ترفع صوتها/ملف/آذار ٢٠٩
لقاء مع وفد الكهنة الى الجبهة /آذار -
+ عقبات بوجه الزواج من وجهة نظر الشباب /مناقشة/أيار ٢١٦
+ ساحة الكاتدرائيات في موسكو/ريبورتاج/ت١ ٢٢٠
+ كوريا الجنوبية: كنيسة تلزم الصمت/ملف/ت٢ ٢٢٤
+ الالتزام الوطني/مناقشة/ت٢ ٢٣١

١٩٨٢

مع المطران جان كسباريان/مقابلة/ك٢ - شباط -
+ جولة في الفكر المسيحي لعام ١٩٨١/ش.ر/ك٢ ٢٣٥
وقد عادوا من الجبهة/طاولة/آذار -
+ روما تعانق كونتربري/ش.ر/أيار ٢٣٩
+ دور الشباب في حياة الكنيسة/مناقشة/حزيران- تموز ٢٤٣
+ الكنيسة والثقافة/ش.ر/آب- أيلول ٢٤٦
*القديس بولس في رسائله/عدد خاص/ت١- ت٢ -
+ الحب نظرة وآفاق/مناقشة/ك١ ٢٥٠

١٩٨٣

+ "قنبلة" الاساقفة الامريكان/ش.ر/شباط ٢٥٥
+ كنيسة اسبانيا: بين منعطفين/ملف/آذار ٢٥٩
+ بين رهبان الربان هرمزد/تحقيق/نيسان ٢٦٧
+ كنيستي هكذا أريدها/مناقشة/أيار ٢٧١
+ رسالة الاساقفة الامريكان حول الحرب والسلام/ش.ر/حزيران- تموز ٢٧٦
*الاسرة رابطة حب وشركة حياة/عدد خاص/ت١- ت٢ -

١٩٨٤

+ الكلام للجميع: مؤتمر الاتحاد الكاثوليكي الدولي للصحافة/ش.ر/ك٢ ٢٨١
+ الارجنتين: واخيرا اشرقت الشمس/ش.ر/آذار ٢٨٤
+ هل سيكون لنا كهنة؟ أي نوع من الكهنة نريد؟/مناقشة/ملف/نيسان - ايار ٢٨٧
+ هولندا: كنيسة رائدة تعيش في قلق/ملف/حزيران- تموز ٢٩٦
+ انطاكيا وروما تعانقتا/ش.ر/آب- أيلول ٣٠٣
+ الانسان بين الواقع والطموح/طاولة/عدد خاص/ت١- ت٢ ٣٠٦
مع السفير البابوي في العراق لويجي كونتي/مقابلة/ك١ -

١٩٨٥

+ أندونيسيا.. ملتقى الديانات/ملف/ك٢ ٣١١

+ البابا في اميركا اللاتينية: رحلة التحديات/ش.ر/نيسان ٣١٦

★ الشباب ازاء مغامرة الحب/عدد خاص/ت١- ت٢ -

+ المغرب: خطوة على طريق الحوار المسيحي الاسلامي/ملف/ك١ ٣٢٢

١٩٨٦

+ افريقيا: كنيسة في منعطف/ملف/آذار- نيسان ٣٢٩

+ بين طلبة معهد شمعون الصفا الكهنوتي/تحقيق/ش.ر/أيار ٣٣٦

جولة في كنائس العراق/تحقيق/عدد خاص/ت١- ت٢ -

+ اسيزي: ملتقى الديانات/ش.ر/ك١ ٣٤٢

١٩٨٧

+ التنمية والتضامن، مفتاحان للسلام/ش.ر/ك٢ ٣٤٥

+ دير مار كوركيس بين الحاضر والماضي /تحقيق/آذار- نيسان ٣٤٨

+ تشيكوسلوفاكيا: في انتظار ربيع آخر/ملف/أيار ٣٥٣

مع الاب دميان بيرن رئيس عام الدومينيكان /مقابلة/حزيران- تموز -

+ النمسا: من آل هابسبورغ الى فالدهايم /ملف/آب- أيلول ٣٦٠

١٩٨٨

+ ١٠٠٠ سنة على تنصر روسيا/ش.ر/شباط- آذار ٣٦٧

★★اللاعنف: روحانية وموقف/ملف/أيار -

+ الطفل ابن الكنيسة/عدد خاص/ت١- ت٢ ٣٧٤

١٩٨٩

+ رومانيا: في ظل نيكولاي شاوشيسكو/ملف/نيسان ٣٨٥

+ الفكر المسيحي في يوبيلها الفضي/احتفالات الموصل/آب- أيلول ٣٩٢

+ الفكر المسيحي... صناعة/عدد خاص/ ت١- ت٢ ٣٩٦

١٩٩٠

+ لقاء القرن: موسكو- الفاتيكان/ش.ر/ك٢- شباط ٤٠١

★★القيامة في ايمان المسيحيين الاولين١/ملف/نيسان -

★★ القيامة في ايمان المسيحيين الاولين٢/ملف/أيار -

+ البابا في تشيكوسلوفاكيا: ربيع جديد/ش.ر/أيار ٤٠٤

★الكنائس الشرقية الكاثوليكية: عقبة أم جسر/عدد خاص/ ت١- ت٢ -

+ الكنائس الشرقية: معلومات وارقام /عدد خاص/ ت١- ت٢ -

١٩٩١

**انجيل طفولة يسوع/ملف/ك٢- نيسان _

**قراءة ايمانية للحرب/ملف/أيار- تموز _

+ يوم الشبيبة العالمي السادس/ ش.ر/آب- ت١ ٤٠٩

مع البطريرك ميشيل صباح/مقابلة/ آب- ت١ _

١٩٩٢

+ رواية الآلام بحسب لوقا الانجيلي/ آذار- نيسان ٤١١

+ التناول الاول.. خطوة ايمانية /مناقشة/ أيار- تموز ٤١٧

+ الاوخارستيا في نصوص العهد الجديد/عدد خاص/ آب - ت١ ٤٢١

+ الدورة العامة الرابعة لمجلس اساقفة امريكا اللاتينية / ش.ر/ ت٢- ك١ ٤٢٦

١٩٩٣

+ كتاب "التعليم المسيحي" الجديد/ش.ر/ك٢- آذار ٤٢٩

+ اذا اردت السلام فاذهب الى لقاء الفقراء/رسالة بابوية/ ك٢- آذار ٤٣٤

+ الكردينال سلفستريني في العراق/ش.ر/ نيسان- حزيران ٤٣٥

**الصلاة الربية.. صلاة المؤمنين/ملف/ت٢- ك١ _

١٩٩٤

+ من اجل سلام على الارض/ ش.ر/ ك٢- آذار ٤٣٧

*من اجل قراءة جديدة للكتاب المقدس/عدد خاص/ تموز- ت١ _

+ مغامرة عمرها ٣٠ عاما /عدد خاص/ تموز- ت١ ٤٣٩

+ سينودس الاساقفة: الحياة المكرسة/ ش.ر/ ت٢- ك١ ٤٤٦

مقالات ١٩٧١

+ كل إنسان هو أخي /ك٢
+ مشكلتي... مشكلة /ك٢
مع المطران زكا عيواص/مقابلة/شباط
+ رأحت... قصة/آذار
+ هل مات الله؟ /ملف/آذار
+ رسالة مفتوحة إلى الوالدين/نيسان
+ وجهة نظر الوالدين/حزيران
+ بابا، هكذا أريدك/ت١
+ على هامش رسالة البابا "في الذكرى الثمانين" /ت١
+ إستراليا، تلك القارة المجهولة/ملف /ت٢
مع المطران غريغوريوس صليبا/مقابلة/ك١
+ عزيزتي فوفو/ك١

كل انسان هو اخي

شاء قداسة البابا بولس السادس ان يكون شعار يوم السلام، الاول من كانون الثاني لهذه السنة: "كل انسان هو أخي"، ليحمل البشر الى ان يعوا الوحدة بين افراد العائلة البشرية، فيتعاونوا على نبذ كل شكل من اشكال التفرقة القائمة على التمييز في العنصر واللون والثقافة والعرق والجنس والطبقة والدين.

لقد جاء هذا الشعار متجاوبا مع الحملة العالمية لعام ١٩٧١ التي نظمتها هيئة الامم المتحدة ضد العنصرية، انطلاقا من البند الاول من شرعة حقوق الانسان الذي وضع مبدأ الاخوة الانسانية: "كل الناس يولدون احرارا ومتساوين في الكرامة والحقوق؛ انهم يتمتعون بالعقل والضمير وينبغي ان يتصرفوا بعضهم تجاه البعض كاخوة".

لا زالت العنصرية تشكل اليوم خطرا يهدد السلام. فالعنصرية تشوه وجه الانسان وتمسخ الضمائر وتفصل بين البشر والامم. ان هناك عادات في التفكير قد ترسخت في العالم بشكل غريب، حتى ان البعض يؤكدون افضلية عنصر على عنصر، وبينهم من يتخذون الكتاب المقدس حجة لدعم مبادي وأعمال عنصرية، كما هو دأب الصهيونية!

غير ان العنصرية ليست المسبب الوحيد في التفرقة بين البشر، فهناك اشكال اخرى من التفرقة على صعيد اختلاف الثقافة والحالة الاجتماعية والعرق والدين، قد ترسخت بشكل فظيع بحيث اصبحت تشكل عقبة تحول دون الحقوق والحريات التي يجب ان يتمتع بها كل البشر.

ان يوم السلام العالمي الرابع هو بمثابة نداء يوقظ البشر ويدعوهم الى مراجعة حياة ليرى كل واحد مسؤوليته في هذا الشر فيعمل على ابداء التقدير والاحترام والحب لكل انسان، بصفته عضوا في العيلة البشرية وخليقة الله وموضوع حبه. كما ان يوم السلام يعطي الفرصة لمراجعة حياة جماعية: الى أي مدى كفت القوة من ان تسود الحق؟ الى أي مدى استطاع الضعفاء ان يتكلموا؟ هل احترمت الاتفاقيات الدولية في هذا الشأن؟

"كل انسان هو اخي"، هذا الشعار، من الجدير بجميع المسيحيين، بالاتحاد مع ذوي الارادة الصالحة في العالم أجمع، أن يعيشوه في حياتهم كي يحملوا الى العالم خمير محبة المسيح التي هي ينبوع كل اخوة وسلام شاملين.

مشكلتي... مشكلة

"مشكلتي مشكلة"، عبارة يرددها الكثيرون من شبابنا وشاباتنا، وكأن لا مخرج لهم منها، فترى هذا يندب حظه التعيس لانه لم يوفق حتى الآن في العثور على فتاة يبني معها مستقبله، وترى تلك تشكو من ممانعة اهلها في زواجها متذرعين بشتى الحجج. وهكذا اصبح الزواج عندنا من الامور المستعصية، فلا يلجه الا من ابتسم له الحظ السعيد الذي هو من نصيب القلة، بينما يضيق المجتمع بشباب يشيخون وتقتلهم العزلة، وبشابات "يكسدن" وتأكلهن الوحشة!

●

ان شبابنا يشكو اليوم من وضع اجتماعي متخلف ينيء بالانفجار، فبينما يبنون الآمال الكبار على المستقبل الزاهر الذي ينتظرهم، سرعان ما تنتابهم خيبة امل مريرة، اذ يرون آمالهم تتحطم وتذهب بها الرياح، بسبب العقليات الهرمة التي يصطدمون بها والتقاليد البالية التي تقف حجر عثرة أمام تطلعاتهم وأمانيهم. وقد ترسخت هذه العقليات والتقاليد في مجتمعنا بشكل يصعب تطويرها وتغييرها، فيذهب شبابنا ضحيتها الرخيصة.

ان هذه العقليات المتحجرة والتقاليد الرجعية اصبحت تشكل خطرا يهدد مصير الأمة، وينيء بالانفلات، ويعرض لخطر الانزلاق في مهاوي الرذيلة. فالى متى يفطن مجتمعنا للمأساة التي ينسج خيوطها بيده، ومتى يستيقظ الوعي لاستدراك الوضع قبل ان يتفاقم الداء وتصبح من العسير معالجته؟

ان المسؤولية تقع اول ما تقع على الاهل الذين يتحكمون بمصائر بنيهم وبناتهم. فالاولاد لا يفلتون من سلطة آبائهم الا بعد ان يكون الآباء قد جعلوا منهم دمية يلعبون بها كما يشاؤون، وكما تشاء مصالحهم... واصبح الاولاد غير قادرين على ان ينبسوا بكلمة، لعلمهم انهم اذا ما بدا منهم ما لا ينسجم وآراء والديهم، نالتهم غضبة مزمجرة تسمرهم في مكانهم من دون حراك! فلا عجب اذا ما فكر هؤلاء الاولاد بالتحرر من هذا الكابوس والانطلاق من هذه القيود والخروج عن هذه التقاليد. ولو فطن الاهل الى مغبة موقفهم، لأحجموا عن تزمتهم الذي لا مبرر له، ولوفروا لأنفسهم ولأولادهم كثيرا من العناء والمتاعب.

انه صراع الأجيال وصراع العقليات...

شاب في الخامسة والعشرين من عمره تخرج من كلية الهندسة، احب فتاة من أصل قروي في كلية العلوم، وقد ارتبط كلاهما برباط الحب الصادق وتعاهدا على الوفاء

والاخلاص، وعقدا النية على الزواج. وحين فاتح الشاب اهله بالامر، لقي منهم سخطا واستهزاء لم يكن يتوقعه. وتجندت عليه قوى الاقارب، وتبرع له احد اعمامه بابنته التي لم تبلغ الخامسة عشرة من العمر. ولم يكن وراء هذا الرفض سوى فكرة تتزيه العائلة من "الدخلاء"!

شابة في الثلاثين من عمرها انهت دراستها في معهد المعلمات، ولم يسبق لها ان ارتبطت بحب شاب. ولم يخطر ببال والديها ان "يتخلوا" عنها يوما لشاب تبني معه صرح حياتها، وكيف يخطر ذلك ببالهم، وابنتهم تدرعليهم مرتبا شهريا لا تنفق منه ربعه؟ وكم من شاب طرق بابهم ليطلب يدها، فكان جوابهم في كل مرة: "ليست للزواج"... "لم يحن وقتها"... وكم تمنت هذه الفتاة لو لم تصبح "معلمة"، لكان لها اليوم عدة اولاد...

ويمكننا ان نسهب في ذكر حوادث مماثلة من مآسي المجتمع تشكل عقبة تحول دون الزواج، اذ تجعل منه صفقة تجارية ومساومة على الاشخاص، وليس من يجد نفسه مقصودا!

فهذا لا يوافق أهله علي الزواج من تلك الفتاة لانها ليست من عائلة "اصيلة"

-ولسنا ندري ما هي صفات العائلة "الاصيلة"-، او لانها اكبر منه سنا، او لان لونها لا يميل الى السمرة او البياض -حسب الذوق-، او لان احدى خالات الفتاة قد شوهت اسم العائلة بتصرفاتها المشينة، حتى لو اصبحت اليوم في عداد الاموات! او لأن والدة الفتاة كانت خادمة قبل عشرين عاما الخ... وتلك لا "يعطيها" اهلها، لانها نالت شهادة ارقى من شهادة الشاب، او لان الشاب لا يملك دارا خاصة وليس له رصيد في البنك ولا سيارة! او لأن والده كان عاملا بسيطا في الاطفائية او شرطيا، او لأن الشاب من طائفة او ملة اخرى، او لأنه عقد خطبته على فتاة وفسخ الخطبة الخ...

هذه القيود التي يضعها الاهل على الزواج، وهذه الاعذار التي يتذرعون بها للوقوف في طريق اولادهم، اكثرها ليست بذات بال، لها ابعادها السيئة على حياة الشباب والشابات، ولها نتائجها الوخيمة في نفسهم. فاهم عوض ان يروا في ذويهم تفهما لآمالهم وأحلامهم، وعوض ان يجدوا فيهم اصدقاء يكنون لهم الحب ويريدون لهم الخير والسعادة، لا يرون فيهم سوى الجفاء وحب السيطرة وكانهم اعداء يأبون لهم مستقبلا سعيدا، بسبب تزمتهم الأعمى وقلة قابليتهم على التطور والتماشي مع متطلبات العصر، وكثيرا ما تختفي المصلحة المادية وراء هذا الرفض وهذه المماطلة. وهذا ما يحدو بالاولاد الى ان يخرجوا عن طاعة اهلهم واحترامهم والتحدي لهم. فكم من شاب اضطر الى الهرب مع رفيقة احلامه - ولم يكن هربه بطيب الخاطر-، وكم شابة اضطرت الى الانتقام من ذويها بتصرفاتها الشائنة وتنكرها للدين والفضيلة، فخلفت وراءها مأساة لذويها وتركتهم يعضون انامله ندما ولات ساعة مندم، جرّت هي بالتالي أذيال الخيبة والندم ولكن بعد فوات الاوان...

ان على الوالدين ان يدخلوا من جديد في مدرسة الحب ليدركوا بانه لا يمكنهم ان يسيروا اولادهم وفق ما ساروا هم عليه، كما ان عليهم ان يعرفوا بأن لأولادهم قلبا نابضا

بالحب وليس في وسعهم ان يوقفوا نبضاته، وأن من حقهم ان يفرغوا هذا الحب الذي يضيق به قلبهم الفتي على شريك الحياة.

•

نحن لا ندعو الى ثورة الأبناء على الآباء، وليس في عزمنا ان نجعل من الابناء أندادا لآبائهم، فلسنا من دعاة التحرر من سلطة الآباء، كما لسنا من الداعين الى طاعة الآباء طاعة عمياء. نحن نطالب الآباء بان يكونوا اصدقاء لأولادهم؛ ومتى كانوا اصدقاء بعضهم لبعض، لن يحدث تصادم او تطاحن بين الطرفين. فللأهل حق التوجيه والنصح في حدود العقل، وعلى الاولاد واجب الاحترام والطاعة في اطار من الحرية؛ ومتى عرف الاهل والأولاد مسؤولياتهم، كانت السعادة نصيب الطرفين، ومتى تحدى كل من الطرفين عقلية الطرف الآخر وتضاربت الآراء والأذواق والمصالح، عاد ذلك بسوء المغبة على الطرفين.

اننا ندعو الى تصالح الآباء مع الأبناء بهدم الحواجز والتخفيف من حدة الصراع القائم، وذلك بأن يحاول كل من الطرفين ان يفهم الطرف الآخر مع مراعاة الفوارق الناتجة من اختلاف الأعمار والثقافة والعقلية، وأن يفترض كل طرف حسن النية لدى الطرف الآخر، فليس الآباء اعداء لأولادهم ولا الأولاد منافسين لآبائهم!

فليسع الاهل اذن الى تسهيل السبيل الى الزواج أمام اولادهم، فيتيحوا لهم المجال ليقرروا مستقبلهم ويبنوا سعادتهم دون الالتفات الى مصالحهم المادية ودون التقيد بقيود لا طائل تحتها. وليسع الأولاد الى تعزية والديهم وتوفير فرص الفرح والراحة لهم، فيستفيدوا من آرائهم ونصائحهم بإعمال الروية والتقيد بأهداب الفطنة وتحكيم العقل دون تحد او انتقام. وهكذا تزول تلك الهوة القائمة ويتقلص ذلك الصراع ويتلاشى ذلك التصادم وتغيب تلك المشكلة من قاموس الاهل والاولاد، ولن يعود الاولاد مشكلة لآبائهم ولا الآباء مشكلة لأولادهم.

رأحت... قصة قصيرة

وقادتها الظروف فجاءت الى حيث لم تكن تفكر يوما ان تجيء... كانت تتقدم بخطى ثابتة وبرأس منتصب، وخصلات شعرها المبعثرة على جبينها ووجنتيها أضفت على جمال طلعتها جمالا، وعيناها الواسعتان اللتان يتوسطها أنف معقوف كأنهما دواليب تتطاير منها شرارات من نار تخترق أعماق ألمحدق بها. بسيطة في هندامها، بسيطة في ابتسامتها التي لا تصَنع فيها، بسيطة في كلماتها التي لا تصوغها بل تتركها تنساب بطواعية، وكل ما فيها يفتن ويسحر...

جاءت من الصحراء لتلاقي شخصا لم يسبق لها أن ألتقت به.. جاءت والجوع يتآكلها وكأنها جائعة الى انسان يسد رمقها.. جاءت والعطش يحرقها وكأنها ضمأى الى انسان يروي غليلها.

وكان هو في الشرفة وكأنه في انتظارها، يعاني من العطش والجوع ألوانا، والشوق ملأ قلبه وجوارحه. لم يكن يحلم بأن يلتقي بمثلها يوما. وكلما اقتربت شعر بأنه يقترب منها، وكأن المسافة التي تفصله عنها قد تناهت، وما هي الا لحظات واذا بعينيها تلتقي بعينيه وقلبها بقلبه. لم تحيّه و لم يحيِّها، لكن سلاما "مربعا" اخترق كيانهما. لقاء لم تزل عذوبته طرية في ذاكرته، و لم تزل تلك النظرة الساحرة سهما ادمى قلبه فكان بمثابة ختم مقدس لن تقوى الايام على محوه...

لم يكونا بحاجة الى "بريزانتي" ولا الى مصافحة او قبلة.. لم يكن لهما حاجة الى ان يعرف الواحد سر حياة الآخر، لأن جاذبية اقوى من جاذبية الارض شدت الواحد الى الآخر برباط لم يخيل اليهما انه قابل للانفصام.

هو باسل وهي هيفاء

لقد غمرهما بالحياة والحب، وكان لهما ينبوع عذوبة وسعادة. لقاء فقها بواسطته معنى الحياة وكان انطلاقة في افق اللانهاية. سارا يدا بيد في دروب اللانهاية يشقان الطريق وليس ما يعيقهما او يعرقل مسيرتهما. سارا وكلاهما امل بالبلوغ، و لم يخطر ببالهما ان في آخر الطريق هوة ساحقة وتنينا فاغرا فاه.

سارا سوية، جنبا الى جنب وكأن الدنيا كلها تسير معهما، كانت النجوم تبتسم لهما بلمعانها، وكانت الشمس تضحك بوجههما بتوهجها، فتضفي عليهما مسحة من سحرها الفتان، وكان الناس الذين يمرون بهما يفتحون لهما الطريق ليواصلا رحلتهما الى اللانهاية؛ وكان الاحباء لا يتمالكون انفسهم من ابداء فرحتهم بهذه المغامرة، فيما كان الاعداء يكضمون من الحسد والغيرة حقدهم عليهما. وكان الموتى انفسهم يؤيدونهما بصمتهم الرهيب، وكان الله من فوق يبارك خطواتهما.

وسارا وسارت الدنيا وسار كثيرون على آثارهما...
وأخذ بعض الناس يقولون: الى اين يذهب باسل بهيفاء؟

وتحركت الألسنة وتوجست شرا في هذه الرحلة، فكثرت الاقاويل وقامت الشائعات. فكل ينظرمن زاويته الخاصة، وكل يرصد بمنظاره الخاص، وكل يؤول بمفهومه الخاص. غير ان هذه الألسنة المسمومة لم تؤثرعلى صمودهما و لم تحل دون مواصلتهما الرحلة التي عزما على القيام بها.

وفي نصف الطريق اعترضت مسيرتهما بعض الأشواك أثرت قليلا على خفة خطاهما. وبدت هذه الرحلة لهيفاء طويلة وشاقة، غير ان باسل كان مصمما على مواصلة الرحلة حتى النهاية، وكان هدفه منها واضحا وضوح النهار، فأخذ يحمل هيفاء ليقيها وخزات الاشواك، وأخذت هي تنقاد له بطواعية لا حدود لها وكأنها طفل في أحضان أمه.

كان جلّ همه ان يوصلها الى ميناء "سلفادو" ليزفها الى صديقه "فادي"؛ أما هي فقد ساورتها شكوك وراودتها أحلام تراقصت في ذهنها حينا، ما عتمت ان ادركت ان باسل يسير معها الى ميناء سلفادور حيث تنتظره "بتول"، وان فادي كان في انتظارها. وحين علمت ان لهذه الرحلة هدفا ازدادت خطواتها ثباتا واقداما...

وسار وسارت، هو من اجل بتول وهي من اجل فادي، وفادي وبتول أخوان. وأخذا يسيران بسرعة لا عهد لهما بمثلها، وكأن الارض في منحدر، وكأن أقدامهما لا تلاصقان الارض! واذا باضواء الميناء تلوح لهما من بعيد، و لم تعد المسافة التي تفصلهما عن الميناء بذات بال اذا قيست بالمسافة التي قطعاها طوال الرحلة التي استغرقت ثلاثة أشهر. غير أن تعبا بدا على هيفاء اضطرها الى التوقف، وفي هذه الاثناء لمح باسل في البعيد دخانا كثيفا يوحي بحريق، فهب الى المكان، وكلما اقترب سمع صرخات استنجاد، وهيفاء تلاحقه بنظرها حتى لم تعد تراه. واذا بالليل يرخي سدوله ويأخذها النعاس، فتوسدت الارض والتحفت بالنجوم...

لم يعد باسل الا فجر اليوم التالي منهوك القوى، بعد ان اوصل الى مستشفى الميناء آخر من نجا من الحريق الذي شب في السيارة، وبعد ان وارى التراب الاربعة الآخرين الذين ذهبوا ضحية الحريق. وما أشد ما كانت دهشته حين شاهد هيفاء في أحضان راع بدت عليه ملامح الخشونة. وتسمر باسل ازاءها وكأنه من الاموات الى أن تمكن بصعوبة أن يفوه بهذه الكلمات: ما هذا يا هيفاء؟ وما اشد ما كانت صدمته حين سمعها ترد عليه الجواب: كنت راعية والآن احببت هذا الراعي. أما فادي فلعله شخص وهمي منيت النفس بالبلوغ اليه، ولكنه لا يزال بعيدا وغير مضمون. أما أنت يا باسل فأرجوك ان تنساني ولا تتعب نفسك في البحث عني، اتركني وشأني فاني لا اطيق رؤيتك بعد!

قالت هذا وراحت... مع الراعي في اتجاه الصحراء.

وباسل يتتبعها بنظره والحزن ملأ قلبه، و لم يمل نظره عنها الى ان توارت في الافق. وحينذاك راح يبحث عنها عله يجدها يوما ليقول لها ان فادي ما زال في الميناء ينتظرها.

آذار ١٩٧١

هل مات الله؟

اعلن نيتشه موت الله، ومنذئذ أصبح الكثيرون ينعون الله في كل سانحة، ويقينهم ان الله لم يكن حيا ومات، انما يؤكدون بأن الله لم يكن سوى فكرة اخترعتها مخيلة البشر، والآن ماتت هذه الفكرة واندثرت!

ونحن المؤمنين بالله، لا يسوغ لنا ان نتجاهل هذه الظاهرة التي اخذت في الاتساع، انما ينبغي ان تحملنا على اعادة النظر في ايماننا ليحق لنا من ثم ان نعلن للعالم بأن الله لم يمت، وانه لا يزال حياً، وهكذا يزداد ايماننا عمقا وصفاء، ونزداد تعلقا بهذا الاله الحي، فنشهد له في عالم يرفضه وينبذه.

ان عالمنا يستغني عن الله في كل انجازاته. نظرة واحدة الى معاصرينا تكفي لتجعلنا نلمس غياب الله عن حياتهم. اننا لا نشعر بأن لله دورا في القضايا التي تقلق العالم، ولا نلمس مكانته في حياة الانسان الخاصة والعائلية والاجتماعية. غياب رهيب يخيم على البشر يحملهم الى ان يعلنوا ان الله مات.

واذا كان لبعض الفلاسفة من أمثال فويرباخ وماركس ونيتشيه وفرويد وسارتر يد في موت الله، غير ان ظاهرة ملايين من الملحدين تقلق وتدهش، لا سيما وان الحادهم لا يقلقهم هم ويرون انفسهم سعداء فيه! والى جانب الملحدين، هناك كثيرون من المؤمنين انفسهم يعيشون وكأن الله غائب عن حياتهم، وهذه ايضا ظاهرة تحمل على القلق حول مصير الله.

يجدر بنا، ونحن ازاء هذا القرار بحكم الاعدام على الله، ان نسمع اولئك الذين يؤكدون موت الله لنعلم أي اله يعلنون موته؟

أي اله مات؟

الله: لا يستهوينا

ان ما يستهوي البشر اليوم هو بنيان العالم والسعي الى حياة افضل واستخدام كل ما تضعه المدنية العصرية تحت تصرفهم من تقدم علمي وتقني واجتماعي... وازاء هذه المظاهر الحضارية، يبان الله من عالم آخر، لا يوحي بجديد ولا يقوى على إسعاد البشر. لقد خيب آمال المتطلعين اليه، لذا نراهم يتحولون عنه ليبحثوا عما يشبع رغبتهم في السعادة.

"انت يا سيد الذي يقال عنك انك كلي القدرة، كيف لم تقو على جذب انتباهي الى وجودك؟"
(روبرت ايسكاربيت)

"... الانسان قادر ان يمنح لنفسه السعادة على هذه الارض بتحقيق كل حاجاته الاساسية"
(ويدمير)

الله: لا ينفع

كان الناس يظنون ان الله هو الذي يعطي معنى لوجودهم، غير ان الانسان اخذ اليوم يدرك قيمته وطاقاته، فلم يعد بحاجة الى الله. ولماذا نبحث عن اساس للضمير والاخلاق خارجا عنا، يكفي ان نحارب كل شر يحطم الانسان. وأية حاجة لنا في ان نستغفرالله، أليس من الأجدر بنا أن نصنع الخير لنغطي به الشر الذي فعلناه؟ وما الداعي الى طلب مثال اعلى من الله، اليس الانسان قادرا على ان يعطي لنفسه مثالا أعلى؟

"... لست بحاجة الى الله... ان في العالم ما يمكّن الانسان من ان يكون سعيدا، وان العلاقة مع الغير، بوسعها ان تكون غاية بالنسبة الى الانسان"

الله: من مخلفات الماضي

اذا كان الانسان في السابق قد وضعرجاءه في الله، فذلك لأنه كان يشعر بضعفه تجاه قوى الطبيعة وبحاجته الى من يحقق له السعادة، لذا اخذ يمنّي نفسه بالسعادة في العالم الآخر. فالله لم يكن سوى انعكاس لجهل الناس وخوفهم وعدم مقدرتهم، غير ان التقدم العلمي طوى صفحة على هذا الاعتقاد.

"ان نبذ الديانة بصفتها سعادة خيالية للشعب، ضرورة تقتضيها السعادة الحقة".
(كارل ماركس)

الله: عدو الانسان

كيف يمكننا ان نقبل الها هو وسيلة بيد رجال الدين لبسط نفوذهم ولاستغلال الضعفاء والجهال؟ وكيف يمكننا ان نؤمن باله تستخدمه الشعوب لدعم قضاياها وشن الحروب باسمه! فالله يسحق الانسان ويفقده ذاته ويضطره الى التخلي عن التزاماته في بناء العالم واشاعة العدالة على الارض، وهكذا يتنازل الانسان عن حقوقه وواجباته وينطوي على آلامه وفقره، ممنيا النفس بالفردوس.

فلا بد من اختيار أحد الموقفين: اما ان نقر بالله على حساب الانسان، أو أن نقر بالانسان، ولا بد حينذاك من ان ننكر الله. فان الذين يودون ان يعملوا من اجل العدالة والتخفيف من حدة البؤس واسعاد البشرية يجب ان يؤمنوا بالانسان، وينبذوا الله.

•

هذا الاله الذي يصفه الملحدون بانه من مخلفات الماضي وعدو الانسان وغير نافع ولا يستهوي احدا، هو اله نريده يموت لأنه يشوه صورة الاله الحي الذي نؤمن به. فعوض عن ان نتهم الملحدين بانهم مسخوا الله، علينا ان نقدم لهم وجها صحيحا للاله الحقيقي الذي هو حي.

الاله الحقيقي حي هو

الله: حي هو

لسنا نريد ان ندحض براهين الملحدين، بل نقول بأن نظرهم هي خطوة في المجهول، وان الحادهم سابق لكل البراهين التي يتذرعون بها، وان فيه من المغامرة أكثر مما في مغامرة الايمان بالمسيح. فنحن لا نؤسس ايماننا بالله على براهين عقلية وفلسفية، انما نؤسسه على حدث تدخل الله في حياة العالم، وهذا الحدث هو يسوع المسيح الاله المتجسد. فيسوع ولد في ما بيننا انسانا كاملا وأكثر من انسان. تلك حقيقة تاريخية لا يمكن تجاهلها.

"في البدء كان الكلمة
والكلمة كان لدى الله
وكان الكلمة الله...
والكلمة صار جسدا وسكن في ما بيننا" (يوحنا ١: ١، ١٤)

"ليس على المسيحي أن يكوّن فكرته عن الله عن طريق المحاولات الميتافيزيقية، بل أن ينظر الى الله من خلال تعليم يسوع وحياته" (جاك ناتانسون)

الله: هو اله يسوع المسيح

يسوع ذلك الانسان الذي مر بأرضنا قبل الفي عام، أخبرنا عن الله الحي الذي شهد له بحياته وكلامه وأعماله وموته وقيامته: "الله لم يره قط: الاله، الابن الوحيد الذي في حضن الآب، هو نفسه قد اخبر" (يوحنا ١ : ١٨). وهكذا فبواسطة ايماننا بالانسان يسوع نكتشف ان الله هو خالقنا وأبونا ومخلصنا.

فلسنا نحن الذين اخترعنا الله؛ الله هو الذي جاء الينا وبشكل مخيب. كان بوسعنا ان نخترعه بشكل آخر يتماشى مع احلامنا في السعادة، غير ان اله يسوع يدعونا الى التجرد عن الذات والى بذل الذات من أجل الآخرين... كان بوسعنا ان نصنع لنا الها يعفينا من التزاماتنا الارضية ومن السعي من أجل عالم أكثر انسانية وأكثر عدالة، غير ان اله يسوع يضع علينا متطلبات الخدمة لاخوتنا البشر والاهتمام بالفقراء والجائعين والمتألمين هنا على الارض...

"يظهر الله، من خلال الكتاب المقدس كله، ذاهبا للبحث عن الانسان. فأذا كان هناك لقاء، فلأن الله وجد الانسان وليس لأن الانسان اكتشف الله" (الان ريشاردسون)

الله: هو صديق الانسان

ان اله يسوع واله الانجيل هو اله مع الانسان، بحيث أصبح انسانا من اجل فداء الانسان: "هكذا احب الله العالم حتى انه بذل ابنه الحبيب" (يوحنا ٣: ١٦).

فهل يمكن لهذا الاله الذي احبنا وسكن في ما بيننا ان يعدل بالانسان عن التزاماته

الارضية ليعِدَه بالسماء؟ انه على العكس من ذلك، يدعونا الى خدمة الناس جميعا وفي مقدمتهم الفقراء.

واله يسوع يحقق للانسان الحرية الحقة، اذ يحرره من الخوف والحقد والحسد والاكتفاء بالذات والكبرياء ومن كل ما هو عبودية متلبسة بالحرية المزيفة. وسر هذه الحرية هو في الحب: "احبوا بعضكم بعضا كما احببتكم أنا" (يوحنا ١٥ : ١٢). فيسوع عوض عن ان يظهر في ما بيننا الها جبارا ومهيبا، نراه الها متواضعا، حليما، مذللا، معلقا على صليب: ابن الله يموت ليحيا الانسان: "ما من حب أعظم من هذا أن يبذل الانسان نفسه عن أحبائه" (يوحنا ١٥ : ١٣).

ويسوع يغسل اقدام تلاميذه قبيل موته: فهذا هو الاله الحقيقي الذي ينحني حتى اقدام البشر: "أنا في ما بينكم كالخادم" (لوقا ٢٢: ٢٧).

"هو القائم في صورة الله
لم يعتد مساواته لله حالة مختلسة
بل لاشى ذاته، آخذا صورة عبد...
ووضع نفسه، وصار طائعا حتى الموت، موت الصليب" (فيلبي ٢ : ٦- ٨).

اله جدير بالايمان

اله نلتقي به

ان الايمان بالله هو مغامرة تأسرنا بكليتنا، وتقوم هذه المغامرة على معرفة الله من خلال نظرتنا الى ابنه يسوع المسيح نظرة ايمان. وهذا الاله هو شخص حي يمكننا ان نلتقي به ونقيم معه علاقات شخصية: "ليس أن احدا رأى الآب الا الذي هو من لدن الله، فهذا قد رأى الآب" (يوحنا ٦ : ٤٦). ويضيف قائلا: "من رآني فقد رأى الآب" (يوحنا ١٤ : ٩).

ليس الايمان بالله قضية عقلية، وليس الله "حقيقة" نتعلمها عن ظهر القلب، ولا قضية عقائدية ندركها عن طريق الجهد الفكري. انها قضية حيوية تشمل الحياة كلها: فالله هو شخص حي يحبنا ويدعونا الى ان ندخل في حوار معه، انه الحي الذي يعطي لحياتنا معنى ومغزى، لذا فهو يكشف لنا عن ذاته في صميم حياتنا حين نبحث عنه دون انقطاع، وهذا البحث يدفعنا دوما الى ابعد.

"منذ ان علمت ان الله موجود، علمت في الوقت ذاته اني لا استطيع ان اعيش الا له". (شارل دي فوكو)

اله يتكلم معنا

هذا الاله الذي تكلم عبر التاريخ مع البشر، بفم الانبياء، كلمنا "في هذه الايام الاخيرة بواسطة ابنه"، فيسوع هو حقا كلمة الله المتجسد الذي بلّغنا بلغة بشرية كل ما اراد

الله ان يبلغنا اياه: "أتكلم بما علمني الآب... ان تعليمي ليس مني بل ممن ارسلني. ان شاء احد ان يعمل مشيئته يعرف هل هذا التعليم هو منه أم انا اتكلم من عند نفسي" (يوحنا ٨ : ٢٨ و ٧ : ١٦ - ١٧).

وكلام الله يتخطى الزمان والمكان ليبلغ الى كل انسان، وهذا الكلام هو كلام شخصي موجه الى كل انسان شخصيا وفي الوقت الحاضر. فحين نقرأ الانجيل نسمع الله يكلمنا من خلال اعمال المسيح وأقواله، وينتظر ان نتجاوب مع هذا النداء الذي يوجهه الينا.

هذا الاله الذي تكلم مع البشر لا يُكره احدا على الايمان به؛ فالانسان يحتفظ بكامل حريته ازاء الله، لأن الايمان يفترض قبولا حرا واراديا لنداء الله، وبوسعنا الا نسمع هذا النداء وألا نقبله: "جاء النور الى العالم والناس آثروا الظلمة على النور لأن أعمالهم كانت شريرة" (يوحنا ٣ :١٩).

ففي الايمان تجد الحرية البشرية آفاقا واسعة لمغامرتها، لانها عوضا عن ان تتقيد، تنطلق بكل طاقاتها لتحقق للانسان كماله مع الله. فالايمان يقتضي شجاعة للتجرد عن الذات وتخطي الضمانات التي يحققها لنا الايمان، لنبني حياتنا بكل ابعادها ومعانيها ومتطلباتها على الله الذي احبنا هو الاول.

"ان انتم ثبتم على كلمتي تكونون في الحقيقة تلاميذي، وتعرفون الحق والحق يحرركم "(يوحنا٨: ٣١).

ليحي الله وليحي الانسان

هذا الاله الذي تجلى على الارض في شخص المسيح الاله- الانسان، وبشر به الرسل بشهادة حياتهم التي ختموها بدمائهم، وسار على آثاره جماهير من القديسين في كل جيل، وشهد له المسيحيون بحياتهم ومواقفهم وتصرفاتهم على ضوء انجيله، هو الاله الحي الذي يحب الانسان ويهمه ان يرى الانسان يُخضع لنفسه الكون ويشاركه في عمل الخلق ويعمل على بناء العالم وتطويره بكل ما اوتي من امكانات وطاقات، من أجل اسعاد البشرية وسيرها نحو الافضل.

ان ما يريده الله هو ان يحيا الانسان، فالله لا يشاء ان يأخذ مكاننا، ويأبى أن يحمل عنا مسؤولياتنا الزمنية على الارض، فليس هو الذي سيصنع معجزة ليشبع جائعي الارض، انما يتركنا نجترح نحن هذه المعجزة، ويكتفي بأن يقول لنا:" كنت جائعا فلم تطعموني"!

ولقد ترك لنا هذا الاله وصية واحدة بوسعها ان تحرر البشرية وتحمل اليها السعادة والسلام، وهي المحبة. فالمحبة هي الدليل اليه، وعلى المحبة سوف ندان:

"من كانت له خيرات هذا العالم ورأى أخاه في فاقة فحبس عنه احشاءَه، فكيف تثبت

فيه محبة الله؟ فلا نحبنّ، لا بالكلام ولا باللسان، بل بالعمل وحقا" (١ يوحنا ٣ : ١٧ — ١٨).

"ان قال أحد: "أني أحب الله" وهو يبغض أخاه فهو كاذب" (١ يوحنا ٤ - ٢٠).

●

الخاتمة

أيها القارىء العزيز، لا بد انك لاحظت اننا لم نردّ في بحثنا هذا على اعتراضات الذين يعلنون ان الله مات، وكانت جل غايتنا هي ان نلمس، من خلال اعتراضاتهم، بأن هناك في حياتنا المسيحية أمورا ومفاهيم وعادات تعثرهم وتحملهم على الاعلان بأن الله مات. فواجبك هو ان تعلن بأن الله موجود وانه حي، ليس بالبراهين والادلة بل بحياتك.

ان في نظرة الملحد ولا شك دعوة الى ارتقاء الانسان وتحقيق ذاته بمعزل عن الله، غير ان في نظرة المسيحي دعوة أسمى الى الانسان ليحقق ذاته ويرتقي الى ملء كماله في المسيح.

ان الحاد فويرباخ وماركس ونيتشه وسارتر يستند الى هذا الافتراض: لا يمكن ان يكون الله موجودا لأن وجوده عقبة في وجه الانسان، فلكي يحقق الانسان ذاته ينبغي ان يغيب الله. أما نحن فنؤمن بأن الله موجود وانه ظهر في ما بيننا انسانا كاملا وتكلم وعمل ولا زال يتكلم ويعمل اليوم، وان هذا الاله يمكّن الانسان من ان يصبح اكثر انسانية وأكثر اندماجا بالانسانية:

هذا الاله هو الانسان يسوع المسيح.

رسالة مفتوحة الى الوالدين

تعرفت في الآونة الاخيرة على شباب وشابات شكوا لي حالهم، وقرأت في عيونهم ألما ولمست على جباههم كآبة وشعرت ان حزنا قد خيم على قلوبهم. انهم يعانون من ازمات نفسية بدا أثرها على كلامهم الذي اكتنفه التردد. وتساءلت في سري عن سبب هذه العقد التي حولت هؤلاء الشباب والشابات من التفاؤل الذي عهدته فيهم الى تشاؤم رهيب، ومن حب للحياة الى كراهية وحقد وقنوط، ومن اندفاع وحماس الى انطوائية وجمود... وحاولت ان اصغي اليهم بانتباه، علي أقف على سر هذا التحول، لأني خشيت من أثره السيء على نفوسهم ومن مغباته الوخيمة على مستقبلهم.

●

● **قالت لي هدى:** أعاني الامرّين من والدي الذي يرقب حركاتي وسكناتي. يفاجئني وأنا في غرفة النوم فيقلّب في كتبي ودفاتري ومحفظتي عله يجد رسالة من حبيب! انه يتوجس شرا في ذهابي ومجيئي. لا يسمح لي ان اذهب يوما لزيارة صديقاتي ولا يسمح لصديقاتي أن يزرنني في البيت، ويضايقني حتى في الدراسة.

● **وقال لي بسام:** ابت، كم حلمت ان افاتح اهلي بحبي الصادق لفتاة تعرفت عليها في الجامعة، تجمع في شخصها كل المزايا والصفات التي حملتني ان افكر في ان ابني معها صرح حياتي؛ ولم أتجرأ حتى الآن على مفاتحتها لأني عالم بأن والديّ يهزآن بالحب، وفي رأيهما الا يفكر الشاب أو الشابة في الزواج الا بعد سنوات من تخرجهما. واني طيلة هذه الاشهر لم اذق طعم النوم، وأثر ذلك على دراستي، ولم أعد أدري ما العمل؟

● **وقالت لي سندس:** ان ما يؤلمني جدا هو اني لا اشعر بأن أهلي يحبونني... انهم لا يأبهون بمشاعري ولا يقيمون وزنا لرغباتي وآمالي. انهم بالكاد سمحوا لي —بعد تأثير من كاهن الرعية— ان انتمي الى الاخوية، ولكنهم يذيقونني الامرين كل مرة يحين موعد الاجتماع، فكم اضطررت الى التغيب لاسباب تافهة، متذرعين بحجة ان الاخوية سوف تلهيني عن دراستي، وكأني لازلت طفلة لا ادرك مصلحتي. وان اشد ما يؤلمني هو استهزاؤهم بي كل مرة ذهبت الى الاجتماع، وتندرهم على حسابي امام الجيران والاقارب.

● **وقال لي فارس:** اني لم اعد اطيق العيش في البيت، فاني قلما حلمت بالهدوء والراحة. فالمشاحنات بين والدي ووالدتي على قدم وساق كل امسية، وتشتد هذه المشاحنات في اوقات الامتحانات وكم خلقت من توتر في اعصابي! ان زملائي يحسدونني على ذكائي، وما اشد ما كانت دهشتهم حين اخفقت في العام الماضي، وانّى لهم ان يعرفوا السبب؟

• **وقالت لي مي:** أبت اني في مأزق لا أجد منه مخرجا. لقد مضى على تخرجي من الجامعة ست سنوات، وفي خلال دراستي ارتبطت بحب شاب من ابناء بلدتي وكانت تربط بين عائلتينا روابط الجوار والصداقة؛ وكنا صادقين في حبنا وملتزمين بأهداب الفطنة وتعاهدنا على الوفاء وعقدنا النية على الزواج، و لم أكن اتوقع ان والدتي ستمانع في زواجي. وحين فاتحتها بالامر بكل بساطة واحترام ردت علي بكلمة "مستحيل"!

• **وقال لي سمير:** راودتني فكرة تخصيص ذاتي للرب في الكهنوت منذ الصغر، وترسخت هذه الرغبة لدي على مر السنين، واني الآن في سنتي الرابعة والاخيرة من كلية العلوم، ولا زلت اخضع لتسويف ذوي وكل الاقرباء الذين ما انفكوا يقولون لي طيلة سنوات: "أنهِ الابتدائية وبعد... أنه الثانوية وبعد...أنه الجامعة وبعد..." واني لا اكتم عليك خوفي من نقمتهم اذا اقدمت على الافلات من طاعتهم لالبي نداء الرب الذي اصبح ملحا...

•

قالوا لي كل هذا وأنا معجب بصراحتهم ومتأثر بما أدلوا به الي. ورحت افكر في ما عساي أن أفعل لأحمل الى كل واحد من هؤلاء قليلا من العزاء والسلام. لقد شغلوا نهاري وليلي ولازمتني صورتهم أينما كنت، وما زالت اصداء تصريحاتهم ترن في اذني...

وقلت في نفسي ان اصدقائي هؤلاء الذين تعرفت عليهم وفتحوا لي قلوبهم، لا بد وان هناك كثيرين من أمثالهم ممن يعانون المشاكل عينها أو اشد منها، وان هذه المشاكل هي وليدة صراع بين جيلين وهي نتيجة اختلاف عميق في وجهات النظر وتفاوت كبير في الثقافة والعقلية بين الآباء والأبناء. وهكذا ابتسمت لي الفكرة بأن أكتب رسالة مفتوحة الى الوالدين علهم يفطنون الى الهوة التي تفصلهم عن أولادهم، فيعمدوا الى معالجة الوضع قبل أن يستفحل وقبل ان تظهر عواقبه الوخيمة.

أيها الآباء... وأيتها الامهات...

انكم ولا شك تتألمون من عدم مصارحة أولادكم لكم، وتتألمون أكثر حين يشذ أولادكم عن الطريق القويم، ويحز في قلبكم ان تروا اولادكم وقد ملأت الكآبة نفوسهم. انكم تتحسسون ان قلبهم يضيق بالاحلام والاماني، ولكنكم لم تحاولوا ان تدخلوا الى قلوبهم لتقفوا على طموحهم المشروع وعلى رغبات قلبهم الصادقة. انكم تلمسون ان هوة تفصلكم عنهم، ولكنكم لم تسعو الى مد القناطر بينكم وبينهم. انكم تحبون اولادكم من دون شك فتفرحون لفرحهم وتتألمون لألمهم، ولكم من الاستعداد والغيرة ما يحملكم الى ان تفنوا حياتكم في سبيلهم، ولكن محبتكم ينقصها شيء واحد، وهو انكم تتجاهلون حريتهم وتتناسون ان بين ضلوعهم قلبا نابضا...

قد يخيل اليكم ان اولادكم لا يحبونكم ولا يقرون بفضلكم عليهم وانهم عديمو الشعور وناكرو الجميل... وقد يساوركم الشك في محبتهم لكم كل مرة بدت لكم آراؤهم مخالفة لآرائكم، وكل مرة افصحوا لكم عن رغبة او امنية لا تنسجم مع رغباتكم وامنياكم. كونوا على يقين من انهم يكنون لكم الحب والاحترام والتقدير، غير انكم حين تتحكمون

بمصائرهم وتقفون حائلا دون تطلعاتهم وامنياتهم المشروعة ترغمونهم على ان يتحدوكم ويفلتوا من طاعتكم. انكم تحملونهم على ان يشذوا اذا لم تفتحوا لهم صدرا رحبا يستوعب كل آمالهم وقلبا واسعا يتحسس مطالبهم؛ وبكلمة، انكم تخلقون من اولادكم أعداء لكم اذا لم تكونوا لهم أصدقاء.

هل تخافون على سلطتكم من الضياع؟ وهل تظنون ان سلطتكم وحدها قادرة على ان تحببكم اليهم وتحفظهم لكم؟ أليس هناك –عدا السلطة– ما يجعلكم تعيشون وأولادكم في سلام وطمأنينة وفرح؟

ان محبتكم هي وحدها قادرة على ان تجعل اولادكم يحبونكم ويحترمونكم ويطيعونكم، فالقديس بولس أوصاكم: "أيها الآباء لا تحنقوا اولادكم بل ربوهم بأدب الرب ووعظه"، على شرط ان تكون هذه المحبة صادقة ومجردة عن المصالح بحيث يشعرون انها بذل وعطاء اكثر منها اخذ ومنفعة. ان اولادكم مرهفو الاحساس ويعرفون جيدا ان يميزوا المحبة المجردة والمخلصة من المحبة الانتفاعية والمغرضة والتي ليست بمحبة. وانهم متى لمسوا في محبتكم أقل أثر للأنانية والتعسف، تحولوا الى اعداء ناقمين؛ غير انه ماذا لمسوا فيكم محبة صادقة تهدف الى خيرهم وسعادتهم، انقادوا لكم بطوعية واستسلام لا حد لهما،فالقديس بولس يوصيهم: "أيها ألأولاد اطيعوا والديكم في الرب، فان ذلك عدل".

ويجب الا يغرب عن بالكم بأن أولادكم يعيشون في عالم يختلف كليا عن العالم الذي عشتم فيه، وان الحضارة لعبت دورا كبيرا في تبديل كثير من وجهات النظر عن الحياة في ميادين عدة، وان كثيرا من المفاهيم قد تطورت بفضل الثقافة، وان اساليب التربية والعلوم السيكولوجية قد تغيرت عما كانت عليه في السابق. لذا ينبغي لكم ان تحسبوا حسابا لكل هذه العوامل الحضارية التي لها اثرها في حياة الانسان، وتحاولوا جهد المستطاع ان تواكبوا العصر وتتفهموا حاجاته، وتلحقوا بركب الحضارة من غير ان تكتفوا باطلاق حسرة على الماضي وبالتغني بأمجاد السلف، فلكل عصر رجاله ولكل جيل حاجاته ومتطلباته.

لقد لعبت هذه الحضارة دورا في حياتكم اليومية، وغيرت كثيرا من عاداتكم وتقاليدكم في الملبس والمسكن والمأكل والتسلية... فلم لا تجتاحعقولكم وأفكاركم؟

لسنوات خلت كنتم تنتظرون "السقّا" يملأ "مزملاتكم"، وعلى ضوء "الشوافي" كنتم تقضون امسياتكم، وكان الراديو من "عمل الجن"، وكانت السيارة لكم بمثابة "عربة بدون خيل". واليوم اصبحتم تقضون امسياتكم في حديقة الدار الواسعة أمام التلفزيون، وعلى الغاز تطهون الطعام، ومن الثلاجة تشربون، وبالطائرة تسافرون، وتحلمون برحلة الى القمر!

امنيتي اليكم أيها الآباء وأيتها الأمهات هي ان تتجددوا في عقولكم وافكاركم وتتحرروا من عقليات الماضي البالية وتقاليده التي اكل الدهر عليها وشرب، وتطوروا اساليبكم في التربية والتوجيه، وتسعوا الى ان تتفهموا أولادكم وتتحسسوا مشاعرهم وتتجاوبوا مع آمالهم وتطلعاتهم"لتكسبوهم"... والا فقدتموهم!

ان مشكلة هدى وبسام وسندس وفارس ومي وسمير قد تكون مشكلة بنيكم وبناتكم، فقد يعاني اولادكم المشاكل عينها من غير ان تنتبهوا لها، وقد لا يجرأوون على ان

يبوحوا لكم بها، فينطوون على ذواتهم في كآبة وألم، ممّنين النفس بالفرج، وقد يتمخض هذا الالم عن ثورة لا تحمد عقباها، فتتحملون انتم بالتالي نتائجها المريرة.

ان **هدى** بحاجة الى ثقة والدها، فقد تحملها قلة ثقته بها الى كرهه واخفاء اسرارها عليه، وقد تخلق فيها هذه الرقابة المبالغ فيها عقدة نفسية، وقد يحملها هذا الكبت الشديد الى الانفجار يوما...

وليس بوسع **بسام** ان يوقف نبضات قلبه الى سنوات بعد تخرجه. لقد احب وليس في الحب خطيئة، وكان ينبغي على والديه أن يفسحوا له المجال ليفتحلهم قلبه، وحينذاك يكون بوسعهم ان يخلصوا له النصح ويجنبوه قلة الراحة في النوم فيواصل دراسته على أمل بالمستقبل الذي ينتظره.

ومن حق **سندس** ان تلمس الحب لدى أهلها. ومن واجبهم ان لا يحدوا من اندفاعها، بل عليهم ان يؤيدوها ويشجعوها في عملها الرسولي، فان في وسعها أن توفق بين متطلبات الرسالة ومتطلبات الدراسة، وبوسع الاخوية ان تحملها على مزيد من الالتزام بدراستها.

وفارس، مسكين هذا الشاب الذي تخلق فيه مشاحنات والديه توترا لا يقوى معه على الدراسة. انه يحلم بجو من الهدوء والسلام في العائلة ليستطيع ان يستغل ذكاءه. فان البيت الذي لا تتوفر فيه كل سبل الراحة والسعادة يحمل الاولاد على الهرب منه.

والى متى تنتظر **مي** كي تقرر مستقبلها وتبدل كلمة "مستحيل" بكلمة "تشوفين الخير"؟ لاسيما وليس هناك ما يحول دون وفائها لذاك الشاب الذي انتظر طويلا عقب التخرج. فاذا اضطرت على الهرب مع فارس أحلامها، فمن ترى يكون السبب؟

و**سمير** و لم يعد طفلا ليحول ذووه وأقاربه دون تحقيق رغبته الصادقة، فان من حقه ان يقرر مستقبله ومن واجبهم ان يساندوه ويشاركوه في التضحية لخدمة الانجيل. فليمض بكل شجاعة ليلبي نداء الرب حتى ولو تعرض لنقمتهم.

وفي الختام اكرر وصيتي لكم ان تكونوا اصدقاء لاولادكم لتتمكنوا من ان تدخلوا الى قلوبهم وتقفوا على سرائرهم وامانيهم وتطلعاتهم، وتعملوا جاهدين على تلبيتها وإن تطلب ذلك منكم تضحية، فخير لكم ان يسعد اولادكم فتسعدوا، مما ان يشقوا وتشقوا أنتم أيضا معهم.

وجهة نظر الوالدين

على اثر المقال المنشور في عدد نيسان : "رسالة مفتوحة الى الوالدين" وردتنا ردود تقول بأن المقال تجاهل وجهة نظر الوالدين وهضم حقهم في النصح والتوجية وأتاح الفرصة للاولاد كي يخرجوا عن طاعة آبائهم ويتصرفوا على هواهم... وهذا المقال يعكس بنوع خاص وجهة نظر الوالدين.

●

كتبت "رسالتي المفتوحة" بوعي وحزم، و لم تكن العاطفة هي التي تحكمت بقلمي، و لم اكن منساقا بدافع الحقد والكراهية للوالدين. اردتها صريحة وجريئة كي ألفت انتباه الوالدين الى جانب من المآسي التي يعاني منها أولادهم، من خلال أحداث اخترتها مجسمة لأتحاشى التعميم في الحكم، و لم يكن بودي ان اضع الابناء ندا لآبائهم، ولا ان اعرّض الآباء لنقمة ابنائهم، ولا ان اضع بيد الابناء سلاحا يشهرونه ضد آبائهم كل مرة اعترضوا سبيلهم...

لم تكن "رسالتي المفتوحة" دعوة الى الاولاد كي يتحدّوا والديهم ويشقوا عليهم عصا الطاعة أو ينقصوا من احترامهم لهم؛ كما لم تكن تهجما على الوالدين لأحملهم على التنازل عن حقهم في النصح أو فسح المجال لاولادهم كي يتصرفوا وفق نزواتهم. كان هدفي الوحيد هو ان أجعل من الوالدين أصدقاء لاولادهم يتفهمونهم ويتحسسون مشاعرهم ويتجاوبون مع أمانيهم المشروعة.

اني لا اشك قط في محبة الآباء لابنائهم —وقد قلتها صريحة— غير اني طالبتهم بمحبة تحترم حريتهم، ليس للانانية والمصلحة فيها من أثر، تحمل أولادهم على الثقة بهم والانقياد الى توجيهاتهم التي تهدف الى خيرهم وسعادتهم. و لم اكتب ما كتبت الا لمعرفتي بالمآسي التي خلفتها مواقف بعض الوالدين الانانية والتعسفية من اولادهم، الذين لو توفرت عوامل الثقة والصراحة بينهم وبين والديهم، لما اضطروا الى الافلات من سلطتهم والخروج عن جادة الصواب.

واني وان رسمت لوحة برز فيها تعسف الاهل وتحكمهم بمصائر اولادهم وتجاهلهم لامانيهم وتطلعاتهم المشروعة، غير اني ادرك جيدا بأن اللوحة كان ينقصها جانب ليس بأقل أهمية، هو موقف الاولاد الذين لا يقيمون وزنا لنصائح والديهم المخلصة. فاذا شكا لي الاولاد حالهم، فهناك الكثيرون من الوالدين يشكون هم ايضا حالهم من جراء تعنت اولادهم وتنكرهم للتوجيهات الرشيدة التي يسدونها لهم، ومن جرى تحكم العاطفة بقلوبهم بحيث لا يقوون على الاستجابة لها.

فما عدا هدى وبسام وسندس وفارس ومي وسمير، هناك الكثيرون من الشباب والشابات الذين يحق لوالديهم بل يجب ان يقفوا على سلوكهم وتصرفاتهم ويسدوا لهم النصائح والتوجيهات ويحذروهم من مغبة تسرعهم واندفاعهم ويجنبوهم التهور والانحراف فيما لا تحمد عقباه ويحملوهم على التروي والتبصير في قراراتهم، ويساعدوهم على شق طريقهم نحو المستقبل السعيد. فمتى كانت المحبة الصادقة من وراء هذه النصائح والتحذيرات، انقاد لها الاولاد بثقة واستسلام؛ اما متى اختفت وراءها المنافع الشخصية انقلبت هذه النصائح الى شر يسعى الاولاد الى التحدي لها والعمل بخلافها ليثأروا لكرامتهم وحريتهم.

•

فسامي يشكو منه والداه بأنه لا يستجيب ابدا الى اية نصيحة تسدى له في مجال الدراسة، ويحتج دوما بعين العبارة: "اعرف شغلي" ويا ليته عرف! فهذه هي السنة الثالثة يخفق فيها في امتحان البكالوريا. فحين يحثه والداه على السعي والاجتهاد، انما يريدان له الخير وليس لهما عليه ثأر!

ونور تريد هي الاخرى ان تفسح لها والدتها المجال لتخرج كل يوم مع فارس احلامها الذي تدّعي بانها احبته من اول نظرة! —ولا زالت في السادسة عشرة من عمرها— وتأبى الاذعان الى تحذير والدتها من مغبة هذا الحب الفتي الذي غذته العاطفة وليس للعقل فيها مكان.

ويحق لوالد **مؤيد** ان يشدد الرقابة عليه في سهراته الليلية مع اصدقاء همهم الوحيد اللهو والعبث والمقامرة وملاحقة الفتيات. فاذا حال والده دون رغبته في معاشرة هؤلاء الاصدقاء، فليس ذلك انتقاصا من حريته، لانه يدرك جيدا ان لهذا السلوك نتائجه الوخيمة على مستقبله.

وبعد ان فاتحت **سلوى** امها بحب شاب لها، من كلّيتها، يجمع في شخصة الجمال والثروة ويغدق عليها الهدايا النفيسة بغير حساب ويعدها باجمل الوعود، يجب عليها ان تنقاد لتوجيهات والدتها التي توجست شرا في هذا الحب، لاسيما بعد ان علمت ان هذا الشاب قد لعب ادوارا مع عدة فتيات عبث بهن وتركهن يائسات! والا فستعض فيما بعد انامل الندم على قهورها وقلة ترويها.

ومن واجب والد **جورج** ان يلفت انتباه ابنه الى ان تلك الفتاة المغترة التي تلاحقه بتلفوناتها ورسائلها العاطفية لتحمله على الاسراع في عقد الزواج —وقبل ان ينهي دراسته الجامعية— هي فتاة طائشة غير جديرة به، ومن واجبه ان لا ينساق وراء عاطفته التي قد تورثه في المستقبل المشاكل والمتاعب.

وينبغي على **سميرة** التي راودتها فكرة تخصيص ذاتها للرب في الحياة الرهبانية الا

تتسرع في قرارها الخطير قبل ان تتفحص دعوتها جيدا وتحيط بكل متطلبات الحياة الرهبانية وما تنطوي عليها من تضحيات. فان موقف والديها اللذين طلبا اليها مزيدا من التفكير موقف صائب من شانه ان يجنبها التورط في مسلك لم تُدْعَ اليه ولن تطيق السير فيه.

•

وفي وسعي ان استفيض في الامثلة التي تبرز مكانة الاهل ودورهم في توجيه اولادهم، لا سيما وانهم قد اختبروا الحياة وتمرسوا على صعوباتها ومشاكلها، ومن ثم ففي وسعهم ان يخلصوا النصح لاولادهم ويجنبوهم مغبة التسرع والاندفاع وعدم التروي والفطنة. لذا كان من واجب الاولاد ألا يعتبروا والديهم اعداء لهم حين يسدون لهم النصائح، بل اصدقاء مخلصين يريدون لهم الخير. وكان من واجب الوالدين ان يكونوا مخلصين في توجيهاتهم وحكماء في اسداء النصائح لاولادهم، يقودهم اليها حبهم الصادق ورغبتهم في سعادة اولادهم. فالقضية في تقليص الصراع بين جيل الآباء وجيل الابناء هي قضية صداقة، فمتى توفرت هذه الصداقة بما فيها من ثقة وصراحة وحب وتضحية كان الحوار ممكنا، وزالت تلك الهوة التي تفصل بين الوالدين والاولاد، وكانت السعادة من نصيب الطرفين.

بابا هكذا اريدك ان تكون

عزيزي بابا

"بابا"، كم أودّ ان اناديك بهذا الاسم كما كنت افعل حين كنت طفلة اتسلق قامتك الرشيقة لاطوق عنقك وانهال على وجنتيك بالقبلات. كم أودّ ان اقولها الان بعين الاندفاع الذي كنت اقولها به كل مرة اردت فيها ان احمل اليك بشرى نجاحي او انتصاراتي. كم اود ان اطلعك على ما يخالجني من افكار وما يدور في خاطري من آمال، كما كنت افعل وانا طفلة حين كنت أسرّ في اذنيك مطالبي التي لم يكن لها نهاية.. وكم اود ان اصرخ اليك اليوم مستنجدة بك في مشاكلي وصعوباتي، كما حين كنت اهرع اليك ايام الطفولة لتحميني من ازيز الطائرات وتقيني مطاردة اولاد الحارة!

"بابا"، اقولها الان، ولكن ليس بتلك البساطة، ولا ذاك الاندفاع، ولا تلك الثقة، ولا ذاك الاستسلام.

هل تعلم يا بابا ما الذي دفعني الى ان اكتب لك هذه الرسالة التي يتفوه بها قلبي قبل ان يسطرها قلمي.

قبل ايام قليلة، دعتني احدى صديقاتي من كليتي الى زيارتها، وما ان بلغنا الغرفة التي كان والداها جالسين فيها، اذا بها تناديهما: "هلو بابا" "هلو ماما"، وراحت تقبلهما وكأنها قد قدمت من سفر، فوقفت واجمة ازاء هذا المشهد، وغصت في بحر من التفكير أتساءل في نفسي: أليس لي "بابا" و"ماما" كما لصديقتي، فَلِمَ لا يطاوعني قلبي ان اقوم تجاههما بما قامت به صديقتي؟ لقد تركت هذه الزيارة في نفسي ألما وحزنا عميقين...

بابا، في الحديث شجون، وفي الصمت شجون... ولكني آثرت أن اكتب لك، وللمرة الاولى، لعل في الكتابة ما يعوض عما كنت أود ان أقوله لك وجها لوجه.

آه لو تعلم كم احلم في التحدث اليك عما يجول في خاطري ولا أجد الى ذلك سبيلا، لأني كل مرة هممت ان افاتحك بدواخلي، كانت هناك حواجز بيننا تحول دون ذلك، وكنت احدثني "خرساء" لا اقوى على التكلم. ان في نظراتك القاسية ما يصدني عنك، وان في صرامتك المرتسمة على جبينك ما يلجم لساني، وهذا ما يحز في قلبي ويترك فيه جرحا عميقا...

أتخيلك، وانا أكتب هذه الاسطر، تقطب جبينك وتجتاحك سورة الغضب وتهز رأسك مستنكرا مهددا: ملعونة... ألهى هذا الحد؟ أسفا على عمر أفنيته في خدمتها وسعادتها...!

مهلا يا بابا، فأنا لست أبغي من وراء رسالتي أن أثير أعصابك المتعبة، ولست اريد ان أتجاهل أتعابك وتضحياتك في سبيلي. اني لا أشك البتة في محبتك لي وتعلقك بي، واني

عالمة بكل ما كابدته من المتاعب في عملك الشاق في النجارة لتوصلني الى أبواب الجامعة، ولا زلت تواصل العمل، وقد بلغت الستين من عمرك، وكان من حقك ان تخلد الى الراحة... ان ما أهدف اليه من خلال رسالتي هو ان ألفت انتباهك الى الهوة القائمة بيني وبينك، فذلك واقع لا سبيل الى تجاهله، وجل غايتي هي ان اقلص المسافة، واحطم الحواجز بيننا وأمُدّ قناطر نلتقي عليها، فأقضي على الصراع النفسي الذي أعانيه، وقد خفي عنك، ونفتح صفحة جديدة في علاقاتنا.

سأحاول أن أكون صريحة معك الى أبعد ما يمكن أن تكون الصراحة، وسأقول لك كل ما في قلبي من غير تصنع ولا تكلف أو رياء، فأني أكره الزيف ولا أستطيع أن أتكلم "بوجهين". وكل ما ارجوه منك هو أن تسمعني وأنت تقرأني، وتقرأ من بين الاسطر ما في فؤادي من الأحاسيس والأماني والمطاليب. ولا شك ان رسالتي هذه ستسبب لك عناء وألما، ولكن لا بأس بألم يعقبه فرح ولا بأس بعتاب، وإن قاس، يكون "صابونا" للقلوب!

أحب فيك نظرتك الواقعية الى الحياة التي تجعلك تتصرف بعقل وحكمة في كثير من المواقف. أحب فيك حبك لماما وعطفك علينا وتعلقك الشديد بنا. أحب فيك ايمانك العميق بعناية الله واستسلامك لمشيئته وقت الشدة والضيق. أحب فيك احترامك للناس، لكل الناس ولكل انسان، فلم أسمع من فمك قط كلمة استهزاء بأحد ما، و لم أرَكَ: قط تثلب أحدا أو تحكم على أحد، أحب فيك عطفك على الفقراء ومساعدتك لهم بما ملكت يداك، حتى وإن كان ذلك على حساب سعادتك ورفاهيتك...

كل هذا حاضر في ذهني وانا أكتب لك هذه الرسالة، غير ان ما أريد ان تتصف به هو لكي يزيد على صفاتك صفات تجعل منك أحسن بابا في الدنيا! اريدك ان تكون أبا تقاسمني أفراحي وآلامي وتخلص لي النصح في صعوباتي ومشاكلي. اريدك ان تكون صديقا ارتاح اليك وأثق بك لاوقفك على جميع اسراري وسرائري. وقد تقول في سرك: متى لم اكن لها أبا وصديقا؟ وأي أب يحب ابنته كما احبها أنا؟ مهلا...

كنت احب ان تكون ابا تمارس سلطتك الابوية عن طريق الحوار والصداقة وليس عن طريق الاوامر والنواهي، وكنت أود ان تفرض علي احترامك وطاعتك عن طريق البساطة والاقناع وليس عن طريق العنف والقسوة. فاني لا احب فيك شعورك بالسيادة والسيطرة الذي يجعل منك في كثير من الاحيان "شرطيا" –سامحني عن هذا التعبير– ترقب حركاتي وسكناتي وتفرض عليّ ذوقك في ملبسي وتسريحتي وحتى لون فستاني! احب فيك شعورك بالمسؤولية، ولكنني لا احب ان يبرز هذا الشعور في جلوسك في المكان الاول على مائدة الطعام! وفي رغبتك في ان أُلبّي جميع طلباتك حتى تلك التي لا تنسجم مع ذوقي. اريد ان اذكرك ببعض المواقف التي كانت سببا لسوء التفاهم والنزاع بيننا: هل تذكر يوم شئت ان تعلق على جدران الغرفة تلك الصور القديمة لأبطال عظام من عصرك؟ وكيف ثار ثائرك حين قاومتك، وعزوت هذه المقاومة الى عدم الاحترام واعتبرتها تحديا لسلطتك ومكانتك في الاسرة! هل تذكر يوم امسكت بذراعي عنوة وبيدك المقص وقلمت اظافري

الطويلة وأنا اصيح وأستغيث! هل تذكر يوم شكوتني الى صديقاتي عن بعض تصرفاتي في الاسرة، وكيف علا الاحمرار وجنتي من الخجل؟ حتى ان بعضهن لا زلن حتى اليوم يتندرن على حسابي! لو تعلم كم حز في فؤادي موقفك الصارم حين كلمتك عن "الاخوية" وما حملت إلي من اكتشافات في الايمان وما أحدثته من تغيير في حياتي وكم ساءني ان تكتفي بالقول: "اهتمي بدروسك فذلك اجدى لك"!

آه لو تعلم كم كنت اتمنى ان اطلعك على اسراري ومشاكلي، لو كان موقفك مني يحملني على الثقة! فاني كل مرة هممت ان افاتحك بما يخالجني من افكار وهواجس، أرتد خائبة اذ اقرأ على محياك علامات اللوم والتوبيخ! كنت اتمنى ان تفتح لي صدرا رحبا لاوقفك على كل صغيرة او كبيرة في حياتي. اذكر اني قصدت يوما ان اطلب اليك لتسمح لي بان اشارك في سفرة الكلية، ولكني اضطررت الى المغالطة وقلت لك بأني ذاهبة لأدرس مع صديقاتي في مكتبة الكلية. وأذكر أيضا اني قررت ان اطلعك على حبي لشاب رفيع الاخلاق تعرفت عليه خلال سني دراستي في الجامعة، وترددت ان ابوح لك بذلك الى هذا اليوم، لاني سمعتك يوما تقول ان الفتاة التي ترتبط بحب وهي في الدراسة، من واجب ذويها ان يرغموها على ترك الدراسة! هل تذكر يوم اخبرتك بأن شبابا تعرضوا لي في طريق عودتي الى البيت وأسمعوني كلمات بذيئة، كيف حذرتني من التكلم مع اي شاب، وكأني أنا السبب في تعرضهم لي!

لو توفرت بيننا عوامل الصداقة لما حدث بيننا سوء تفاهم البتة ولوفرنا علينا كثيرا من العناء والألم!

عزيزي بابا

لقد كنت صريحة معك، وللمرة الاولى، و لم اتوخ من صراحتي إزعاجك البتة — وإن ازعجتك تصريحاتي في الواقع—، فحل ما اتمناه هو ألا تأخذ علي ما ذكرته من مواقف واحداث، ولا تتهمني بالتهور والاندفاع، وكن على يقين بأني لم أرُمْ التحدي أو الخروج عن طاعتك أو الطعن في محبتك، فاني واثقة من حبك لي ومتأكدة من إخلاصك وحسن نواياك، وكن على ثقة بأن محبتي البنوية لك هي التي دفعتني الى ان اكتب ما كتبت بغية توثيق العلاقات بيننا وتحطيم الجدران الكثيفة القائمة بيننا. هو التفاوت في العقليات والمفاهيم خلق هذا التوتر، ولست احملك مسؤوليته كلها، ولست اطالبك بأن تعود شابا، انما اطلب إليك ان تكون لك القدرة على التطور والتكيف مع متطلبات الجيل الجديد لتستطيع ان تتفهم مشاكلي وتتحسس آمالي وتطلعاتي، واني على يقين بان في وسعك ان تطور اسلوبك في التربية كما عرفت ان تتطور مع متطلبات العصر في كثير من المجالات. وهكذا ستزول الهوة القائمة بيننا ويغيب الصراع وسوء التفاهم فيما بيننا، فتدخل الصداقة في علاقتنا وأعود فأدعوك "بابا" وتعود فتدعوني "فوفو".

ابنتك المحبة فيحاء

تشرين الاول ١٩٧١

على هامش رسالة البابا بولس السادس

"في الذكرى الثمانين"

في عشية الخامس عشر من أيار ١٩٧١ وجه قداسة البابا بولس السادس رسالة الى الكردينال موريس روا رئيس اللجنة الحبرية "العدل والسلام" بمناسبة مرور ثمانين عاما على صدور اول براءة حبرية حول القضايا الاجتماعية للبابا لاون الثالث عشر "في الشؤون الحديثة" التي اصدرها في ١٥ أيار ١٨٩١.

كان لهذه الرسالة أثر طيب في جهات مختلفة من العالم لما جاء فيها من جديد، ولأنها كتبت بأسلوب عصري. فهي، وإن لم تكن "براءة"، غير انها تعتبر من ابرز الوثائق الحبرية في القضايا الاجتماعية. وفيما يلي نستعرض أبرز ما جاء فيها:

يقول قداسة البابا في المقدمة انه يريد ان تكون رسالته امتدادا لتعاليم أسلافه فتجيب الى الحاجات الجديدة لعالم في حالة تحول. وهذه الحاجات لمسها قداسته في تجوالـه في عدد من البلدان:

"اقتربنا من الجموع وسمعنا نداءها وصرخات اليأس والرجاء، وفي هذه الظروف بانت لنا معضلات عصرنا الخطيرة في اطار جديد... فلا زالت المفارقات الشاسعة قائمة في التنمية الاقتصادية والثقافية والسياسية بين الشعوب؛ فالى جانب مناطق متطورة صناعيا، هناك مناطق لا زالت في طور الزراعة؛ والى جانب بلدان تعيش في الرخاء، لا زالت هناك بلدان تكافح ضد الجوع؛ والى جانب شعوب على مستوى عال من الثقافة، هناك شعوب تواصل السعي نحو الامية. فمن كل جانب يتصاعد تطلع الى مزيد من العدالة ويلوح الشوق الى سلام اكثر ضمانة في احترام متبادل بين الناس وبين الشعوب".

وانطلاقا من اختلاف الاوضاع القائمة بين البلدان، والتي يخضع لها المسيحيون كسائر المواطنين، يشعر قداسته بانه عاجز عن إعطاء حل شامل لكل القضايا، ويرى من الصعب جدا ان يقول كلمته النهائية في قضايا لها أبعادها المختلفة. ويقول بأنه لا يهدف الى تقديم "تعليم اجتماعي" كامل وملائم لكل الظروف والعصور، انما يهدف الى تقديم توجيهات عامة في القضايا الاجتماعية، ويترتب، من ثم، على الجماعات المسيحية أن تسعى الى دراسة موضوعية للاوضاع الخاصة بكل بلد، وتعمل على استخلاص الالتزامات التي ينبغي اتخاذها لتحقيق التغييرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية اللازمة.

تتضمن الرسالة أربعة اقسام رئيسية: ١ – المعضلات الاجتماعية الجديدة. ٢ – التطلعات الاساسية والتيارات الفكرية. ٣ – المسيحيون ازاء هذه المعضلات الجديدة. ٤ – نداء الى العمل.

١ – المعضلات الاجتماعية الجديدة

يتناول القسم الاول ظاهرة التقدم العمراني في المدن، والهجرة اليها من الريف وما ينتج عن هذه الظاهرة من تفاوت صارخ بين القصور ووسائل الراحة المتوفرة فيها وبين الصرائف والاكواخ التي تقوم على هامش المدينة حيث يبرز البؤس في مختلف أشكاله، فيتساءل قداسته: ألم تنقلب ثمار جهود الانسان ضده؟ ألم يصبح عبدا للاشياء التي صنعها؟ ان تكاثف السكان في المدن والتقدم العمراني الذي يرافق التصنيع خلق مشاكل جديدة كانت ضحيتها الطبقات الفقيرة التي تضطرها الظروف الى ان تعيش حياة لا انسانية. وفي هذا الخضم من الناس الذين لا هوية لهم، كثيرا ما تضيع الكرامة وتنحط الاخلاق وتنشأ الجرائم وتنعدم العلاقات الانسانية وتذوب الاخوة بين البشر..

ان حياة المدينة والتقدم الصناعي فيها يكشفان عن ظاهرات لم تكن بارزة للعيان. فالمرأة، وإن سعت معظم الدول الى مساواتها واعادة كرامتها لها، غير ان من واجب القوانين الاجتماعية ان تجعل دور المرأة الاساسي يبرز في قلب الاسرة وفي قلب المجتمع دون ان تهمل الاعتراف باستقلالها الذاتي وبحقوقها في الاشتراك في الحياة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

أما العمال، فلا زالت أقدس حقوقهم مهضومة في كثير من الدول، ولا زالت كرامتهم الانسانية ممتهنة ومحتقرة، هذه الكرامة التي سعت الكنيسة دوما الى تعزيزها: "لكل انسان الحق في العمل وفي تنمية مواهبه وشخصيته بممارسة وظيفته، وفي الحصول على اجرة عادلة تمكنه، هو وعائلته، من العيش بكرامة على الصعيد المادي والاجتماعي والثقافي والروحي؛ وفي الضمان الاجتماعي، في حالة الحاجة، بسبب المرض او الشيخوخة".

ويقر البابا بدور النقابات في تحقيق تطلعات العمال، غير انه ينحي باللائمة على "المجتمعات الديمقراطية التي، وان قبلت بمبدأ الحق النقابي، ولكنها لا تسعى دوما الى ممارسته".

ويذكر قداسته من بين ضحايا الاوضاع غير العادلة أولئك الذين هم موضوع التفرقة بسبب العنصر أو الثقافة أو الجنس أو الدين. ويقول بان أعضاء الاسرة البشرية يشتركون في طبيعة واحدة وبالتالي ينبغي ان ينعموا بالكرامة نفسها وما يرافقها من حقوق. وفي قلب الوطن الواحد يجب أن ينعم الجميع بالمساواة أمام القانون وان يتدرجوا على السواء في الحياة الاقتصادية والثقافية والمدنية والاجتماعية وان يستفيدوا من الثروة الوطنية في توزيع عادل.

وبعد ان تعلن الرسالة الحق في الهجرة، لاسيما لاولئك الذين يهاجرون في طلب العمل؛ وبعد ان تشدد على واجب الهيئات الدولية في توفير عمل للجميع، تأتي على معضلة

تنظيم النسل التي يسعى مناصروالفكرة الى اشاعتها عن طريق الدعاية الفعالة لمنع الحمل والدعوة الى الاجهاض وكأنها الحل الوحيد للمعضلات الاقتصادية. ومن الجدير بالذكر ان الرسالة، اذ تشجب هذا الحل، تستشهد بالبراءة الحبرية "في تقدم الشعوب" دون ذكرالرسالة "في الحياة البشرية" التي أصدرها البابا بولس السادس في تنظيم الولادات:

"انه من حق السلطات العامة ان تتدخل، في حدود صلاحيتها، بمزيد من التوجيه الملائم، وباستخدام الوسائل الموافقة بشرط ان تتفق مع مطاليب الشريعة الادبية، وتحترم حرية الزوجين العادلة، فأنه بدون ضمانة حق الزواج والانجاب، وهو حق ثابت لا يقبل النسخ، لا تكون البتة كرامة انسانية".

وينتهي القسم الاول من الرسالة بتثمين دور وسائل الابلاغ الاجتماعية في نهضة المجتمع. واذ تؤكد على جوانبها الايجابية التي من شأنها ان تساعد على الوحدة بين البشر، تحذر من تسلطها وطغيانها إذا لم تكن الحقيقة رائدها في نقل الاخبار؛ لذا فالرسالة تشدد على واجب السلطة في السهر على حرية الرأي ودعم الجهود البناءة في هذا الحقل، لخدمة الخير العام.

٢ - التطلعات الاساسية والتيارات الفكرية

يعالج البابا في هذا القسم القضايا السياسية متحاشيا إعطاء حلول نهائية، داعيا المسيحيين الى التفكير وتحمل المسؤوليات التي يفرضها عليهم واقع حياتهم في المجتمع السياسي، فيقول: ان الانسان يتطلع الى العدالة والمشاركة، وهذان العنصران يعبران عن كرامته وحريته ويؤديان الى قيام المجتمع الديمقراطي. هناك عدة اشكال من الديمقراطية ولكنها بأجمعها غير مرضية، لذا يبقى البحث مفتوحا بين الاتجاهات الايديولوجية المختلفة. فواجب المسيحي هو ان يشارك في البحث وفي تنظيم المجتمع السياسي والحياة السياسية.

ان العمل السياسي يجب ان يهدف الى قيام مجتمع متناسق في وسائله الواقعية وفي تطلعاته، التي يجب أن تتغذى من مفهوم كامل لدعوة الانسان وما تشمل من تعبيرات اجتماعية مختلفة. غير ان هذا لا يعطي للدولة الحق على فرض ايديولوجية معينة في طبيعة الانسان وأصله وغايته، فتلك مهمة الهيئات الثقافية والدينية.

وتستطرد الرسالة الى ان هناك انظمة سياسية لا تتفق مع الايمان المسيحي:

"فالمسيحي الذي يريد ان يعيش ضمن عمل سياسي يقوم على مبدأ الخدمة، يناقض نفسه اذا ما قبل بانظمة سياسية تتعارض، كليا أو في نقاط جوهرية، مع ايمانه ومفهومه عن الانسان: فلا يستطيع ان يؤيد الايديولوجية الماركسية ومفهومها المادي الملحد وديناميكيتها في العنف وطريقتها في صهر الحرية الفردية في المجموع، مع تجاهلها، في الوقت نفسه، سمو الانسان وتاريخه الفردي والجماعي. كما انه لا يستطيع ان يؤيد الايديولوجية الليبرالية التي تعتقد بأنها ترفع من شأن الحرية الفردية حين تجردها من كل قيد وتدفعها الى البحث عن المنفعة والقوة لا غير".

وتستخلص الرسالة بان الايمان المسيحي هو فوق الايديولوجيات، اذ يحمل الانسان على الايمان باله يدعو الانسان الى تحقيق ذاته عن طريق حريته المسؤولة، بينما تؤدي الايديولوجيات بالانسان الى العبودية والحد من حريته، لانها إما تجعل العمل —سياسيا كان أم اجتماعيا— بمثابة تنفيذ لفكرة نظرية، وإما تجعل الفكرة بمثابة وسيلة استراتيجية في خدمة العمل.

بعد هذا الشجب بعين المقدار للماركسية والليبرالية، يتكلم البابا بولس عن تطور الحركات الاشتراكية ويقول:

"ان المسيحيين اليوم تجذبهم التيارات الاشتراكية بعد ان طرأت عليها تطورات مختلفة، فيجدون فيها تجاوبا مع بعض تطلعاتهم التي يحملونها باسم ايمانهم، مندمجين في هذا التيار التاريخي، ويرغبون في القيام بعمل فيه".

فالبابا يدعو الى إمعان النظر والتروي، ويقول بأن المسيحيين الذين تجذبهم الاشتراكية يميلون الى تقديسها وكأنها مرادف للعدالة والتعاون والمساواة، متناسين أنها في كثير من الاحيان مرتبطة بايديولوجية معينة، لذا يدعوهم قداسته الى التاكد من مختلف اشكال الاشتراكية، وحينذاك يتاح لهم ان يندمجوا فيها شريطة ان تصان القيم الانسانية والروحية ولا سيما قيم الحرية والمسؤولية والانفتاح على العالم الروحي.

وينتهي القسم الثاني برسم لوحة عن واقع الايديولوجيات المختلفة التي اخذت تتراجع اليوم ويتناقص مناصروها. فالاشتراكية البيروقراطية والرأسمالية التكنوقراطية والديمقراطية الامبريالية عجزت عن اعطاء حل للمعضلة الانسانية، و لم تقو على جعل البشر يعيشون في جو من العدالة والمساواة. وهكذا ولدت اليوم فلسفات خيالية هي بمثابة شكل جديد من النقد للمجتمع الحاضر، تدعي تقديم حل للمعضلات السياسية احسن من جميع الايديولوجيات، غير انها ليست سوى تهرب وانهزامية من الواقع ومنفذ للعيش في عالم خيالي. وهنا تبرز ديناميكية الايمان المسيحي حيث يقول الاب الاقدس:

"فالمسيحي، اذ تنفحه قوة روح يسوع المسيح مخلص البشر ويسنده الرجاء، يلتزم ببناء المدنية الانسانية..."، ويستشهد بوثيقة المجمع المسكوني"الكنيسة في عالم اليوم": "ان انتظار الارض الجديدة لا يضعف فينا الاهتمام باستثمار هذه الارض بل يوقظه فينا بالاكثر".

٣ - المسيحيون ازاء هذه المعضلات الجديدة

ويضع هذا القسم الثالث من الرسالة المسيحيين ازاء هذه المعضلات ويذكرهم بأن تعليم الكنيسة الاجتماعي، وإن كان لا يهدف الى اعطاء حلول نهائية للمعضلات الاجتماعية، غير ان له من الديناميكية والقوة ما يجعله يرافق البشر في بحثهم عن العدالة، وله القدرة على التكيف مع اوضاع العالم المختلفة بقوة الانجيل الذي هو ينبوع كل تجدد. فالكنيسة —وهي الغنية بخبرة أجيال من تاريخها الطويل— وبحكم رسالتها وارادتها في خدمة

البشر، لاسيما من هم اكثر فقرا، بوسعها أن تلتزم هذا التجدد الخلاق الذي تقتضيه أوضاع العالم الحاضر.

وتقول الرسالة بأن أبرز ما يجب أن يسعى إليه العالم هو تحقيق عدالة أكبر في توزيع الثروات على الصعيدين الوطني والدولي: "فان من أهم واجبات العدالة هو ان يتاح لكل بلد ان يستحث نموه الخاص في اطار تعاون مجرد عن روح السيطرة، اقتصادية كانت أم سياسية". وتمضي الرسالة في التشديد على ضرورة إعادة النظر في علاقات الدول فيما بينها وتنظيم انتاجها والحد من التضخم المالي لبعض الدول، للبلوغ الى تعاون وثيق وتضامن فعلي من أجل تحقيق وحدة الاسرة البشرية جمعاء، اذ طالما يغيب الشعور بالمحبة والخدمة بين الشعوب فلا عدالة ممكنة ولا سلام.

وهنا يبرز دور المسيحيين في الالتزام بالسياسة في مختلف مستوياتها : على الصعيد المحلي والوطني والعالمي. فالسياسة في مفهومها العميق الذي هو خدمة المجتمع الانساني"هي احدى الطرق الملحة –وليست الوحيدة– التي تمكن المسيحي من ان يعيش التزامه بخدمة الآخرين". فالمسيحيون الذين يكتشفون في أنفسهم دعوة الى العمل السياسي، عليهم ان يسعوا الى التوفيق بين متطلبات الانجيل وعملهم السياسي، وكذلك يؤدون شهادة حية لايمانهم المسيحي عن طريق خدمة اخوتهم البشر.

٤ – نداء الى العمل

ويختم البابا بولس السادس رسالته بنداء الى المسيحيين يدعوهم فيه الى العمل. فالكنيسة كانت مهمتها ولا زالت في ان تتغلغل بين الجماعات البشرية لتحمل إليها خميرة الانجيل. ويستشهد قداسته بتجربة الكهنة العمال الذين ارسلتهم الكنيسة الى عالم العمال ليشاركوهم حياتهم واوضاعهم، أمانة منها على دعوتها في ان تكون قريبة من الناس تبحث عنهم في واقعهم الانساني لتحمل اليهم عطفها واهتمامها ودعمها.

فالى جميع المسيحيين يتوجه هذا النداء الى العمل الذي سبق قداسته ان دعا إليه في رسالته "في تقدم الشعوب"، حيث قال:

" يجب على العلمانيين ان يضطلعوا بمهمة تجديد النظام الزمني، كأنما بمهمتهم الخاصة. كانت وظيفة السلطات الكنسية ان تعلم وتفسر، تفسيرا صحيحا، المباديء الادبية التي يجب الاخذ بها في هذا المجال، فعليهم، هم العلمانيون، بفعل مبادرتهم الحرة وبدون انتظار سلبي للاوامر والتوجيهات، ان يولجوا الروح المسيحي في عقلية الجماعات التي يعيشون فيها، وفي عاداتها وقوانينها وأسسها".

ويدعو قداسة البابا كل المسيحيين الى مراجعة حياتهم حول ما عملوه حتى الآن، وما كان بوسعهم ان يعملوه و لم يعملوه من اجل خير البشرية، ويقول بأنه لا يكفي ان نعلن المباديء ونشجب المظالم: "فكلامنا لن يتخذ وزنه الحقيقي إلا اذا اقترن، بالنسبة الى كل واحد منا، بوعي عميق لمسؤولياته الخاصة وبعمل فعلي"، فمن السهل ان نحمل الآخرين

مسؤولية الظلم في حين ينبغي ان نعترف بقسطنا في هذه المسؤولية، لذا فـــنحن بحاجـــة الى اهتداء شخصي لنرى ما ينبغي علينا عمله.

ويختم البابا رسالته بقوله: "فاليوم اكثر من أي يوم مضى لا يمكن لكلمـــة الله ان تعلن وتسمع إلا اذا اقترنت بالشهادة بقوة الروح القدس في عمل المسيحيين لخدمة اخـــوتهم في القضايا التي يتعلق بها وجودهم ومستقبلهم".

استراليا تلك القارة المجهولة

احتفلت استراليا عام ١٩٧٠ بذكرى مرور ٢٠٠ عام على ارساء الملاح الانكليزي جينس كوك على الشاطيء الشرقي عام ١٧٧٠ وسمي فيما بعد بشاطيء بوتاني. وبالضبط في ٢٩ من نيسان وضع كوك اقدامه على هذه الجزيرة باسم الملك جورج الثالث. وفي الواقع ان أول اسطول يحمل ١٠٣٠ انكليزيا بقيادة الكابتن ارثور فيليب أرسى عام ١٧٨٨ بالقرب من بوتاني، حيث رفع العلم الانكليزي وأعطى لهذا المكان اسم رئيس الحكومة البريطانية "سدني". هكذا يبدأ تاريخ استراليا: أكبر جزيرة في العالم وأصغر القارات.

●

قارة حديثة العهد

كان عددهم قبل دخول الاوربيين حوالي ٣٠٠٠٠٠ نسمة لم يطرأ عليهم تطور يذكر خلال آلاف السنين، لا في العدد ولا في طريقة الحياة. ففي عام ١٦٠٦ كان أول من اكتشف هذه الجزيرة النائية هو لويس دي توريز الاسباني، وقد يكون قد سبقه اليها جانس الهولندي. وفي الواقع ان الهولنديين هم أول الاوربيين الذين وضعوا اقدامهم عليها عام ١٦١٦ بحيث سميت في باديء الامر هولندا الجديدة؟

تعد استراليا حاليا ١٢٥٣٢٠٠٠ نسمة، وتبلغ مساحتها ٧٧٠٤٠٠٠ كم٢ توازي مساحة الولايات المتحدة، وتبلغ نسبة السكان فيها: شخصان في الكيلومتر المربع الواحد! يسكن ٦٠% منهم في المدن الكبيرة. وتشمل القارة ست دول تشكلت على مر السنين بفضل موجة التروح. ففي عام ١٨٢١ كان عدد النازحين اليها ٢٧ الف، فاصبح يربو على المليون عام ١٨٦١.

ان أول دولة تشكلت هي استراليا الجنوبية، وتسمانيا واستراليا الغربية واستراليا الوسطى وفكتوريا وكويتزلند. وتم عام ١٩٠١ اتحاد فيدرالي بين هذه الدول الست المستقلة، واصبح لها برلمان فيدرالي مقره كانبرة في الجنوب الشرقي من القارة، وأصبحت كانبرة مقرا للكومنولث البريطاني. يقع ثلث القارة على خط الاستواء وثلثاها في المنطقة المعتدلة لذا فشتاؤها يبدأ في حزيران، وصيفها في كانون الاول. فاستراليا هي بلاد الشمس. ارضها منبسطة وليس فيها جبال، وتنقصها المياه.

دول استراليا	السكان نسبتهم في	كم٢	العاصمة	السكان
١ استراليا الجنوبية	٤،٤٧٤،٦٠٠	٥/٢	سيدني	٢،٦٤٦،٨٠٠
٢ فكتوريا	٣،٣٨٤،١٠٠	١٤	ملبورن	٢،٣١٩،٧٠٠
٣ كويزلند	١،٧٦٨،٠٠٠	٠،٩	بريزبين	٨١٣،٣٠٠
٤ استراليا الوسطى	١،١٤٤،٤٠٠	١	اوليد	٧٩٤،٣٠٠
٥ استراليا الغربية	٩٤٥،٦٠٠	٠،٣	بيرث	٦٠٦،٠٠٠
٦ تسمانيا	٣٨٨،٥٠٠	٥،٥	هوبارت	١٤٤،٩٠٠
المقاطعة الشمالية	٦٨،٠٠٠	٠،٠٢	داروين	٢٦،٠٠٠
مقاطعة العاصمة الفيدرالية	١٢٢،٠٠٠	٣٥	كانبرة	١١٠،٠٠٠
غينيا الجديدة وبابوا والجزر الاخرى	٢،٣٤٤،٥٤٠			

بلاد الذهب

واستراليا بلد غني جدا بالثروات الطبيعية ولا سيما الذهب الذي تم اكتشافه عام ١٨٥١ فجذب إليها الملايين من النازحين. وهي في الدرجة الاولى بلد زراعي لكثرة مواردها الزراعية وقد ارتفع الانتاج الزراعي فيها بنسبة ٦٠%. أما أهم المحاصيل الزراعية، والحيوانية فهي: الصوف والسكر والحنطة واللحم والحليب. وتعتبر استراليا أول بلد في تربية الاغنام. غير ان التصنيع بدأ يغير وجه القارة في السنوات الاخيرة، وتلاحظ نسبة ارتفاع الانتاج المعدني ولا سيما النحاس والرصاص والزنك والحديد. وتعتبر استراليا أول بلد في الرصاص وثالث بلد في الزنك، وتملك ٦٢ ألف معمل لصنع مختلف الآلات والمواد واهمها الطائرات والسيارت. ويقدر عدد الذين يملكون سيارة بـ٢،٨ من السكان؟ وهذه نسبة عالية تجعل منها ثالث امة بعد الولايات المتحدة وكندا في استعمال السيارات. وبالامكان توزيع السكان بالنسبة الى ما يزاولونه من أعمال على النحو الآتي: ٩% في وسائل النقل، ١١% في الزراعة، ١٧% في الخدمات العامة، ٢٥% في الوظائف الحكومية، ٣٨% في الصناعة.

استراليا بلد المهاجرين !

واستراليا، بفضل مساحتها الواسعة وكثرة مواردها، تفتح أبوابها للنازحين الذين يقصدونها في طلب العمل أو في طلب الراحة والاستقرار. فهي تشجع الهجرة اليها وتنظمها، بحيث ان هناك وزيرا يعنى بشؤون الهجرة وما يترتب عليها من انشاء الفنادق لاستقبال القادمين وتاسيس مراكز لتعليم اللغة الانكليزية ومكاتب التشغيل الخ... لذا فالسكان فيها في تصاعد مستمر. ففي الخمس والعشرين سنة الاخيرة قصدها من أوربا فقط ٢،٧٠٠،٠٠٠ شخصا و ١٠٠،٠٠٠ من باقي القارات! وبلغ عدد المهاجرين خلال عام ١٩٦٩ : ١٨٤،٠٠٠ ! فضلا عن ارتفاع الولادات بنسبة ٢١،٦ بالالف. ويلاحظ ان ٩٠% من النازحين اليها، قبل الحرب العالمية الثانية، كانوا من الجزر البريطانية بينهم ٢٠% من ايرلندا، أما اليوم، فنصف النازحين هم في الغالب من البلدان الكاثوليكية كايرلندا واميركا اللاتينية!

وهكذا يشكل السكان البيض الاغلبية الساحقة باستثناء سكان القارة الاصليين الذين تناقص عددهم بسبب الحروب الدامية في ما بينهم وبسبب الامراض التي فتكت بهم، ويعدون حاليا ١٠٨،٠٠٠ نسمة. وما زال هؤلاء المواطنون السود يعيشون على هامش المجتمع الاسترالي وإن كانوا في الواقع أهل القارة الحقيقيين! وهناك في السنوات الاخيرة محاولات طيبة من جانب بعض دول استراليا تهدف الى الاعتراف بحقوقهم بغية دمجهم في الحياة العامة، وقد أخذت الصحافة تلعب دورا هاما في هذا المضمار. وان تحركا بين صفوفهم أخذ يلوح للمطالبة بحقوقهم على أثر ثورات السود في مناطق اخرى من العالم، وقد ظهرت نتائج هذا التحرك حين أبوا الاشتراك في احتفالات الذكرى المئوية الثانية لدخول كوك الى استراليا!

ويتميز الشعب الاسترالي بالروح المحافظة، وهذه الروح تجعل منه شعبا يحب الامن والاستقرار ويبحث عن وسائل الراحة والرفاهية ويأنف حياة الصخب والضجة.

والاسترالي يعتمد على نفسه في كل حاجاته ويطمح الى تكوين ذاته، ولكن من غير حماس وبدون توتر! فهو يعيش حياة هادئة، فلا يرهق نفسه فوق الطاقة، ويعطي لكل شيء في الحياة حقه.

والشعب الاسترالي يعيش حياة عصرية في كل مظاهرها، فترى النظام يسود الحياة العامة. فالمخازن تغلق أبوابها في الساعة الخامسة والنصف عصرا، وينصرف الاستراليون الى حياتهم العائلية وتسلياتهم التي تحتل مكانة كبيرة في حياتهم، ويأوون الى منازلهم في ساعة مبكرة من الليل!

والقارة الاسترالية، وإن كانت بحكم جغرافيتها، بعيدة عن سائر القارات، غير ان هذا البعد لم يعزلها عن سائر البلدان ولم يعفها من ممارسة مسؤوليتها على الصعيد الدولي! فهي تحتل المكان الاول في العالم بالنسبة الى دخلها القومي لما بذلته وتبذله في مساعدة البلدان النامية: هناك العون المجاني الذي قدمته لجارتها غينيا الجديدة التابعة لها، وهناك العون المتبادل بينها وبين اسيا؛ ويزداد هذا العون الذي يقوم على الهبات سيما لبلدان جنوب شرقي آسيا وأندنوسيا والهند. وفضلا عن هذا العون الذي تقدمه الحكومة، هناك حوالي ثلاثين منظمة خاصة تساهم في مساعدة البلدان النامية وتسعى من أجل أزدياد التعاون بين الشعوب. وقد شدد قداسة البابا بولس السادس خلال زيارته الاولى لاستراليا في ٢ من كانون الاول عام ١٩٧٠على اهمية هذا العون من أجل التنمية، وقد وصفه بأنه ليس فعل محبة حسب بل هو واجب بالنسبة الى امة غنية كاستراليا.

المسيحيون في استراليا

يشكل المسيحيون ٩٠% من السكان في القارة الاسترالية، وكان عددهم عام ١٩٦١ ٩،٢٦٤،٠٠٠ من أصل ١٠،٥٠٨،٠٠٠، غير ان هذه الارقام ازدادت في العشر سنوات الاخيرة بمقدار مليون ونصف.

وفي بادئ الامر كان معظم المسيحيين من الانكليكان القادمين من انكلترا الذين

كانوا معروفين بعدائهم للكثلكة، كما كانت الحال في انكلترا. بحيث ان اول حاكم لاستراليا، ارثور فيليب، أعلن في نص اليمين الدستورية نكرانه الصريح لحضور المسيح في سر القربان المقدس.

سكان استراليا في عام ١٩٦١

• الانكليكان	٣،٣٦٦،٠٠٠ :	%٣٤،٩
• الكاثوليك	٢،٦٢٠،٠٠٠ :	%٢٤،٩
• المثوديست	١،٠٧٦،٠٠٠ :	%١٠،٣
• المشيخيون	٩٧٧،٠٠٠ :	%٩،٣
• اللوثريون	١٦٠،٠٠٠ :	%١،٥
• الارثوذكس	١٥٥،٠٠٠ :	%١،٥
• المسيحيون الاخرون وغير المسيحيين	٧٤٨،٠٠٠ :	%٧،١
• مذاهب دينية مختلفة	١،١٠٣،٠٠٠ :	%١٠،٥

كان هذا الاعلان ضد الايرلنديين الكاثوليك الذين كان عددهم عام ١٧٨٨ لا يتجاوز ٣٠٠ شخص. واستمر هذا العداء سنين عديدة، غير ان تقاطر المهاجرين اللاتين من البلدان الكاثوليكية غير وجه هذا العداء. وكان الكاثوليك مدة طويلة موضوع شك وحذر، وكانوا **يعتبرون مواطنين من الدرجة الثانية. ولمجابهة هذا الوضع شعر الكاثوليك بضرورة التماسك** في ما بينهم في جمعيات وحركات، لاسيما في المدن، والالتزام بالممارسة الدينية، وانشاء المدارس الخاصة مما يساعد على المحافظة على ايمانهم وكيانهم الاجتماعي بصفتهم اقلية.

كاثوليك استراليا

وحين حاول كاهنان ارلنديان عام ١٨٠٠ التحدي لهذا الوضع، منعا من ممارسة أعمالهم الكهنوتية ونفيا! وهكذا ارغم الكاثوليك عام ١٨٠٨ على الاندماج بالكنيسة الانكليكانية تحت عقوبة الجلد! وحين حاول الاب ايرميا اوفلين الراهب الارلندي ممارسة اعماله خفية، اوقف عام ١٨١٦ وسجن ومن ثم اعيد الى انكلترا. وأخذت الحالة تتحسن منذ عام ١٩٢٠ حين سمح للكاثوليك بوضع الحجر الاساس لأول كاتدرائية في سدني، وكان المطران بولدينك أول أسقف كاثوليكي لسيدني عام ١٨٣٥. واخذت الكثلكة تنتشر في كل البلاد بحيث اقيم عام ١٨٢٩ المؤتمر القرباني دون أن يحدث ردات فعل. وفي عام ١٩٤٦ أصبح رئيس اساقفة سدني كاردينالا هو الكردينال جيلروا، وتقرر ان يكون المؤتمر القرباني العالمي المقبل لعام ١٩٧٣ في ملبورن. فأن يعقد مؤتمران قربانيان في استراليا ارثور فيليب الذي بدأ حكمه بنكران حضور المسيح في القربان المقدس، فذلك دليل على تحول في العقليات!

ومنذ عام ١٨٢٩ أخذت الارساليات والرهبانيات تتقاطر على استراليا من كل صوب، فقصدها الرهبان البندكتيون واليسوعيون، وفي عام ١٨٧٩ حل الفرنسيسكان وبعدهم الكرمليون واللعازريون والدومينيكيون... واستمر المرسلون يتوافدون بكثرة من مختلف الرهبانيات: السالزيون وآباء القربان الاقدس والكبوشيون. ولعب الآباء المريميون منذ

عام ١٨٧٢ واخوة المدارس المسيحية عام ١٩٠٦ دورا هاما في تأسيس المدارس والمعاهد. اما الراهبات فلم يكن نصيبهن من استراليا أقل من نصيب الرهبان، فلقد تقاطرت عشرات الرهبانيات النسائية الى استراليا، فكان عدد الراهبات عام ١٩٦٠ يقدر بـ١٣ ألف راهبة ينتمين الى ٥٣ جمعية رهبانية، خمسة منها من اصل استرالي. ويبلغ عدد الراهبات حاليا ١٨ ألف راهبة ينتمين الى ٧٢ جمعية مختلفة!

وهكذا تغلغلت الكثلكة في الارض الاسترالية على مر الاعوام واصبح الكاثوليك ٢٦،٣ % من نسبة السكان، بينما تهبط نسبة الانكليكان الذين كانوا يمثلون ٤١% عام ١٩٦٠ الى ٣٤%. لذا فالحركة المسكونية تتململ في استراليا لاسباب تاريخية، وقد ظهر هذا التململ والحذر في موقف رئيس الكنيسة الانكليكانية ورئيس الكنيسة المعمدانية اللذين رفضا الاشتراك في استقبال قداسة البابا بولس السادس لدى زيارته الاخيرة لاستراليا.

ومن الغريب ان تبقى كنيسة استراليا حتى اليوم تابعة لمجمع الرسالات الروماني في الوقت الذي فيه على رأسها كاردينال و ١٩ اسقفا و٧ رؤساء اساقفة وكلهم استراليون! ويعد الكاثوليك حاليا ٢،٨٥٠،٠٠٠. وهناك ٢٠٠،٠٠٠ ارثوذكسي واقلية يهودية تقدر بـ٧٠،٠٠٠.

كنيسة في تحول

لقد كان للمجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني تأثير عميق على كاثوليك استراليا في الوقت الذي كان فيه تياران معاكسان يتقاسمانهم على أثر تصاعد الحركة الاشتراكية بعيد الحرب العالمية الثانية: التيار اليميني المحافظ الذي ينادي اصحابه بمكانة السلطة والابقاء على الانظمة والتقاليد، والتيار اليساري الذي يطالب انصاره بتغييرات جذرية في الكنيسة وينتقدون البطء في الاصلاح. وكان النزاع بين التيارين في أوجه حين انفجرت قنبلة المجمع، فكان لها الاثر البعيد في تطور الافكار والعقليات، مما حمل الكنيسة في استراليا على إعادة النظر في حياتيها وأسسها ونشاطاتها. ويمكننا أن نرسم لوحة سريعة لواقع الكنيسة الكاثوليكية والمشاكل التي تعترض مسيرتها:

١ – مشكلة السلطة والاكليروس: ما زال الشعور بالسلطة عميقا لدى اساقفة استراليا. فالسلطة الكنسية هي التي تعطي الاوامر والتوجيهات من عل دون الالتفات الى حاجة المؤمنين ودون اعتبار لأحاسيسهم وتطلعاتهم! ولهذا التزمت من جانب السلطة آثار مؤسفة على علاقات الاساقفة بالكهنة، ولا شك في ان احدى نتائجه هو تخلي بعض الكهنة اللامعين والنشيطين عن الكهنوت، بحيث يقدر عددهم في السنتين الاخيرتين بـ٣٠٠ كاهن. وهكذا هي الحال بالنسبة الى الراهبات! ويلاحظ تناقص الدعوات في المعاهد الاكليريكية: ففي عام ١٩٦٤ كان عدد الاكليريكيين ١٤٦٣ فأصبح ١١١٠ عام ١٩٧٠، في الوقت الذي فيه يزداد عدد الكاثوليك ٨٠ الفا كل عام! غير ان هناك بوادر طيبة من جانب الكهنة الامناء على دعوتهم –وهم الاغلبية– تهدف الى تنسيق جهودهم الروحية والرسولية واتخاذ قرارات مشتركة للعمل، سواء على صعيد الابرشية ام على صعيد البلد.

ولقد تاسست المجالس الكهنوتية في كثير من الابرشيات لهذا الغرض. غير ان هذا التطور لم يمنع السلطة الكنسية من اقالة مدير التعليم الكاثوليكي في ملبورن من منصبه لأنه جرؤ على ابداء قلقه على مستقبل الكنائس الكاثوليكية.

٢ – العلمانيون: ان خضوع العلمانيين وانقيادهم وطاعتهم لأوامر الاكليروس هو احدى ميزات الكثلكة في استراليا. فليس للعلمانيين دور يذكر في حياة الكنيسة. غير ان تململا بدأ يظهر بين صفوفهم لاسيما عقب المجمع المسكوني الذي شدد على دور العلمانيين وألح على ضرورة مشاركتهم في حياة الكنيسة ورسالتها؛ ولذا فقد تاسست المجالس الراعوية في ابرشيات عدة يشترك فيها كهنة وعلمانيون لدراسة القضايا الراعوية والرسولية، ومع هذا فلا زال النفوذ الاكليريكي فعالا وسائدا بعد!

٣ – القضية المسكونية: لا زالت القضية المسكونية في كنيسة استراليا في بدء انطلاقتها ولا زال الحذر المتبادل قائما بين الطوائف المسيحية المختلفة. واذا تقدمت الحركة المسكونية في الآونة الاخيرة بعد المجمع على صعيد المباديء، ولكنها بقيت متخلفة على صعيد العمل! فالعقليات من الجانبين الكاثوليكي وغير الكاثوليكي لم تتطور تطورا كبيرا، ومع ذلك بوسعنا ان ننظر بتفاؤل الى بعض البوادر الخيرة في هذا المجال، نخص بالذكر خطاب الدكتور "وود" رئيس اساقفة ملبورن الانكليكاني الذي اقترح مؤخرا قبول الكنيسة الكاثوليكية في عضوية المجلس الاسترالي للكنائس. وكذلك الرسالة التي وجهها عام ١٩١٦ الانكليكان والبروتستنت والكاثوليك الى جميع مؤمني استراليا. وبوسعنا ايضا ان نتفاءل في مستقبل الحركة المسكونية من خلال اللجنة المشتركة بين الطوائف التي انشئت في السنوات الاخيرة لنشر سلسلة من الكراريس بعنوان "الكل في باخرة واحدة".

٤ – التفرقة العنصرية: ترفض استراليا منذ بضع سنوات هجرة الملونين إليها. ان هذا الرفض ليس هو بدافع التمييز العنصري بل خوفا من تبوّء الملونين احسن المراكز بحكم ذكائهم! غير ان المشكلة الكبرى هي في إشراك المواطنين السود في الحياة العامة. والمسيحيون انفسهم لا يشعرون بقلق ازاء هذه المشكلة. واذا كانت بوادر طيبة من جانب بعض الدول لديهم أخذت تلوح، فهناك ايضا بوادر من جانب الكنائس تسعى الى ايقاظ الوعي لدى المواطنين الاستراليين.

ولا يسعنا في ختام هذا "الريبورتاج" عن استراليا الا ان ننقل الى القراء كلمات البابا بولس السادس في نهاية زيارته لاستراليا: "طاب لنا مناخ الحرية والاحترام المتبادل الذي استنشقناه في بلدكم. ويسرنا ان نجده في كل مكان من العالم بدرجة مماثلة من أجل خير الشعوب. ان الديناميكية التي تتميز بها البلدان الفتية تجتاح حياتكم كلها. ليحفظها الله لكم كي تواجهوا كل مسؤولياتكم داخل حدودكم وخارجها، اذ لا يمكن ولا يسمح بأن يكون هناك انعزالية. لقد أذنت الساعة التي يجب على البشر فيها ان يتعاضدوا في ما بينهم من اجل قيام جماعة عالمية تطبعها الوحدة والاخوة".

عزيزتي فوفو

قرأت الرسالة التي نشرتها مجلة الفكر المسيحي في عددها الثامن تحت عنوان "بابا، هكذا اريدك ان تكون"، ويسرني ان اجيب اليها بصفتي أبا لعدة بنات ولي من العمر خمسون سنة وأعمل موظفا في الشركة الافريقية، آملا ان تعكس اجابتي وجهة نظر الآباء؛ وقد يجد فيها آباء كثيرون خير جواب للمشاكل التي يتعرضون لها مع أولادهم. وقد حاولت ان اكون نزيها ومخلصا، وجل همي هو ان اقلص الصراع القائم بين جيل الآباء وجيل الأبناء، ساعيا الى خلق جو من الثقة والصداقة يسوده الفرح والسلام. ورجائي الى القراء أن يعيدوا قراءة المقال السابق ليقفوا على الجوانب التي ستتناولها هذه الاجابة (جميل).

●

عزيزتي فيحاء،

بلغتني رسالتك التي بعثت بها من على صفحات المجلة، وأعجبني فيها جرأتك وصراحتك. لقد تخيلتني، وأنا اقرأ الرسالة، اقطب جبيني من الغضب لما جاء فيها من تصريحات، غير أن الواقع كان بخلاف ما كنت تتخيلين! فلقد ارتسمت على محياي ابتسامة عريضة وعدت معك بالذاكرة الى المواقف التي ذكرتها، فبعضها لا زال حيا في ذاكرتي وبعضها الآخر كان اكتشافا بالنسبة لي. لست أخفي عليك فرحي العميق بهذه الرسالة التي حطمت جدران الصمت القائمة بيننا، فاني لمست في عباراتك النزاهة والاخلاص وشعرت بحبك العميق لي وتعلقك الشديد بي. وتصريحاتك، عوضا عن أن تثير اعصابي وتسبب لي عناء وألما، اثلجت صدري وزادت من حبي لك. لقد عملت بما أوصيتني في أن أسمعك وأنا أقرأك، فقرأت من بين السطور ما يختلج في فؤادك من الاحساس والأماني ووجدت في رسالتك ميدانا نلتقي فيه، ولأول مرة، وابتسم لي الأمل في أن أفتح صفحة جديدة في علاقاتنا، فنقوم سوية باعادة النظر في مواقفنا لنتخذ مواقف جديدة احدنا ازاء الآخر، فأصبح "أحسن بابا في الدنيا "وتصبحين" أحسن بنت في الدنيا"!

حبيبتي فوفو: الآن لندخل الى صلب الموضوع: أردتني يا فوفو ان أكون لك أبا يقاسمك افراحك وآلامك ويخلص لك النصح في صعوباتك ومشاكلك، وأردتني أن أكون لك صديقا حميما تثقين به وتوقفينه على اسرارك وسرائرك، وحسنا تقولين، فتلك هي أمنيتي وقصوى رغبتي. وتقولين بانك كل مرة هممت بان تفاتحيني بدواخلك، وجدت نفسك "خرساء" لأن في نظراتي القاسية وصرامتي ما يلجم لسانك...فهلا سألت نفسك عن السبب العميق لهذه القطيعة بيننا؟

ان جميع ما ذكرته من المواقف والأحداث التي كان سببا في انعدام الثقة وسوء التفاهم بيننا، مردها التفاوت في العقليات بين الجيل الذي عشت فيه والجيل الذي تعيشين فيه. فالشعور بالسيادة ورثته من والدي الذي كان يردد دوما على مسامعي هذه العبارة : "العصا لمن عصا"! والرقابة التي أقمتها على حركاتك وتصرفاتك هي نتيجة رد فعل عميق لتصرفات بعض الفتيات اللواتي نزعن عنهن كل حياء وضربن عرض الحائط كل التقاليد وانحرفن عن مباديء الاخلاق القويمة والذوق السليم في الملبس والمعشر! أما موقفي السلبي من الاختلاط ومن الحب ابان الدراسة، فمرده حرصي الشديد على مستقبلك، فقد تلهيك المعاشرة ويعدل بك الحب عن الدراسة، فضلا عن ان هناك مآسي نتحت عن عدم الفطنة وقلة التروي... فكم من شاب كال لفتاة أحلامه الوعود البراقة وأقنعها بسمو نواياه وتركها بعدئذ تعض أنامل الندم على سذاجتها و "تورطها"!

قد تظنين اني ادافع عن نفسي، ولكني اقر باني كنت صارما في بعض المواقف وغاليت في بعضها الآخر. أعترف لك باني كنت أرى في جلوسي في المكان الأول على مائدة الطعام شكلا من أشكال الاحترام الذي كنت أرغب في المحافظة عليه! وكان علي ان احافظ على البساطة التي من شأنها ان تفرض الاحترام. وأقر باني بالغت في فرض ذوقي عليك سواء في ملبسك او تسريحتك ولون فسطانك! انها قضية أذواق، ولا جدال على الأذواق. فلكل واحد ذوقه ولكل عصر عاداته ومتطلباته، ولا اخفي عليك باني غاليت حين حذرتك من التكلم مع أي شاب، في حين لم تكوني أنت السبب في تعرض اولئك الشباب لك! أوحين صرحت يوما بأن من واجب الأهل ان يرغموا ابنتهم على ترك الدراسة اذا ارتبطت بحب! وأقر باني أخطأت حين شكوتك الى صديقاتك اللواتي لا زلن يتندرن على حسابك حتى اليوم، فذلك جرح عواطفك وطعن كرامتك في الصميم.

فوفو العزيزة، ما دام العتاب "صابونا" للقلوب كما تقولين، فاني أود أن أفتح لك قلبي وأتكلم بالصراحة نفسها التي كلمتني بها. لقد ذكرتني بمواقفي السلبية تجاهك. وها أنذا أذكرك ببعض مواقفك التي سببت لي عناء وألما، ليس لأثأر لنفسي، بل لألفت انتباهك الى ما من شأنه أن يحطم الحواجز ويوطد الثقة ويمكن الصداقة بيننا:

لو تعلمين يا فوفو كم يثلج صدري ان تدعيني "بابا"، ولكنك قلما دعوتني بهذا الاسم! وكم يفرحني أن أراك تبتسمين بوجهي لدى نهوضك من النوم وتبادريني بالتحية. وحين بادرتك مرارا كثيرة بالسلام والابتسامة، اكتفيت بالرد بابتسامة باردة وصوت لا يكاد يسمع! وحين كنت أعود مساء من عملي منهوك القوى، كنت انتظر أن تسمعيني "القوة يا بابا" لتخففي شيئا من تعبي، غير أن هذه الكلمة بقيت حسرة في قلبي حتى اليوم! هل تذكرين يوم حملت اليك ساعة ذهبية بمناسبة إنهائك الدراسة الإعدادية، كنت قد وفرت ثمنها مدة سنتين، كيف اكتفيت بوضعها في معصمك دون قبلة او كلمة شكر!

أذكر أني هممت يوما بالسؤال عن دراستك وأساتذتك وزملائك في الكلية، ولكنك قطعت عليّ الطريق بكلمة "لست أدري". ألا تذكرين تهربك من عمل البيت بحجة

الدرس وكيف تركت امك تعمل لوحدها و لم تتحرك فيك الغيرة على مساعدتها، في حين كنت تقضين الساعات الطوال أمام التلفزيون! واذا نسيت فلم أنسىَ يوم حذرتك من ارتياد السينما لوحدك، وكيف تصديت لارادتي، ولا زالت كلماتك القاسية ترن في اذني: "ليس لك شأن معي، أنا ذاهبة"، وخرجت بانزعاج وغلقت الباب بشدة! في حين كنت ارغب فقط ان تأخذي معك أخاك، ولست أدري حتى اليوم ما هي العبرة من رغبتك في الذهاب الى السينما لوحدك؟

صحيح اني في بعض المرار لم أبْدِ لك اهتماما خاصا و لم أعر اذنا صاغية لآمالك ومطاليبك، وذلك بحكم التعب الذي كان يلحق بي من جراء عملي وبحكم المشاكل التي كانت تواجهني في العمل، ولكن أما كان بوسعك ان تتفهمي وضعي وظروفي وتصبري على مواقف العصبية التي هي في غالب الأحيان نتيجة طبعي، وتغتنمي الفرصة للتحدث إلي عما يخالجك حين ترينني في راحة البال وهدوء الاعصاب؟ أنت تعلمين عميق حبي لك، فلم ترددت في مفاتحتي بمشاكلك؟ هل تشكين برحابة صدري وبمقدرتي على تفهمك ومساعدتك في صعوباتك التي تتعرضين لها؟ أما كان من واجبك ان تعرضي علي رغبتك في تلك السفرة دون اللجوء الى الكذب؟ أما كان الأجدر بك أن تقنعيني بوجهة نظرك وسلامة نيتك في المشاركة بحفلة الكلية دون ان تضطري الى وسائل الغش والمغالطة! وحبك لذاك الشاب الرفيع الاخلاق، أما كان ينبغي ان توقفيني عليه لنتباحث سوية ونزن الامور بميزان العقل ونحيط بالقضية من كل جوانبها ونقرر سوية ما يعود لخيرك؟ فهل ظننتني أتنكر لكل صداقة مهما كانت وأتجاهل قيمة الحب الصادق وأقف جزافا في طريق سعادتك؟

عزيزتي فوفو: أكتفي بهذا القدر، ولا تظني البتة اني قصدت التهجم عليك واتهامك بعدم الاحترام والطاعة، غير ان صراحتك حملتني على ان أكون صريحا معك في التذكير ببعض المواقف السلبية من جانبك. واني اعاهدك ان أطور اسلوبي معك واعدل من مواقفي تجاهك، وسأحاول جهد استطاعتي ان أتفهم نفسيتك بالأكثر، وأتحسس مشاكلك واجيب الى ما تنتظرينه مني من آمال ومطاليب، وبكلمة أن أخلق جوا من الثقة والصداقة ترتاحين له، شريطة ان تعملي انت ايضا على تبديد ما علق بذهنك من الأفكار المسبقة تجاهي، وتحطمي الخجل الذي يحول دون انفتاحك، وتقدمي على البوح بما يختلج في صدرك من الهواجس والافكار والأماني. واني على يقين، اذا ما بذل كل منا جهدا صادقا في الانفتاح والحوار وكانت النوايا من كلا الطرفين سليمة وصافية -وأظنها كذلك- فلا شك في أن تلك الهوة التي جعلتها الأيام عميقة ستزول، وتذوب الثلوج المتراكمة في علاقاتنا، وتنكشف تلك الغيوم المتلبدة في سماء علاقاتنا، فنعود ننعم من جديد بمناخ تطبعه الثقة والمحبة، يمتاز بالحرية والاحترام المتبادل، وتعودين فتدعينني "بابا" وأعود فأدعوك "فوفو". ودمت.

والدك

كانون الاول ١٩٧١

مقالات ١٩٧٢

+ هو و هي /ت٢
+ رسالة مفتوحة الى الاساقفة /آذار
+ هؤلاء المراهقون /آذار
+ نفسية الشاب /أيار
+ نفسية الشابة /حزيران
+ رسالة القديس بولس الى مسيحيي العراق /منبر حر /ت١

هو و هي

ان في الحياة اسرارا لا يحق للانسان ان يجهلها او يتجاهلها لأية حجة من الحجج. فالانسان يبني ذاته بقدر ما يتفتح على المعرفة، وتكتمل شخصيته بقدر ما يدرك ذاته ويقف على إمكاناته. ولا شك في ان أول سر يكتشفه الانسان هو سر حياته، حين يستفيق من سبات الطفولة على طاقاته الحيوية الكامنة فيه وتستيقظ فيه احاسيس وميول لا عهد له بها، فيشعر بالميل الى الجنس الآخر ويأخذ في النظر الى الحياة نظرة جديدة ويبدأ في بناء الأحلام... تلك هي فترة المراهقة التي يمر بها الانسان بين ١٤—١٨ من عمره، وهي أدق مرحلة في حياة كل فتى وفتاة؛ ومن ثم فانهما بحاجة في خلالها الى عناية ورعاية بالغتين. لذا رأينا ان نتناول بالبحث في هذا الركن المشاكل التي يتعرض لها الفتيان والفتيات في هذا الطور من حياتهم، وفي نيتنا ان نواصل أبحاثنا مواكبين مراحل النضوج الفكري والعاطفي والجنسي لدى الشباب حتى مرحلة الخطوبة والزواج... وذلك تلبية منا لرغبة القراء الملحة.

في عالم يعيش فيه الشباب والشابات جنبا الى جنب في المدرسة والجامعة والوظيفة والمهنة، وفي عصر أصبح فيه الاختلاط بين الجنسين أمرا مألوفا في مجالات العلم والفكر والفن والادب والسياسة... وفي جو تلعب فيه وسائل الاعلام دورا هاما في أثارة الجنس:

السينما والتلفزيون والكتب والمجلات الخ... كان لا بد أن يحدث تجاذب وتناد بين الجنسين وينشأ تعاطف متبادل بينهما، وهذا التجاذب والتنادي والتعاطف بين الجنسين كامن ومتأصل في طبيعتهما منذ الخلقة، وليس هو بجديد عليهما، غير ان هذه المؤثرات الاجتماعية تزيده يقظة وانطلاقة. فمن الطبيعي أن يثير الشباب اهتمام الشابات، وان تلفت الشابات إليهن نظر الشباب. ومما لا شك فيه هو ان مواقف كل فئة وكلامها وتصرفاتها ازاء الفئة الاخرى تختلف كليا عما لو كانت تعيش لوحدها! ذلك امر بديهي، فان هناك عوامل نفسية وعاطفية تلعب دورها في معاملة جنس للجنس الآخر، وفي تصرف جنس تجاه الجنس الآخر. ولماذا؟ لأن هناك جاذبية سرية، تعجز الكلمات عن التعبيرعنها، تختفي وراء كل نظرة أو ابتسامة أو كلمة تصدر من احد الجنسين تجاه الآخر.

يدرك الفتى والفتاة أنهما يختلفان عن بعضهما فيزيولوجيا وسيكولوجيا، ولكنهما يجهلان بعضهما في الصميم فيما عدا بعض الملامح الخارجية الظاهرة؛ فالفتى يجهل ما تنطوي على نفسية الفتاة من أسرار، وتجهل الفتاة الشيء الكثير عن نفسية الفتى. وهذا الجهل المتبادل من شأنه ان يحدث ردات فعل خطيرة لها نتائجها السيئة على حياة الطرفين وعلى مستقبلهما. فكم من فتاة –لجهلها بعض الجوانب السايكولوجية للجنس الآخر– بنت في الامس آمالا وأحلاما ذهبية ما عتم الغد القاسي ان جعلها تدفع ثمنها غاليا! وكم من فتى خلقت مواقفه الطائشة صدمات عاطفية في نفسية الفتاة بسبب جهله لقلب الفتاة! وان معرفة ناقصة بالجنس الآخر هي في غالب الاحيان وراء الفشل في اختيار شريك الحياة. فكم من زيجات كتب لها الاخفاق لأن الزوجين أساءا الاختيار! ذلك لا يعني ان كل الخلافات بين الزوجين يعود سببها الى سوء الاختيار، غير ان اختيارا موفقا على أساس من المعرفة المتبادلة لنفسية الاخر وطباعه وصفاته ونقائصه، بوسعه ان يضمن، بنوع اكثر، استمرار الحب ونموه بين الزوجين، سيما وان الخبرة التي تدعمها الاحصائيات تدل على ان الخلاف والنزاع والخيانة الزوجية والطلاق ترقى اسبابها الاولى والرئيسية الى قلة تفهم الواحد لشخصية الآخر.

ولما كان الاختلاف في شخصية الرجل والمرأة يقوم، ليس على الاختلاف بين طباع كل واحد منهما واخلاقه وحسب، بل على العناصر الاساسية التي يمتاز بها كل من الجنسين في تكوينه وطبيعته؛ لذا كان من الضروري، بل من الواجب أن يتعرف كلا الطرفين على الخصائص المميزة لكل منهما من الناحيتين الفيزيولوجية والسايكولوجية. هذه هي غاية التوعية الجنسية التي من واجب الاهل والمربين أن يقوموا بها تجاه بنيهم وبناتهم: توعية شاملة في أبعادها الانسانية تتناسب وأعمارهم ومداركهم، ولكل مرحلة من مراحل النمو توعيتها الخاصة، على أن تبدأ هذه التوعية منذ الطفولة. ويؤسفنا ان نلاحظ ان هذه التوعية تكاد تكون معدومة في مجتمعنا الشرقي بشكل عام وفي مجتمعنا العراقي بشكل خاص، لاسباب يعود اكثرها الى قلة ثقافة الوالدين التي تحول دون قيامهم بها على أساس علمي وتربوي تراعى فيها اساليب التربية العصرية وعلم النفس الحديث، سيما وليس هناك

تعاونا مع رعيته لان الكاهن هو الراعي، والراعي مسؤول عن رعيته، ينظر اليها نظرة حب ووفاء، وان يكون اكثر تجاوبا لتفهم حاجاتها، وان يصرف القسم الاكبر من وقته لاعداد الشباب الاعداد الديني الصحيح".

- "ان يصرف الوقت الاكبر من وقته لاعداد الشباب، وينفتح اكثر على العلمانيين": لازمة وأمنية عزيزة عند الجميع.

- **م. ح. – طالب جامعي ٢١سنة:**

نظرتي الى الكاهن قاسية، بما انه كاهن الجماعة فليكن قطعة قطعة، هو في الكل والكل فيه. اريده لا يستريح ولا ينام، ان يعمل ان ينفتح على العلماني...

- **ع.و.ب–طالب ٢٠سنة:**

"تختلف نظرتي من كاهن الى اخر. هناك الكهنة الذين يتبعون الطور القديم. وهناك الكهنة العصريون، وهؤلاء هم الكهنة الشباب المنفتحون والفرحون في تقديم خدماتهم للشعب ولا يتبعون المادة، هؤلاء احبهم كثيرا جدا واعتبرهم كاصدقاء ومرشدين"

"يعجبني ان اكون صريحا مع الكاهن في كافة القضايا التي نبحثها...اطلب منه تقديم المواعظ وتعليم الاولاد (ايام الصيف مثلا) التعاليم المسيحية...".

- **و.و.–معلمة ٢٧سنة:**

"الذي انتظر منه هو ان يكون انسانا متفتحا ومرنا يقوم باعطاء المواعظ، يعمل في حقل التعليم المسيحي للناشئة ويتفاهم مع الشباب حول مشاكلهم وذلك عن طريق الاخويات والندوات ويقوم بزيالرات للرعية التي بعهدته".

– لكي يكون الكاهن قريبا من اماني الشباب ويواكب مسيرة الانسان في طموحاته المادية والروحية ويعلن الانجيل بلغة جلية ويغذي حياته باستمرار لابد ان يكون على ثقافة عالية، فالجهل والسطحية للكاهن افة لا اخطر منها:

- **ع.ع.–مترجم ٥٩ سنة:**

"انتظر من الكاهن ان يكون كذلك السامري الصالح في مجال الحياة الروحية وان يكون مثقفا تثقيفا دينيا عصريا وان يحاول ان يزيل ماعلق باذهان الشباب من امور خاطئة بالنسبة الى جوهر الدين وان ينشر الكتاب المقدس بين العوائل المسيحية".

مضجعهم، وتركت بطولاتهم الماضية في نفسيتهم ألما عميقا من جرى وخزات الضمير...

فلكي نجنب الشباب والشابات الاخطاء التي يتعرضون لها في مسيرتهم الشاقة في الحياة، ولكي نجنبهم مغبة الانزلاق في مهاوي الرذيلة ونبعدهم عن المخاطر التي تهدد مستقبلهم وتسد في وجوههم أبواب السعادة، عزمنا ان نخوض هذه المواضيع التربوية بموضوعية ورصانة في كل ابعادها الانسانية، وذلك خدمة منا لشبابنا وشاباتنا الذين لهم الحق علينا ان نساعدهم ليشقوا الدرب بين أزهار الحياة واشواكها، وقصوى غايتنا هي تمكينهم من البلوغ الى اكتمال شخصيتهم الانسانية والمسيحية وتحقيق المهمة التي دعاهم الله اليها.

فالى شبابنا وشاباتنا نقدم هذا الركن التربوي، وكلنا أمل أن يكتبوا إلينا ويطلعونا على وجهة نظرهم وينقلوا الينا ما لديهم من آراء وأفكار حول هذه المواضيع الحساسة التي سنوافيكم بها في الاعداد القادمة بأذن الله.

رسالة مفتوحة الى الإساقفة

سررت جدا بنبأ تاسيس مجلس الاساقفة الكاثوليك في العراق الذي عقد اول جلسة تحضيرية له في كانون الثاني الماضي، وسرني بالاكثر ان المجلس سيعقد اجتماعات دورية، وان اول اجتماع سيكون في نهاية نيسان المقبل. ان هذا النبأ السار لأعظم من ان يمر دون ان انتهزها فرصة لاعبر عن آمالي ومقترحاتي التي تعكس آمال العديد من المؤمنين، راجيا السادة الاساقفة الاجلاء أن يعيروها اهتمامهم وألا يعتبروني متطفلا أتدخل في ما لا يعنيني، ويقرأوا ما بين السطور محبتي العميقة لكنيستي وغيرتي على مصلحتها.

●

سادتي الاجلاء

اغتنم هذه الفرصة لأرفع إليكم من على صفحات "الفكر المسيحي" تمنياتي الصادقة بفكرة انشاء هذا المجلس الذي طالما حلمت به وتمنيت تحقيقه، وأؤكد لكم ان ارتياحا شاملا سرى بين المؤمنين لدى سماعهم النبأ وراحوا يبنون الآمال العظام ويمنّون النفس بأشهى النتائج التي سيخرج بها والتي ستدفع بكنيسة العراق، على آثار المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، نحو تجدد كامل على كافة المستويات. لقد حان لكنيسة العراق ان تستفيق من سباتها العميق الذي أفقدها كل نشاطها وحيويتها، لتستيقظ على وضع لا يدعو الى التفاؤل في مستقبلها، وتقوم بمراجعة حياة موضوعية وتقف على مواطن الضعف والانحلال فتعالجها قبل ان يستفحل الداء فلا تجدي فيه المعالجة نفعا!

كان لا بد لكنيستنا في العراق أن تقف يوما على التطورات الحديثة التي طرأت على المجتمع العصري وكان لها اثرها على الكنيسة، وان تواجه المعضلات الجديدة التي خلفها هذا التطور السريع فتواكب حركة العصر وتجيب على تساؤلات انسان اليوم وتتجاوب مع امانيه وتطلعاته. وكان لا بد لها ان تقتنع بضرورة الخروج من عزلتها وانطوائيتها التي أدت اليها الطائفية فتسعى الى تنسيق العمل بين الطوائف المختلفة وتدعو الى تضافر القوى والجهود المبعثرة لتخطي العمل الفردي نحو عمل جماعي يكون أكثر اشعاعا.

اني، أيها السادة الاجلاء، عضو ملتزم في هذه الكنيسة التي احبها وابذل كل طاقاتي في خدمتها وأوَدّ ان ابقى دوما في حضنها، ولكن يؤلمني جمودها ويشق علي أن أكون الشاهد على تذبذبها وتشتت طاقتها وقلة ديناميتها... يحز في قلبي أن أرى تحول الناس عنها وأشاهد تخلفها في المسيرة عن سائر شقيقاتها في العالم. لذا فما دمت أحد ابنائها الغيارى على خيرها، رأيت لزاما علي أن انقل اليكم ما يضيق به صدري من الآمال

والاماني وما يختلج في فكري من المقترحات والمطاليب، آملا ان تلقى لديكم اذنا صاغية.

تتزاحم الافكار في رأسي، وهذا دليل على ان هناك أمورا كثيرة يجب ان تكون موضوع بحث، وان هناك قضايا هامة يجب ان تحظى بحلول شافية وسريعة:

ابدأ بقضية التعليم المسيحي التي هي في نظري من أهم القضايا، اذ عليها يتوقف مستقبل المسيحية في العراق، لذا يجب ان تأخذ مكان الصدارة من أبحاث المجلس.

كلنا يعلم ان نسبة عالية من الاولاد في مختلف مراحل الدراسة لا يتلقون التعليم المسيحي وخاصة في المدن الكبيرة، أو يتلقون تعليما لا ينسجم مع حاجاتهم ومع متطلبات العصر، سيما وان المدارس الاهلية ودورات التعليم المسيحي الحالية لا تحتضن سوى نسبة ضئيلة لا تكاد تذكر. لذا ينبغي ان يصار الى خلق مراكز عديدة مجهزة بأحدث وسائل الايضاح، وان توضع لهذا الغرض مناهج عصرية ويقوم بالتعليم اساتذة اكفاء من كهنة وعلمانيين.

وعلى ذكر المناهج أقول: لما كانت وزارة التربية قد أقرت تدريس الدين المسيحي في المدارس الحكومية التي اغلبية طلابها مسيحيون، تشكلت في بغداد لجنة مشتركة من الطوائف المختلفة لوضع منهج موحد، أقرته الوزارة وعممته، ومن المؤسف ان اللجنة الموقرة لم توفق الى وضع كتب، وهكذا أضاعت فرصة فريدة لضمان التعليم المسيحي في العديد من المدارس في بغداد وغيرها —مما اضطر رؤساء الطوائف المسيحية في الموصل الى انشاء لجنة مشتركة. وفي فترة قصيرة اصدرت كتبا للصف الرابع والخامس والسادس الابتدائي، لا زالت منذ عام ١٩٦٩— ١٩٧٠ في متناول ايدي الطلبة في كل المنطقة الشمالية وفي بعض انحاء القطر... لذا أهيب بالسادة الاجلاء الى تكوين لجنة مشتركة للتعليم المسيحي على صعيد القطر تتمثل فيها معظم الطوائف والابرشيات، وذلك تجنبا للازدواجية في العمل وتوفيرا للطاقات وسعيا وراء عمل جماعي موحد مثمر. ولي مآخذ كثيرة على المنهج الحالي، فأرجو ان يعاد النظر فيه وتعديل أبوابه وفقراته على أساس لاهوتي وتربوي رصين، قبل البدء بتأليف الكتب التي ستعمم على كافة المدارس.

هذا ما يتعلق بالتعليم الابتدائي. أما بالنسبة الى المدارس المتوسطة والثانوية، فليس هناك منهج موحد، وأغلبية ساحقة من الطلبة لا يتلقون التعليم المسيحي لا في المدارس ولا خارجها. لذا ينبغي تشكيل لجنة مشتركة على غرار لجنة التعليم الابتدائي لوضع منهج تقرره الوزارة، وتسعى الى تأليف كتب بموجبه. كما ينبغي خلق مراكز للطلبة الذين لا يشكلون اغلبية، سواء في المدارس الابتدائية أم المتوسطة والثانوية وحتى في الجامعة. وتجدر الاشارة الى انه ما دام التعليم في المدارس الحكومية هو على عهدة المعلمين أو المدرسين، فيقتضي من ثم انشاء دورات تدريبية لاعدادهم لتأدية هذه المهمة الخطيرة، على ان يعين على رأس اللجان المذكورة وهذه الدورات كهنة اخصائيون بالتعليم المسيحي وبالاساليب التربوية الحديثة، كي يتمكنوا من تكييف التعليم مع ذهنية البلد وحاجات الطلبة.

وانتقل الى قضية الكهنة التي اصبحت قضية شائكة على مستوى عالمي، فاقترح

على المجلس ان ينكب على دراسة شاملة حول شخص الكاهن ومكانته في المجتمع وحياته الروحية وعمله الراعوي والرسولي وطريقة معيشته الخ... فهناك تصادم واضح بين الاساقفة والكهنة حول السلطة، وهناك جمود من جانب الكهنة ازاء حاجات المؤمنين لاسيما فيما يتعلق بالزيارت الراعوية والخدم الروحية والنشاطات الرسولية، وهناك هبوط في مستوى الحياة الروحية للكهنة ما يحمل المؤمنين على التشكك من بعض المواقف والتصرفات؛ وهناك الطريقة الحالية في معيشتهم التي لم تعد تلائم العصر وفيها ما يحط من كرامتهم ويحمل الألسنة على التندر على حسابهم وثلب سمعتهم... لذا اقترح انشاء مجالس شورى حول الاسقف تتمثل بكهنة وعلمانيين يشاركونه في ادارة شؤون الكنيسة، فيشعرون انهم يعملون يدا بيد في خدمتها. كما أود ان يبحث المجلس في امكانية توزيع العمل بين الكهنة على أساس الكفاءات والمواهب الخاصة، فنخرج من هذه الدوامة حيث كل كاهن يعمل بمفرده كل شيء وفي جميع الحقول والمجالات! وبكلمة ان يتم تخصص في العمل، فتعهد الى البعض خدمة الرعية والى البعض خدمة الحركات الرسولية، والى البعض الآخر خدمة المستشفيات والسجون والمشاريع الخيرية، ويتخصص آخرون للتعليم وآخرون لنشاطات عامة كالاعلام والصحافة ووسائل الابلاغ...

وما دمت في صدد القضايا الراعوية، اصوغ امنية في ان تتطور الليتورجيا وفق حاجات المؤمنين، كأن تنقل الطقوس الى لغة الشعب وان يتم اعداد المؤمنين لقبول الاسرار ولا سيما سر العماذ والتوبة والزواج. كما آمل من المجلس ان يسعى الى توحيد الاعياد والاصوام على صعيد القطر، ليس بين الطوائف الكاثوليكية وحسب بل بين جميع الطوائف المسيحية ايضا، تلك هي امنية جميع المسيحيين لاسيما بالنسبة الى عيد القيامة، وهكذا تزول الاختلافات التي لا مبرر لها ويشرق في النفوس الامل بالوحدة المسيحية الشاملة.

وعلى ذكر الوحدة، آتي الى القضية المسكونية والحوار بين الطوائف، فلا يمكن لكنيسة العراق ان تبقى متخلفة عن سائر كنائس الله في هذا المضمار، سيما وان هناك قضايا على الصعيد المسيحي في هذا البلد يجب ان تتعاضد جميع الطوائف في مجابهتها، سواء في المجال الروحي او الرسولي او الثقافي او الاجتماعي او الخيري او الوطني. ولن يتم هذا العمل المشترك الا بفضل حوار اخوي بين رؤساء الطوائف المختلفة، حوار يفعمه الاحترام المتبادل والمحبة المخلصة. لذا فاني اقترح على المجلس ان يشرع ابوابه للاساقفة غير الكاثوليك، اقله مرة في السنة لدراسة القضايا التي تهم المسيحيين عامة، فيصار الى مواقف موحدة ازاء القضايا التي تتخطى الصعيد الطائفي، لا سيما فيما يتعلق بالقضايا الانسانية والوطنية التي يواجهها قطرنا والامة العربية. وقد يقود هذا العمل بين الطوائف الى فتح ابواب الحوار مع المذاهب والاديان الاخرى على صعيد القطر.

واسوق الى المجلس مطلبا ملحا هو ان يعاد النظر في علاقة السلطة الكنسية بالحركات الرسولية القائمة، سيما بعد ان اكد المجمع المسكوني على رسالة العلمانيين وعلى الدور الذي يجب ان تلعبه الحركات والمنظمات الرسولية في حياة الكنيسة ورسالتها.

ان هذه الحركات التي تضم العلمانيين، ولاسيما الشباب منهم، تسعى بكل طاقاتها في خدمة اهداف الكنيسة الرسولية وذلك عن طريق عمل جماعي منظم، غير انها تفتقر الى الدعم الكامل من جانب السلطة ليتاح لها ان تمارس رسالتها بحرية ونشاط، فتضمن حضور الكنيسة في البيئات المختلفة وتمكّن الانجيل من التغلغل في المجتمع الانساني. لذا اطالب السادة الاساقفة ان يفسحوا المجال واسعا امام الحركات الرسولية بكل اشكالها، وذلك بتأييدهم وتشجيعهم لها ومدها بمرشدين لخدمتها وتوفير كافة الامكانيات التي تتيح لها ان تمارس عملها بنشاط.

ويطول بي الكلام اذا اردت ان ارسم لوحة كاملة عن الحاجات التي تفتقر اليها كنيستنا في العراق وعن الآمال التي يضعها عليها ابناؤُها، فأكتفي بالاشارة الى ان على المجلس السعي الى كل ما من شأنه ان يدفع بالكنيسة الى الامام في مختلف المجالات، كأن يؤسس مركز لوسائل الابلاغ تكون مهمته ان تنشيط الحركة الفكرية والادبية وتوجيه الرأي المسيحي عن طريق وسائل الابلاغ كالراديو والتلفزيون والسينما والصحافة... وانشاء مؤسسات اجتماعية وخيرية كالمياتم ودور العجزة ودار لحماية الفتاة ونواد للشباب...

•

أيها السادة الاجلاء، اني لعالم ان كل ما ذكرته من آراء واقتراحات يحتاج الى دراسة وافية من كل النواحي، ولست اتجاهل خطورة هذه المطاليب وصعوبة تحقيقها، غير اني لا اطالبكم بتحقيقها على الفور، انما ان تنكبوا على دراستها وتنظروا في امكانية تحقيقها حتى ولو كان على المدى البعيد، وتضعوا خطة لتنفيذها الواحد تلو الآخر. ولكي يوفق مجلسكم الموقر الى كشف النقاب عن الوضع الذي تعيشه كنيستنا وايجاد الحلول لمعالجته، لا بد من خلق لجان فرعية مكونة من كهنة وعلمانيين، وتكون مهمتها دراسة الوضع من ناحية معينة وتقديم مسودة للمشاريع المقترحة فتدرج في جدول اعمال المجلس، وتشرف لجنة مركزية على أعمال اللجان الفرعية. هذه هي طريقة العمل المتبعة في كل المجالس الاسقفية في العالم وفي كل المجامع المسكونية والمؤتمرات.

سادتي الاجلاء

استسمح عفوكم عما جاء في رسالتي من مطالبات قد تبدو لأول وهلة تحديات ومجازفات،غير انها في الواقع مطاليب ملحة أملتها علي محبتي لكنيستي وغيرتي على تقدمها وأزدهارها، راجيا ألا تأخذوا علي جرأتي في التعبير وألا تعتبروا ما ورد فيها من اقتراحات مجرد أفكار خيالية يستحيل تحقيقها. واني اذ اعقد على هذا المجلس أطيب الآمال، أرجو أن تأخذوا المقترحات التي اخضعها لدراستكم بعين الاعتبار واضعا فيكم كل ثقتي ومؤكدا لكم ولائي العميق.

آذار ١٩٧٢

هؤلاء المراهقون

لما كان "ركن التربية" يهدف معالجة المشاكل التي يتعرض لها الشباب والشابات، ولما كانت القضايا العاطفية والجنسية هي في الصميم من هذه المشاكل، رأينا ان نترك ابحاثنا عن طور المراهقة وما يرافقها من تطورات وتقلبات من الناحيتين الفيزيولوجية والسايكولوجية، ونرجيء خوضها في نطاق الابحاث التربوية التي سنتوجه بها الى الوالدين. لذا سنتطرق في أبحاثنا المقبلة الى القضايا التي تواجه الشبيبة في الفترة بين ١٨ — ٢٥ وهي الفترة التي فيها يودعون طور المراهقة ويبدأون عهد الشباب.

يطيب للبعض ان ينعت الشباب والشابات الذين يستيقظون على اسرار الحياة ويذهبون في البحث بعضهم عن بعض وفي استثارة اهتمام بعضهم ببعض، بهذه العبارة: مراهقون! ولا شك ان هؤلاء الشباب والشابات يتألمون جدا من هذه التهمة التي تلصق بهم جزافا، ويرون فيها انتقاصا من كرامتهم وتجريحا بعواطفهم؛ ويودون ان يبرروا ساحتهم من هذه التهمة، ولكنهم يعلمون مسبقا ان مرافعتهم لن تجد اذنا صاغية، وقد يجد فيها خصومهم حجة جديدة لتثبيت التهمة عليهم! لذا يلزمون الصمت عن مضض. وفي نظر هؤلاء الذين يصدرون هذه الاحكام الاعتباطية دون أن يقيسوا أثرها في نفوس الشباب، ان كل شاب أو شابة لا يلتزم التقاليد في هندامه او تسريحته أو مشيته أو نظراته أو معاشرته —وما كانت الحشمة في الالتزام بالعادات والتقاليد— فهو مراهق، أقل ما يقال فيه انه جدير بالشفقة، ويا ليتهم يشفقون!

اما الشباب والشابات الذين يُرشقون بهذه التهمة، فانهم يدركون على الفور ان عالما يفصلهم عن هؤلاء الحكام، وينتابهم الشعور بأن لا أحد في الدنيا يفهمهم، فينظرون الى ذواتهم ويعانون من عقد نفسية تطبع آثارها البالغة في نفوسهم، ويستسلمون لليأس والقنوط. وقد يثورون ليثأروا لنفسهم ما نالها من التحدي والتطاول، سيما حين يعلمون ان اعمالهم كلها توصم بوصمة الخفة والطيش، حتى تلك التي تعبرعن شخصيتهم وقابلياتهم وامكاناتهم في مختلف المجالات الفكرية والروحية والادبية والفنية والرياضية والاجتماعية، وجريمتهم هي في كونهم شبابا قد ابتسمت لهم الحياة بكل مباهجها واستيقظت في نفوسهم الآمال والتطلعات نحو الغد السعيد ودبت في اجسامهم طاقاتهم الحيوية وسرت في عروقهم دماء الشباب الزاخرة بالنشاط، فاستفاقوا على الحياة يستكشفون الغازها، وعلى السعادة يبحثون عن اسرارها، وعلى الطموح نحو القمم يشقون طريقهم اليها. هذه جريمتهم التي لا يغفرها لهم اولئك الذين كان عليهم، عوضا عن يوقفوا مسيرتهم في الحياة، ان يتعهدوا خطواتهم ويساعدوهم على شق الطريق نحو السعادة.

فأن يستفيق الشباب على رجولتهم والشابات على انوثتهن، وان يدركوا دعوتهم

في الحياة وما ينطوي على هذه الدعوة من قيم ايجابية، الى جانب ما تفرضه عليهم من متطلبات، فذلك جل ما نريد ان يبلغ اليه شبابنا وشاباتنا. فالجريمة ليست في تفتحهم على الحياة بل في بقائهم في سبات، لذا فجريمة اولئك الذين يعملون على ابقائهم في سبات، بقصد أم بغير قصد، هي أعظم!

ان هؤلاء الذين ننعتهم بالمراهقين هم في الواقع شباب عبروا فترة المراهقة المضطربة التي تتميز باحلام الخيال والتذبذب في الآراء والاحكام والطيش والعبث في التصرفات والتردد والعناد في المواقف، الى جانب الثورة على كل قديم والرغبة الصاخبة في كل جديد... انهم شباب قد ارتكزت افكارهم بالرغم من بعض التأرجح، وهدأت ثورة العواطف بالرغم من بعض آثار المراهقة، وقد تفتحوا للحياة ووقفوا على ما ينطوي عليها من جمال وعذوبة؛ فعوضا عن ان نبخسهم حقهم في البحث عن السعادة، وعوضا عن ان نشل حركتهم ونتهمهم بالطيش والسير بغير هدى، علينا ان نمد لهم يد المعونة ونواكب مسيرهم نحو المستقبل المشرق الذي ينتظرهم، فنجنبهم الانزلاق في طرق الرذيلة ونقي خطواتهم من التعثر والانحراف ونساندهم على المضي قدما لشق طريقهم في الحياة، والتي قد يخيل اليهم انها مفروشة بالورود —وهي كذلك— ولكن الاشواك قد تشابكت مع الورود. وهنا يبرز دور المربي الحكيم الذي يعرف كيف يدلهم على الطريق ويصف لهم وروده واشواكه، فلا يبالغ في تحذيرهم من الاشواك التي تعترضهم، ولا يتجاهل الاشواك حين يحملهم على السير في الطريق المفروشة بالورود!

في قلب كل انسان —ذكرا كان ام انثى— عطش الى السعادة لا يرتوي، وهذا العطش الى السعادة هو ميزة الكائن البشري الاساسية التي هي في أصل كل حركاته وسكناته. وليس في هذه الرغبة في السعادة ما يميز الرجل عن المرأة: فالعين يحلو لها ان تتمتع بالمناظر الخلابة، والاذن يطيب لها ان تسمع ما يلذ من الاصوات والاحاديث، واللسان يلتذ بالمأكولات الشهية، والعقل يسره ان يكتشف اسرار الامور، والقلب يبحث عن سعادته فيهرب من الحزن ويصبو الى الفرح. ومع هذا فهناك اختلاف واضح في شخصية كل انسان وطباعه وميوله واذواقه التي لها جذورها في فيزيولوجيته وسيكولوجيته: فنرى هذا يحب الفن وذاك يعشق السباحة، هذه تحب العلم وتلك تعبد الادب، هذا يحلم بأن يصبح عالما وذاك شاعرا، هذه تحب المطالعة وتلك تعشق السفرات، واحد يحب الانعزال والآخر يحب الاختلاط ويسعى الى الصداقات، تلك تحلم بأن تصبح طبيبة والاخرى لا تتمنى سوى ان تصبح معلمة! وهكذا نرى اختلافا واضحا بين الاشخاص سواء على الصعيد الطبيعي أو العقلي أو العاطفي، وهذا الاختلاف ناتج بالدرجة الاولى من اختلاف الطباع المغروسة في نفسية كل واحد، وهو ناتج ايضا من اختلاف في فيزيولوجية كل واحد: فللبعض جهاز عصبي على اشد الاهبة، ويتمتعون بغدد تفرز هرمونات بكثرة، بينما البعض الآخر لهم جهاز عصبي ضعيف، وهذه الغدد عينها تفرز بخساسة فتمنحهم طباعا لمفاوية. وهذا الاختلاف ناتج ايضا من المؤثرات الاجتماعية التي يخضع لها الانسان لا سيما في المحيط العائلي الذي يترعرع فيه؛ فطباع الاب والام والمناخ العائلي من حيث كثرة الاولاد او قلتهم، والوضع الاجتماعي، والحالة الاقتصادية والناحية الثقافية والاخلاقية والدينية الخ...لكل هذه العوامل أثرها في طباع الانسان ونفسيته.

وفضلا عن كل ما سبق، بامكاننا ان نرسم ملامح شخصية الذكر وشخصية الانثى، انطلاقا من الجهاز العصبي وعملية الغدد. فليس الاختلاف في وجود الهرمونات أو غيابها، بل في كميتها: فالرجل يتمتع بالهرمون الذكر "تيستوثيرون" والمرأة بالهرمون الانثوي "فوللكيلين"، غير ان لكل منهما كمية اقل من هرمون الآخر؛ واذا كانت هناك صفات وميزات رجولية في الانثى او صفات وميزات انثوية في الذكر، فذلك يعود الى كمية "التيستوثيرون" في الانثى والى كمية "الفوللكيلين" في الذكر. وتجدر الاشارة الى انه ليس هناك فرق يذكر بالنسبة الى الذكاء في كلا الجنسين، وليس على العقلي والادبي صفات خاصة بعالم الذكور او عالم الاناث. ومع هذا فمن الثابت علميا ان المحيط الطبيعي للذكر يختلف عن المحيط الطبيعي للانثى. فالفتى يتميز بصفات حبته بها الطبيعة ومنحها له المجتمع، وهو يشعر بأفضليته على الفتاة ويتمتع بحريته بما لا يقاس مع حرية الفتاة، وتتسع آفاق ثقافته بحكم الوظيفة او المهنة التي يمارسها. وتتفتح قابلياته ومواهبه في ميادين عديدة، حيث يتباهى بقوته وثقته بنفسه ويشعر بدور القيادة في الاسرة ويدرك ان له الحق في المبادرة بالحب... وتشعر الفتاة بالنقص ازاء امتيازات الفتى، وذلك بحكم ضعفها وحدود امكانياتها وبحكم القيود التي تحد من حريتها والاعمال التي يترتب عليها القيام بها داخل البيت؛ وكثيرا ما تشعر بانها الوجه السالب في الحب، وتضطر الى قبول وضعها كأنثى في خضوع للقيود التي يفرضها عليها المجتمع. وهذا المناخ الذي يعيشه الفتى أو الفتاة، منذ الطفولة وعبر المراهقة، يطبع في نفسية كل منهما آثارا يحملانها في شخصيتهما وطباعهما طيلة حياتهما، الا اذا تدخلت تربية موجهة في تطوير شخصيتهما. وان ما يميز الفتاة عن الفتى بدرجة كبيرة، مفهومهما عن الحب والزواج: فالفتاة تحلم بان تصبح زوجة وامـا —إلا اذا شوه محيطها العائلي نظرتها الى الرجل ومسخ مفهومها عن الزواج—، فترغب في مخالطة الشباب وتحلم بأن تكون قبلة الانظار، تستثير اهتمامهم واعجابهم وتجد سعادتها في كل ما يحمل الى حواسها التمتع والى نفسها الفرح والى قلبها الحرارة. وكل ما يقال عن أحلام الفتاة يصح في الفتى الذي لا تقل احلامه ورغباته عنها ما عدا الرغبة في الزواج والانجاب وهي تتخذ لديه شكلا آخر، سيما وانه على يقين من ان الزواج أمر مضمون يحققه متى شاء، لذا فهو يحلم بصداقات مع فتيات كثيرات، وفي الاثناء يمارس نشاطه الفكري ويسير في تيار طموحاته في الشهرة والثروة، بينما الفتاة تنظر الى الحب نظرة جد —وإن تخللتها بعض آثار بطولات المراهقة— وترى في الزواج حالة الاستقرار والسيادة التي قلما تشعر بها قبل الزواج.

●

اننا ندرك خطورة المواضيع التي نخوضها، لذا رأينا، قبل ان نتوغل في القضايا العاطفية والجنسية، ان نرسم ملامح الشاب والشابة من الناحية السايكولوجية التي هي بدورها متصلة بالناحية الفيزيولوجية، لاننا نؤمن بان معرفة كاملة لطبيعة كل جنس وخصائصه وميزاته تمكّنها من اقامة علاقات الصداقة والحب بينهما، لذا سنتناول بالبحث في الاعداد القادمة نفسية الشاب ونفسية الشابة.

آذار ١٩٧٢

نفسية الشاب

انطلاقا من اقتناعنا بأن معظم المشاكل التي يتعرض لها الشباب والشابات متأتية من جهل بعضهم نفسية البعض، وايمانا منا بأن معرفة متبادلة لطبيعة كل جنس وميزاته وسيكولوجيته بوسعها ان تجنبهم الاصطدامات وتقيهم العثرات، رأينا أن نرسم في هذا المجال لوحة عن نفسية الشاب نقدمها للشابة على أمل ان نقدم للشاب في العدد القادم لوحة عن نفسية الشابة. وهكذا نساعدهما على شق الطريق أحدهما الى الآخر.

من الصعب جدا ان نحدد شخصية الكائن البشري، فان هناك اختلافات شاسعة ما بين الاشخاص، اذ لكل واحد فيزيولوجيته ونفسيته وطباعه وعقليته وثقافته وبيئته العائلية والمجتمعية. ومع ذلك، ففي وسعنا ان نرسم ملامح شخصية الذكر بالنسبة الى شخصية الانثى انطلاقا من العوامل الفيزيولوجية والاجتماعية. ولما كان الاختلاف بين الذكر والانثى يقوم على درجة وكمية الهرمونات كما اسلفنا، يمكننا ان نميز نوعين من الذكور: نوع له ميزات تقترب من الانثى نسميه "العاطفي" والآخر يتميز عنها نسميه "الرجولي". ولكليهما صفات تميزهما عن بعضهما في الشكل والطباع والنفسية، الى جانب صفات مشتركة بينهما: "فالعاطفي" يكون عادة ضعيف البنية، ذا وجه طويل وشفتين رقيقتين وعينين غائرتين ونظر ثاقب؛ يميل الى التأمل ويحلم اكثر مما يعمل، يعشق العزلة؛ القلق والتردد والتشاؤم من صفاته، يحب الفن والادب، ولا تغريه التسليات العنيفة. حساسيته مرهفة، تهدده الصعوبات ويتأثر للفشل، يرتاح للمديح والثناء ولا يحتمل النقد، عاطفته جياشة وارادته ينقصها الحزم، ايمانه عميق وحياته الادبية منسوجة من سقوط ونهوض ولكنه لا يميل الى الانفلات؛ في حياته العائلية يمتاز بالحنان والتفهم وينتظر السند من زوجته... من هذا النوع من الرجال يخرج الشعراء والفنانون والموسيقاريون ورجال الادب...

اما "الرجولي"، فيمتاز ببنية قوية تميل الى السمنة مع خدود ممتلئة ووجه مستدير وجبين عريض وشفتين خشنتين. منظره ينبيء بالصحة والسعادة، يحب العمل وينغمس فيه ويستسلم للذة والتسلية؛ يرتاح للاصدقاء وطبيعي في علاقاته معهم، سريع الخاطر، يعشق المزاح ويحب الضحك، يتندر على حساب الاخرين ويؤلمهم دون سابق قصد.لا يعرف التردد، يصمم ويعمل وغالبا ما ينجح في مهامه، يعرف قيمة الامور؛ لا يعيش في الخيال، لا يبكي على الماضي ولا يقلق للمستقبل، لا يميل الى الخدمة ولكنه يقدم الخدمات اذا اقتضت الضرورة بفرح وسخاء، لا يتأثر لآلام الناس ولكنه يهرع لنجدة من هم بحاجة ماسة؛ يطمح في المال والشهرة والبطولة، سيطرته على ذاته ترافقها صعوبات وتتخللها سقطات عديدة، ايمانه لا أثر فيه للعاطفة وينظر الى الامور الدينية من زاوية العقل؛ في حياته العائلية

مستقيم وحازم ولكنه قليل الرقة والحنان، غير ان زوجته تجد فيه سندا... من هذا النوع من الرجال يخرج رجال الاعمال والمهندسون والتقنيون والرياضيون...

قد تبدو هذه الملامح حازمة تفصل بين أقصيين من الرجال، غير ان هناك اشخاصا من نوع وسط لهم صفات أو أخطاء هذا النوع أو ذاك من الرجال، لكن معظم الرجال ينتمون الى النوع "الرجولي" ويبقى النوع "العاطفي" قلة ضئيلة. لذا سنحاول أن نستمد لوحتنا عن نفسية الشاب من النوع "الرجولي" لانه يختلف كثيرا عن الشابة في طباعه ونفسيته، ومن ثم فهي تلاقي صعوبة في فهمه والتعامل معه.

●

نتناول الشاب في الفترة بين نهاية المراهقة ونهاية عهد الشباب. غير ان الانتقال من طور المراهقة الى عهد الشباب يصعب تحديدها، فهناك من تستمر لديهم المراهقة حتى سن متأخرة بحكم بطء نموهم الطبيعي والعقلي، بينما البعض الآخر يبلغ عهد الشباب في سن مبكرة بحكم نضوجهم الفكري وبيئتهم الاجتماعية. ومع ذلك يمكننا ان نحدد نهاية المراهقة حول الثامنة عشرة حين تكتمل ملامح الشخصية وتزول فترة الاحلام والتأرجح في الطباع والتذبذب في الارادة؛ ونحدد نهاية عهد الشباب حول الخامسة والعشرين حين يستقر الشاب على وظيفة أو مهنة ويبدأ بالتفكير في الزواج. ففي خلال هذه السنوات السبع بين نهاية طورين، لا يزال المرء معرضا للتغيير في شخصيته وملامحه، غير ان التغيير الكبير يحدث بين ١٤ — ١٧؛ أما التغيرات التي تطرأ عليه بين ١٨— ٢٥، فمعظمها سيكولوجية.

الشاب بوجه عام أكثر صراحة وانفتاحا من الشابة وأكثر وضوحا في أفكاره منها، بحكم ما يمتاز به من قوة تمنحه شجاعة أدبية واستقرارا في الآراء، وهو بطبيعته أكثر سرعة الى المشاحنة ولكنه أقل حقدا ويعرف ان يصفي الامور. بينما الشابة تمتاز بالدبلوماسية، فتظهر اكثر ادبا ومرونة ولكن عنادا دهريا يختفي وراء ابتسامتها! الشاب كثير الثقة بنفسه: لا يعير اهمية لما يقال، ويعبرعما يفكر به بصراحة، وله طريقة جازمة في الحكم على الاشخاص والامور كما يراها هو. هذه الصفة التي يمتاز بها تعود الى المكانة التي حبته بها الطبيعة، فليست هي ثمرة جهده، كما ان قلة ثقة الشابة بنفسها ليست سوى نتيجة وضعها الاجتماعي.

هناك وجه آخر من نفسية الشاب هي شراسته وخشونته، ويظهر ذلك منذ الطفولة: فحين نراقب الفتيان في فناء المدرسة، نكتشف هذه الشراسة والخشونة في ألعابهم واحاديثم وعلاقاتهم بعضهم ببعض، وتظهر بشكل آخر في طور المراهقة في اجوبتهم وفي مقاومتهم لكل ما لا يطيب لهم، فنراه لا يتردد في الضرب بقسوة حين يجد من يقاومه او يحاججه، ويكيل المسبات بسرعة. وتتخذ هذه الخشونة شكلا آخر في عهد الشباب على صعيد الاحاديث سيما عن الجنس الآخر.

وهناك طابع يميز الشاب عن الشابة هو اكتفاؤه بذاته ورضاه عن نفسه. ففي الدراسة نراه لا يجهد نفسه كثيرا بل يكتفي بدرجة النجاح ويؤثر راحته وتسلياته على

الجهد، بينما الشابة تسعى الى الجد والاجتهاد ودافعها هو التفوق على رفيقاتها أكثر من شعورها بالواجب. ويبرز اكتفاء الشاب بنفسه لا سيما على الصعيد العقلي حين يدعي بأن له فلسفته الخاصة في الحياة، ويعطي اراءه بشكل قطعي دون ادلة كافية ويجزم في ادق الامور والقضايا، بينما الشابة كثيرا ما تتردد في الجزم في امور ليست من اختصاصها. ويبرز رضا الشاب عن نفسه في احتقاره لكل قديم ولا سيما في موقفه من الشيوخ —وهم في رأيه الذين بلغوا الخمسين من العمر— فيرى فيهم مثال الرجعية ويحكم على آرائهم بانها بالية ولا تصلح لبناء المجتمع العادل، لذا فهو يسعى الى ابعادهم ليحل مكانهم.

ويمكننا ان ننسب تراجع الشعور الديني لدى الشباب الى هذا الاكتفاء بالذات، حين يحكمون على الدين حكما سريعا ويكتفون بالتفكير في الامور الحاضرة ولا يتجاوزونها الى أبعد، الى جانب اسباب اخرى كثيرة كالصعوبة التي يلاقونها في التوفيق بين العلم والدين وعدم تكييف التعليم الديني على عقلية العصر... واذا كانت الشابة في غالب الاحيان أكثر تدينا، فذلك يعود الى شعورها بضعفها والى قربها، بحكم الامومة، من ينابيع الحياة ومن مخاطر الموت.

وبحكم القوة التي يتمتع بها الشاب، وبحكم المناخ الاجتماعي الذي يعيشه، فهوعلى اقتناع من تفوقه على الشابة، ويبرز هذا التفوق تجاه عالم الاناث منذ الصغر حين تتكرر على مسمعه عبارات ترسخ اعتقاده هذا:"الولد لا يبكي، الولد لا يلعب مع البنات، الولد أذكى من البنت..."، اوحين يرى الجميع يمتثلون أوامره وينساقون الى أذواقه. ويظهر شعور الشاب بالسيادة من خلال طريقة تفكيره في اختيار الزوجة، فهو يفضلها أصغر وأقصر منه ويريدها من طبقة اجتماعية أرقى، فذلك يشبع غروره، ولكنه لا يرغب في ان تكون أكثر ثقافة، خشية ان تبرزعلى حسابه وتنافسه في السيادة! لذا يؤثر ان يتخذها من مستوى ثقافي وسط. وتظهر آثار هذه الكبرياء في حياته الزوجية حين يشعر بأنه الآمر والناهي وان على زوجته واولاده ان ينقادوا الى رغباته وأذواقه بخضوع تام. هذا النوع من الشباب أخذ يتضاءل اليوم.غير ان هناك شبابا يُخشى من ميوعتهم وفلة حزمهم، وكثيرا ما لا تختفي الرجولة وراء قوقم وشعورهم بالسيادة، وهذا النوع من الشباب يخيب الشابة !

هناك وجه آخر للسيادة لدى الشباب هو الاستقلال. فالشاب منذ المراهقة يناضل من اجل استقلاله في كثير من المجالات، ويشعر انه قد حصل عليه خلال دراسته الجامعية سيما اذا كان بعيدا عن ذويه، ينعم بمناخ الحرية في أوقاته وتسلياته وآماله وطموحاته؛ ولكنه يشعر ايضا بأن استقلاله على الصعيد الايديولوجي لا زال مقيدا به وان أباه لا زال يمارس الوصايا عليه، ويرى من العبث ان يدخل معه في جدال؛ وفي الوقت نفسه يبقى متشبثا بآرائه ويزداد شعوره بالاستقلال عمقا، وهنا يبلغ الصراع بين الجيلين ذروته! وان لهذا الشعور بالاستقلال لدى الشاب اثره على الصعيد الاجتماعي والديني، فنراه يصوغ التساؤلات حول الانظمة والعادات والمعتقدات والمفاهيم ويعيد النظر في كل شيء. هذا الموقف هو وراء كل تحركات الشبيبة في العالم وفي اصل كل الثورات الطلابية، فالشباب يرفضون رفضا باتا الانقياد والانصياع للاوامر والتوجيهات التي تأتيهم من عل، ويرغبون في ان يفكروا ويعملوا بحسب نظرهم الخاصة وبوحي من آمالهم وتطلعاتهم.

هذه الرغبة في الاستقلال هي عينها لدى الشاب والشابة، غير ان الاختلاف هو في مفهوم الاستقلال؛ ويبرز هذا الاختلاف بشكل واضح حول مفاهيم الحب والزواج: فبينما يفكر الشاب بانه في الزواج سيبلغ قمة استقلاله وسيادته، تفكر الشابة بانها ستجد السند بجانب كائن قوي وستحصل على الاستقرار في حياتها. وبينما ترضى الشابة —حتى ان كانت مستقلة ازاء الجميع— بان ترضخ لمن تحبه وتقبل ان لا تكون البادئة في الحب، وهذا لا يعني انها لا ترغب في اعلان حبها لشخص تعشقه، لكنها تخفيه وتنتظر ان يبادرها هو! نرى الشاب يرغب —حتى في الحب— في المحافظة على استقلاله ويريد ان يكون دوما هو البادىء، لذا فهو يحتقر الشابة التي تبادره بالحب! ويبرز هذا الشعور بالاستقلال المقرون بالحزم لدى الشاب لا سيما في حياته العائلية، حين يريد المحافظة على حريته بكل ثمن، فنراه يكره كل رقابة ويرفض كل قيد يحد من حريته واستقلاله، ويحدث له ان يرفض فكرة ولو صحيحة اذا جاءته من زوجته! فوراء هذا الشعور بالرفعة والاستقلال تكمن معظم المشاكل بين الزوجين. واذا كنا لا نؤيد الشاب أو الزوج في موقف التكبر هذا، غير أن الشابة أو الزوجة تفضل هذا النوع من الرجال على غيرهم من الذين لا ارادة ولا حزم لهم.

وهناك صفة اخرى تميز الشاب عن الشابة هي في ان لكل واحد منهما —اذا صح هذا التعبير— إلهاً! فاله الشاب هو العمل والطموح، واله الشابة هو القلب. فكل اهتمام الشابة يتجه نحو القلب، ويكفي للاقتناع من هذا الواقع رواج الاغاني والافلام العاطفية والمجلات الغرامية بين الشابات، حتى اللواتي يظهرن وكأنهن غير آبهات لقضايا القلب، ولكنهن لسن أقل حساسية تجاهها ولا أقل اندفاعا! أما الشاب —طالما ليست له بعد فتاة احلام— فيهتم بالعمل أكثر من أهتمامه بالقلب، ويسعى بكل طاقاته الى الطموح بكل اشكاله. واذ يظهر الشباب في بعض الاحيان كسالى في الدراسة ويميلون بنسبة كبيرة الى الاستقرار في وظيفة او مهنة، في حين ان الشابات يظهرن اكثر اجتهادا واكثر التزاما بالعمل لا سيما في نطاق الاعمال البيتية والواجبات العائلية، فالاختلاف في النفسية ليس في كمية العمل بل في نوعيته: فالمرأة تندفع في عملها في خدمة الحب، أما الرجل فيندفع في عمله من أجل الطموح؛ فلأجل تحقيق انتصار يحمل الى الشهرة، نرى الشاب يعمل بشجاعة وصبر وحزم ويندفع في عمله مستهينا بكل الصعوبات وبثمن جهود وتضحيات؛ بينما الشابة تحلم في غالب الاحيان في ان تصبح زوجة وأمًا وتتطلع بأمل الى حياتها الزوجية، حيث ستصب كل حبها على زوج واولاد وتكون بكليتها في خدمة حبها. أما الشاب، فاذا فكر في افراح الحياة الزوجية، فانما يفكر فيها بمثابة حالة الراحة بعد العمل، غير ان احلام الحب ليس بوسعها ان تعدل به عن اهتماماته وطموحاته. وكثيرا ما يتخذ هذا الطموح لدى الشباب شكلا من السخاء والغيرة على الصعيدين الاجتماعي والديني، فنراهم —اذا لم يتقلص قلبهم في مغامرات الجنس و لم تظلم الثروات بكل اشكالها عيونهم— يندفعون في خدمة الغير ويقفون طاقاتهم وامكاناتهم في خدمة المجتمع، فكم من دعوات روحية أو رسولية أو انسانية برزت في شباب كلهم طموح واندفاع!

أيار ١٩٧٢

نفسية الشابة

بوسعنا، ونحن نطرق باب المرأة، أن نصف وضعها بانه شبه "مأساة"! فالمرأة -كما اراد لها المجتمع ان تكون- تشعر بأن حريتها مقيدة وانها غير متساوية مع الرجل في كثير من الميادين. انها تتألم من كل الحدود التي فرضها عليها وضعها الاجتماعي، وتشعر بانتقاص في شخصيتها الانسانية، فتأخذ تحسد الرجل على كل الامتيازات التي حبته بها الطبيعة ومنحها له المجتمع. وتكتشف يوما بعد يوم انها ضحية مجتمع يقسو عليها ويجثم على صدرها بكل ثقله! انها تحس وكانها من الدرجة الثانية بالنسبة الى الرجل، لا حول لها ولا قوة، وليس في وسعها، مهما ناضلت من اجل استعادة حقوقها وحريتها، أن تبدل شيئا من وضعها الانثوي. هذا الشعور هو عام في عالم النساء، غير ان المهم ان يعرف الرجل بأن لا فضل له في أن يكون رجلا، ومن ثم لا ينبغي ان يتخذ من وضعه فرصة للتكبر والترفع على المرأة، كما لا ينبغي ان يتشكى لما تفرضه عليه رجولته من اعباء لا سيما بشأن خضوعه للجندية ومسؤولياته في كسب المعيشة... كما يجب ألا يخيم الحزن على المرأة من جرى انوثتها ولا ينبغي لها ان تتشكى من وضعها ومن الاعباء التي تفرضها عليها انوثتها لا سيما مخاطر الامومة التي تنتظرها، بل يجب أن يعرف الرجل والمرأة ان لكل منهما صفات وخصائص هي بمثابة دعوة لهما ليتكاملا في نطاق الزواج.

●

ان الفتاة في طور الطفولة قلما تشعر بهذا الانتقاص في شخصيتها، لا سيما وان شعورها بانوثتها لم يكن قد برز بعد؛ لكنها منذ بداية المراهقة، بين ١٢– ١٤، -ومن المعلوم ان نموها العقلي والجسدي هو اسرع من الفتى– حين تظهر عليها ملامح الانوثة وتخضع للاعراض الناتجة عنها فيزيولوجيا، يأخذها الشعور بالالم من وضعها. ويزداد هذا الشعور لديها عمقا حين يرافق المراهقة تحول نفسي كبير في تفكيرها وعاطفتها. وان ما يزيد في اقتناعها من مساوىء وضعها هو تأثير البيئة العائلية، حين تلاحظ ان اهتمام والديها يتجه نحو اخوتها الذين يتمتعون بحرية لا حد لها: فأبواب الدراسة العالية مفتوحة لهم على مصراعيها، والفرص واسعة أمامهم لممارسة هواياتهم على اختلاف انواعها. بينما تحس هي بأن قيودا كثيرة تفرض على حريتها، وأن عليها أن تقوم باعباء المنزل، ولا كلمة لها في القضايا الهامة، وتشعر بأن والديها لا يعلقون كبير اهتمام على نجاحها في الدراسة، وقلما يتاح لها ان تواصل دراستها العالية بحجة كونها فتاة ستغادر البيت الوالدي الى البيت الزوجي آجلا أم عاجلا! كما ان للبيئة الاجتماعية اثرها العميق على نفسيتها، إذ تلاحظ أن لا مكانة تذكر للمرأة في المجتمع، فكل الاعمال الكبيرة هي بيد الرجال، كما ان الاحاديث والتعليقات التي تدور عنها في عالم الرجال ليست في صالحها! وحين تبدأ بالتفكير بالزواج

في نهاية طور المراهقة، تشعر بأن الزواج رهن بارادة والديها سيما وان المثل الشائع يتردد دوما على مسامعها: "زوج ابنك متى شئت. زوج ابنتك متى استطعت"! وتعلم انها اذا ما احبت شابا، عليها ألا تتسرع في اعلان حبها له، ينبغي لها أن تلجأ الى الاساليب الدبلوماسية لتشعره بميلها نحوه؛ كما تعلم ان عليها ان تحترز في علاقاتها مع الشاب حرصا على سمعتها، ففي وسع اقل زلة أن تسد بوجهها أبواب السعادة الى غير رجعة...وهكذا يساورها الشعور بانها ضحية مجتمع يقسو عليها بقدر ما يتساهل مع اخيها! وهذا يغذي لديها روح الثورة والتمرد والأثار لحريتها المسلوبة. لكنها تاخذ شيئا فشيئا، سيما في أول عهد الشباب، ترضخ لوضعها وتقبله حين تكتشف ميزات انوثتها وتشعر بانها موضوع اهتمام الشباب، فيزول تدريجيا شعورها بالنقص ولن تعود تتألم من الاعباء التي تلازم وضعها، سيما وان المجتمع المتطور أخذ يعيد للمرأة مكانتها الاجتماعية ويشرع بوجهها الابواب التي لم تكن اختها قبل عشرين عاما قد دخلتها.

وفي خلال عهد الشباب تبرز رغبتها في الزواج، وهذه الرغبة تبدأ لديها منذ عهد المراهقة، ولكنها تزداد عمقا ورسوخا مع تقدمها في العمر، بحيث ما ان تبلغ الخامسة والعشرين تخشى ان "يفوتها القطار"! ومن الصعب جدا ان يفهم الشاب طبيعة هذه الرغبة لدى الشابة، فقد يعزوها —حسب تفكيره— الى ميلها الغريزي الى أفراح الزواج الحسية، بينما تجد الشابة في الزواج بالدرجة الاولى المنفذ الوحيد لانطلاقتها العاطفية، والميناء الذي تستقر فيه اذ ستشعر بسيادتها واستقلالها في نطاق العش الزوجي، لانها في الزواج ستمارس دورا متساويا مع الرجل، وسيتاح لها، بحكم الامومة، ان تمارس دورا قياديا في تربية الاطفال؛ وهذا هو شعور عام في عالم النساء ما عدا قلة ضئيلة ممن يمتزن بالجمال الفائق والمواهب الباهرة ويتمتعن باعجاب عالم الرجال، فانهن يؤثرن تأجيل ارتباطهن النهائي في نطاق الزواج.

وان ما يزيد او ينقص شعور الفتاة بعدم رضاها عن وضعها هو موقف عالم الذكور منها، وما تحرزه لديهم من حظوة او لامبالاة. فالفتاة التي عاشت في محيط انثوي ولم يتسنّ لها ان تخالط الشباب، تشعر بالنقص وترى في وضعها ظلما وانتقاصا لا سيما ازاء تفوق الشاب وثقته بنفسه وقوته وتوازن خلقه والسهولة في ايجاد شريكة لحياته... وتحس بمرارة، اكثر من فترة المراهقة، بسوء حظها وترى نفسها مضطرة الى كضم عواطفها واخفاء رغبتها بالزواج، وهذا ما يخلق فيها عقدا نفسية يصعب شفاؤها! أما الفتاة التي تعودت منذ صغرها على حياة اجتماعية متطورة، واتيحت لها مخالطة الشباب سواء في الحياة العائلية أو الدراسية، فاذا ما شعرت انها تثير اهتمام الشباب واعجابهم، واذا ما لمست يوما انها اصبحت موضوع اهتمام خاص، فحينذاك يزداد اقتناعها بأهمية وضعها، فتزداد قدرا في عيني نفسها وتبدأ باكتشاف القيم الإنسانية المنطوية على انوثتها.

بعد هذا العرض السريع لما تعانيه المرأة من مأساة من جرى وضعها —وهدفنا ان نحمل الشاب الى ان يكف عن التفاخر برجولته ويبدي للشابة احتراما وتفهما— نرسم الملامح الرئيسة لنفسية الشابة وطباعها.

لسنوات خلت كان يعتقد ان للعوامل الفزيولوجية تأثيرا اساسيا على طباع الانسان، وكان من المسلّم به ما للجهاز العصبي من اثر على خلقه. كما ان اكتشاف "الهرمونات" زاد في الاقتناع، في بادىء الامر، من ان نفسية الانسان تتعلق بدرجة كبيرة بالعوامل الفيزيا-كيمياوية. غير ان كثيرا من هذه المفاهيم قد تطورت في الآونة الاخيرة: فالعلم الحديث توصل الى اكتشاف امراض يعود سببها الى العوامل النفسية لا غير، وان هناك امراضا عصبية ونفسية لا شأن لها مع "العضوية"، اقله في بادئ الامر، وقد تظهر أعراضها من بعد في الجسم. ولكن مما لا شك فيه هو ان هناك علاقة وثيقة بين العوامل الطبيعية والعوامل النفسية، ومن ثم فأن لهذه العوامل اثرها على طباع الانسان.

ان المرأة أقصر من الرجل وأضعف منه، ولهذه الظاهرة الطبيعية أثرها على طباع المرأة ونفسيتها. فهي اذ تشعر انها أقل قوة من الرجل، فكثيرا ما تظهر عليها علامات الخوف سيما ازاء المخاطر المحدقة بها، وكثيرا ما تبالغ في مخاوفها بحيث تصبح خيالية. فالمرأة او الفتاة حين تضطر على البقاء وحدها في البيت، تساورها المخاوف لاقل حركة وينتابها الاضطراب والقلق اذا ما طرق الباب، وترتعد فرائصها للبرق والرعود! وهذه العوامل الطبيعية نفسها هي التي تدفعها الى البحث عن حماية الرجل الذي تجد فيه السند والاطئنان. وهذا الشعور هو شعورعام بالنسبة الى الشابة، وهو في اصل رغبتها في الزواج، لذا، فهي تحلم برجل قوي وشجاع.

وهذا الضعف الذي تشعربه الفتاة والشابة يغذي فيها شعورها بالنقص ويجعله عميقا وراسخا. فهي تعلم انها الخاسرة دوما في المعركة مع الرجل، فاذا شاءت يوما ان تقف منه موقف المعارضة لسبب ما، فانها لا تفكر بمجابهته وجها لوجه، انما ترى نفسها مضطرة الى الاستعانة بطرق دبلوماسية واساليب ملتوية للبلوغ الى هدفها! ومن هنا نفهم ان الشابة هي اقل صراحة وأكثر تعقيدا من الشاب. وان هذا الشعور بالنقص قد يزداد لدى الشابة ذات القامة القصيرة فوق العادة، فانها تضحي جبانة وقليلة الجرأة، ويصح ذلك بالأكثر في الشابة ذات الطباع السلبية والخاملة. أما بالنسبة الى تلك التي تميل الى العمل والحركة، فتضحي قاسية وعنيفة ومتسلطة ومتمردة. وتحدث ذات الانفعالات لدى الشابة ذات القامة الطويلة فوق المعتاد.

وبحكم هذا الضعف تظهر الشابة اقل ميلا من الشاب الى النزاع وأكثر حلما ومرونة. فبينما يتصف الشاب بالمشاكسة والمقاومة، تقوده اليها رغبته في السيادة والاستقلال والتحرر حتى وإن اضطر الى الضرب، نرى الشابة، وإن كانت تطالب هي أيضا بحريتها واستقلالها، لكنها تسعى اليهما بطرق دبلوماسية؛ ولها طريقة خاصة في اعلان تمردها بعناد ترافقه لسعات اللسان التي هي أكثر وقعا من الضربات التي يميل اليها الشاب!

وهناك ميزة اخرى تلتصق بطباع المرأة تقوم على عدم التوازن في جهازها العصبي. وغني عن القول ان للكائن البشري جهازا عصبيا مضاعفا: السنمبثاوي واللاسنمبثاوي، وتوجد علاقة وثيقة بين هذين الوجهين، وكلاهما مرتبطان بعملية الغدد ذات الافراز

الداخلي، ومن ثم فان لهذا الارتباط أثره على التوازن العصبي في الانسان بحكم اختلاف هذه الافرازات في الدم. فالمرأة بنوع خاص تخضع لعدم التوازن في جهازها العصبي بحكم عدم انتظام الافرازات الهورمونية في الظاهرة الفيزيولوجية لديها. ويعتلن ذلك في خلقها وطباعها: انها تتمتع في بعض الايام بالتفاؤل والامل، وفي غيرها ينتابها التشاؤم والقنوط، فهي دوما بين عوامل الفرح والكآبة؛ يوم تنعم بالرقة والهدوء يعقبه آخر تكون فيه قليلة الصبر ومتوترة الاعصاب، تخيم عليها الكآبة وتصبح سريعة البكاء لاقل اثارة، فلا ترتاح لأحد حتى ولا لنفسها! إن هذه الفكرة تكاد تكون عامة في عالم الاناث ولا تسلم منها الا قلة ضئيلة؛ وتظهر آثار هذا التذبذب في قراراتهن وأحكامهن تحت تأثير هذه الأزمنة العصبية من حياتهن. وغالبا ما يلاحظ الرجال هذه الظاهرة، ولكنهم يجهلون أسبابها العميقة فيحكمون على هذه او تلك بانها ذات طباع سيئة، غير ان سبب هذا الحكم يعود الى الجهل إذ تنقصهم توعية بهذا الشأن. فكم من شابة او زوجة عانت من عدم تفهم الشاب او الزوج حالتها النفسية التي تتأتى من فيزيولوجيتها وسيكولوجيتها الانثوية. لذا فمن الواجب ان تضمن هذه التوعية للشباب من جهة لتجنبهم المسالك والأحكام الجائرة بحق الشابة —التي قد تزيدها تعقيدا— وتحملهم على احترامها وتفهم وضعها؛ وللشابات من الجهة الاخرى لتقلص من هذه الانفعالات لديهن وتحملهن على السيطرة على مظاهرها.

وكنتيجة لعدم التوازن هذا، هناك ردود الفعل وسرعة التأثر والانفعال في حياة الشابة؛ وتظهر بشكل طبيعي في احمرار وجهها ازاء المديح او النقد وفي الاصفرار ازاء الخوف، فتلاحظ علامات الفرح في لمعان عينيها كما تلاحظ علامات الحزن في عينيها الدامعتين، ويتسم وجهها بامارات السرور او القلق وتكون حركاتها مترددة او محمومة... وان اعتلان هذه الانفعالات كثيرا ما تكون سريعة وفورية، وتظهر سرعة التأثر لدى الشابة سيما ازاء النقد والسخرية، فهي اكثر حساسية من الشاب، فتنتفض بسرعة لأقل كلمة وتنفعل لأقل موقف يمس شخصيتها او كرامتها وتأخذ الامور بجدية بالغة. فبينما يتخذ الشاب في غالب الأحيان موقف اللامبالاة من النقد او السخرية، نرى الشابة تحاول دوما تبرير مواقفها، فتقدم الحجج وتناقش الى ما لا نهاية لترد على التهم الموجهة اليها وتضع حدا للسخرية اللاحقة بها! وان السرعة التي تطبع انفعالاتها وردود فعلها لا ترافق اختفاءها او زوالها؛ فالشابة وكذلك المرأة، تمضخ الامور ببطء وتحفظها في قلبها؛ ويصح ذلك سيما ازاء النقد او الاخفاق، فنراها تلوكهما طويلا، كما تتذوق الثناء والنجاح مدة اطول.

وبحكم هذه التاثيرات الخارجية التي تلعب دورا هاما في حياة الشابة، نراها تتأثر للحكم الذي يصاغ عنها فيما يتعلق بمستقبل الزواج، بينما نرى الشاب لا يعيرأهمية كبرى لما يقال عنه. فالشابة بحاجة، كي تصبح موضوع اختيار الشاب، الى حكم ايجابي يكون في صالحها، أما الشاب فغالبا ما يكفيه ألا يكون الحكم الذي يصاغ عنه سلبيا ليتسنى له ان يختار شريكة حياته. لذا نلاحظ ان الشابة تهتم كثيرا لما يقال عنها لأنها على يقين من ان مستقبلها متعلق الى حد كبير بالحكم الذي يصوغه عنها المجتمع.

وبعين الخط نلاحظ صفة تمتاز بها الشابة هو اهتمامها البالغ بالكتب العاطفية، وهذا الاهتمام يكاد يكون شاملا في عالم النساء، بينما الشاب يميل اليها ولكنه لا يعيرها عين الاهمية. وقد اجريت احصائيات بين شباب وشابات من بيئات اجتماعية مختلفة في بلدان كثيرة أثبتت صحة هذا الزعم. ولهذه الظاهرة في عالم المرأة سببان: أولهما الأهمية التي تعلقها المرأة على قيمة الحب في الحياة، هذه القيمة التي عليها يتوقف نجاح مستقبلها او إخفاقه. وثانيهما هو ميلها الطبيعي الى الحب، لذا فهي تميل الى الأدب العاطفي الذي يغذيه فيها.

وهكذا الأمر بالنسبة الى حقل الاهتمامات الفكرية، فالاحصائيات تدل على ميل الشاب الى الرياضيات والعلوم الطبيعية والتاريخ، بينما يتجه اهتمام الشابة الى الرسم والموسيقى والادب. ومن البديهي ان هذا الميل ليس قاطعا، فقد يميل هذا الشاب الى الأدب وتلك الشابة الى الرياضيات، غير ان الاختلاف، تجاه مهنة او هواية معينة، هو في وجهات النظر: فقد يجد الطرفان في الطب مثلا وسيلة مادية للعيش تضمن لهما حياة مستقلة، ولكن بينما يرى الشاب فيه فرصة لممارسة عمل يخضع فيه الطبيعة ويحمل اليه الشهرة ويمنحه مكانة مرموقة، ترى فيه الشابة فرصة للتخفيف من آلام الناس تحمل بواسطته اليهم الفرح والسعادة. وهذا الاختلاف في وجهات النظرهو وليد معطيات يعود سببها الى الاحساس الداخلي اكثر منه الى المؤثرات الاجتماعية.

•

هذه ملامح عامة لنفسية الشابة، إذ لا يسعنا أن نرسم لوحة كاملة لكل جوانب نفسيتها، فذلك يقتضي منا كتابا خاصا، إنما رسمنا في هذا المقال أبرز الخصائص التي تمتاز بها الشابة، وغني عن الذكر بأن هذه اللوحة قد لا تنطبق في بعض نقاطها على جميع الشابات، إذ لكل فتاة ملامحها الخاصة بحكم طباعها ونفسيتها، لذا ينبغي لدى قراءة هذا المقال— والمقال السابق في نفسية الشاب— ان نقف على الملامح الرئيسة التي تميز الشاب عن الشابة وتحملها على تفهم أحدهما الآخر، وهذا التفهم المتبادل هو في الأساس من الألفة الصادقة بينهما التي سنتناولها بالبحث في مقال لاحق من هذا الركن بأذن الله.

من بولس، رسول يسوع المسيح بمشيئة الله، إلى كنيسة الله في العراق، نعمة لكم وسلام من الله ابينا والرب يسوع المسيح.

تبارك الله، ابو ربنا يسوع المسيح الذي يعزينا في كل ضيقة لنا. اشكر الهي منذ سمعت بايمانكم في المسيح يسوع الذي بلغ اليكم -كما بلغ إلى العالم كله- من توما رفيق الجهاد. اني احبكم جميعا في احشاء المسيح يسوع، وأملي ان تبلغوا الى معرفة مشيئته معرفة كاملة في كل حكمة وفهم روحي... فتبلغوا، خالصين ولا عثار عليكم، الى يسوع المسيح.

أوكد لكم ايها الاخوة الاحباء اني مرارا كثيرة تمنيت ان آتيكم لابشركم بالانجيل، فيكون لي فيكم ايضا ثمر كما في سائر الأمم، غير اني منعت، لذا اكتب اليكم اليوم وانا غائب عنكم في الجسد -ولكني معكم في الروح- لافيدكم مما وهبني الرب لبنيانكم، آملا ان تقرأوني وتدركوا عميق محبتي لكم، فاني أغار عليكم غيرة الله. وارجو ألا تعتبروني متطفلا عليكم.

●

ايها الاخوة في العراق

اني كلما فكرت في تاريخكم المجيد، يغمرني الفرح لما كان عليه آباؤكم القديسيون في المدائن وتكريت وبيث كرماي والحيرة وحدياب وبيث نوهدرا... من الايمان الراسخ والغيرة المتقدة على مجد الله. وحين افكر في اولئك الشهداء الابطال الذين ارتوت ارضكم بدمائهم، في عهود متوالية من التاريخ، ازداد ثقة بانكم سائرون على آثارهم في طريق البذل والتضحية. ولما تنتصب في ذاكرتي تلك الوجوه المشرقة من امثال شمعون برصباعي ونرساي وافرام وماروثا التكريتي وطيميثاوس الكبير وابن العبري... أتطلع بأمل كبير الى المستقبل الزاهر الذي كان على كنيستكم ان تبلغ اليه. غير اني حين القي نظرة الى واقع كنيستكم اليوم، ياخذني العجب وتجتاحني موجة من الحزن لما هي عليه من الجمود والانطواء والعقم! واكاد لا اصدق ما قرأته من صفحات تاريخكم الناصعة! وأخشى ان يزداد الوضع تفاقما إذا لم تمسه يد الاصلاح!

ايها العراقيون الاحباء

اني لمتعجب من انكم تحولتم بمثل هذه السرعة عن الذي دعاكم بنعمة المسيح، وانتقلتم الى انجيل آخر! قولوا لي ايها العراقيون! من سحركم! ما أحسن ما كنتم تجرون! فمن الذي قطع جريكم؟ يا ليت الذين يبلبلونكم يقطعون!

يشهد الله علي اني لاشفاقي عليكم اكتب إليكم هذه الرسالة. أجل اني في كآبة شديدة وكرب قلب اكتب اليكم، وفي دموع كثيرة، لا لتغتموا بل لتعرفوا ما عندي من فر ط المحبة لكم. واذا حملتْ رسالتي إليكم بعض الغم، فلن اندم، لأن الغم بحسب الله ينشيء توبة للخلاص، لذا فاني سأفرح اذا أحدث فيكم هذا الغم وعيا وأيقظ فيكم الهمم ودفع بكم الى الامام.

اناشدكم ايها الاخوة بالمسيح أن اصغوا الى اقوالي، فان فمي قد انفتح اليكم وقلبي قد اتسع، فاجعلوا لنا، انتم ايضا، متسعا في قلوبكم:

ان ما سمعته عن نزاعاتكم العقائدية ملأ قلبي حزنا، فلقد بلغني أن بينكم مشاحنات وخصومات، فهذا يقول: "أنا لبولس" وذاك "انا لكيفا" والآخر "انا للمسيح"! قولوا لي: هل تجزأ المسيح؟ فأناشدكم بما في المسيح من دعوة ملحة وفي المحبة من قوة مقنعة وفي الروح من شركة، أن أتموا فرحي بأن تكونوا على رأي واحد، فتكون لكم محبة واحدة ونفس واحدة وفكر واحد. كونوا على يقين من ان معظم نزاعاتكم العقائدية ناتج عن سوء التفاهم والكبرياء والعناد، عمقتها الاجيال فزادت في حدتها، فخلقت كنائس متباعدة متناحرة! لذا وجب عليكم ان تعملوا اليوم بكل ما اوتيتم من قوة وطاقة لاستعادة الوحدة كما ارادها المسيح. عليكم ان تنبذوا كل ما يغذي التباعد والقطيعة وتجتنبوا "الجدالات البيزنطية" وتتخلوا عن منطق: "انتم تقولون ونحن نقول"، وتشرعوا ابواب الحوار المسكوني شريطة ان تعترف كل كنيسة بما للكنيسة الاخرى. وعليكم ان تبذلوا الجهود المخلصة لاغتنام كل الفرص التي من شأنها ان تقرب وجهات النظر في ما بين الكنائس المختلفة وتساهم في التلاحم والاتحاد عن طريق اللقاءات المسكونية والدراسات المشتركة والعمل المشترك والصلاة... سيما على صعيد آبائكم الذين تقع عليهم بالدرجة الاولى مسؤولية العمل على استعادة الوحدة التي فصمها الرؤساء في غابر الازمان!

ولا اظنكم تجهلون ان مشاحناتكم وانقساماتكم تشكل حجر عثرة بوجه غير المؤمنين، إذ تعكس صورة مشوهة عن المحبة التي شاء الرب ان تكون علامة تلاميذه الفارقة.

اما نزاعاتكم الطائفية، فليست اقل خطرا على وحدة الكنيسة من النزاعات العقائدية، سيما وان هناك بين الطوائف خصاماً ومنافسة، ويا ليتكم تتنافسون على الامور الروحية، غير ان منافستكم عن كبرياء وترفع وحسد.

اني لعالم بما في تنوع الطقوس من غنى وثروة، وادرك ما في كل طائفة من طاقات وامكانات؛ فيا ليتكم جعلتم منها اداة للتعصب والانطواء والمنازعة. ما اكثر الامور التي كان بوسعكم —مع اختلاف طوائفكم وتعددها— ان تقوموا بها سوية، وما اكثر القضايا التي كان بوسعكم ان تتعاونوا في معالجتها، سواء على الصعيد الروحي او الرسولي او الاجتماعي او الوطني... فلم هذه الانعزالية التي تتسم بها مشاريعكم ونشاطاتكم؟ وما معنى هذه المنافسة في مواقفكم وتصرفاتكم بعضكم تجاه البعض؟ اناشدكم ايها الاخوة المسيحيون الا تعملوا شيئا عن منازعة او عجب، بل فليحسب بتواضع كل واحد منكم ان الاخرين

خير منه. ولا ينظر كل واحد ما هو لنفسه، بل بالحري الى ما هو لغيره، فما هكذا تعلمتم المسيح إذا كان هو من وعظتم به! لا تكونوا ذوي عجب ولا تتحدوا بعضكم بعضا ولا تحسدوا بعضكم بعضا، بل كونوا بالحري ذوي رفق بعضكم ببعض، شفقاء، متسامحين كما سامحكم الله في المسيح. اجتهدوا في حفظ وحدة الروح برباط السلام، واعتصموا بالحق في المحبة لتنموا من كل وجه، مرتقين نحو من هو الرأس، اي المسيح، الذي منه ينال الجسد كله التنسيق والوحدة، وبتعاون جميع المفاصل، على حسب العمل المناسب لكل عضو، ينشيء لنفسه نموا ويبنى في المحبة. اذكروا ما كتبته الى اهل قورنثية عن المحبة: لو كنت انطق بألسنة الناس والملائكة و لم تكن فيّ المحبة، فانما انا نحاس يطن او صنج يرن...

•

يا اولادي الصغار الذين اتمخض بهم من جديد الى ان يتصور المسيح فيهم. كم اود لو اكون حاضرا عندكم فاغيّر صوتي، لاني قد تحيرت فيكم!

اسمحوا لي ان الفت انتباهكم الى بعض القضايا التي بلغني انكم لم تحسنوا معالجتها:

لقد فرحت بكل ما احرزتم من تقدم وازدهار في المجال العمراني ببناء الكنائس والمدارس والمياتم، ولكنكم اهملتم بناء النفوس وتناسيتم حاجتها الى كلام الحياة وتجاهلتم مشاكلها الحياتية وما تعانيه من ازمات و لم تجيبوا الى تساؤلاتها وقلقها!

إن كنائسكم التي تغص بالمؤمنين ايام الآحاد والاعياد لم تعد ذلك المكان الذي تجتمع فيه الجماعات المسيحية بقلب واحد ونفس واحدة! ولقد اصبحت شبه مسرح لعرض الازياء! قداديسكم فقدت معناها الحقيقي بسبب عدم اشتراك المؤمنين الفعلي في الذبيحة التي تقيمونها، وبسبب حضورهم السلبي وكأنهم مشاهدون لا غير! مواعظكم لم تعد تؤدي دورها التثقيفي بسبب ضحالتها وعدم تجاوبها مع حاجات المؤمنين، وكثيرا ما بدت مشحونة بسموم التقوى العاطفية البعيدة عن ينابيع الانجيل الصافية! اكاليلكم وعماذاتكم ومآتمكم تخلو من الروح المسيحية الحقة، بل اصبحت مجرد حفلات لا يفقه المؤمنون ما تنطوي عليه من سر!

أما مدارسكم التي توخيتم من خلالها ضمان تربية مسيحية، فانها لم تعد تؤدي دورها التربوي، لان التعليم المسيحي الذي تقدمونه للناشئة هو اشبه بمبادىء نظرية لا صلة لها بالحياة، ومن ثم فلا تلبث ان تضمحل بعين السرعة التي غرست فيها! فلقد بقي التعليم المسيحي اسير اساليب بالية، وما زالت مناهجه مغلقة على معضلات العالم الكبرى بحيث لم تعد تتجاوب مع آمال الشبيبة وتطلعاتها! فضلا عن انكم لم تحسنوا استخدام وسائل الاعلام العصرية في تطوير التعليم وتكييفه مع حاجات العصر. كما ان مدارسكم ومشاريعكم أصبحت تخدم الاغنياء والاثرياء وتهمل الطبقة الفقيرة التي يحق لها ان تحظى بتربية دينية- وقد تكون غالبا أكثر تقبلا وأحسن استعداداً! واضرب صفحا عن العدد الهائل من الاولاد والشباب الذين لا تبلغ اليهم الثقافة المسيحية مطلقا!

اما ميتاتكم وجمعياتكم الخيرية التي امتدحكم عليها، ولكنها، مع كل ما قامت به

من خدمات اجتماعية جليلة، لم تعد قادرة على سد حاجات المعوزين المتزايدة وذلك بحكم ضآلة امكانياتها وقلة التنسيق في اعمالها. وهناك سبب آخر يضعف حركتها ويحد من نشاطها هو تعددها الذي يشتت طاقاتها، ويجعل كل طائفة تنطوي على "فقرائها"، في حين ان الفقراء هم "فقراء الله" من أي دين أو مذهب أو طائفة كانوا! وهنا أريد أن أذكّر الاغنياء بواجبهم في مد يد المعونة بسخاء الى اخوانهم المعوزين، وليعلموا انهم سيدانون على مقدار محبتهم للفقراء الذين هم اخوة يسوع الصغار، فان الرب يسوع سوف يسمعهم يوم الدينونة هذه الكلمات: "كنت جائعا فلم تطعموني..."!

●

وليُسمَح لي أن أتحدث بحرية تامة الى الاساقفة والعلمانيين:

أيها الاخوة الاساقفة

اناشدكم أيها الاخوة الاحباء في الكهنوت الواحد أن احذروا لانفسكم ولجميع القطيع الذي اقامكم فيه الروح القدس اساقفة، لترعوا كنيسة الله، التي آتاكم إياها الله، فان موهبة الله ليست روح فزع بل هي روح قوة ومحبة وامتلاك للنفس، فلا تخجلوا اذن بتأدية الشهادة لربنا، وتمسكوا بصورة الكلام الصحيح واحفظوا الوديعة الصالحة بعون الروح القدس الساكن فينا.

ولا اريد ان تجهلوا ايها الاخوة الاحباء انكم نصبتم خداما للمسيح ووكلاء لاسرار الله، وكل ما يطلب في الوكلاء هو وجودهم امناء. كونوا ذوي رفق مع الكهنة الذين هم مشاركون معكم في الكهنوت الواحد، واعملوا معهم يدا بيد من أجل نشر كلمة الله، وساندوهم في اعمالهم الرسولية والراعوية، ليكن الحوار اساسا لعلاقاتكم معهم، وتعودوا ان تتدارسوا معهم شؤون الابرشية المختلفة. لا تجعلوا من انفسكم اسيادا بل رعاة يخدمون الرب بكل تواضع ويبذلون انفسهم من اجل القطيع. انتبذوا الكبرياء والترفع في مواقفكم وتصرفاتكم مع كهنتكم ومع المؤمنين. اصغوا الى حاجاتهم وآمالهم وتمنياتهم المختلفة بكل انتباه وحاولوا ان تتفهموهم بكل وداعة، واعلموا انكم قد اقمتم للخدمة لا للسيادة. تجردوا عن كل مظاهر الغنى في ملبسكم ومسكنكم وطعامكم، ولتكن داركم مفتوحة للجميع تستقبلون فيها القادمين ببشاشة وحلم، وليكن صدركم اوسع لتضمّوا فيه الجميع بلا تمييز. كونوا قدوة للمؤمنين في كل شيء على مثال راعي الخراف العظيم الذي كان يعمل ويعلم.

ايها الاخوة الكهنة

وانتم ايها الاخوة الاحباء، كونوا بغير لوم، لا معجبين بانفسكم، ولا غضوبين ولا مدمنين للخمر، ولا حريصين على المكسب الخسيس، بل مضيفين للغرباء ومحبّين للخير، متمسكين بالكلام الحق على مقتضى التعليم ليتسنى لكم ان تعظوا بالتعليم الصحيح وتفحموا المناقضين.

وكما اوصيت تلميذي ثيموثاوس، اوصيكم انتم يا كهنة الرب: كونوا مثالا

للمؤمنين في الكلام والسلوك والمحبة والايمان والعفاف. لا تهملوا الموهبة التي فيكم التي اوتيتموها عن طريق النبوة وبوضع ايدي الكهنة، فاناشدكم امام الله وامام المسيح يسوع: ان اكرزوا بالكلمة واعكفوا على ذلك في وقته وفي غير وقته؛ حاججوا ووبخوا وعظوا بكل اناة وبجميع اساليب التعليم... فانكم إن فعلتم هذا تخلصون انفسكم والذين يسمعونكم.

واوصيكم أيها الاخوة الاعزاء أن تطيعوا اساقفتكم طاعتكم للرب. ابدوا لهم الاحترام والمحبة، بصفة أبناء واخوة، فانكم واياهم تخدمون الرب يسوع. لا تعملوا شيئا بدون الاسقف. لا ترددوا في عرض حاجاتكم وآمالكم ومشاريعكم على الاسقف، وكونوا على استعداد لتقبل وجهة نظره دون ان تدفعكم وجهة نظره المختلفة الى الانطواء على ذواتكم. اسعوا دوما بروح المحبة والتفاهم الى تأدية الشهادة لربنا في جميع اعمالكم ومشاريعكم. واجتهدوا ان تكونوا مع بعضكم بعض على رأي واحد وقلب واحد. اعرضوا عن المنافسة في اعمالكم الرسولية والخيرية، وانتبذوا الحسد والخصام، واخدموا رعيتكم بغيرة وتفان. تفقدوا كل ابناء رعيتكم دون تمييز بين غني وفقير وبين قوي وضعيف، ولتكن زياراتكم الراعوية للمؤمنين مطبوعة بروح التواضع والبساطة، ولتكن هذه الزيارت بناءة تحمل إليهم السند والتعزية. كونوا منتبهين الى حاجات المؤمنين وابدوا اهتماما لمن هم اكثر فقرا، واجتهدوا في زرع المحبة والوئام في العيال التي هي في نزاع. وجهوا جل اهتمامكم الى الشباب: اخلقوا لهم جوا يرتاحون اليه، فيتسنى لكم ان تحملوا اليهم ما هم بحاجة اليه من ثقافة وتوجيه. لا تهملوا استخدام الوسائل العصرية في تقديم الايمان لهم بلغة يفهمونها واسلوب يستسيغونه، والا تحولوا عنه الى فلسفات وايديولوجيات اخرى! أبدوا كل تأييد وتفهم ودعم للحركات العلمانية التي تهدف الى توجيه طاقات العلمانيين الى العمل الرسولي. لا تحزموا احمالا ثقيلة وتضعونها على رقاب العلمانيين وتأبون أن تحركوها بأحدى اصابعكم!

ايها الاخوة العلمانيون

اما انتم ايها الاخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية، اسلكوا كما يليق بانجيل المسيح. اعملوا لخلاصكم في خوف ورعدة، لأن الله هو الذي يفعل فيكم الارادة والعمل نفسه. إفعلوا كل شيء بغير تذمر ولا جدال لكي تصيروا بغير لوم، اطهارا، اولادا لله ازكياء، في جيل متعوج فاسد، في عالم تضيئون فيه كنيرات، ببذلكم له كلمة الحياة. احذروا ان يغركم احد! أما المحبة الاخوية فلا حاجة بكم الى ان يكتب فيها اليكم: لانكم، انتم بأنفسكم، قد تعلمتم من الله ان يحب بعضكم بعضا. ولتكن محبتكم بلا رياء. لا تكافئوا شرا بشر. سالموا جميع الناس ان امكن. انبذوا الكذب وكلموا كل واحد قريبه بالحق. لا تغرب الشمس على حنقكم ولا تتركوا لإبليس مجالا: من كان سارقا فلا يسرق بعد، بل بالحري فليكدّ عاملا بيديه ما هو صالح حتى يكون له ما يشرك فيه المحتاج. لا تخرجن من أفواهكم ولا كلمة فاسدة بل ما يصلح منها ويفيد البنيان. لا تحزنوا روح الله القدوس الذي ختمتم به لاجل يوم الفداء. ليستأصل منكم كل مرارة وسخط وغضب وصخب وسباب مع كل شر. أما الزنى والنجاسة بكل وجوهها والطمع ايضا، فلا يُذكرَنّ حتى اسمها في ما بينكم، على ما يجدر بالقديسين. انصحوا بعضكم بعضا بكل حكمة وتحاوروا في ما بينكم بمزامير وتسابيح واناشيد روحية. اسلكوا بحكمة من جهة الذين في

الخارج. اتخذوا سلاح الله الكامل لتتمكنوا من المقاومة في يوم الشر ومن الثبات حتى تمام الظفر. أجل انهضوا وشدوا احقاءكم بالحق وتدرعوا بالبر وانتعلوا بالغيرة على نشر انجيل السلام.

واحرضكم ايها الاخوة القديسون ان تحبوا اساقفتكم وكهنتكم الذين يتعبون معكم، محبتكم للمسيح. اطيعوهم فانهم يسهرون على نفوسكم سهر من سيؤدي حسابا. اجتنبوا تجاههم مواقف الانتقاد والسخرية التي تهدم ولا تبني، واجتهدوا بكل نزاهة واخلاص في تقليص الهوة القائمة في علاقاتكم معهم، واعملوا معهم يدا بيد بروح التعاون والتفاهم في كل ما يؤول الى خير الكنيسة؛ لا تكونوا كأولئك الفريسيين الذين يلقون دروسا على الاخرين ويأبون ان يلقوها على انفسهم! احملوا مع اساقفتكم وكهنتكم هموم الكنيسة وآمالها، وجاهدوا بكل طاقاتكم وإمكاناتكم من أجل تقدمها وازدهارها، ولا تظنوا البتة ان الكنيسة وقف عليهم؛ فهي انتم، وعلى سواعدكم يجب ان تقوم، لأنكم أعضاء حية فيها وهي جسد المسيح، اذ كما ان لنا في جسد واحد أعضاء كثيرة، وليس لكل الاعضاء عمل واحد، كذلك نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح، وكل واحد منا عضو للآخرين. فأنتم جسد المسيح وأعضاء، كل بمقدار.

فاناشدكم أيها الاخوة بأحشاء المسيح ان تكون بينكم وبين الاساقفة والكهنة وحدة متراصة في العمل، كل حسب دوره ومكانته في الكنيسة: فان المواهب على انواع، إلا ان الروح واحد؛ وان الخدم على انواع، إلا ان الرب واحد؛ وان الاعمال على انواع، الا ان الله واحد وهو يعمل كل شيء في الجميع. ولا اريد ان تجهلوا ايها الاخوة انكم قد ندبتم الى الشهادة لربنا، وانكم بحكم دعوتكم المسيحية ملزمون امام المسيح بأن تشعوا في من حولكم رسالة الانجيل، من خلال حياتكم واعمالكم ومواقفكم وكل تصرفاتكم، كل في محيطه الخاص وفي مجال اختصاصه؛ فجاهدوا بكل سخاء لأجل ايمان الانجيل بالقول والمثل. ضعوا كل قابلياتكم وإمكاناتكم في خدمة قضية الانجيل. تكاتفوا في ما بينكم في جمعيات وحركات ومنظمات توجه نشاطاتكم وتنظمها فتضحي اكثر فاعلية واكثر اشعاعا.

•

وإله السلام –الذي بعث من بين الاموات من صار، بدم عهد ابدي، راعي الخراف ربنا يسوع– يؤتيكم جميعا ان تتموا مشيئته في كل عمل صالح، فتنهض كنيستكم شامخة لتؤدي رسالتها الخلاصية في عالم اليوم. وأسألكم أيها الاخوة في العراق ان تقبلوا كلام الموعظة هذا وتقرأوه على جميع القديسين.

وليقدسكم إله السلام نفسه تقديسا كاملا، وليحفظ كل ما فيكم، ارواحكم واجسادكم، بغير لوم، عند مجيء ربنا يسوع المسيح.
سلموا على جميع مدبريكم وعلى القديسين جميعا بقبلة مقدسة، وإله السلام يكون معكم.
السلام بخط يدي انا بولس.
نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس معكم اجمعين.

منبر حر/ تشرين الاول ١٩٧٢

مقالات ١٩٧٧*

مع المطران اسوغيك غازريان/مقابلة /ك٢
+ الكنيسة ووسائل الابلاغ /شباط
+ مفهوم الاعلام في الصحافة المسيحية /اذار
+ من اجل نظام اقتصادي جديد بين الدول/قضايا الساعة /ايار
+ وجه ينوارى: المونسينور جان رودان /ايار
+ جماعات القاعدة في الكنيسة/ملف /حزيران
+ كنيسة العراق في ارقام/ عدد خاص /ايلول
مع المطران عمانوئيل بني/مقابلة /عدد خاص /ايلول
+ الفكر المسيحي والسياسة/منبر حر /ت١
+ السلفادور: كنيسة صامدة/قضايا الساعة /ك١

(*) خلت السنوات ١٩٧٣-١٩٧٦ من مقالات (باستثناء مقابلة مع الاب هوتار عام ١٩٧٣، ومقالة عن الصحافة المسيحية في العدد الخاص لعام ١٩٧٤).

الكنيسة ووسائل الإبلاغ

فلما آمنت الكنيسة بقيمة وسائل الابلاغ الذاتية كظاهرة اجتماعية -حضارية، بل تناولتها من وجهة نظر عقائدية وراعوية مؤكدة دوما على حقها في استخدامها في نشر الايمان والدفاع عنه...

هذا المقال يستعرض ويحلل -من وجهة نظر اجتماعية علمية- موقف الكنيسة من هذه الوسائل ولاسيما من الصحافة، ويرسم ملامح صحافة مسيحية متجددة.

لا احد ينكر ما لوسائل الابلاغ من اهمية واثر في عالم تناهت مسافاته وتعددت حضاراته واختلفت لغاته وجنسياته. فبفضلها تقلصت المسافات بين البلدان وتداخلت الحضارات ببعضها وزالت الحواجز اللغوية والعرقية بين الشعوب واضحى الانسان قريبا من

اخيه الانسان واصبح البشر جميعا ابناء اسرة واحدة.

والابلاغ بمفهومه الاجتماعي هو تبادل المعلومات والخبرات، وهو بالتالي ضرورة حيوية لكل انسان يعيش في مجتمع، اذ يمنحه الشعور بالوجود ويمكنه من التفاعل مع كافة اعضاء الاسرة االبشرية. والابلاغ على شكلين: فهناك الابلاغ الذي يتم بين الاشخاص دون اية وسيلة تقنية حيث يتم فيه التبادل على مستوى واحد من القوة؛ وهناك الابلاغ عن طريق وسائل الاعلام العصرية –وهو ما نسميه "الابلاغ الجماعي" (mass - communication) والذي ينتفي فيه التبادل الى حد ما. انه ينطلق من جهة واحدة في اتجاه جماعات كثيرة. فلا تكافؤ بين البث والاستلام: فالمبلِّغ (بكسراللام) والمبلَّغ اليه (بفتح اللام) ليسا على مستوى واحد من القوة، وتفصلهما عن بعضهما الوسيلة الاعلامية، سواء كانت الصحيفة ام الراديو ام التلفزيون؛ فالاول هو في موقع قوة اذ انه يبث اكثر مما يتسلم، بينما الذي يتسلم لا قدرة له على الرد –إلا ما ندر وذلك عن طريق رسائل القراء وتعقيباتهم وردود فعلهم، وهو ما يسمى بـ– Feed- back– وليس له سوى الاختيار بين القبول والرفض.

ان وسائل الاعلام هي بيد مالكيها –سواء كانت الدولة ام الطبقات الرأسمالية ام جهات مستقلة– وهي اداة للايديولوجية، فاذا تناسوا او تجاهلوا مسؤولياتهم بجعلها في خدمة المصلحة العامة، أصبحت هذه الوسائل اداة للقوة[1] والضغط بين ايديهم، واصبح القراء او المستمعون او المشاهدون مجرد مستهلكين، فينتفي التبادل الذي هو ميزة الابلاغ الاساسية. ومن ثم كان من الواجب على مالكي وسائل الاعلام ان يسعوا لتقليص جمود وسالبية "المستهلكين" بدعوتهم الى المشاركة الفعالة بمختلف اشكالها، كما على "المستهلكين" ألا يرضوا بوضعهم السالب هذا ويسعوا لانماء قابليتهم على الرد فيصبحوا مشاركين الى ابعد ما تمكن المشاركة.

من هذا المنطلق سوف نحلل موقف الكنيسة من وسائل الابلاغ ونكشف عن الايديولوجية التي مارستها من خلال الوسائل التي اختصتها لنفسها ولا سيما الصحافة، فيتسنى لنا ان نرسم الخطوط العريضة لصحافة مسيحية متجددة تتجاوب مع مفهوم الابلاغ.

في الكنيسة. ابلاغ من طرف واحد

ان الابلاغ الذي مارسته الكنيسة ولا زالت هو ابلاغ من طرف واحد: من القمة الى القاعدة. ذلك لان الكنيسة ترى ان من حقها ان تعلم وترشد بصفتها "اما ومعلمة"، وان من واجب المؤمنين ان يقبلوا ويطيعوا. ومما زاد هذه النظرة الى الابلاغ رسوخا كون الكنيسة مؤتمنة على الوحي الالهي ومنتدبة من قبل المسيح للتعليم والقيادة، لذا فهي لا تنتظر من المؤمنين سوى الخضوع من دون تساؤل.

ان الكنيسة لم تعهد ابلاغا ذا طرفين يكون فيه للرد عين الاهمية وعين الحجم الذي للبث. وحتى حين يتخذ التعليم الكنسي شكلا جماعيا ويصدر عن مجمع او سينودس، فهو تعليم تصوغه وتقدمه فئة من الاساقفة تقرر باسم الشعب المسيحي وعوضا عنه. فنحن ازاء "طبقتين" تتنازعان: طبقة الاكليروس التي تدعي ان لديها مفاتيح المعرفة ولها القدرة على التعليم والقيادة،

وطبقة المؤمنين التي أُقنعت بانها لا تعرف، ومن ثم عليها ان تتعلم وتقبل ان تقاد. وهكذا مع مر الايام —سيما بعد ان خرجت الكنيسة من الخفاء على عهد قسطنطين الملك (٣١٣) — اصبحنا ازاء سلطة فوقية تغلبت عليها صفة القيادة على صفة الخدمة، وكان لهذه السلطة وسائلها في فرض سيطرتها على العقول، بدءا بالحرومات في القرن الرابع والخامس ومحاكم التفتيش في القرن الثالث عشر وحتى الرقابة الكنسية على المنشورات عام ١٥٠١...

الصحافة المسيحية: لماذا؟

بعد اختراع المطبعة (١٤٤٠) بقليل، اتجهت الكنيسة الى هذه الوسيلة لنشر تعاليمها والدفاع عنها، وما عتمت ان انشأت صحافة اطلقت عيها اسم المسيحية. ولكن لما اخذت الصحافة العامة في القرن السابع عشر والثامن عشر تنافس الصحافة "المسيحية" وتعاديها، راح رجال الكنيسة، لاسيما في عهد الثورة الفرنسية، يشنون حملات عنيفة عليها، ونذكر على سبيل المثال الرسالة التي كتبها البابا بيوس السابع عام ١٨١٤الى الملك لويس الثامن عشر يحذره فيها من مغبة الابقاء على حرية الصحافة في الدستور الفرنسي، ويقول: بان هذه الحرية "تهدد الايمان والاخلاق باكبر المخاطر". ومن الجدير بالذكر ان موقف الكنيسة من الصحافة —ومن ثم من كافة وسائل الاعلام— كان يتلوّن بحسب لون تلك الصحافة: تدعم وتساند الصحافة "المسيحية" التي كانت في خدمتها وتحت رقابتها، بينما تقف موقف الحذر والعداء من الصحافة التي تخرج عن رقابتها وتصفها باللامسيحية، وتحذر المؤمنين من قراءتها!

ويتضح من خلال الوثائق الكنسية حول وسائل الاعلام (وهي قرابة ١٢ الف وثيقة طيلة تاريخ الكنيسة) ان الكنيسة قلما تناولت هذه الوسائل من وجهتها الايجابية، بصفتها ظاهرة اجتماعية —حضارية لها حجمها في تطور المجتمع. ففي دراسة تحليلية علمية على عينة من هذه الوثائق (٢٥٩ وثيقة) خرج اديريكو دولزاني[٢] بهذه النتيجة وهي: ان الكنيسة باتخاذها موقف الحذر والعداء من وسائل الابلاغ، تبرهن عن تخوفها على سلطتها التي تهددها هذه الوسائل وتحاول تثبيت وتدعيم سلطتها، وهي بالتالي تمارس دفاعا عن الذات مغلفا بدوافع الحفاظ على الايمان والاخلاق.

وآخر وثيقة كنسية حول وسائل الابلاغ كانت وثيقة المجمع المسكوني عام ١٩٦٣، غير انها لم تكن في المستوى المنتظر وكانت من اضعف ما صدر عنه، اذ جاءت متخلفة عن تعليم المجمع اللاحق ومتخلفة عن تعليم البابا بيوس الثاني عشر في الخمسينات. فقد تناولت وسائل الابلاغ من وجهة نظر عقائدية وراعوية ونظرت اليها من زاوية استخدامها في رسالتها التبشيرية وحسب، ولم تنظر الى قيمتها الذاتية، لذا لم تسترع اهتمام عالم الصحافة بها. واذا تكلمت عن حق كل انسان في الاعلام وعن واجب السلطات المدنية في ضمان حرية الصحافة، غير انها سكتت عن الحق في الاعلام داخل الكنيسة ولم تنوه عن الرأي العام في الكنيسة، وبقيت تحوم حول فكرة اساسية تلخص بهذه العبارة: "للكنيسة الحق الطبيعي في امتلاك واستخدام هذه الوسائل بقدر ما هي ضرورية ونافعة للتثقيف المسيحي وللعمل الراعوي"[٣].

ان الكنيسة حين تؤكد بهذه القوة حقها في امتلاك واستخدام وسائل الابلاغ وفي مقدمتها الصحافة لنشر الايمان، ترى في الصحافة وسيلة للدفاع عن الذات وصد الهجمات التي تأتيها من الخارج؛ وهكذا اتخذت صحافتها، اقله في الماضي القريب، صفة هجومية ودفاعية. كما انها ترى فيها وسيلة للحفاظ على الوحدة والتجانس في الافكار والحد من الازمات الداخلية، وهكذا كانت صحافتها عقائدية وادعائية.

نحو صحافة مسيحية متجددة

اذا كانت الكنيسة تطالب بنوع خاص باستخدام الصحافة في رسالتها، وجب عليها ان تقبل طبيعة الصحافة في كل مقوماتها وتحترم الاهداف التي خلقت من اجلها، واهمها الاعلام والتعبيرعن الراي العام. يجب ان يكون لها الاستعداد كي لا تجعل من الصحافة المسيحية امتدادا للتعليم المسيحي وللكرازة؛ وعليها ان تعي بان صحافة مسيحية تريد ان تاخذ مكانها الطبيعي في عالم الصحافة وفي الكنيسة في آن واحد يجب، عليها ان تتخلى عن نزعتها الهجومية والدفاعية والادعائية ولا تتردد من قبول النقد والتعددية في الآراء على صفحاتها.

ونحن، اذ لا ننكر على الكنيسة حقها في ان يكون لها صحافة رسمية ناطقة باسمها، نؤكد على حق المؤمنين في صحافة مسيحية تكون لسان حالهم. وتشير الى هذا الحق وثيقة المجمع نفسها في العدد ١٤؛ فنحو هذا الشكل من الصحافة المسيحية يتطلع المسيحيون اليوم:

١ – صحافة شعب الله: ان صحافة مسيحية تؤمن بأن الكنيسة هي شعب الله، اكليروسا وعلمانيين، يجب ان تكون منبرا يعبر فيه كل الشعب المسيحي عن آرائه واحاسيسه وآماله وتطلعاته. عليها ان تعكس على صفحاتها ما يتفاعل من اوجه الايمان في قضايا الانسان ومعاناته اليومية، وان تقدم لقرائها إعلاما كاملا وموضوعيا عن أحداث العالم والكنيسة يمكّنهم من ان يأخذوا مسؤولياتهم كاملة في المجتمع وفي الكنيسة. وعليها ان تدلهم على "علامات الازمنة" وتستحث وعيهم تجاه المعضلات الراهنة التي تطرح نفسها على الضمير المسيحي والانساني.

٢ – صحافة متجددة في كنيسة تتجدد: لقد خرجت الكنيسة بعد المجمع المسكوني لتصغي الى الناس وتتفاعل مع متطلبات العصر، وكان عليها ان تكتسب القابلية على التطور والتجدد. فعلى الصحافة المسيحية ان تجدد صيغها واسلوب معالجاتها فتتجنب التعتيم الذي مارسته في الماضي بحجة تجنّب تشكيك المؤمنين! عليها ان تنظر الى قرائها كبالغين يعون دورهم في الكنيسة والمجتمع، فتنمي فيهم روح الالتزام بالقضايا التي تهم مصير البشرية وتستحث همهم للسعي إلى دفع الكنيسة نحو التجدد، وعلى كافة الاصعدة.

---

(١) يقول الفيلسوف الفرنسي جان بودريار: "القوة هي بيد من يعطي ولا يسمح ان يُرَدّ له... فوسائل الاعلام تنفي التبادل... وتذهب بامكانية الجواب"، لذا فهو يدعو الى انقلاب جذري في بنية وسائل الاعلام. (pour une critique de l'économie politique du signe , Paris, 1972, pp. 200- 228)

(٢) "تحليل الدوافع في الوثائق الكنسية حول وسائل الابلاغ" –اطروحة– جامعة لوفان، ١٩٧٥

(٣) راجع، "الوثائق المجمعية": المطبعة الكاثوليكية – بيروت، ١٩٦٩

مفهوم الاعلام في الصحافة المسيحية

مهمة الصحافة الاولى هي الاعلام. والصحافة المسيحية لا تشذ عن هذه القاعدة، ورسالتها تقوم في تقديم إعلام كامل ونزيه حول ما يجري في الكنيسة من احداث. فاذا اضطلعت بمهمتها الاعلامية على الوجه الأكمل، تكون قد ساهمت في ثقافة قرائها وخلقت فيهم وعيا بمسؤولياتهم في حياة الكنيسة.

فإلى إعلام مسيحي حر وموضوعي يدعو الاب بيوس عفاص في هذا المقال.

●

ان الهدف من الصحافة هو تقديم معلومات لقرائها حول المجتمع الذي يعيشون فيه، فهي تلعب دورا اعلاميا بين افراد ذاك المجتمع بحيث يشعرون انهم اعضاء اسرة واحدة. فالاعلام الذي تمارسه الصحافة، الى جانب الوسائل الاعلامية الاخرى، هو ظاهرة حضارية غيّرَ، بفضل سرعته وشموليته، مجرى حياة الانسان في المجتمع المعاصر كما غيّر نظرته الى ذاته والى العالم؛ وهو، فضلا عن كونه حاجة اجتماعية في الانسان، ضرورة حيوية لكل انسان يعيش في مجتمع بشري، إذ ينمّي فيه الشعور بأن له، مع اعضاء المجتمع على الصعيد المحلي والعالمي، صلات مصيرية تربطه بهم ويخلق فيه الوعي بضرورة الالتزام ببناء عالم افضل.

ان الاعلام يقوم في إطلاع القراء على كل ما يمت بصلة الى حقول المعرفة سواء كان حدثا ام رأيا ام حكما... ويشمل كل اوجه النشاط البشري على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعلمي والديني والفني...وموضوع الاعلام هو الحدث، والحدث الراهن —او الماضي بقدر ما يعود فيصبح حاضرا، سواء كان حدثا طريا ام حدثا يمتد على فترة زمنية طويلة، لذا سمي الصحفي بحق "مؤرخ اللحظة الحاضرة"، على حد تعبير البير كامو. ومهمة الاعلام تكمن بنوع خاص، ليس في الادلاء بالاحداث وحسب، بل وضعها في اطارها الواقعي وابراز خلفياتها وابعادها وردود فعلها في الرأي العام فضلا عن التعليق عيها. اما غايته، فتقوم في سرد الاحداث وليس في تقديم تعاليم، الا بمقدار ما تمت هذه التعاليم بصلة مع الاحداث، ذلك لان الاعلام هو في حد ذاته تثقيف للقارىء ودعوة له الى تحمل مسؤلياته في المجتمع الذي يعيش فيه.

والاعلام بمفهومه العصري هو اعطاء صيغة واسلوب للاحداث بتحويلها الى انباء، ويتم على مراحل ثلاث: اولها استقصاء الاحداث وجمعها، ومن ثم اختيار ما يصلح منها وبثها الى عدد كبير من الناس في آن واحد عن طريق الوسيلة التقنية؛ غير ان الاختيار هو في الصميم من كل العمل الصحفي، منذ ان يبدأ المراسل بحثه عن الاحداث وحتى يثبت

سكرتير التحرير المكان الذي ستحتلها في الصحيفة. ويتم هذا الاختيار وفق عوامل كثيرة، اهمها جدة الحدث وشموليته ومغزاه وتوقع اهتمام القراء به واثره في نفوسهم، بحكم قرابته الجغرافية والنفسية والعاطفية اليهم؛ فعلى ضوء هذا الاختيار تبرز ايديولوجية كل صحيفة.

الاعلام في الصحافة المسيحية

حين نتكلم عن الصحافة المسيحية، نقصد بها تلك التي تعطي للاعلام المكانة الاولى، تاركين جانبا تلك التي توجه كل اهتمامها الى التثقيف اللاهوتي او الفلسفي او الكتابي، أو تلك التي تتخذ غاية لها التوجيه الروحي او الرسولي... ويطلق اسم الصحافة عليها من باب التوسع. كما ان هناك شكلين من الصحافة المسيحية: صحافة تضطلع بالاعلام العام الذي يقوم على تقديم الاحداث التي تجري في العالم على كافة الاصعدة، الى جانب الاحداث الدينية؛ وصحافة تقتصر الاضطلاع بالاعلام الديني الذي يقوم على تقديم الاحداث التي تجري في المجتمع الكنسي. فالاولى حين تقدم الحدث ذا الصبغة، العامة، سياسيا كان ام اقتصاديا ام اجتماعيا الخ... تضطلع بعين المهمة التي تقوم بها الصحافة الاعلامية سوى ان تلك تستحث قراءها، من خلال رؤيتها المسيحية للاحداث، الى اكتشاف "علامات الازمنة" وتساعدهم على تلمس نداءات الله المختفية وراء الاحداث، مما يجعلها شبيهة بصحافة الرأي الى حد ما. اما حين تختص الصحافة المسيحية بالحدث الديني —وهذا ما يعطيها هوية خاصة ويجعل منها صحافة مختصة على غرار الصحافة الاقتصادية او الرياضية او العلمية— فهي انما تتوجه الى المجتمع المسيحي بالدرجة الاولى لتطلعه على ما يجري في الكنيسة من احداث فتخلق فيه وعيا بمسؤولياته وتحمله على الالتزام بحياة الكنيسة ورسالتها. فاذا كانت الاولى تقدم للكنيسة صورة عن العالم وتستحثها الى الاندماج به والتفاعل مع آماله، تقدم الثانية للعالم صورة عن الكنيسة وتسترعي انتباهه الى نداءاتها النبوية، مساهمة منها في بنائه وتطوره.

ومهما يكن من هذا التمييز بين شكلي الاعلام في الصحافة المسيحية، فان ما يهمنا في هذا المقال هو ان نستعرض كيفية قيام الصحافة المسيحية —ولا سيما المختصة منها— بمهمتها الاعلامية تجاه الحدث الديني، ونكتشف العراقيل التي تحول دون قيامها بهذه المهمة على الوجه الاكمل.

الاعلام "المسيحي".

ان الاعلام "المسيحي" لا يختلف في مفهومه وغايته واهدافه عن الاعلام الذي تقوم به الصحافة العامة سوى ان موضوعه هو الحدث الديني، وهو كل حدث يجري في الكنيسة وكل نشاط يقوم به "شعب الله"، اكليروسا وعلمانيين. فالاحداث الدينية، في طريقة جمعها واختيارها وبثها واسلوب عرضها، لا تختلف، من وجهة نظر صحفية، عن الاحداث السياسية مثلا، فهي تخضع لعين القوانين وعين المتطلبات التي يخضع لها الاعلام العام، واهمها التسابق والسرعة والشمولية والاثارة... وذلك تجاوبا مع رغبات القراء

واذواقهم. فالمخبر في الصحافة المسيحية –وان كانت الكنيسة موضوع اعلامه في واقعها الروحي والبشري بصفتها مؤسسة الهية/ انسانية – لا يستطيع ان يكون له موقف مغاير تجاه الحدث الديني عن موقف زميله المخبر في الصحافة العامة تجاه الحدث السياسي مثلا. انه شاهد ويترتب عليه ان يراقب ما يجري في الكنيسة من احداث، لها ام عليها. ويدلي بها بنزاهة وموضوعية؛ فليس من واجبه، حتى وان كان مؤمنا، ان يستشف السر الالهي من وراء الحدث الديني الذي ظاهرة بشري بنسبة ٩٩% على حد تعبير الاب كابيل![١]

... يخضع لقيود اضافية

والاعلام المسيحي، علاوة على الحدود التي يخضع لها الاعلام بشكل عام- سواء من جراء قيود المهنة ذاتها التي تفترض السرعة وما يرافقها من اخطاء في الدقة، ام من جراء الضغوط السياسية والاقتصادية والايدولوجية التي تمارسها فرق "الضغط"...، يخضع لقيود اضافية تفرضها عليه السلطة الكنسية –واحيانا القراء انفسهم– متذرّعة بحجج بعضها وجيه، وبعضها الآخر–وهو اكثر بكثير– واه! فلو قارنا بين الصحفي في الصحافة العامة وبين زميله في الصحافة المسيحية، نجد تفاوتا كبيرا في المفاهيم: فبينما يطالَب ذاك بالفضول والنظر الثاقب والسمع المرهف والتسابق في اذاعة الخبر... نرى السلطات الكنسية تفرض على الصحفي المسيحي قلة الفضول والتريث والسرية وتدعوه الى التزام الصمت والفطنة.

ان كثيرا من المطاليب التي يتوخاها رجال الكنيسة من الصحفي المسيحي تنطلق من مفهوم منتقص عن الصحافة المسيحية، ذلك لان السلطة الكنسية لا تزال تدغدغها الرغبة في ان تجعل من الصحافة وسيلة لنشر الايمان والدفاع عنه، كما سبق واوضحنا في مقالنا السابق[٢]. وان الرقابة التي لا زال بعضهم يود ان يمارسها على الاعلام المسيحي تعبر عن منطوق الوصاية التي كانت السلطة تفرضها على المسيحيين بحجة السهر على ايمانهم واخلاقهم، متجاهلة ان هناك فرقا كبيرا بين صحافة مسيحية ناطقة بلسان الكنيسة الرسمي وبين صحافة مسيحية تعكس اراء الشعب المسيحي وآماله ومطاليبه، وانه لا يمكن لهذه الصحافة ان تخضع لعين القيود التي تخضع لها الصحافة الرسمية.

لا ينبغي للسلطة الكنسية ان تبالغ في وضع القيود على الاعلام المسيحي وكأن القيود الاخرى لا تكفي! انما عليها أن تدرك جيدا بأن صحافة لا تقدم لقرائها ما يحق لهم ان ينتظروه منها، تصبح مبتذلة وتسير نحو الفشل. فالقراء حين يقبلون على قراءة الصحف او المجلات المسيحية لا يتوخون منها تقديس نفوسهم ولا يبحثون فيها عن سبل خلاصهم، انما يرغبون في الاطلاع على ما يجري من جديد في حياة الكنيسة، وهذا الاطلاع هو في حد ذاته تثقيف، وهو بمثابة نداء الى الالتزام بدعوتهم ورسالتهم المسيحية. فاذا كانت السلطة الكنسية تطالب الصحافة المسيحية بان تجعل من الحدث الديني اداة للتعليم المسيحي والوعظ، فهي انما تطالبها بالتنكر لرسالتها الاعلامية، وقد تحملها على تقديم الاحداث الدينية، لا كما هي، بل كما تريد لها هي ان تكون! وهي بذلك تعمل، من حيث تدري

او لا تدري، الى تغيير طبيعة الاعلام وتسخيره لغايات لم يُخلَق لها. ان الصحفي المسيحي —وان كان كاهنا— ليس هو، لا واعظا ولا لاهوتيا، انما هو صحفي يسرد احداثا، وعليه —بدافع الاحترام لقرائه— ان يعكس كل ما يجري في المجتمع الكنسي من احداث ومشاكل وازمات الى جانب الآمال والتطلعات. فاذا ما ساهم في عرض التعاليم الانجيلية والمباديء المسيحية، فهو انما يفعل ذلك بقدر ما تمت هذه التعاليم بصلة الى الاحداث.

صراع ما زالت آثاره قائمة

هناك صراع قديم بين ما يرغب القراء في معرفته، وبين ما تريد لهم السلطة الكنسية ان يعرفوا. وينعكس هذا الصراع على الصحافة المسيحية: فالصحفي المسيحي يرى ان من واجبه ومن حق القراء عليه ان يقدم لهم اعلاما كاملا ونزيها حول الكنيسة، بينما تريد السلطة ان تكون هي الحَكَم فيما يقدمه لهم من احداث او لا يقدمه، وهكذا تسعى بكافة الوسائل الى الحد من حريته واضطراره الى ممارسة التعتيم على حساب الموضوعية. والحجج التي تتذرع بها السلطة حين تطالب الصحفي المسيحي بالتزام الصمت والتمسك باهداب الفطنة أوحين تفرض عليه بألا يدلي إلا بما هو بناء او يتجنب كل ما يُشتَمّ منه رائحة الرفض والاحتجاج —وكان ليس في الكنيسة سلبيات! — هي حجج كثيرا ما لا تستند الى اساس، كالخوف على ايمان الضعفاء وتجنب تشكيكهم والحرص على وحدة الايمان من خطر تعددية الآراء...، وتتناسى ان الصمت قد يسيء بالاكثر الى الكنيسة، لا سيما في عصر لا يمكن فيه للسر ان يبقى مكتوما مدة طويلة، وانه يصبح احيانا مؤامرة على الحقيقة، فضلا عن انه اهانة للقارىء واستخفاف بقابليته على التمييز والتقد.

من البديهي ان الصحفي لا يمكنه ان يقول كل شيء، فورا، ولكل الناس، ولكن لا ينبغي ان يكون هذا الموقف دليله في الاعلام. صحيح ان الفطنة ضرورية في بعض الحالات، ولكن لا ينبغي ان تتغلب على واجب الاعلام؛ فاذا صح ان ليس كل حقيقة صالحة لان تقال، يجب ان نستطرد ونقول ان هناك ايضا حقائق لا يروق للجميع سماعها، وان هناك حقائق لا بد لها ان تقال حتى وإن اقلقت "طمأنينة المؤمنين"، فالفطنة لم تكن يوما مرادفة للكذب او تشويه الحقائق. فلكي يتسنى للصحفي المسيحي القيام بمهمته الاعلامية على الوجه الاكمل، على السلطة الكنسية ان تضمن له حرية الاختيار وحرية التعبير التي بدونها لا يمكن ان نتكلم عن موضوعية الاعلام. كما عليها ان تمنح الثقة له ولقرائه، فهو ادرى بما ينتظره منه قراؤه وهم قادرون على التمييز والحكم شريطة ان يقدم لهم كل العناصر التي تمكنهم من الحكم وشريطة ان يكونوا مستقلين في نظرهم.

---

(١) الاب اميل كابيل رئيس تحرير جريدة لاكروا الفرنسية والسكرتير العام لاتحاد الصحفيين الكاثوليك العالمي سابقا، وقد جمعت محاضراته العديدة في الصحافة المسيحية في كتاب نستلهمه في بحثنا هذا: **L' enjeu des media, Mame 1971.**

(٢) راجع ف. م.شباط ١٩٧٧؛ راجع ايضا مقالنا: الصحافة المسيحية، رسالتها ومقوماتها — الفكر المسيحي،عدد خاص، ت١،ت٢/١٩٧٤ ص ٣٨٢-٣٩٠.

من اجل نظام اقتصادي جديد بين الدول

في مؤتمر الدول غير المنحازة الذي عقد عام ١٩٧٣ في الجزائر، طالبت الدول الاعضاء، ولاول مرة، بضرورة قيام "نظام اقتصادي دولي"، وفي ١ من أيار ١٩٧٤ اصدرت الجمعية العامة للامم لمتحدة اعلانا حول "الدعوة الى اقامة نظام اقتصادي دولي جديد". وبمبادرة من الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان جرت في باريس في نهاية عام ١٩٧٦ مباحثات قمة بين الدول الصناعية ودول العالم الثالث اطلق عليها اسم" الحوار بين الشمال والجنوب"، غايتها دفع عجلة التعاون الاقتصادي على الصعيد الدولي.

على هامش هذه الفكرة اصدرت في آذار ١٩٧٧ لجنة "العدل والسلام" الفرنسية -ومن المعلوم ان هذه اللجنة هي احدى الفروع الوطنية للجنة "العدل والسلام" الحبرية التي نشات بقرار المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، لتجعل الكنيسة حاضرة في نضال الانسانية- وثيقة تناولت هذا المشروع الدولي من وجهة نظر اقتصادية وسياسية ولاهوتية.

تهدف هذه الوثيقة الى القاء الاضواء على مشروع الدعوة الى قيام "نظام اقتصادي جديد بين الدول" وابراز مسؤولية الدول الصناعية فيه، وبالتالي إبراز الدور الذي على الكنيسة ان تقوم به في هذا المضمار.

●

تبدأ الوثيقة باستعراض الدوافع التي تدعو الى قيام "نظام اقتصادي جديد" كون النظام الحالي مختلا لا يتجاوب مع وضع الشعوب الراهن: فهناك تفاوت صارخ بين دول تعيش في رخاء واخرى في بؤس، وهناك تأرجح في اسعار المواد الاولية مما يعرقل مسيرة الدول النامية في سعيها نحو التنمية الاقتصادية، وهناك عملية التصنيع في الدول النامية تصطدم بعقبات يعود سببها الى التنافس بين الشركات الاحتكارية العالمية، وهناك التهافت الى التسلح الذي غالبا ما يكون على حساب خطط التنمية، وقد بلغ عام ١٩٧٤ مجموع ما انفقته الدول النامية على التسلح ٥٥ مليار دولار مقابل ٢٦٠ مليار دولار في الدول الصناعية!

ازاء هذا الوضع المتردي، تؤكد الوثيقة على ضرورة السعي لبناء عالم اكثر انسانية واكثر عدالة، ولن يتم ذلك الا اذا قبلت جميع الاطراف بمبدا التعاون والتضامن. واذا رفضت الدول هذا المبدا في علاقاتها الاقتصادية، ادى ذلك الرفض الى النزاعات والى القطيعة كما جرى عام ١٩٧٣ حين ارتفعت اسعار البترول وارتفعت معها اسعار المواد المصنعة. وتدعو لجنة العدل والسلام الى الحوار بين الدول الصناعية ودول العالم الثالث، شريطة ان يكون حوارا تكون فيه كل الاطراف على مستوى واحد من القوة، بغض النظر عن مكانتها الاقتصادية.

مطالبات العالم الثالث

ولكي يصبح مشروع "نظام اقتصادي جديد" ممكنا، تشير الوثيقة الى بعض مطاليب الدول النامية، وتدعو الى ان تصبح هذه المطاليب موضوع مباحثات جدية بين الدول:

أ – تنظيم سوق المواد الاولية: ان للتأرجح في اسعار المواد الاولية في السوق العالمية أثرا ولا شك على ميزانية الدول التي يعتمد اقتصادها على تصدير هذه المواد. لذا كان من حق دول العالم الثالث ان "تطالب بتنظيم سوق المواد الاولية بنوع تتقلص معه الفوضى في الاسعار ويتم توازن بين اسعار المواد الاولية التي تصدرها وبين اسعار المعدات التي تستوردها". وتشير الوثيقة الى ان هذه المطالبة شبيهة بمطالبة العمال في كل دول العالم بالاحتفاظ بقوتهم الشرائية.

ب– تصنيع من اجل التنمية: ان التصنيع يبدو ضرورة حيوية بالنسبة الى الدول النامية لدعم اقتصادها وتوفير عمل لشعوبها، غير انها لا زالت تخضع تكنولوجيا للدول الصناعية. فما تطالب به هو ان تضع الدول الصناعية امكانياتها التكنولوجية في خدمة نمو الدول النامية وتقدمها، وليس في خدمة منافع استراتيجية لدى الدول الكبرى.

ج – دخول بضائع العالم الثالث الى الاسواق العالمية: تلاحظ الوثيقة تقدما ملموسا في هذا المضمار منذ ان قبلت الدول الاوربية ان تدخل البضائع المصنوعة في البلدان النامية الى اسواقها، دون ضرائب كمركية وان تحت شروط حول نوعية هذه البضائع ومواصفاتها. فدول العالم الثالث تطالب بالغاء هذه الشروط وان يعم المبدأ على كافة المنتوجات وليس على منتوجات الغزل والنسيج وحسب.

د – التخفيف من وطأة الديون: ازاء الوضع الذي تعيشه كثير من دول العالم الثالث من جراء تراكم الديون والقروض عليها، لا سيما عقب ارتفاع اسعار المكائن والمعدات، تطالب هذه الدول ان يخفف من وطأة هذه التبعية عن طريق تخفيض نسبة الفائدة وتمديد مدة القرض الخ... غير ان الدول الصناعية لا زالت تأبى ان تتخذ موقفا موحدا يشمل كل الدول النامية، وتؤثر كل دولة ان تتخذ حلا تجاه بلد معين وبشروط اقتصادية وسياسية معينة تفرضها عليه!

هـ – المشاركة في القرارات المالية: وتطالب الدول النامية ان يكون لها دور فعال في القرارات المالية على الصعيد الدولي، سيما وان مجموعة الدول العشرين(عشر دول صناعية وعشردول نامية) لم تحقق مشاركة الدول النامية في القرارات، وبقيت الدول الصناعية تتخذ القرارت التي تخدم مصالحها على حساب دول العالم الثالث.

و – معضلة البترول : ازاء مطاليب دول العالم الثالث هذه، تقدم الدول الصناعية مطلبا واحدا (!) يقوم في التزام الدول المنتجة للنفط بتأمين امدادها بالنفط وفي قبول الدول المصدرة المفاوضات حول اسعار النفط، كي تنخلص الدول الصناعية من ارتفاع في الاسعار كالذي زعزع اقتصادها لثلاث سنوات خلت. اما الدول المنتجة، ففيما لا تعارض

مبدأ التفاوض، تأبى أن تقتصر المفاوضات بشأن البترول على حساب المطاليب الاخرى التي ليست أقل أهمية لها.

أطراف النزاع

ازاء هذه المطاليب من كلا طرفي النزاع، يبدو الحوار صعبا ان لم نقل مستحيلا، سيما وان مطالبات العالم الثالث تصطدم بمصالح الدول الصناعية. ومع ذلك فان وثيقة لجنة العدل والسلام تعلن عن ايمانها بان المفاوضات التي جرت —وان اسفرت عن شبه فشل ابان انعقاد مؤتمر باريس للحوار بين الشمال والجنوب في ١٦ كانون الاول ١٩٧٦— تبدو ضرورة من شانها ان تؤدي الى نتائج ايجابية، شريطة ان تتوفر الارادة الصالحة بين الاطراف المتنازعة. وتقول الوثيقة بان الحوار بات امرا ضروريا سيما وان الدول الصناعية، بحكم قوتها التكنولوجية ونفوذ الشركات "متعددة الاوطان"، تسعى الى التحكم بالاقتصاد الدولي، بينما تسعى الدول النامية —بالرغم من خضوعها تكنولوجيا للدول الصناعية— الى توثيق وحدتها ايمانا منها بان وحدتها هي سلاحها تجاه الدول الصناعية، وخير دليل على ذلك قرار الدول المصدرة للنفط (اوبيك) برفع اسعار البترول. وتؤكد الوثيقة بان انفصام الوحدة بين الدول النامية لا يشكل خطرا على العالم الثالث وحسب، بل على الدول الصناعية نفسها. لذا يبدو للجنة العدل والسلام انه بالرغم من كل التعثرات التي تواجهها المفاوضات، سواء على صعيد الاختلافات في ايديولوجية دول العالم الثالث ام على صعيد تضارب المصالح بين الدول الصناعية، يبدو ان العمل على تحقيق نظام اقتصادي دولي بات امرا ملحا من شانه ان يبعد العالم من مخاطر كبرى قد يتمخض عنها النزاع الاقتصادي، ويحقق وضعا اكثر انسانية واكثر عدالة من الوضع الراهن. وتقول الوثيقة بان العمل على تحقيق هذا النظام الجديد مسؤولية يتقاسمها الجميع، دولا وشركات، افرادا وجماعات...لاسيما بعد ان كشفت مفاوضات باريس عن التضارب بين مصالح الدول الصناعية ومطاليب الدول المصدرة للنفط، وبعد ان شرعت الولايات المتحدة بتجزئة الصف الدولي وعرقلة مسيرة المفاوضات، وبعد ان اخذت الشركات "متعددة الاوطان" تضاعف ضغوطها كي تستطيع ان تواصل سيطرتها على الاقتصاد الدولي...

دور الكنيسة

لا تتجاهل وثيقة لجنة العدل والسلام الفرنسية ان مسؤولية العمل على انجاح مشروع كبير كهذا يقع بالدرجة الاولى على الدول، غير انها واثقة من ان للكنيسة، بحكم قوتها الادبية، دورا تلعبه في هذا المضمار. وذلك لان بوسع الكنيسة ان تساهم في خلق الراي العام حول هذا المشروع، عن طريق ممارسة دورها النبوي في الاحتجاج على اللاعقلانية التي يعيش فيها العالم وفي فضح المظالم التي يبنى عليها عالم يتعارض مع مقاصد الله.

وتلاحظ الوثيقة ان يقظة لاحت في سماء الكنيسة تجاه القضايا الاقتصادية والاجتماعية — السياسية لاسيما عقب مجمع الاساقفة لعام ١٩٧١ حول موضوع "العدالة في العالم"، وعلى اثر البحوث والدراسات التي يقوم بها اساقفة ولاهوتيون من العالم الثالث

في محاولة "لقراءة" جديدة للتاريخ البشري ولتاريخ المسيحية، سيما وان هذه البحوث انطلقت من مساوىء التصاق التبشير بالانجيل بالاستعمار الغربي وما نتج عنهما من تبعية كانت السبب في تخلف بلدان العالم الثالث. وتشير الوثيقة الى ان هؤلاء اللاهوتيين يستحثون مسيحيي الغرب بنوع خاص للتراجع عن الدور الذي لعبته كنائسهم — وان بدون سوء نية — وبحملوهم على ممارسة النقد الذاتي في اكتشاف الجذور العميقة لاوضاع العالم الراهن. وترى الوثيقة في مفهوم "الخطيئة" خير دليل للقيام بعملية النقد هذه على الصعيد اللاهوتي، كون الخطيئة تناقضا فاضحا مع مقاصد الله. فالمظالم التي تكشف عنها البحوث الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تدل على ان عالمنا بني ويبنى على الخطيئة، وهذا يدعو المؤمنين الى مراجعة حياة جماعية بغية الوصول الى الاهتداء الذي يقوم في تغيير العالم وفي ازلة كل المظالم الاجتماعية. وتقول الوثيقة "ان النظال من اجل العدالة لن يكون من ثم من متطلبات المحبة —التي هي ثمرة الايمان— بل من شروط الاهتداء الذي يقود الى الايمان...".

وللبلوغ الى التحرر من بنية عالم يقوم على الظلم، من اجل اقامة بنى اجتماعية تقوم على العدالة، يدعو المسيح البشرية إلى اكتشاف "دعوتها الخلاقة"، ذلك لان "الانسان —على حد تعبير الوثيقة— لن يصبح على صورة الله ومثاله الا اذا جاهد في اعادة تنظيم العالم"، وهذا "التنظيم" يشمل كل الميادين والحقول التي من شأنها أن تجعل العالم يصبح أكثر انسانية، فما يدعو العالم الثالث البلدان الصناعية اليه هو اذن أنسنة العالم.

فاذا كان مشروع قمة "نظام اقتصادي جديد بين الدول" يساعد الكنيسة على فهم ذاتها ويدعوها الى ممارسة دورها النبوي، عليها اذن ان تساهم في عملية أنسنة العالم عن طريق خلق رأي عام يدعو الى بناء عالم جديد يسوده العدل. تلك هي مسؤولية كبرى تقع على الكنيسة بحكم متطلبات الايمان وبحكم الدور الاجتماعي الذي يعترف لها به العالم، وتلك هي الآمال التي يضعها عليها البشر. وتقول الوثيقة: اذا كانت الكنيسة تعي بأن البنى الحالية لعالم اليوم هي بنى لا انسانية تقوم على الظلم، فلا بد لها ان تسعى لتجعل العالم يبنى بأيدي بشرية ويتجدد بفضل نضال كل البشر. وتختتم مستشهدة بمجمع الاساقفة حول "العدالة في العالم": "في هذا الاطار يصبح النضال من أجل العدالة بعدا اساسيا للكرازة الانجيلية".

وجه يتوارى: المونسنيور جان رودان

للمحبة في كل زمان عمالقتها الذين يبادرون الى التخفيف من آلام البشرية ويسعون الى اعادة الامل إلى نفوس الفقراء والمعذبين ايا كان موطنهم او دينهم او لونهم... وجان رودان هو احد هؤلاء العمالقة، وقد التصق اسمه بمنظمة الفوث الكاثوليكية التي اسسها عام ١٩٤٦ لنجدة ضحايا الحرب والجوع والمرض والكوارث وكل اشكال البؤس في العالم.

توارى المونسنيور رودان عن ٧٧ سنة في الاول من شباط الماضي تاركا وراءه تاريخا حافلا بمنجزات المحبة التي كان لها خير شاهد. هذا المقال -بقلم عصام المقدسي- يرسم ملامح هذا الوجه الكبير من وجوه كنيسة فرنسا.

●

بدأ جان رودان[1] حياته الكهنوتية عام ١٩٢٤ في خورنية ريفية صغيرة. وبعد بضع سنوات، ارسله اسقفه الى تيف شاتو ليؤسس فرعا للشبيبة العاملة المسيحية، وكانت الحركة انذاك في بدء انطلاقتها، حيث التقى بالاب كيران مؤسسها في فرنسا. وفي عام ١٩٣٥ انتقل الاب جان الى باريس حيث اصبح مرشدا عاما للحركة — فرع الشابات، وهناك برزت مواهبه في تنظيم الاحتفالات والمؤتمرات وابرزها الاحتفال الكبير في ١٨ تموز١٩٣٧ بمناسبة الذكرى العاشرة لتاسيس الشبيبة العاملة، والذي ضم ٨٠ ألف عامل وعاملة، جرى في حديقة الامراء في باريس.

وفي عام ١٩٣٩، ابان اندلاع الحرب العالمية الثانية، عين الاب رودان مرشدا للفرقة المدرعة، وما عتم ان وقع في حزيران من العام التالي اسيرا بيد القوات النازية، غير انه فر من السجن وراح يتنقل بين معسكرات الاسرى بسيارة عسكرية كتب عليها هو نفسه" المرشد العام لاسرى الحرب"، فكان الحرس النازي يؤدي له التحية!! وهكذا استطاع أن يبدي تفانيا كبيرا في خدمة الاسرى والمعتقلين بتقديم المساعدات الروحية لهم.

فقد بلغ مجموع الذين اغاثهم مشروع الاب رودان ابان الحرب مليون و٤٠٠ ألف شخص من بينهم ٣ آلاف اكليريكي و ٢،٨٠٠ كاهن نقل اليهم خلال ثلاث سنوات ثلاثة الاف مذبح متنقل و٨٣٠ ألف انجيل!

وحين اطلقت القوات النازية نداء الى العمال الفرنسيين عام ١٩٤٢ للتطوع في العمل في المانيا، واكره الالوف من الشباب على مغادرة فرنسا للعمل في المعامل والمناجم الالمانية، راح جان رودان يوجه اهتمامه للاعتناء بهؤلاء العمال المرحلين، وأخذ العديد من الكهنة يتسللون الى الاراضي الالمانية ليؤمّنوا الخدمات الروحية لهم.

وهنا بدأت سلسلة من الاعتقالات ذهب ضحيتها العديد من الكهنة والعلمانيين ولا سيما من اعضاء الشبيبة العاملة. في هذه التجربة مع العمال اكتشف الاب رودان هذا العالم العمالي وخرج اكثر اقتناعا من أن على الكنيسة ان توجه كل اهتمامها الى العمال، فتعمل على تبشيرهم بالانجيل بمقتضى متطلبات العصر وتساهم في تحسين ظروفهم المعاشية وتكافح معهم جنبا الى جنب من اجل صيانة حقوقهم وتأمين عيش كريم لهم. لقد كانت هذه التجربة فاتحة مصالحة الكنيسة مع الطبقة العاملة.

ومع انهيار جيوش هتلر، تضاعفت مهام رسول المحبة والتضحية حين عينته الحكومة المؤقتة عام ١٩٤٤ مرشدا عاما للجيش. غير ان الادوار انقلبت، فكان عليه أن يهتم بالعائدين من المنفى من الفرنسيين وبالاسرى من الالمان.

وهكذا اتخذت محبته شمولية، وراحت تتجه الى كل المتألمين في العالم من جراء الحروب والكوارث الطبيعية او التخلف او الجوع... ففي ٨ أيلول ١٩٤٦ قاد رودان الى لورد ٨٨ ألف من اسرى الحرب والعمال والمنفيين، حيث اقام ١٩ كاهنا القداس في ساحة الوردية التي بدت صغيرة امام هذه الكتلة البشرية الهائلة! وبانطفاء مشاعل هذا الاحتفال الكبير ابصرت النور منظمة "الغوث الكاثوليكية" التي انشأها هذا الرسول الغيور ليجعل من المحبة عملا منظما وهرع، بوسائل عصرية، الى التخفيف من وطأة البؤس اينما كان.

فما ان عهد الاساقفة الفرنسيون الى المنسنيور رودان مسؤولية السكرتارية العامة لمنظمة الغوث، فاذا به يحدد للمنظمة غايتين اساسيتين: الاولى الكشف عن اوضاع البؤس والالم، والثانية جمع التبرعات وتوزيعها. ويأتي الاهتمام بالاشخاص، في نظر جان رودان، قبل الاهتمام بتغيير البنى الاجتماعية.

غير ان جان رودان يؤمن بان منظمة مشروع تربوي من شانه ان يلفت انظار العالم الى المأساة اليومية التي يعيشها البشر.

منظمة الغوث قامت خلال ثلاثين سنة من عمرها، وتحت اشراف مؤسسها الذي لا يعرف الكلل او الملل طريقا الى نفسه، بمشاريع لا تحصى، نذكر منها "مدينة الغوث للقديس بطرس" التي انشئت في لورد لتستقبل كل عام ١٥ ألف من الحجاج الفقراء الذين لايسعهم دفع اجرة الفنادق، ومؤسسة "الجنبدة الحمراء" في ضواحي باريس لايواء المرضى الذين يقدمون الى باريس للمعالجة، و "مدينة العذراء للغوث" في باريس التي تقدم مأوى ل ٧٠ ألف شخص من الذين لا مأوى لهم والفقراء والخارجين من السجون... فضلا عن ٤٠ ألف من المشاريع الصغيرة في بلدان العالم الثالث.

وهنا تجدر الاشارة الى ان المنظمة أمدت بالاعانة والغوث اللاجئين الفلسطينيين بعد حرب ١٩٦٧، بالاضافة الى المعونات التي قدمتها الى المتضررين في حرب الجزائر وبيافرا وفييتنام، والى ضحايا الكوارث والزلازل في اغادير وكواتيمالا...

ومن الجدير بالذكر الى ان المنظمة استطاعت أن تؤدي رسالتها بفضل الـ ٩٥٠

ألف مشترك الذين يساهمون ماديا بسخاء في نشاطات المنظمة الخيرية، بحيث بلغ رأسمالها ٨ مليارات فرنك فرنسي لعام ١٩٧٤! ولمنظمة الغوث اليوم ١٠٨ فروع في كل انحاء فرنسا، ومقرها الرئيسي في باريس.

وقد دخلت عام ١٩٥٠ ضمن اتحاد "المحبة الدولية" التي لها ٩٥ فرعا وطنيا في مختلف انحاء العالم. وكان قد انتخب المونسنيور رودان عام ١٩٦٥ رئيسا لمنظمة "المحبة الدولية".

---

(١) راجع الفكر المسيحي : عدد نيسان ١٩٧٧ ص١٨٦، وايضا عدد ايلول ١٩٧٢ ص ٢٥٧ - ٢٦٤

جماعات القاعدة في الكنيسة

تجتاح الكنيسة في ايامنا تيارات متنوعة احدثت تحولات كبرى، سواء على صعيد المفاهيم الايمانية والراعوية، ام على صعيد التنظيم والادوار. فبدلا من ان نرى في هذه التحولات خطرا يهدد مستقبل المسيحية، وبدلا من ان نتهم هذا او ذاك من اللاهوتيين ورواد حركة التجدد بالانحراف، علينا ان نرى فيها ظاهرة طبيعية وعلامة من "علامات الازمنة".

من بين هذه التحولات ظاهرة "جماعات القاعدة" التي انطلقت من اميركا اللاتينية بمبادرة من المؤمنين الذين ابوا ان يبقوا "ارقاما" ضمن خورنيات بحجم تنتفي معه المشاركة الفعلية في حياة الكنيسة، وشاءوا الا يبقى التزامهم المسيحي منفصلا عن التزامهم الاجتماعي والسياسي. جماعات تقدم البديل لكنيسة هرمية، لانها تؤمن بان الكنيسة هي شعب الله وان كل تجدد في الحياة المسيحية يجب ان ينطلق من القاعدة.

هذا الملف يعرّف بظاهرة جماعات القاعدة في الكنيسة ويستعرض العوامل التي ساعدت على نشوئها ويرسم ابرز ملامحها، بدءا باميركا اللاتينية حيث انطلقت، وكان لها امتداد في افريقيا واوربا.

●

بين الجماعات المسيحية الاولى وبين الابرشيات اليوم في المدن الكبرى تفاوت هائل على صعيد العدد والتنظيم والعلاقات الانسانية والروحية. فان ظاهرة التمدن والتمركز في المدن، لاسيما في اميركا اللاتينية، ساعدت على تضخم حجم الخورنات التي اصبحت بمثابة وحدات ادارية تضم كل منها بضعة آلاف مؤمن، واصبح الكاهن شبه موظف يشرف من عل على "توزيع" الاسرار! واخذ الضمير الجماعي بين المسيحيين يتضاءل، و لم يعد لحياة الجماعية في الخورنيات مكان...

ازاء هذا التضخم في حجم المدن وبالتالي في حجم الخورنيات، راحت الكنيسة تحاول ان تقلل من عمق الهوة التي باتت تفصل بين المؤمنين والاكليروس، واخذت حركات العمل الرسولي تزدهر، ونشات مبادرات اكليريكية وعلمانية تسعى الى عصرنة اساليب العمل الراعوي... ومع ذلك بقيت الخورنية، في بنيتها، متغربة عن حياة المؤمن، كونها اسيرة تنظيمات ادارية ترافقها الرتابة لم تتح للقاعدة ان تتحرك وتمارس مسؤولياتها. ومما زاد المشكلة تعقيدا هو النقص في عدد الكهنة بحيث اصبح كاهن واحد يخدم عشرات الالوف من المؤمنين الذين قلما يتاح له التعرف عليهم والذين لا يجمعهم في كثير من الاحيان سوى انتمائهم اسميا الى هذه او تلك الخورنية!.

وكان لا بد للكنيسة، على حد تعبير المونسنيور ماتاكران نائب رئيس مجلس الاساقفة الفرنسيين: ان تستفيق لتستدرك وضعا لم يعد ممكنا الابقاء عليه: "ان تتحول من الهرمية التي ترسو على الاسقف او الكاهن الى كنيسة ترسو على القاعدة، على جماعة المعمذين"(١). وهكذا تستبدل الكنيسة العمودية، التي ترى في الكاهن المسؤول الوحيد، بكنيسة مؤلفة من مؤمنين يعيشون، في مجموعات صغيرة، ايمانهم بشكل جماعي وفي جو تسوده علاقات انسانية متينة.

جماعات القاعدة في الكنيسة[٢]

لقد عاشت الكنيسة في عهد الرسل تجربة الجماعات الصغيرة حين كانت تجمع المسيحيين الاولين شركة كاملة الى حد اقتسام الخيرات المادية فيما بينهم (أعمال الرسل ٢ : ٤٢ - ٤٧). واليوم اخذ المسيحيون يانفون بنى الكنيسة الحالية، سواء كانت على الصعيد الايديولوجي ام على الصعيد الاداري، ولا يحتملون الوصاية التي يمارسها الاكليروس على سلوكيتهم وايمانهم، ويأبون ان تبقى الكنيسة اسيرة اطر بالية، وهم انما يتطلعون الى ايمان "اخوي" يعيشونه ضمن جماعات صغيرة تمكنهم من ان يعبروا عن ذاتهم بحرية تامة، وان يضطلعوا بمسؤولياتهم الانسانية والمسيحية على الوجه الاكمل، انطلاقا من وعيهم العميق بالواقع الاجتماعي- السياسي لبلدانهم ومن رغبتهم في التحرر من كل اشكال الاستلاب التي يخضعون لها.

لقد اصبحت "جماعات القاعدة" ظاهرة تسترعي الانتباه، سيما وهي تنتشر بسرعة هائلة في كثير من البلدان، وما هذا الانتشار سوى علامة تشير الى ان المسيحيين يرغبون في ايجاد صيغ جديدة للحياة المسيحية، لان الصيغة الحالية لم تعد تتجاوب مع متطلبات الظروف الراهنة. لذا يترتب على الكنيسة الرسمية ان تشمل هذه الظاهرة بالاهتمام الكبير وتسهر كي لا تصبح هذه الجماعات الصغيرة "كنائس" موازية او "كنائس" هامشية.

من الصعب جدا ان نحدد صيغة واحدة لكل جماعات القاعدة التي تنشأ في ظروف مختلفة بعضها عن بعض...غير اننا سنحاول ان نرسم الملامح الكبرى لهذه الجماعات ونستعرض ابرز الاسس التي تقوم عليه:

١ - ان معظم جماعات القاعدة نشأت عن رفض للأطر التقليدية في الكنيسة، ولاسيما حيث لم تخرج مبادىء المجمع المسكوني الى حيز التطبيق. غير ان الدوافع العميقة لنشوئها هو ازدياد الشعور لدى المسيحيين من ان عليهم ان يعيشوا ايمانا جماعيا ويمارسون التزامهم الزمني ضمن التزام بحياة اكثر انجيلية. انها تتميز عن الحركات الرسولية وعن الخورنيات، كونها تنطلق من القاعدة حتى وان ساعدت الكنيسة- المؤسسة على قيامها.

٢ - ينطلق الذين ينتمون الى جماعات القاعدة من حاجتهم الى الالتقاء بآخرين واقامة علاقات انسانية معهم، فهم انما يعلقون اهمية كبرى على هذا البعد العاطفي

ويرغبون ان يعيشوا حياتهم بتضامن وتعاون مع الآخرين. في هذه الجماعات تغيب الادوار التقليدية، فالمسؤولية مشتركة بين جميع الاعضاء، وما المسؤول سوى ذاك المنشط والمنسق للحياة الجماعية.

٣ – يبحث اعضاء جماعات القاعدة عن صيغة جديدة تمكنهم من اصالة العيش ضمن جماعة ايمانية على غرار يسوع والرسل، لذا نرى ان الاوخارستيا –حتى حين لا يحتفل بها بشكل دائم – تحتل المكانة الرئيسة من حياة الجماعة. ويلاحظ ان الجماعات التي تفقد معنى الاوخارستيا في حياتها، تتجه نحو العمل السياسي وكثيرا ما تعود فتبحث عن اصنام سبق لها ان هجرتها!

٤ – ان الحياة الانجيلية في نظر جماعات القاعدة لا تتخذ معناها الكامل الا بالتفاعل مع قضايا الانسان وحاجاته. لذا نرى ان الحياة الروحية والشهادة الشخصية للمسيح تجد لها بديلا في تلك الشهادة الجماعية التي تبرز من خلال المحبة المتبادلة بين الاعضاء والعمل المشترك، وحين تسعى الجماعة الى المساهمة في تحرير الانسانية والعمل على بناء انسانية جديدة.

فاذا كانت كل جماعات القاعدة تنطلق من حاجة المؤمنين الى حياة جماعية ومن شعورهم بضرورة العمل المشترك في مناخ تسوده علاقات انسانية متينة وفي اجواء من البحث عن اصالة الحياة المسيحية، فان لكل جماعة اهدافها وطرق عملها واسلوبها في العمل..فعدد الاعضاء يختلف بين جماعة واخرى، كما تختلف جماعة عن اخرى في تكوينها على اساس انتماء اعضائها الى طبقة اجتماعية معينة ام الى طبقات مختلفة؛ وهناك اختلاف بين جماعة واخرى في نسبة الاجتماعات الدورية وفي درجة الحياة المشتركة: فهناك جماعات تصب اهتمامها على حياة الايمان والليتورجيا، بينما تتجه جماعات اخرى الى الالتزام السياسي، ومن الجماعات ما يتصف موقفها من الكنيسة الرسمية بالرفض واللامبالاة، ومنها بالاندماج الوثيق... هذه الاختلافات في صيغ جماعات القاعدة تتأتى بالدرجة الاولى من اختلاف الاوضاع الاجتماعية والسياسية والدينية الخاصة بالبلدان التي انتشرت فيها: ففي اميركا اللاتينية وافريقيا، ساعدت عوامل خاصة على انتشارها، وهي تتمتع بدعم السلطة الكنسية؛ وبينما لا زالت المحاولات لقيامها في بدء عهدها في اسيا، تقوم جماعات القاعدة في اوربا على هامش الكنيسة الرسمية وتبدو موازية لها.

جماعات القاعدة في اميركا اللاتينية

كانت الكنيسة في اميركا اللاتينية، قبل المجمع المسكوني، توجه كل اهتمامها الى التعليم والكرازة وتنشيط الحركات الرسولية. وحين اكد المجمع على ضرورة مساهمة الكنيسة في بناء عالم اكثر عدالة، اخذ بعض المسيحيين يدركون بان عليهم ان يحرروا الكنيسة من البنى السياسية والاجتماعية التي تشكل عقبة في طريق التحرر السياسي والاقتصادي. وبينما اخذت الانظمة الحاكمة تنظر بحذر الى هؤلاء المسيحيين الذين اخذوا

ينادون بلاهوت التحرير، راح مسؤولون كنسيون يوجهون النداء الى "القاعدة" كي تعمل على بناء كنيسة متحررة تكون قادرة على تحرير شعوب القارة من كافة اشكال الاستلاب. وقد ساعدت الدوافع المذكورة أعلاه فضلا عن التضخم في حجم الخورنيات والنقص في عدد الكهنة، على قيام جماعات القاعدة التي تدرك ان الالتزام وحياة الايمان يجب ان يسيرا معا في رفض لتلك الثنائية بين الكنيسة والعالم، وان على الكنيسة ان لا تبقى "هرمية" او "اكليريكية" بل تكون اكثر التصاقا بالفقراء واكثر تحسسا للمظالم التي يخضعون لها واكثر احتراما وتقييما لحضارة الاقليات من الهنود سكان القارة الاصليين.

لقد انطلقت جماعات القاعدة منذ الستينات وخاصة في البرازيل وبانما وشيلي، وانتشرت في بادىء عهدها بين الطبقات الفقيرة وفي الارياف وضواحي المدن الكبرى. ولاقت كل تفهم ودعم من قبل السلطة الكنسية، فقد وصفها المونسنيور بيرونيو رئيس مجلس اساقفة اميركا اللاتينية السابق بانها "الخلية الاولى لكل البناء الكنسي ومركز للتبشير بالانجيل وعامل من اهم العوامل للنمو الانساني"، كما اكد ممثلو المجالس الاسقفية في مجمع الاساقفة المنعقد في روما عام ١٩٧٤ اقتناعهم بضرورة جماعات القاعدة التي هي في نظرهم علامة من علامات الامل في الكنيسة. ولقد نظم مجلس اساقفة اميركا اللاتينية (سيلام) بين عام ١٩٧٠ — ١٩٧٤ اكثر من ٣٠٠ دورة دراسية لمسؤولي الجماعات، يتلقون خلالها ثقافة مسيحية عميقة، فضلا عن ثقافة انسانية واجتماعية وسيكولوجية.

وتجتمع الجماعة اسبوعيا حول مسؤول او اكثر —يعاونه كاهن غالبا ما يكون مشرفا على عدة مجموعات— لاقامة ليتورجيا الكلمة، التي تشمل قراءة من الانجيل والتأمل فيه وموعظة وصلوات مشتركة، فضلا عن قراءة لرسالة راعوية للاسقف او لاحد الكهنة. وما ان تاخذ الجماعة سيرا حسناً، تحتل الاوخارستيا المكانة الرئيسة من الاجتماع، وحين لا يتوفر كاهن لاقامتها اسبوعيا، يسمح الاسقف لاحد المسؤولين العلمانيين باعطاء التناول والاعداد للعماذ ومنحه وعقد الزواج... وبالرغم من كون جماعات القاعدة ملتزمة، غير انها لا تتبنى موقفا سياسيا معينا، انما تسعى لخلق الوعي الاجتماعي — السياسي وتترك لاعضائها حرية اختيار شكل الالتزام بما يتماشى مع اقتناعاتهم الشخصية النابعة من ايمانهم.

وجماعات القاعدة آخذة في الانتشار في كل بلدان اميركا اللاتينية، واصبحت تعد بضع مئات من الالوف، ففي البرازيل وحدها هناك ٤٠ ألف جماعة. وكلها تنطلق من رغبة المسيحيين في ان يكتشفوا في الانجيل نداء الى التحرر الاجتماعي وان تصبح الليتورجيا— ليتورجيا الكلمة وليتورجيا الاسرار- مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحياة اليومية وبمعانيات انسان اليوم.

جماعات القاعدة في افريقيا

لقد ورثت كنائس افريقيا من عهد الاستعمار بنى كنسية مستوردة لا تنسجم مع الذهبية الافريقية. وبعد المجمع المسكوني، اخذ المسيحيون الافارقة يشعرون بأصالة حضارتهم وقيمها، وراح اساقفتهم يحاولون التحديد في صيغ العمل الراعوي وتكييف

الليتورجيا مع الذهنية الافريقية وارساء قواعد للاهوت من واقع القارة واوضاعها الاجتماعية والسياسية... فأخذت جماعات القاعدة تنشأ بمبادرة الاساقفة والكهنة، لاسيما في تترانيا وزائير وزامبيا وبوروندي... فلقد جاء في تقارير المجالس الاسقفية المعدة لمجمع الاساقفة في روما عام ١٩٧٤: "اننا ندعو بالحاح الى ان تتبدل البنى والمفاهيم الحالية في الكنيسة، وذلك عن طريق خلق جماعات القاعدة"، كما اوصى اجتماع اساقفة افريقيا الشرقية المنعقد في نيروبي في تموز ١٩٧٦ بان تحظى جماعات القاعدة بالاهتمام الاول والرئيسي في كنيسة افريقيا، وقد جاء في كلمة الافتتاح للمونسنيور كاليلومب احد اساقفة ملاوي: "ان القوة التي تبني الكنيسة على صعيد الابرشيات والخورنيات ومراكز المرسلين، كانت تأتي حتى الآن من الخارج وليس من داخل الجماعات المحلية" ويؤكد عزم الكنيسة الافريقية على وضع حد لهذه الحالة والبدء ببناء حياة كنسية تقوم على جماعات مسيحية صغيرة من شانها ان تخلق الوعي في صفوف المؤمنين وتحمّلهم مسؤولياتهم في حياة الكنيسة ورسالتها.

مؤتمر فيتوريا

في فيتوريا، احدى الولايات البرازيلية، تم لقاء من ٦ — ٨ كانون الثاني ١٩٧٥ بين ممثلي جماعات القاعدة في البرازيل، ضم عددا من الاساقفة والكهنة والعلمانيين واللاهوتيين والخبراء لدراسة هذه الظاهرة، انطلاقا من نماذج مختلفة لها في طول البرازيل وعرضها.

انطلق المؤتمرون في تحليلهم من ان جماعات القاعدة لم تنشأ لتقدم حلا بديلا لمشكلة تناقص عدد الكهنة، انما نشأت لتقدم البديل لكنيسة تقليدية تقوم على مفهوم المركزية، وانها صيغة جديدة لمفهوم الانتماء الى شعب الله، هذا الشعب الذي له حاجاته ويشعر بمسؤولياته ويسعى الى تحرره. انها صورة لكنيسة خادمة ملتصقة بآمال الشعب وطموحاته ولا سيما الشعب الفقير والمستغل (انظر الاطار).

وقد اشار المؤتمرون الى الجوانب الايجابية التي تتصف بها جماعات القاعدة، كتصاعد القابلية على الاستقلال في مسيرة الجماعة الى جانب ايمانها بشمولية الكنيسة، وتعمق الثقة بالنفس وممارسة حرية التعبير ورفض الثنائية بين الايمان والحياة وتغلغل الشعور بالروح الجماعية والخدمة المشتركة والمسؤولية في بناء عالم جديد وتأصل الثقة بالروح القدس الذي يلهم الجماعة اشكالا مختلفة من الخدم الروحية والاجتماعية التي تنشأ في قلب الجماعة تجاوبا مع حاجاتها الواقعية... غير انهم لفتوا الانتباه الى بعض الجوانب السلبية التي تظهر في حياة الجماعة، وابرزها استمرار العلماني بشعوره بالنقص ازاء الكاهن وخطر تلاعب مسؤولي الجماعة من علمانيين او كهنة بافكار الاعضاء واتجاهاتهم الى جانب خطر الوقوع في شكل من الانعزال والهامشية تجاه الكنيسة الرسمية وتجاه المجتمع، وتغلّب النزعة الى زيادة الكمية على حساب النوعية...

ومهما يكن، فان نتيجة واضحة خرج بها المجتمعون في فيتوريا، وهي ان جماعات القاعدة مكّنت وتمكن المؤمنين من ان يعيشوا تجربة مسيحية اكثر قربا من الروح الانجيلية واكثر تفاعلا مع تطلعات انسان اليوم الى مزيد من الحرية والعدالة.

خلافا لما هو الحال في اميركا اللاتينية وافريقيا حيث تحظى جماعات القاعدة بدعم السلطة الكنسية، ففي اوربا قامت جماعات القاعدة في البلدان اللاتينية بنوع خاص، كايطاليا واسبانيا وفرنسا، على هامش الكنيسة الرسمية، وتنظر اليها السلطة بعين الحذر، ذلك لانها من طراز الجماعات الرافضة والنبوية على الصعيدين الديني والسياسي. ومن الصعب جدا ان نحدد صيغة او نموذجا لكل جماعات القاعدة سواء في البلدان اللاتينية ام في البلدان الانكلو- ساكسونية كالدانمارك وانكلترا وهولندا والمانيا... فمن حركات اصلاحية الى حركات ناقدة ورافضة، ومن جماعات روحية ونبوية الى حركات يتغلب عليها الطابع السياسي في اتجاه اليسار واحيانا اقصى اليسار...

ففي ايطاليا مثلا هناك حوالي ٣٠٠ مجموعة نشات كلها في اعقاب المجمع المسكوني، بعضها يهدف الى اصلاح الكنيسة على الصعيد الراعوي وبعضها الى حمل الكنيسة على الالتزام الاجتماعي – السياسي، بينما يتجه بعضها الاخر نحو الالتزام السياسي الى جانب الاحزاب اليسارية وفي خط الاشتراكية كحركة "مسيحيون من اجل الاشتراكية". وهكذا هي الحال بالنسبة الى جماعات القاعدة في اسبانيا. اما في فرنسا، فقد قامت هذه الجماعات على هامش الكنيسة الرسمية وكبديل لها، سيما بعد الثورة الطلابية في ايار ١٩٦٨. ويمكننا ان نميز تيارين رئيسين في هذه الجماعات، اولهما ذاك الذي نشا في اعقاب ثورة ايار بين الطلبة واعضاء الحركات الرسولية السابقين، ويتميز بنزعة الرفض للبنى الكنسية الى جانب الاتجاه اليساري على الصعيد السياسي. اما التيار الاخر الذي نشا بعد عام ١٩٧٠، فيتميز بالرغبة في البحث عن مسيحية اكثر قربا من روح الانجيل. وبينما تمخض التيار السياسي عن حركات يسارية كالتي تدعى حركة "مسيحيون ماركسيون"، ذهب رواد التيار الروحي نحو تطرف مماثل في اتجاه حركات كالتي تدعى "حركة العنصرة"...

مستقبل جماعات القاعدة

ان ظاهرة نشوء جماعات القاعدة في الكنيسة تدعو الى التفكير فيما اذا كانت مدعوة يوما الى ان تحتل مكان الخورنيات وتكون بمثابة بديل لها، الامر الذي سيكون له اثر كبير في تغيير صورة الكنيسة التي طالما الفناها والتي لم تعد تعكس صورة الكنيسة الاولى. ان من يطلع عن كثب على هذا الاسلوب الجديد في عيش الانجيل في قلب الجماعات الصغيرة، ومن يصغي الى صوت انبياء العصر من الاساقفة واللاهوتيين الذين يدعون الى ان تتجه الكنيسة كلها صوب جماعات القاعدة، ومن كان له الايمان بان الروح القدس يهبّ في جنبات الكنيسة ويدفعها الى البحث عن صيغ جديدة للحياة المسيحية.. لا يسعه الا ان يرى في هذه الظاهرة علامة من "علامات الازمنة". ان من شان جماعات القاعدة ان تصبح مكانا للتجارب المختلفة على صعيد الايمان والتعبير عنه، ولتخطي الاطر التقليدية التي ورثتها المسيحية من زمن قسطنطين، وللسير في خط الوحدة المسيحية، كونها ملتقى

مسيحيين ينشدون الاصالة في الايمان بعيدا عن الانقسامات العقائدية او الطائفية ويحاولون ان يعيشوا مبادىء الانجيل في المحبة والوحدة. ان بوسعها ان تقضي على تلك الثنائية بين الالتزام "الروحي" والالتزام "الزمني" وتجعل من الانجيل منطلقا للالتزام بتحرير الانسانية والعمل على بناء عالم تسوده الاخوة والعدالة. كما انها امل الجماعات الرهبانية التي عرفت هزات عنيفة، فبوسع جماعات القاعدة ان تخلق مناخات عالية من الروحانية الاصيلة والحياة المشتركة.

ان مستقبل جماعات القاعدة وبالتالي مستقبل المسيحية، رهن بقدرتها على تخطي العقبات التي تعترضها وتجنب المخاطر التي تهددها، وابرزها خطر الانعزال والانكماش على الذات والانحراف عن الاهداف الانجيلية التي قامت من اجلها... ولكي تصبح حقا امل الكنيسة الجديد، عليها ان تسعى دوما لتجعل اعضاءها ينمون نموا شخصيا وجماعيا وتحملهم على ان يغرفوا من منابع الانجيل الصافية وتدفعهم الى الالتزام بقضايا الانسان. على الصعيدين الاجتماعي والسياسي، والمساهمة في بناء كنيسة جديدة وعالم جديد.

---

(١) G.Matagrin: préparer aujourd´hui L'égLeise de demain, Cerf, Paris 1976 , p.60

(٢) اعتمدنا في بحثنا هذا على دراسة مستفيضة عن "جماعات القاعدة" من كراسة نصف فصلية تصدر عن مركز Pro mundi vita: Communautés de base dans L'EgLise,No 62, Septembre 1976 الذي يعنى بشؤون الاعلام والبحوث الدينية ومقره بروكسل (بلجيكا)

الفكر المسيحي و«السياسة»

بين الحياد وبين الالتزام صراع قديم بقدم الصراع الذي كان يقسم المؤمنين بشان العلاقة بين الايمان والسياسة، ولا يزال البعض حتى اليوم يريد ان يبقي الايمان بعيدا عن كل "التزام سياسي" ايا كان شكله. من هذا المنطلق يأخذ بعضهم على الفكر المسيحي "تدخلها بالسياسة" والتزامها بالقضايا الانسانية والوطنية.

هذا المنبر يضع "قضية" الفكر المسيحي في الميزان بين كفتي المؤيدين والمعارضين، وهو بمثابة دعوة الى المؤيدين لتفحص اكثر عمقا لدوافع تاييدهم، بينما يدعو المعارضين الى اعادة النظر في دوافع معارضتهم، إن لم نقل في دوافع سخطهم.

●

لقد اصبحت "الفكر المسيحي" قضية ينقسم حولها الناس بين مؤيدين يرون فيها جوابا على تساؤلاتهم ويجدون فيها نافذة لتطلعاتهم المشروعة، وبين معارضين يتهمونها أنها شطت عن اهدافها فلم تعد تخدم قضية الانجيل. فالمؤيدون —وهم كثرة— تستهويهم بحوثها ومقالاتها التي لها صلة وثيقة بمعانيات انسان اليوم، ويطيب لهم ان يجدوا في "مجلة مسيحية" انفتاحا على معضلات العصر وعلى القضايا الاجتماعية — السياسية التي تواجه الكنيسة في بعض بلدان العالم، ويسرهم ان يقفوا، من خلال ما تقدمه لهم من أنباء، على مواقف الكنيسة هنا وهناك من المظالم الاجتماعية ووقوفها الى جانب الفقراء والمستغلين ومساندتها لحركات التحرر في العالم... بينما يرى المعارضون — وترجّع رسائلهم صدى سخطهم! — انها تتدخل فيما لا يعنيها، وتتطرق الى قضايا "سياسية" لا شأن للدين فيها، ويسوءهم ان تعنى المجلة ببلدان تتسم كنائسها بالالتزام وترتفع اصوات رعاتها في الدفاع عن العدالة والدعوة الى التحرر؛ ويسخطهم انها لا تلتقط من انباء الكنيسة في العالم الا ما يظهرها بمظهر الثائرة سواء على البنى الكنسية ام على البنى الاجتماعية — الاقتصادية والسياسية السائدة...

اننا نأبى ان ندخل في جدال عقيم حول ما يحق لمجلة مسيحية ان تقوله او لا تقوله في قضايا الايمان أو احداث الكنيسة. فالصحافة المسيحية لم تعد اليوم اسيرة القيود التي كانت تفرضها عليها السلطة الكنسية حين كانت تملي عليها ما ينبغي ان تقوله للقراء وما ينبغي ان تخفيه عنهم! والقراء انفسهم لم يعودوا يرضون بأن تعتبرهم الصحافة المسيحية اطفالا غير قادرين على الهضم، متخذة من ذلك حجة لممارسة الوصاية عليهم، مقدمة لهم ما يطيب لها ان يعرفوه وصامتة عما لا يطيب لها ان يطلعوا عليه والصحافي المسيحي نفسه بات يدرك بان عليه ان ينظر الى قرائه كبالغين يدفعه واجب الاحترام الى ان يقدم لهم ما

يحق لهم أن يعرفوه من أحداث، سواء كانت للكنيسة ام عليها، محاولا، جهد المستطاع، ألا يؤثر فيما يدلي به أو يكتبه على حكمهم الشخصي.

ونقولها صريحة ان مجلة مسيحية تريد ان تاخذ مكانها في عالم الصحافة —بالرغم من كونها "مسيحية"— ليست اداة للتبشير والوعظ، انما هي اداة اعلامية في الكنيسة تساعد قراءها على الاحاطة بما يجري في الكنيسة، على الصعيدين المحلي والعالمي، من احداث وما تتعرض له من قضايا، وما يعتلج في نفوس أبنائها من أفكار وآراء، وما يفرزه مفكروها ولاهوتيوها من بحوث او محاولات، وما يتخذه رعاتها وكهنتها من مواقف سواء كانت على الصعيد الراعوي أو الاجتماعي أو السياسي... فمن هذا المنطلق تريد "الفكر المسيحي" ان تكون اداة اعلامية في كنيسة العراق تقدم لقرائها اعلاما نزيها عن الكنيسة في العراق والعالم الى جانب ثقافة مسيحية من خلال طرح جديد لقضايا الايمان، هادفة الى خلق الوعي بين قرائها ولا سيما المؤمنين منهم، وحملهم على ممارسة مسؤولياتهم في الكنيسة والمجتمع.

وناتي الى موضوع الجدال بين المؤيدين والمعارضين لخط المجلة فيما يتعلق بالتزامها القضايا الاجتماعية — السياسية التي تتعرض لها الكنيسة في ارجاء العالم.

كتب م. ن. يشيد بانفتاح المجلة:

"يسرني ان الاحظ ان المجلة لم تعد تقتصر على معالجة القضايا الدينية، بل أخذت تنفتح على المعضلات الكبرى التي تواجهها البشرية كمعضلة العنصرية في جنوب افريقيا وروديسيا ومعضلة الدول النامية التي ما زالت تعاني من سيطرة الانظمة الراسمالية التي تقوم على الاستغلال... ويطيب لي ان اقرأ فيها مواقف الاساقفة، لا سيما في بلدان اميركا اللاتينية، الذين ياسم الانجيل يفضحون المظالم الاجتماعية وينددون ببنى الظلم والاستلاب وينادون بحقوق الانسان..."

بينما كتبت الينا ن. ع. تعبر عن استيائها "لتدخل" المجلة بالقضايا السياسية:

"... اذا كانت المجلة حقا "الفكر المسيحي" فما لها من قضية فلسطين تنادي بتحريرها محتجة على "الحلول الاستسلامية"؟ وما شأن الفكر المسيحي بانظمة سياسية تصف بعضها بالانظمة الفاشية وبعضها الآخر بانظمة القمع والعنف؟ وما لها واشتراكية تزانيا وحركة "مسيحيون من اجل الاشتراكية"؟

وكتب آخر متهما

"كيف يستشهد صاحب الهمسات" بماركس وهو الد اعداء المسيحية حين كتب يقول: "هذه الطبقة الجديدة، لو درى بها ماركس لسماها طبقة المسافرين"؟..."!

وبعثت الينا ج. ح. تشدد على ضرورة التزام المجلة بالقضايا الانسانية والوطنية:

"... ويعجبني فيها التزامها بمعضلات العالم الثالث ودعمها لحركات التحرر وانحيازها —بالمعنى الايجابي— الى جانب المظلومين والمستغلين... كما اهنيء القائمين عليها لمواكبتهم مسيرة القطر التقدمية ودعمهم للجهود التي تبذلها الثورة من اجل بناء عراق حر متطور".

بينما كتب ل. ف. رسالة طويلة معلنا احتجاجه على انحراف المجلة نحو قضايا يعتبرها "جانبية":

"... بينما راحت الاديبة الفلانية (كذا) تدعي الوطنية على حساب فكر المسيحية، مهملين صفحة كان بالامكان عوضها اعطاء شهادة مسيحية وطريقا سليما لشاب تاه بل تيهته مشاغل الدنيا المادية والفكرية والسياسية! ناهيك عن الصفحة الاولى التي راحت تصب كلماتها مغداقا..."

وكتب آخر بعين الصدد:

"وتحمل المجلة مقالات ليست حقا من الهام الانجيل مثل الفتاحية حزيران" ورسالة مفتوحة الى اخواني" وغيرها. فاما ان يكون كتابها مأجورين أو هم يتجاهلون الواقع..."

• متى كان الدين معزولا عن الحياة...؟

هذه العينة من ردود الفعل المختلفة التي ابينا الا ان نثبتها هنا تضعنا امام تساؤل خطير: متى كان الدين معزولا عن الحياة والمعضلات الانسانية؟

ومتى كان الايمان على طرفي نقيض من "الالتزام السياسي" بمفهومه العميق؟

وبأسم اية مبادىء يطلب من المؤمن ان يتجاهل قضايا وطنه المصيرية ويتنكر للمعضلات التي يتعلق بها مستقبل البشرية؟

ان كل محاولة —من اية جهة كانت— لعزل الدين عن حياة المجتمع الانساني ومنعه من تسليط الاضواء على معضلات البشرية هي محاولات طوباوية يكتب من خلالها على ذاك الدين انه لم يعد نداء الروح في عالم البشر. فالدين الذي لا تهمه قضايا الانسان المعاصر ولا توقظه معضلات العالم الراهنة هو اشبه ما يكون "بافيون" يلهي الناس عن المواقع التي يتم فيها تحررهم وخلاصهم. ومتى تحصن الدين في ابراج عاجية و لم يعد له صلة بانسان اليوم وبقضاياه المصيرية، لم يعد قادرا ان يرتفع بهذا الانسان الى قمم المطلق.

واذا كان الانسان المؤمن —والانسان المسيحي بنوع خاص— لا يحاول ان يعيش ايمانه مع كل التزاملته في واقع حياته اليومية بكل اوجهها —والسياسية هي احد ابرز هذه الاوجه— واذا لم يكن للايمان تلك القدرة النبوية على القاء الضوء على مشاكل الانسان ومعانياته، ايمان كهذا يخلق ازدواجية بغيضة في حياة المؤمن ويؤدي الى انفصام في شخصيته، ويصبح مصدر تعاسة للانسان.

والمؤمن، لاسيما المسيحي، الذي لا تهمه قضايا وطنه ولا يعتمل في نفسه الوعي بمسؤولياته الوطنية ولا يؤدي دوره في بناء وطنه وتطوره، على كافة المستويات، هو اشبه ما يكون بالعضو المريض الذي يعيش على حساب الآخرين ويأكل من عرق جبين الآخرين، وهو بالتالي أبعد ما يكون عن الايمان. فالايمان التزام، والالتزام دعوة الى المشاركة في كل ما يؤول الى خير المجموع.

• وهل يتعارض الايمان مع "الالتزام"؟

ومما تقدم يبدو لنا ان النزاع القائم حول الفكر المسيحي، مرده الالتباس الحائم حول مفهوم

الالتزام "والالتزام السياسي" بشكل خاص، بحيث ان المعارضين لخط الالتزام الذي تنتهجه المجلة يروجون بان هذا الخط يتعارض والايمان المسيحي ويعرض الايمان للخطر!

فالالتزام هو الشعور بان هناك روابط تربط الانسان بمصير ومستقبل اخوته البشر، وهو الوعي —بل اكتمال الوعي— الذي يحرك الانسان ويدفعه الى التضامن مع افراد مجتمعه ووطنه وعالمه، يشاركهم آلامهم وافراحهم، مشاكلهم وآمالهم، معضلاتهم وتطلعاتهم، وهو التصميم للعمل الذي يدفع بالانسان الى تجنيد طاقاته وكل امكاناته من اجل بناء مجتمع يسوده الاخاء وتستتب فيه العدالة وترفرف عليه الحرية. وهذا الالتزام يشمل كل اوجه الحياة، والالتزام السياسي هو واحد من ابرز اوجه الحياة، ويتخذ صيغا متعددة ولا يعني بالضرورة الانتماء الى حزب معين. فشعور المواطنة يدفع بالمواطن الى الالتزام بقضايا وطنه، وشعوره بالاخوة الانسانية الشاملة يدفعه الى الالتزام ببناء عالم افضل يكون اكثر انسانية واكثر عدالة.

ان المسيحي الملتزم —ونترك جانبا الآن موضوع الالتزام بالايمان والحياة المسيحية بكافة جوانبها— لا يتنكر لايمانه ولا يحيد عنه قيد شعرة ان هو التزم قضايا وطنه وعالمه، فالتزامه الاجتماعي— السياسي هو امتداد لالتزامه الايماني، لا بل يضحي تعبيرا ساطعا له، سيما وان التزامه بالايمان يضفي انوارا جديدة وابعادا عميقة على التزامه السياسي، أية كانت صيغة هذا الالتزام.

• الفكر المسيحي مجلة ملتزمة...

فالفكر المسيحي، حين تلتزم قضايا القطر والقضايا العربية، لا تفعل ذلك مداهنة او "مسايرة"، ولا تتلقى مقابل ذلك اجرا أيا كان نوعه. ان التزامها هذا نابع من قناعتها بان هذه القضايا هي قضاياها كما هي قضايا كل مواطن في هذا القطريشعر با ن عليه ان يضع لبنة في بناء الثورة؛ وقناعتها هذه تستمدها من وحي الانجيل ومن تعاليم المجمع المسكوني.

والفكر المسيحي حين تطرح قضايا انسانية لها صلة بقضايا الايمان، او تستعرض اوضاع كنيسة ما وتضعها في اطار الوضع الاجتماعي والاقتصادي — السياسي للبلد الذي تعيش فيه، فهي انما تفعل ذلك بدافع من واجبها الاعلامي ورغبة منها في ان تحمل قراءها على الاحاطة بصيغ الايمان الذي تعيشه كنائس الله في العالم وبصيغ الالتزام التي يتخذها ابناؤها ورعاتها، فضلا عن كونها تخلق في قرائها شعورا بالاخوة الشاملة والتضامن مع الشعوب التي تسعى الى الاستقلال والتحرر والعدالة.

والفكر المسيحي حين تنبش في وكالات الانباء وتقدم لقرائها انباء عما يجري في الكنيسة من احداث —لها ام عليها— يبرز من خلالها موقف اساقفة وكهنة او حركات من معضلات العالم الراهنة، بما فيها من جوانب سياسية اواقتصادية أو اجتماعية أو دينية...، لا تفعل ذلك بدافع "الاثارة"، بل تمليها عليها مهمتها الاعلامية، يقينا منها بأن الاعلام هو في حد ذاته شكل من اشكال "التثقيف" من شأنه ان يبلغ بقرائها الى مزيد من الوعي ويدفعهم الى التزام اكبر بقضايا كنيستهم ووطنهم وعالمهم.

منبر حر/ تشرين الاول ١٩٧٧

السلفادور كنيسة صامدة

في بطون ارض سلفادور تتفجر، بين آونة واخرى، براكين تهدد أمن اربعة ملايين من السكان. وفي الاونة الاخيرة يخيم، على ارض سلفادور، شبح الخوف والرعب على الفلاحين الذين تستغلهم ثلة من الملاكين، ويجتاح كنيسة سلفادور اضطهاد سافر بسبب وقوفها الى جانب المظلومين وفضحها التجاوزات على حقوقهم.

هذا المقال يرسم ملامح كنيسة تتسم بطابع الشجاعة والصمود.

●

"التقدمة التي نضعها على المذبح هي كنيستنا التي هزمها التروات البشرية... انها خبز مسحوق، كون هذه التقدمة تحمل طابع آلام المسيح، كنيسة مضطهدة ومسحوقة حتى الموت في شخص خدامها الذين انتزعت من فمهم كلمة الله حين ازهقت حياتهم".

بهذه الكلمات اوجز المونسنيور اوسكار روميرو رئيس اساقفة سلفادور، في ٣٠ حزيران، المأساة التي تتعرض لها الكنيسة منذ ان تسلم الجنرال كارلوس روميرو زمام رئاسة الجمهورية في شباط الماضي، والذي راح يمارس قسوة في اساليب القمع اكثر من سلفه مولينا.

بعد فوز الجنرال روميرو بانتخابات الرئاسة اصدر الاساقفة السلفادوريون، في شهر آذار، وثيقة هامة فضحوا فيها المظالم التي تجري في البلاد والامتهان الذي يمارس ضد حقوق الانسان والاضطهاد الذي تتعرض له الكنيسة في شخص كهنتها ورهبانها... وكان اول ضحية قربت على مذبح سلفادور، عقب هذه الوثيقة، الاب روتيليو كراند اليسوعي كاهن رعية اكويلاريس.

كان الاب كراند في طريقه الى قرية الـ بيزنال —مسقط راسه— لاقامة القداس، بصحبة شخصين، حين اطلق عليه الرصاص فسقط الثلاثة صرعى على الطريق! وحين قام بعض الفلاحين من اكويلاريس، بعد بضعة اسابيع من مقتل كاهنهم، باحتلال مزرعة سان فرانسيسكو في الـ بيزال، قامت الشرطة بملاحقة "المخربين" الذي يساندهم "الكهنة الحمر"(!)، أسفرت عن مقتل سبعة فلاحين وتوقيف ثلاثة من الآباء اليسوعيين وطردهم من البلاد. ومنذئذ لم تتوقف الحملة الارهابية التي تشنها السلطة، تساندها حركة "اليد البيضاء" أقصى اليمينية، ضد الآباء اليسوعيين، سواء بطرد الاجانب منهم، ام بتهديد الآخرين بالقتل ان لم يغادروا البلاد.

حملة تستهدف الكنيسة

وعقب الانذار الذي اطلقته حركة "اليد البيضاء"، في ٢١ حزيران، عن طريق الراديو الى الاباء اليسوعيين لحملهم على مغادرة البلاد، اعلن الرئيس الاقليمي بكل شجاعة: "لن نغادر البلاد". كما جاء في تصريح للمونسنيور آباريسيو رئيس مجلس الاساقفة السلفادوريين، عقب مقتل الاب الفونسو نافارو، في ايار، وعقب التهديد الموجه الى سبعة من الكهنة والمطران ريفيرا داماس الاسقف المساعد في العاصمة سان سلفادور، بان هذه الحملة لا تستهدف

اليسوعيين وحسب بل كنيسة سلفادور برمتها.

وبينما تواصل حكومة سلفادور طرد العديد من الكهنة الذين تتوجس فيهم "خطر على أمن الدولة"، من جراء مساندتهم للفلاحين ومطالبتهم بحقوق الفقراء وضحايا المظالم الاجتماعية، تواصل الكنيسة السلفادورية استنكارها لاساليب القمع والارهاب التي تمارس ضد كهنتها ورعاتها بغرض العدول بها عن تادية رسالتها، رسالة العدالة والتحرير التي تمليها عليها مبادىء الانجيل. ففي تصريح اصدرته رئاسة الاسقفية، بتوقيع رئيس الاساقفة وعدد من الكهنة والرهبان والراهبات والعلمانيين، جاء فيه: "اننا نشجب بشدة المحاربة التي لا مبرر لها ضد المنظمات التي تعمل من أجل رفاهية الفلاحين (...) والتعذيب الذي يخضع له الكهنة". وتضمن التصريح قرارا بتوقيف كل نشاطات المدارس الكاثوليكية، مدة ثلاثة ايام، والامتناع عن الاشتراك بالحفلات الرسمية بمثابة "علامة حزن واحتجاج".

بنية اقتصادية هزيلة

وتقع جمهورية سلفادور في اميركا الوسطى، بين كواتيمالا وهوندوراس، وتطل على المحيط الهادي. وهي من اصغر بلدان اميركا اللاتينية اذ تبلغ مساحتها ٢١،٣٩٣ كم٢، ولكنها من اكثرها كثافة، اذ يبلغ عدد سكانها ٤ ملايين معظمهم من الاقوام المزيج (٧٠%)، الى جانب قلة من الهنود الحمر (٢٠%) والبيض (١٠%)، وتدين الاغلبية الساحقة بالكثلكة. تبلغ نسبة الاميين في سلفادور ٦٥%، ويعمل اكثر من ٦٠% في الزراعة ولا سيما زراعة القهوة وقصب السكر والقطن، وكلها معدة للتصدير، بينما لا تكاد محصولاتها الغذائية من الارز والذرة تسد حاجة البلاد.

نالت سلفادور استقلالها عن اسبانيا عام ١٨٣٩، ولكنها لم تنعم بالاستقرار بسبب المضلات الاقتصادية التي لم تقو الحكومات المتعاقبة على معالجتها معالجة جذرية. لذا لم تتوقف، خلال السنوات العشر الاخيرة، هجرة عشرات الالوف من الايدي العاملة من الفلاحين الى هوندوراس لطلب العمل، مما حمل هذا البلد المجاور الى وضع حد لها اسفر عام ١٩٦٩ عن حرب بين البلدين ذهب ضحيته اكثر من الفي شخص.

هناك خلل واضح في بنية الاقتصاد السلفادوري، مرده بنية زراعية متأرجحة تفرز مئات الالوف من الفلاحين من دون قطعة ارض، يخضعون لظروف معاشية قاسية تحت

رحمة الاقطاعيين! فلا زال ٣/٢ من الاراضي الزراعية بيد ٤% من الملاكين. وتشير الارقام الى أنّ هناك سوء توزيع في الاراضي: فبينما تستثمر ٢٠٠ الف عائلة ١٥،٦% من الاراضي الزراعية التي تتراوح مساحتها بين ١- ٥ هكتار، تستغل ١٢٥ عائلة فقط ١٥،٧% من المزارع، حيث تزيد مساحة المزرعة الواحدة على ١٠٠٠ هكتار!

سوء التوزيع هذا يخلق ولا شك تفاوتا فاضحا في مستوى العيش بين المواطنين. ومما يزيد هذا التفوت عمقا هو ان نسبة الانتاج في مزارع كبار الملاكين -بحكم امكانياتهم المادية والتقنية- تفوق بلا حدود نسبة الانتاج في المزارع الصغيرة؛ فلا عجب اذا ما نمت في قلوب صغار الفلاحين بذار الثورة على هذه البنى الاقتصادية - الاجتماعية. لذا عمدت الدولة، دفعا للخطر المحدق، الى وضع قانون الاصلاح الزراعي عام ١٩٧٦، وباشرت بتنفيذ اولى مراحله في الاول من تموز الماضي. غير ان هذا القانون -على ضحالته وغموضه- اثار حقد كبار الملاكين واصحاب المؤسسات والشركات الاحتكارية، دفعهم الى القيام بحملة واسعة بغية ايقاف مغعوله.

ففي غضون هذه الحملة تمت الانتخابات الرئاسية في ٢٨ شباط ١٩٧٧ - واعتبرتها المعارضة انتخابات مزورة- اسفرت عن فوز مرشح القوى الحاكمة الجنرال كارلوس روميرو، فقامت مظاهرات شعبية واسعة ذهب ضحيتها المئات من المواطنين.

السيد رئيس الجمهورية

(...)

كل هؤلاء سجنوا أو قتلوا لانهم عبروا عن ايمانهم: فذلك اضطهاد واضح. ان ضمير عدد كبير من البشر في العالم، ولا سيما من الشباب المسيحي، قد جرح هذه الاحداث. فباسم الكرامة الانسانية جئت انادي مشاعرك المسيحية لتعمل كل ما في وسعك كي تضع حدا لمثل هذه الاحداث على أرض سلفادور.

سأطلب الى عضوين من اعضاء مجلس "مجمع الشباب" ليأتوا ويتحدثوا اليك. فاذا رفضت مقابلتهم، واذا بقيت رسالتي دون جواب، فسأعمل المستحيل للقدوم بنفسي الى سلفادور...

اني لا اجهل بأن كلام خادم فقير لا ثقل له... غير اني واثق في المسيح الناهض الذي هو يقرع باب قلبك البشري (...).

وتقبل يا سيادة رئيس الجمهورية، مشاعري الحزينة.

الاخ روجيه
رئيس جمعية تيزيه
١٥ آب ١٩٧٧

كنيسة مضطهدة ولكن شجاعة

لم تقف الكنيسة مكتوفة الايدي ازاء العنف والقمع اللذين اتسم بهما عهد الرئيس روميرو. فجاءت وثائق الاساقفة، الواحدة تلو الاخرى، تفضح التجاوزات ضد حقوق

الانسان، وتستنكر اساليب القمع والمطاردة التي تمارسها الشرطة بحق الفلاحين، وتحتج على الحملات المسمومة التي تقوم بها الشركات الاحتكارية ضد الكنيسة... وقد جاء في اول وثيقة اصدرها مجلس الاساقفة في اذار بان السلام لن يعود الى سلفادور "اذا لم يسع المسؤولون بجد الى توزيع ثروات الارض توزيعا عادلا، والى قبول مبدا مشاركة الشعب في الحياة العامة..."، فكان مقتل الاب كراند جوابا لها!

اثارت هذه الوثيقة والتصريحات التي اعقبتها حفيضة الملاكين الذين لا يروق لهم ان تقف الكنيسة الى جانب المظلومين والمستغلين. فعلى اثر مقتل ثمانية طلاب في مسيرة الاول من ايار، اختطفت "قوى التحرير الشعبية" وزير الخارجية وجد قتيلا في ١١ أيار. وفي هذا اليوم بالذات اغتيل الاب الفونسو نافارو، وعثر على منشورات في الاحياء السكنية من العاصمة تدعو: "ابنوا الوطن، اقتلوا كاهنا"!

لقد بدأت كنيسة سلفادور تتحرك في خط التجدد -وقد اطلق شرارته المجمع المسكوني- عام ١٩٦٨عقب انعقاد مجلس اساقفة اميركا اللاتينية في ميدلين (كولومبيا)، واجتاحها وعي عميق بمسؤولياتها في عملية التحرير التي تشمل كافة الميادين. وكان للآباء اليسوعيين دور كبير في خلق هذا الوعي بين الفلاحين ولا سيما بين الطلبة، عن طريق مؤسساتهم الاجتماعية والعلمية، مما حمل الجهات المحافظة على اتهامهم بأنهم "عملاء الماركسية". ولا عجب ان تنشر "منظمة كبار المزارعين" هذا الاعلان في صحف سلفادور: "الى متى نترك اليسوعيين يتحكمون بالبلاد"! او تقارن الكردينال كازاربيكو رئيس اساقفة كواتيمالا المحافظ برئيس اساقفة سان سلفادور الذي تأخذ عليه تطرفه وغموضه وسماحته!

ان كنيسة سلفادور على ثقة من ان دماء الابرياء من ابنائها ستكون بذارا للتحرر المنشود. ولن يقوى الاضطهاد او التهديدات او الاغتيالات التي يتعرض لها كهنتها ان تثنيها من اعلان بشرى الخلاص والتحرير، طالما يعلن اساقفتها: "لا يمكننا ان نتخلى عن الشعب أو نتلاعب به وبطموحاته".

المصادر:

- Solidaires/Peuples du monde, No.oct.1977
- I.C.I. NNoo. 514,516 - 1977

مقالات ١٩٧٨ المنسي

مع الشيخ محمد مهدي الخالصي/مقابلة /ك٢

+ متى تتحرر كنيسة اليونان؟ /ش.ر /ك٢

+ زائير: البحث عن الاصالة/ملف /ك٢ (ن.ع)

+ زيمبابوي: ولادة عسيرة/ملف /آذار

مع الكاثوليكوس فازكين الاول/مقابلة /آذار

+ تعامل جاد مع وسائل الابلاغ /حزيران

+ من سيخلف البابا؟ عدد خاص /أيلول

+ من بابا الى بابا /ش.ر/ت٢

** الرأي العام في الكنيسة/ملف /ك١

متى تتحرر كنيسة اليونان

في العشرين من ت٢ الماضي -وعاما كاملا قبل موعد الانتخابات- دعا رئيس الوزراء قوسطنطين كارامنلس الشعب اليوناني الى التوجه الى صناديق الاقتراع، وهو على يقين من فوز حزبه "الديمقراطية الجديدة". فالتضخم المالي الذي ورثته البلاد من عهد الدكتاتورية قد هبط من ٣٥٪ الى ١١,٧ ٪، واجريت تعديلات على الدستور، وتمت اصلاحات هامة في ميدان التعليم ورفع مستوى العيش لدى الطبقات الفقيرة...

لقد فاز حزب كارامنلس بالانتخابات بـ ٤٣٪ من الاصوات (١٨٠ كرسي من اصل ٣٠٠) مسجلا تراجعا بالنسبة الى انتخابات عام ١٩٧٤ حين فاز بـ ٢١٥ كرسيا. وكان هذا التراجع لصالح الحزب الاشتراكي الذي يرئسه اندرياس باباندريو (٢٥٪) والاحزاب اليمينية والفاشية الجديدة(٧,٥٪)، وقد احتفظ الحزب الشيوعي الموالي للاتحاد السوفيتي بـ ٨٪ من الاصوات، بينما سجل "اتحاد الوسط" هبوطا من ٢٠٪ الى ١٢٪.

سيواجه السيد كارامنلس معضلات كبرى من جراء احتمال تدهور الوضع الاقتصادي من جهة، ومن جراء معضلات السياسة الخارجية القائمة من جهة اخرى، كالنزاع التركي - اليوناني حول بحر

ايجة ومشكلة قبرص... ومن بين المعضلات الداخلية التي سيترتب على رئيس الوزراء ان يجد لها حلا مرضيا، بالرغم من التعديل الدستوري الذي اجري في ايار الماضي، مشكلة علاقة الكنيسة بالدولة، هذه الكنيسة التي تصر على الحفاظ على امتيازاتها وتابى ان تجدد بنيتها التقليدية التي كانت لاجيال خلت رصيدها ومصدر نفوذها.

هذا المقال يرسم ملامح الكنيسة اليونانية الارثوذكسية التي ينتمي اليها اكثر من ٩٠٪ من المواطنين اليونان، ونتساءل: متى يتم فصل الكنيسة عن الدولة؟

دين الدولة الرسمي!

اذا صادف وكنت في اثينا يوم الجمعة العظيمة او ليلة عيد القيامة، ستستوقفك وتدهشك ولا شك تلك التطوافات التي تجري في الشوارع يترأسها رئيس الاساقفة والاساقفة ويتبعهم الوزراء ورجال الحكومة وينظمها الجيش. فأمام رئيس الاساقفة يؤدي رئيس الجمهورية والوزراء اليمين الدستوري، وبحضور الاساقفة يتم افتتاح المعامل والمعارض والمشارع والمؤتمرات... ذلك لان الارثوذكسية هي دين الدولة الرسمي.

لقد عاشت الكنيسة اليونانية الارثوذكسية مدة اجيال متمتعة بامتيازات لا يحلو لها ان تتنازل عنها اليوم، واكتسبت ثروات باهضة لا يطيب لها اليوم ان تتخلى عنها، وتأصلت فيها تقاليد وعادات تأبى ان تمسها يد التجديد خشية ان ينهار البناء وتتزعزع اركانه!

فحين احتج رئيس اساقفة اليونان هيرونيموس على تولي الجنرال فيدون غيزيكيس رئاسة الجمهورية عقب الانقلاب العسكري عام ١٩٦٧، اضطر الى الاستقالة، فانتخب السينودس خلفا له المطران سيرافيم احد اصدقاء الجنرال القدامى، وامامه ادى الرئيس اليمين الدستوري. وما زال النزاع قائما في السينودس بين مؤيدي سيرافيم ومؤيدي سلفه هيرونيموس. فبين يدي سيرافيم ادى كارامنلس في ٢٤ تموز ١٩٧٤ اليمين الدستوري حين استدعي من منفاه في فرنسا ليتولى رئاسة الوزراء بعد الاطاحة بالحكم العسكري الذي دام سبع سنين. وحين احتج متروبوليت فلورينا اوغسطينوس —وهو اكثر الاساقفة محافظة— على القانون الذي يفرض الزواج الكنسي على جميع المواطنين حتى وان كانوا ملحدين، بقي سائر الاساقفة غير آبهين بما قد يتمخض عن هذا التمسك الشديد بالقوانين والذي لا يخدم مصلحة الكنيسة.

ان هذا الوضع غير الطبيعي في كنيسة اليونان حمل البرلمان اليوناني، في ٢٧ ايار الماضي، الى اصدار القانون رقم ٥٩٠ بعد مفاوضات عسيرة بين وزير الاديان والسينودس المقدس، وكان يهدف الى استقلال الكنيسة عن الدولة. وينص التعديل الذي اجري على الدستور على ان "ديانة الاغلبية هي ديانة الكنيسة الشرقية التي تعترف بيسوع المسيح رئيسا، وهي متحدة عقائديا بكنيسة القسطنطينية الكبرى". ويلاحظ ان هذا الدستور الجديد اسقط عبارة "دين الدولة" عن الكنيسة الارثوذكسية معتبرا اياها "ديانة الاغلبية". وفيما تنص الفقرة الاولى من القانون على استقلال الكنيسة اليونانية، تنص الفقرة الثانية منه بان الكنيسة "تتعاون

مع الدولة فيما يتعلق بالقضايا التي تخدم المصلحة العامة" مؤكدة انها تتمتع بحماية الدولة كل مرة مست حقوقها باذى.

كما حدد القانون الجديد عدد الاساقفة (٤١ متروبوليت يخضعون لرئاسة اسقفية اليونان، الى جانب ٣٤ متروبوليت يخضعون للبطريركية المسكونية في الفنار- استانبول)، وكان عددهم قد تضخم على عهد الدكتاتورية العسكرية. ومن الجدير بالذكر ان القانون الجديد اتاح للاساقفة ان يحتكموا لدى البطريرك المسكوني في القسطنطينية في القضايا الشائكة. غير ان استقلال الكنيسة الذي نص عليه التعديل الدستوري يبقى محدودا طالما بقيت الدولة تتكفل بمعيشة الاكليروس وتؤمن حاجات المدارس الاكليريكية... وتجدر الاشارة الى ان الحزب الاشتراكي كان يدعو الى الفصل الكامل بين الكنيسة والدولة الذي هو "لمصلحة الطرفين"، ويشاركه في هذا الراي عدد كبير من المواطنين اليونان الذين لم يعودوا يرضون ان يحملوا عبء الكنيسة الثقيل على الحياة العامة!

كنيسة حان لها ان تستقل

ويعد اليونان الارثوذكس ٨،٥ مليون في بلد يبلغ عدد نفوسه حوالي ٩ ملايين، يخدمهم حاليا ١٠٨ اساقفة وبضعة الاف من الكهنة، فضلا عن ٧٠٠ راهب و ١٧٦٠ راهبة. وقد استقلت كنيسة اليونان عن البطريركية المسكونية عام ١٧٥٠، بينما بقيت كنيسة جزيرة كريت (٨ ابرشيات) وجزر دوديكانيس (٤ ابرشيات) متحدة بالقسطنطينية، بالاضافة الى جبل آتوس حيث تبدو الحياة الرهبانية في ازدهار بالرغم من قلة ثقافة الرهبان.

والى جانب اليونان الارثوذكس، هناك عدد ضئيل من الكاثوليك من الطقس البيزنكي الذين قدموا الى اليونان بعد ان طردوا من تركيا حسب معاهدة لوزان لعام ١٩٢٢، وكان عددهم آنذاك حوالي ٣٠٠٠ شخص. ويدير شؤونهم المونسنيور انارجيروس برينتيزيس الذي عينه البابا بولس السادس عام ١٩٧٤، يعاونه ١٥ كاهنا و٢٩ راهبة. ولا زالت الكنيسة الارثوذكسية تنظر اليهم بعين الحذر خشية ان "يكتسبوا" الى صفوفهم بعضا من رعاياها! ويرقى هذا الموقف الى عهد الصليبيين الذين ارادوا ان يفرضوا الطقس اللاتيني على الكنيسة اليونانية. وتظهر اثار هذا الحذر ازاء المساعي المسكونية التي تبذل من اجل التقارب بين الكنيستين الارثوذكسية والكاثوليكية، وبهذا الحذر عينه قوبلت مبادرة رئيس الوزراء عام ١٩٧٦ لاقامة علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان، منيت بالفشل تحت ضغوط السينودس المقدس (راجع عدد ك٢ ١٩٧٧، ص٣٨).

ان الكنيسة اليونانية تبدو منقلقة على ذاتها وتابى ان تعيد النظر في بنيتها الهرمية وتنسى انها اخذت تفقد رصيدها بين ابناء الجيل الصاعد الذين يتحولون عنها؛ فلم يعد يستهويهم البقاء في احضانها، سيما وهم يجدون انفسهم ازاء اكليروس جاهل لا يكاد ٢٠% منه قد حصل على ثقافة عالية. فقد كتب السيد كوسيديس استاذ كلية اللاهوت في تسالونيقي: "هل من الممكن ان يكون للاكليروس من اصل ريفي، عدم الثقافة وطاعن في السن تاثير على جيل الشباب

المثقف...ان معضلة الاكليروس ليست معضلة الكمية بل معضلة النوعية"!

ويدرك الكثيرون من ابناء هذه الكنيسة انها ان لم تستقل تماما عن الدولة لن تستطيع ان تمارس دعوتها ورسالتها بتراهة وتجرد. فالمؤمنون اليونان لم يعودوا يرضون ان تبقى كنيستهم اسيرة نظم وتقاليد تفقدها دورها النبوي في حياة المجتمع العصري. بهذا المعنى كتب الارشمندريت كاليستوس عام ١٩٧٦ في "مجلة الكنائس الشرقية" الصادرة في اكسفورد: "ان الفصل سيحمل الكنيسة على مزيد من التواضع ويمنحها قوة داخلية وسلطة روحية". عسى تصغي الكنيسة اليونانية الى هذا النداء الذي اصبح ضرورة ملحة.

ش. ر. / ك٢ ١٩٧٨

زائير "الدولة من الاصالة"

زائير "عملاق افريقيا الوسطى" من حيث المساحة (٢,٣٤٥,٠٠٠ كم٢) والنفوس (حوالي ٢٥ مليون نسمة) كانت تسمى "الكونغو البلجيكية" الى ان نالت استقلالها في ٣٠ حزيران ١٩٦٠، واتخذت اسم "زائير" في ٢٧ ت١ ١٩٧١، وهو الاسم الذي أطلقه على نهرها -اغزر نهر في العالم والثالث طولا (٤٧٠٠ كم)- الرحالة دييغوكام حين اكتشفها عام ١٤٨٢.

هذا البلد الذي يعد اكبر بلدان افريقيا بعد السودان والذي يأتي في المرتبة الرابعة من حيث السكان بعد نيجيريا ومصر واثيوبيا، كان مسرحا تنازعت عليه المطامع الاستعمارية، وتهدد اليوم القوى الداخلية أمنه واستقراره السياسي والاقتصادي. وما الاحداث التي جرت في آذار الماضي في اقليم شابا -اكثر الاقاليم ثروة وثور- سوى علامة تنبئ بالخطر المحدق بسياسة الرئيس موبوتو ملهم "الاصالة".

كانت لمذهب الاصالة، هذه "الديانة الجديدة"، مردودات، بعضها ايجابية وبعضها سلبية على حياة كنيسة زائير الحديثة العهد. فبعد ان اصطدم اساقفتها بالرئيس موبوتو، اخذت تسعى هي الاخرى الى البحث عن الاصالة في رسالتها وطقوسها وممارساتها في محاولة "لافرقة" المسيحية...

هذا الملف يحكي مسيرة هذا البلد العملاق وكنيسته التي ما زالت تبحث عن كيفية تأدية دورها النبوي في خضم الازمات التي تجتاح زائير -ظهر الملف حاملاً الحروف الأولى (ن.ع.).

●

تقع زائير في وسط افريقيا على جانبي خط الاستواء، وتحدها تسع دول، وتحاذي بحيرة طنجانيقا حدودها مع تنزانيا. سطحها سهل واسع يتوسط البلاد وتغطيه غابات استوائية شاسعة، يعيش فيها مختلف انواع حيوانات الغابات. ولزائير مناخ شبه قاري يمتاز بحرارته المرتفعة والثابتة، وبرياح خفيفة وامطار غزيرة. وتعتبر زائير احد اغنى بلاد العالم بمعادنها ولا سيما النحاس (٨١% من صادراتها)، فضلا عن منتوجاتها الزراعية. غير ان الخصومات السياسية التي منيت بها البلاد اضعفت من اقتصادياتها كثيرا.

وينتمي الزائيريون الى خمس مجموعات عرقية اهمها البانتو، ويتكلمون اكثر من ٢٥٠ لغة محلية ابرزها اللينكالا والسواحيلي، وتعتبر الفرنسية لغة البلاد الرسمية.

لمحات من التاريخ

من المعتقد ان سكان زائير الاصليين هم اقوام الـ "pygmies" الذين نجدهم في الغابات النائية. اما البانتو فقد وفدوا الى البلاد في حوالي ٥٠٠ قبل الميلاد واقاموا لهم

دويلات عرفت بمملكات الغاب، واهمها مملكة الكونغو التي كانت تمتد الى انغولا والكونغو الحاليتين. وكان اول من اكتشف زائير البحار البرتغالي دييغوكام عام ١٤٨٢ حين كان يحاول الوصول الى الهند عن طريق راس الرجاء الصالح، ومنذئذ تغلغلت فيها الحضارة الاوربية ومعها دخلت المسيحية الى البلاد.

وتوافد الاوروبيون وراحوا يستغلون ثروات القارة الافريقية الغنية بالمعادن الى ان عمدت الدول الاوروبية في القرن ١٩، بحجة القضاء على تجارة الرقيق، الى فرض سيادتها واقتسام دول افريقيا فيما بينها. وهكذا اصبحت "الكونغو" دولة مستقلة يرئسها بصفة شخصية الملك ليوبولد الثاني ملك بلجيكا، بقرار مؤتمر برلين عام ١٨٨٥، وقد لاقت مطامع الملك ليوبولد في الكونغو معارضة شديدة من قبل البلجيكيين، وتفاقم الخلاف بين الملك وحكومته حتى انتهى عام ١٩٠٨ باعتبار الكونغو مستعمرة بلجيكية.

وراحت بلجيكا تنتهج سياسة تهدف الى تحسين احوال الكونغوليين ورفع مستواهم الثقافي. غير ان شعب الكونغو لم يكن ليطمئن الى مخططات بلجيكا الاستعمارية؛ وتفاقم الشك حتى اصبح نزاعا في فترة الحرب العالمية الثانية، سيما بعد ان قدم الكونغوليون ضحايا كثيرة بسبب وقوفهم الى جانب الحلفاء في حربهم ضد دول المحور. واخذ الوعي الوطني يتنامى في نفوس الكونغوليين وتعمق لديهم الشعور بشخصيتهم وهويتهم الافريقية حتى بات استقلالهم ضرورة حتمية رضخت لها بلجيكا في نهاية الامر حين اعلن الملك بودوان الاستقلال في ٣٠ حزيران ١٩٦٠.

وما ان تسلم الرئيس جوزيف كازافوبو مقاليد الحكم يعاونه رئيس وزرائه باتريس لومومبا حتى اعلن موئيز تشومبي في ١١ تموز ١٩٦٠ استقلال اقليم كاتانغا (اقليم سابا حاليا)، مما جر الى منازعات عنيفة زعزعت قوام السلطة المركزية وذهب لومبابا ضحيتها، وتدخلت الامم المتحدة لانهاء الازمة، ودفع همارشولد امينها العام ثمنها في حادث طائرة.

موبوتو سيسي سيكو

لقد عمت الفوضى جمهورية الكونغو الديمقراطية خلال الاعوام الخمسة الاولى بعد الاستقلال الى ان وضع العميد موبوتو حدا لها حين قاد الانقلاب العسكري في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٦٥، فعاد الامن واستتب الاستقرار بعد ان دفع ثمنهما اكثر من مليون قتيل! وقد صرح موبوتو امام الجمعية العامة للامم المتحدة عام ١٩٧٣ قائلا: "ان الوضع الذي عشناه منذ عام ١٩٦٠ وحتى عام ١٩٦٥ كان محطما لشعبنا "بحيث اصبحت الفوضى مرادفة لكلمة "الكنغلة"!

بدا عهد الرئيس موبوتو باراقة الدماء بغية القضاء على حركة التمرد في اقليم كاتانغا، فحكم بالاعدام على زعيم الحركة تشومبي ووجه نداء الى المسلحين كي يعودوا

الى صفوف الجيش، وكان مصير العائدين منهم الاعدام. وبتنظيمه "حركة الثورة الشعبية"، استطاع موبوتو، خلال السنتين الاوليين من تسلمه زمام الحكم، ان يضع حدا للانقسامات، ساعيا نحو تحقيق الوحدة الوطنية تحت شعار الاصالة. وهذه الاصالة يشاء موبوتو ان تكون منطلقا وقاعدة للبناء الثوري في زائير، حين اعلن بأن زائير "ليست يسارية ولا يمينية، اي انها ليست لا رأسمالية ولا شيوعية. انها تريد ان تكون اصيلة"!

ولد سيسي سيكو موبوتو في ١٤ ت١ ١٩٣٠. وبعد الدراسة التحق بالجيش، وفي عام ١٩٥٦ اتجه نحو الصحافة. وفي خلال دراسته في بروكسل عينه لومومبا ممثلا للحركة الوطنية الكونغولية في اجتماعات المائدة المستديرة التي اسفرت عن استقلال الكونغو. وبعد الاستقلال عين قائدا للقوات المسلحة وساهم في قمع حركة اقليم كاتانغا الى ان استولى على الحكم واعلن نفسه رئيسا للجمهورية في ٦ ك٢ ١٩٦٦.

البحث عن الاصالة!

ان منطلق الرئيس موبوتو في ارساء سياسته على مبدأ "الاصالة" هو رفضه الجازم للتبعية التي خلفها الاستعمار في نفوس الزائيريين. فهو يأبى ان تضحي زائير نسخة لبلدان اوربا، ويريد ان تعتز بافريقيتها وتستمد حيويتها من ينابيع حضارتها وتراثها الاصيل، ويقول: "علينا ان نعي شخصيتنا وقيمنا الذاتية، وان نبني اعمالنا على معطيات نابعة عن الواقع الوطني". ويرى ملهم ايديولوجية الاصالة ان على الزائيريين ان يقطعوا صلتهم بكل ما هو مستورد وبكل ما لا يتفق ومفاهيمهم وعاداتهم. من هذا المنطلق تمت العودة الى الاسماء الافريقية، وراح الزائيريون يعتزون بملابسهم وازيائهم الشعبية... وما هذا التغيير سوى علامة لتحول جذري يشمل كافة النواحي السيكولوجية والفكرية. وبهذا المنطوق راح الحزب الحاكم يشدد على اهمية عبادة الجدود حتى ان الناطق الرسمي باسم الحزب صرح يوما: "ان حركة الثورة الشعبية تشدنا الى الله عن طريق جدودنا المتوفين، تلك هي شركة القديسين بالنسبة الينا نحن الزائيريين"!

طالما يبقى مذهب الاصالة في هذا الاطار الوطني، فلا باس. غير ان الرئيس موبوتو يشاء ان تضحي الاصالة شبه ديانة جديدة، بحيث باتت تصريحاته تخدش مسامع الشعب الزائيري. وعلى سبيل المثال نذكر هذه العبارات: "ولد لنا مخلص. مخلص جاء ليذكرنا بتقاليدنا الخاصة. انه يعيش فيما بيننا. وسوف يختفي يوما على شبه المسيح... انه ليس الها، انما هو مرسل الجدود ليعلمنا الوفاق فيما بيننا ويخلص زائير وكل افريقيا والعالم"!

ومن الجدير بالذكر ان ايديولوجية الاصالة استطاعت ان تحقق تضامنا بين الزائيريين، غير انها لم تقو على مجابهة الازمة الاقتصادية التي مرت ولا تزال تمر بها زائير. فبعد التحمس الذي لقيه مذهب الاصالة حتى عام ١٩٧٣ وما رافقه من تاميم لكافة المؤسسات والشركات الاجنبية وما نتج عن هذا التاميم من نهضة صناعية الى جانب

فوضى اقتصادية، اضطر موبوتو في ٣٠ كانون الاول ١٩٧٤الى التحول الى سياسة زراعية لم يكتب لها النجاح. وساعدت ازمة البترول العالمية على تضعضع الاقتصاد الزائيري الذي كان يعتمد على تصدير النحاس بالدرجة الاولى، لاسيما بعد ان فقد هذا المعدن ٦٠% من قيمته في اسواق الدول المصنعة، حتى ان زائير اضطرت الى اقتراض ٢٥٠ مليون دولارعام ١٩٧٦ من صندوق النقد الدولي، مما يدل على فشل ايديولوجية الاصالة التي ما عتمت ان تحولت الى ما يسمى "بالموبوتية"! وهذا ما يفسر موجة الاستياء في مناطق عدة من البلاد ولا سيما في اقليم شابا الذي شهد لأشهر خلت احداثا دامية كان لها اثرها الكبير على تدهور الاقتصاد.

كنيسة زائير

دخلت المسيحية الى زائير عام ١٤٨٤ حين اصطحب دييغوكام اربعة افارقة مثلوا امام الملك جان الثاني ملك البرتغال وعادوا بعد ان نالوا العماذ! وتمت رسامة اول اسقف كونغولي عام ١٥١٣ حين بعث احد السلاطين المتنصرين ابنه الى اوربا للدراسة وعاد وقد رسمه البابا ليون العاشر اسقفا باسم المطران هنري! الا ان المسيحية انتشرت بشكل واسع حين فتح الآباء البيض اول رسالة لهم عام ١٨٩١ وتبعهم اليسوعيون عام ١٨٩٣، ومن ثم توافدت الارساليات التبشيرية الكاثوليكية والبروتستنتية، فانتشرت المدارس والمستشفيات وتغلغلت المسيحية في كل اطراف البلاد.

وفي عهد الاستقلال، عانت زائير هزات عنيفة بالرغم مما بذلته من جهود للتكيف مع الاوضاع الجديدة. ففي الفترة بين عامي ١٩٦١ – ١٩٦٢ ذهب ٢١ مرسلا ضحية الاضطرابات التي عمت البلاد. كما ان احداث عام ١٩٦٥ ذهبت بحياة اسقف واحد و٧٣ كاهنا و١٤ رهبا و٣٠ راهبة، بينهم ٦ زائيريون اعدموا، فضلا عن عدد من الرعاة البروتستنت. وتعزى هذه الاحداث الى ان معظم الاساقفة والكهنة والرهبان حتى عام ١٩٦٠ كانوا من الاجانب، فكان من العسير الا تمتزج صورة الاستعمار بصورة المرسلين. غير ان الكنيسة في زائير فطنت سريعا للخطر الذي يهدد وجودها وعمدت الى زيادة عدد الاساقفة الزائيريين، فاصبح عددهم ٣٩ اسقفا عام ١٩٧٥ بينما كان ٤ عام ١٩٦١! كما سعت، بوحي من المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، الى تقييم اصالة الحضارة الافريقية واستلهامها في طقوسها وممارساتها.

الكنيسة في ارقام

يشكل المسيحيون حوالي ٥٣% من مجموع السكان، بينهم ١،١٠٠،٠٠٠ من البروتستنت و١٠ ملايين من الكاثوليك، موزعين على ٤٨ أبرشية ويخدمهم ٤٨ اسقفا بينهم ٣٩ اسقفا زائيريا، الى جانب ٦٥٠ كاهنا واكثر من ٣٠٠٠ راهب و ٤٢٠٠ راهبة فضلا عن ٥٣٠ اكليريكيا يستعدون للكهنوت.

... في بحث عن اصالتها

حين اعلن الرئيس موبوتو عام ١٩٧٢ مذهب الاصالة وعمد الى تاميم المدارس والمؤسسات المسيحية واستبدال الاسماء المسيحية باسماء افريقية.. اصطدم به الكردينال مالولا رئيس اساقفة كينشاسا واضطر الى مغادرة البلاد لبضعة اشهر. ومنذئذ تبنت كنيسة زائير خطة اكثر واقعية وجرأة، فانطلقت في البحث عن اصالتها، ورأت في تعليم المجمع حول استقلالية الكنائس المحلية ما يشجعها للسير في هذا الاتجاه. واشرف الاساقفة الزائيريون على دراسة لاهوتية عميقة تهدف الى نفخ المسيحية بروح افريقية حتى ان الكردينال مالولا صرح امام سينودس الاساقفة المنعقد في روما عام ١٩٧٤: "في الامس عمل المرسلون على تنصير افريقيا، واليوم ينبغي لمسيحيي افريقيا ان يؤفرقوا المسيحية"! واضاف قائلا بان حركة الاصالة هي ثورة ثقافية من شانها ان تعيد للشعب روحا زائيرية، وهذا يعني ازالة الاستعمار حتى اذا كان دينيا!

وراحت كنيسة زائير تصب اهتمامها في اتجاهين، اولهما افرقة الطقوس وثانيهما خلق "جماعات القاعدة" التي تنسجم وبنية المجتمع الزائيري. ففي مجال الطقوس، عمدت عدة خورنيات، ولا سيما في العاصمة كينشاسا، الى خلق "طقس زائيري" مستوحى من العادات والتقاليد الافريقية الاصيلة. اما في نطاق بنية الكنيسة، فقد اصطدم التحديد الطقسي بمشكلة قلة الكهنة سيما بعد مغادرة العديد من المرسلين الاجانب. وللتغلب على هذه الازمة، قرر الاساقفة منذ بضع سنوات مضاعفة الخدمات المعهودة الى العلمانيين "وتفجير" الخورنيات —على حد تعبير الكردينال مالولا— الى جماعات صغيرة تعهد الى منشط علماني يدعى "موكامبي" (mokambi) تختاره الجماعة لمؤهلاته الانسانية والروحية وتؤيد انتخابه السلطة الكنسية. ويتلقى الباكامبي (جمع موكامبي) ثقافة عميقة في الكتاب المقدس واللاهوت خلال ثلاث سنوات او اربع سنوات، ويمارسون رسالتهم بالاتحاد مع كاهن الخورنية الذي يقوم بدور المنسق بين مختلف الجماعات الصغيرة القائمة في خورنيته والتي يتراوح عددها بين ١٠ — ٣٠ جماعة. وقد حدث في ابرشية كينشاسا ان عهدت خورنيات بأكملها الى علمانيين اشرف الكردينال ذاته على تنصيبهم...

الكنيسة ازاء "الديانة الجديدة"!

بوحي الاصالة التي ينادي بها الرئيس موبوتو، عمدت كنيسة زائير الى تجديد بنيتها وتطوير اسسها والتكيف مع مقتضيات اوضاع البلد الراهنة. غير انها اصطدمت سريعا باصالة ارادها موبوتو "ديانة جديدة" وتعرضت لحملة معادية قادها، باسم العلمنة، الحزب الحاكم، حزب "حركة الثورة الشعبية"، وشملت منع تعليق الصلبان في الاماكن العامة، فالغاء التعليم الديني في المدارس والاستعاضة عنه بدروس الوطنية والاخلاقية، فالغاء عطلة يوم عيد الميلاد الخ...لقد قبلت الكنيسة الزائيرية ان تتخلى عن مؤسساتها الصحية والاجتماعية والتربيوية المؤممة في وقت اصبح في امكان الدولة ان تقوم بهذه الخدمات،

لكنها تابى ان تصبح حركة الثورة الشعبية كنيسة جديدة والاصالة دينا جديدا، وترفض ما قاله الناطق الرسمي للحزب في تصريح له في ٤ ك١ ١٩٧٤: "يجب ان تعتبر حركة الثورة الشعبية منذ الان شبه كنيسة، وان يعتبر مؤسسها شبه مسيح"!

فازاء هذه المفاهيم وهذه الاجراءات التعسفية، لم يتردد اساقفة زائيرمن اصدار بيان في كانون الثاني ١٩٧٥ اعربوا فيه عن قلقهم تجاه هذه "الديانة الجديدة" وابدوا استنكارهم للحملة التي تتعرض لها الكنيسة الكاثوليكية بنوع خاص من خلال الضغوط التي تمارس ضد حرياتها الاساسية، سيما بعد ان الغيت دروس الدين ومنعت الصحافة المسيحية وضيق الخناق على الحركات الرسولية والغيت المعاهد اللاهوتية في الجامعة الوطنية... وقد ابدى الاساقفة تحفظهم من "الخلط بين الايمان والحضارة" موضحين بانهم، مع قبولهم مبدا العودة الى الاصالة والاخذ بالقيم التقليدية، يأبون أن يتنكروا لايمانهم المتجسد في الحضارة.

ان كنيسة زائير تعيش منعطفا هاما من وجودها، فهي لا تريد ان تستسلم للقنوط وتابى ان تصبح "كنيسة الصمت"، فهذه الهزات التي خضتها الهمتها ان تمارس دورها النبوي والذي يقوم في قول كلمة الحق حتى اذا كانت تلك الحقيقة تؤلم سامعيها وتثيرهم. كما ان هذا الدور يحتم عليها ان تكتنه، من خلال الاحداث التي تمر بها، "علامات الازمنة" فتعود الى ذاتها في مراجعة حياة لتخرج وقد تطهرت من اخطائها الماضية ونزعت عنها ما علق بها من اثار الاستعمار، فتضحي كنيسة زائيرية اصيلة في قلب الكنيسة الجامعة".

زيمبابوي: ولادة عسيرة

ايان سمث، جوشوا نوكومو، روبرت موكابي، ابيل موزوريوا، نداباننيكي سيتول، جريما شيرو، واسماء تتردد يوميا على صفحات الجرائد ونسمعها في نشرات الاخبار في الاذاعة والتلفزيون. وتختلط هذه الاسماء التي تمثل تيارات مختلفة على الساحة الروديسية حيث تجري حرب طاحنة بين قوات سمث رئيس وزراء نظام روديسيا العنصري وقوات التحرير الوطنية بقيادة نوكومو وموكابي زعيمي الجبهة الوطنية لتحرير زيمبابوي.

وفي الوقت الذي يتطلع العالم كله الى ولادة زيمبابوي التي من المؤمل ان يتمخض بها العام الحالي، تفتق ذهن العنصري العنيد سمث عن اتفاقية ابرمها في ٣ آذار الجاري مع بعض القادة المنشقين من امثال موزوريوا وسيتول وشيرو لغرض تسوية ما يسمى بالقضية الروديسية، وما هذه التسوية سوى تغطية للتضعضع الذي اصاب نظامه من جراء تردي الوضع الاقتصادي وتصاعد الكفاح المسلح الذي اجتاح القسم الاكبر من البلاد حتى بلغ قلب العاصمة سالزبوري.

وفيما يحيي العالم في ٢١ آذار -وهو اليوم العالمي للقضاء على التمييز العنصري- ذكرى المذبحة الوحشية في شاربفيل، نقدم لقرائنا هذا "الملف" مساهمة منا في توعية الراي العام على مآسي الانظمة العنصرية، سيما ونحن نعيش في عام ١٩٧٨ المخصص لمحاربة العنصرية.

●

القضية الروديسية"

حين اعلن ايان سمث رئيس وزراء روديسيا في ٢٤ ايلول ١٨٧٦ بانه مستعد بان ينقل الحكم الى الاغلبية في البلاد، سرت موجة من الارتياح في كل جنبات العالم، ونال كيسنجر الذي قاد المفاوضات آنذاك ثناء الاوساط العالمية! غير ان هذا الارتياح كان ممتزجا بقسط كبير من الدهشة لدى العديد من المراقبين السياسيين الذين لم يكونوا ليعتقدوا بان سمث يهتدي بتلك السرعة!

وحين فشلت مساعي المبعوث البريطاني ايفور ريتشارد في ك٢ ١٩٧٧، اعلن ناطق باسم وزارة الخارجية الاميركية في واشنطن قائلا: "يبدو ان السيد سمث يبحث عن تسويف للقضية"!

وحين احرز حزب "الجبهة الروديسية" في انتخابات ٣١ آب ١٩٧٧ بالخمسين مقعدا (ولا يتمتع الافارقة الا بـ ١٦ مقعدا فقط!)، اعلن سمث رئيس الجبهة في مؤتمر صحفي: "لقد حصلت على تاييد يمكنني من ان ارفض اقتراحات لندن وواشنطن غير

المقبولة"! واستطاع سمث –وقد نال ثقة ٦٠ الفا من البيض (بنسبة ١/١٠ من السكان !)– ان يرفض غداة الانتخابات "خطة السلام" الانكلو – اميركية التي اقترحت فترة انتقال سلمية قبل اعلان الاستقلال في غضون عام ١٩٧٨، يتولى خلالها السلطة حاكم بريطاني يشرف على الانتخابات، وتنتقل بعدها السلطة الى الحكومة الجديدة المنتخبة...

ليس بغريب على ايان سمث ان يهزأ بكل الحلول، طالما الهدف منها هو انتزاع السلطة من يد الاقلية البيضاء واعطاؤها للاغلبية السوداء. وليس من المدهش ان تفشل المحاولات التي تقوم بها الدول الغربية، وعلى راسها بريطانيا والولايات، طالما ان المنطلق هو تسوية يكتنفها الغموض وتوحي بها مصالح الامبريالية. وليس بغريب، بنوع خاص، ان ترفض الجبهة الوطنية لتحرير زيمبابوي الخطط والمقترحات التي تقدمها الدول الغربية، كونها على يقين من ان الغرب لا يمكن ان يقدم لشعب زيمبابوي استقلالا نظيفا، لذا فهي تخشى –ومعها دول المواجه جهة الخمس (تترانيا وزامبيا وبوتسوانا وانغولا وموزمبيق)– ان يكون الهدف من هذه الخطط تمييع الكفاح المسلح بعد ان بات السبيل الوحيد للاستقلال.

غير ان التقليعة الاخيرة التي اقدم عليها سمث في ٣ آذار الجاري كانت التوقيع، في سالزبوري، على اتفاقية بينه وبين القادة المنشقين –بعد مفاوضات دامت اكثر من ثلاثة اشهر– نصت على قيام حكومة مؤقتة مهمتها الاعداد لتحقيق "تسوية دستورية" في روديسيا. ان هذه الاتفاقية الجديدة التي رحب بها جون فوستر رئيس وزراء حكومة جنوب افريقيا العنصرية وبعض الدول الغربية ستحمل دون شك الجبهة الوطنية بقيادة الزعيمين الوطنين نكومو وموكابي الى تصعيد الكفاح المسلح حتى النصر.

روديسيا أم زيمبابوي؟

روديسيا، يرقى اسمها الى المغامر الانكليزي الثري سيسيل رودس الذي استطاع بألف جنيه أن يمتلك، في نهاية القرن ١٩، هذه البقعة الغنية بثرواتها الطبيعية. اما الافارقة، فيسمونها زيمبابوي، وهو اسم مملكة افريقية حكمت المنطقة منذ القرن ١٠ وحتى اواخر القرن ١٥، ولا تزال بعض آثارها قائمة حتى اليوم. غير ان النزاعات التي حدثت على اثر انقسام المملكة مكنت رجال رودس عام ١٨٨٨ من الاستيطان والتسلط على البلاد، و لم تُجدِ معارضة الافارقة آنذاك نفعا. وفي عام ١٠٢٣ قرر المستوطنون البيض تحويل هذه المستعمرة الى دومينيون تابع للمملكة البريطانية. وتوافد الاوربيون اليها وراحوا –اسوة باشقائهم في جنوب افريقيا– يسنون القوانين العنصرية وابرزها قانون تمليك الاراضي (Land tenurs act) عام ١٩٣١ والذي بموجبه تم توزيع روديسيا بالتساوي بين الاغلبية السوداء والاقلية البيضاء. وفي عام ١٩٥٣، نشا اتحاد فيدرالي لم يدم طويلا بين روديسيا الجنوبية (روديسيا الحالية) وروديسيا الشمالية (زامبيا) ونياسلاند (ملاوي) اللتين نالتا استقلالهما عام ١٩٦٤.

وازاء ضعف حكومة حزب العمال الحاكم في بريطانيا آنذاك، قرر البيض، وعلى

راسهم ايان سمث احد طياري القوة الجوية الملكية، اعلان استقلال جانبي في ١١ ت٢ ١٩٦٥، و لم يقو الافارقة على الحيلولة دون هذا الاستقلال الذي وضع مقاليد الحكم بيد الاقلية البيضاء. ومنذئذ خرجت روديسيا من الكومنولث، و لم تعترف بها الامم المتحدة.

هوية روديسيا

- جمهورية عنصرية في جنوب القارة الافريقية. تحدها من الشرق والشمال الشرقي موزمبيق، ومن الجنوب جمهورية جنوب افريقيا، ومن الشمال الغربي زامبيا، ومن الغرب بوتسوانا، عاصمتها سالزبوري.
- تبلغ مساحتها ٣٨٩٣٦٧ كم٢، يخترق اراضيها نهران: نهر زامبيز الذي يشكل حدودها مع زامبيا ونهر ليمبوبو على طول الحدود الموزمبيقية. وتغطي ثلثي اراضيها اشجار وغابات.
- يبلغ عدد السكان حوالي ٦ ملايين، ٩٥% منهم من السود. ويبلغ عدد البيض ٢٧٠ الفا فضلا عن ٢٠ الفا من الاسيويين والمزيج. اللغة الرسمية هي الانكليزية، ويتكلم الافارقة لغات بانتوية عديدة.
- يدين معظم السكان بالديانات الافريقية القديمة. اما المسيحيون فهم قلة، وياتي البروتستانت في الدرجة الاولى.
- وروديسيا غنية بزراعة الذرة والشاي والتبغ والقطن وقصب السكر، كما ان لها ثروات معدنية كالذهب والكروم والفضة.

ايان سمث والحركات الوطنية

وقبل اعلان الاستقلال الجانبي ترسخ الوعي بين صفوف الافارقة في المطالبة بحقوقهم المنتهكة. ففي عام ١٩٥٧، نشا "المجلس الوطني الافريقي" الذي مُنع من ممارسة نشاطه بعد عامين من تاسيسه، وعاد الى الظهور عام ١٩٦٠ باسم "الحزب الديمقراطي الوطني" بقيادة جوشو نكومو، وتحول عام ١٩٦١ الى "اتحاد الشعب الافريقي في زيمبابوي" (زابو). وفي عام ١٩٦٣ حدث انشقاق ادى الى قيام "الاتحاد الوطني الافريقي لزيمبابوي" (زانو) بقيادة القس نداباننيكي سيتول. غير ان سمث اوقف عام ١٩٦٤ نشاط هذه الحركات التحررية وسجن ٢٤٠٠ من اعضائها وعلى راسهم نكومو وسيتول. غير ان كفاحا مسلحا، بقيادة (زابو) اخذ يجتاح البلاد منذ عام ١٩٦٧. وظهر في غضون عام ١٩٧١ اسم الاسقف الميثودي ابيل موزوريوا الذي حمل الجماهير على رفض الاتفاقية الانكلو – روديسية وسعى الى توحيد قوى المقاومة تحت لواء "المجلس الوطني الافريقي" مما ادى الى نفي كافة الزعماء الوطنيين.

وراح رئيس الوزراء الروديسي يكشف اعمال القمع ضد الوطنيين الافارقة ويدعو الى "حل داخلي" يقوم على تسوية مع ممثلي الافارقة (المعتدلين)! وفيما اعلن عن (قانون توزيع الاراضي) الذي بموجبه يحق للافارقة ان يملكوا اراضي في "المناطق البيضاء"، اخذ يسعى الى اكتساب ثقة رؤساء العشائر الذين يملكون اراضي شاسعة بموجب قانون (Tribal trust land) الذي لم يمسه التعديل، ويمارسون سلطة مطلقة على مواطنيهم.

لقد راى سمث في رؤساء العشائر خير سند له في حربه ضد الوطنيين، فسلم الى اربعة منهم عام ١٩٧٦ مناصب وزارية، ومن ثم حمل اثنين منهم على "الاستقالة" لتاسيس حزب" منظمة شعب زيمبابوي المتحد" (زيبو) بقيادة جريما سيرو غايته التصدي "للارهاب" الذي تمارسه الحركات الوطنية!

ان هذه القاعدة التي انشاها سمث لتجزئة الصف الافريقي —بعد ان انضم الى الجيش الروديسي عدد كبير من المواطنين الافارقة في الاقاليم العشائرية— لم تقو على ايقاف نشاط الحركات الوطنية التي وجدت في تحرر موزمبيق عام ١٩٧٥ خير محفز لها في مواصلة الكفاح، سيما وان موقع موزمبيق الجغرافي يشكل جبهة استراتيجية في صالح المقاومة. فمنذ بدء عام ١٩٧٦ اخذت حركات التحرير تكثف كفاحها المسلح على طول الحدود الموزمبيقية، ولن يتوقف هذا الكفاح الا بانتقال السلطة الى الاغلبية السوداء. وفي الوقت الذي فيه تصاعدت حركة المقاومة المسلحة، اخذ ايان سمث يكثف اتصالاته بالزعماء الافارقة "الاكثر مرونة" —على حد تعبيره— عدا روبرت موغابي اصغر الزعماء الافارقة سنا ومؤسس "جيش تحرير زيمبابوي" (زيبا). فمنذ عام ١٩٧٤ تفاوض سمث مع الاسقف موزوريوا وسمح له بالعودة الى البلاد حيث جرى له استقبال شعبي كبير في نهاية عام ١٩٧٦، غير ان موزوريوا الذي لم يكن يقود كفاحا مسلحا، لا يشكل، في نظر سمث، خطرا على سياسته. ومن عين المنطق وجد سمث في شخص القس سيتول مؤسس (زانو) خير زعيم يجري معه مفاوضات للتوصل الى ما يسمى "بالحل الداخلي"، وقد اثارت عودة هذا (الارهابي) السابق الى روديسيا في تموز الماضي غضب الجناح المتطرف في حزب سمث "الجبهة الروديسية". غير ان سيئول لم يعد يحظى بتاييد الافارقة بعد ان ادان علنيا عمليات (الارهاب) التي تقوم بها الحركات التحررية. وقد التحق العديد من انصاره بخصمه موغابي.

ان مساعي سمث لتشتيت القوى في قلب المنظمات الوطنية لم يكتب لها النجاح. فلقد قامت في نهاية عام ١٩٧٦ "الجبهة الوطنية" بقيادة الزعيمين جوشو نكومو —مؤسس (زابو) والذي كان يعتبر من الزعماء "المعتدلين" الذين تفاوض معهم سمث— وروبرت موغابي الذي تسلم قيادة (زانو)، وهو من القانونيين اللامعين. ولقد وصف سمث هذه الجبهة التي تشرف على تنسيق عمليات قوات المقاومة بانها "عدو الشعب رقم واحد"! سيما وهي تحظى بمساندة رؤساء دول المواجهة الخمس. وقد احرز نكومو نصرا كبيرا حين حمل منظمة الوحدة الافريقية، في تموز الماضي، على الاعتراف بانها "الممثل الشرعي الوحيد لشعب زيمبابوي". ومن الجدير بالذكر ان زعيمي الجبهة الوطنية يقودان الكفاح المسلح من خارج الحدود الروديسية.

حرب لن يكتب لها النصر!

ازاء حرب التحرير التي تقودها الجبهة الوطنية في كل اطراف البلاد ولا سيما على طول الحدود الموزمبيقية، شن سمث حربا من نوع آخر في محاولة فاشلة لتأخير عملية تحرير زيمبابوي وانتقال السلطة الى الاغلبية السوداء. فلقد تحولت روديسيا الى معسكر كبير

تجند فيه كل البيض الذين تتراوح اعمارهم بين ١٨ – ٤٨ للتصدي لهجمات المقاومة، فضلا عن الافارقة الذين يدفعهم رؤساء العشائر الى التطوع في الجيش الروديسي وعن المرتزقة الذين يوفدون من خارج البلاد. وغني عن القول ان هذه الحرب البائسة يدفع ثمنها الالاف من المدنيين الافارقة الابرياء، عدا انها تكلف البلاد يوميا حوالي ٢،٥ مليون دينار! وازاء هذا التردي في الاوضاع السياسية والاقتصادية، بدأت هجرة البيض ولاسيما اولئك الذين لم يعودوا يؤمنون بمستقبل لهم في هذا البلد. ويقدر المراقبون عدد الذين هاجروا في العام الماضي بـ ١١ ألفا بمعدل ١٠٠٠ شخص في الشهر!

الكنيسة الى جانب الافارقة

في قلب النضال الذي يمارسه الافارقة لانتزاع حقوقهم، يقف المسيحيون من افارقة واوربيين معا موقف تضامن مع شعب زيمبابوي، هذا الشعب الذي قاسى من الاستعمار والتمييز العنصري قرابة مئة عام. ولئن كانت الكنائس المسيحية ترفض العنف، غير انها تدرك في الوقت نفسه بأن العنف الثوري يصبح وسيلة للتحرر ازاء تمادي بعض الانظمة في ممارسة الاستعباد والاستلاب بحق المواطنين. فالعنف الذي اضطرت الى انتهاجه حركات التحرر الوطنية في روديسيا، ما هو الا ردة فعل طبيعية "للعنف الذي كرسه نظام الاقلية البيضاء" كما جاء في تصريح للاساقفة الكاثوليك، فلقد بات الكفاح المسلح في نظر معظم الزعماء الافارقة– الذين تشدهم الى المسيحية روابط وثيقة– السبيل الوحيد للاستقلال ازاء التحدي الصارخ الذي تقوم به حكومة سمث العنصرية.

صوت خنقه سمث

غير ان الكنيسة تدفع غاليا ثمن وقوفها الى جانب الوطنيين الافارقة، اذ تقدم العديد من ابنائها، كهنة وراهبات وعلمانيين، ذبيحة محرقة على ارض زيمبابوي. وكان المطران الكاثوليكي دونالد لامون اسقف مدينة اومتالي/ على الحدود الموزمبيقية، أول من اصابته الاحكام التعسفية حين حكم عليه، في اواخر عام ١٩٧٦، بالاشغال الشاقة لمدة عشر سنوات بتهمة كتمانه اسماء الثوار الافارقة الذين لجأوا بالقرب من مبنى المرسلين.

والمطران لامون ارلندي الاصل، ويشهد له الافارقة بمواقفه الحازمة ضد سياسة روديسيا العنصرية وشجبه لاساليب القمع التي تنتهجها، فكان من الطبيعي ان يسعى سمث الى خنق هذا الصوت "الابيض"! ومن المعلوم ان الحكم على المطران لامون الذي اثار اعتقاله الرأي العام العالمي كان قد قُلص الى اربع سنوات، ومن ثم جرد من جنسيته الروديسية وطرد من البلاد في آذار الماضي. لقد كانت "جريمته"، كما صرح يوما، انه شاء ان يجعل "شريعة المحبة تتقدم على شريعة الدولة"؛ ويبرر سيادته تجاوزه على القوانين الجائرة التي تلزم باشهاراسماء الثوار بقوله: "لو شهرت بهم لاعتبرت الجماهير الافريقية بان الكنيسة هي "احد اجهزة النظام" ولاجتاحت القوات الحكومية القرى المجاورة" واقدمت على مذبحة بين الاهالي من دون تمييز!"... ويشاركه في هذا الموقف العديد من الاساقفة والكهنة والمرسلين الذين يعيشون وسط الجماهير الافريقية.

اغتيالات بين صفوف المرسلين

كانت محاكمة المطران لامون نذيرا لسلسلة من اعمال العنف والخطف التي تمارسها قوات الشرطة الروديسية ضد المرسلين الاوربيين الذين يقاسمون شعب زيمبابوي آلامه وتطلعاته الى الحرية. ففي اوائل عام ١٩٧٧، قتل سبعة مرسلين –اربع راهبات دومينيكيات وثلاثة يسوعيين– في موسامي القريبة من العاصمة سالزبوري (راجع ف. م.العدد ١٢٤ ص١٨٤). وتشير الانباء بين آونة واخرى الى مقتل واختفاء عدد من الرهبان والراهبات الذين يلف الغموض التام مقتلهم او اختفائهم، وتتهم الحكومة الروديسية رجال المقاومة بالقيام بهذه الاعمال. غير ان المطران لامون –ويقيم حاليا في دبلن (ارلندا)– صرح مؤخرا في زيارة له الى باريس قائلاً: "يعتقد اغلب الافارقة ان هذه الاغتيالات ليست من فعل المواطنين، وانما يحملون القوات الحكومية مسؤوليتها. ليس هناك دليل قاطع، غير ان ذلك من المحتمل جدا"، واضاف سيادته قائلا بان احد كهنته اختطف يوما على ايدي البيض وهم يقولون له: "ان موت مرسل واحد خير بالنسبة لنا من موت مئة ارهابي"!

كنيسة صامدة

لقد ظن الكثيرون ان الاغتيالات وعمليات الاختطاف والاعتقال التي تمارس بحق المرسلين ستحمل الكنيسة على العدول عن الوقوف الى جانب الافارقة.غير ان الكنيسة، وهي حاملة بشرى الخلاص والتحرير، لم تكن هذه الهزات لتثنيها عن موقفها النابع من ايمانها بمباديء الانجيل في الحرية والعدالة، بل رسخت فيها العزم على مواصلة كفاحها، الى جانب الوطنيين الافارقة، عن طريق تصريحات اساقفتها الذين لا ينون يفضحون التجاوزات على حقوق الانسان، مؤكدين مساندتهم لمطاليب الافارقة المشروعة.

من هذا المنطلق تجندت لجنة "العدل والسلام" التابعة لمجلس اساقفة روديسيا في حملة ضد الجيش الروديسي، متهمة اياه بأعمال العنف والتعذيب التي يمارسها ضد المدنيين. ففي تقرير اصدرته اللجنة في اواخر العام الماضي تحت عنوان "حرب الدعاية" –وهو الثالث من نوعه – جاء فيه ان الجيش اصبح "العدو الاكبر" لشعب زيمبابوي، لانه يقترف ابشع الجرائم بحق المواطنين الابرياء. واظهر التقرير كيف ان حكومة سمث تعمل كل ما في وسعها لحمل الافارقة على فقدان ثقتهم باولئك الذين "يقاتلون من اجل الحرية"، اذ تصفهم بانهم "كلاب عطشى الى الدماء"! غير ان الوثيقة ترجع صدى ردات الفعل لدى الافارقة الذين يدركون جيدا بان هؤلاء المقاتلين هم ابناؤهم واخوتهم الذين يناضلون من اجل تحريرهم.

وعلى اثر هذا التقرير اعتقلت قوات الشرطة في ٣١ آب الماضي رئيس واعضاء مكتب لجنة "العدل والسلام" بتهمة محاولتهم "زرع القلق وخيبة الامل في قلوب المواطنين"! وطردت في ٢٢ أيلول الراهبة الاميركية جانين ماك لوكلين سكرتيرة اللجنة والتي منحت فيما بعد "جائزة مارتن لوثر كينك للسلام والحرية".

لقد اختارت الكنيسة في روديسيا موقعا من النضال الى جانب المضطهدين والى جانب حقهم في الدفاع عن انفسهم وآمالهم في الحرية والاستقلال، سيما بعد ان برهنت المفاوضات التي تمخضت عنها اتفاقية ٣ آذار الجاري على عزم سمث بعدم المساس بمصالح الامبريالية في جنوب القارة الافريقية. ولقد سبق المطران لامون فاكد بان مستقبل الكنيسة هو رهن بالموقف الذي تتخذه من حرب التحرير حين قال: "اننا في وضع يختلف كليا عن الوضع في موزمبيق: ففي موزمبيق كانت الكنيسة مرتبطة اشد الارتباط مع الحكم البرتغالي، فلا عجب اذا ما بدأت تدفع الآن ثمن هذا الارتباط"!

عسى يتمخض هذا العام عن ولادة زيمبابوي، رمزا للشعوب التي تناضل من اجل الحرية.

المصادر:

C.J.N.,No. 182,Avril.1977
C.J.N.,No. 188,Oct. 1977
I. C.I.,No. 517, 15 Août. 1977

تعامل جاد مع وسائل الابلاغ

بمناسبة اليوم العالمي الثاني عشر لوسائل الابلاغ ٧ أيار ١٩٧٨

لما كانت وسائل الابلاغ بمختلف اشكالها تحتل مكانة كبيرة في حياة انسان اليوم، ولما كان لها اثرها البالغ في تكوين الشخصية بما تحمله من رسالة اعلامية ثقافية تربوية اجتماعية... كان من الواجب على الوالدين والمربين ان يسعوا الى استخدامها في التربية استخداما جدياً، ويعدوا الاطفال والمراهقين والشباب لتعامل جاد معها، يجنبهم السلبية ويمكنهم من تقييم ما يقرأون او يسمعون او يشاهدون، ويخلق فيهم احكاما ناضجة حول ما يتلقون، ويربي فيهم روح المشاركة الفاعلة.

وبمناسبة اليوم العالمي الثاني عشر (الذي انشأته الكنيسة الجامعة في اعقاب المجمع المسكوني) اصدرت اللجنة الحبرية لوسائل الابلاغ وثيقة تحت عنوان "المتلقي لوسائل الابلاغ: آماله، حقوقه، واجباته"، نقدم لها عرضا شاملا يتناول ابرز ما جاء فيها.

الاطفال حتى السادسة من العمر

تقول اللجنة الحبرية لوسائل الابلاغ:

"عالم الطفل غني بالاحساسات والصور والمشاعر والقوى الكامنة التي تظهر تدريجيا لتسفر عن اعجابه بالطبيعة والانسان. وتكفي نظرة او ابتسامة او صوت او لحن كي تحمل الطفل على الاتصال بالعالم. وهذا الاعجاب تجاه الاشياء في حياة الطفل هو بمثابة خطواته الاولى في اكتشاف حضور الله".

وتشير الوثيقة الى ان الاطفال ينتظرون من والديهم ومربيهم ان يحملوهم على "الانفتاح الى الغير" واكتساب "روح المشاركة" من خلال حياة عائلية متسمة بالحب والحياة. كما انهم ينتظرون ان يحصلوا على اجوبة لتساؤلاتهم الحياتية، وان يكتشفوا البعد الروحي لمحبة الله، من خلال هذا الحب المتجسد في حياة والديهم... وتخلص الوثيقة الى طرح بعض الاسئلة على الوالدين:

- ما هي الاسس التي بموجبها يتم اختيار برامج التلفزيون؟
- باية دوافع يتم اصطحاب الاطفال الى السينما؟
- ما هو حجم العون الذي يقدمه الوالدون لمساعدة اطفالهم على التفكير؟
- الى اي مدى تضحي الافلام والرسوم المتحركة فرصة للحوار مع الطفل من شأنه ان يربي فيه الاخلاص والتعاون والتسامح؟
- هل يسعى المربون، عن طريق الرسوم المتحركة والجرائد الخاصة بالاطفال والبرامج

التلفزيونية، الى تنمية روح الابتكار لدى الطفل؟

- هل تتجه جهودهم الى جعل الاطفال يستشفوّن، من خلال مشاهداتهم، قيم الخير والجمال ومحبة الآخرين واحترامهم؟

الاطفال من ٧ - ١٠ سنوات

تستعرض اللجنة الحبرية بعض المبادىء التربوية قائلة:

"تتكون شخصية الطفل بما يرى ويسمع. لذا يجب ان نساعده كي يدرك بانه يبني ذاته بنفسه. ليس من المهم ان نعلمه على الاخذ، بل حري بنا ان نعلمه كيف يختار، سيما وانه لا يملك قدرة على مواجهة العوامل الكثيرة التي تتجاذبه. انه يتقبل بسرعة كل ما يعرض امامه من دون تفكير كاف، وله بديهية في تعامله مع لغة الصور اكثر من البالغين. غير انه يجد، من جهة اخرى، صعوبة في فهم المضامين اذا لم يكن قد تربى على"قراءة" العلامات، سيما وان هذا الفهم يتطلب عملية ربط العناصر ببعضها في محاولة للدخول الى اعماقها...".

وتقول الوثيقة بأن المهة التربوية تقوم في توجيه الاطفال ومساعدتهم على اكتساب الابعاد التي تنطوي عليها هذه الوسائل العصرية. وتتساءل عن مدى اهتمام الوالدين والمربين باختيار البرامج الاذاعية والتلفزيونية لاطفالهم، واعدادهم لقراءة الرموز والعلامات التي تحتويها الافلام والبرامج والموسيقى والصحافة، واغتنام الفرص لمشاهدة البرامج وأياهم ومناقشتها معهم وتمكينهم من التعبيرعن ارائهم واحكامهم حول ما شاهدوه. ومن ثم تدلي الوثيقة باقتراحات على المربين، من شأنها ان تربي الطفل على تنمية الروح النقدية لديه، نذكر بعضها:

- تحليل برنامج خاص بالاطفال ونقده موضوعيا.
- مشاهدة تمثيلية تلفزيونية معهم والاقتراح عليهم بابتكار تمثيلية مشابهة يلعبون ادوارها، او حملهم على اعادة صياغة احد امثلة الانجيل عن طريق الصور والموسيقى.
- تشجيعهم على تكوين "البومات" حول موضوع معين (حياة احد الابطال او قضية من القضايا الراهنة).
- دعوتهم الى تحقيق قصص مصورة، بحيث يتاح لمجموعة من الاطفال ان يكتب كل واحد تعليقه على الصور.
- استجلاء آرائهم حول الافلام والبرامج التلفزيونية التي يشاهدونها غالبا، وما تركته في نفوسهم من خوف او تأثر او اعجاب...

الفتيات والفتيان من ١١ - ١٤ سنة

ترسم الوثيقة ملامح شخصية للفتيان والفتيات في هذا السن، فتقول:

"الفتيان والفتيات في هذا العمر يجدون انفسهم في مرحلة انتقال من الفكر المنطقي - الواقعي الى مرحلة الفكر المنطقي- الشكلي. وفي الوقت الذي لا يكادون يفلتون من تأثير المرحلة الاولى، يحاولون الاستقرار في المرحلة الثانية. وتتسع مراكز الاهتمامات لديهم، فتتجه الفتيات نحو التسليات والتشبه بنجوم السينما والمطربين. وتشمل اهتماماتهن المدرسة والعائلة وصداقة الفتيان الى جانب الرياضة وحياة الجماعة. فيما يتجه الفتيان نحو الرياضة والسينما والتلفزيون والمغامرات... وهناك من بين اهتماماتهم نصيب كبير لحياة الجماعة وقراءة قصص المغامرات وصداقة الفتيات.

ويبحث الفتيات والفتيان معا عن قدر اكبر من الاستقلال، مع شعورهم بالحاجة الى من يرشدهم ويكون دليلهم. وتبدو حاجتهم الى نماذج من الناس يتمثلون بهم فيبحثون عنهم في عالم البالغين، كما بين اقرانهم في فرق الشباب.. اما على الصعيد الديني، فهم انما يبحثون عن علاقة شخصية بالله ويريدون ادلة مقنعة حول القواعد الدينية والاخلاقية. وهكذا يبدون، في مرحلة التحول هذه، منفتحين وذوي احساس مرهف بكل ما تقدمه لهم وسائل الاتصال".

وتؤكد الوثيقة على واجب الوالدين والمربين في اكتناه آمال الفتيان والفتيات في هذه المرحلة من العمر والسعي الى توجيهها، كأن تتم بينهم مناقشات جادة —سواء على صعيد الاسرة او على صعيد المدرسة— حول مشاكل الحياة مما يساعد على بناء الشخصية وتنميتها، بحيث يكون لوسائل الابلاغ من هذه المناقشات نصيب كبير، بهدف تقييم ناضج لما تحمله هذه الوسائل. وتلقي الوثيقة هذه الاسئلة:

- ما هي الآمال التي تنسجم مع مسيرهم الى النضوج، ما هي تلك التي تشكل عقبة بوجه هذا النضوج؟
- ما هي ابرز القيم التي يجب ان تحملها وسائل الابلاغ؟
- ما هي القيم الشائعة؟ وما هي القيم الغائبة؟ وماهي "القيم" الزائفة التي تتسرب عن طريق وسائل الابلاغ؟

وفي التالي تناولت الوثيقة ما للفتيان والفتيات من حقوق وواجبات، عليهم ان يدركوها ويمارسوها، واولها الحق في ان يحصلوا على اعلام كامل وموضوعي يمكنهم من الاحاطة بما يجري في العالم من احداث؛ وثانيها الحق في الاحترام بحيث لا تؤدي وسائل الابلاغ بهم الى الانحطاط، بل تحملهم على الارتقاء فكريا وادبيا وروحيا؛ وثالثها الحق في النقد مما يجنبهم الوقوع في سلبية قاتلة تجاه هذه الوسائل، بل تكون لهم نظرة فاحصة على ما تحمله من مضامين.

المراهقون

"يبحث المراهقون عن اجوبة تكون قادرة على ان تعطي معنى لحياتهم ووجودهم مع الآخرين في العالم. انهم بحاجة الى نضوج يلقي اضواء على تجربتهم الحياتية من الداخل (فالمراهق لا يعترف بحقيقة لا صلة لها بواقع الحياة). انهم ينشدون المُثل، ويتراجع الواقع لديهم امام القيم المكتسبة عن طريق الحدس، وتضحي النزاهة لديهم احدى اهم الفضائل. ان حياتهم نسيج من الحماس والاكبار، ويبدون كل اعجاب للامور التي يكشفها لهم حدسهم، ولا يبحثون عن حقيقة موضوعية تحظى بكل تاييدهم، فهم يؤمنون ايمانا مطلقا بما يكتشفونه بانفسهم ويرفضون ما يأتيهم من الغير. وفيما يتجه اهتمامهم بالاكثر الى المعطيات الحضارية التي هي في الاساس من المجتمع (الاخلاص والشجاعة والتجرد) نراهم يميلون الى اكتشاف اسرار الحياة اكثر من ميلهم الى تكديس المعلومات الموضوعية حول الانسان".

وتهيب الوثيقة بالمربين على استخدام وسائل الابلاغ في تربية المراهقين بحيث:

- يكتشفون القيم الاساسية التي تقوم عليها علاقة الانسان بالله وبالعالم المحيط به.
- ويتمكنون من الحفاظ على حماستهم في بناء توازن شخصي ترافقه روح نقدية.
- ويقدَّم لهم المسيح والكنيسة وفق ابعاد تشمل المسكونة برمتها.
- ويتاح لهم ان يعيشوا نضوجهم، مدركين بانهم يعيشون في عالم متعدد الاتجاهات

تحتل "الآراء" فيه مكان الصدارة. ويتوجب على المربي، مع احترامه للآراء، ان يساعدهم على اكتساب "حقائق".

- ويتم اعدادهم لقراءة مسيحية لاحداث الحياة.
- وتؤكد الوثيقة على ضرورة خلق علاقة جدلية بين ما يقرأ المراهقون ويسمعونه ويشاهدونه، وبين مثلهم في الحياة، وأن يتم ذلك عن طريق النقاشات سواء في نطاق الاسرة ام في نطاق دروس التعليم المسيحي.

الشباب

"بقدر ما يصبح المراهق على ثقة اكبر بنفسه، يتحول مركز الثقل في حياته الى رغبة في الاندماج بعالم الكبار. انه ينتقل من مرحلة التصور الشخصي الى مرحلة الموضوعية، ويتجه اختياره في الغالب الى الاندماج بحياة المجتمع. غير ان هذا الاندماج الذي يواصل تكوين شخصية المراهق، يضعه وجها لوجه ازاء الواقع الاليم جراء الحدود التي يتعرض لها، سواء على صعيد العمل ام على صعيد الاسرة ام على صعيد تحقيق الذات. فان حياة الكبار تشكل عقبة بوجه نزعة الشباب الى المطلق، وتبدو لهم المهنة صعبة ولا ضمانات فيها، فيما تتحول الحياة العاطفية التي تمت على اساس الانجذاب الجنسي، الى حب، ويتجه الضمير الادبي الى الالتزام باختيارات توحي بها دعوة ما، والى خلق قيم شخصية واجتماعية".

وتذهب الوثيقة في التاكيد على مهمة التربية المسيحية في خلق مواقف اساسية واصيلة في الشباب تنطلق من اوضاع واقعية يتم تفسيرها في"الامانة تجاه الله وتجاه الانسان". ومن هذه المواقف:

- القيمة المعطاة لدعوة الله الى الشباب للقيام بدورهم الخاص في العالم، بالتضامن مع جميع الناس.
- المعنى المعطى للحياة بصفتها هبة اساسية في خدمة مشروع لتحرير الانسان على ضوء مخطط الله في البشرية.
- القدرة على استيعاب مهمة المساهمة في بناء العالم والتاريخ الى ابعد من حدود الكنيسة.
- امتلاك حس في الانتماء الى الكنيسة والرغبة في المساهمة في رسالتها النبوية.

ولكي يتسنى للشباب ان يتعاملوا تعاملا مجديا مع وسائل الابلاغ، تشير الوثيقة الى الواجبات التي تقع على عاتق المربين:

- حمل الشباب على قراءة جادة وتحليل عميق للمضامين التي تبثها وسائل الابلاغ.
- مساعدتهم على وضع هذه المضامين في اطار رؤية انسانية ينيرها الايمان.
- بث الوعي لديهم بأن من حقهم الحصول على اعلام موضوعي يحترم قيم الانسان الاساسية بما فيها القيم الدينية.
- وتؤكد الوثيقة على الاساليب التي من شأنها ان تحمل الشباب على تجنب السلبية والتعبير عن ارائهم حول ما تقدمه لهم وسائل الابلاغ، وذلك عن طريق المشاركة الجادة في النقاشات.

المصادر

(Osservatore Romano – 18 Avril 1978)

حزيران ١٩٧٨

من سيخلف البابا؟

لم يكن مجمع الكرادلة قد التأم بعد، حين كتبت هذه الاسطر. ففيما يتطلع العالم اجمع بلهفة الى من سيخلف البابا الراحل على كرسي القديس بطرس، يستعد الكرادلة الناخبون، وبكثير من التهيب، مستلهمين الروح القدس كي يهب للكنيسة حبرا أعظم يكون جديرا بحمل هذه المسؤولية الثقيلة، في هذه الحقبة العسيرة من تاريخ الكنيسة والتي تتميز بكونها حقبة التحولات، سواء على صعيد المفاهيم العقائدية والاخلاقية ام على صعيد حياة الكنيسة الداخلية ام على صعيد العلاقات مع الكنائس المسيحية والديانات الاخرى.

الى حين يصبح هذا العدد بين ايديكم، سيكون للكنيسة بابا جديد يكون قد صوت الى جانبه —في اغلب الظن— اكثر من ٧٥ كردينالا من مجموع الكرادلة الناخبين وعددهم ١١٤ كردينالا، ومن المحتمل الا يكون عدد الحاضرين منهم في الاجتماع المقبل قد تجاوز ال ١١١.

لا بد وان الكرادلة الذين اجتمعوا للانتخاب امام لوحة ميكيل انجلو "الدينونة الاخيرة"، اربع مرات في اليوم، دخلوا يومئذ (٢٥ آب) معبد سكستين بشعور عميق من التهيب والقلق تجاه ثقل المهمة التي سيوكلونها الى من سيمنحونه ثقتهم، لا سيما في الظروف الراهنة التي تعيشها كنيسة اليوم وسط عالم مضطرب يعاني من الازمات على مختلف المستويات وعلى كافة الاصعدة. في هذه الظروف الحرجة سيترتب على البابا المقبل ان يكون على مستوى عال من الشعور بمسؤولياته لمواصلة رسالة الكنيسة في العالم، وذلك عن طريق المناداة بالبشرى السارة على مثال يوحنا المعمذان: ملكوت الله قريب، وعن طريق الشهادة، بالقول والفعل، لانجيل الحرية والفرح والرجاء، على مثال الرسل الاثني عشر.

حين يكون الكرادلة الملتئمون قد وفقوا الى اختيار الرجل الذي سيحمل "خاتم الصياد"، ومعه مسؤولية "الاهتمام بكافة الكنائس" فيصبح "خادم خدام المسيح" ليرعى "كنيسة الله".. سيقف عميد الكرادلة ليلقي على المنتخب ذاك السؤال المهيب: هل ترضى ان تصبح بابا؟ وما ان يبدي قبوله، يضع الكردينال فيو —القائم بالاعمال طيلة شغور الكرسي الرسولي— خاتم الصياد في اصبعه، ويقوده عميد الكرادلة الى الشرفة ليعلن للجماهير المحتشدة في ساحة القديس بطرس: "ابشركم بفرح عظيم —صار لنا بابا وهو الكردينال...". وهكذا يصبح البابا الجديد الخليفة الثالث والستون بعد المئتين للقديس بطرس على كرسي روما!

حين توفي البابا يوحنا ٢٣، التأم مجمع الكرادلة، كان اسم الكردينال جيوفاني باتيستا مونتيني على كل الافواه، لما كان عليه من صفات تؤهله لان يواصل العمل الجبار الذي كان البابا يوحنا قد بدأه. وهذا ما تم فعلا اذ لم يدم الاجتماع المقفل آنذاك سوى يوم ونصف اليوم ليسفرعن انتخاب بولس السادس حبرا أعظم في ٢١ حزيران ١٩٦٣، بعد اربع دورات فقط من الاقتراع السري. وقيل آنذاك بأن تصويتا خامسا تم على طلب البابا المنتخب الذي كان يشاء ان يطمئن من سلامة اختيار الكرادلة له!

غير ان الامر يختلف اليوم عما كان عليه يوم انتخاب الكردينال مونتيني. اذ ليس بين الكرادلة اسم يطغو على بقية الاسماء، بل هناك اسماء عديدة تتردد على افواه المراقبين وتفسح المجال للتكهنات التي اخذت تظهر، ليس غداة وفاة البابا وحسب، بل قبيل وفاته بعدة اشهر!

ليس بغريب اذا قلنا بان التكهنات حول البابا المقبل لا تشاء ان تستقر على اسم، ذلك لان هناك اسماء عديدة –تختفي وراءها شخصيات مختلفة تنتمي الى تيارات مضادة– ليس بين الكرادلة الايطاليين وحسب، بل بين كرادلة اوربيين وغير اوربيين. واذا كانت اسماء الكرادلة الايطاليين بينيللي وبينيادولي وبيرتولي وباجيو تأتي في مقدمة اللائحة، فقد يبتسم "الحظ" للكردينال بيرونيو الارجنتيني –الايطالي او كونيك النمساوي او فيلليبراند الهولندي او فيو الفرنسي...

في مقال لمراسل مجلة I.C.I الفرنسية والذي نقلته الفكرالمسيحي (العدد ١٢٩– ت٢ ١٩٧٧، ص٤٣٠– ١٣٥) تحت عنوان: "من سيكون البابا في الانتخاب المقبل؟" كتب جانكارلو زيزولا: "لو وجدت احتمالات قوية بأن يكون البابا القادم ايطالياً، فلن يعود الفضل الى مواطنيه من الكرادلة بل الى ثقة الكرادلة غير الايطاليين به"! تلك دلالة واضحة على اننا في طريقنا للحصول على بابا غير ايطالي – سيما بعد ان قلص البابا الراحل عدد الكرادلة الايطاليين ورفع نسبة كرادلة العالم الثالث الذين يتمتعون بـ٤٥ صوتا– ان لم يكن في مجمع الكرادلة الحالي، فاقله في المجمع المقبل! وفيما تكهن زيزولا باحتمال انتخاب الكردينال بيرونيو او الكردينال بيرتولي، خلص الى القول: "هناك شخص آخر هو بمثابة "حلقة وصل" بوسعه ان يحظى بمساندة ممثلي العالم الثالث (...) وهو الكردينال سرجيو بينيادولي صديق بولس السادس والرحالة الكبير".

غير ان مراسل المجلة المذكورة ختم مقاله بتوقعاته في ان يكشف اجتماع الكرادلة عن رؤيتين لدور البابا وعن مفهومين للكنيسة يصعب التوفيق بينهما، ويقول: "فإذا رجحت الحجة في كنيسة –مؤسسة تدافع عن نفسها وتسعى الى جمع شمل الكاثوليك (...) فلا عجب ان يسفر الاقتراع عن بابا من نوع الدوائر الرومانية (...). وعلى العكس، اذا رجحت حجة الانجيل فسيتم انتخاب بابا "تقدمي"، وفي هذه الحالة سترجح كفّة الكردينال الايطالي– الارجنتيني بيرونيو".

سيكشف الاجتماع عن مدى صحة هذه التكهنات! ونحن، رغبة منا في التعريف ببعض الوجوه من الكرادلة الذين قد ترجح كفتهم، يطيب لنا ان نستعرض اربعة كرادلة ترددت اسماؤهم في اغلب الصحف والمجلات، وقد يسفر الاقتراع عن انتخاب احدهم — ويتجه تفضيلنا نحو اولهم- الا اذا شاء الروح القدس ان يذهب بتكهناتنا، كما حدث يوم انتخاب خلف البابا بيوس ١٢، حين كان انتخاب يوحنا ٢٣ مفاجأة ونعمة!

- **الكردينال ادواردو بيرونيو (٥٨ سنة)**

ولد في الارجنتين عام ١٩٢٠ من ابوين من اصل ايطالي. تقلد في حينه منصب عميد جامعة وشغل منصب السكرتيرالعام لمجلس اساقفة اميركا اللاتينية ورئيس احدى اضخم الابرشيات في الارجنتين، الى ان استدعي الى روما لرئاسة مجمع الجمعيات الرهبانية.

ويتمتع الكردينال بيرونيو بشعبية واسعة لا سيما في اوساط اميركا اللاتينية اذ كان احد ملهمي مجمع ميدلين (كولومبيا) الذي افتتح البابا الراحل اولى جلساته لدى زيارته لبوغوتا عام ١٩٦٨. ويمتاز نيافته بمواهب وضعها في خدمة كنيسة يتمنى ان يراها تتجدد ابدا.

- **الكردينال سيرجيو بينيادولي (٦٨ سنة)**

ولد في ايطاليا عام ١٩١٠. تعين مرشدا لجامعة ميلانو الكاثوليكية، وبعد الحرب الثانية

عينه البابا بيوس ١٢ في سكرتارية الدولة كمساعد للمونسنيور مونتيني (البابا الراحل). وبعد ان عمل سفيرا بابويا في بوليفيا وفنزويلا، اصبح عام ١٩٥٥ اسقفا مساعدا للكردينال مونتيني في ميلانو. وفي عام ١٩٦٠ عاد الى الدبلوماسية وتنقل بين عدة دول افريقية. رقاه بولس السادس عام ١٩٧٣ الى رتبة كردينال وقلده رئاسة سكرتارية العلاقات مع غير المسيحيين.

والكردينال بينيادولي ذو آفاق واسعة وله شهرة عالمية لا سيما في الاوساط غير المسيحية وبنوع خاص في العالم الاسلامي.

- **الكردينال جيوفاني بينيلي (٥٧ سنة)**

ولد في ايطاليا عام ١٩٢١. تدرب في سكرتارية الدولة في الفاتيكان على يد المونسنيور

مونتيني. تعين عام ١٩٥٠ في السفارات البابوية في دبلن وباريس وريو دي جانيرو واخيرا في مدريد. وفي عام ١٩٦٥ اصبح ممثلا للكرسي الرسولي في اليونسكو، ثم عينه البابا بولس عام ١٩٦٧ وكيلا لسكرتير الدولة ويُعَدّ من ابرز معاوني البابا الراحل الذي رقاه الى رتبة الكردينالية وعينه رئيس اساقفة لفلورنسا عام ١٩٧٧.

يمثل بينيللي الجناح المحافظ في مصف الاساقفة الايطاليين. وقد كشفت مواقفه الاخيرة ضد الاجهاض والشيوعية عن اصراره في الدفاع عن تقليد الكنيسة.

- **الكردينال سبستيانو باجيو (٦٥ سنة)**

ايطالي دخل بعد رسامته الكهنوتية الى السلك الدبلوماسي وعمل منذ عام ١٩٣٨ في السفارة البابوية في فيينا وسلفادور وبوليفيا وفنزويلا وكولومبيا. عمل عام ١٩٥٠ في "مجمع الاساقفة" وفي عام

١٩٥٣ رسم اسقفا وتعين سفيرا بابويا في شيلي وكندا والبرازيل الى ان اصبح كردينالا عام ١٩٦٩ ورئيس اسقفة لابرشية كاكلياري الايطالية. عينه البابا الراحل عام ١٩٧٣ رئيسا لمجمع الاساقفة.

والكردينال باجيو معتدل، يتمتع، بحكم مهمته الاخيرة، بعلاقات وثيقة مع اساقفة العالم الكاثوليكي اجمع.

الى جانب هؤلاء الاربعة، هناك اسماء تتردد على افواه المراقبين الكنسيين والصحفيين **كالكردينال فرانس كونيك** (٧٣ سنة) النمساوي، رئيس اساقفة فيينا ورجل العلاقات بين الكنيسة والعالم الماركسي، بصفته رئيسا لسكرتارية العلاقات مع غير المؤمنين. وقد صرح مؤخرا بانه "غيراهلٍ بهذه المهمة" لتقدمه في العمر. **الكردينال جوهانس فيلليبراند** (٦٨ سنة) الهولندي رئيس اساقفة اوترخت والمعروف بطيبته وروحه المسكونية ومواقفه التقدمية، وتربطه برؤساء الكنائس المسيحية في العالم روابط وثيقة اذ يرئس سكرتارية اتحاد المسيحيين. كما ان **الكردينال باولو بيرتولي** (٧٠ سنة) الايطالي يتمتع بشهرة لا شك فيها، لما هو عليه من حكمة ودهاء في الظروف التي تمر بها الكنيسة، وان كانت تنقصه الخبرة الراعوية اذ لم يسبق له ان تسلم رعاية ابرشية ما. اما **الكردينال جان فيو** (٧٣ سنة) الفرنسي سكرتير الدولة الحالي وصديق البابا الراحل، فهو غني عن التعريف، وهو الذي لعب دورا هاما ابان انعقاد المجمع المسكوني وكان لإدارته اثر كبير في اصلاح الدوائر الرومانية.

كيف يتم انتخاب البابا ؟

كان ينتخب اسقف روما (البابا) اساقفة الابرشيات المجاورة والكهنة والعلمانيون حتى القرن الرابع. ولاجتناب تدخل السلطة المدنية، اصبح الانتخاب عام ١١٧٩ مقتصرا على الكرادلة، على ان يحصل المنتخب على ثلثي الاصوات. وفي عام ١٢٧٣ شرع البابا غريغوريوس ١٠ قانونا يقضي بان يتم اجتماع الكرادلة في سرية تامة ودون اية صلة بالعالم الخارجي.

في القرن السادس، كان عدد الكرادلة لا يتجاوز ٢٥ كردينالا، وفي عام ١٥٨٦ قرر البابا سكستس الخامس الا يتجاوز عددهم السبعين، وابطل يوحنا ٢٣ هذا القانون، وقرر بولس السادس الا يتجاوز عدد الناخبين ١٢٠ كردينالا.

منذ القرن السادس عشر تعاقب على الكرسي الرسولي بابوات ايطاليون، وكان آخر بابا غير ايطالي هو ادريانوس السادس الهولندي (١٥٢٢- ١٥٢٣). ولما كان البابا هو في الوقت ذاته "اسقف روما"، جرت العادة على انتخاب بابا ايطالي، وليس هناك قانون يمنع ان يكون البابا غير ايطالي.

ويوسع الكرادلة ان ينتخبوا اسقفا او كاهنا او حتى علمانيا، شريطة الا يكون هناك مانع لرسامته اسقفا. وكان آخر علماني انتخب هو البابا يوحنا ١٩ (١٠٢٤ - ١٠٣٢)، ومنذ عام ١٣٨٩ كان الكرادلة ينتخبون احدهم.

لم يكن في انتخاب بولس السادس سوى ٨٢ كردينالا بينهم ٥٧ كردينالا اوربيا. واليوم يبلغ عدد الكرادلة ١٢٩، ويحق الانتخاب لـ ١١٤ منهم فقط، ممن لم يبلغوا الثمانين من العمر. من بين الناخبين ٧٠ كردينالا اوربيا، بينهم ٣٧ ايطاليا. ويفترض ان يحصل المنتخب على ثلثي الاصوات + صوت واحد.

ومهما كانت توقعاتنا في من سيخلف البابا بولس، هناك امر لا يمكن ان نجهله وهو ان على البابا المقبل ان يتبنى الخطوط العريضة التي طبعت حبرية بولس السادس وهي:

١ – مواصلة وتعميق مبدأ "الجماعية" في الكنيسة بحيث تصبح ملتقى للحضارات المختلفة، فتتقلص "المركزية الرومانية" لتتيح للكنائس المحلية الاشتراك في ادارة الكنيسة.

٢ – السعي الحثيث لاستعادة الوحدة المسيحية الشاملة بخطوات جادة وفعالة، والعمل على مزيد من التقارب البناء بين مختلف الديانات.

٣ – مواصلة السير في خط التجدد ودفع حركته الى امام، ليس على صعيد الطقوس والقضايا الراعوية وحسب، بل على صعيد المفاهيم والبنى الكنسية ايضا.

٤ – المساهمة الجادة في الجهود العالمية لبناء عالم اكثر عدالة واكثر اخوة تزول فيه الفروقات بكافة اشكالها، اقتصادية كانت ام اجتماعية ام ثقافية...

ويطيب لنا ان ننقل اماني المطران هيلدر كامارا في البابا المقبل وقد ادلى بها في مقابلة تلفزيونية في البرازيل، حيث قال بانه يتمنى ان يدرك البابا الجديد "المسؤولية المشتركة" لكل شعب الله، وان يعيش "اولويته" بروح الخدمة والمحبة...واضاف: اتمنى بابا يكون اسقف روما ورئيسا لسينودس الاساقفة بحيث لا يكون هذا السينودس استشاريا وحسب، بل تعبيرا للجماعية الحقة في الكنيسة (عن جريدة لاكروا الفرنسية – ٩ آب).

فاذا كان البابا يوحنا قد شرع النوافذ لتهب رياح جديدة في الكنيسة، واذا كان البابا بولس قد سعى بكل ايمانه بالكنيسة وحبه لها ان يقود اعظم مجمع مسكوني في التاريخ ويعمل على تنفيذ مقرراته، فعلى البابا الجديد ان يواصل، وبشجاعة اكبر، العمل الذي يريد الروح القدس ان يحققه في كنيسة المسيح بحيث تصبح "كنيسة مجيدة، لا كلف فيها ولا غضن.. بل مقدسة لا عيب فيها". هذا الروح عينه بوسعه ان يهب للكنيسة بابا بطيبة يوحنا وسعة قلبه وبايمان بولس وصموده.

من بابا الى بابا

شهدت ساحة القديس بطرس، وللمرة الثانية خلال شهرين، بابوين تعاقبا على كرسي روما: يوحنا بولس الاول الذي حيته الجماهير يوم تنصيبه في مساء ٣ أيلول وشيعته في مساء٤ ت١، ويوحنا بولس الثاني الذي هتفت بحياته يوم انتخابه في مساء ١٦ تشرين الاول ويوم تنصيبه حبرا اعظم في ٢٢ منه.

فالى قداسة البابا الجديد نتقدم باسمنا وباسم قرائنا باصدق التهنئات متمنين له حبرية طويلة ترفرف عليها روح ذاك الذي لا زالت ابتسامته حية في ذاكرة الجميع.

●

*** من بطون التاريخ ***

• مجامع الانتخاب: كان اطول مجمع انتخاب عام ١٢٧١ حين دام انتخاب غريغوريوس العاشر اكثر من سنتين، بينما جرى اقصر مجمع لدى انتخاب جوليوس الثاني في بضع ساعات عام ١٥٠٣.

• اطول فترة بابوية: كانت حبرية بيوس التاسع(١٨٤٦- ١٨٧٨)اطول فترة في التاريخ دامت ٣١ سنة و٧ اشهر و٢٢ يوما، وتلتها حبرية لاون ١٣ (١٨٧٨- ١٩٠٣) فبيوس السادس (١٧٧٥- ١٧٩٩) فادريانس الاول (٧٧٢- ٧٩٥) فبيوس السابع (١٨٠٠- ١٨٢٣) فالكسندر الثالث (١١٥٩- ١١٨١)...

• اقصر حبرية: كانت اقصر فترة بابوية في القرون الاربعة الاخيرة هي حبرية البابا ادريانس السابع عام ١٥٩٠ اذ دامت ١٣ يوما فقط! غير ان اقصر حبرية في تاريخ البابوية، كانت حبرية اسطيفان الثاني عام ٧٥٢ الذي توفي ثلاثة ايام بعد انتخابه! وقد سجل التاريخ اسماء ١٠ بابوات دامت حبريتهم اقل من شهر، و٤٤ بابا اقل من سنة، و٢١ بابا سنة واحدة، و٢٢ بابا بين سنة وسنتين... وقد حدث ان تعاقب ٤ بابوات في سنة واحدة (عام ١٢٧٦).

• اسماء البابوات: استعمل البابوات في التاريخ ٨٢ اسما، واكثرها استعمالا يوحنا (٢٣ مرة) وغريغوريوس (١٦ مرة) وبندكتس(١٥ مرة) وكليمنتس (١٤ مرة) وانوشنتس (١٣ مرة) وبيوس (١٢ مرة)... وكان يوحنا بولس الاول أول من استعمل اسما مركبا.

لم يكتمل فرح المؤمنين بمقدم البابا يوحنا بولس الاول خلفا للبابا بولس السادس، واذا بالحزن يخيم من جديد، ليس في اروقة الفاتيكان والكنيسة الكاثوليكية وحسب بل، على الكنائس المسيحية والعالم اجمع. وكان قد ابتسم الامل في نفوس المسيحيين في اثر الانتخاب السريع الذي جاء بألبينو لوتشياني من كرسي القديس مرقس في البندقية الى كرسي القديس بطرس في روما، اذ رأوا فيه راعيا ذا قلب كبير يسعى الى جمع القطيع في الوحدة ويذهب به الى المراعي الخصبة والينابيع الصافية، ورسولا يبلغ صوت الانجيل في العدالة والاخوة الى ابناء الاسرة البشرية. واستبشرت البشرية جمعاء خيرا من ذاك الرجل

المبتسم الذي اطل عليها من شرفة القديس بطرس مساء ٢٦ آب، ورأت فيه نذيرا يعلن بشرى الفرح والسلام في عالم مضطرب وقلق.

كان العالم اجمع في ٣ ايلول الماضي على موعد مع حفلة "افتتاح حبريته كراع اعلى"، وقد جرت في جو من البساطة حين ابطل قداسته حفلة "التتويج" التقليدية وابى ان يوضع على رأسه التاج البابوي المثلث (وكان قد تركه سلفه الراحل منذ ١٣ ت٢ ١٩٦٤)... وفي ٤ ت١ تابع اكثر من مليار من الخلق، من مختلف القارات، تشييع جثمان البابا الجديد الراحل يوحنا بولس الاول الذي لم تدم حبريته سوى ٣٣ يوما و٦ ساعات فقط! و لم تمهله المنية كي يطفيء، في ١٧ ت١، الشمعة السادسة والستين من عمره!

كيف يجري الانتخاب ؟

في اليوم المقرر لبدء الاجتماع المغلق (الكونكلاف) وتعني باللاتينية "تحت المفاتيح"(cum clavis) يقيم الكرادلة قداسا مشتركا في كنيسة القديس بطرس لاستلهام الروح القدس، ثم يدخل الكرادلة الناخبون باحتفال الى معبد سكستين ومعهم سكرتير مجمع الكرادلة والنائب العام على حاضرة الفاتيكان وعدد من الرهبان –الكهنة لمنح سر التوبة لمن يشاء من الكرادلة، فضلا عن طبيبين وعاملين فنيين وعدد من الخدم... وكلهم ملزمون بحفظ السر خلال الاجتماع وبعده. تغلق الابواب من الداخل والخارج ثم يقسم الكرادلة على الانجيل بالا يبوحوا بشيء مما يتعلق بالاقتراع، ومن ثم تجري القرعة على عدد من الكرادلة لعملية فرز الاصوات.

ويجري صباحا اقتراع اول يعقبه للحال اقتراع ثان اذا لم يسفر الاقتراع الاول عن حصول المنتخب على ثلثي الاصوات +١، وتجري عملية اقتراع مماثلة عصرا. وحين يكتب كل كردينال مرشحه يتقدم ويضع ورقته في كأس موضوع على المذبح وهو يقول: "ليكن المسيح الذي سيدينني شاهدا علي باني انتخبت الشخص الذي رأيته، بحسب روح الله، اهلا بأن ينتخب".

من يوحنا بولس الاول..

حين خرج الكردينال فيليشي ليعلن للجماهير –بعد ان استقر الدخان الابيض الذي غذته اوراق الاقتراع الرابع– عن انتخاب الكردينال البينو لوتشياني حبرا اعظم، تساءل الناس: من هو يا ترى لوتشياني؟ وما ان اطل قداسته بابتسامته العريضة، واذا به يدخل الى قلوب الذين شاهدوه، سواء في ساحة القديس بطرس ام على شاشة التلفزيون، ومن دون "سمة دخول"! وحفظ له للحال الفقراء مكانة كبيرة في قلوبهم وعلقوا عليه آمالهم، هو الذي كان يردد دوما انهم "كنز الكنيسة الحقيقي"، وقد اتسمت اولى ايام حبريته بالفقر والبساطة والطيبة[1].

وكانت بعض الاوساط قد رسمت لوحة تكهنية عن البابا يوحنا بولس الاول تخللها شيء من التشاؤم يستند الى مواقف البابا السابقة، كتمسكه الحازم بالعقيدة وحرصه الشديد على سلوكية الكنيسة الكاثوليكية وقوانينها في ما يتعلق بالخدمة الكهنوتية ومعارضته لقانون الطلاق الذي شرعته الحكومة الايطالية، الى غير ذلك...غير ان هذه اللوحة التشاؤمية كان بوسع البابا الراحل ان يكذبها وقد نص منهاج حبريته –الذي نشرناه في العدد السابق– على رغبته في مواصلة السير بالامانة على روح المجمع الفاتيكاني الثاني،

متتبعا خطوات يوحنا ٢٣ في انفتاحه وجرأته، وبولس السادس بحزمه وروحه المسكونية. ويقول ماسيمو اولمي في مجلة "الشهادة المسيحية" (عدد ١٧٨٢ – ٣١آب) بان "كردينالا يصبح بابا قد تكشف الايام فيه شخصية جديدة"، ويستطرد قائلا: من كان يتخيل ان الكردينال اشيل راتي يصبح بيوس ١١ ذاك البابا العظيم الذي تصدى للفاشية بكل قواه؟ ومن كان يصدق ان الكردينال رونكالي الذي كان غائبا عن المسرح، يتحول الى يوحنا ٢٣، اكثر بابا احبه الناس ليس بين المسيحيين وحسب بل بين المؤمنين من مختلف الديانات وبين غير المؤمنين ايضا؟ ويستشهد اولمي بمسرحية جان آنوي "بيكت او شرف الله" بأن "في وسع انسان ان يتحول الى انسان آخر اذا ما اسند تاليه مسؤوليات من شأنها ان تحوله كليا".

لقد دلت اولى خطوات البابا الراحل الذي اتخذ "التواضع" شعارا لحبريته، على انه الراعي الذي اطل على الكنيسة ليعلن "للمساكين" وذوي الارادة الصالحة البشرى السارة بملكوت العدالة والفرح، نازعا عن البابوية تلك الصورة القديمة التي، والى ماض غير بعيد، اختلطت فيها مهمة "راعي الانفس" بمنصب "العاهل"، وامتزجت في شخص "اسقف روما" دعوته التي تقوم في ان "يرئس في المحبة" –على حد تعبير القديس اغناطيوس الانطاكي– بمهمته كرئيس لدولة الفاتيكان!

ألم يتبنّ في خطابه، خلال القداس الاحتفالي الذي افتتح به حبريته، عبارة البابا لاون الكبير: "يسعدني ان اخدم اكثر من ان ارئس"، مضيفا قوله: "ان رئاستنا في المحبة هي خدمة. واذ نؤكد ذلك ننتقل بالفكر ليس الى اخوتنا وابنائنا الكاثوليك وحسب، بل الى كل الذين يسعون الى ان يكونوا تلاميذ يسوع المسيح ويعبدوا الله ويعملوا من اجل خير الانسانية"؟ ألم تكن لقاءاته المعدودة مع المؤمنين، في مقابلة يوم الاربعاء من كل اسبوع، بمثابة لقاء الاب مع بنيه، اذ اتسمت بالبساطة والطيبة والرقة والتواضع، سيما حين كان يحمل احد الحاضرين، وبنوع خاص الصغار، على التكلم؟ فبهذه البساطة عينها ارتضى البابا –الاب، في ١٣ أيلول، ان يترل عند رغبة ال ١٧٠٠٠ مؤمن يقبل عن مضض ان يحمل على العرش كي يتسنى للجميع ان يروه عن قرب!

مات يوحنا بولس الاول في ٢٨ ايلول على اثر نوبة قلبية حادة –وكان لجسامة المسؤولية التي انيطت به ثقلها في هذه النوبة–، غير انه استطاع في بضعة اسابيع ان يطبع في ذهن ملايين من البشر، مؤمنين وغير مؤمنين، صورة بابا يبتسم للحياة، بكل ما في هذه الابتسامة من رسالة حملت الى الناس شعاعا من الامل والرجاء... ذهب يوحنا بولس الاول الى بيت الآب تاركا في النفوس ذكرى بابا اعاد الى الاذهان بساطة الانجيل، وذلك ببساطته وفقره وتواضعه وطيبته وارادته الصالحة.

.. الى يوحنا بولس الثاني!

والتأم من جديد مجمع الكرادلة في ١٤ ت١، وخرج الكردينال فيليتشي مرة اخرى الى شرفة كنيسة القديس بطرس، في حوالي الساعة ٦،٣٠ من مساء ١٦ تشرين الاول، ليعلن للجماهير المحتشدة البشرى بانتخاب الكردينال كارول فويتيوا حبرا اعظم باسم البابا يوحنا بولس الثاني، ليكون خليفة القديس بطرس الرابع والستين بعد المئتين (٢٦٤) على كرسي روما. وكان انتخابه قد تم خلال يومين، وعقب ٧– ٨ عمليات اقتراع، وبعد ان اجاب

بالرضى على السؤال التقليدي الذي وجهه اليه الكردينال جان فيو بصفته كامرلنك[٢].

هذه هي المرة الثانية يتم فيها الانتخاب بسرعة، منذ وفاة البابا بولس السادس. وكان الكرادلة الناخبون ال ١١١ —من مجوع ١١٢ كردينالا يحق لهم الانتخاب[٣]— قد التزموا بوصية البابا الراحل الاسبق الذي نص القانون الذي اصدره في ١ أيلول ١٩٧٥ حول انتخاب البابا" بأن يتم الانتخاب سريعا ويحقق اجماعا"!

غير ان المفاجأة الكبرى التي خرج بها الكرادلة هذه المرة هي انهم حطموا تقليدا يرقى الى القرن السادس عشر، ووضعوا حدا "لاسطورة البابا الايطالي" حين اقدموا على انتخاب بابا بولوني في شخص الكردينال كارول فويتيوا رئيس اساقفة كراكوفيا! وكان آخر بابا غير ايطالي هو ادريانوس السادس الهولندي (١٥٢٢- ١٥٢٣)، ومنذ ذلك الحين تعاقب على الكرسي الرسولي، خلال ٤٥٥ سنة، ٤٥ بابا ايطاليا، بدءا بالبابا كليمنتس السابع.

ان انتخاب بابا غير ايطالي[٤] ذو مدلول كبير على صعيد الكنيسة الجامعة، ذلك لان البابا، بالاضافة الى كونه "اسقف روما" و"بطريرك الغرب" و"خليفة القديس بطرس" الخ...هو حبر اعظم "يرئس في المحبة" كنيسة الله، ويسعى، بالاشتراك مع كل اساقفة العالم، الى قيادة شعب الله وفق روح الانجيل في عالم يترتب على المؤمنين ان يشهدوا للبشرى السارة... فاختيار بابا غير ايطالي هو شهادة على جامعية الكنيسة وشموليتها وتعبيرا عن مبدأ "الجماعية" (أعني مشاركة الكنائس المحلية في قيادة الكنيسة الجامعة) الذي اكد عليه المجمع الفاتيكاني الثاني، واعلن البابا الجديد، في اول خطاب له، عن عزمه على تطبيقه بكل قواه.

كما ان انتخاب بابا بولوني للمرة الاولى في تاريخ البابوية كان —على حد تعبير المراقبين والصحفيين— فعل شجاعة وجرأة، سيما وان بولونيا هي احدى الدول الاشتراكية، وينتمي ٩٠% من سكانها الى الكنيسة الكاثوليكية. وقد رأى الكثيرون ان هذه الخطوة ستساهم الى حد كبير في تحسين العلاقات بين الكنيسة والدولة، ليس في بولونيا وحسب، بل في كل بلدان المعسكر الشرقي؛ ولقد دلت اولى ردود الفعل في بولونيا على الارتياح الذي قوبل به هذا الانتخاب على الصعيدين الرسمي والشعبي. غير ان كثيرا من المراقبين اخذوا يتطلعون بأمل الى المردودات الايجابية التي سيسفر عنها انتخاب البابا البولوني الجديد في تقريب شقة الخلافات الايديولوجية والسياسية بين اوربا الشرقية والغرب، وذهب التفاؤل ببعضهم الى التطلع الى يوم يوضع فيه حد للنزاعات بين القوى الكبرى في العالم بمساعي البابا الجديد...ولقد دل اهتمامه الاول بقضية السلام في لبنان — وكان البابا الراحل قد اعلن استعداده للذهاب الى لبنان ليساهم في وضع حد للمأساة التي يعاني منها الشعب اللبناني برمته— على رغبته الصادقة، وبصفته زعيما روحيا، في بذل الجهود التي من شأنها ان تساهم في بناء عالم يقوم على اسس العدالة والسلام.

لمحات من حياة البابا الجديد

ولد قداسته في ١٨ أيار ١٩٢٠ في فادوفيتش، مدينة صغيرة في مقاطعة كراكوفيا في جنوب بولونيا، من اسرة وضيعة. فقد والدته وهو في التاسعة من عمره، وكان والده

عاملا بسيطا توفي في اوائل الحرب الثانية، فاضطر فويتيوا الشاب الى مزاولة العمل خلال دراسته الثانوية والاعدادية. دخل عام ١٩٣٨ جامعة كاراكوفيا في قسم الفلسفة، وفي الوقت ذاته كان يتردد على معهد التمثيل، ومن ثم انخرط في فرقة للتمثيل الغنائي ومارسه في احد المسارح الممنوعة خلال الحرب العالمية الثانية؛ كما زاول العمل في معمل للمواد الكيمياوية في كراكوفيا. وفي عام ١٩٤٢ دخل المعهد الاكليريكي الذي كان المطران سابييها قد فتحه سرا ابان الاحتلال النازي(٥)، ورسم كاهنا في ١ ت٢ ١٩٤٦، ومن ثم واصل دراسته في جامعة "الانجيليكوم" الحبرية بروما حيث نال الدكتوراه في اللاهوت.

وعاد الى بولونيا عام ١٩٤٨ وتعين كاهنا مساعدا في عدة رعايا من ابرشية كراكوفيا ومرشدا للشبيبة الجامعية، وفي الوقت ذاته تابع دراسته في جامعة لوبلان الكاثوليكية وحصل عى الدكتوراه بالفلسفة -وكانت اطروحته عن الفيلسوف الالماني ماكس شيلر (١٨٧٤- ١٩٢٨)- ومن ثم اصبح استاذ اللاهوت الادبي في جامعة لوبلان وفي كلية اللاهوت بجامعة كراكوفيا. وفي تموز ١٩٥٨ عينه البابا بيوس ١٢ اسقفا مساعدا لابرشية كراكوفيا -ولم يكن لهذه الابرشية الواسعة رئيس اساقفة دائم- وفي ١٣ ك٢ ١٩٦٤ عينه بولس السادس رئيسا لاساقفة كراكوفيا.

لقد مارس المونسنيور فويتيوا، ابان انعقاد المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢- ١٩٦٥)، دورا ملحوظا ومشاركة فعالة في العديد من الوثائق المجمعية وبنوع خاص في وثيقة "الكنيسة في عالم اليوم"، وكان لآرائه صدى عميق في نفوس آباء المجمع. وفي اعقاب المجمع عاد، وكله عزم، على تجديد كنيسته ولا سيما في ما يتعلق بالليتورجيا والشؤون الراعوية، فكانت ابرشيته السباقة الى خلق "جلسات عمل" يتدارس فيها علمانيون وكهنة واساقفة قضايا لاهوتية وراعوية واجتماعية...ساهمت الى حد كبير في تقليص الهوة بين العلمانيين والاكليروس.

وبدت مشاركته في دورات "سينودس الاساقفة" الخمس مكثفة، سيما وانه كان منذ ١٩٧٤ احد اعضائه الدائمين. ولازال آباء السنودس، في دورته الاولى عام ١٩٦٧، يذكرون دعمه لمبدأ "الجماعية"، كما يذكرون الدور الذي لعبه -وكان البابا بولس السادس قد رقاه الى رتبة كردينال في ٢٩ ايار ١٩٦٧- في المناقشات حول "تعليم مسيحي لعصرنا" في الدورة الاخيرة عام ١٩٧٧. ومن الجدير بالذكر ان الكردينال فويتيوا كان عضوا في ثلاثة مجامع رومانية: مجمع الاسرار والعبادة ومجمع الاكليروس ومجمع التربية الكاثوليكية.

فاذا كان خليفة البابا الراحل يتمتع بشعبية واسعة، فذلك لانه قبل كل شيء، راع بكل معنى الكلمة، عرف ان يكون قريبا من شعبه، في تحسس عميق لمعانياته وآماله، ولانه في الوقت ذاته ذاك الاداري المحنك الذي استطاع ان يقود ثاني اكبر ابرشية في بولونيا في ظروف قاسية، وتحت ظل حكم شيوعي، وفي بلد تأصل فيه الايمان منذ الف عام فاصبح ظاهرة حضارية ملتصقة بحياة الامة البولونية ومعانياتها.

ويمتاز قداسة البابا يوحنا بولس الثاني بمواهب فكرية كبيرة وسعة اطلاع ونفاذ بصيرة وقدرة على الانفتاح والحوار، فضلا عن موهبة التحدث بلغات عديدة من بينها

الايطالية والروسية والالمانية والفرنسية والانكليزية، بالاضافة الى اللاتينية والبولونية.انه مفكر من درجة اولى، كتب العديد من المقالات اللاهوتية والفلسفية في مجلات متخصصة، وألف كتبا اهمها "حب ومسؤولية" ترجم الى عدة لغات "الانسان والفعل البشري" و"اسس التجدد في المجمع الفاتيكاني الثاني"...وهو لاهوتي ذو خبرة راعوية، يحرص بحزم على العقيدة والاخلاق المسيحية ويدافع عنها بقوة وصلابة، ولكنه ايضا رجل الصلاة ذو الايمان العميق الذي يعرف ان يوفق بين النداء الى العمل والنداء الى التأمل؛ وهو ايضا الرياضي الذي يستهويه التزلق والسباحة!

٩ بابوات خلال ١٠٠ عام

- **لاون ١٣ (جواشينو بيشي) ٢٠-٢-١٨٧٨ - ٢٠-٧-١٩٠٣**
- **بيوس ١٠ (جوزيفي سارتو) ٤-٨-١٩٠٣ - ٢٠-٨-١٩١٤**
- **بندكتس١٥ (جياكومو ديلا كييزا) ٣-٩-١٩١٤ - ٢٢-١-١٩٢٢**
- **بيوس ١١ (اشيل راتي) ٦-٢-١٩٢٢ - ١٠-٢-١٩٣٩**
- **بيوس ١٢ (اوجينو باجيلي) ٢-٣-١٩٣٩ - ٩-١٠-١٩٥٨**
- **يوحنا ٢٣ (انجيلو جوزيفي رونكالي) ٢٨-١٠-١٩٥٨- ٣-٦-١٩٦٣**
- **بولس ٦ (جيوفاني باتيستا مونتيني) ٢١-٦-١٩٦٣ - ٦-٧-١٩٧٨**
- **يوحنا بولس الاول(البينو لوتشياني) ٢٦ -٧-١٩٧٨- ٢٨-٩-١٩٧٨**
- **يوحنا بولس الثاني (كارول فويتيوا) ١٦-١٠-١٩٧٨**

(١) كانت اذاعة "اوربا رقم١" قد اذاعت، في ٢٩ آب، مقابلة مع بيرتو لوتشياني شقيق البابا : هل كان متميزا بالطيبة منذ صغره ؟

فأجاب: اذكر في عام ١٩٢١ (...) اننا كنا نفتقر الى الخبز، ولم اكن قد ذقت طعم الخبز الابيض منذ ولادتي عام ١٩١٧، واذكر ان اخي كان قد حصل على قطعة خبز كافأه بها شخص كان قد اعتنى به. لا شك ان اخي كان جائعا، غير انه احتفظ بقطعة الخبز وجاء بها الي راكضا مسافة ساعتين او ثلاثة دون ان يذوق طعمها. فحين اذكر هذه المبادرة اشعر وكاني لا زلت اتذوق طعم ذلك الخبز الذي لم يسبق لي ان ذقت مثله. واجاب بيرتو على هذا السؤال: هل كان يقول لك انه لو لم يكن كردينالا لاصبح صحفيا؟ -"بالتاكيد. فلقد كان يقول لي مرارا ان دعوته الحقيقية كانت في ان يصبح كاهنا كاتبا. وكان يردد ان القديس بولس لو عاش في عصرنا لكان ولا شك كاهنا واسقفا صحفيا". وعلى سؤال: لقد قيل بانه سيكون بابا محافظا وتقليديا، اجاب "ان صفة "المحافظة" لا تخص اخي، فهو يعرف دوما كيف يكيف قراراته حسب متطلبات العصر".

(٢) لم يتسنّ للبابا الراحل ان يعين "حارسا للغرفة الرسولية" (Camerlingue) الذي تقع عليه مسؤولية ادارة الكنيسة خلال فترة شغور الكرسي الرسولي، فكان على الكرادلة ان ينتخبوا احدهم لهذا المنصب في اسرع وقت. وقد تم اختيارهم للكردينال فيو الذي كان البابا بولس السادس قد عينه في هذا المنصب عام ١٩٧٠ بالاضافة الى كونه امينا لسر الدولة.

(٣) بعد وفاة الكردينال كراسياس رئيس اساقفة بومبي في ١١ أيلول الماضي اصبح عدد الكرادلة الناخبين ١١٢ كردينالا، وقد تخلف كردينال واحد بسبب المرض. وتجدر الاشارة الى ان ١٠١ من الكرادلة الذين يحق لهم الانتخاب -ممن لم يبلغوا الثمانين- كان البابا بولس السادس قد رقاهم الى الكردينالية.

(٤) من بين ٢٦٤ بابا، هناك ٢١٠ بابوات ايطاليون، بينهم ٩٨ من روما. اما البابوات الاخرون فينتمون الى جنسيات مختلفة: ١١ يونانيا ١١ فرنسي، ٦ من الشرق الاوسط (بينهم عراقي واحد)، ٣ افارقة، ٣ اسبان.

(٥) في مقابلة كانت مجلة I.C.I (No.293-294) الفرنسية قد اجرتها مع الصحفي الكاثوليكي البولوني ستانيسلاس ستوما، في اعقاب تعيين المونسنيور فويتيوا كردينالا عام ١٩٦٧، اعرب ستوما عن فرحه قائلا: "انه رجل ذو شعبية كبيرة في كل الاوساط، بحكم انخراطه في الكهنوت في عمر متاخر. ففي خلال الاحتلال، كان عاملا واصبح فيما بعد ممثلا في احد المسارح الممنوعة، وهذا ما يفسر صداقاته الكثيرة في اوساط المسرح البولوني..."

مقالات ١٩٧٩

مع مار إغناطيوس يعقوب الثالث/مقابلة /شباط
+ بويبلا على ضوء رحلة البابا الى المكسيك /آذار
مع مار إغناطيوس انطوان الثاني حائك/مقابلة /نيسان
+ الايمان بيسوع المسيح من خلال استفناء/ملف/أيار
+ بويبلا: منعطف؟ فمي إي اتجاه؟ /حزيران
* الكاهن كما يراه عالم الاجتماع/عدد خاص/أيلول
+ كهنة يتحدثون عن انفسهم/عدد خاص/طاولة /أيلول
+ حصيلة رحلة ١٧٠٠٠كم /ت٢
** الاجهاض.. ثمن الحياة؟ /ملف /ك١

بويبلا على ضوء رحلة البابا الى المكسيك

كان ١٨٦ اسقفا يمثلون ٢٢ مجلسا اسقفيا في مختلف بلدان امريكا اللاتينية على موعد، في بويبلا (المكسيك)، مع البابا يوحنا بولس الثاني الذي افتتح في ٢٧ ك٢ الدورة العامة الثالثة لاساقفة امريكا اللاتينية حول موضوع "التبشير بالانجيل في امريكا اللاتينية حاضرا ومستقبلا". الى هذه الدورة التي جاءت بعد عشر سنوات على دورة ميدلين (كولومبيا)، يتطلع بأمل الـ ٢٧٥ مليون كاثوليكي في القارة اللاتينية والذين سيؤلفون عام ٢٠٠٠ نصف كاثوليك العالم!

فالى عالم امريكا اللاتينية ذهب اسقف روما ليلمس بنفسه المظالم الاجتماعية التي افرزتها بنى الظلم ويصغي الى نداء الفقراء وينادي بحقوق الانسان وكرامته...

هل ستصغي بويبلا الى صراخ المعدمين والهامشيين والفقراء...؟

هل ستكون بويبلا -كما كانت ميدلين- منعطفا في حياة هذه المنطقة الساخنة؟

هل ستلبي بويبلا نداء المسيحيين الملتزمين بكلمة نبوية في كنيسة امريكا اللاتينية؟

الى هذه الاسئلة يحاول المقال ان يجيب.

في ٢٦ ك٢ الماضي تحولت ساحة الدستور في قلب مكسيكو سيتي الى بحر من الناس، امتزجت الوان ازيائهم بالوان العلمين المكسيكي والفاتيكاني، وهم يلوحون للبابا يوحنا بولس الثاني في اول رحلة له خارج ايطاليا خص بها القارة اللاتينية حيث يعيش اكثر من ثلث كاثوليك العالم وحيث يواجه ٣٣٢ مليون نسمة معضلات خطيرة على مختلف المستويات.

ذهب يوحنا بولس الثاني الى المكسيك –على اثار سلفه بولس السادس الذي سبقه الى كولومبيا عام ١٩٦٨ لافتتاح دورة ميدلين– ليفتتح الدورة الثالثة التي عقدت في بويبلا من ٢٧ ك٢ – ١٢ شباط، ويعلن في اول خطاب له في كاتدرائية مكسيكو عن "حب الكنيسة المفضل تجاه من هم اكثر فقرا"، ويؤكد بأن بويبلا يجب ان تنطلق من النتائج الايجابية التي خرجت بها ميدلين. وخرج ٢٠ مليون من الخلق –طيلة الرحلة– لاستقبال اسقف روما وكلهم أمل بأنه جاء ليحمل الرجاء الى هذه القارة التي اضحت مسرحا للمطامع والمصالح من الداخل والخارج!

من ميدلين.. الى بويبلا

كانت الدورة الثانية لمجلس اساقفة اميركا اللاتينية في ميدلين بمثابة "عنصرة" سجلت منعطفا تاريخيا في حياة كنائس القارة. كان الاساقفة الملتئمون آنذاك قد انكبوا على دراسة" موقف الكنيسة ازاء التحولات التي تعيشها اميركا اللاتينية " وخرجوا وهم على اقتناع تام بضرورة اصلاح جذري لبنى الظلم القائمة، واخذوا على انفسهم الوقوف الى جانب الطبقات الفقيرة.غير ان الاوضاع التي طرأت على الصعيدين السياسي والديني خلال السنوات العشر الاخيرة تضع بويبلا على مفترق في غاية الخطورة، بحيث اخذ البعض يخشى ان تخيب بويبلا الامال التي كانت قد انبتتها ميدلين!

في اعقاب ميدلين انطلقت جماعات القاعدة وانتشرت في العديد من البلدان، ونشأت حركات عديدة التزمت قضايا الانسان والدفاع عن حقوقه والعمل على تحريره، وكان لاهوت التحرير والمحاولات اللاهوتية الجادة دعما للممارسة التحررية (Praxis) الخ... وفي الوقت ذاته قامت حكومات عسكرية في العديد من الدول –هوندوراس وسلفادور عام ١٩٧٢، واركواي وكوتيمالا وشيلي عام ١٩٧٣، وبيرو والارجنتين عام ١٩٧٦...– ونشأت معها ايديولوجية "الامن القومي" التي اتسمت بشن الحرب على الفكر الاشتراكي بنوع عام والفكر الماركسي بنوع خاص، متخذة القمع اسلوبا في الحكم ووسيلة لاسكات كل صوت ينادي باصلاح البنى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية...كانت مقررات ميدلين قد وضعت اصبعها على الجرح حين رأت في التبعية الاقتصادية اصل التخلف، فدعت الى التحرير على ضوء انجيل الخلاص. لم يكن هذا التحليل وما رافقه من نتائج عملية، ليروق للحكومات العسكرية التي تشتم في كلمة التحرير والعدالة رائحة الماركسية! فكان لكثير من الاساقفة والكهنة والعلمانيين الملتزمين نصيبهم من القمع بكافة اشكاله [1].

بوبيلا منعطف.. ولكن في أي اتجاه ؟

ازاء ما خلفه قيام الانظمة الفاشية من تفاوت صارخ بين الطبقات، وازاء تصاعد التبعية الاقتصادية من جراء انتشار رقعة الشركات متعددة الجنسية، وازاء التنامي السكاني وما رافقه من معضلات...عقد اساقفة امريكا اللاتينية دورتهم العامة الثالثة في بوبيلا! وقبيل انعقاد الدورة ترددت شائعات مفادها ان بوبيلا ستضع حدا "للانحرافات" اللاهوتية والراعوية التي نتحت عن ميدلين، وزادتها يقينا ورقة العمل التي اعدتها لجنة التنسيق (ف. م.العدد ١٤٠، ص٤٦٥) وقد بدت متراجعة عن توجيهات ميدلين النبوية، وانتقدها بشدة لاهوتيون من اوربا واميركا اللاتينية (ف. م.العدد ١٤٠، ص٤٧٠). وراح العديد من المراقبين الكنسيين يخشون ان يكون للاساقفة المحافظين —وبعضهم يتبوّأون مناصب بارزة في مجلس اساقفة امريكا اللاتينية (سيلام)— من مناهضي لاهوت التحرير ورافضي الالتزام السياسي — الاجتماعي، وزن في تسيير بوبيلا وفقا لاتجاهاتهم، ومن المحتمل ان يُخنق صوت الاساقفة النبويين الذين يتمنون ان تكون بوبيلا انطلاقة جديدة الى امام!

هل ستحمل بوبيلا كنيسة اميركا اللاتينية على الانطواء على ذاتها ام ستكون نقطة انطلاق لمزيد من الالتزام الى جانب الفقراء والمقهورين والذين لا صوت لهم؟ من الصعب جدا ان نجيب الآن الى هذا السؤال. الا اننا نستطيع ان نعكس جانبا من الاجابة من خلال الخطابات التي القاها البابا طيلة رحلته الى المكسيك وبنوع خاص الخطاب الذي القاه في افتتاح دورة بوبيلا.

اعضاء بوبيلا

يشارك في اعمال دورة بوبيلا ١٨٦ اسقفا يمثلون اساقفة اميركا اللاتينية الـ ٩٠٠ (اكثر من ثلث اساقفة العالم الكاثوليكي) من ٢٢ بلدا، فضلا عن الدوائر الرومانية وسفراء بابويين وممثلين عن الكنائس المسيحية، بالاضافة الى عدد من الكهنة والعلمانيين ونخبة من اللاهوتيين والخبراء...

وكان الكرسي الرسولي قد عين لرئاسة الدورة الكردينال الوازيو لورشيدر رئيس مجلس سيلام والكردينال باجيو رئيس اللجنة الحبرية لاميركا اللاتينية والمونسنيور اهومادا رئيس اساقفة مكسيكو.

البابا يدافع عن صفاء المعتقد...

كشف يوحنا بولس الثاني، من خلال اكثر من ٣٥ خطابا، القاها عبر ٢٩٠٠ كم قطعها في ارجاء المكسيك، عن فكره اللاهوتي ومفهومه عن الكنيسة ورؤيته للانسان وقضاياه. ففي بوبيلا حيث اقام قداسته قداسا مشتركا مع اعضاء الدورة التي بدات اعمالها في عصر ٢٨ ك٢، اكد بان التزام الكنيسة يجب ان يستند الى صفاء المعتقد وتجنب النظر الى يسوع وكانه ثائر التزم سياسيا صراع الطبقات ليس الا، وان الدخول الى ملكوت الله يتم عن طريق الايمان والانتماء الى الكنيسة، وليس الالتزام السياسي — الاجتماعي وتغيير البنى وحسب.

وتحدث البابا عن رؤية الكنيسة للانسان الذي هو ابن لله وصورة له، هذا الانسان الذي "تُمتهن كرامته، على الصعيد الفردي، حين لا يتمتع بحقه في الحرية وحقه في المجاهرة بايمانه وفي صيانة سلامته الجسدية والنفسية وحقه في الخيرات الاساسية وفي الحياة...وتحتقر كرامته، على

الصعيد الاجتماعي والسياسي، حين لا يتسنى له ممارسة حقه في المشاركة بالشؤون العامة او حين يخضع لضغوط غير مشروعة تنافي العدالة او حين يضحي ضحية التعذيب الجسدي او النفسي". واعلن قداسته بان الكنيسة تريد ان تحتفظ بحريتها ازاء كل الانظمة السياسية ليتسنى لها ان تلتزم الدفاع عن حقوق الانسان وكرامته في اطار رسالتها الخاصة، فهي ليست بحاجة الى استلهام ايديولوجيات معينة في "حب الانسان والدفاع عنه والمساهمة في تحريره... ومناهضة كل العبوديات واشكال السيطرة والتمييز... وكل اشكال القهر التي تُمارس ضد الانسان وضد الحياة"، اذ ان للمسيحي في الانجيل خير محفز للالتزام بخدمة "اخوته الصغار الاكثر فقرا والذين يعيشون على هامش المجتمع وكل الذين يعكسون وجه المسيح المتألم".

وفي معرض حديثه عن الملكية الخاصة واقتسام الخيرات بين افراد الاسرة البشرية، اعلن قداسته بجرأة: "كل ملكية خاصة يجب ان تقترن بها شبه كمبيالة اجتماعية"! وقال بانه طالما لا يوجد بعد نظام يكون قادراً ان يغير البنى التي تخلف اغنياء يزدادون ثراء وفقراء يزدادون فقرا، فلا بد من الرجوع، في الحياة الدولية، الى المبادىء الاخلاقية واسس العدالة والى وصية المحبة الكبرى.

... ومدافع عن حقوق الانسان

وفي خطاباته الاخرى، سواء في معبد سيدة كوادالوب ام في كاتدرائية مكسيكو، وسواء امام الاساقفة والكهنة ام امام الطلاب والعمال، كان قداسته يذكّر دوما بواجب الحرص على سلامة الايمان وعمق الروحانية من جهة، وبواجب الكنيسة في الدفاع عن حقوق الانسان ازاء الاستلابات المختلفة من جهة اخرى. وفيما كان قداسته يذكّر الاساقفة بمهمتهم التعليمية ويحذر الكهنة الا يكون اهتمامهم بالمهام الزمنية على حساب رسالتهم الروحية ويؤكد على واجب العلمانيين بالتزام المهام الزمنية... كان يعلن في الوقت ذاته بان التزام الكنيسة من اجل الانسان يجب ان يستند الى الانجيل الذي يدعو الى التضامن مع كل البشر ولا سيما اولئك الذين هم اكثر فقرا.

قال البابا

- **للمؤمنين: لا يمكن الفصل بين التبشير بالانجيل وتقدم الانسان، غير ان التبشير بالانجيل، في نظر الكنيسة، يجب ان يتميزعن مهمة السعي الى تقدم الانسان. الكنيسة تدعو المسيحيين الى الالتزام ببناء عالم اكثر عدالة واكثر انسانية، يكون صالحا للعيش، ولكن يجب ان يكون منفتحا على الله.**
- **للكهنة والرهبان: لستم مرشدين اجتماعيين او قادة سياسيين او موظفين في نظام زمني. كونوا قادة روحيين ورسلا لاسرار الله.**
- **للاساقفة: انتم معلمو الحقيقة، رسالة الكنيسة ذات طابع ديني وليس طابعا اجتماعيا او سياسيا.**
- **للشباب: عطشكم الى المطلق لا ترويه ايديولوجيات تحمل على الحقد والعنف والقنوط.**
- **للعمال: اتألم للمظالم التي تنتابكم، ولكني اتألم ايضا بسبب ايديولوجيات العنف والحقد التي تسيء الى الانسانية.**
- **للهنود: اعلن تضامني مع قضية هذا الشعب الوضيع الفقير. فالبابا يريد ان يكون صوتكم، صوت الذين لا يستطيعون الكلام او الذين أُلزموا على الصمت.**
- **للقادة: ليس عدلا ولا انسانيا ولا مسيحيا ان تستمر بعض الاوضاع غير العادلة.**

ولقد تميزت كلمات البابا الى الفلاحين الهنود الذين تجمعوا بالقرب من أوكساكا، والى العمال في مونتيري –المدينة الصناعية في شمال المكسيك– والى الفقراء من سكان حي سانت سيسيليا الفقير في كوادالاجارا الخ... بنبرة جريئة حين راح يؤكد على العدالة في توزيع الخيرات ويطالب بظروف عيش كريم...وفي الوقت ذاته لم يدع قداسته فرصة الا واغتنمها لاعلان بشرى الانجيل، حتى ان بعض المراقبين وصفوه بانه بدا وكأنه "بطل الايمان"!

غير ان الحلول التي قدمها البابا البولوني لمعالجة المظالم التي تخضع لها الطبقات الفقيرة والعاملة بقيت غامضة على حد تعبير العديد من الصحفيين الذين واكبوه في رحلته. وقد رجّع الان وودرو في جريدة ليموند الفرنسية (٢ شباط ١٩٧٩) صدى هذا الغموض في خطابات البابا بقوله: "بقي المراقبون في حيرة ازاء الحديث المزدوج للبابا، بحيث وصف بالمحافظ حين كان يحذر من السياسة ويمتدح التقوى للعذراء والفقر الانجيلي، وبالتقدمي حين كان يدافع عن حقوق الانسان ويفضح المظالم الاجتماعية... وقد ذهب بعضهم الى القول بانه كان يريد ان يرضي الجميع عبر مهارة في التكتيك"! ويستطرد وودرو قائلا: "ان تعليم يوحنا بولس الثاني يستلهم رؤية لاهوتية واضحة –رؤية كلاسيكية ولا شك– تقوم في التمييز بين الروحي والزمني". هذه الرؤية برزت في كل خطبة حيث كان يحذر الاساقفة والكهنة من العمل السياسي والاجتماعي من جهة، ويدعو المسيحيين والقادة الى الالتزام بالعدالة والدفاع عن حقوق الانسان من الجهة الاخرى. ويواصل مراسل ليموند تحليله، واضعا الفكر اللاهوتي الحديث في اميركا اللاتينية الذي ينطلق من الواقع الى الله، ازاء الرؤية اللاهوتية التي تنطلق من الله، والحقيقة الموحاة لصياغة البناء العقائدي؛ ويقول بأن البابا تبنى هذه الرؤية الاخيرة.

نحن متفاءلون !

ومهما يكن، فمن الواضح ان رحلة البابا الى اميركا اللاتينية سيكون لها اثرها البالغ على دورة الاساقفة المجتمعين في بوبيلا، ونأمل ان يكون هذا الاثر ايجابيا! ولعل هذه الشهادة التي ادلى بها الفاريز ايكازا (وكان من العلمانيين الذين حضروا جلسات المجمع المسكوني بصفة مراقب) الى مرسل مجلة (Le pelérin) (١١ شباط) تكشف عن الامال التي وضعها مسيحيو القارة اللاتينية على بوبيلا في اعقاب زيارة البابا للمكسيك، حيث جاء فيهما:

"لم يغلق البابا الابواب... لقد بدأ يكتشف واقع امريكا اللاتينية بعد ان سمع صرخات الرجاء والضيق التي ترفعها شعوبنا؛ وفضح نظاما يصبح فيه الفقراء اكثر فقرا والاغنياء اكثر غنى.. لذا فنحن متفاءلون بشأن بوبيلا وان كنا نعلم بأن الاساقفة المحافظين لن يألوا جهدا في تمييع عبارت يوحنا بولس الثاني".

---

(١) قتل خلال السنوات الاخيرة ٣٥ كاهنا واسقف واحد، وتعرض حوالي ١٠٠٠ كاهن للتهديد والاعتقال والنفي، فيما قتل علمانيون بالمئات واعتقلوا بالألوف.

الايمان بيسوع المسيح

هذا الملف هو بقلم قرائنا! فهو يحمل اجاباتهم الى الاستفتاء الذي اطلقته المجلة مع عدد شباط، والتي عكست اراءهم في المسيح ومفاهيمهم عن الايمان وكشفت عن الاسس التي يقوم عليها هذا الايمان وصيغ التعبير عنه.. فالى جميع الذين شاركوا في الاجابة نقدم شكرنا العميق.

ان استفتاء كهذا حول الايمان بيسوع المسيح -مهما اتصف بالشروط العلمية لرصد الراي وقياسه، وايا كان حجم المشاركة ونزاهة المشاركين، ومهما كان جرد النتائج على جانب كبير من الموضوعية- لا يعكس الواقع الايماني بشكل تام، غير انه يعطي مؤشرات عامة لمواطن الضعف ومراكز الثقل في مستوى الايمان، تعود بالنفع على الذين تقع عليهم مهمة زرع الايمان وتنميته، اذ تمكنهم من تكييف سبل التثقيف المسيحي بما يتلاءم وحاجات المؤمنين. كما تعود هذه المؤشرات بالفائدة على المستفتين أنفسهم اذ تحملهم على اعادة النظر في مفاهيمهم على ضوء خبرات الاخرين، وبذلك يكون هذا الاستفتاء قد حقق بعض اغراضه!

سبق فطرح يسوع على تلاميذه هذا السؤال: من ترى انا في نظر الناس؟ وجاءه الجواب هزيلا: البعض يقولون انك يوحنا المعمذان، وآخرون انك ايليا، واخرون انك واحد من الانبياء.. حينئذ وجه يسوع السؤال الى الرسل انفسهم: وفي نظركم انتم، من أنا؟ فجاء جواب بطرس: انت المسيح (مرقس ٨ :٢٧- ٢٩). ويضيف متى الانجيلي على هذا الاعتراف عبارة:.. ابن الله الحي (متى ١٦: ١٦).

هذ السؤال طرحه عليكم، قراءنا الاعزاء، استفتاء الفكر المسيحي، وكان يهدف استقصاء اعمق الاسس التي يقوم عليها ايمانكم بيسوع المسيح والدوافع التي تحملكم على الايمان به. وتفرع السؤال فشمل تساؤلا عن الاثر الذي تركته وتتركه في نفوسكم تعاليم المسيح، ومن ثم تعداه الى رصد الافعال التي تعبر عن ايمانكم ومدى تجسده في واقع الحياة اليومية.

وعمدنا الى وضع عشرة اجوبة لكل سؤال تعكس اسسا ودوافع للايمان تختلف في قوتها وعمقها، وتكشف عن مفاهيم مختلفة للايمان، وطلبنا اليكم ان تضعوا تسلسلا في اجاباتكم وتعليلا عميقا عن سبب اختياركم الاول. ولا نخفي باننا تعمدنا اختيار اجوبة يعكس بعضها جوانب اساسية للايمان، فيما يعكس بعضها الاخر جوانب ليست بذات الاهمية، مما احرج البعض فلم يوفقوا الى وضع تسلسل لاجاباتهم! (راجع العدد الاخير في باب :تعليقات وآراء).

وجاءت اجاباتكم —وكنا نتمنى ان تكون اوفر واغزر مادة— فعكست، الى حد ما، واقع الايمان ومستواه في كنيستنا العراقية.

وقد اتسم هذا الايمان بدوافع بعضها يوحي بروحية عميقة، فيما يوحي بعضها الاخر بضحالة الثقافة المسيحية! وفي كلتا الحالتين كانت اجاباتكم على جانب كبير من الصراحة والعفوية، يكمل بعضها بعضا في ابراز وجه ذاك الذي (تحبونه وان لم تروه وتؤمنون به وان لم تشاهدوه بعد) على حد تعبير القديس بطرس في رسالته الاولى (١ :٨)، والذي يمنح الايمان به معنى لحياتكم.

ولدى أول قراءة لنتائج الاستفتاء يتضح بان عدد المشاركين بلغ ٦٣% فيما بلغت نسبة المشاركات ٣٧%. غير ان نسب الاعمار توحي بان الاستفتاء استقطب بالدرجة الاولى اهتمام الشباب الذين تتراوح اعمارهم بين ١٩ — ٢٥، اذ بلغت نسبتهم ٤٨% ازاء ٢٢% لمن هم بين ١٤- ١٨ سنة و٢٢% ايضا للذين بين ٢٦- ٤٠ سنة، فيما بلغت نسبة الذين تجاوزوا الاربعين ٨%. ويتوزع المشاركون من حيث المهنة الى طلاب (٥٦%) وموظفين "٤١%"، و لم يتجاوز نسبة العمال ٣%!

وفيما يلي نثبت جدولا باجابات القراء الى الاسئلة الثلاثة، بدءا بالاختيار الاول، علما بان ٣٠% من المشاركين عدلوا عن مواصلة وضع تسلسل للاجابات العشر المقترحة! وتلك اشارة الى ان هناك عوامل ودوافع ليس لها مكان في ايمان ناضج. ويتضح من قراءة سريعة بان اكثرية المشاركين " ٣٢% " يؤمنون بان يسوع هو ابن الله، ويدفعهم ايمانهم الى الشهادة له بحياتهم " ٣٥% "، ويجسدون هذا الايمان عن طريق قراءة الانجيل والتأمل (٢٨%). هذه النتيجة الاولى قد ترضينا وتعزينا حينا، غير ان عزاءَنا سرعان ما يفتر حين نكتشف بان تعليل القراء عن سبب اختياراتهم الاولى لم تحمل دوما عناصر دسمة حول فهمهم للمدلولات التي تختفي وراء عبارة (ابن الله) وغيرها من المفاهيم، وغالبا ما جاءت تعليلاتهم بصيغة التاكيد على حقائق تلقوها دون ان يكتشفوا ما ينطوي عليها من ابعاد..

لماذا تؤمن بيسوع المسيح؟

	اخذ جانب الفقراء	علمنا اننا ابناء الله	وعدنا بالسماء	لانه ابن الله	لانه رسول المحبة	دعا الى انقلاب في الحياة	نشأت في عائلة مسيحية	لانه صانع معجزات	تألم ومات من اجلنا	يحفظني من مخاطر الحياة
١	٦	٨		٣٢	١٨	٩	٣	١	٢٣	
٢	١٠	٢٧	٣	١٤	١٨	١٠		٢	١٦	
٣	١٤	١٨	٥	٩	٢٧	٥	٢	٦	١٢	٢
٤	٢١	١٢	٨	٣	١٣	١٢	١	٨	١٢	٦
٥	١٥	١٠	١٢	١٠	٥	١٨	٥	١١	١٠	٤

في قراءة فاحصة لهذا الجدول يتبين لنا ان الاساس الذي يقوم عليه ايمان ٣٢% من المشاركين هو في كون المسيح (ابن الله)، الذي تألم ومات من اجلنا (٢٣%)، ويليهم اولئك الذين يؤمنون بيسوع كونه رسول المحبة "١٨%"، فيما لا تنال دعوة المسيح الى انقلاب في الحياة سوى ٩%، وكذلك الحال بالنسبة لدعوته لنا الى مشاركته بنوّته الالهية (٨%) ونلفت الانتباه الى ان اختيار القراء الاول لم يتجه قط نحو دوافع انتفاعية كتلك التي تقوم في كون المسيح يحفظنا من مخاطر الحياة ويعدنا بالسماء، او في كونه صانع المعجزات الخ.. ولا تاتي هذه الدوافع الا في المراتب الاخيرة.

واليكم عينة من هذه الاجابات، على علاتها، وقد اختلط غثّها بسمينها !

- **اؤمن بيسوع لانه ابن الله**

- ..اؤمن بالمسيح عليه السلام ممثلا في سر الثالوث الاقدس (يوسف الخياط، طالب جامعي، ٢٣ سنة)
- لاني اؤمن بانه نبع من روح الله (بهجت عزيز كورو، ٢٠ سنة)
- الايمان بيسوع على انه ابن الله يجعلني اشعر انني اعيش حياتي واعرف سبب وجودي (ن.ع.، موظفة ٢٤ سنة)
- تلك هي حقيقة لم يعد للشك ان يرتقي اليها، اؤمن بها ايمانا ثابتا، والايمان نعمة حباني بها الله (حنا يلدا حنا، موظف، ٤٤ سنة)
- ايماني بيسوع المسيح انه ابن الله من خلال الاقوال التي كان يؤكد عليها مقرونة بالاعمال... (شليمون اليشا، طالب جامعي، ٢٥ سنة)
- المسيح الاله المتجسد نزل في صورة الله وصار انسانا حتى يعيش الحياة البشرية مثلنا... ويحدثنا عن الاب. ويحيي بتأنسه الانسانية (ز.س، طالبة جامعية، ٢١ سنة)
- المسيح ابن الله، بل هو الاب والابن والروح القدس... ويسوع هو كل شيء لانه الحي الازلي الذي لا يموت (جيهان مطلوب، موظفة، ٢٨ سنة).
- لان المسيح من روح الله في مريم العذراء (غ.غ، موظف ٢٥ سنة)
- ليس بوسعي ان اعطي تعليلا كافيا لهذه العبارة وقد كتبتها تلقائيا (ن.م.ه. طالبة. ١٧ سنة)

- **اؤمن بيسوع لانه تألم ومات من اجلنا**

- لانه تالم وتعذب واختار الطريق الصعب من اجل بث المحبة ونشر السلام في العالم (كامل صليوة، عامل، ٢٥ سنة).
- اختياري هذا الجواب لانه يعطي المفهوم الايديولوجي للفكرة المسيحية... (خالد جبرائيل سليمان، طالب، ١٩ سنة).
- ... وكان ذلك من اجل خلاص البشرمن الخطيئة الاصلية (بطرس كوركيس، معلم، ٤٥ سنة).
- الفداء... تلك الحقيقة الانجيلية الخالدة، محور ايماننا بالمسيح ودلالة الحب...والحب لا يعني الشعور المجرد! انه، وكما كان عند يسوع، ان تسلب ذاتك في سبيل الاخرين (ماهر خليل ابراهيم، طالب جامعي، ٢٢ سنة).
- المسيح لم يعمل خطيئة وانما صار خطيئة بسببنا، فكيف لا نقبله مؤمنين بموته وقيامته؟ المسيح انتصر على الموت وقام من بين الاموات، ففيه الخلاص...(ذكرى كامل، طالبة، ٢١ سنة).

- **اؤمن بيسوع لانه رسول المحبة**

- المسيح رسول المحبة حيث بعث في قلبنا الحب لجميع الناس (اسمهان كوركيس، طالبة، ٢١ سنة).
- ...ويسوع هو محبة، والمحبة تتانى وترفق، المحبة لا تحسد الى...(سالم حبيب القس موسى، موظف، ٢٨ سنة).

- **اؤمن بيسوع لانه دعا الى انقلاب في الحياة**

- دعا يسوع الى الولادة الجديدة والحياة الجديدة..وهذا يعني انقلابا من اجل حياة افضل (رمزي ادور ناري، موظف، ٢٨ سنة).

- الانقلاب هو في الحقيقة تغيير المعالم الاساسية للواقع الاجتماعي..انه اشهر انقلاب عرفته البشرية..ولّد يسوع نوعا من العلاقات لم تكن مألوفة في ذلك المجتمع..وغرس قيما جديدة تخدم البشرية، ليس في الناصرة او فلسطين فحسب، انما لعموم العالم، ومن هنا جاءت تسمية الانقلاب..لشموليته (؟)
- .. جاء لينتشل الانسان من وهدة العبودية والاستغلال ويفتح امامه افاقا رحبة تحقق له قيمته الحقيقية وتحرره من المفاهيم الخاطئة التي كان يفسر بها حياته ووجوده (عمانوئيل قيا بلو، معلم، ٤٥ سنة).

- **اؤمن بيسوع لانه علمنا اننا ابناء الله**

- كان المفهوم السائد عن الله انه السيد القوي الذي يسيّر الانسان.. جاء المسيح ودخل حياتنا وعلمنا اننا ابناء الله وان الله يحبنا وهو محررنا من كل القيود.. (اركان فرج جميل، طالب، ١٨ سنة).
- ان نكون ابناء الله يعني ان لا نكون غرباء في هذا العالم..ان يكون حضورنا من منطلق رئيسي هو اننا وجدنا لنحب الانسان الذي نلتقي به (وبالاخص الفقراء والمظلومين والذين انتهكت حقوقهم) ولكي نخلق عالما جديدا مليئا بالفرح والمحبة والامل.. وان لم نكن كذلك، فلا داعي لان نحمل هذا اللقب(غ.ق.، مدقق، ٢٢ سنة).

ما هو اثر المسيح في حياتك ؟

	تحمل المصائب	احترام حقوق الاخرين	الشهادة للمسيح بحياتي	مقاسمة الفقراء والمتالمين	التسامح والمغفرة	محبة وطني	اسعاد الاخرين	مناهضة الظلم	الاخلاص في عملي	التزام قضايا الانسان
١	١٤	٥	٣٥	١	١٤	٤	٤	٤	٨	١١
٢	١٩	٧	١١	٧	٢٨	٦	١	٧	٦	٨
٣	٩	١٨	٢	١٩	١٥	٩	٥	٧	٧	٩
٤	١٣	١٣	٨	١٨	٩	٧	١٤	٨	٧	٣
٥	٨	٦	٧	١٧	٨	١١	٧	١٩	١١	٦

حصيلة هذا السؤال هو ان ٣٥% يدفعهم ايمانهم بالمسيح الى الشهادة له بحياتهم. هذا الجواب يدل لاول وهلة على نضوج في الايمان، غير ان اكثر الاجوبة الواردة لا توحي بفهم عميق لمدلول هذه الشهادة وابعادها في حياة المؤمن. ويصرح ١٤% من المشاركين بان تعاليم المسيح تدفعهم الى تحمل المصائب! وفيما يسجل التسامح والمغفرة ١٤%، لا يسجل الالتزام بقضايا الانسانية سوى نسبة ١١ % فقط! وتتوزع النسب الباقية بين الاخلاص في العمل واحترام حقوق الاخرين واسعادهم ومناهضة الظلم ومحبة الوطن ومقاسمة الفقراء والمتالمين. ومن الجدير بالملاحظة في هذا الجدول هو ان النسب تتوزع ما بين مختلف جوانب الاثر الذي يتركه المسيح في حياة المؤمن، فياتي التسامح والمغفرة في المرتبة الثانية، ويذهب الالتزام بقضايا الانسانية في تناقص، فيما تسجل مقاسمة الفقراء والمتالمين تصاعدا بالمرتبة الثالثة...ولا ترتفع نسبة مناهضة الظلم ومحبة الوطن والاخلاص في العمل الا في المرتبة الخامسة.

**** تعاليم المسيح تحملني على الشهادة له بحياتي**

- المسيح تالم ومات من اجل خلاصنا فيجب ان ندافع عن رسالته وننشرها (بسام عبد الاحد، طالب، ١٧ سنة).
- اشهد بانه جاء ليخلصنا من الخطيئة.. (رجاء يوسف، طالبة، ١٧ سنة).

- من الطبيعي ان نقتفي اثار من نحب وان نعمل كما عمل هو..الشهادة للاب كانت رسلة يسوع، والشهادة للاب ستكون رسالتي على مثال يسوع (م.ك، طبيبة، ٢٥ سنة).
- ..حياتي خير طريق اسلكه لكي اوضح اثر المسيح في (نيران حنا، طالبة، ٢١ سنة).
- ضحى المسيح بحياته من اجل الانسان، فيجب على الانسان ان يضحي بحياته من اجل المسيح.. فالكنيسة ما انتعشت ونمت الا بالاستشهاد (نائل يوسف حنا، طالب اعدادي، ٢٠ سنة).

**** المسيح يدفعني الى التسامح والمغفرة**

- التسامح اجمل صفة في الانسان المسيحي.. (ليلى، مدرسة، ٢٨ سنة).
- كل الاجوبة هي نتائج محبة المسيح (عماد يوسف ارتين، طالب، ٢٥ سنة).
- اعظم وصية.. ان نحب قريبنا مثل نفسنا (حنا عربو، موظف متقاعد، ٧٩ سنة).

**** تعاليم المسيح تدفعني الى تحمل المصائب**

- المسيح مثلي الاعلى. واذا كان قد حمل صليبه من اجلي، فعلي ان احمل صليبي واتبعه (دينا ماردييني، طالبة، ١٧ سنة).
- لاني لاقيت شتى انواع المصائب والالام، ولولا تعاليم المسيح بهذا الصدد لما استطعت ان اتحملها.. (عصام يوسف بيداويد، خريج معهد السكك، ٢٥ سنة).

**** المسيح يحملني على الالتزام بقضايا الانسانية**

- تعليل اختياري الاول مرتبط بتعليلي في السؤال السابق: فالمحبة توحي الي بالتزام القضايا الانسانية لان كل البشر ابناء الله واخوة المسيح (يعقوب افرام منصور، موظف، ٥٣ سنة).
- انعزالنا عن القضايا الانسانية هو انعزال عن تاثير المسيح في حياتنا (زهير ابراهيم رحيمو، مدرس جامعي، ٢٩ سنة).
- بما ان يسوع المسيح كان مثالا للتضحية والفداء من اجل خلاص البشرية، فان التزام قضايا الانسانية هي، من وجهة نظري، في مقدمة الامور التي اقتدي فيها بيسوع المسيح (كريمة حنا كوريا، موظفة، ٢٣ سنة).

**** تعاليم المسيح تدفعني الى الاخلاص في عملي**

- الاخلاص في العمل هي الرسالة الصامتة التي يجب على كل فرد ان يندفع اليها.. وانا كمسيحي اخلص في عملي لاودي نوعا من الشهادة لمسيحيتي (أ.ع.أ،موظف، ٣٣ سنة).

ما هي الافعال التي تعبر عن ايمانك بالمسيح؟

	التصدق على الفقراء	الصيام المفروض	النذور	قراءة الانجيل والتامل به	تكريم القديسين	تحقيق مجتمع افضل	الصلاة	التناول	سماع القداس	التزام وصايا الله والكنيسة
١	٥	١		٢٨	١	٢٣	٩	٣	٦	٢٤
٢	١١	٢	٢	٢٨		٣	١٣	٦	١٥	٢٠
٣	١٠	٧	١	١٤	١	٥	٢٠	١٠	١٦	١٦
٤	٦	١٠	٣	٩	٨	٥	١٧	١٩	١٣	١٠
٥	١٣	١٢	٣	١٢	٨	١	١٣	٩	١٧	١٢

في هذا الجدول –وخلافا للجدولين السابقين– لا يتم اجماع على كيفية تجسيد الايمان، اذ تتوزع النسب بين ممارسات ثلاث: قراءة الانجيل والتامل به (٢٨%)والسعي لتحقيق مجتمع افضل (٢٣%) والتزام وصايا الله والكنيسة (٢٤%). وتنال الصلاة تاييد ٩%، ولا يحظى القداس الا بـ ٦%. وتجدر الاشارة الى ان الممارسات الروحية كسماع القداس والصلاة والتناول لا ترتفع نسبها الا في المراتب اللاحقة. ولا تكاد ترتفع نسبة الممارسات الاخرى كالتصدق على الفقراء وتكريم القديسين والصيام والنذور. غير ان ما يلفت الانتباه هو ان قراءة الانجيل تحظى من جديد بالمرتبة الثانية وبعين النسبة وتسجل ما يقارب الـ ١٠٠% في المراتب الخمس الاولى جملة!

واليكم عينة من الاختيارات الاولى:

- **قراءة الانجيل والتأمل به**

- الانجيل هو النبراس الوحيد الذي يجعلنا نتعرف على المسيح ونقترب منه (أ.ع.أ، موظف، ٣٣ سنة).
- انه المرجع الاول والاخير، فهو ينير لي طريق الحياة. بالرغم من انه كتب قبل الفي سنة، لكن حوادثه تنطبق على حياتنا هذه (نمير، طالب، ١٩سنة).
- قراءة الانجيل تدلنا على حقيقة الايمان بالله ووصاياه (هناء بطرس، طالبة، ١٤ سنة).
- عندما اقرأ الانجيل اكون قد امتلأت بنعمة الرب يسوع له المجد، واكون قادرا على عمل الخير واعيش الحياة المسيحية بكل معانيها (نجم عبد يلدا، طالب جامعي، ٢١ سنة).
- اكبر عمل اعبر من خلاله عن ايماني بالمسيح هو قراءة الانجيل والتامل به.. ومناقشة محتوياته مع الاخرين (شليمون اليشا).
- الله يكلمنا من خلال قراءتنا الانجيل ونتوصل الى ما يريده الله منا (مازن الياس، طالب، ١٩ سنة).
- لان الانجيل يرينا وجه المسيح على حقيقته.. (ك.ع.س، طالب، ٢٣ سنة).

- **التزام وصايا الله والكنيسة**

- سبب اختياري لهذا الفعل لانه الاول والاخير الذي يخلصنا من نار جهنم (ن.م.ه، طالبة، ١٧ سنة).
- من يلتزم بوصايا الله والكنيسة يعتبر مسيحيا بالحق (دریاوش اندریوس، موظف، ٢٥ سنة).
- لان الوصايا هي التي تعلمني الافعال الاخرى التي تعبر عن الايمان بالمسيح (قریاقوس رزوقي، موظف، ٢٦ سنة).

- **السعي لتحقيق مجتمع افضل**

- اعظم الوصايا محبة الله والقريب.. وهذا يدعوني الى التوجه بكليتي الى الانسان، اي انسان. وتحقيق مجتمع افضل يعني اسعاد اكبر عدد ممكن الناس، الان ومستقبلا.. (نيران حنا)
- ان لقراءة الانجيل والتامل به، وبكلمة اخرى، ان للاحتكاك بالخبرة الانجيلية (خبرة يسوع والرسل) دورا مهما في تحقيق مجتمع افضل.. حيث تقوم الخبرة الانجيلية بدور الناقد لحياتنا وتجعلنا نكتشف موقعنا الملائم في المجتمع (غ.ق.مدقق،٢٢سنة).
- روح النبوة المطلوب في هذه الساعة ليس تطويل الصلوات والابتهالات و...بل السعي الحثيث لخلق مجتمع يعكس مثالية الانسانية المدعوة الى الكمال (زهير ابراهيم رحيمو).

- تحقيق المجتمع الامثل.. تحقيق لرسالة المسيح في هذا العالم (نجيب ميخائيل، مهندس، ٢٥ سنة).
- المسيح ثائر زمانه، وثورته قلبت مفاهيم الحياة لدى الانسان وعملت على تحقيق مجتمع افضل تسوده المحبة والاخوة والمساواة والسلام.. تلك المبادىء لا تزال دواء مجديا لمجتمعنا الحالي، فلو تحققت لكان الانسان انسانا بكل معنى الكلمة (عما نوئيل قيا بلو).

● **الصلاة**

- الصلاة تربط الله بالبشر عندما نقول: ابانا الذي في السموات (عصام الجركو، طالب، ٢٠ سنة).
- حينما اكون ملتفا حول المسيح اكون ملتفا حول خدمة الاخرين، ولكن حينما التف حول ذاتي تكون محبتي للاخرين فاترة (عماد يوسف ارتين، طالب، ٢٥ سنة).

هذه "الاعترافات" التي ادلى بها قرّاء من مختلف الفئات والاعمار والمستويات الثقافية عكست رغبتهم في بحث جاد عن وجه للمسيح يكون اكثر التصاقا بمعاناتهم وطموحاتهم، وجه للمسيح ينعكس فيهم وفي عالم يريدونه اكثر عدالة واخوة ومحبة..

السؤال الذي طرحه المسيح على رسله يعود فيطرحه اليوم على كل منا: وفي نظركم انتم، من انا؟ انه ينتظر الجواب.. وجوابنا لن نجده في كتب "التعليم المسيحي" ولا في التحديدات العقائدية! فالمسيح ينتظر منا جوابا شخصيا نبحث عنه في قناعاتنا الذاتية بشخص يسوع الناصري الذي مر بارضنا يصنع الخير ويفتح آفاق الرجاء امام انسانية تسعى للبلوغ الى ملء قامتها.

كتب القديس بولس في رسالته الى الفيلبيين: "انما اواصل السعي لعلي ادرك المسيح يسوع، لانه هو قد ادركني" (٣ : ١٢). فالاهتداء الى المسيح، انما هو مسألة لقاء شخصي معه، وبوسع هذا اللقاء ان يقلب حياتنا راسا على عقب، بحيث ياخذ كل شيء في الحياة معناه الكامل بيسوع المسيح.

لقاؤنا بالمسيح هو لقاء بالاله – الانسان، ولا يجد هذا اللقاء قاعدة يرسو عليها سوى تلك التي رسا عليها ايمان الرسل الذين اكتشفوا في يسوع –وعبر تعثرات– ذاك الانسان الكامل الذي "ما تكلم مثله احد قط"، والذي اتخذ مواقف ملتزمة وجريئة تجاه قضايا الانسان، هو الذي يقول عليه الانجيل انه كان "يعمل ويعلم".. ومن ثم اكتشفوا فيه "مرسل الاب" الذي "ارتضى الله ان يحل فيه الملء كله ويصالح به، لنفسه، كل ما على الارض وفي السموات" (قولسي ١ : ١٥ – ٢٠).

لقاؤنا بالمسيح هو لقاء بالله والانسان معا: ففي بحثنا عن المسيح، نلتقي بالانسان –ولا سيما الانسان المقهور، المظلوم، المتألم..– الذي يضحي طريقنا الى المسيح. وفي بحثنا عن وجه المسيح الحقيقي الذي يبرزه لنا الانجيل، نلتقي بالانسانية التي تئن، وكأنها في مخاض، الى ان يتجلى فيها ملكوت الحق والعدالة والحرية: روح الرب علي لانه مسحني لابشر المساكين وارسلني لانادي للمأسورين بالتخلية وللعميان بالبصر واطلق المراهقين احرارا (لوقا : ٤ ١٨).

ايماننا بيسوع المسيح يتخطى كونه مجموعة عقائد ويتجاوز كونه سلسلة من الوصايا والاوامر والنواهي.. انه في التالي مسألة حب: الله محبة، ومن يثبت في المحبة يثبت في الله ويثبت الله فيه، بهذا ظهرت محبة الله في ما بيننا بان الله ارسل ابنه الوحيد الى العالم لنحيا به (يوحنا ٤ : ٧ – ١٦). فلا عجب اذا كانت المحبة ركيزة الايمان المسيحي: "الان يثبت الايمان والرجاء والمحبة، لكن اعظمهم المحبة" (١ قورنثية ١٣ : ١٣).

استفتاء/ ملف/ أيار ١٩٧٩

بويبلا منعطف؟ في اي اتجاه؟

لا عجب اذا لم تكن بويبلا (المكسيك) "عنصرة" جديدة كما كانت من قبل ميدلين (كولومبيا)، وبويبلا جاءت بعد عشر سنوات من تلمس كنيسة امريكا اللاتينية طريقها في مسالك قارة شهدت تحولات خطيرة، زادها خطورة قيام الانظمة الدكتاتورية، فضلا عن "استدارة الى اليمين" تعرض لها، في السنوات الاخيرة، مجلس اساقفة اميركا اللاتينية (سيلام). ومع ذلك سجلت دورة بويبلا منعطفا سيكون، على حد تعبير احد لاهوتيي التحرير "كما يراد له ان يكون"!

مارلين توينينكا مبعوثة مجلة (I.C.I) الخاصة الى الدورة العامة الثالثة لاساقفة امريكا اللاتينية (٢٨ ك٢— ١٣ شباط ١٩٧٩) تعكس ملامح هذه الدورة وردود الفعل التي اثارتها في تقرير نشر في العدد ٥٣٦ من المجلة المذكورة، اعتمدناه في هذا المقال.

●

ردود الفعل الاولى

في حصادها لردود الفعل المختلفة كتبت المبعوثة الخاصة لمجلة I.C.I الفرنسية تقول: من اليمين ومن اليسار،الكل جذل! المونسنيورلوبيز تروجيللو امين عام مجلس سيلام[1] يبدو متفائلا، في مقابلة للتلفزيون الكندي، لان بويبلا لم تصدر لا حرمانات ولا ادانة، قائلا: "لقد انحنت الكنيسة على اميركا اللاتينية بتفهم كبير وبروح الامومة". وقال لي المونسنيور بادان احد اكثر اساقفة البرازيل انفتاحا: "اني مسرور جدا. كانت ميدلين بمثابة العاب نارية، وكانت ايتوبية لم تُنَفَّذ في التالي الا بجزء قليل. ان بويبلا ستتيح التعمق والتوسع في توجهات ميدلين، وسيكون بوسع كل بلد ان يتبنى وتيرة خاصة في هذا المنعطف"...

وتواصل مارلين توينينكا قائلة بان المحاولات التي بذلها لاهوتيو التحرير لحمل الاساقفة على اجراء تعديلات في النصوص النهائية باءت بالفشل، ومع ذلك فانهم يجمعون على القول: "كان بالامكان ان تكون النتائج أسوأ"! وتقول بان الكردينال لورشيدر، احد اعضاء مجلس الرئاسة الثلاثة في الدورة، انتقد بشدة، في الجلسة الاخيرة، رفض مجلس سيلام قبول لاهوتيي التحرير كخبراء في الدورة، وكان من قبل قد هدد بالاستقالة اذ لم يوافق سيلام على حضور رؤساء مجلس رهبان اميركا اللاتينية الخمسة (كلار) وقد صرح احدهم: "كنا قد عدنا من ميدلين منشرحين، وها نحن نعود من بويبلا اكثر فقرا واكثر تواضعا، واكثر واقعية ايضا"!

ولكي ندرك ابعاد هذه الانطباعات المدهشة والمتناقضة معا، علينا ان ننعم النظر

في المسيرة التي سبقت بويبلا ونضعها في اطار الظروف التي تعيشها كنيسة امريكا اللاتينية، وحينذاك سنفهم ما قاله احد لاهوتيي التحرير: "بوسع بويبلا ان تضحي موضوع تأويلات عديدة. انها ستكون وفقا لما يراد لها ان تكون"! وما صرح به احد الاساقفة البرازيليين: "مباراة على ارض الاعداء من دون اهداف هي انتصار لنا ايضا".

إعداد.. يكتنفه الغموض!

كان عدد المشاركين في بويبلا ٣٦٧ شخصا، منهم ١٨٧ يتمتعون بحق التصويت وهم الاساقفة الذين يمثلون المجالس الاسقفية في ٢٢ من دول اميركا اللاتينية[٢] اي بنسبة ١/٥ من مجموع اساقفة القارة البالغ عددهم حوالي ٩٠٠ اسقف؛ اما الباقون من كهنة ورهبان وخبراء..، فلم يكونوا يتمتعون الا بصوت استشاري. وتجدر الاشارة الى ان الممثلين الخمسة عن مجلس الرهبان (كلار)، لم يكن لهم حق التصويت في بويبلا، وكانوا في ميدلين يتمتعون بـ ١٣ صوتا من مجموع ١٣٠. وهكذا كان معظم اعضاء دورة بويبلا يمثلون "الوسط – اليمين"، ويعود السبب في ذلك، من جهة، الى اسلوب الانتخابات حيث تمت تصفية للاتجاهات القصوى داخل المجالس الاسقفية الاثنين والعشرين، ومن جهة اخرى، الى نوعية الاساقفة الجدد الذين تم اختيارهم في السنوات الثمان الاخيرة بتاثير الكردينال باجيو رئيس مجلس الاساقفة ورئيس اللجنة الحبرية لاميركا اللاتينية، فضلا عن الـ ١٢ اسقفا الذين عينهم الكرسي الرسولي اعضاء في الدورة.

بعد حفلة الافتتاح التي رئسها البابا (ف . م .العدد ١٤٣) جرى انتخاب لجنة التنسيق، ومن ثم توزع المشاركون بين ٢٢ لجنة لمناقشة خمسة مواضيع رئيسة تؤلف في التالي "وثائق بويبلا" التي اسفرت عنها الدورة:

١ – **رؤيا راعوية لواقع اميركا اللاتينية**، انطلاقا من المعطيات الراهنة للوضع الحضاري – الاجتماعي السياسي،

٢– **تصميم الله في هذا الواقع** وتضمن شطرين: الاول عقائدي حول مضمون التبشير ومكانة المسيح بصفته مركز التاريخ البشري ودور الكنيسة.. والثاني تناول معنى التبشير بالانجيل وعلاقة التبشير بالترقي الانساني والايديولوجيات.

٣ – **التبشير في كنيسة اميركا اللاتينية: شركة ومشاركة، باربعة فصول:**

أ – الاسرة، جماعات القاعدة، الخورنة
ب – الاساقفة والكهنة والرهبان والعلمانيون
ج – الصلاة، الاسرا، الشهادة المسيحية، وسائل الابلاغ
د – الحركة المسكونية والحوار مع غير المسيحيين وغير المؤمنين

٤ – **الكنيسة رسولة، اليوم وغدا**، باربعة فصول:

أ – الاولوية للفقراء والشباب
ب – التعاون مع بناة المجتمع من طلاب وعمال
ج – الدفاع عن حقوق الانسان ضد العنف والتعذيب والتمييز والاستعباد وبنى الظلم
د – العمل من اجل الانسان على الصعيد الدولي بما في ذلك حقوق اللاجئين والمهاجرين وقضايا العدالة والتسلح والتنمية والتبعية الاقتصادية

٥ – اختيارات راعوية هي بمثابة حصيلة توجيهات بويبلا "التبشير في اميركا اللاتينية، حاضراً ومستقبلا".

ولقد سعى مجلس الرئاسة –لورشيدر، باجيو، كورييو– الى ان يتم "توازن" في اللجان: وهكذا انضم مثلا إلى هيلدر كامارا، في لجنة (التبشير والترقي الانساني)، المونسنيور تروجيللو الآنف الذكر! وفي لجنة (جماعات القاعدة)، ثلاثة اساقفة من اعضاء الدوائر الرومانية!

حصيلة ١٧ يوما...

ويتضح لنا مما تقدم ان معظم العمل تم في نطاق اللجان الاثنين والعشرين خلال الاسبوع الاول من الدورة، وكانت قد دعيت الى كتابة نصوص، منذ اليوم الثالث على اجتماعاتها، ومن ثم اخضعت النصوص كلها لمناقشة عامة تمت بين ٦– ٩ شباط. وفي ١١ شباط، وقبل موعد اختتام الدورة بيومين، تم التصويت عليها بعد اجراء التعديلات المطلوبة، وهكذا خرجت بويبلا بـ ٣٦ وثيقة حملت في مقدمتها النداء الى شعوب اميركا اللاتينية الذي نشرنا مقتطفات منه في عدد نيسان. وتجدر الاشارة الى ان القسم الثاني من "رؤيا راعوية لواقع امريكا اللاتينية" لم يحصل على اجماع ثلثي الاصوات الا بعد التعديل الرابع –فيما حظيت بقية الوثائق بالاجماع في التعديل الثالث– ومن الجدير بالذكر ان التعديلات التي اجريت كانت تهدف غالبا الى تجريد النصوص من كل ما يشتم فيه رائحة لاهوت التحرير! (راجع مقالي الاب عبد السلام حلوة في العدد ١٤١ و ١٤٢).

نتفحص، بصفتنا رعاة، نجاحات واخفاقات السنوات الاخيرة. ونعرض هذا الواقع، لا لكي نستثير خيبة الامل، انما لندفع الى امام اولئك الذين بوسعهم ان يصلحوه. فالكنيسة في اميركا اللاتينية تضع كل طاقاتها لتساعد الانسان كي ينتقل من ظروف اقل انسانية الى ظروف اكثر انسانية (...)

فمن خلال لقاءاتنا الراعوية بشعبنا، سمعنا نحن ايضا –على مثال يوحنا بولس الثاني وهو يقترب من الفلاحين والعمال والطلبة– صرخات الضيق والامل والتطلعات. فنحن نريد ان نكون صوته، صوت الذين "لا يستطيعون الكلام او الذين الزموا على الصمت" (خطاب البابا في اوكساكا)

اننا ننطلق من دينامية ميدلين ونعيش رؤيتها للواقع، هذه الرؤية التي الهمت العديد من رسائلنا الراعوية في السنوات العشر الاخيرة (...)

ان واقع الفقر المدقع والشامل يتخذ، في الحياة اليومية، وجوها واقعية بامكاننا ان نكتشف من خلالها المسيح المتألم الذي يطرح علينا اسئلة مُرّة:

-وجوه الهنود والافرو– امريكان الذين هم على الهامش يعيشون اوضاعا لا انسانية..
-وجوه الفلاحين المهملين... الذين يخضعون لانظمة تجارية تستغلهم.
-وجوه العمال الذين لا يحصلون على اجرة عادلة ويصعب عليهم ان ينظموا انفسهم للدفاع عن حقوقهم.
-وجوه الهامشيين في المدن.. الذين تنقصهم الخيرات المادية على مرأى من غنى الآخرين.
-وجوه العاطلين عن العمل بسبب الازمات الاقتصادية الحادة وهم في الغالب ضحية نماذج تنموية تُخضع العمال وأسرهم لحسابات اقتصادية خسيسة.

لقد سبق لنا ان قلنا بان بويبلا لم تحمل تلك النفحة النبوية التي اتسمت بها ميدلين، ذلك لان الاساقفة –بالرغم من اتجاهاتهم المختلفة– شاءوا ان يقلصوا المسافات بينهم ويظهروا متحدين، وهذ ما يفسر الارتياح الذي عبر عنه المحافظون والنبويون معا: هؤلاء خرجوا من بويبلا وهم على يقين من انها لم ولن توقف انطلاقة ميدلين، اما اولئك فخرجوا وقد تبدّدت مخاوفهم، وإن لم تصدر بويبلا ادانة ضد لاهوت التحرير! وتقول السيدة توينينكا بان "رغبة الاساقفة في ان يبدوا متحدين حالت دون بحث عميق للتساؤلات التي يطرحها عليهم لاهوت التحرير".

ومهما يكن، فان اولئك الذين تمنوا ان تكون بويبلا امتدادا لميدلين سيجدون ايحاءات جادة في وثائق بويبلا الاربع (الرؤيا الراعوية –انظر الاطار–، التبشير والترقي الانساني، الاولوية للفقراء، اختيارات راعوية)، وإن كانت هذه الوثائق لم تكشف بعمق عن اسباب الفقر في القارة اللاتينية، ولم تفضح الانظمة الدكتاتورية وهي في اصل بنى الظلم، ولم تؤكد بقوة على دور جماعات القاعدة (راجع هذا الموضوع في العدد١٢٦).. ومع ذلك كانت بويبلا "خطوة صغيرة الى امام تمت في ظروف قاسية" على حد تعبير خوزي الفاريز ايكازا مدير مركز وسائل الابلاغ وأحد العلمانيين البارزين في المكسيك.

وتعكس الصحفية الهولندية، في ختام تقريرها، وجهة نظر لاهوتيي التحرير، وقد قال لها احدهم: "..نخرج من تجربة بويبلا اكثر قوة، واكثر صلابة. وسنواصل كفاحنا، تارة مع وثائقها وتارة من دون وثائقها، واحيانا ضد وثائقها، من اجل تحرير شعوب اميركا اللاتينية. وسيكون كفاحنا اقوى من السابق كوننا على يقين من ان الشعب معنا"! وتختم قائلة: من ميدلين بقيت وثيقتان – "العدالة" و"السلام" وروح، هو روح التشهير بالعنف المقونن والرغبة في التحرير. اما من بويبلا، فسيبقى ولا شك اربعة او خمسة نصوص، ولا ندري اي روح؟ "بويبلا ستكون وفقا لما يراد لها ان تكون"!

---

(١) اسفر اجتماع مجلس سيلام عن انتخابه رئيسا خلفا للكردينال لورشيدر. ويأتي هذا الانتخاب مؤشرا على فوز الجناح المحافظ في المجلس عقب تصريحات لورشيدر الجريئة.

(٢) الى جانب غياب لاهوتيي التحرير من امثال كوتييريز وكومبلان وبوف وسيكوندو.. لوحظ غياب عشرة من ابرز اساقفة اميركا اللاتينية: سيرجيو ارسيو مطران كويرنافاكا (ف.م.ملف العدد ١٤٣)، صموئيل رويز نصير الهنود في المكسيك، دي نافاريس المدافع عن حقوق الانسان في الارجنتين، كازالداليكا نصير الفلاحين والفقراء(ف.م. العدد ١٢٦)، ميكيل برافو رئيس اساقفة نيكاراغوا الذي فضح جرائم نظام سوموزا الخ..

كهنة يتحدثون عن انفسهم

منتدبون لابلاغ كلمة الله وخدمة "شعب الله"، في عصر تجتاحه التحولات، وفي كنيسة "هرمية" يتعرض فيها الحوار لعقبات جمة، ولا تلقى فيها المبادرات، على اختلافها، ما تستحقه من الاهتمام... سبعة منهم الخوري اسحق منصور (سرياني ارثوذكسي - الموصل)، الاب بهنام كجو(سرياني كاثوليكي - الموصل)، الاب فرنسيس جحولا (سرياني كاثوليكي- قره قوش)، الاب يوحنا عيسى (كلداني - الموصل)، الاب لويس ساكو (كلداني- الموصل)، الاب وارتان بودوريان (ارمني ارثوذكسي - الموصل)، الاب بيوس قاشا (سرياني كاثوليكي- قره قوش)، لبوا بارتياح دعوة "الفكر المسيحي" الى طاولة مستديرة، حيث عكست مناقشاتهم -وقد اتسمت بالجد والتلقائية- آمالهم وطموحاتهم الى جانب آلامهم ومعانياتهم، وكانت بمثابة صدى لآمال ومعانيات العديد من الكهنة - وقد خصهم عدد بعنوان: "كهنة، لمن؟ ولماذا؟".

● **لم يعد الكهنوت مهمة سهلة في عصر اجتاحته التحولات الفكرية على كافة الاصعدة... كيف تضطلعون برسالتكم في ابلاغ كلمة الله بلغة يكون لها صدى في نفوس المؤمنين اليوم؟**

الاب بهنام كجو: مهمة نقل البشرى هي في الصميم من الرسالة الكهنوتية. غير اني ارى بان كرازتنا لن يكون لها وقع كبير، الا اذا ارتبطت بالحياة الواقعية واضحت قادرة على اعطاء اجوبة لمعانيات انسان اليوم ومشاكله؛ فمن الضروري جدا ان نفهم شعبنا بان الايمان المسيحي لا يعزلهم عن واقع الحياة.

الاب يوحنا عيسى: نضطلع بمسؤولياتنا في ابلاغ كلمة الله حين ناخذ الانجيل ومتطلباته بجدية وننقله الى المؤمنين بلغة تتلاءم وعقلية العصر الحاضر.

الخوري اسحق منصور: الكاهن في نظري مثال يحتذى، وعليه ان يجعل من حياته كلها شهادة للمسيح، من خلال مواقفه وسلوكيته.

الاب وارتان بودوريان: رسالة الكاهن الاساسية تقوم في حمل الانجيل الى المؤمنين، وعليه ان يتغذى هو اولا من ينبوع الانجيل كي يتمكن من ان يغذى شعبه فالمسيح دعانا الى ان نكون "نور العالم" و"ملح الارض"، وعلينا ان نسعى بكل طاقاتنا الى تثقيف المؤمنين تثقيفا عميقا.

الاب فرنسيس جحولا: اعتقد ان على كاهن اليوم ان يوجه جل اهتمامه نحو الشباب عن طريق خلق ندوات دينية تطرح فيها قضايا الايمان بروح عصرية، شريطة ان يكون الكاهن على مستوى عال من الثقافة. كما ان لاسلوب "السهرات الانجيلية" بين العوائل اثرا كبيرا على المؤمنين، اذ يتم فيها تبادل الآراء بين المشاركين فيغني بعضهم بعضا.

الاب لويس ساكو: ان التحول الذي يحدث اليوم يحتم على الكاهن ان يؤمّن حضور للمسيح فاعلا في المجتمع. فاني لن اكون سعيدا، ولن يكون كهنوتي مثمرا اذا لم يتجسد المسيح في مجتمع اليوم، بحيث يحصل كل واحد في رعيتي على نصيبه الكامل من الثقافة المسيحية ويشعر بالتزامه تجاه مجتمعه.

الاب يوحنا عيسى: ان دورنا كمبشرين بالمسيح لا يقوم في نقل البشرى الى مؤمنينا وحسب، انما علينا ان نسعى كي تصبح هذه البشرى منطلقا لتحريرهم من كافة الاستلابات التي يخضعون لها. اليس الانجيل بشرى لتحرير المساكين والمرهقين والمظلومين؟

• لا معنى للكاهن من دون تأصل في الجماعة المسيحية. ما هو مفهومكم للدور الذي تؤدونه في حياة الجماعة المسيحية التي انتدبتم لخدمتها؟ وكيف تؤدون هذا الدور في كنيسة اليوم؟

الخوري اسحق: في الماضي كانت الجماعة المسيحية تنتدب احد اعضائها للخدمة الكهنوتية –وهكذا الامر بالنسبة الى الاسقف– والقديس بولس يشترط في الكاهن "ان تكون في حقه شهادة حسنة (حتى) من الذين في الخارج" (١طيمثاوس ٣: ٧). هذا الانتداب يجعل الكاهن مقبولا لدى الجماعة التي يخدمها، بينما يتحتم على الكاهن المفروض على جماعة ما ان يسعى كي يصبح مقبولا لديها...

لويس ساكو: انا اتمنى ان تعود الكنيسة الى هذا التقليد العريق فيكون للجماعة المسيحية رأي في الاسقف والكاهن المنتدبين لخدمتها.

يوحنا عيسى: دوري في حياة الجماعة المسيحية التي اخدمها يقوم في ان اتفاعل مع حاجات هذه الجماعة ومشاكلها وطموحاتها على كافة المستويات: فمن الناحية الاقتصادية، افهم دوري حين اسعى الى اخراج الفقراء منهم من حالة البؤس، ومن الناحية الاجتماعية حين احارب كل ما من شأنه ان يفقدهم كرامتهم الانسانية واسعى الى توثيق اواصر المحبة والتعاون في ما بينهم، ومن الناحية الروحية، يقوم دوري في تثبيتهم في الايمان...

بيوس قاشا: الكاهن في نظري اخ وصديق لابناء رعيته. واني احس –وانا كاهن جديد– بان علي ان اسير برفقة الناس فنبلغ جميعا الى المسيح.

وارتان بودوريان: انا ايضا كاهن جديد واشعر باني خادم لجماعتي التي انتدبت لقيادتها.

فرنسيس جحولا: على الكاهن ان يعكس شخصية المسيح من خلال حياته، فيغتنم كل الفرص للاندماج بابناء جماعته ومشاركتهم افراحهم وآلامهم...

لويس ساكو: غير ان الكاهن اليوم يبدو متغربا عن مجتمعه بحكم القيود التي فرضتها عليه الاعراف والتقاليد، الكنسية منها والمجتمعية، وعلى سبيل المثال اقول بان الزي الكهنوتي الذي نتميز به يمنعنا احيانا كثيرة من الالتقاء بالمؤمنين حيث هم...

الخوري اسحق: اعتقد ان على الكاهن ان ينزل الى الساحة ويدخل كافة ميادين الحياة شريطة الا ينسى انه كاهن، وان له رسالة يحملها الى الناس.

• يقال ان الكاهن هو "موزع الاسرار" و "راعي الانفس"... كيف ينظر المؤمنون الى مهمة الكاهن الراعوية؟ وما العمل لجعل "الاسرار" فرصة لتثقيف المؤمنين وتغذيتهم روحيا؟

بهنام كجو: الى جانب مهمة الكرازة الانجيلية، تحتل الاسرار مكان القلب من حياة الجماعة المسيحية. غير انه من المؤسف ان نرى الروتين قد تغلب على اسلوب منح الاسرار واخص بالذكر العماذ والقداس، وعلينا ان نسعى الى توعية المؤمنين وتهيئتهم لقبول هذه الاسرار بما ينبغي من حسن الاستعداد.

لويس ساكو: نحن اليوم ازاء فئتين من المؤمنين: فئة القدامى الذين يستمتعون بالطقوس على ما كانت عليه ويخشون ان يطرأ عليها اي تجديد، فيما لم تعد هذه الطقوس تجذب او تغذي الجيل الجديد الذي يتمنى ان يكون لها صدى في حياته الواقعية. آمل ان يصار، في كنائسنا، الى اصلاح ليتورجي شامل لا يعتمد ترجمة الطقوس وحسب، انما ينطلق من مبدأ مشاركة المؤمنين الفعلية، وبكلمة العمل على عصرنة الطقوس. وحبذا لو ينشأ في كل خورنة "مجلس خورني" لدراسة سبل هذه العصرنة.

يوحنا عيسى: كثيرا ما ينظر المؤمنون الى الاسرار وكانها رتب وطقوس "سحرية" سيما وقد ارتبط بها المال واضحت وكأنها وسيلة لمعيشة الكاهن... لا شك ان الترجمة هي احدى الوسائل التي تمكن المؤمنين من المشاركة، غير ان المهم هو الاعتراف بدور المؤمن في هذه المشاركة واعطاؤه هذا الدور في كافة الاسرار والاحتفالات الطقسية.

فرنسيس جحولا: علينا ان نقوم بعملية تثقيف جاد حول الاسرار بغية ابراز ابعادها في حياة المؤمنين ويجب ان تتركز جهودنا حول القداس وحمل المؤمنين على المشاركة الفعاله فيه، وذلك عن طريق المناولة المتواترة التي تسبقها توبة جماعية.

بهنام كجو: من الضروري جدا ان نؤكد اليوم على الروح الجماعية في الكنيسة ونعمل على انماء هذه الروح من خلال الاسرار وكل الاحتفالات الطقسية.

• هل هناك صراع بين مفهوم السلطة ومفهوم الخدمة في الكنيسة؟ ما هي تطلعاتكم بشأن وحدة الرؤية والعمل بين الاسقف والكهنة من اجل خدمة فعالة لرسالة الانجيل؟

لويس ساكو: ان الصورة الحالية لمفهوم السلطة لدى بعض الاساقفة هي وليدة القرن الوسيط حين كانت تتميز بشكلها الهرمي، بينما السلطة في الانجيل خدمة: من كان فيكم كبيرا فليكن خادما. ومتى توفر هذا المفهوم الانجيلي للسلطة لم يعد هناك صراع.

الخوري اسحق: يؤسفني ان يكون مفهوم الرئيس المطلق متغلبا على مفهوم الرئيس الخادم.

فرنسيس جحولا: كثيرا ما يبدو الاسقف كرئيس دائرة والكهنة كموظفين، سيما حين يتسم تعامل الاسقف مع كهنته بالطابع الاداري والقانوني، في حين ان الاسقف هو بالدرجة الاولى أب وأخ كبير.

بيوس قاشا: هذه المفاهيم المختلفة تتعلق بشخصية الاسقف ومدى ادراكه لسلطته، فهناك اساقفة يعتبرون انفسهم خداما لشعبهم ويرون في كهنتهم اخوة واصدقاء ومعاونين في الخدمة.

يوحنا عيسى: لا يمكن الا ان يكون الاسقف خادما على مثال المسيح الراعي الصالح. وطالما يتشبث بالسلطة وكانها تسلط او استبداد بالرأي، فالصراع باق ونتائجه وخيمة.

لويس ساكو: اليوم لا يمكن ان يقبل مفهوم يكون الاسقف بموجبه متسلطا ينفرد في قراراته واحكامه...انه بالدرجة الاولى موجه "يرئس في المحبة" شعب الله ويكون دليله الى المسيح.

بهنام كجو: لقد اعطى المجمع المسكوني مبادىء قيمة بهذا الشأن لبناء علاقات اخوية بين الاسقف والكاهن: فالكهنوت واحد، وهو موجه الى الخدمة، فاذا كان للاسقف واجب الادارة، ولكن لا ينبغي ان يطغى الجانب الاداري لديه على الجانب الراعوي.

الخوري اسحق: كثيرا ما يشعر الكهنة انهم "خدام" ينفذون توجيهات الاسقف الذي يبقى بعيدا عنهم، بينما يتطلب العمل الرسولي والراعوي ان يتم تعاون عميق بين الاسقف والكهنة. وحبذا لو يقيم كل اسقف اجتماعات دورية مع كهنته لتبادل الآراء وتنسيق عمل الخدمة.

يوحنا عيسى: وارى من الضروري ان يكون الكهنة متحدين بحيث تكون لهم قوة ضغط من شأنها ان تحمل الاساقفة على مواكبة حاجات كنيسة اليوم.

بهنام كجو: ومن المؤسف ان تكون الروح الجماعية مفقودة لدى اساقفة الابرشيات المختلفة حيث تبدو كل ابرشية وكانها منعزلة عن الاخرى... وحبذا لو ينشأ مجلس اسقفي على صعيد القطر لمعالجة القضايا المشتركة، يشارك في اعماله ممثلون عن الكهنة.

• لا يزال النقاش حادا حول قضية ربط البتولية بالكهنوت. كيف يوفق الكاهن المتزوج بين متطلبات الكهنوت ومتطلبات الزواج، وكيف يعيش الكاهن الاعزب بتوليته؟ اية الحالتين افضل لمستقبل الكنيسة؟

الخوري اسحق: لم تكن البتولية في تقليدنا الشرقي مرتبطة بالكهنوت الا بالنسبة الى الرهبان الاساقفة. فالكاهن المتزوج لا يشعر باي حرج، انما على العكس، يحس بالراحة النفسية والاطمئنان، ولا يجد صعوبة في التوفيق بين متطلبات رسالته والتزاماته العائلية. ومن الجدير بالذكر ان "للخورية" دورا كبيرا في الخدمة سيما وان بامكانها ان تصبح الساعد الايمن لزوجها الكاهن في كثير من المهمات الراعوية.

وارتان بودوريان: لدي عين الشعور بالراحة. ولا اجد اية صعوبة في اداء رسالتي.

فرنسيس جحولا: ارى من الافضل في عصرنا ان تطلق للكاهن، قبيل رسامته، حرية الاختيار بين البتولية والزواج.

يوحنا عيسى: ليست البتولية هدفا في الكهنوت، انما الخدمة هي الهدف. اما البتولية، فهو اسلوب للعيش ولا يمكن ان تشكل شرطا من شروط الكهنوت، سيما وان التقليد لدى الكاثوليك الشرقيين –بعكس الكاثوليك الغربيين– يجيز ان يكون متزوجا. واذا كان بعض الاساقفة قد دعوا الى الكهنوت شمامسة متزوجين ذوي ثقافة محدودة، لسد النقص في عدد الكهنة، غير اني اتمنى ان يكون المدعوون الى الكهنوت من المتزوجين ذوي ثقافة لاهوتية رصينة.

الخوري اسحق: لقد كان للبتولية في الماضي وقع على المؤمنين، غير انها اصبحت اليوم تشكل عقبة بوجه الراغبين في الكهنوت وحجر عثار للمؤمنين انفسهم.

بيوس قاشا: اعتقد ان مستقبل الدعوات الكهنوتية سيتوقف الى حد ما على دراسة جادة لموضوع قبول كهنة متزوجين.

لويس ساكو: لاشك ان للبتولية قيمة، شريطة الا يكون الدافع اليها الانتقاص من قيمة الحب والزواج، لذا فليس هناك تعارض البتة، كما لا يمكننا ان نقيم مفاضلة بين الحالتين. غير ان بوسع الكهنة المتبتلين ان يعيشوا بتوليتهم عن طريق الحياة المشتركة فيما بينهم والانصراف الى العمل الراعوي في جو من التعاون الوثيق مع العلمانيين...

يوحنا عيس: لقد اصبحت البتولية في عصرنا مثالا يصعب البلوغ اليه. فالكاهن انسان بحاجة الى دفء، واعتقد ان تردد الكنيسة الكاثوليكية في اعطاء حرية الاختيار مرده في الغالب عوامل اقتصادية.

• هل يتنافى الكهنوت، في نظركم، مع مزاولة عمل وظيفي او مهني؟ وهل يتحتم على الكاهن ان يكون متفرغا للخدمة الكهنوتية؟ اليس هناك بعد روحي ورسولي في مزاولة الكاهن للعمل؟

فرنسيس جحولا: من الممكن ومن المحبذ ان يكون، الى جانب الكهنة المتفرغين للخدمة، كهنة يزاولون عملا ما، ويبشرون بالمسيح من خلال هذا العمل.

لويس ساكو: يجب ان يكون الهدف من وجود كهنة يزاولون وظيفة او عملا ما، تقييم وتثمين العمل بحيث يضحي عملهم شهادة للمسيح.

يوحنا عيسى: من الضروري في عصرنا ان تتنوع اساليب اداء الرسالة، فان مزاولة الكاهن لعمل ما تطرح قضية التزام الكاهن بالحياة الاجتماعية بكل ما في هذا الالتزام من ابعاد، شريطة ان لا تكون مزاولة العمل بغاية الكسب والعيش الرغيد.

بيوس قاشا: احبذ ان يكون لدينا كهنة يعملون في مختلف الميادين، فذلك يكسبهم فهما اعمق لحياة الناس الواقعية ويجعلهم اكثر قربا من معانيات الناس وصعوباتهم في كسب لقمة العيش.

بهنام كجو: وارى ان افضل مجال لعمل الكاهن هو مجال التعليم بشتى اشكاله، وليس التعليم الديني وحسب، سيما وان ذلك ينسجم مع صفة التعليم المميزة للكاهن.

الخوري اسحق: ولكن عليه الا ينسى انه كاهن وان مهمته تقوم في التبشير بالمسيح.

•ما هو اثر الاسلوب التقليدي لمعيشة الكاهن في نفوسكم؟ وما هي انطباعاتكم عن الاساليب الجديدة التي تبنتها بعض الابرشيات في القطر انطلاقا من مبدأ الخدمة المجانية؟

وارتان بودوريان: ان ما يقدمه المؤمنون للكاهن بمناسبة منح الاسرار –فضلا عن الراتب الشهري– انما هي عطاية طوعية غير محدودة لا تنال من قدسية الاسرار ومجانيتها.

فرنسيس جحولا: الاسلوب القديم كان بمثابة استعباد للكاهن وتشويها لرسالته الروحية، وكان له الاثر السيء على الدعوات الكهنوتية. الاسلوب الجديد حرر الكاهن واعاد له كرامته.

يوحنا عيسى: الاسلوب القديم اسلوب (درويشي) حيث كان الكاهن يعيش من "صدقات" المؤمنين! فنظام معيشة الكهنة الذي ينطلق من فكرة الخدمة المجانية خطوة جيدة لتحرير القدسيات من عقدة المال...

لويس ساكو: في السابق كان الكاهن يقف بجانب الاغنياء... فيما حطم الاسلوب الجديد كل ما من شأنه ان يستعبد الكاهن...

فرنسيس جحولا: واصبح الكاهن في هذا النظام رجل الجميع. فضلا عن ان هذا الاسلوب حقق المساواة بين الكهنة في الابرشية الواحدة.

بيوس قاشا: في الاسلوب القديم كانت المادة تغلب على اداء الرسالة. وجل ما يتمناه الكاهن هو ان يُضمن له عيش كريم يقيه الانزلاق الى جمع المال.

بهنام كجو: وان الخبرة الجديدة اثبتت بان الكاهن اضحى اكثر التزاما واكثر اخلاصا في الخدمة.

حصيلة رحلة ...١٧ كم!

العنف، المصالحة، العدالة، السلام، كرامة الانسان، حقوقه وحرياته، قدسية الزواج، شرف الانجاب، جريمة الاجهاض، عزوبة الكهنة، سلطة الاساقفة... كلمات رددها مرارا يوحنا بولس الثاني طيلة رحلة (٢٩ ايلول - ٧ ت١) قطع خلالها ١٧٠٠٠ كم والتقى بملايين من البشر، مؤمنين وغير مؤمنين، كاثوليك وغير كاثوليك، فقراء ورؤساء دول، كهنة واساقفة وعلمانيين...

هذا المقال يضع رحلة البابا الاخيرة في اطارها الواقعي ويعكس ما حملته من رسالة في نطاق كنيسة قلقة وعالم مضطرب.

"لقد ذهب، والحمد لله، سالما"! قالها احد رجال الامن وهو يشاهد طائرة البابا تقلع من مطار شانون في ارلندا الجنوبية بعد ان امضى قداسته يومين ونصف هتف له خلالها اكثر من ثلثي السكان الذين يبلغ عددهم حوالي ٤ ملايين نسمة، يؤلف الكاثوليك ٩٥% منهم.

الى ارلندا الجنوبية (آير) جاء يوحنا بولس الثاني، ولكنه كان يحمل في قلبه شطرها الشمالي (الاولستر) الذي يعيش، لعشر سنوات خلت، افظع مأساة عرفتها هذه الجزيرة في تاريخها منذ حرب الابادة التي شنها كرومويل ضد الكاثوليك عام ١٦٩٠. وقد طبعت هذه المأساة خطابات البابا البولوني، وبنوع خاص خطابه في دروغيدا، على بعد ٣٥ كم فقط من حدود ارلندا الشمالية. وكان قداسته قد اضطر الى التضحية برغبته في زيارة مدينة ارماك في الاولستر، كرسي رئاسة اسقفية ارلندا، لئلا يتجدد التوتر الذي احدثه مقتل اللورد مونتباتن احد افراد الاسرة المالكة بمعية ١٨ جنديا انكليزيا في ٢٧ آب الماضي، على يد الجيش الجمهوري الارلندي السري وقد ادان العنف بكلمات صريحة: "يتحتم علينا ان نتساءل اذا كانت ايديولوجية العنف تعمل من اجل الخير الحقيقي لشعبكم.. هل يمكن ان يقوم خير الافراد والشعوب على الحقد، على الحرب؟ (...) فالعنف يحطم من حيث يدّعي انه يدافع عن الكرامة، عن الحياة، عن الحرية. العنف جريمة ضد الانسانية (...) العنف يؤخر مجيء اليوم الذي تسود فيه العدالة، وهو يحطم سعي العدالة".

رسول مصالحة؟

يعلم البابا جيدا ان اسباب النزاع في ارلندا لا تعود الى "الانتماء الى كنائس او مذاهب مختلفة" ولا يمكن اعتباره —حربا دينية— بين الكاثوليك والبروتستنت، بالرغم من التضليل الذي اصيب به الراي العالمي: انه نزاع سياسي ترقى جذوره بنوع خاص الى

استقلال ارلندا في اعقاب الحرب العالمية الاولى، حين وضعت الحدود المفتعلة المواطنين البروتستنت في شمال الجزيرة، تحت ظل العرش البريطاني، بينما كان الارلنديون الكاثوليك يسعون الى الاستقلال عن بريطانيا باي ثمن كان. لذا نرى البابا يناشد المسؤولين السياسيين مؤكدا بانهم

"اذا لم يحققوا التغييرات الضرورية، فلا عجب اذا وجد رجال العنف المجال مفتوحا امامهم".

كان البروتستنت المتطرفون في الشمال ينتظرون ان يحرم قداسته الجيش الجمهوري الارلندي السري، وكان الكاثوليك في المقاومة يتمنون ان يدين البابا بعين القوة — عنف — الجيش البريطاني ومعاملته اللاانسانية للسجناء السياسيين، بينما كتبت جريدة الاوبزرفر الانكليزية بان خطاب البابا من شأنه ان يصعد تيار العنف ويحمل الكاثوليك على مضاعفة ضغوطهم لتوحيد ارلندا ضد ارادة البروتستنت (عن جريدة ليموند الفرنسية ٢ت١) غير انه حظي بتأييد الكاثوليك والبروتستنت في جمهورية ارلندا (اير) سيما وان قداسته قال في ختام خطابه — وبعد ان ناشد جميع الاطراف الى انتهاج طريق المصالحة والسلام — بانه جاء الى دروغيدا —رسول سلام— للكاثوليك والبروتستنت معا. ويقول آلآن وودرو المبعوث الخاص لجريدة ليموند بان الخطر في مثل هذا الخطاب العام يكمن في امكانية تفسيره واسغلاله من جانب كافة الاطراف المتنازعة! وقد صرحت منظمة الجيش الجمهوري الارلني السري، في اعقاب خطاب البابا، بانها لن تتوقف عن الكفاح المسلح.

زيارة انتظرها الارلنديون..

ومهما يكن، فلقد تركت هذه الزيارة اثرا بالغا في نفوس الارلنديين الذي كانوا، على حد تعبيرهم، ينتظرونها منذ قرون! وعبرت الجماهير الغفيرة التي احتشدت يوم ٢٩ ت١ في بارك فينيكس، على بعد كيلومترين من مركز دبلن العاصمة، عن فرحها العميق حين سمعت البابا يحييها بالارلندية القديمة بعبارة "باركم الله". وقدر عدد الذين حضروا القداس الذي اقامه ظهرا مليون وربع نسمة، شارك فيه اكثر من ١٥٠ اسقفا وكاهنا. وكان قداسته قد حط في مطار دبلن، قبيل الظهر، حيث كان في استقباله رئيس الجمهورية والكردينال توماس اوفييك رئيس اساقفة ارماك وعميد الاساقفة الارلنديين.

وفي صباح الاحد ٣٠ ايلول، توجه رئيس اساقفة كراكوفيا السابق الى كالوي، المدينة الجامعية، حيث خص في موعظته الشبيبة، محذرا اياها من "الانجراف في تيار السهولة والغنى والتمتع الاناني والنزعة الاستهلاكية.." وتميز عصر اليوم الثاني من الزيارة بالحج الذي قام به قداسته الى مزار العذراء في كنوك —لورد ارلندا— حيث كان العديد من المرضى والمعوقين على موعد ليقتبلوا من يده سر المسحة. واختتم قداسته نهاره بلقاء مع مجلس الاساقفة الارلنديين تحدث فيه عن واجب الكنيسة في التكيف مع مقتضيات العصر، وتناول المعضلات التي تواجه الكنيسة في عالم اليوم. وكشف قداسته في خطابه عن ان

زيارته لارلندا جاءت تلبية، ليس لدعوة الاساقفة الكاثوليك وحسب، بل لدعوات وجهتها اليه كنائس اخرى وفي مقدمتها الكنيسة الانكليكانية.

وكان آخر لقاء مع شعب ارلندا القداس الذي اقامه البابا يوحنا بولس الثاني في ميدان السباق حيث تكلم عن دور العلمانيين في الكنيسة، وخص الاسرة بنداء جدد فيه تعليم الكنيسة في ما يتعلق بالطلاق والاجهاض وتنظيم النسل.. وغادر قداسته (١ ت١) بلد القديس باتريك —وقد كان اول من حمل بشارة الانجيل الى ارلندا في القرن الخامس— تاركا في نفوس الارلنديين ذكرى الرسول الذي جاء يذكرهم بمبادىء الانجيل والامانة للكنيسة، ويناشدهم كي "ينتصر العدل والسلام على الحقد والعنف" (راجع الملف عن كنيسة ارلندا — ف.م.عدد نيسان ١٩٧١).

وفي تعليق على هذه الزيارة كتب الان وودرو:" غادر يوحنا بولس الثاني ارلندا ليس سالما وحسب —وان متعبا— بل بشعور كبير من الارتياح (...) فلقد اجاب على توقعات رجال السياسة من ارلنديين وبريطانيين بادانته المطلقة للعنف (...) كما انه عرف ان يغمر الجموع بعذوبته ومرحه وتلميحاته المستمرة الى تراث الامة الروحي والى تقوى الارلنديين تجاه العذراء".

من ارلندا.. الى امريكا!

وكان الامريكيون، في ١ ت١، على موعد مع الحبر الاعظم في اول زيارة له الى العالم الجديد، وقد سبقتها ردود فعل مختلفة: فانتقدها غير الكاثوليك لنفقاتها الباهظة (٦ — ٨ مليون دولار!)، واعرب غيرهم عن احتجاجهم على التظاهرات التي سترافقها في بلد يكرس فصل الكنيسة على الدولة.. وكان على البابا ان يستعد لمواجهة كنيسة كاثوليكية تعيش انقسامات عميقة بسبب التيارات المتناقضة التي تتقاسم الـ ٥٠ مليون. كاثوليكي فهناك: مشكلة تناقص الدعوات الكهنوتية وهجر الكهنة لرسالتهم، وهناك رغبة الكاثوليك التقدميين في دفع عجلة الكنيسة في خط الاصلاحات التي جاء بها الفاتيكاني الثاني الخ.. كما كان عليه ان يواجه المشكلات التي تثيرها فرق الضغط لالغاء القوانين التي اباحت الاجهاض، الى جانب الفرق الاخرى التي تؤيد الاجهاض وتطالب بمزيد من الحرية والحماية.. وكلها قضية بوسعها، على حد تعبير مراسل جريدة ليموند، "ان تثير دهشة رئيس كنيسة اعتاد على الطاعة والانصياع"!

كان في استقبال يوحنا بولس الثاني في مطار بوسطن الكردينال همبرتو ميديريس والسيدة روزالين كارتر والسيناتور ادوارد كنيدي.. وتجمع اكثر من مليون شخص على طول الطريق المؤدية الى كاتدرائية الصليب المقدس، ومنها الى فسحة خضراء اقام فيها قداسه الاول بمعية الكرادلة الامريكان واساقفة يمثلون كافة الولايات الاميركية.

في هيئة الامم المتحدة

وكانت قمة رحلة البابا ولا شك زيارته لمقر الامم المتحدة في نيويورك وخطابه

في الجمعية العامة في جلستها الرابعة والثلاثين —وقد سبقه اليها البابا الراحل بولس السادس عام ١٩٦٥—، وكان قداسته قد صرح في بوسطن بانه جاء الى امريكا تلبية لدعوة كان اول من وجهها اليه الامين العام للامم المتحدة في ت٢ من العام الماضي.

وكان السيد كورت فالدهايم في استقبال قداسة البابا في صباح ٢ ت١، وتوجه الموكب الى مقر الامم المتحدة، حيث كان في انتظاره رؤساء الدول والحكومات واعضاء مجلس الامن —وقد لوحظ غياب وفد الصين الشعبية والبانيا—، وفي حوالي الظهيرة، القى قداسته خطابه الشامل امام ممثلي الـ ١٥٢ دولة الاعضاء في المنظمة الدولية تناول فيه العلاقات الوثيقة التي تربط الكرسي الرسولي بالمنظمة، مشيدا بدعوة الامم المتحدة في صيانة السلام والتضامن بين الشعوب، ومناشدا الدول الاعضاء الى محاربة الحرب في جذورها ونهج سياسة نزع السلاح والسعي الى ازالة التفاوت الاقتصادي بين الدول.. وقد تميز خطابه الذي استغرق اكثر من ساعة، في التطرق الى مشكلتين رئيسيتين: قضية الشرق الاوسط وقضية حقوق الانسان.

ففي معرض حديثه عن حقوق الانسان، ذكّر قداسته بويلات الحرب وبآلام الملايين من البشر. وقدم "اوشويتز"، ابشع المعتقلات النازية في بولونيا، كأفظع مثال على احتقار الانسان.. اما فيما يتعلق بقضية الشرق الاوسط، فقد صرح قداسته بان كل المساعي لحل النزاع تمنى بالفشل —اذا لم تتضمن حلا عادلا للقضية الفلطينية— مؤكدا على سلامة واستقلال وسيادة لبنان وداعيا الى "وضع خاص" للقدس مدعوم بضمانات دولية.

وقد قوبل الخطاب بعاصفة من التصفيق، لمدة ثلاث دقائق، لم يسبق لها مثيل، واعرب الامين العام عن ارتياحه العميق لهذا الخطاب ووصفه بانه "خطاب منقطع النظير"، وقال بان تصريحات البابا بشان الشرق الاوسط كانت "موضوعية". واذا عبر ممثلو الدول الغربية ودول العالم الثالث عن فرحهم بخطاب "كان دفاعا عن حقوق الانسان"، واذا اثنى ممثلو الدول الاشتراكية على الادانة التي تضمنها تجاه مجتمع الاستهلاك، فقد عبر ممثلو الدول العربية عن ارتياحهم للتاكيد على حقوق الشعب الفلسطيني: فوصفه ممثل منظمة التحرير الفلسطينية (وهو مراقب دائم في المنظمة الدولية) السيد زهدي الطردي بانه خطاب "ذو اهمية بالغة". ووصفه السيد سعدون حمادي وزير الخارجية العراقي في حوار اجرته معه جريدة الثورة ونشر في ٢١ ت١ بانه كان "ايجابيا"، واضاف: سرني فيه انه ذكر حقوق الشعب العربي الفلسطيني بشكل صريح، وتعرض لما يقوم به الكيان الصهيوني في المنطقة العربية بشكل غير مباشر. غير ان ممثلي الدول الافريقية اعربوا عن اسفهم لعدم ادانة البابا للانظمة العنصرية في جنوب القارة...

وكان الصدى في هاوث - برونكس

وغادر قداسة البابا الامم المتحدة، عصر اليوم، متوجها الى كاتدرائية سان باتريك، فملعب يانكي حيث اقام القداس. وفي طريقه توقف في حي هارليم الذي يسكنه

الامريكان السود حيث قبل قداسته الاسقف الامريكي الاسود الوحيد اميرسون مـــور...، وحيا في شخصه كل السود في امريكا، ويمثلون ٤% من كاثوليك الولايات المتحدة. كما توقف في حي ساوث – برونكس الفقير حيث تعيش جالية كبيرة من بورتوريكو، ووجـــه اليهم كلمة مشبعة بالتفهم العميق لاوضاعهم المزرية.

وفي ملعب يانكي، كان خطابه وكأنه يرجع صدى خطابه في هيئة الامم، تنـــاول فيه موضوع الاقتسام داعيا الى اغاثة الفقراء في الولايات المتحدة وفي العالم شـــريطة ان لا تكون هذه الاغاثة مما يفيض عنّا، بل مما هو ضروري لنا! ومؤكدا بانه ينبغي "البحث عـــن الاسباب البنيوية التي تخلق او تغذي مختلف اشكال الفقر في العالم". وخلص قداســـته الى القول بان المسيح، في مثل الغني ولعازر، يدين "انانية اولئك الذين لا يقاسمون الفقراء"، وان علينا ان نترجم اليوم هذا المثل بتعابير اقتصادية وسياسية اذ "لا يمكننا ان نـــنعم بثرواتنـــا وحرياتنا بامان بينما يموت الاف البشر من الجوع. ولا يمكننا ان نكون لا مبـــالين حيـــث تكون حقوق الفكر محتقرة، او حين تمارس ضغوط على الضمير البـــشري في مـــا يتعلـــق بالحقيقة والدين والابداع الثقافي".

من فيلادلفيا الى ديس موينيس... والى شيكاغو

بعد نهار مليء، غادر البابا فويتيوا نيويورك في ٣ ت١ متوجها الى فيلادلفيا حيث كان في استقباله اكثر من ٨٠٠٠٠٠ شخص على طول الطريق المؤدية الى الكاتدرائية. وفي اليوم التالي اجتمع قداسته بممثلين عن كهنة امريكا ووجه اليهم خطابا شدد فيه على خدمة الكلمة والشهادة لها واكد على متطلبات الدعوة الكهنوتية بما في ذلك وحدة العمل بـــين الكهنة والاساقفة والتقيد بالبتولية، معلنا رفض الكنيسة دعوة نساء الى الكهنوت الخ..

ومن فيلادلفيا توجه الى ديس موينيس في مقاطعة يوا حيث زار حقول الفلاحـــين وتحدث اليهم عن قيمة العمل.. وفي اليوم نفسه وصل الى شيكاغو حيث قـــال: "في يـــوم واحد شاهدت اكبر قسط من ارضكم الواسعة". وفي شيكاغو القى البابا عدة كلمات، في الرهبان وفي طلبة الاكليريكية الصغرى وفي الجالية البولونية.. وكان ابرزهـــا خطابـــه – ١٥ت١ – في مجلس الاساقفة الامريكان والذي ضمنه تعليم الكنيسة التقليدي بشأن الزواج والاسرة: فاعلن معارضته لوسائل منع الحمل، مبديا توافقه التام مع تعليم الرسالة "في الحياة البشرية" التي اصدرها بولس السادس عام ١٩٦٨، ومؤكدا على وحدة الـــزواج وعـــدم انحلاله؛ كما ادان بشدة اللواط والعلاقات الجنسية خارج الزواج، ووصف الاجهاض بانه "جريمة نكراء"؛ واستنكر الاوثاناسيا (عملية القتل لتعجيل الموت).. كما رفـــض قداســـته "المشاركة في الاقداس" طالما لم تتم الوحدة الكاملة بين الكنائس المسيحية، وحذر من منح "الحلة الجماعية" اذا لم يسبقها اعتراف فردي الخ..

وتجدر الاشارة الى ان هذا الخطاب الشامل الذي استغرق اكثر من ســـاعة بـــدا للعديد من مراسلي الصحف، بنبرته التقليدية، وكأنه يهدف الى "لفت نظـــر" الاســـاقفة

الامريكان وحملهم على العودة الى تقليد الكنيسة والحد من حركة التحدد التي اخذت تلوح في سماء الكنيسة الامريكية.

واخيرا.. في واشنطن

في ٦ ت١ كانت واشنطن العاصمة اخر محطة للبابا. وكان له لقاء، في كاتدرائية القديس متى، بكهنة الابرشية وشمامستها الانجيليين وعلمانييها، فيما كان مؤيدو رسامة قسيسات يتظاهرون في الخارج وهم يحملون لافتة كتب عليها: كل تمييز يقوم على الجنس يعارض مخطط الله — الفاتيكاني الثاني!.

وفي عصره، تم في القصر الابيض لقاء البابا بالرئيس الامريكي جيمي كارتر. وفي خطابه دعا الاب الاقدس الى وضع حد للاسلحة النووية، مؤكدا على مسؤولية الولايات المتحدة في ابعاد شبح الحرب عن العالم.. وفيما اشار قداسته الى ان هذا اللقاء جاء في غضون "زيارة ذات طابع روحي وراعوي"، تمنى ان يكون بمثابة مساهمة في دعم قضية حقوق الانسان وبناء عالم تسوده الحرية الحقيقية والعدالة والسلام. واعرب الرئيس الامريكي عن اعتزازه بهذه الزيارة قائلا: "لقد كنت في ما بيننا رائدا يدافع عن قيمة الانسان وكرامته، ورسول سلام بين الشعوب". وفي مسائه استقبل قداسته في دار القصادة الرسولية —ومعلوم انه ليس بين الكرسي الرسولي والولايات المتحدة علاقات دبلوماسية— اعضاء السلك الدبلوماسي.

وكان اليوم الاخير من الرحلة مكثفا باللقاءات والخطب. فاجتمع قداسته بالراهبات وباساتذة وطلاب الجامعات والمعاهد الكاثوليكية وبقادة الكنائس والمذاهب المسيحية والاديان... واشترك بصلاة مسكونية مبديا ارتياحه لتقدم الحركة المسكونية وداعيا الى دفع عجلة الحوار الى امام. واختتم زيارته للولايات المتحدة بقداس عند مبنى الكابيتول، القى خلاله موعظة قوطعت بالتصفيق اكثر من عشرين مرة، وهو يعلن قدسية الحياة قبل الولادة وحق الطفل في الحب وفي اسرة متحدة، ويندد باسغلال الضعفاء ويدافع عن الحق في توزيع عادل لخيرات الارض، ويدين كل اشكال التمييز.. وقد تميز خطابه بالحديث عن الاسس التي يجب ان تبنى عليها الاسرة المسيحية مشددا على الابوة والامومة المسؤولة في ما يتعلق بالانجاب..

وفي الساعة ٩،٢١ من صباح ٨ ت١ بتوقيت روما عاد الاب الاقدس الى روما، وكان التعب باديا عليه بعد رحله استغرقت عشرة ايام قطع فيها ١١٢٠٠ ميل والقى خلالها ٧٦ خطابا والتقى ببضعة ملايين من الخلق!

حصيلة الرحلة؟

لقد اثارت خطابات البابا ردود فعل مختلفة في الراي العام سيما وان يوحنا بولس الثاني لا يمضغ كلماته حين يتحدث عن حقوق الانسان وكرامته وحرياته الاساسية وكشفت خطاباته عن رؤية واضحة لا تقبل التفسير، سواء حين يعلن بقوة تمسكه الشديد

بالقيم التقليدية للكهنوت وبما يعتبره "فضائل" كهنوتية.. ام حين يتكلم عن الاسرة والقضايا الشائكة التي تواجهها في عالم اليوم. وهذه بعض ردود الفعل التي رجعت صداها جريدة لاكروا في عدد ١١ ت١.

كتب جورج مونتارون رئيس تحرير مجلة "الشهادة المسيحية": "ان ما يقوله يوحنا بولس الثاني في مثل هذه المناسبات معروف: انه تعليم الكنيسة التقليدي. فالبابا ليس باحثا يغامر في مسالك مجهولة، كما انه ليس نبيا يتكام من دون اية قيود (...) لذا فهو يترك للاخرين مهمة البحث واللغة النبوية"! وبينما يوضح ديدييه ديكوان في "الفيكارو" بان البابا بدا في امريكا "ابا للبشر اكثر من كونه رئيسا"، يرى فيه جان فرانسوا ريفيل في "الاكسبريس" رجل سياسة "يعرف ما هو صدى الكلمات في سامعيه.. ويعرف ان يحذر، في آن واحد، الكلمات المبتذلة التي ترضي الجميع والكمات القاسية التي لا تطيب الا لقلة ضئيلة". وكتب كلود فرانسوا جوليان في "نوفيل اوبزرفاتور" بان موهبة البابا في تحريك الجماهير "قد توقظ الجموع الكاثوليكية التي عرفت ان تتمتع بالرفاه في عالم تسوده المظالم". ويرجع جاك ديكين في "ليبوانت"عين الصدى حين كتب يقول: "ان اختيار البابا لرحلاته الثلاث الاولى مدهش.. انه يذهب حيث بوسع اي بابا ان يحرز نجاحا"، ويضيف بان البابا "يعرف، بتلك الجاذبية التي يمارسها على الجموع، ان يحوّل النجاح الى انتصار"!..

ويطول بنا الحديث اذا كنا نريد ان نعكس تعليقات الصحفيين المختلفة. ونختم بالتساؤل مع البير لونشان في (الشهادة المسيحية، ٢٥ – ٢١ ت١) الذي يبدي تخوفه من ان يتحول التذكير بتعليم الكنيسة – ولا سيما في ما يتعلق بقضايا الاسرة –الذي لا يني يوحنا بولس الثاني يعيده الى الاذهان، "الى ادانة شاملة لكل الاراء المخالفة"، ويضيف قائلا: سيلتئم سينودس الاساقفة المقبل في روما في ت١ ١٩٨٠، ليبحث في الاسرة –اعني في كل المواضيع التي تطرق اليها يوحنا بولس الثاني– فأي قسط من الحرية يا ترى سيمنح البابا لممثلي اساقفة العالم؟

مقالات ١٩٨٠

+ انها رحلتي المسكونية الاولى/ش.ر/ك٢
+ ماذا وراء قضية اللاهوتيين ؟ /ش.ر/شباط
+ البابا في افريقيا /ش.ر /حزيران
+ بلغاريا: كنيسة وطنية /ملف/ت١
+ الاسرة المسيحية الى اين؟/ت٢
+ فيلم يسوع الناصري/عدد خاص/ك١

انها رحلتي المسكونية الاولى

في نطاق مقال الاب رنيه بوبير (اين وصل الحوار الارثوذكسي - الكاثوليكي) في عدد ت١ الماضي، تمنينا ان يتجدد لقاء بولس السادس واثيناغوراس الاول في شخص خلفيهما يوحنا بولس الثاني وديمتريوس الاول.. وجاءت رحلة البابا الى تركيا (٢٨ - ٣٠ ت٢) -حين كان العدد الاخير تحت الطبع- وكانها الجواب الذي يتطلع اليه بلهفة كل المسيحيين في العالم، وكلهم امل في ان تخرج اللقاءات المسكونية من اطار المجاملات واللياقة الى حيز العمل، بدءا بالحوار اللاهوتي الجاد ووصولا الى تحقيق الوحدة المنشودة.

واذا كان هذا اللقاء المسكوني الكبير بين اسقف روما واخيه اسقف القسطنطينية لا يختلف في شكله عن اللقاءات التاريخية في القدس (١٩٦٤) وفي الفنار وروما (١٩٦٧)، غير انه يكشف هذه المرة عن رغبة صادقة لدى الكنيستين الشقيقتين -ونحن على ابواب الالف الثالث للميلاد- في استعادة الشركة الكاملة بينهما، في انتظار الوحدة الشاملة بين كل المسيحيين.

"انها رحلتي المسكونية الاولى"! قالها يوحنا بولس الثاني وهو في طريقه الى انقرة، جوابا على اسئلة الصحفيين، وقد سبق لقداسته ان صرح في ١٨ ت٢ بان الهدف الرئيس

من هذه الرحلة هو زيارة اخيه ديمتريوس بطريرك القسطنطينية والمشاركة في احتفالات عيد القديس اندرواس —٣٠ ت٢— بغية "مواصلة المساعي لتوطيد الوحدة بين كل المسيحيين".

زيارة "في غير مكانها"؟

لسنا نخفي ردود الفعل المختلفة التي اثارها عزم البابا على زيارة تركيا في الظروف الراهنة، سواء في الاوساط السياسية ام في الصحافة. واذا كانت الصحافة العالمية قد وصفتها بانها "في غير مكانها"، فان الصحافة التركية عبرت، بنوع خاص، عن مخاوفها تجاه الابعاد السياسية لها، بحيث ان جريدة هيربيت ذهبت الى مطالبة البابا بان يضع نصب عينيه بانه "ياتي الى استانبول وليس الى القسطنطينية"! وحذرته من أن يعتبر(اجيا صوفيا) كنيسة،سيما وان بادرة بولس السادس —وكان قد جثا في المكان الذي وضع فيه موفد البابا عام ١٠٥٤ صك الحرم الذي كرس الانشقاق بين روما والقسطنطينية— لا زالت عالقة في الاذهان، وكانت بعض الاوساط الاسلامية انذاك قد انتقدتها بشدة، وهي لا تزال تطالب الحكومة التركية باعادة تحويلها الى جامع... وفيما توقعت الحكومة التركية من هذه الزيارة شبه المفاجئة دعما لسياستها بشأن قبرص، وفيما بقي الشعب التركي في سواده الاعظم غير مبال بها — والازمة الاقتصادية على اشدها — اعربت الاوساط الارثوذكسية في الفنار "مقر البطريركية المسكونية" عن ارتياحها العميق تجاه مبادرة خليفة بولس السادس —وهي تعيش اليوم ظروفا قاسية بسبب تصاعد العداء ضد اليونان— وتطلع كل المسيحيين في تركيا بامل الى هذه الزيارة وقد اضحوا اليوم قلة ضئيلة لا تتجاوز نسبتهم ٠،٣% من مجموع ٤٢ مليون نسمة يدين اكثر من ٩٨% منهم بالاسلام[1]

فالى هذا البلد جاء البابا البولوني، وقد كان لاجيال خلت منطلق الرسالة المسيحية الى اوربا، وقبلة انظار العالم المسيحي- منذ ان جعل قسطنطين الملك، بين عام ٣٢٤ — ٣٣٠، من بيزنطية عاصمة المملكة الرومانية واعلنها "روما الجديدة" —وملتقى المجامع المسكونية الاولى (نيقية، القسطنطينية، افسس، خلقيدونية...)، وموطن اكابر القديسين من امثال اغناطيوس الانطاكي وباسيليوس الكبير وافرام الرهاوي ويوحنا الذهبي الفم الخ..وقد شاء قداسته ان يبدا رحلته بانقرة العاصمة —وقد جعلها كمال اتاتورك عام ١٩٢٣ عاصمة تركيا الجديدة عوضا عن استانبول التي كانت عاصمة الامبراطورية العثمانية طيلة خمسة قرون.

وجرى للبابا في انقرة استقبال رسمي شارك فيه رئيس الجمهورية السيد فخري فوروتورك ورئيس الوزراء سليمان ديميريل ووزير الخارجية... وكانت الحكومة التركية قد اتخذت احتياطات امن مشددة لتامين سلامتة بعد ان حامت الشائعات لمحاولة اغتياله. وبعد ان جثا قداسته وقبّل ارض تركيا، توجه والوفد المرافق له، بطيارة هيلوكبتر، الى دارالسفارة البابوية[2].

وفي خلال اقامته القصيرة في انقرة، جرت بينه وبين الرئيس التركي مباحثات هامة تناولت قضايا الشرق والقضايا العالمية، والتقى باعضاء السلك الدبلوماسي وزار ضريح كمال اتاتورك في قلب العاصمة، وختم زيارته بقداس للجالية المسيحية في معبد تابع للسفارة الايطالية، بعيدا عن مظاهر الشعبية التي الفها في رحلاته الثلاث الاخيرة.

روما تعانق الفنار...

وكانت استانبول –والفنار بنوع خاص– على موعد في ٢٩ ت٢، مع يوحنا بولس الثاني الذي جاء حاجا الى كرسي اخيه البطريرك المسكوني دمتريوس الاول، وقد اصبح تبادل الوفود بين الكنيستين الارثوذكسية والكاثوليكية، في عيد شفيعي الكرسيين العريقين، بطرس واندراوس، تقليدا منذ ان تبادل سلفاهما بولس السادس واثيناغوراس الاول قبلة السلام والمحبة على جبل الزيتون في ٤ كانون الثاني ١٩٦٤ واعلنا عام ١٩٦٥ رفع الحرومات المتبادلة بين روما والقسطنطينية[٣].

ففي استانبول توجه خليفة بولس السادس الى الفنار ليعانق اخاه خليفة اثيناغوراس. وقد سجل العديد من مراسلي الصحف اوجه الشبه بين هذا اللقاء وذاك الذي تم قبل ١٢ سنة! وتبادل الحبران الكبيران قبلة السلام ودخلا، يدا بيد، الى كاتدرائية القديس جاورجيوس على الحان

"ما اجمل واطيب ان يسكن الاخوة معا"، ووضع البطريرك المسكوني على كتف بطريرك الغرب اورارا من القرن الخامس على هتافات اكسيوس (انه مستحق). ورحب دمتريوس الاول بيوحنا بولس الثاني قائلا:" ان مسيرتك الينا، من روما، انما هي مسيرة ملاك السلام والخير.. لقد تابعنا سوية مسيرتنا المشتركة، وامامنا هدف الوصول الى الشركة الكاملة بيننا.. وها نحن اليوم نخطو خطوة جديدة على طريق التآخي، وسيكون لهذه الخطوة الجادة اثر كبير في سعينا نحو الغاية التي نصبو اليها، الا وهي الوحدة..". واكد اسقف القسطنطينية بان الغاية القصوى لا تقوم في تحقيق الوحدة بين الكنيستين الشقيقتين وحسب، انما البلوغ الى تحقيق وحدة شاملة بين كل المسيحيين، وحدة لا تهدف الى اقامة جبهة تجاه غير المسيحيين، وانما تصبو الى خدمة كافة اعضاء الاسرة البشرية.

وفيما شدد اسقف روما، في خطابه، على الصلات الوثيقة التي تربط بين الكنيستين، اكد بان هذا اللقاء انما هو لقاء في الايمان الرسولي المشترك للسير معا على طريق الوحدة الكاملة، هذه الوحدة التي جرحتها ظروف تاريخية اليمة. وقال البابا: "ليس الامر في معرفة اذا كنا نستطيع ان نستعيد الشركة الكاملة، بل بالاحرى في التساؤل اذا كان يحق لنا ان نبقى منفصلين"، داعيا الى مواصلة الجهود والمساعي الرامية الى تصفية الخلافات – ومعظمها ليس بجوهري – سعيا وراء تحقيق ارادة الرب في ان تستعيد كنيسته تلك الوحدة التي ارادها لها.

وكان قداسة البابا، في وقت سابق، قد توجه لزيارة اخيه البطريرك خنورك خالوستيان للارمن الارثوذكس في مقره في كومكابو، وحيا في شخصه كل الشعب الارمني الذي استطاع ان يحافظ على امانته للمسيح بالرغم من كل المحن التي حلت به طيلة اجيال، واخرها تلك التي اصابته ابان الحرب العالمية الاولى وذهب ضحيتها اكثر من مليون نسمة. وفي زيارته لاجيا صوفيا (ومعناها: حكمة الله المقدسة) –وهي الكنيسة التي شيدها الامبراطور يوستينيانوس من عام ٥٣٢ إلى ٥٤٨، وحولها الاتراك الى جامع في القرن١٥،

ومن ثم الى متحف بأمر من اتاتورك عام ١٩٢٠– لم يكرر يوحنا بولس الثاني بادرة سلفه، تجنبا لاثارة نقمة بعض المتطرفين الذين سبقوا فأعربوا عن احتجاجهم على هذه الزيارة.

في عشية الحوار اللاهوتي

وفي مساء اليوم عينه اقام الاب الاقدس قداسا في كاتدرائية الروح القدس اللاتينية حضره قداسة البطريرك المسكوني والبطريرك الارمني وعدد كبير من اساقفة وكهنة الكنائس الكاثوليكية وغيرالكاثوليكية، ألقى خلاله كلمة قال فيها: "نحن في عشية افتتاح الحوار اللاهوتي بين الكنيستين الكاثوليكية والارثوذكسية.. وعلى هذا الحوار ان ينطلق مما هو مشترك في ما بيننا سعيا الى مواجهة وتذليل كل الصعاب التي تحول دون الوحدة الكاملة". وفيما ذكر قداسته باللقاءات التي تجري سنويا بين الكنيستين، اكد على دور الصلاة المشتركة في التمهيد للشركة الكاملة في الاوخارستيا، وتمنى ان تتحقق امنية البطريرك الراحل اثيناغوراس وقد كان يتوق بكل قلبه الى رؤية ذاك اليوم الذي يتسنى له فيه "ان يشرب معا من كأس واحدة" على حد تعبيره. ولاح للعديد من الصحفيين والمراقبين ان الوحدة المنشودة قريبة جدا، من خلال كلمات البابا: "نحن على ابواب الالف الثالث للميلاد، وعسى ان يسفر فجره عن كنيسة تستعيد وحدتها التامة لتشهد، وسط توترات العالم الحادة، لمحبة الله اللامتناهية والمعلنة في ابنه يسوع".

البيان المشترك

اننا، البابا يوحنا بولس الثاني والبطريرك المسكوني ديمتريوس الاول، نرفع الشكر لله الذي اعطانا ان نلتقي لنحتفل سوية بعيد القديس اندراوس، اخي الرسول بطرس واول المدعوين (...).

ونحن، اذ نهدف الى مجد الله عن طريق تحقيق ارادته، نؤكد من جديد عزمنا المكين على ان نعمل كل ما في وسعنا لتعجيل اليوم الذي تستعاد فيه الشركة الكاملة بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الارثوذكسية، بحيث يتسنى لنا اخيرا ان نشترك معا في الاوخارستيا المقدسة (...).

ان للحوار اللاهوتي هدفا لا يقوم بتعجيل الخطى لاستعادة الشركة الكاملة بين الكنيستين الشقيقتين، الكاثوليكية والارثوذكسية، وحسب، بل ايضا في المساهمة في الحوارات العديدة التي تجري في العالم المسيحي، بحثا عن وحدته. ان حوار المحبة الذي يستمد اصوله من امانة تامة للرب يسوع المسيح عينه ولارادته في كنيسته، قد مهد الطريق لفهم افضل للمعطيات اللاهوتية المتبادلة، وصولا الى طروحات لاهوتية جديدة والى موقف جديد من الماضي المشترك بين كنيستينا، انما هو ثمرة هامة من ثمار حوار المحبة، وشرط لا غنى عنه للخطوات المقبلة (...).

واننا نتمنى ان يفتح تقدمنا نحو الوحدة امكانات جديدة للحوار والتعاون مع كل المؤمنين من الديانات الاخرى ومع كل الناس ذوي الارادة الصالحة، كي تتغلب المحبة والاخوة على الحقد والخلاف بين البشر. بهذا الشكل نأمل المساهمة في تثبيت سلام حقيقي في العالم، ونطلب هذه العطية من ذاك الذي كان وهو كائن وآت، المسيح ربنا الوحيد وسلامنا الحقيقي.
(الفنار – عيد القديس اندراوس، ٣٠ ت٢ ١٩٧٩)

وفي صباح ٣٠ ت٢ توجه قداسة البابا من جديد الى الفنار ليشارك في الاحتفالات بعيد القديس اندراوس، ومن جديد اكد قداستهما على ضرورة المسيرة المشتركة على طريق الوحدة باستخدام كل الوسائل –و "حوار المحبة" من اكثرها وقعا–

التي من شانها ان تعجل ذاك اليوم المرتقب حيث يجتمع الاخوة في شركة تامة. وقد تم بين الحبرين العظيمين لقاء شخصي وضعا فيه ولا شك الخطوط العريضة للحوار اللاهوتي الذي من المتوقع ان تبدأ اولى جلساته في آذار المقبل. واسفر لقاؤهما عن بيان مشترك اكدا فيه عزمهما على تعجيل اليوم الذي تستعاد فيه الشركة الكاملة" بين الكنيستين الكبريين (انظر الاطار).

وغادر اسقف روما كرسي القديس اندراوس على امل لقاء جديد في ٢٩ حزيران المقبل عند ضريح القديس بطرس شفيع كرسي روما. وبعد لقاء قصير بالجالية البولونية في ضواحي استانبول، توجه البابا فويتيوا الى افسس، على بعد ٧٠ كم من ازمير —حيث قضى يوحنا الابنجيلي ايامه الاخيرة مما جعل التقليد يربط اسم مريم بهذه المدينة العريقة— حيث يقوم معبد بانايا كابولي (بيت الكلية القداسة) الذي يؤمه المسلمون والمسيحيون لاكرام العذراء. ففي هذا المعبد الصغير، اقام البابا قداسا تكلم فيه عن دور العذراء في عمل الخلاص، وجدد عند اقدامها التزامه بتعجيل سبيل الوحدة الكاملة بين كل المسيحيين: "نريد اليوم ان نجدد التزامنا عند اقدام امنا... وتحت انظارها، نحن على استعداد للاعتراف باخطائنا المتبادلة وانانياتنا وتذبذباتنا".

ومن ازمير حيا البابا الشعب التركي وعبر عن شكره العميق على حسن ضيافته، متمنيا ان يتوثق الاحترام المتبادل بين اصحاب الديانتين الموحدتين وينعم كل المواطنين بالخير والحرية والرفاهية. وغادر قداسته الى روما وهو على اقتناع من "الاهمية الخاصة" التي كانت لرحلته المسكونية الاولى، في انتظار البطريرك المسكوني في احتفالات عيد القديسين بطرس وبولس، بعد ان يكون الحوار اللاهوتي قد خطا خطواته الاولى.

---

(١) لا يكاد يزيد عدد المسيحيين في تركيا حاليا على ١٣٠٠٠٠ نسمة، وهذا العدد في تناقص مستمر بسبب الهجرة التي بدات في اعقاب الحرب العالمية الاولى ولما تنته. ويأتي الارمن الارثوذكس في المقدمة (حوالي ٦٠٠٠٠) ومن ثم الروم الارثوذكس (٢٠٠٠٠) والسريان الارثوذكس، الى جانب اقليات من اللاتين والروم والارمن والسريان الكاثوليك والاقباط والبروتستنت.

(٢) اقامت تركيا والكرسي الرسولي علاقات دبلوماسية بينهما عام ١٩٦٠ على عهد البابا يوحنا ٢٣ الذي كان يشغل، من عام ١٩٢٥ — ١٩٤٤، منصب قاصد رسولي في استانبول.

(٣) كان لقب البطريرك يطلق منذ القرن الرابع على اسقف روما والقسطنطينية والاسكندرية وانطاكية واورشليم . واتخذت القسطنطينية مكانة مرموقة عام ٣٢٤ حين نقل الامبراطور قسطنطين مقرّه من روما الى بيزنطية — القسطنطينية. وازدادت مكانة بطريركها اهمية منذ ان اخذ يتمتع "باولوية فخرية بعد اسقف روما" ابان انعقاد المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية عام ٣٨١، وامتدت سلطته الى كل ارجاء الامبراطورية البيزنطية. وكان اول من اتخذ لقب "البطريرك المسكوني" هو يوحنا الرابع عام ٥٨٨.

ونشات نزاعات بين روما والقسطنطينية تسببت عن اختلافات مسلكية وليتورجية وراعوية بين تقليدين لاهوتيين، بدات اثر اضافة كلمة "والابن" في التقليد الغربي، على قانون ايمان نيقية:"ونؤمن بالروح القدس..المنبثق من الآب"،وشملت من ثم خلافات بشان التقديس بخبز فطير وفرض العزوبية على الكهنة في التقليد اللاتيني.. غير ان الخلاف الحقيقي بدأ حين شاء البابا نيقولا الاول(٨٥٨-٨٦٧) ان يبسط سلطته على الشرق، فتدخل في نزاع بين مرشحين لكرسي القسطنطينية وابدى تاييده لاغناطيوس ضد فوتيوس..وتم الانشقاق الكبيرفي عهد البابا لاون التاسع الذي، بدافع من رغبته في الحد من سلطة ونفوذ البطريرك ميخائيل كيريلاوس، ارسل موفدين الى القسطنطينية برئاسة الكردينال همبرتو، وحملهم رسالة تضمنت احتجاجا على شرعية ارتقائه الى كرسي البطريركية. وسرعان ما تحولت المفاوضات الى مشادة جلت

همبرتو على وضع صك الحرم بحق البطريرك على مذبح آجيا صوفيا، اثناء الليتورجيا، في ١٦ تموز ١٠٥٤.

وكانت سلطة البطريرك المسكوني، قبل الانشقاق، تمتد الى اكثر من ٦٠٠ ابرشية في كل انحاء اسيا الصغرى وبلاد البلقان والبلاد السلافية وحتى جنوب ايطاليا وصقلية.. وتعمق الانشقاق بين الغرب والشرق في اثر نهب الصليبيين القسطنطينية عام ١٢٠٤، وفقد الارثوذكس ثقتهم بالغرب بشكل تام في اعقاب حصار القسطنطينية عام ١٤٥٣ على يد محمد الفاتح. ومنذئذ تضاءلت مكانة البطريركية المسكونية طيلة الحكم العثماني وحتى الحرب العالمية الاولى، حين اضطر العديد من الارثوذكس،بموجب معاهدة لوزان، الى الهجرة من اسيا الصغرى، واستمر تضاؤل عددهم في تركيا حتى اصبح لا يزيد اليوم على ٢٠٠٠٠ نسمة!

غير ان سلطة بطريرك القسطنطينية تمتد الى جزر دوداكانيس واهمها جزيرة رودس، والى جزيرة كريت (٤٥٠٠٠٠) وتشمل الابرشيات الجديدة في الامريكتين (٣ ملايين) (واوروبا) (نصف مليون) (واستراليا) (نصف مليون).. الخ كما انه يتمتع باولوية فخرية على سائر بطاركة الكنائس الارثوذكسية (حوالي ٢٠٠ مليون مؤمن)، سواء كانت كنائس بطريركية قديمة (انطاكية والاسكندرية والقدس) وحديثة (موسكو وبلغراد وبخارست وصوفيا..)، ام كنائس مستقلة (قبرص واليونان وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا..).

ماذا وراء قضية اللاهوتيين؟

بوبي، شيلبكس، كونك، اسماء رددتها في الاونة الاخيرة الاذاعات وتناقلتها الصحف والمجلات وجعلت من كل منها "قضية"! انها قضية لاهوتيين كبار اثارت مؤلفاتهم الجريئة اهتمام مجمع العقيدة والايمان، وكان لهم منه نصيب، سواء على شكل محاكمة ام ادانة ام عقوبة.

وتساءل الكثيرون: ما هو الهدف من هذه الحملة التي استهدفت اللاهوتيين؟ ولماذا في هذا الوقت بالذات؟ وما هو دور البابا في هذا التحرك المتناغم؟ اهو تراجع عن انطلاقة المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني؟ ام ان البحث اللاهوتي اصبح، في اعقاب المجمع، في شبه فوضى استوجبت هذه الاجراءات؟ هل هناك رغبة في العودة الى مجامع التفتيش؟ ام ان الكنيسة لم تعد تثق بلاهوتييها الجدد؟

تساؤلات عديدة كان لا بد لها ان تطرح، والقضية ذات شان كبير تتخطى كونها قضية داخلية. ويحق لقراء الفكر المسيحي ان يحصلوا على اعلام موضوعي، قدر المستطاع، حول هذه المسالة التي استأثرت باهتمام وسائل الاعلام، وقد رجع صداها مقال تحت عنوان "لاهوتي قناص يثير غضب الفاتيكان" نشر في مجلة الوطن العربي (العدد ١٥٠) تؤخذ عليه قلة الدقة في سرد الاحداث، الى جانب العديد من الاخطاء التي تخللته والتي لا تخفى على القارئ اللبيب.

المقال التالي هو تقرير يلم باطراف القضية في اطارها الواقعي، وهدفه ان يلقي الاضواء، من وجهة نظر اعلامية، على قضية يتعلق بها مستقبل البحث اللاهوتي في كنيسة تريد ان تخاطب العالم بلغة جديدة.

●

شهدت الكنيسة الكاثوليكية في الاونة الاخيرة تحركا تجاه بعض اللاهوتيين، وكانت بداية هذا التحرك تجاه اللاهوتي الدومنيكي الفرنسي جاك بوبي في نيسان الماضي، وقد منعه مجمع العقيدة والايمان من التعليم ومن مزاولة رسالته الراعوية. وجاء دور جان باتيست ميتز السويسري استاذ اللاهوت في جامعة مونستر (المانيا) واحد ملهمي "اللاهوت السياسي" الذي لم توافق جامعة مونيخ، بضغوط من الكردينال راتزينكر رئيس اساقفة مونيخ، على تعينه استاذا للاهوت فيها. وفي الولايات المتحدة منع الاب جون ماك نيل اليسوعي من نشر كتابه "الكنيسة واللواط"، بعد ان كان حصل على سماح بنشره. ومثل هذا الاجراء امتد الى شارل كوران استاذ اللاهوت الادبي في جامعة واشنطن الذي كان يعد تقريرا مسهبا حول القضايا الجنسية...

واتجهت انظار مجمع العقيدة والايمان نحو اللاهوتيين الشهيرين ادوارد شيلبكس الدومنيكي البلجيكي وهانس كونك السويسري، وهما من اكثر اللاهوتيين نتاجا، ويعدان

مع كارل راهنر وايف كونكار وماري – دومنيك شنو وهنري دي لوباك، من ابرز اللاهوتيين الذين استطاعوا، بدقة بحوثهم وعمق مداها، ان يوجهوا الفاتيكاني الثاني ويدعموا مسيرة كنيسة ما بعد المجمع؛ غير انهما، في الوقت ذاته، من اولئك الذين تنظر اليهم روما بحذر، آخذة عليهم محاولاتهم الجريئة.

استدعاء شيلبكس...

واستدعي شيلبكس[1] الى روما للمثول امام مجمع العقيدة والايمان في ١٤ ك١ لمناقشة آرائه اللاهوتية. وترقى قضيته الى عام ١٩٧٤ اثر صدور كتابه الشهير "يسوع: تاريخ شخص حي" (٦٠٠ ص) والذي الحقه بكتاب آخر عام ١٩٧٧ "المسيح والمسيحيون: تاريخ ممارسة جديدة" (٨٩٥ ص)، وكان السؤال الكبير الذي طرحه استاذ جامعة نيميغ: ماذا في شخص يسوع التاريخي كان اساسا لما يقول عنه العهد الجديد؟

ويوضح الاب البير لونشان، في مجلة الشهادة المسيحية (العدد ١٨٤٩)، ما يحمل هذا التساؤل في طياته من تضاد بين يسوع الناصري، ابن النجار، الذي راح يتكلم عن الله واتخذ له تلاميذ وصلب بسبب مقاومته للسلطة السياسية.. وبين يسوع المسيح، ابن الله، الذي قام من بين الاموات وتراءى لرسله بعد القيامة؛ ويقول: "بين طرفي هذا التضاد، بين يسوع التاريخي وبسوع المعتلن حيا، مسافة شاسعة كان بوسع الايمان وحده ان يتجاوزها عبر مصطلحات استعملها المسيحيون الاولون: المسيح، ابن الانسان، ابن الله". ويواصل لونشان فهمه لمقولة اللاهوتي البلجيكي باننا اذا كنا نريد ان نحصل على صورة يسوع التاريخية، علينا ان نستعرض الافكار والمفاهيم والتعابير والاطار الحضاري والتوقعات الاجتماعية والدينية التي عكستها شهادة المسيحيين الاولين في العهد الجديد. بهذا المنطوق القى الاب شيلبكس اضواء على مفهوم القيامة انطلاقا من ايمان الرسل الذين لهم (تراءى) الرب بصفتهم مؤمنين، ولم يتراء لسواهم من غير المؤمنين. وهذا لا يعني ان الرسل استنبطوا القيامة، لكنهم شهدوا لها من خلال خبرتهم الايمانية بيسوع الناهض من بين الاموات.

تلك هي المسالة التي اقلقت مجمع العقيدة والايمان ودفعته الى استيضاح الاب شيلبكس الذي استجاب بتقرير من ثلاثين صحيفة. وكان عليه ان ينتظر اربعة اعوام قبل ان يتسلم رسالة من الكردينال سيبير رئيس المجمع يعلمه فيها بان جوابه لم يكن كافيا! ومر عام آخر الى ان استدعي في ١٨ ت١ الماضي ليمثل امام لجنة[2] ويجيب الى ٩ اسئلة كان آخرها سؤال بشان قيامة المسيح الواقعية.

ومثل شيلبكس امام ثلاثة من اللاهوتيين، وامتدت مناقشته على يومي ١٤ – ١٥ ك١؛ وتناولت الاسئلة الموجهة اليه قضايا تتعلق بالكتاب المقدس وسلطة الكنيسة الى جانب قضايا عقائدية. ويبدو ان المناقشة جرت في جو من التفاهم؛ غير ان التوتر جرى حول القضايا العقائدية مع الاب كالو اليسوعي الذي يختلف مع الاب شيلبكس في العديد من المقولات اللاهوتية، وكان قد تحامل على زميله من راديو

الفاتيكان مما حمل الكردينال جان فيلليبراند رئيس اساقفة اوترخت (هولندا) على الخروج من صمته والدفاع عن (ارثوذكسية) شيلبكس واستقامة ايمانه.

وفيما اعرب استاذ جامعة نيميغ عن ارتياحه من جو المناقشة وقد مكنته من توضيح آرائه، لم يخف اسفه للاسلوب المتبع في النظر في مؤلفات اللاهوتيين، بدون ان يتاح للمؤلف ان يتدخل لازالة اللبس وسوء الفهم اللذين يتعرض لهما الرقباء، واعتبره اسلوبا يتنافى مع حقوق الانسان.

وفي خلال مؤتمر صحفي عقده اللاهوتي الشهير في روما عقب المناقشة، تمنى ان يصار الى تطوير الاساليب الحالية التي ينتهجها مجمع العقيدة والايمان، مشددا على ضرورة اتاحة الفرصة للمؤلف لاسماع صوته لدى لجنة الكرادلة التي يعود اليها القرار النهائي (لاكروا، ١٨ ك١).

... وادانة كونك

اما بالنسبة الى اللاهوتي السويسري الشهير هانس كونك[٣]، فقد اصدر مجمع العقيدة والايمان في ١٥ ك١ ادانة حظيت بمصادقة البابا، جاء فيها بان المجمع اضطر، بحكم مهمته في الدفاع عن الايمان، الى القول بان "الاستاذ كونك ابتعد، في مؤلفاته، عن سلامة الايمان الكاثوليكي، ولا يمكن اعتباره من ثم لاهوتيا كاثوليكيا ولا يحق له في التالي ان يزاول مهنة التعليم"، غير انه لم يتهمه بالهرطقة و لم يقصه من حضن الكنيسة او من مزاولة رسالته الكهنوتية. وقد كشف البيان عن حق الكنيسة في منع اللاهوتيين من التعليم اذا ما تعارضت آراؤهم مع تعليم الكنيسة الرسمي واثارت بلبلة بين صفوف المؤمنين، مذكرا بان المجمع سبق له ان لفت انتباه كونك عام ١٩٧٥ حول عقيدة العصمة في الكنيسة ومفهوم سلطة الكنيسة التعليمية الخ... ويواصل البيان قوله بان الاب كونك لم يتراجع عن آرائه بل استمر يشكك في عصمة الكنيسة بما يتنافى وتعليم المجمع الفاتيكاني الاول (١٨٧٠) والفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥)، الى غير ذلك من الآراء "الخاطئة" حول لاهوت المسيح وقيامته ودور العذراء في الخلاص والاستحالة الجوهرية في الاوخارستيا...

وفي تصريح لمكتب الاعلام في الفاتيكان، اشار الاب بانشيرولي الى ان ادانة كونك جاءت وفقا للتعليمات التي كان البابا بولس السادس قد اصدرها، وقد سبق له ان رفض، عدة مرات، دعوة مجمع العقيدة للمناقشة. وينفي مدير مكتب الاعلام ان يكون هناك أي ترابط بين قضية كونك او ادانة بوبي — وهي نتيجة مفاوضات دامت ١١ شهرا — او استدعاء شيبلكس الذي كان من المقرر ان تتم مناقشته في خريف ١٩٧٨، مخلصا الى القول بانها "مجرد مصادفة"!

ان الخلاف بين استاذ جامعة توبنكن والسلطات الرومانية يرقى الى عام ١٩٦٧ في اعقاب نشر كتابه في "الكنيسة". وتصاعدت مخاوف روما عام ١٩٧١ بعد صدور كتابه في العصمة[٤] وكان قد تساءل فيه عما اذا كانت عقيدة العصمة، كما حددها الفاتيكاني الاول،

تتفق مع تعليم الكتاب المقدس والتقليد. وحين استدعي للمناقشة رفض، وكان رفضه "خطا دبلوماسيا" أغاض الدوائر الرومانية. وفي ت١ ١٩٧٤ –وقبيل التحذير الذي تلقاه في ١٥ شباط ١٩٧٥ من مجمع العقيدة والايمان– صدر كتابه الموسوعة "كوني مسيحيا" (Etre chrétien). وازاء الرواج الذي احرزه هذا الكتاب اصدر مجلس الاساقفة الالمان والفرنسيين والسويسريين تحذيرات تلفت الانتباه الى "الاخطاء" التي لا تنسجم مع تعليم الكنيسة، فيما كان الاب كونك يؤكد "بالرغم من النقد الدائم الذي اجدني مضطرا الى توجيهه للكنيسة، فاني احتفظ دوما بأمانتي واخلاصي لهذه الكنيسة..."[٥].

ان الادانة التي لحقت باستاذ جامعة توبنكن استهدفت نتاجه اللاهوتي برمته طالما ان مجمع العقيدة والايمان وضعه في عداد الخارجين عن الايمان الكاثوليكي! واذا كان في نتاج اللاهوتي السويسري اراء جريئة تحوم حولها علامات استفهام، فان هناك، على حد تعبير جان بوتان في جريدة لا كروا (٢٠ ك١)، طروحات لاهوتية جادة تنطلق من رؤيته المنفتحة على تيارات الفكر المعاصر وقناعته بان على اللاهوت ان يجد موقعه في قلب هذه التيارات ويجيب الى تساؤلات الانسان المعاصر؛ وهذه القناعة عينها هي التي تقوده احيانا الى اتخاذ موقف جذري من عقائد الايمان التي لا تخضع للتحليل العلمي.

وفي اعقاب الادانة، توجه المونسنيور جورج موزير اسقف روتنبورغ /شتوتكارد (المانيا) – وتقوم جامعة توبنكن في حدود ابرشيته – الى روما حاملا رسالة من البروفسور كونك، وكان له، بمعية المونسنيور مامي اسقف فريبورغ (سويسرا)، في ٢٢ك١، لقاء مع قداسة البابا الذي وعدهما ان ينكب من جديد، مع وفد من مجلس الاساقفة الالمان، على (ملف) كونك؛ وما هي الا ايام معدودة واذا بروما تجدد ادانتها بحق استاذ توبنكن، مخيبة آمال اولئك الذين انتظروا منها موقفا اكثر مرونة. وقد تمنى البيان الذي صدر عن الاجتماع الذي عقده قداسته في كاستل كوندولفو في ٢٨ ك١ ان يتخذ الاب كونك "موقفا يتاح له بموجبه ان يستعيد مهمته التعليمية عبر انتداب من الكنيسة". ورد اللاهوتي بقوة على هذا القرار، في تصريح نشره في ٣٠ ك١، محتجا على عقوبة تنزل به بدون ان يتاح له ان يسمع صوته، مشيرا الى ان "روما لم تعد تحتمل النقد النزيه ولا تبادل وجهات النظر...". وفيما صرّح بان حقوق الانسان محتقرة داخل الكنيسة، اكد بانه سيبقى" عضوا وكاهنا في الكنيسة الكاثوليكية" (الشهادة المسيحية: العدد ١٨٥٢).

ومن جهة اخرى افاد نبا لجريدة لاكروا (١٢ك١) بان حاكم ولاية باد ووتنبورغ الالمانية –وترتبط هذه الولاية باتفاقية مع الكرسي الرسولي منذ عام ١٩٣٣– رفض ان "يطرد" البروفسور كونك من جامعة توبنكن، ومن المرجح ان ينسب لكلية الفلسفة في الجامعة عينها. كما عكست الصحيفة المذكورة الخطوط العريضة لرسالة راعوية اصدرها مجلس الاساقفة الالمان – وكان له اليد الطولى في ادانة كونك – وقرئت في كافة كنائس البلاد في ١٣ ك٢، اكدت فيها نزاهة مجمع العقيدة والايمان ونفت ان يكون هناك مسلس بحقوق الانسان.

وكان للقضية صدى عالمي

كان من الطبيعي ان تثير "قضية" اللاهوتيين الذين مستهم متابعة مجمع العقيدة والايمان ردود فعل واسعة النطاق في الاوساط اللاهوتية والكنسية، وبين صفوف المؤمنين في سويسرا وهولندا والمانيا بنوع خاص وفي العالم المسيحي بنوع عام. وجاءت اول ردة فعل من فرنسا في اعقاب العقوبة التي اصابت اللاهوتي الفرنسي جاك بويي: ففي رسالة مفتوحة بعث بها عدد من الآباء الدومنيكيين الالمان الى مجمع العقيدة والى الرئيس العام للرهبنة جاء فيها: "لقد اصبح الاحتفال بالاوخارستيا وسيلة تأديبية بيد السلطة الكنسية، واستخدمت عطية الرب للجماعة المسيحية كوسيلة ضغط لتمجيد الخضوع للسلطة ومعاقبة المواقف الناقدة او المنحرفة. وهكذا تحول سر المحبة الى فأس بيد الشرطة الكنسية"! (الشهادة المسيحية: العدد ١٨٥٢). وفي اعقاب استدعاء شيلبكس، كتبت هيئة تحرير مجلة كونشيليوم اللاهوتية العالمية مذكرة احتجاج شديدة اللهجة. غير ان ردات الفعل العنيفة جاءت اثر العقوبة التي حلت بكونك، ففي مجلة الشهادة المسيحية (العدد ١٨٥٠) كتب الاب البير لونشان يقول بان ادانة اللاهوتيين "تطرح قضية مسيرة حرية البحث في الكنيسة. فأي معنى، يا ترى للاّهوتي ما ان تكلم عن القيامة او عن البابا او العذراء (...) واذا به امام اختيارين: انه يخشى ان تنزل به عقوبة او يضطر الى ترديد سطحي لما في الكتب المنهجية".

وفيما اعرب العديد من اساتذة وطلبة جامعة توبنكن وكبار اللاهوتيين عن تضامنهم مع الاب كونك، لم يُخفِ هو نفسه دهشته حين تلقى نبا الادانة: "انه لعثار ان تجري في القرن العشرين مثل هذه المحاكمات التي ترقى الى عهد مجامع التفتيش، في كنيسة تستند الى تعاليم المسيح وتدافع عن حقوق الانسان.. اني اشعر بالخجل من كنيستي" (لاكروا، ٢٠ك١). وجاء في تصريح لناطق باسم مجلس الكنائس العالمي في جنيف بان العقوبة التي انزلت بالاستاذ كونك "ليست قضية داخلية في الكنيسة الكاثوليكية، انما لها مردودات سلبية على الصعيد المسكوني".

لكي لا تتوقف انطلاقة البحث

ان مؤلفات اللاهوتيين من امثال شيلبكس وكونك اعظم من ان يلم بها مقال من هذا النوع، وكان هدفنا الوحيد ان نضع الخلاف بين روما واللاهوتيين في اطاره الواقعي، بصفته حدثا في الكنيسة، لا بل قضية استقطبت اهتمام كل الذين يهمهم ان تذهب البحوث والمحاولات اللاهوتية في استقصاء الحقيقة الايمانية على ضوء الوحي، مع الاستنارة بنور العلوم الانسانية التي تكشف النقاب عن الملابسات التي رافقت الحقائق الايمانية، وتشير الى الدوافع التي كانت وراء اعلان بعض العقائد، سواء في المجامع المسكونية الاولى ابان المنازعات حول لاهوت المسيح، ام في المجامع المتاخرة التي جاءت في اعقاب الاصلاح البروتستنتي.

فالخلاف الكبير في كنيسة ما بعد المجمع ناتج —على حد تعبير الاب البير لونشان— عن خلط بين "الحقيقة" وبين "اليقين": فالحقيقة تخضع للبحث، وهو بدوره يتبع

حركة الحياة التي لا تتوقف؛ أما اليقين، فهو كثيرا ما يتخذ صفة الجمود اذ ينفي امكانية البحث ويحول دونه. فالمطلوب هو ان يتوصل اللاهوتيون والسلطة الكنسية الى تنسيق الجهود بهدف البلوغ الى تعبير للايمان يجمع بين امانتين: امانة لتعليم الانجيل وامانة لمتطلبات بني عصرنا وهم ينتظرون ان تخاطبهم الكنيسة بلغة يفهمونها ويتعاطفون معها. أليس الى هذه الوحدة في الجهود دعا المجمع الفاتيكاني الثاني؟ أليس الى الروح الخلاقة دعا يوحنا بولس الثاني اللاهوتيين في أحد خطاباته الاخيرة؟

---

(١) ولد ادواردو شيلبكس في انفرس (بلجيكا) في ١٢ت ١٩١٤ ودخل دير الاباء الدومنيكيين في كاند، وفي عام ١٩٤٣ تعين استاذا للاهوت العقائدي في دير الابتداء في لوفان. وواصل دراسته اللاهوتية في السولشوار بباريس عام ١٩٥١، ونال الدكتوراه باطروحة في اسرار الكنيسة. وفي عام ١٩٥٧ تعين استاذا في جامعة نيميغ الكاثوليكية في هولندا.

(٢)تشير التعليمات التي اصدرها البابا بولس السادس عام ١٩٧١ بانه في حالة صدور كتاب يتضمن قضايا عقائدية شائكة، يستدعى المؤلف وتشكل لجنة من الخبراء لمناقشة آرائه بعد ان يكون قد اعد جوابا عن النقاط المطلوب ايضاحها، ثم يرفع محضر الجلسة الى لجنة من الكرادلة لدراسته، ويصدر في التالي مجمع العقيدة والايمان قرارا يخضع لمصادقة البابا عليه.

(٣) ولد هانس كونك في سورسي (سويسرا) في ١٩ آذار ١٩٢٨ وتلقى دراسته في كل من الجامعة الغريغورية بروما والسوربون والمعهد الكاثوليكي بباريس. رسم كاهنا عام ١٩٥٤، وفي عام ١٩٥٩ شغل منصب استاذ مساعد في جامعة مونستر (المانيا)، ومنذ عام ١٩٦٠ تعين استاذا للاهوت العقائدي والمسكوني في جامعة توبنكن (المانيا)، وكان من ابرز الخبراء في المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني.

(٤) كان المجمع الفاتيكاني الاول قد حدد بان الحبر الروماني يتمتع بالعصمة حين يعلن بشكل رسمي، بحكم مهمته كراع ومعلم، تعليما بشان الايمان والاخلاق، ومعلوم ان هذه العصمة لا تمتد الى كل ما يكتبه او يقوله البابا. وفيما لا ينفي كونك وجود العصمة في تعليم الكنيسة ويعترف بضرورة تحديدات عقائدية باعتبارها عاملا من عوامل وحدة الكنيسة، يبدي مخاوفه من التفاسير التي تتحملها العصمة بعد ان جعل منها المجمع عقيدة ايمانية، مؤكدا على ضألة الادلة المستقاة من الكتاب المقدس ومشيرا الى العقبة التي تضعها في طريق الحوار المسكوني ومخلصا الى القول بان بوسع الكنيسة ان تستغني عن هذه العبارة وقد استغنت عنها في تعليمها طيلة ١٩ قرنا!

(٥) طرح كونك في هذا الكتاب مسالة "الهوية المسيحية" انطلاقا من تحليل لوضع المسيحية في اطارها الاجتماعي – الحضاري وفي علاقتها بمتطلبات الحضارة الراهنة، معتمدا طريق النقد التاريخي. وكان لا بد له ان يتطرق الى العلاقة بين يسوع التاريخي ويسوع الاناجيل، ويطرح مسالة القيامة برؤية ايمانية جديدة بدت فيها قيامة المسيح، على حد تعبيره،"حدثا لا يمكن اثباته عن طريق التقصي التاريخي، ولكنها في الوقت ذاته حدث واقعي في نظر الايمان". وقد ذهب كونك في استنتاجه الى ابعد، بحيث بدت بعض عباراته حول شخص يسوع على طرفي نقيض من التعليم الذي ما انفكت الكنيسة تعلنه منذ اجيال.

ش. ر./ شباط ١٩٨٠

رحلة البابا إلى افريقيا: أبيض بين السود

اختار يوحنا بولس الثاني لرحلته الرسولية الخامسة من ٢ - ١٢ أيار ست دول افريقية، اثنتان منها تحتفل الكنيسة الكاثوليكية فيها هذا العام بالذكرى المئوية الاولى على تاسيسها، وهما زائير وغانا؛ اما الدول الاربع الاخرى، فقد اختارها قداسته سواء لفقرها ومشاكلها الاقتصادية (فولتا العليا)، ام لارتباطها بايديولوجية ماركسية له فيها ما يقوله (الكونغو)، ام لانه شاء ان يحذر من نمو يستلهم نماذج مستوردة (ساحل العاج)، ام انه اتخذ من النظام الديمقراطي في (كينيا) فرصة ليتحدث عن معضلات القارة الافريقية الكبرى ويوضح موقف الكنيسة منها.

ولكنه ذهب الى هذه البلدان بصفته راعيا ورسولا، له ما يقوله لكنائس فتية تعيش منعطفا هاما من حياتها في خضم قارة ساخنة، وفي اعقاب مجمع مسكوني اعترف بخصوصيتها ودعاها الى جعل الانجيل يتفاعل مع ما في الحضارة "السوداء" من ميزات وقيم روحية واخلاقية.

فعلى آثار بولس السادس الذي كان اول بابا زار القارة الافريقية عام ١٩٦٩، ذهب يوحنا بولس الثاني ليختبر بنفسه واقع الكنيسة الافريقية ويتطلع على حاجاتها، واملنا انه استطاع -بالرغم من تسابقه مع الزمن- ان يصغي الى نداء هذه الكنيسة التي لها، من روحها وخصوصياتها، رسالة تحملها الى الكنيسة الجامعة. عن هذه الرحلة يقدم المقال التالي تقريرا شاملا.

●

زائير: كنيسة الاصالة الافريقة

في ٢ ايار كانت القارة الافريقية على موعد مع يوحنا بولس الثاني، البابا الذي بات يالف الحشد ويانس لاندفاع الجماهير التي تهرع لاستقباله... وكان لقاؤه الاول مع الافارقة في كينشاسا عاصمة زائير[1] حيث كان قد احتشد مئات الالوف على طول الطريق المؤدية من المطار الى كاتدرائية نوتردام دي زائير.

وحين وطئت قدما البابا ارض المطار —وكان الرئيس موبوتو والكردينال جوزيف مالولا على راس مستقبليه— انكب ليقبل الارض الافريقية ويوجه اولى كلماته الى شعب زائير، ومن خلاله الى كل الشعب الافريقي: "يفيض قلبي تأثّراً وفرحا واملا وانا اقبل هذه الارض. انه الامل بامكانية حياة جديدة على هذه الارض تكون اكثر حرية واكثر اخوة.. واذ احيي كل البلدان الافريقية، لا اخفي فرحي العميق حين اراها تمسك مصيرها بيدها". وقد تجلت رؤية البابا البولوني للواقع الافريقي في خطابه هذا وخطاباته اللاحقة حيث كان قداسته يؤكد دوما على خصوصية الروح الافريقية وعلى ميزة الكنيسة الافريقية بصفتها كنيسة متاصلة في قلب الحضارة الافريقية.

وفي كاتدرائية كينشاسا، لم يتردد الكردينال مالولا بتذكير البابا بكلمات بولس السادس ابان زيارته لاوغندا عام ١٩٦٩ حين قال للاساقفة آنذاك: "بوسعكم ومن واجبكم الحصول على مسيحية افريقية"؛ وقال نيافته: "كنا نتمنى ان تختبروا بانفسكم اوخارستيا بطقس زائيري"! ومعلوم ان "الطقس الزائيري" الذي سعى ويسعى رئيس اساقفة كينشاسا الى انشائه، باستلهام الرموز والرقصات الافريقية في الليتورجيا بشكل يلائم ذهنية الافارقة، لا يزال يلاقي مقاومة في الاوساط الرومانية. وكان جواب اسقف روما على جانب كبير من الموازنة حين قال:" على كنيستكم ان تعمق البعد المحلي الافريقي دون ان تنسى البعد الجامعي". وقد راى العديد من المراقبين في هذه الموازنة خوفا خفيا من تشتت الكنائس الافريقية وانفراديتها!

وفي اليوم التالي التقى قداسته باساقفة البلاد الـ ٥٦ في مقر مجلس الاساقفة، وتحدث معهم عن "افرقة الكنيسة" قائلا:"ان الانجيل يتميز ولاشك عن الحضارات ويتخطاها، غير ان الملكوت الذي يبشر به الانجيل يعيشه اناس مرتبطون بحضارة، فلا يمكن ان يستغنى عن العناصر الحضارية في بناء هذا الملكوت. وعلى الكرازة الانجيلية ان تستخرج من الحضارات الانسانية تعابير اصيلة للحياة المسيحية والفكر المسيحي والاحتفالات المسيحية". وفيما ذكر قداسته عددا من المجالات التي يمكن ان تتم فيها هذه الافرقة، اوصى الاساقفة بان يكونوا على جانب كبير من الحكمة والفطنة.

في مساء ٣ ايار التقى البابا بالرئيس موبوتو وتحدث عن "استقلالية" كل من الكنيسة والدولة، ولكنه دعاهما —وكلاهما في خدمة الانسان— الى التعاون الوثيق في كل ما يؤول الى خير الانسان وتقدمه. وفي لقائه بالبعثات الدبلوماسية، ناشد قداسته البلدان الافريقية الى التخلص من النفوذ الاجنبي والابتعاد عن الايديولوجيات المستوردة، سواء كانت من الغرب ام من الشرق.

وكان الزائيريون في ٤ ايار على موعد مع القداس الحبري الذي منح اسقف روما خلاله الرسامة الاسقفية لثمانية كهنة: ٤ من زائير واثنان من بوروندي وواحد من السودان وآخر كندي لجيبوتي. وتميز هذا القداس بعناصر مستوحاة من التراث الافريقي حيث امتزج الرقص بالصلوات التي تليت ببضع لغات محلية منها اللينكالا والباكونغو والسواحلي.. غير ان هذا الاحتفال الفريد الذي حضره اكثر من نصف مليون تعكر بمقتل تسعة اشخاص وجرح ما يقارب مئة آخرين، بسبب شدة الزحام، ولم يعلم البابا بالحادث الا في مساء ذلك اليوم، فاحجم للحال عن حضور امسية فولكلورية وتمنى ان يزور المصابين، ولكن السلطات اضطرته على العدول عن رغبته.

الكونغو: وجها لوجه امام الماركسية

في صباح اليوم التالي غادر الاب الاقدس كينشاسا عن طريق نهر زائير متوجها الى برازافيل عاصمة جمهورية كونغو[٢] الشعبية حيث كان في استقباله في الميناء الرئيس دنيس

ساسو – نكويسو، و لم يكن يدور في خلد البابا ان برازافيل – ويحكمها حزب العمال الكونغولي الماركسي اللينيني – قد اعدت له استقبالا جماهيريا منقطع النظير! ويقول المبعوث الخاص لجريدة ليموند الفرنسية بان "الكونغوليين قدموا من كل اطراف البلاد ليسمعوا كلمات التشجيع والرجاء التي كانوا ينتظرونها". ولدى وصوله توجه قداسته الى الكاتدرائية حيث التقى باساقفة البلاد وكهنتها وراهباتها وصلى على قبر الكردينال اميل بياييندا الذي اغتيل في اذار ١٩٧٧ في ظروف بقيت غامضة. وفي القداس الذي اقامه قبيل الظهر وجه قداسته كلمة دعا فيها الكونغوليين الى الثقة بالمسيح وناشدهم الا يدعوا "الاصنام الجديدة" تحولهم عن كلمة الانجيل. وكان قداسته، قبيل القداس، قد التقى بالرئيس الكونغولي في القصر الجمهوري مشددا على العون الذي بوسع الدولة ان تنتظره من الكنيسة، "ما دامت غايتها القصوى خدمة الانسان وتقدمه"، و لم يتردد قداسته من مطالبة بحق الكنيسة في الحرية الدينية، سيما وانها "في الاساس من كل الحريات والحقوق الانسانية".

لم تدم زيارة البابا لبرازافيل سوى بضع ساعات، عاد بعدها من جديد الى زائير ليقضي نهارا اخر في مدينة كيزانكافي في الشمال حيث كان مئات الالوف من الفلاحين في انتظاره امام ساحة الكاتدرائية ليسمعوه يقول لهم: "... انكم لن تقبلوا ان يعتبر الفلاحون مواطنين من درجة ثانية، وتأبوا ان يكون بعضكم ضحايا الظلم والبؤس. فليس من العدل ان يستغل الاقوياء والمحظوظون الاخرين، فذلك مناف لانجيل المسيح...". وذهب البابا فويتيوا الى مناشدة الفلاحين لوقف حركة الهجرة من الريف التي تهدد مستقبل الامة، مؤكدا بان البلدان الافريقية بحاجة، في نمائها الصناعي، الى التنمية الزراعية..

كينيا: بلد الحريات...

في ظهر ٦ ايار –وبعد زيارة قصيرة لارسالية في احدى الغابات– طار البابا البولوني الى كينيا حيث كان في استقباله في مطار نيروبي عاصمة كينيا[٣] رئيس الجمهورية دانيال اراب موي والكردينال اوتونكا رئيس الاساقفة. وتميزت زيارته لنيروبي – وهي مقر العديد من المنظمات الدولية – بلقاء مع اعضاء السلك الدبلوماسي اوضح خلاله موقف الكنيسة الكاثوليكية من المعضلات التي تواجهها القارة الافريقية، وقد وصف المراقبون خطابه هذا انه امتاز بوضوح الرؤية وعمق المواقف ودقة التعابير:

فعلى مسامع الدبلوماسيين، دعا يوحنا بولس الثاني الحكام الى احترام الانسان الافريقي في هويته المتميزة ذات الصفات الفريدة، محذرا اياهم من ممارسة اي شكل من اشكال الاستلاب في حقوقه وحرياته وسيادته على ارضه وثرواتها. وبعد ان استعرض قداسته اوضاع البلدان التي لا زالت تحت نفوذ القوى الكبرى، واوضح عواقب هذا النفوذ على الصعيد الايديولوجي بصفته شكلا من اشكال الاستعمار، وبعد ان لفت انتباه الانظمة التي تفرز الظلم والامراض الاجتماعية، دعا الدولة –وهي المسؤولة عن الخير العام– الى تجنب كل ما يتناقض مع حقوق الانسان وكرامته، سواء اتخذت هذه التجاوزات صفة

الاستهتار بالسطة ام الطغيان والفساد وقمع الضعفاء ورفض الحقوق السياسية للمواطنين واستخدام العنف ووسائل الارهاب الخ.. وفي معرض حديثه عن الحرية، شدد البابا على الحرية الدينية قائلا:" تؤمن الكنيسة ومن دون اي تردد بان ايديولوجية ملحدة لا يمكنها البتة ان تقود الى التقدم او الى اشاعة العدالة الاجتماعية". وبعد ان حيا قداسته استقلال زيمبابوي، ذهب في شجب السياسة العنصرية وكل اشكال التمييز العنصري التي يعاني منها الافارقة في جنوب القارة، وختم خطابه بالتاكيد على الاستقلال والسيادة الوطنية والاقليمية للدول الافريقية على الصعيدين السياسي والاقتصادي، داعيا الى نماء اصيل تعطى فيه الاولوية لقيم المجتمع الافريقي.

وكان للبابا في كينيا لقاءات عديدة كان اولها مع الاساقف الكينيين الذين جدد على مسامعهم تعليم الكنيسة فيما يتعلق بالاسرة ووحدة الزواج وعدم انحلاله الخ.. والتقى قداسته برؤساء الكنائس المسيحية واعرب لهم في كلمته عن الم الانقسام وعثرته وضرورة تعجيل الخطى لاستعادة الوحدة المسيحية. كما التقى بممثلين عن الديانتين الاسلامية والهندوسية واكد لهم رغبة الكنيسة في توثيق الروابط الروحية مع كل المؤمنين وتعميق التعاون الفعال من اجل خير الانسانية.

غانا: اللقاء مع رئيس اساقفة كونتربري

وبعد قداس في العراء، توجه اسقف روما في ٨ ايار الى غانا[٤] حيث كان الاساقفة والكهنة والرهبان والراهبات وجمع غفير على موعد معه في كاتدرائية اكرا العاصمة. وبعد زيارة للرئيس الغاني هيلا ليمان، اقام البابا قداسا مشتركا في ساحة الاستقلال ووجه موعظة الى علمانيي افريقيا، مؤكدا فيها على دورهم في رسالة الكنيسة ومسؤولياتهم التاريخية في المجتمع الافريقي.

وكما كان متوقعا، فقد تم في صبيحة اليوم التالي اللقاء التاريخي بين البابا ورئيس اساقفة كونتربري الجديد الدكتور روبرت رونسي في مبنى السفارة البابوية في اكرا. وتخلل اللقاء صلاة مشتركة بين الحبرين وبيان مشترك.

وجرى التجمع الكبير في ملعب كوماسي في قلب العاصمة الغانية حيث منح البابا خلال القداس جائزة يوحنا ٢٣ للسلام الى ستة من العلمانيين المتخصصين بالتعليم المسيحي من البلدان الستة التي شملتها الرحلة – وهذه هي المرة الثالثة تمنح فيها هذه الجائزة بعد الام تيريزا (١٩٧١) ومنظمة اليونسكو (١٩٧٤). وقد اوضح قداسته بانه شاء، بهذه المبادرة، ان يبدي تقديره العميق لهؤلاء "الرسل الغيارى على خدمة الانجيل" الذين ساهموا مساهمة فعالة في حمل بشارة الانجيل الى اخوانهم الافارقة، منذ بدء الارساليات وحتى اليوم. وقبيل مغادرته غانا اجتمع قداسته بالاساقفة محدِّدا ما قاله في زائير وكينيا بان "المسيح افريقي في اعضاء جسده". ومن ثم اجتمع بالدبلوماسيين وتحدث اليهم عن تعثر الحوار بين

الشمال والجنوب الذي يرقى الى الحذر المتبادل وعدم الثقة بين الدول، داعيا الى نبذ الحذر والسعي الجاد الى "سد الهوة التي تفصل بين الشعوب الغنية والشعوب الفقيرة".

فولتا العليا: معضلة الجفاف

وفي صباح ١٠ ايار كانت فولتا العليا[٥] على موعد مع بابا روما في زيارة قصيرة التقى خلالها بالرئيس الجنرال لاميزانا الذي استقبله في المطار برفقة الكردينال زونكرانا. وفي خلال القداس الذي اقامه امام كاتدرئية العاصمة اواكادوكو، اطلق قداسته نداء ملحا الى العالم لنجدة بلدان "الساحل" التي تتعرض سنويا للجفاف، متخذا "صوت من لا صوت لهم، صوت الابرياء الذين ماتوا بسبب قلة الماء والخبز.."، ومشددا على ان الاغاثة الدولية، وسبل البحث عن علاج لمشكلة الجفاف واجب ثقيل تفرضه العدالة على الدول والشعوب.

ساحل العاج: من أجل نماء افريقي اصيل

وفي عصر اليوم ذاته حل البابا في ابيجان عاصمة ساحل العاج[٦] حيث كان على راس مستقبليه الرئيس هوفوي- بوايني، وتحول الاستقبال الى شبه تظاهرة شعبية شارك فيها العديد من مواطني الدول المجاورة. وفي لقائه برئيس ساحل العاج اشاد قداسته بالجهود التي بذلتها الحكومة من اجل التنمية القومية، ولكنه حذر من تنمية لا تحسب لكرامة الانسان حسابا، ودعا الى تجنب تقليد الدول "المتقدمة" والتي كثيرا ما لا تلائم نماذجها في التنمية الواقع الافريقي، وتمنى ان تسعى كافة الدول الافريقية الى وضع برامج افريقية تكون اساسا لتنمية انسانية وافريقية اصيلة.

وكان برنامج البابا في اليوم التالي مثقلا باللقاءات، بدءا بحفلة وضع حجر الاساس للكاتدرائية الجديدة ولقاء بالعلمانيين والكهنة والراهبات ومن ثم بالاساقفة الذين حثهم على السعي الى المساهمة في تحقيق مزيد من العدالة وتقليص التفاوت بين الطبقات والعمل على تجنيب المواطنين من الروح الانفرادية والمادية...وفي عصره توجه قداسته الى ياموسوكرو – مسقط راس الرئيس – حيث اقام قداسا للشبيبة الطالبة ووجه اليهم خطابا دعاهم فيه الى الحفاظ على ميزات حضارتهم الافريقية ونبذ روح التقليد والتبعية وناشدهم الى ترسيخ وتعميق ايمانهم الذي بوسعه ان يضفي معنى لحياتهم ومساعيهم.

وفي اليوم الاخير (١٢ ايار)، وبعد ان زار قداسته مصحا للبرص في ادزوبي والتقى من جديد بالرئيس هوفوي، عاد الى روما وفي حقيبته خبرة عشرة ايام عن كنيسة ما زالت تبحث عن ذاتها وتسعى الى ان تبقى امينة لانجيل المسيح وللواقع الافريقي لتشهد امام العالم بأن المسيح هو افريقي ايضا!

---

(١) زائير: ثالث بلد افريقي من حيث المساحة (٢،٣٤٥،١٠٩كم٢) نال استقلاله عام ١٩٦٠. سكانه ٢٦ مليون بينهم ١٢ مليون كاثوليكي الى جانب اقليات بروتستنتية. للكنيسة الزائيرية التي تحتفل بالذكرى

المئوية على تأسيسها ٥٦ أسقفا و٧٠٧ كهنة ابرشيون و١٧٣١ كاهنا راهبا و٨٧٦ اخا و٤١٢٦ راهبة و٢٩٠٥٠ معلم دين. (لمزيد من المعلومات راجع ف.م.: ك٢ ١٩٧٨).

(٢) الكونغو: مساحته ٣٤٢٠٠٠ كم٢ ويرقى استقلاله الى عام ١٩٦٠. سكانه ١،٤٤٤،٠٠٠ يمثل الكاثوليك ٣٦،٨% والبروتستنت٢٨% والمسلمون٣%. ولكنيسة الكونغو ثلاث ابرشيات، في خدمتها ٤٨ كاهنا ابرشيا و٨٠ كاهنا راهبا و١٠١ راهبة.

(٣) كينيا: نالت استقلالها عام ١٩٦٣ وتعد ١٤،٣٣٧،٠٠٠ نسمة بمساحة تبلغ ٥٨٢٦٤٦كم٢. يمثل المسيحيون ٣٠% بينهم ٢،٥٩٥،٠٠٠ كاثوليكي و١،٧٠٠،٠٠٠ بروتستنتي، الى جانب ١،٣٠٠،٠٠٠مسلم. يرقى دخول الكثلكة الى عام ١٨٤٤ ويخدمها حاليا ٢٠٤ كهنة ابرشيون و٦١٣ كاهنا راهبا و١٧٥ اخا و١٨٢٦ راهبة و٢٤٥٢ معلم دين.

(٤) غانا: نالت استقلالها عام ١٩٥٧ وتعد اليوم ١٠،٤٧٥،٠٠٠نسمة ينتمون الى حوالي ٨٠ قومية يسكن ٨٠% منهم في جنوب البلاد، وتبلغ مساحتها ٢٣٨،٥٣٧ كم٢. يعد الكاثوليك ١،٢٦٠،٠٠٠ (١٢%) في خدمتهم ١٤٣ كاهنا غانيا و٢٥٩ كاهنا راهبا و١٠٣ اخا و٤٢٩ راهبة و١٤٣٤ معلم دين. وفي غانا ٣٥% من البروتستنت و١٣% من المسلمين. تحتفل الكنيسة الكاثوليكية هذا العام بذكراها المئوية.

(٥) فولتا العليا: بلد صحراوي نال استقلاله عام ١٩٦٠ وتبلغ مساحته ٢٧٤،٠٠٠ كم٢ وعدد سكانه ٦،٣١٩،٠٠٠. ترقى الكنيسة الكاثوليكية الى عام ١٩٠٥ ولها تسع ابرشيات و٩٤ خورنية يخدمها ١٤٢ كاهنا ابرشيا و٢٥٠ كاهنا راهبا و١٣٨ اخا و٥٨٧ راهبة و٨٣٥ معلم دين. يعد الكاثوليك ٤٤٠،٠٠٠ (٧%) الى جانب ١٢٠،٠٠٠ يستعدون للعماد، اما المسلمون فتبلغ نسبتهم٣٠%.

(٦) ساحل العاج:استقل عام ١٩٦٠. مساحته ٣٢٢،٤٦٣ كم٢ وسكانه ٥،١٥٢،٠٠٠ بينهم مليون اجنبي، ولا يتجاوز عدد الكاثوليك ١١،٩% الى جانب٢٥% من المسلمين. وللكنيسة الكاثوليكية في ساحل العاج ثمانية اساقفة و١٠٦ كهنة ابرشيون و٢٧٨ كاهنا راهبا و٩٢ اخا و٥٠٠ راهبة و٦٧٩ معلم دين.

بلغاريا: كنيسة وطنية

يفاخر البلغاريون -وهم يستعدون للاحتفال بالذكرى المئوية الثالثة عشرة على تاسيس دولتهم عام ٦٨١- بانهم احفاد اولئك التراقيين الذين اشتهروا بحب الموسيقى والغناء، وتلامذة فورلس وميتودس اللذين كانا وراء حضارة سلافية متميزة، ووارثو فن الايقونات التي اضفى عليها فنانو القرن ١٤و ١٥ اثار بصماتهم الخاصة...

ويفاخر البلغاريون الاشداء، محبو الرياضة والفنون، بصمودهم العنيد تجاه الغزوات المتعاقبة في تاريخ البلاد -وكان الاحتلال العثماني من اكثرها وطأة، لعبت فيه الكنيسة البلغارية دورا وطنيا متميزا ورائدا. وما زالت الكنائس والاديرة المنتشرة في طول البلاد وعرضها تحكي امجاد هذا الشعب الذي احتفظ بشعوره القومي والديني، وسعى الى تحرره بثمن تضحيات كبيرة، وهو اليوم يذكر باعتزاز تحرره على يد الروس الذين "حرروه مرتين"، ولا يزال يكن لهم الولاء ويعلنه في التاسع من ايلول من كل عام!

من هناك، رسم الاب بيوس عفاص لوحة بخطوطها العريضة عن هذا البلد الذي تستقطب سواحله الذهبية السواح من كل انحاء العالم -وبعضهم لغايات في نفسهم!- وعن كنيسة امتزج تاريخها بتاريخه واقترن نضالها بنضاله وهي اليوم تكاد تكون سجينة المذابح!

●

كانت بلغاريا الحالية تدعة "بلاد تراقيا" وقد عرفت خلال تاريخها الطويل غزوات عديدة، بدءا بالفرس والمقدونيين والرومان. وفي القرن الثاني الميلادي اجتاحها البرابرة، واحتلها البزنطيون في القرن الرابع، وفي غضون القرن السابع شهدت البلاد قدوم قبائل البلغار من شمال القفقاز التي استقرت على شواطيء البحر الاسود ومصب الدانوب. وفي ربيع ٦٨١ اعلن الامبراطور البيزنطي قسطنطين الرابع حربا على الغزاة، الا انهم استطاعوا بقيادة اسباروخ ان يكبدوا الجيوش البيزنطية خسائر فادحة اضطرت الامبراطور الى عقد معاهدة سلام في ايلول من السنة عينها، وبهذا التاريخ ولدت دولة البلغار.

سعت الدولة الجديدة الى توحيد القبائل البلغارية — السلافية التي سكنت سواحل البلقان. وبعد ١٥٠ عاما من السلام، وفي اعقاب احتلالها سيرديقا (صوفيا حاليا) بقيادة خان كروم (٨٠٣- ٨١٤) كان عليها ان تواجه الزحف البيزنطي الجديد الذي اسفر عن مقتل الامبراطور نيسيفور عام ٨١١، ومنذئذ راح البلغاريون يوسعون حدود دولتهم حتى بلغت من الجنوب الى ابواب القسطنطينية، ومن الغرب الى اطراف مملكة شارمان! وفي هذه الفترة بالذات (٨٦٥) دخلتها المسيحية، وسرعان ما ظهرت المنافسة بين "مسيحيتين": مسيحية يونانية جاءتها عن طريق بيزنطية.. ومسيحية لاتينية عن طريق روما!

العصر الذهبي

بلغت الدولة الفتية اوج عظمتها في عهد بوريس الاول (٨٥٢ - ٨٨٩) الذي، تخلصا من نفوذ بيزنطية السياسي – الديني قرر، بعد عماذه، ان يربط الكنيسة البلغارية الناشئة بروما، الا ان هذا التحالف لم يدم. وفي عهده انكب الاخوان القديسان قورلس وميتودس من تسالونيقية على وضع احرف الهجاء السلافية –و لم يكن للبلغار كتابة خاصة بهم–، ولاقت هذه المبادرة الرائدة تشجيعا كبيرا من الملك بوريس والبابا نيقولا الاول، وهكذا اصبحت الامة البلغارية تملك حضارة متميزة عن الحضارتين اليونانية واللاتينية. واتخذت هذه الخطوة الحضارية الفريدة انطلاقة جديدة في عهد الامير سمعان (٨٩٣-٩٢٧) الذي جعل من العاصمة بريسلاف مركزا ثقافيا مرموقا وجعل بلغاريا تحتل المكانة السياسية الاولى في اوربا الشرقية.

وفي اوائل القرن العاشر، اجتاح الماكيار(المجريون) شمال البلاد، وبدأت تحركات الصربيين (اليوغسلاف) من الغرب.. وحينذاك رأت بيزنطية ان الوقت مناسب لسحق جارتها، فاتخذت من امير دولة كييف الروسية حليفا استطاع عام ٩٦٩ ان يحتل القسم الشمالي من البلاد. الا ان مخاوف الامبراطور البيزنطي من قوة الامير الروسي قادته الى ابعاد الروس واعلان بلغاريا الشمالية مقاطعة بيزنطية. وفي عام ١٠١٨ سقطت بلغاريا تحت سيطرة البيزنطيين طيلة ١٥٠ عاما. وبعد نجاح المقاومة لاستعادة السيادة الوطنية عام ١١٨٧، داخلت الصليبيين مطامع على الاراضي البلقانية –بالرغم من علمهم باعتناق الملك كالويان (١١٩٧ - ١٢٠٧) الكثلكة– اسفرت عن اندحارهم في معركة اندرينوبل عام ١٢٠٥.

وعرفت بلغاريا عصرها الذهبي في عهد ايفان – أسين الثاني (١٢١٨- ١٢٤١) على الصعيدين السياسي والديني، سيما بعد ان استطاع ان يسوي علاقاته مع البيزنطينيين واللاتين والصربيين والمجريين... فالى عهده يرقى الازدهار الثقافي والعمراني حين اصبحت الاديرة والكنائس العديدة التي شيدها مراكز اشعاع قومي تفاخر به بلغاريا حتى اليوم.

تحت نير الاحتلال العثماني

وتميز القرن الرابع عشر بانتصار البلغار على الغزاة التتر، وفي الوقت ذاته بدأت تلوح مخاوف من كل جانب، زادها انقسام الولايات البلغارية في ما بينها، وتكرست باحتلال الاتراك العثمانيين لصوفيا عام ١٣٨٢، ولحقت بها تيرنوفو التي صمدت فترة بفضل البطريرك افتيمي، ومن ثم رزحت كل بلغاريا تحت نير العثمانيين طيلة خمسة قرون كانت من احلك العصور. وخلف الاحتلال تدهورا لا مثيل له على كافة الاصعدة، وظهرت وطأته بنوع خاص حين امر السطان بايزيد بنفي ملايين البلغاريين الى اسيا الصغرى واستبدالهم باتراك بهدف تحويل بلغاريا عنوة عن المسيحية!

وحين تراجع الاتراك عند اسوار فيينا عام ١٦٨٣ كانت انتفاضات التحرر قائمة على قدم وساق، وكان من روادها الاوائل بيتر بارتشفيج (كاهن كاثوليكي) والراهب

بايسي الذي كان اول من كتب "التاريخ السلافي- البلغاري" (١٧٦٢) كان وراء يقظة الضمير القومي لدى البلغار. الا ان المقاومة المسلحة لم تنظم الا على يد فاسيل ليفسكي، تُوِّجت باعلان روسيا الحرب على تركيا عام ١٨٧٧، نالت بلغاريا في اعقابها تحررها في ٣ آذار ١٨٧٨ بفضل الروس الذين دفعوا ثمنه ٢٠٠٠٠٠ جندي!

تحت ظل الاشتراكية

وبعد ان اقحمت بلغاريا في الحرب الاولى الى جانب المانيا والنمسا والمجر، اصبحت بموجب معاهدة سان ستيفانو ملكية كان فيرديناند اول ملوكها، واستطاع الملك بوريس الثالث عام ١٩٣٥ ان يفرض سلطته الشخصية بعد انقلابات عسكرية متتالية. وفي الحرب الثانية انضمت بلغاريا الى دول المحور ودخلتها الجيوش النازية في اذار ١٩٤١، الا ان تاسيس حكومة "الجبهة الوطنية" في ٩ ايلول ١٩٤٤ مهد السبيل لدخول القوات السوفييتية واعلنت بلغاريا جمهورية شعبية في ٨ ايلول ١٩٤٦ بقيادة جورج دمتروف، واعطيت دستورا اقرب ما يكون الى الدستور السوفييتي. وهي اليوم تفاخر بتعلقها — ان لم نقل تبعيتها — بالاتحاد السوفييتي ليقينها بانه "حررها مرتين"! وقد اصبح هذا التعلق موضوع تندر بين البلغاريين الذين لا يترددون من القول: حين تسن موسكو قوانين لجمهورياتها، فان بلغاريا هي اول من يطبقها!!

كان على هذا البلد الذي تركت فيه الغزوات والحروب جروحا عميقة ان يبدأ عام ١٩٤٦ من الصفر في بناء ذاته؛ وكان على السكرتير الاول للحزب الشيوعي البلغاري تيودور جيفكوف — وقد تسلم السلطة عام ١٩٤٩ اثر وفاة جورج دمتروف — ان يضاعف الجهود لتحقيق تحولات اجتماعية واقتصادية جريئة تمت بفضل مساهمة الشعب وتضحياته الكثيرة، فكان بوسع جيفكوف ان يستعرض بافتخار، في المؤتمر العاشر للحزب عام ١٩٧١، مكاسب الثورة ومنجزاتها ولا سيما في المجالين الزراعي والصناعي، بدون ان يتردد من الاقرار بالتعثر الذي رافق عملية التحول والبناء ولفت الانتباه الى بعض المردودات السلبية التي نتجت عن سوء فهم للمبادىء الاشتراكية، ولا سيما فيما يتعلق بحرية الفرد وشؤون الاسرة...

بلغاريا المسيحية

ترقى المسيحية في بلاد البلقان الى القرن الاول الميلادي حين كانت بلغاريا الحالية جزءا من الامبراطورية الرومانية التي جال في اطرافها بولس الرسول مبشرا. الا انها لم تتغلغل الا في عام ٨٦٥ باهتداء الملك بوريس.

ولقد ورثت بلغاريا من تنصرها الخلافات والمنازعات التي كانت تمزق المسيحية بين روما والقسطنطينية! فمنذ اهتدائه تساءل بوريس ممن سيقتبل العماذ: أمن روما البابوات أم من قسطنطينية الاباطرة؟ غير ان حربا مع الامبراطور البيزنطي لم يكتب له فيها النجاح اضطرته الى قبول العماذ من يد الرهبان اليونان، وحملته على طرد المرسلين اللاتين الذين كان قد استدعاهم بنفسه! وفي مجمع القسطنطينية عام ٨٦٩، كانت مسألة عماذ

الشعب البلغاري موضوع خلاف عميق بين الشرق والغرب أسفر عن الحاق الكنيسة البلغارية بالقسطنطينية. وفي اعقاب الانشقاق الكبير عام ١٠٥٤ بين روما والقسطنطينية، انضمت الكنيسة البلغارية الى الكتلة الارثوذكسية.

* الكنيسة الارثوذكسية البلغارية

بتعاظم الدولة البلغارية الفتية في اوائل القرن التاسع —لا سيما بعد ان اصبحت السلافية لغة الكنيسة والدولة معا بفضل تلامذة القديسين قورلس وميتودس— تعاظمت مكانة الكنيسة البلغارية حتى بلغت اوج عظمتها في عهد الامير سمعان الذي اعلن نفسه ملكا بعد ان ظفر في حرب مع البيزنطيين. ومنذئذ اعلنت الكنيسة البلغارية استقلالها عن القسطنطينية واصبحت كنيسة بطريركية عام ٩٢٧، واتخذ بطاركتها من بريسلاف العاصمة مقرا لهم، وفي عهد القيصر صموئيل (٩٧٦- ١٠١٤) استقر بهم المقام في اوهريد. وبعد الاحتلال البيزنطي عام ١٠١٨ اعترف الامبراطور باسيليوس الثاني باستقلالية الكنيسة وامتيازاتها، الا انه حرمها من لقب البطريركية.

وفي اعقاب الانتفاضة ضد البيزنطينيين عام ١١٨٧، على يد الاخوين بيتر وأسين وتحول العاصمة الى تيرنوفر، تحول الكرسي البطريركي الى العاصمة الجديدة التي شهدت عصرها الذهبي على الصعيدين الديني والسياسي، وبرز فيها بطاركة عظام كان اشهرهم البطريرك افتيمي الذي قاوم الزحف التركي بصلابة وانتهى به الامر الى النفي حيث توفي عام ١٤٠٤.

هوية بلغاريا

مساحة بلغاريا تمتد على ١١١٠٠٠ كم٢ مربعا: يحدها من الشمال نهر الدانوب الذي يفصلها عن رومانيا، ومن الغرب جبال البلقان التي تشكل حدودها مع يوغسلافيا. وفيما تكوّن مرتفات رودوب حدودها من الجنوب مع اليونان وتركيا، تصطدم حدودها من الشرق بالبحر الاسود. عاصمتها صوفيا (اكثر من مليون نسمة) ومدنها الرئيسية: بلوفديف، فارنا (اكبر ميناء على البحر الاسود) روسي، بوركاس، تيرنوفو.. اشهر منتوجاتها التبغ (المرتبة السابعة في العالم) والقمح والبنجر... ويستخرج من اراضيها الرصاص والقصدير والزنك والحديد والنفط... وهي ماضية على طريق التصنيع، وتشتهر بالمياه المعدنية وتزدهر فيها الفنون الشعبية كالمنسوجات والنقوش الخشبية والفخارية.

يبلغ عدد سكانها حوالي ١٠ ملايين نسمة ينحدرون من اقوام مختلفة، ينتمي معظمهم الى الكنيسة الارثوذكسية الى جانب حوالي نصف مليون من الاتراك المسلمين، ولا يشكّل الكاثوليك والبروتستنت والارمن واليهود سوى اقليات ضئيلة.

كنيسة وطنية

لقد عرفت الكنيسة البلغارية، ابان الاحتلال العثماني، فترة من الاضطهاد والقمع دفع بالكثير من ابنائها الى الهجرة، فيما اكره غيرهم الى اعتناق الاسلام. وعمد الاتراك في اول عهدهم الى تدمير العديد من الكنائس والاديرة بصفتها مراكز اشعاع ديني وقومي،

وتحويل بعضها الى جوامع (ففي بلوفديف وحدها دمرت ٢١٨ كنيسة و٣٣ ديرا!) واتلاف العديد من الايقونات والتحف الفنية التي كانت تتميز بها بلغاريا المسيحية.

وازدادت وطأة الاحتلال على الكنيسة البلغارية حين اضطرت الى الخضوع لبطريركية القسطنطينية، وقد سعت هي الاخرى الى طمس الحضارة السلافية عن طريق استبدال الكهنة السلاف بالكهنة اليونان الذين راحوا يقيمون شعائر العبادة باللغة اليونانية! الا ان الكنيسة البلغارية، بالرغم من كل ما اصابها، استطاعت ان تحفظ شعلة الايمان في نفوس البلغاريين، مذكية فيهم الروح الوطنية وباعثة فيهم الامل بالاستقلال، وذلك بفضل الرهبان الذين كانت الاديرة ملأى بهم، ومن ابرزها زوكراف وهيلندار على جبل آثوس ودير ريلا العظيم... ألم يعترف جورج دمتروف بدور الاديرة في حركة التحرير الوطنية حين قال: "لقد استطاعت اديرتنا ان تحفظ الشعور الوطني والنضال والكبرياء لدى البلغاريين وتساعدهم على ان يقوا انفسهم من الاندثار كأمة"؟

لقد لعبت الكنيسة دورا كبيرا في حركات التحرر منذ انتفاضة تيرنوفو عام ١٥٩٨، وبرز فيها اساقفة وكهنة سعوا الى ايقاظ الشعور الوطني وقادوا الكفاح من اجل السيادة الوطنية، دينيا وسياسيا، كالمتروبوليت ديونيسي والاسقف تئوفان وغيرهم... الى ان تحقق التحرر الديني من نير القسطنطينية عام ١٨٧٠ حين منح السلطان فرمانا يقضي باستقلال الكنيسة، واعقبه التحرر السياسي عام ١٨٧٨. وفي اعقاب الفرمان، عقدت الكنيسة الارثوذكسية البلغارية مؤتمرا عام ١٨٧١ وضعت فيه اسس الادارة الذاتية وأسفر عن تأسيس "السينودس المقدس" الذي يعنى بالشؤون الروحية الى جانب "المجلس الاعلى" للشؤون العامة.

ومع انهيار الدولة العثمانية عام ١٩١٣ تمكن الاكسرخوس جوزف الاول ان ينقل مقره من استانبول الى صوفيا. وبوفاته بقي الكرسي شاغرا حتى عام ١٩٤٥ حين اعترفت القسطنطينية باستقلال الكنيسة البلغارية، الا انها لم تَستَعِدْ لقب البطريركية الا في عام ١٩٥٠. وفي عام ١٩٥٣ تم انتخاب البطريرك سيريل وتنصيبه في كاتدرائية الكسندر نيفسكي، ويخلفه منذ عام ١٩٧١ البطريرك مكسيم.

الكنيسة في ارقام

* **الكنيسة الارثوذكسية البلغارية: ٨ ملايين نسمة و١٢ ابرشية (بضمنها الابرشية البطريركية) ١٥٠٠ كاهن خادمة ٢٦٠٠ خورنة؛ ١٢٠ ديرا (يسكنها حوالي ٤٠٠ راهب وراهبة)؛ ٣٧٢٠ كنيسة ومعبد.**
* **الكنيسة الكاثوليكية:**

– الكاثوليك اللاتين يعدون حوالي ٥٠٠٠٠ مؤمن موزعين على ابرشيتين (بلوفديف وروسي)، وفي خدمتهم اسقفان وحوالي ٣٠ كاهنا.

– الكاثوليك الشرقيون: لا يتجاوز عددهم ٢٠٠٠٠مؤمن ينتمون الى ابرشية واحدة ذات ٢٤ خورنة، بالاضافة الى ٧ راهبات كرمليات و٤٠ من راهبات الاوخارستيا.

الكنيسة الارثوذكسية. الى اين؟

حين تدخل صباح الاحد الى كاتدرائية الكسندر ذيفسكي في صوفيا –وقد شيدت لتخليد ذكرى الجنود الروس الذين ماتوا في حرب التحرير عام ١٨٧٨– فأول ما يشدك اليها ليتورجيتها التي تزيدها روعة جوقة المرتلين والمرتلات وتضفي على شموخ الكنيسة عظمة وجلالا. وتجد نفسك بين جمهور من السياح، اعينهم في السقوف، فيما ثلة من الشيوخ والعجائز قد احتلوا الخطوط الامامية لا ينون يرسمون، باصابعهم الثلاثة، اشارت الصليب لدى كل التفاتة من الكاهن... انها الدليل على حرية العبادة التي يضمنها الدستور، ولكنها تكاد تكون الحرية الوحيدة بعد ان اصبح التثقيف المسيحي مقتصرا على الموعظة!

بالرغم من الحدود التي تخضع لها الكنيسة الارثوذكسية، فهي تتمتع بمكانة مرموقة تحسدها عليها الاقليات الدينية الاخرى: انها كنيسة وطنية يعترف الدستور باستقلالها، ولها من نضالها الوطني في تاريخ البلاد موضوع افتخار وقوة. وتتمتع بحقوق تضمن لها الاستمرار في الوجود: فهي تملك مركزين لاهوتيين، احدهما اكاديمية اللاهوت التي انفصلت عن جامعة صوفيا عام ١٩٥٠، يتخرج فيها لاهوتيون من كهنة وعلمانيين، والاخر معهد اكليريكي لاعداد الكهنة للخدمة الراعوية. كما لها مجلة اسبوعية، اخبارية (Tserkoven Vestink) ومجلة شهرية عامة باسم "الثقافة الروحية" (Douchovna Koultoura) الى جانب دار نشر تقوم بطبع النتاج الديني.

"انهم موظفون...ومعظمهم شيوعيون.."! هذا الحكم عن الكهنة –وكلهم يتقاضون مرتباتهم من الدولة– سمعتُه مرارا على لسان بعض المؤمنين الذين لهم رؤية للايمان غير تلك التي تقدمها الكنيسة الرسمية. ففي رأيهم ان حرية العبادة ما هي سوى جانب من جوانب الحرية الدينية، وقد اكد احدهم: "لقد لاقت حرية العبادة عينها مضايقات عديدة في الخمسينات الى ان اخذت الدولة اخيرا تعترف بالدور الوطني الذي لعبته الكنيسة في تاريخ شعبنا". وفي الوقت الذي تبدو الدولة قلقة ازاء ظاهرة انحراف الشبيبة عن الروح الوطنية والاخلاقية، يطرح السؤال نفسه: هل ستتمكن الكنيسة من ان تخرج اخيرا من جدران "الهيكل – المتحف" لتلتقي بالانسان –والشباب بنوع خاص– في همومه وقضاياه وتطلعاته؟

الكنيسة الكاثوليكية

الكاثوليك اللاتين

يكاد لا يتجاوز عدد الكاثوليك في بلغاريا ٦٠٠٠٠ نسمة يتوزعون على جماعتين احداهما على الطقس اللاتيني والاخرى على الطقس السلافي. واذا كانت الكنيسة الارثوذكسية قد نظرت ولا زالت تنظر بحذر الى الكاثوليك الشرقيين "المتحدين" وتعتبرهم "منشقين" عنها بالرغم من الشركة القائمة في اللغة والطقس، الا انها تبدو اكثر تسامحا مع الكاثوليك اللاتين الذين تأصلوا في بلغاريا منذ قدوم التجار السكسونيين الى شمال غرب البلاد، فكانوا نواة لكنيسة لاتينية رسخها وفود الرهبان الفرنسيسكان في مطلع القرن ١٦.

ويفاخرالكاثوليك اللاتين بانهم كانوا اول من قاد انتفاضة تحررية في تشيبروفتسي عام ١٦٨٨ والتي حملت الاتراك على شن حملة تهجير كبرى في صفوفهم. كما يفاخرون بمساهمتهم الثقافية والاجتماعية في حياة البلد عن طريق المدارس والمستشفيات والمياتم التي نشأت بفضل الرهبانيات التي توافدت في منتصف القرن الماضي...

وبعد ثورة ١٩٤٤ أُمِمَت كافة المؤسسات الكاثوليكية وصودرت ممتلكاتها واقفلت المعاهد الاكليريكية وطرد العديد من الرهبان والراهبات الاجانب، والقي معظم رجال الاكليروس في السجن واخضعوا لمحاكمات كانت اقساها محاكمة اكتوبر ١٩٥٢ التي اسفرت عن الحكم على ٢٦ كاهنا بالاشغال الشاقة واعدام اربعة منهم... وبقيت الابرشيات اللاتينية من دون اسقف حتى عام ١٩٦٠ حين سمحت الدولة للكرسي الرسولي —بفضل مساعي البابا يوحنا ٢٣ –ان يعين نائبا رسوليا لابرشية صوفيا— بلوفديف. وفي العام الماضي عين الكرسي الرسولي اسقفين للابرشيتين الشاغرتين، احدهما في بلوفديف والاخر في روسي على نهر الدانوب.

الكاثوليك الملاف

في شارع اسين زلاتوروف بصوفيا معبد صغير كنت اسكن على مقربة منه وكان ينبغي ان تمضي بضعة ايام قبل ان اكتشف كرمليات يعشن فيه، وعلى مقربة منهن راهبات الاوخارستيا — وهي رهبنة محلية يرقى تاسيسها الى عام ١٨٨٦. وفي هذا المعبد التقيت بالكنيسة الكاثوليكية السلافية وباكسرخسها المطران ميتودي ستراتيف وبعدد من كهنتها.

مع المطران ستراتيف وجدتني بازاء رجل يخفي حلمه وتواضعه مرارة الذكريات التي تقترن بامل كبير بالمستقبل! وراح سيادته يتحدث عن كنيسته محاولا ان يرقي بها الى عهد تنصر الملك بوريس الذي تسلم تاجه الملوكي من لدن بابا روما! وقال: "في نطاق الجهود الرامية الى تحرير بلغاريا من نير الاتراك ومن سيطرة الكنيسة، اليونانية اتجهت انظار العديد من البلغاريين الى روما بصفتها الامل الوحيد لتحررهم والحفاظ على لغتهم وحضارتهم...". وجاء على ذكر جماعة من مدينة كوكوش طلبت عام ١٨٥٩ الاتحاد بروما شرط الحفاظ على لغتها وليتورجيتها، وتلتها جماعة من البلغاريين الساكنين في استانبول عام ١٨٦٠،وقد تكرس هذا الاتحاد حين عين البابا بيوس التاسع عام ١٨٦١ اسقفا لهم في شخص المطران جوزيف سوكو لسكي استقر في استانبول واعترف به "الباب العالي" رئيسا روحانيا للكاثوليك "المتحدين".

ويفاخر الكاثوليك الشرقيون بمساهمتهم الفعالة في "انتفاضة نيسان" عام ١٨٧٦ التي ذهب ضحيتها المطران رافائيل بوبوف... وفي اعقاب الحرب الاولى تم تقسيم مقاطعة مقدونيا بين اليونان ويوغسلافيا وبلغاريا الحالية. ولاقى الكاثوليك الشرقيون مضايقات عنيفة من لدن اليونان اضطرت العديد منهم الى هجر مدنهم وقراهم والاستقرار في المملكة البلغارية التي نشات بموجب معاهدة سان ستيفانو. وفي عام ١٩٢٥ ارسلت روما زائرا

رسوليا في شخص المونسنيور رونكالي —يوحنا ٢٣— الذي امضى عشر سنوات يعيد الثقة في نفوس الكاثوليك المتحدين ويلطف الاجواء بين الكنيستين الارثوذكسية والكاثوليكية. وبناء على توصياته عين الكرسي الرسولي عام ١٩٢٦ كيريل كورتيف اسقفا استقر في صوفيا، ويخلفه منذ عام ١٩٧١ المطران ستراتيف الذي كان قد تعين اسقفا معاونا عام ١٩٦٣ اثر انفراج العلاقات بين بلغاريا والفاتيكان.

كنيسة تعيش في الامل

لقد قاست الكنيسة الكاثوليكية، بشطريها، مضايقات واضطهادات كثيرة لا يزال بعضها قائما بالرغم من الانفراج الذي تم في الستينات والذي اسفرعن اطلاق سراح الكهنة المسجونين. وتعاني الكنيسة اليوم من القيود التي فرضت عليها ولا سيما في مجال التثقيف المسيحي الذي بات محظورًا عليها فيما عدا الموعظة، فضلا عن انها لا تمتلك اية وسيلة اعلام وليس بامكانها ان تصدر كتبا دينية فيما عدا تقويم سنوي... وهكذا تجد نفسها سجينة حرية تحجزها داخل جدران الكنيسة!

"نحن كنيسة مصلية.. ولنا ثقة بالمسيح الناهض.."! هذه العبارات سمعتها مرارا من خلال لقاءاتي بكاهن شاب قرات في عينيه علامات الامل والرجاء، وبكرملية كانت قد ذاقت السجن، وهمستها في اذني طبيبة شابة ترغب في الرهبانية بالرغم من ممانعة والدها، واعلنها بقوة كاهن عجوز ممتلىء دينامية، كان يشرف قبل الثورة على اصدار مجلة كاثوليكية... لقد لمست لدى هؤلاء المؤمنين تعلقا كبيرا بالمسيح والكنيسة، ومحبة وولاء للبابا الذي يعلقون عليه اطيب الآمال... وحين سالتهم عن علاقاتهم بالارثوذكس اجابوا، وكلهم قناعة، بانهم "عامل وحدة في الكنيسة البلغارية بالرغم من التجاهل الارثوذكسي"، وهم على يقين بانهم —ازاء كنيسة ارثوذكسية قد تحالفت مع الدولة ورضخت لمطاليبها لقاء بعض الامتيازات— يؤدون، بحياتهم وكرازتهم الصامتة، شهادة للانجيل اكثر اصالة وصفاء!

عسى يتحقق هذا الامل بكنيسة حية وشاهدة، لها من ماضيها المشرق ما يمكنها من ان تحمل اليوم بشرى الخلاص والتحرر والفرح، ليس لابنائها وحسب بل لكل البلغاريين ايضا.

المصادر:

- **Churches and religions in the people´s Republic of Bulgaria, Synodal Publishing House- Sofia, 1975.**
- **La Bulgarie, Missi, No. 5, 1968**
- **Peuple Bulgare, nation de 1300 ans, Missi , No 10, 1974.**

ملف/ ت١ ١٩٨٠

الاسرة المسيحية الى اين؟

الحب، الجنس، الزواج، الامانة الزوجية، الخصوبة، الابوة المسؤولة، تنظيم الولادات، الاجهاض، الطلاق، العلاقات السابقة للزواج، الاتحاد الحر... قضايا تضمنتها ورقة عمل سينودس الاساقفة الذي عقد دورته السادسة في روما في ٢٦ ايلول الماضي حول موضوع "مهمات الاسرة المسيحية في عالم اليوم".

وفيما اتجهت انظار المؤمنين في العالم الى هذا السينودس، منتظرة منه ان يقول كلمة نبوية ملؤها التفائل والرجاء، كان لا بد للفكر المسيحي -والمواضيع المطروحة ذات اهمية بالغة- ان تلقي الضوء على بعض جوانب من الحياة الزوجية بمثابة مساهمة متواضعة تساعد الاسر المسيحية في قطرنا على معالجة قضاياها بضمير مسيحي مستنير وتحملها على الاضطلاع بمسؤولياتها الجسيمة على الوجه الاكمل، فكان هذا المقال.

●

مشاكل مطروحة

لم يعد خافيا على احد بان الاسرة تمر اليوم بازمة حادة تهدد سلامتها وسعادتها ودیمومتها: فحرية اختيار شريك الحياة والمعوقات النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي تقف بوجه الشباب، ومعضلة تنظيم النسل والاجهاض، والخلافات والخيانة الزوجية التي تؤدي الى الافتراق او الطلاق، والمشاكل التربوية التي تواجه الوالدين، فضلا عن الظاهرات العصرية التي تتمثل بالحرية الجنسية والعلاقات السابقة للزواج لدى الشباب والميل الى ما يسمى بـ"الحب الطليق"... كلها قضايا ومشكلات تعاني منها الاسرة بحيث اصبحت معرضة لخطر التفكك والتصدع والانهيار!

ولقد اخذت هذه القضايا والمعضلات طريقها اليوم الى الاسرة المسيحية التي كانت، حتى عهد قريب، متماسكة متراصة، لا تنالها الظاهرات العصرية بضرر، بفضل التشريعات الكنسية الدقيقة التي لم تدع ثغرة في الزواج المسيحي الا ووضعت لها ضوابط، بدرجة حملت المطران جاك جوليان — احد الاساقفة الفرنسيين الموفدين الى سينودس الاساقفة- على القول بان "اللاهوتيين قد انكبوا على اسرار الحياة الزوجية بحيث تخطوا الحشمة"! (مجلة الشهادة المسيحية: العدد ٢٢ — ٢٨ أيلول).

على هيئة سينودس الاساقفة

وقبيل انعقاد سينودس الاساقفة الذي انكب على دراسة "مهمات الاسرة المسيحية في عالم اليوم" —وقد ضم بطاركة واساقفة وكرادلة يمثلون المجالس الاسقفية في العالم، ومن دون مشاركة اولئك الرجال والنساء الذين تهمهم بالدرجة الاولى هذه

القضايا، وهم الذين يعيشونها– تساءل العديد من المؤمنين، وبشيء من الريبة، عما سيخرج به من مقررات اساقفة يجهلون الواقع الحياتي للاسرة، ويلموّن من بعيد بالمشاكل التي تواجهها في الظروف الراهنة. وتمنى الكثير ان لا يخرج السينودس بقيود جديدة تثقل كاهل العيال المسيحية وتحد من ممارسة الزوجين لحريتهم الزوجية والعائلية... كما جرى حين اصدر البابا بولس السادس عام ١٩٦٨ رسالته "في الحياة البشرية" التي حرمت استعمال الموانع الاصطناعية لتنظيم النسل، بالرغم من المبادىء الرفيعة التي تضمنتها!

وبينما نحن نكتب هذه الاسطر، كان السينودس يواصل اجتماعاته –وقد افتتحت في ٢٦ ايلول واختتمت في ٢٨ تشرين الاول– وفق ورقة عمل كانت قد ارسلت الى كافة المجالس الاسقفية في العالم، وعدلت من ثم وفقا لما ورد الى امانة السر من اراء ومقترحات على صيغها ومضمونها اللذين كانا "في منتهى الرداءة" على حد تعبير المطران جوليان الانف الذكر! ومن دواعي الفرح ان الاساقفة المشاركين في دورة السينودس الحالية ذهبوا الى روما حاملين اماني وتطلعات مؤمنيهم في كل مكان، من خلال ردود الفعل التي تلقوها جوابا على استفتاءات قاموا بها: ففي فرنسا وحدها تلقى مجلس الاساقفة ردود ٣٠٠٠ حركة ومؤسسة، فضلا عن ٢٥٠٠ رسالة شخصية تجاوز مجموع صفحاتها ٦٠٠٠ صفحة!

نحن لا نريد ان نستبق التوجيهات التي سيخرج بها السينودس، الا اننا ابينا ان يمر هذا الحدث الكبير بدون ان يكون لنا كلمة – ومن وجهة نظر اجتماعية – في بعض الجوانب الاساسية من حياة الاسرة.

الزواج "ملجأ" أم مكان للحب؟

"الزواج رباط يقيّد الحرية... ملاذ يلجأ اليه المرء حين يرغب في الاستقرار. مؤسسة تقي الشباب من التسيب والانحدار الخلقي.. ملجأ يبدد العزلة والوحدانية.. شرّ لا بد منه.."!! بهذه العبارات وبغيرها يوصف الزواج! وكثيرا ما لا يرى المؤمنون انفسهم البعد الذي ينطوي على الزواج المسيحي والذي يضع الحب بين الزوجين في اطار العلاقة الوثيقة مع المسيح، فلا عجب اذا ما تعرض سر الزواج –وهو علاقة اتحاد بين الزوجين تعبر عن انتمائها الى الجماعة المؤمنة وتشهد على حب الله للبشر– لانحرافات وتعثرات تهدد فاعليته وديناميته!

لا نخفي اننا نشهد في مجتمعنا اسرار برمتها لم يتخذ فيها الزواج المسيحي كل ابعاده الانسانية والروحية: فحين يكون الزوجان اشبه بـ"عزلتين متقابلتين"، وحين يبدوان وكانهما "كائنان متجاوران" يتحمل احدهما الاخر على مضض... فذلك دليل على ان الحب بينهما لم يوفق الى ايجاد تعبير صادق له، بشتى انواعه، في حياتهما الزوجية والعائلية. ولا نكشف سرا اذا قلنا بان عيالا برمتها تحطمت من جراء حياة عاطفية وجنسية لم تؤدِّ دورها كاملا، وتضاءل الحب فيها من حيث كان ينبغي له ان ينمو ويثري. ويعود ذلك الى اسباب كثيرة اهمها عدم التكافؤ بين الزوجين على الصعيدين الفكري والثقافي، والى نقص في المعرفة بينهما قبيل الزواج، فضلا عن النقص في النضوج العاطفي والجنسي وغياب عنصر الحب الذي بدونه تصح في الزواج الصفات الانفة الذكر!

وهنا ترتسم امامي صورة زوجين مضى على ارتباطهما اكثر من عشر سنوات وقد انجبا خمسة اطفال، عبر لي كلاهما عن اسفهما لعقد لم يكونا مهيئين له البتة، ولا يجدان حاليا مناصا من ارتباط هو اشبه بـ"مساكنة" لا تحمل اليهما اقل سعادة! فلم يتردد هو من القول انه اقبل على الزواج بحثا عن استقرار عاطفي وجنسي... بينما ذهبت هي اليه شبه مكرهة و لم تكن تتجاوز الرابعة عشرة من عمرها! انها مأساة العديد من الاسر، وإن اختلفت العوامل والظروف بين واحدة واخرى.

فازاء صورة هذه ملامحها، لا عجب اذا ما بدا الزواج لكثير من الشباب "مؤسسة" تقيد الحرية ولا تَعِدُ بالسعادة. وحينذاك يؤثرون البحث عن هذه السعادة خارجا عن الزواج! وتلك ظاهرة اطلق عليها صفة "الاتحاد الحر" يعاني منها الغرب، وقد اخذت تتسرب الى مجتمعنا بشكل لم يفصح بعد عن اسمه! الا اننا نرى في هذه الظاهرة دليلا على فشل اولئك الذين لا قدرة لهم على تحمل مسؤولية الارتباط بحب وثيق يتطلب سخاء وجهدا في العطاء المتبادل الذي تكمن وراءه السعادة.

"الحب المعقول" هل له مكان؟

التقيت يوما بزوجين، كلاهما طبيبان، انجبا ولدين وهما ينتظران طفلهما الثالث، وقد مضى على زواجهما ٧ سنوات. وتشعب الحديث الى تنظيم الولادات: وبشجاعة، قالت الزوجة —بالرغم من حبها للاطفال— بانهما لا يفكران حاليا في طفل رابع! ومما اثار انتباهي في هذا الموقف هو انهما اتخذا قرارهما هذا بشعور عميق بالمسؤولية، بعيدا عن الدوافع الانانية التي كثيرا ما تقود الاسر الى الامتناع عن الانجاب. وقناعتهما انهما لا يجدان في نفسيهما القدرة على تامين تربية رصينة وجادة في الظروف الراهنة...

انها مشكلة مطروحة ابدا على الزوجين المسيحيين اللذين يرغبان في ان يكونا على وفاق مع تعليم الكنيسة ويصطدمان دوما بتشريعاتها في الوقع اليومي! فكثيرا ما اقلقت هذه المشكلة ضميرهما المسيحي وخلقت فيهما شعورا دائما بالذنب... الا اننا نكون في عداد السذج ان نحن تعامينا عن الواقع الذي تعيشه الاسرة في عصرنا وتجاهلنا الصعوبات الكثيرة التي تضطرها — واحيانا على مضض- الى تحديد عدد اطفالها لاسباب منها صحية ونفسية ومنها اقتصادية وتربوية، سيما وان متطلبات الحياة العصرية راحت تتصاعد يوما بعد يوم.

فاذا كانت احدى مقومات الزواج وغاياته خصوبته، الا ان هذه الخصوبة لا تقتصر على الانجاب بل تتعداه الى خصوبة في الحياة العاطفية والمهنية والروحية. فرب عيال انجبت عددا كبيرا من الاطفال و لم تكن لها قدرة ادبية واقتصادية على تربيتهم: موقف كهذا اقل ما يقال فيه انه يدل على اللامسؤولية، فضلا عن انه ينذر بمآس قد تعرض حياة الاسرة للتمزق. من هذا المنطلق يضحي تنظيم النسل موقفا مسؤولا يتخذه الزوجان، باتفاق الرأي، تجاه امكانية اعطاء الحياة التي لا حد لها. ومن هذه الزاوية. لا يكون "منع الحمل" نفيا للطفل، بقدر ما هو وسيلة للحصول عليه حين يكون الطفل مرغوبا فيه، ويكون كلا الزوجين مهيئين لاستقباله وقادرين على تحمل مسؤوليات تربيته بما يضمن له نموا متكاملا.

فالى الحب المسؤول —اعني الى الابوة والامومة المسؤولتين— تدعو الكنيسة الزوجين، مناشدة اياهما ان يحكما ضميرهما بشأن عدد الاولاد الذين بامكانهما ان يدعواهم الى مسرح الحياة، اخذين بعين الاعتبار ظروفهما وكفاءتهما الادبية والمادية والصحية والتربوية... شريطة ان يقودهما في قرارهما حب العطاء الذي يتجنب التذرع بحجج واهية تختفي وراءها الانانية والمصالح الذاتية.

وماذا عن ديمومة الزواج؟

حين نشهد أُسَراً مسيحية تكونت وفق مفاهيم منتقصة عن الحب والجنس و لم يكن الزوجان على اضطلاع تام بمسؤوليات الحياة الزوجية، فلا عجب اذا ما تحول العش الزوجي الى جحيم دائم، ولا عجب اذا ما تعرضت مثل هذه الاسرة للتفكك والانحلال وخيم عليها شبح الافتراق او الطلاق وما ينتج عنهما من آثار سلبية على حياة الزوجين وعلى مستقبل اطفالهما...

وعلى سبيل المثال اذكر اني اقحمت يوما بمشكلة زوجين لم يمض على زواجهما سوى شهر واحد، واقبلا يطلبان كلاهما الطلاق! وشكى لي العريس الجديد حالته، وقد كان يتوقع من عروسته مزيدا من الحب والحنان والاهتمام و "العطف"، على حد تعبيره! وبجرأة لم اعهدها كشفت العروس عن معاناتها مع زوج لا يقيم وزنا لشخصيتها و لم تكن له القدرة على احترام مشاعرها واحاسيسها. وبدا لي، بعد نقاش طويل، ان المشكلة تقوم على اختلاف في الرؤية بينهما: رؤية ينقصها الاحترام، من جانب الزوج، لطبيعة المراة ونفسيتها ازاء رؤية، من جانب الزوجة، ينقصها حس مرهف تجاه اندفاع الرجل وطموحاته وتوقعاته!

فحين ينطلق الزواج من فكرة امتلاك الاخر ومن نقص في الاحترام لشخصيته وحريته ومن انكماش على الذات بانانية مقيتة، فلا عجب ان يصطدم الزوجان "المتعاقدان" بشتى المشاكل التي من شانها ان تهدد سعادتهما وتعرض ديمومة الزواج بينهما لاوخم العواقب، وليس الرضوخ بسلبية لهذا الواقع من اقلها خطرا! فكم من اسر تحطمت بسبب جهل الواحد لطبيعة الاخر ومزاجه ونفسيته وتوقعاته؟ وكم من رجال فقدوا حبهم لزوجاتهم بسبب الغيرة والظنون؟ وكم من نساء تحول ازواجهن عنهن بسبب لا ابالية او فتور في العلاقات العاطفية والجنسية؟ وكم اسر تعرضت للتفكك والتمزق بسبب تدخل غير مسؤول من جانب ذوي الزوج او الزوجة لم يعرفا ان يضعا له حدا منذ البدء؟ فلا عجب ان تؤدي مثل هذه الحالات الى فتور في الحب يسفر عن افتراق او طلاق هو دليل على فشل في مشروع حياتي كان من المفروض ان تكتب له الديمومة.

فالحب وحده، بكل معانيه ومراميه، قادر ان يجنب الزوجين المشاكل والمنازعات التي لا بد منها في حياة مشتركة، وهو وحده قادر ان يضمن الامانة الزوجية ويقي العش الزوجي خطر الانهيار. الا ان هذه الامانة منوطة، الى حد كبير، بذاك الجهد اليومي الذي على الزوجين ان يبذلاه لترسيخ الحب بينهما وانمائه واثرائه بفضل سخاء في العطاء لا يعرف الحدود.

لسنا نغالي اذا قلنا بان هناك عيالا برمتها تعيش ماساة حقيقية من جراء المفاهيم الجديدة حول الاسرة التي خلقتها وغذتها التحولات الاجتماعية والاقتصادية والخلقية. فليس من النادر ان نرى اليوم شبابا يبدون تخوفا من الدخول في "مغامرة" الزواج ويترددون لدى فكرة تأسيس اسرة، بعد ان طرأ تطور مدهش على مفاهيمهم تمخض عن تساؤلات خطيرة حول معنى الحب وحرية الجنس وقدسيه الزواج والهدف من الانجاب!

وفي خضم هذا التحول الذي فرضته الظروف العصرية، لا عجب اذا طرح المسيحيون —وهم من طينة لا تختلف كثيرا عن طينة بقية البشر— تساؤلاتهم المشروعة بعد ان اخذت المفاهيم الجديدة طريقها الى فكرهم وسلوكهم، بحيث لم يعد بامكانهم ان يبقوا بمنجى عن هذه التحولات التي طرات على المجتمع وشملت كافة الميادين وامتدت الى داخل الانسان:الى فكره وروحه وعاطفته وقواه الجسدية، وحتى الى "اللاشعور" فيه! ولم يعد من اليسير الى الكنيسة —وهي الام والمعلمة— ان تعطي توجيهات بشان الاسرة تصلح لكافة المؤمنين الذين يعيشون في مناخات حضارية وثقافية واخلاقية مختلفة، وفي ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية متباينة. ومع ذلك تجد الكنيسة نفسها ملزمة —وهي المؤتمنة على بشرى الانجيل— بان تقدم حلولا ومباديء عامة، حتى وان اصطدم تعليمها بعدم التفهم من جانب بعض المؤمنين، وواجه تطبيقه لا مبالاة او معارضة مكتومة كانت ام مكشوفة!

فالجنس لم يعد "تابو" كما كان! واستعاد الجسد قيمته وابعاده الانسانية كتعبير عن الذات! واخذنا نشهد نضوجا عاطفيا وفيزيولوجيا في عمر مبكر هيأت له وسائل الاعلام... وكان لحركات تحرير المراة اثرها في احداث تغيير كبير بشان المراة ومكانتها في الاسرة، كزوجة وام، حيث اخذت تتمتع باستقلال في شخصيتها وحريتها، زادها قوة استقلالها المادي منذ ان دخلت ميدان العمل الى جانب الرجل... وفرضت متطلبات الحياة العصرية، على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي، نمطا من الحياة العائلية لم يكن مالوفا حتى عهد قريب...

فعلى "مهمات الاسرة المسيحية في عالم اليوم" انكب سينودس الاساقفة في اجتماعات مكثفة، مصغيا الى القضايا والمعضلات التي تواجهها الاسرة المسيحية في عصرنا. واذا كنا لا ننتظر منه ان يملي، من جديد، اوامر ونواهي تبدو الكنيسة من خلالها وكأنها تمارس وصاية تقيد حرية الزوجين وتزيدهما قلقا وتعرقل انطلاقتهما الى اجواء الفرح والسعادة، الا اننا نتمنى ان يوفق —كما اعرب عن ذلك الكثير من المؤمنين قبيل انعقاده— في ان يقول كلمة رجاء وامل تطرح القضايا والمعضلات طرحا ايجابيا وموضوعيا، ولا يتردد من التذكير بالمبادئ الاساسية التي تنطوي على الزواج المسيحي بنبرة انجيلية صافية، ويتوجه الى مسؤوليات المؤمنين الزوجية والعائلية بكلمة نبوية يطبعها التفاؤل، تحملهم على ممارسة هذه المسؤوليات بقوة انجيل الحرية والعطاء والفرح.

ت٢ ١٩٨٠

فيلم يسوع الناصري

ليس بمقدور اي فيلم عن المسيح، مهما بلغ من النجاح، ان يعكس بامانة شخصية يسوع في بعديها الانساني والالهي. الا ان فيلم فرانكو زيفيريللي "يسوع الناصري" يضعنا وجها لوجه ازاء حقيقة يسوع كما عكستها النصوص الانجيلية، ويحملنا على ان نسمع من جديد ذاك النداء الذي لا يزال يردده على مسامعنا.

عن هذا الفيلم الرائع الذي استاثر باهتمام المشاهدين في اوربا طيلة هذا العام، نقدم عرضا سريعا ونستبق ابرز مشاهده، "شخصية يسوع المسيح".

ثلاث سنوات من التهيئة، ثمانية اشهر من التصوير السينمائي الذي تم في تونس والمغرب، اربع ساعات ونصف من العرض، حوالي ألفي وجه... ذلك هو فيلم "يسوع الناصري" للمخرج الايطالي الشهير فرانكو زيفيريللي، وقد جاء في اعقاب اكثر من ٢٥ فيلما عن حياة المسيح (راجع مقال "المسيح على شاشة السينما" ف.م.اذار ١٩٧٤) مستخدما احدث الوسائل التقنية التي توصل اليها الفن السابع، ومسخرا اياها في خدمة الحقيقة الانجيلية.

لقد جاء هذا الفيلم في منتهى الشموخ والجمال، الا ان خير ما وصف به هو تلك البساطة التي تميز بها بفضل قربه من الاحداث وامانته لنصوص الانجيل. ويعود الفضل في ذلك الى الحوار(السيناريو) الذي كتبه انطوني بوركيس —بالاشتراك مع داميكو وزيفيريللي بالذات— رسم من خلاله صورة للمسيح اقرب ما تكون الى الواقع. الا ان امانته للنص الانجيلي لم تمنعه من استخدام مخيلته ليملأ صمت الانجيل ويساعدنا على فهم التماسك بين الاحداث في حياة يسوع: هكذا فعل حين استطال في ابراز زيارة المجوس لطفل بيت لحم او حين توقف عند اهتداء مريم المجدلية الخ...

ان فيلم زيفيريللي — وقد تدرب على يد فيسكونتي المخرج الكبير، كممثل اولا، ومن ثم كمساعد مخرج، الى ان اصبح بدوره مخرجا عام ١٩٦٦، واشتهر بفيلم "روميو وجوليت"، يبدو وكانه بني برمته ليمنح لشخوصه ثقلا فائقا! فلقد جمع من الممثلين اكثرهم قدرة وكفاءة: لورنس اوليفييه بدور نيقوديموس، انطوني كوين بدور قيافا، رود شتايكر بدور بيلاطس، بيتر اوستينوف بدور هيرودس... وفيما عكس جيمس فارنتينو ملامح القديس بطرس ذلك الصياد الخشن، وفق ميكائيل يورك في تبني شخصية المعمذان، وادت كلوديا كاردينال بنجاح دور المرأة الزانية، واجادت آن بانكروفت بتمثيل دور المجدلية...

وكان على زيفيريللي ان يبحث طويلا عن ممثل يجيد ابراز شخصية المسيح. واذا وفق في اناطة دور العذراء باوليفيا هوسي —ذات الجمال الفريد التي لعبت دور البطولة في فيلم روميو وجوليت— التي استطاعت ان تجسد العذوبة والحنان المقترن بالكتمان، واذا استطاع يوركو فواياجيس ان يعكس بنجاح شخصية يوسف مربي يسوع، وجد زيفيريللي في روبرت بويل ما يؤهله ليلعب دور المسيح، وكان قد اختاره اولا ليمثل دور يهوذا! ولقد اجاد بويل —وهو ممثل في مسرح شكسبير بلندن لم يكن على جانب كبير من الشهرة— في اداء دوره لاسيما بفضل نظراته الثاقبة التي كان لها اهمية كبرى في الانجيل، فكان له وقعها الكبير في الفيلم. واذا بدا لنا المسيح انسانا حازما مع شيء من الصرامة، الا انه ظهر رجل زمانه وشعبه.

لاشك ان الفنانين وعلماء الكتاب المقدس سيجدون، هنا وهناك، عثرات في شخوص هذا الفيلم، الا اننا نستطيع ان نقول مع هنري كارو رئيس تحرير مجلة (حاج القرن العشرين) بان هذا الفيلم سيبقى عملا جليلا، كانت له القدرة ان يدخلنا في صميم بشرى الانجيل! ذلك لان زيفيريللي اخذ على نفسه ان يضع المشاهد ازاء حقيقة يسوع، ولقد صرح هو نفسه قائلا:" لقد وجدت في الفيلم تاكيدا لايماني، لاسيما حين وجدتني، وجها لوجه، بازاء امور لم اكن اعرفها او كنت قد نسيتها "!ولا شك انه تمنّى، في قرارة نفسه، ان يحدث ذلك في نفس المشاهدين.

مقالات ١٩٨١

مع الكاردينال لازلو ليكاي/مقابلة/ك٢- شباط
+ رجال الدين المسيحيون في زيارة الجبهة /ك٢- شباط
+ اميركا اللاتينية: كنيسة ترفع صوتها/ملف/آذار
لقاء مع وفد الكهنة الى الجبهة /آذار
+ عقبات بوجه الزواج من وجهة نظر الشباب /مناقشة/أيار
+ ساحة الكاتدرائيات في موسكو/ريبورتاج/ت١
+ كوريا الجنوبية: كنيسة تلزم الصمت/ملف/ت٢
+ الالتزام الوطني/مناقشة/ت٢

رجال الدين المسيحيون في زيارة الى الجبهة

خاض العراق بين الاعوام ١٩٨٠- ١٩٨٨ حرباً خلفت دمارا كبيرا وويلات كثيرة، وراح ضحيتها مئات الشهداء من كلا الجانبين، فضلا عن آلاف الاسرى، ولا زال بعضهم حتى اليوم في عداد المفقودين...

وفي غمرة المعارك على جبهات القتال، على طول الحدود بين البلدين الجارين، كان لا بد للكنيسة ان تقوم بمبادرة تضامن مع جنودنا على خطوط النار... فكانت الزيارة التي قام بها، في بدء عام ١٩٨١، رجال الدين المسيحي في محافظة نينوى من مختلف الطوائف الى قصر شيرين والمحمرة. وكان لا بد للفكر المسيحي ان تصدي للمبادرة.

وفيما نثبت التقرير ادناه -للتاريخ والذكرى- نسقط "اللقاء مع وفد الكهنة" الذي اجرته المجلة معهم (عدد آذار ١٩٨١)- وهم الخوري اسحق منصور، الاب لويس قصاب، الاب (المطران) يوسف توماس، الاب بولس خمي، الاب مانوئيل يوسف، الاب بيوس قاشا، الاب فرج رحو، الاب توما عيسى، الاب يوسف شماشا، مع كاتب التقرير والحوار. كما نسقط ايضا الطاولة التي اجرتها المجلة (عدد آذار ١٩٨٢) مع اعضاء وفد ثان كان قد زار قاطع سومار في مطلع عام ١٩٨٢- وهم الآباء يوسف حبي ولوسيان جميل وبهنام كجو ونعمان اوريدة والخوري يوسف باباوي والاب الربان ادي خضر والاب قرياقوس حنا والاب وارتان بودوريان.

تعبيرا عن الاعتزاز الكبير بجيشنا المقدام، وتثمينا للبطولات الرائعة التي احرزها في معركة الحق والشرف على طول الجبهة الشرقية من الوطن العربي، قام وفد ضم عشرة من رجال الدين المسيحيين في محافظة نينوى بزيارة استغرقت اسبوعا (٢٥ – ٣١ ك٢) الى قاطعي قصر شيرين والمحمرة لتفقد احوال قطعاتنا العسكرية المرابطة وابداء مشاعر الفخر والاعتزاز بالملاحم البطولية التي صنعتها.

وصل الوفد في ٢٦ ك٢ الى بعقوبة حيث استقبله محافظ ديالى مبديا ارتياحه الكبير لهذه المبادرة الخيرة التي تدل على روح التضامن مع جيشنا الباسل. وعند مدخل قصر شيرين، كان المقدم ضابط التوجيه السياسي في استقبال الوفد، وقد رافقه بهذه الزيارة التفقدية وتحدث اليه عن الانتصارات الباهرة التي حققها جيشنا البطل في عمق الاراضي الايرانية وعن المعنويات العالية التي يتصف بها في هذه الحرب التي يخوضها مع الفرس المعتدين، دفاعا عن شرف الامة وكرامتها.

وفي احدى قطعاتنا المسلحة القيت، باسم الوفد، كلمة اشادت بالبطولات الرائعة التي انجزها نسورنا البواسل وبالصمود الذي تحلوا به... وفيما أُكبرت روح العطاء في شهدائنا الابرار الذين طرزوا بدمائهم الزكية هذه الملحمة البطولية، حيّت قيادتها السياسية الحكيمة وعلى راسها القائد المناضل صدام حسين تحية اعجاب واكبار.

وامضى الوفد في قصر شيرين ليلة في قواعد الجيش الشعبي – وكانت احداها قاعدة "حماة الراية" حيث رفعت اول راية عراقية على الاراضي الايرانية – لمسوا خلالها، عن كثب، الشجاعة التي يتحلى بها هؤلاء المقاتلون الابطال، ووزع الوفد الهدايا التقديرية على جنودنا البواسل؛ وعبر المسؤولون عن امتنانهم الكبير لهذه الزيارة شاكرين للوفد التفاته الكريمة.

وفي ٢٨ ك٢ توجه الوفد الى البصرة حيث التقى في اليوم التالي بالسيد محافظ البصرة الذي اشاد بالالتفاف الذي يبديه الشعب، كل من موقعه، في هذه المعركة العادلة. وتوجه الوفد، يرافقه مدير تلفزيون البصرة، الى قاطع المحمرة المحررة حيث زار المجمع السكني في حي البعث والتقى بعدد من اهالي عربستان الذين اعربوا عن فرحتهم بتحرير الارض العربية واعتزازهم بالقيادة السياسية التي تشملهم بالرعاية الكريمة في كافة المجالات، وقد صادفت زيارة الوفد مع افتتاح اول مدرسة متوسطة باسم "متوسطة الصناديد".

وفي قاطع المحمرة تفقد الوفد عددا من القطعات المسلحة وقواعد الجيش الشعبي ولمس عن كثب المعنويات العالية التي يتحلى بها المقاتلون الشجعان في معركة التحرير التي يقودها الرئيس المناضل صدام حسين فارس الامة وبطل التحرير القومي. وبعد ان وزعت الهدايا على مقاتلينا البواسل، القيت باسم الوفد كلمة اثنت على ايمان جيشنا المقدام بعدالة القضية التي يقاتل من اجلها، وتمنت له المزيد من الانتصارات لتحرير كافة الاراضي العربية وتحقيق السيادة الكاملة عليها.

ومن ارض المحمرة المحررة رفع الوفد برقية الى الرئيس القائد صدام حسين عبر له فيها عن تهنئاته بالانتصارات الرائعة في معركة الحق والشرف التي يخوضها العراق دفاعا عن حقوقنا المشروعة وحفاظا على سيادته الوطنية على اراضينا ومياهنا المغتصبة.

وقد ودع الوفد ببالغ الحفاوة من قبل كافة المسؤولين الذين ابدوا اعتزازهم الكبير بهذه الزيارة.

ك٢– شباط ١٩٨١

امريكا اللاتينية: كنيسة ترفع صوتها

امريكا اللاتينية هي اليوم موضوع اهتمام العالم لما افرزته وتفرزه انظمتها من ظلم وعنف وارهاب، هي حصيلة البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المهزوزة التي تسيرها ايديولوجية الامن القومي الخرقاء... وقد سبق للفكر المسيحي أن تناولت، في ملفاتها، عددا من بلدان القارة (شيلي: ك٢ ١٩٧٧، البرازيل: ايار ١٩٧٧، الارجنتين: ت٢ ١٩٧٨، المكسيك: آذار ١٩٧٩، الاكوادور: أيار ١٩٨٠).

في هذه القارة المزقة حيث يعيش٤٠٪ من كاثوليك العالم، كنيسة نشطة ايقظها المجمع المسكوني على وضع يشكل عقبة بوجه بشرى الانجيل إن هي لم تستجب لصراخ الفقراء والمظلومين والمستضعفين وتتبنّ تطلعاتهم الى الحرية والعدالة.

هذا الملف يرسم الخطوط العريضة لهذه الكنيسة التي اصغت الى نداء الروح فاصبحت صوت من لا صوت لهم!

امريكا اللاتينية، هذه القارة الساخنة التي كانت، لاربعة قرون خلت، مسرحا لمطامع المستعمرين هي اليوم مسرح للمظالم الصارخة التي يعاني منها الشعب الفقير الذي استضعفته بنى الظلم، سواء من جانب كبار الملاكين ام من جانب الدولة الاوليغارشية والشركات متعددة الجنسية.. فلقد خلفت هذه البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المهزوزة تفاوتا صارخا بين الطبقات من جراء سوء توزيع في الخيرات زاد من ثراء الاثرياء وفقر الفقراء، وعمق الهوة بين السلطة الحاكمة وبين الجماهير الكادحة التي ظلت تعاني من الهامشية، ولاسيما في اعقاب تبني الحكومات العسكرية ايديولوجية "الامن القومي" التي تمارس الانتهاكات ضد حقوق الانسان وتعتمد القمع والارهاب اسلوبا في الحكم بغية اسكات كل صوت يرتفع!

في هذا المناخ الذي ينيء بالانفجار، استفاقت كنائس امريكا اللاتينية من غفوتها- وقد ظلت طيلة قرون تنعم بامتيازات افقدتها روحها النبوية- وراحت تصغي بانتباه كبير الى صوت الفقراء والمسحوقين والمقهورين... وكانت ميدلين(كولومبيا) نقطة الانطلاق في هذه اليقظة، حين انكب ممثلو المجالس الاسقفية من كافة بلدان القارة، في الدورة العامة الثانية عام ١٩٦٨، على دراسة "موقف الكنيسة ازاء التحولات التي تعيشها امريكا اللاتينية"، فوضعوا اصبعهم على الجرح وخرجوا بتحليل دقيق كشف عن بنى الظلم، وأخذوا على انفسهم، باسم الانجيل، ان يشهروا بها ويعلنوا وقوفهم الى جانب المظلومين والمضطهدين والمغمورين...

في ظل ايديولوجية "الامن القومي"

تخيم اليوم على العديد من بلدان امريكا اللاتينية ايديولوجية خرقاء تكرست بمقدم الانظمة العسكرية الى الحكم في الستينات[1]، اطلق عليها اسم "الامن القومي". ويعرضها اربابها على شكل برنامج متكامل يهدف الى احتواء كل الانشطة في المجتمع، بدءا بعملية النمو الاقتصادي وسبل التربية، وانتهاء بالتركيبة الاجتماعية والحياة الدينية... وتنطلق هذه الايديولوجية من مفهوم تكون مهمة الدولة بموجبه السعي للقضاء على الماركسية ورفض كل اشكال مشاركة الشعب في الحكم وتسخير كافة القوى في خدمة السلطة التي تعتمد في امنها على المخابرات المركزية.

انطلاقا من جزر الانتيل تم اكتشاف امريكا اللاتينية حين ارسى كريستوف كولمبس سفينته ليلة ١٢/١١ ت١ ١٤٩٢ في جزيرة من ارخبيل باهاما... ومنذئذ اصبحت هذه القارة لقمة سائغة في فم المستعمرين الاسبان والبرتغاليين الذين انتزعوا حضاراتها العريقة وحملوا اليها حضارتهم اللاتينية.

وتمتد امريكا اللاتينية من المكسيك شمالا، نزولا الى امريكا الوسطى فامريكا الجنوبية، وتضم ٣٥ بلدا –بعضها لم ينل الاستقلال بعد– يسكنها حوالي ٣٥٠ مليون نسمة. وتتالف شعوبها من الهنود والبيض والسود والمزيج، يدين ٩٨% منهم بالمسيحية، ويشكل الكاثوليك ٩٠%، الى جانب اقليات بروتستنتية.

نثبت في جدول اسماء البلدان التي لكنائسها مجالس اسقفية حيث يبلغ مجموعها ٢٢ مجلسا. وللكنيسة الامريكية – اللاتينية حوالي ٩٠٠ اسقف (اكثر من ثلث اساقفة العالم الكاثوليكي) وما يقرب من ٥٠٠٠٠ كاهن وحوالي ١٢٠ الف راهبة في خدمة ٣٠٠ مليون كاثوليكي.

من هذا المنطلق، تختفي كل اشكال العمل السياسي، وينتفي مفهوم "الشعب"، وتتوجس الدولة شرا في كل مظهر لا يتناغم مع ايديولوجيتها، وتنظر بحذر الى كل المبادرات، سواء على الصعيد الديني او الاجتماعي او الفكري، ولا تتردد من استخدام كافة الوسائل لفرض سيطرتها وقمع كل اشكال المعارضة التي تشكل خطرا يهدد امنها![2]

في هذا الاطار تبدو الكنيسة –اسوة بغيرها من المؤسسات– قوة ادبية وبشرية تخشاها الدولة وتسعى الى احتوائها. ففي منطق هذه الايديولوجية، لا يتخذ الايمان المسيحي بعده الحقيقي الا بمقدار ما يمثل قوة تحرك الجماهير في الحرب ضد الماركسية لا غير، ولذا تسعى الدولة الى جعل الكنيسة اداة طيعة في خدمة استراتيجيتها، ولن تتردد من استخدام القمع ضدها ان هي حادت عن هذا الخط او ابدت معارضة، مكتومة كانت ام معلنة!

كنيسة ترفع صوتها عاليا

وكان ينبغي للكنيسة في امريكا اللاتينية ان تنتبه للخطر الذي تمثله هذه الايديولوجية التي تسبح في مناخ من الخوف والعداء. فارتفعت اصوات نبوية هنا وهناك، كان من ابرزها صوت المطران هيلدر كامارا[3] البرازيلي، وكان لهذا الصوت النبوي الذي ارتفع منذ عام ١٩٦٤ اثره الكبير في يقظة ضمير الكنيسة الرسمية وحملها على اجراء تغيير جذري في مواقفها تجاه هذه الايديولوجية التي تشكل عقبة بوجه بشرى الانجيل، كونها تمتهن حرية الانسان وتستلب حقوقه وتعرقل تطلعاته نحو مجتمع تسوده قيم الحق والحرية والعدالة والمساواة.

واذا كانت الكنيسة الرسمية، في اول عهد ايديولوجية الامن القومي، قد تجنبت توسيع الهوة بينها وبين الدولة، الا انها تخطت هذا الحذر وراحت تعلن موقفها بوضوح، ليس بمعارضة هذه الايديولوجية وحسب، بل باعتبار هذه المعارضة جزءا من مهمة التبشير بالانجيل، طالما ان الانجيل هو بشرى الخلاص والتحرير، وطالما ان مهمة الكنيسة تقوم في توطيد حرية الانسان وحقوقه وكرامته والتصدي لكافة اشكال الاستلاب التي تمارس ضده.

ولقد عكست وثائق المجالس الاسقفية في السنوات الاخيرة اولويتين تبنتهما الكنيسة وهما: اعلان حقوق الانسان والتصدي لنماذج التنمية المستوردة التي تسعى الانظمة الى فرضها دون اية مشاركة من جانب الشعب. ولعل من اكثر الاصوات قوة صوت كامارا في خطاب له، في ايار ١٩٧٣، امام المجلس التشريعي في ولاية بيرنامبوك (البرازيل) حيث قال: "رسالة الكنيسة هي في ان تكون اداة للمسيح بحيث تتمكن من ان تجعل من الناس شعبا... مهمة الكنيسة هي في ان تجعل مسموعا صوت من لا صوت لهم... فترفع صوتها باسمهم بحيث يتسنى لهم ان يكتشفوا بانه صوتهم ويتعلموا من جديد ان يتكلموا...". وهذا الصوت يريده كامارا يرتفع بوجه الانظمة التي لا تقيم وزنا للانسان، ويريده علامة تبشير من جانب الكنيسة يضمن مصداقيتها لدى الشعب.

ويرجع الكردينال ارنس رئيس اساقفة ساو باولو عام ١٩٧٨ صدى هذا الموقف النبوي تجاه ايديولوجية الدولة في سعيها الى افراغ مفهوم "الشعب" من مضمونه ومقوماته، اذ يقول: "انها عملية افراغ الانجيل من مضمونه الحي ومن قدرته على التغيير حين يراد ان يحتفظ الشعب بالرموز والشعائر الدينية كوسيلة تحمله على الرضوخ لحالة الظلم (...). ان اكبر اضطهاد للكنيسة يكمن في ابقاء الشعب على الهامش ومنعه من اية مشاركة اجتماعية وسياسية واقتصادية: الكنيسة هي شعب الله، فاذا سعت الانظمة الى تحطيم الشعب كشعب،فهي انما تهدد جوهر الكنيسة".

كنيسة تحمل عبء التاريخ

عاشت القارة اللاتينية بين عام ١٤٩٢ وعام ١٨٠٨ –تاريخ بدء الاستقلال– تحت ظل الاستعمار الاسباني، وعرفت المسيحية طيلة ثلاث قرون ب "مسيحية الاستعمار"، وتميزت بارتباط الكنيسة الوثيق بالسلطة السياسية في ممارسة نشاطاتها، ومنذئذ نشأ صراع في داخلها بين مؤيدي الاستعمار وبين المدافعين عن ضحاياه.

وعرفت "مسيحية الاستعمار" ازمة حادة في اعقاب الاستقلال وفي اثر تبني معظم الدول النظام الجمهوري بين عام ١٨٢٤ و ١٨٧٠، وحاولت الكنيسة ان تتكيف مع الوضع الجديد ساعية الى بناء "المسيحية الجديدة" بروح الاكتفاء بالذات وبدافع الحرص على كيانها عن طريق التحالف مع الدولة الجديدة. وحين اراد الماسكون بزمام الحكم ان يفرضوا شروطهم على الكنيسة ويحدوا من امتيازاتها، نشا صدام بين الكنيسة والدولة اسفر عن قطيعة استمرت حتى عام ١٩٣٠.

ومنذ الثلاثينات اضطرت معظم الدول حديثة الاستقلال الى تسليم السلطة الى حكومات شعبية وطنية تآلفت معها الكنيسة حرصا منها على كيانها. الا ان هذه الحكومات تعرضت في الستينات لازمات حادة تكرست بتصاعد الانظمة العسكرية؛ وحينذاك عرفت الكنيسة – وقد هبت فيها رياح المجمع المسكوني – منعطفا جديدا تميز بالتحول الجذري في نظرتها ومواقفها، فراحت تنتقل تدريجيا من موقف الدفاع عن الذات الى موقف الانفتاح والكفاح ضد التخلف، ومن التحالف مع الطبقات الغنية الى الاقتراب من الطبقات الوسطى والفقيرة، ومن الانطواء على ممارساتها وشعائرها التقليدية الى التزام القضايا الاجتماعية والسياسية... وقد ذهب بها هذا التحول الى رفض روح المكابرة والشموخ والتخلي عن امتيازاتها السابقة وتوجيه انظارها الى الواقع الوطني والقاري برؤية ديناميكية تستوحي روح الانجيل وقيمه الشاملة، وتقيم وزنا للقيم والخصائص الحضارية الاصيلة التي يتميز بها الهنود سكان القارة الاصليون[٤].

جدول بدول امريكا اللاتينية

الدولة	عاصمتها	مساحتها	سكانها	الكاثوليك	الاساقفة	الكهنة	الراهبات
الارجنتين	بوينس آيرس	٢٧٧٧٠٠٠	٢٦٠٠٠٠٠٠	٢٤٠٠٠٠٠٠	٧٦	٥٠٦٩	١٢٣٧٣
بوليفيا	لاباز	١٠٩٩٠٠٠	٥٦٠٠٠٠٠	٥٢٦٠٠٠٠	٢٢	٧٩٢	١٤٠٧
البرازيل	برازيليا	٨٥١٢٠٠٠	١١٥٠٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٠٠	١٢٣٥٥	٣٥٩٧٥
شيلي	سانتياغو	٧٥٦٦٢٦	١٠٧٠٠٠٠٠	٨٩٠٠٠٠	٢٦	٢٠٤٣	٤٩٦٧
كولومبيا	بوغوتا	١١٣٨٩١٤	٢٦٥٠٠٠٠٠	٢٤٠٠٠٠٠٠	٦٠	٥٠٦٠	١٨٠١٠
كوستاريكا	سان جوس	٥٠٨٩٨	٢١٠٠٠٠٠	١٩٥٠٠٠٠	٥	٣٨١	٨٩٨
كوبا	هافانا	١١٤٥٢٤	٩٥٠٠٠٠٠	٤٣٠٠٠٠٠	٧	١٩٧	٢١٠
الاكوادور	كيتو	٣٨١٣٣٤	٧٠٠٠٠٠٠	٦٣٥٠٠٠٠	٢٦	١٢٧٧	٣٦٥١
كواتيمالا	كواتيمالا	١٠٨٨٨٩	٦٧٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠٠	١٥	٦٦٨	١٠٣٧
هايتي	بورت اوبرانس	٢٧٧٥٠	٤٩٠٠٠٠٠	٤٧٠٠٠٠٠	٧	٣٨٢	٧٩٦
هوندوراس	تيكوشيكاليا	١١٢٠٨٨	٣٠٥٠٠٠٠	٢٩٨٠٠٠٠	٦	٢١٠	٣١٧
المكسيك	مكسيكو	١٩٧٢٥٤٦	٦٤٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠٠٠	٨٣	٩٢٤٢	٢٢٩٧٨
نيكاراغوا	ماناغوا	١٢٨٨٧٥	٢٣٥٠٠٠٠	٢١٥٠٠٠٠	٦	٢٩٩	٦٥٢
بانما	بانما	٧٧٣٢٦	١٧٣٠٠٠٠	١٥٥٠٠٠٠	٨	٢٨٨	٤٤٢
باراكواي	اسونسيون	٤٠٦٧٥٢	٢٨٤٠٠٠٠	٢٥٥٠٠٠٠	١٣	٤٤٧	٧٣٢
بيرو	ليما	١٢٨٥٢١٥	١٦٤٠٠٠٠٠	١٥٤٠٠٠٠٠	٤٦	٢٢٢١	٤٧٢٤
بورتوريكو	سان خوان	٨٨٩٧	٣٢٠٠٠٠٠	٢٦٥٠٠٠٠	٧	٦٧٦	١٣٨٤
الدومنيكان	سانتودومينكو	٤٨٧٣٤	٥٠٠٠٠٠٠	٤٦٠٠٠٠٠٠	١١	٤٧٧	١٣١٨
السلفادور	سان سلفادور	٢١٣٩٣	٤٣٠٠٠٠٠	٣٩٥٠٠٠٠	٧	٣٩٤	٧١٩
اوركواي	مونتيفيديو	١٨٦٩٢٦	٣٠٠٠٠٠٠	٢٧٢٠٠٠٠	١٣	٦٠٤	١٩٣٩
فنزويلا	كاراكاس	٩١٢٠٥٠	١٣٠٠٠٠٠٠	١٢٥٠٠٠٠٠	٣٦	٢٠٥٠	٤٠٤٥

كويان والانتيل: وتضم ١٦ بلدا اهمها كويانا (جورجتاون) وسرينام (باراماريبو) وكويان (كايين) وجامايكا (كلينكستون) الخ... يبلغ مجموع سكانها حوالي ٤ ملايين نعظمهم كاثوليك ولي خدمتهم ١٧ اسقفا يضمهم مجلس اساقفة واحد وبضع مئات من الكهنة والراهبات.

كنيسة ذات وجهين!

الا ان هذا التحول الكبير في مسيرة كنيسة امريكا اللاتينية اقترن بازمة من الداخل مست بنوع خاص ذاك الشطر من الكنيسة الذي اعتمد على التحالف مع السلطة السياسية في بناء "المسيحية الجديدة"، في الوقت الذي فيه سرت يقظة نحو التحرر بين الطبقات الفقيرة منحها العديد من الاساقفة والكهنة دعمهم ومساندتهم. وهكذا اصبحنا بازاء

كنيسة ذات وجهين تختفي وارءَهما رؤية لاهوتية مختلفة: كنيسة تبحث عن الديمومة في اطار رؤية تستلهم المسيحية التقليدية، وكنيسة تتخطى هذه الرؤية بروح نبوية. وفيما يرى مؤيدو الوجه الاول، في الابقاء على تحالف الكنيسة مع السلطة، ضمانا لرسالتها، يؤكد الطرف الثاني بان الكنيسة لن تحتفظ بمصداقيتها بين الجماهير الا اذا تخلت عن هذا التحالف ورفضت كل شكل من اشكال المساومة مع الانظمة الدكتاتورية.

ان هذا التقسيم الثنائي يعكس الى حد ما الواقع الذي تعيشه الكنيسة في امريكا الجنوبية: فهناك، في خط الرؤية الاولى، من يذهب الى اقصى اليمين؛ وهذا الجناح يمثله عدد ضئيل من الاساقفة الذين يدعمون الانظمة العسكرية ويبررون شرعيتها وفي مقدمتهم المطران الارجنتيني ادولفو توتولو. غير ان هناك العديد من الاساقفة الذين يبدون اكثر تحفظا، فلا يترددون من مطالبة الانظمة باحترام حقوق الانسان وتحقيق صيغة للتنمية تخدم الخير العام، الا انهم يابون المجابهة ويؤثرون التعايش في ظل هذه الانظمة.

اما الجناح الثاني، فهو ينطلق من القاعدة ويختص مطالب جماهير الفقراء والمقهورين؛ وينتمي اليه، وعلى درجات مختلفة، العديد من العلمانيين الملتزمين والكهنة والاساقفة الذين يرون في الدفاع عن حقوق الانسان وحرياته الاساسية منطلقا للتبشير بالانجيل، ويقينهم ان كل شكل من اشكال التحالف مع الانظمة الدكتاتورية هو تواطؤ على حساب المظلومين والمستضعفين، وهو بالتالي شهادة مضادة لبشرى الخلاص والتحرير. هذا الشطر من الكنيسة الذي يطلق عليه اسم "الكنيسة الشعبية" هو موضع اضطهاد ومطاردة من جانب الانظمة، وقد اعطى العديد من الشهداء، بينهم اساقفة وكهنة وعلمانيون، ولا زلنا نذكر باسى عميق مقتل المونسنيور روميرو رئيس اساقفة السلفادور.

اميريكا اللاتينية: موطن لاهوت التحرير

في قارة مزقتها بنى الظلم، وفي كنيسة اصغت الى صراخ المستضعفين، ظهر "لاهوت التحرير" وكأنه الجواب الى تطلعات الشعوب نحو التحرر والانعتاق. انه لاهوت لم ينشا بين جدران اربعة، وانما نشأ ليشهد لانجيل كاد يفقد ديناميكيته ان هو لم يستجب لنداء الحرية والعدالة. وهو بالتالي قراءة جديدة لسر الخلاص في واقع القارة اللاتينية، وممارسة انجيلية تهدف الى تحرير الانسان الكامل من كافة الاستلابات التي تعرقل او توقف انطلاقته نحو المطلق، بما في ذلك الخطيئة —بمفهومها الفردي والجماعي— بصفتها احد أوجه الاستلاب.

ويميز كوستافو كوتييريز[٥] —وهو من اشهر لاهوتيي التحرير— ثلاثة مستويات يقوم عليها التحرير: ١— كفاح المقهورين من اجل تحررهم على الصعيد الاجتماعي — الاقتصادي، ٢ — تحكم الانسان بمصيره والعمل على بناء حرية حقيقية وخلاقة، ٣ — تحطيم كافة جذور القهر والظلم. وهكذا يبدو هذا اللاهوت محاولة جادة لفهم الايمان بصفته رؤية شاملة تتطلب من الانسان موقفا جادا تجاه مصيره الزمني والروحي، موقفا يعيد الى الانسان الوعي بكرامته ويحمله على التطلع الى حياة افضل في عالم اكثر عدالة واخوة.

في خضم الصراع الذي تعيشه كنيسة امريكا اللاتينية، وهي تريد ان تحمل بشرى الخلاص والتحرير الى المساكين وتصطدم دوما بجبروت اولئك الذين، من موقع القوة، يسعون الى ابقاء اواطالة الاستغلال الذي يمارس بحق المساكين والمغلوبين على امرهم، لا عجب اذا ما بدا لاهوت التحرير، في نظر الدولة، خطرا على امنها! واذا كانت دورة ميدلين قد اعطت الضوء الاخضر لهذه المحاولة اللاهوتية، الا ان هناك عدداً من الاساقفة لا يزالون يبدون تحفظهم ازاء لاهوت تشتم منه رائحة الصراع الطبقي. وقد اتخذ هذا التحفظ في السنوات الاخيرة شكل مقاومة لدى عدد من الاساقفة، وفي مقدمتهم المونسنيور الفونسو لوبيز تروجيلو الذي كان له اصبع في ابعاد لاهوتيي التحرير عن المشاركة في الدورة الثالثة لاساقفة القارة والتي عقدت في بويبلا[٦](المكسيك)، وقد تم انتخابه امينا عاما لمجلس اساقفة امريكا اللاتينية (سيلام) في آذار ١٩٧٩!

أمل جديد جماعات القاعدة

"تعظم نفسي الرب لانه انزل الاساقفة من عروشهم ورفع شعبه"! صرخة اطلقها فلاح على مسامع المشاركين في اجتماع هام لجماعات القاعدة عقد في فيتوريا بالبرازيل عام ١٩٧٦، وهي تعكس وجهين اساسيين من هذه الظاهرة الفريدة التي تميزت بها كنيسة امريكا اللاتينية: وعي الشعب المسيحي بانه مدعو الى ان يلعب دورا فاعلا في الكنيسة، وموقف الاصغاء المتواضع من جانب السلطة الكنسية الى معانيات الشعب وتطلعاته.

لقد انطلقت جماعات القاعدة[٧] من رغبة المؤمنين –والفقراء منهم بنوع خاص– في عيش الايمان ضمن جماعات صغيرة يتاح لهم فيها ان يعبروا عن ذاتهم بحرية تامة ويضطلعوا بمسؤولياتهم الانسانية والمسيحية انطلاقا من وعيهم العميق بالواقع الاجتماعي – السياسي المهزوز وتطلعهم الى التحرر من كل اشكال الظلم والاستلاب. ومن ابرز العوامل التي ساعدت على قيام هذه الجماعات بنية الكنيسة التقليدية التي لم تعد تلبي حاجة المؤمنين الى صيغة للايمان تمكنهم من عيش التزامهم الروحي والزمني في اطار علاقات اخوية تتسم بالتعاون والتضامن، فضلا عن التضخم الذي طرا على حجم الخورنيات والنقص في عدد الكهنة...

واذا كانت جماعات القاعدة قد نشأت في البرازيل منذ الستينات –ويقدر عددها اليوم باكثر من ٥٠٠٠٠ جماعة– الا انها ما عتمت ان امتدت الى معظم بلدان امريكا اللاتينية. وكان للمجمع المسكوني اثره الكبير في انطلاقتها؛ ومن ثم منحتها وثائق ميدلين صفة الشرعية حين اعلن الاساقفة الملتئمون بان "على الكنيسة ان تسمع صراخ الفقراء وتضحي الناطق الرسمي بآلامهم ومعانياتهم"؛ وكان لاهوت التحرير بمثابة الدعامة الفكرية لها، واكسبتها تصريحات الاساقفة المتكررة دعما ثمينا. ولعل من اكثر الاصوات ثقلا كان صوت المونسنيور ادواردو بيرونيو الامين العام الاسبق لمجلس سيلام الذي اعلن انذاك بانها "الخلية الاولى لكل البناء الكنسي ومركز للتبشير بالانجيل وعامل من اهم عوامل النمو الانساني".

لقد اصبحت هذه الجماعات علامة من "علامات الازمنة" في كنيسة امريكا

اللاتينية. فحيثما انتشرت، اصبحت تشكل نواة "لكنيسة شعبية" قادرة ان تشهد للانجيل وتجسد، عبر التزام حر وواع، قدرته على تحرير الانسان والمساهمة في بناء عالم تسوده الحرية والعدالة. فعلى صعيد الكنيسة، تم تحول كبير في المفاهيم اسفر عن تقليص الهرمية في بنية الكنيسة وعن التحام اكبر بين القاعدة والقمة بما يخدم قضية الانجيل على الوجه الاكمل. اما في المجالين الاجتماعي والسياسي، فلقد كان لجماعات القاعدة اثر كبير في خلق الوعي بضرورة تغيير بنى المجتمع، ومن هنا نشا الحذر الذي تبديه السلطات الحاكمة تجاه هذه الجماعات والذي اتخذ احيانا شكل محاربة مكشوفة.

---

(١) انطلقت ايديولوجية الامن القومي من البرازيل في اعقاب تسلم العسكريين السلطة عام ١٩٦٤، ومن البرازيل امتدت الى بوليفيا بمقدم الجنرال بانزر عام ١٩٧١، وترسخت في شيلي على عهد الجنرال بينوشي عام ١٩٧٣، وفي اوركواي وكواتيمالا في السنة عينها. وفي عام ١٩٧٥ تبنتها بيرو بقيادة الجنرال بيرموديس، ومن ثم الارجنتين عام ١٨٧٦ بزعامة الجنرال فيديلا... ولم يمض زمن طويل على مقتل سوموزا دكتاتور نيكاراغوا والجنرال روميرو دكتاتور السلفادور في صيف ١٩٧٩.

(٢) اعتمدنا بالدرجة الاولى في كتابة هذا المقال ملفا نشرته مجلة (I.C.I.) الفرنسية في العدد ٥٣٥ بعنوان "الكنيسة في امريكا اللاتينية"، كتبه اربعة من اشهر صحفييها.

(٣) اخر ما نشرته الفكر المسيحي للمطران كامارا مقابلة اجرتها معه صحيفة لاكروا الفرنسية (ف.م.نيسان ١٩٨٠).

(٤) تشير الاحصائيات الى ان الهنود كانوا يعدون ٢٥ مليون نسمة ابان الاحتلال الاسباني، ومنذئذ لم تتوقف عملية افنائهم وطمس معالم حضارتهم العريقة، ويقدر عددهم اليوم بـ ٧ ملايين – بينما تكلمت وثائق ميدلين عن ٣٠ مليون، هم عرضة لانواع الاستغلال والاضطهاد.
ومع يقظة الفلاحين الذين يشكلون ٥٠%من سكان القارة، تمت، في بدء السبعينات، حركة بين الهنود للمطالبة بحقوقهم الثقافية وسيادتهم على اراضيهم. ومن دواعي الفرح ان الكنيسة الامريكية– اللاتينية تحسست بسرعة تطلعاتهم المشروعة، فاعلنت لجنة الرسالات التابعة لمجلس اساقفة امريكا اللاتينية (سيلام) رفضها لعملية دمج الهنود وتذويب هويتهم وطمس حضارتهم، وشجبت وثائق ميدلين كل محاولة لابقاء الشعب الهندي على هامش المجتمع، مناشدة الكنيسة الى وضع برنامج عمل راعوي ياخذ بعين الاعتبار لغة الهنود وتقاليدهم وعاداتهم. ولا يسعنا ان نذكر كافة المبادرات التي قام بها الاساقفة في المكسيك والبرازيل وبيرو الخ...دفاعا عن حقوق الهنود، ونكتفي بذكر المونسنيور صموئيل رويس المكسيكي وزميله المونسنيور دون سيرجيو.

(٥) الاب كوتيريز من بيرو هو اول من كتب "لاهوت التحرير" عام ١٩٧١، قدم الاب عبد السلام حلوة عرضا مطولا له (ف.م.ك٢ ١٩٧٩) واعقبه بمقال بعنوان " لاهوت التحرير في الميزان"(ف.م.شباط ١٩٧٩) استعرض فيه الخطوط العريضة لهذه المحاولة اللاهوتية الجادة، وعكس بعض ردود الفعل التي اثارتها في الفكر الكنسي المعاصر.

(٦) حول موضوع "التبشير بالانجيل في امريكا اللاتينية حاضرا ومستقبلا" عقدت هذه الدورة من ٢٧ ك٢– ١٢شباط ١٩٧٩، بعد عشرسنوات على انعقاد دورة ميدلين، وقد افتتحها البابا يوحنا بولس الثاني ابان رحلته الى المكسيك (ف.م.اذار١٩٧٩). وكما كان متوقعا لم تحمل وثائق بوبيلا تلك النفحة النبوية التي اتسمت بها وثائق ميدلين (راجع: رسالة بوبيلا الى شعوب امريكا اللاتينية – ف.م.نيسان١٩٧٩)، وكذلك مقال: بوبيلا، منعطف، في اي اتجاه؟ (ف.م.حزيران ١٩٧٩).

(٧) تناولنا هذا الموضوع في ملف ظهر في عدد حزيران ١٩٧٧ استعرضنا فيه نشاة هذه الجماعات والاسس التي انطلقت منها، سواء في امريكا اللاتينية حيث نشات وازدهرت، ام في افريقيا واوربا.

عقبات بوجه الزواج
من وجهة نظر الشباب

في مقال "الاسرة المسيحية"، الى اين؟ (عدد ت٢ ١٩٨٠) تطرقنا الى جانب من الازمات التي تتعرض لها الاسرة حين لا يكون الحب قد اتخذ في فكر الزوجين وقلبيهما كل الابعاد الانسانية والروحية، او حين لم يوفق الحب بينهما الى ايجاد تعبير صادق له في حياتهما الزوجية، فمتى انتفى الحب لا عجب اذا ما اصبح الزوجان أشبه بـ "عزلتين متقابلتين" في اطار حياة -هي اشبه بمساكنة!- لم تقو على خلق الالفة والتكامل والتوازن والانسجام، سواء بسبب عدم التكافؤ الفكري والثقافي واختلاف الرؤية بينهما حول معنى الحب والزواج، ام بسبب نقص في النضوج العاطفي والجنسي او جهل متبادل لطبيعة كل منهما ونفسيته ومزاجه وتوقعاته... ولا شك ان غياب عنصر الحب بكل صفاته ومقوماته -بما فيها الاحترام والعطاء والبذل والتضحية- لهو من ابرز العوامل التي تعرض الزواج للتصدع والانحراف وتهدد الاسرة بالتفكك والانهيار.

ففي اطار التحولات الفكرية والنفسية والخلقية والاجتماعية التي يشهدها عصرنا، لا عجب اذا ما ابدى الشباب تخوفا حقيقيا للدخول في "مغامرة" الزواج وحذرا شديدا من مغباته، قد يصل بهم الى حد العقدة! ويصاب الشباب بالتشاؤم والمرارة حين يجدون نماذج لزوجين "يتحملان" احدهما الاخر على مضض، او حين يكتشفون ازواجا لم تجد السعادة طريقها اليهم، ولم يقو الزواج، بصفته مشروعا حياتيا يعد بالتوازن والسعادة، على اخراجهم من انانيتهم الضيقة وعقدهم المستعصية! وحين يشرع الشباب بالتفكير جديا بالزواج بهدف تكريس الحب، او حتى بدافع البحث عن الاستقرار، تنتصب امامهم عقبات كثيرة، نفسية واجتماعية ومادية، وقد تكون المطاليب المادية التي تفرضها العادات والتقاليد في مجتمعنا من اكثرها وطأة، فيصابون اذ ذاك بالقرف ويستسلمون لليأس والقنوط.

فالى بعض هذه العقبات التي تقف بوجه الشباب المقبلين على الزواج لفت عدد من قرائنا الانتباه، جوابا على السؤال الذي سبق ان طرحناه في زاوية "سؤال للمناقشة".

●

العقبات

يلخص السيد عوني فاضل متيني (الموصل) المشاكل التي تواجه الشباب الذين على عتبة الزواج في نقطتين:

١ – **العقبات المادية**: انها من المشاكل المعقدة التي تخلق عقبات اخرى كثيرة، فغالبا ما يكون رفض اهل الفتاة لخاطبها او رفض الفتاة نفسها او امتناع الشاب وذويه من التقدم

للخطبة، نتيجة للتفاوت في الحالة المادية بين العوائل. وهذا الرفض ناتج عن ضيق في النظرة لدى الاهل وعدم مجاراة الواقع العصري في تعاملهم، ولست اعفي الشباب والشابات انفسهم من هذه النظرة الضيقة؛ كما ان هذا الرفض ناتج احيانا عن الحرص المبالغ فيه من قبل الاهل على ضمان حياة سعيدة ومرهفة لابنهم او لابنتهم...

٢ – **العقبات الاجتماعية:** الشعور والحس والشوق والحب غرائز طبيعية تكون في اوج قوتها لدى الشباب قبل الزواج. فيشعر المرء بانه بحاجة ماسة الى من يفهمه من غير جنسه، وقد تؤدي العلاقات بين الجنسين الى نتائج غير مرضية اذا ما انطلقت من اسس خاطئة او من تفكير عشوائي تنتهي باكتشاف احد الطرفين سوء الاختيار بعد ان تجلت له رؤية واضحة للحياة؛ وهذا يسبب حرجا كبيرا لدى الطرف الاخر ويزرع في قلبه الحقد والاسى ويسبب له ازمة حادة، وحينذاك يقابل مشروع الزواج بمنتهى الحذر والريبة...

السؤال المطروح استاثر باهتمام الانسة زينات جميل فرنسيس (البصرة) فكتبت تقول:

لاشك ان للمصادفة دورا تلعبه في حياتنا وحياة كل فرد منا... فهي التي تجمع بين شخصين الى ان يبلغا معا الى النهاية المعروفة بالزواج اذا لم تعترضه اية مشكلة كانت؛ ويتم التحاوب بين الاثنين كتكملة لقطار الحياة الذي سيكلله الحب والانسجام المملوء بالتفاهم...

ومن المعروف ان ابرز العقبات التي نواجهها نحن الشباب حين نكون على عتبة الزواج تقوم في (عدم معرفة الواحد للاخر) قبيل الارتباط بوثاق الزواج. ويؤسفني ان اقول بان مجتمعنا لا زال ينظر الى الاختلاط بين الجنسين نظرة يطبعها الحذر والريبة، وبسبب ذلك تجري معظم الزواجات على النحو التالي: شاب ياتي لخطبة فتاة اعجب بها بعد ان يكون قد عرف اصلها وفصلها وحالة ذويها المادية الخ... وقد ترضى الفتاة لاسباب متشابهة او ترفضه لاسباب بعضها يعود الى شكله او حالته المادية او مركزه الاجتماعي او..او.. او (حسب مزاج الفتاة!). فكيف يتم ذاك الاتفاق والانسجام والحالة هذه؟!

ويعدد السيد عادل طوبيا (الشيخان) اهم العقبات في نظره:

١ – تفكك الاسرة هو من الاسباب الاساسية التي تضع عقبة بوجه الشباب. فالتفكك يخلق شبابا عديمي الثقة بالنفس بسبب ما لاقوه من تشتت وضياع نتيجة التمزق الذي طرا على اسرهم

٢ – الانقياد الاعمى وراء الزواج، لدى الشباب، بالرغم من عدم كفاءتهم الفكرية والمادية في مواجهة مسؤولياته الجسيمة.

٣ – تدخل الاهل، وفق مقاييس معينة، في اختيار شريكة الحياة او في تقرير مصير الفتاة.

٤ – انقياد الشباب والشابات المقبلين على الزواج وراء المظاهر كالجمال والثراء دون النظر الى الاخلاق، وعدم اعطاء الاهمية للحب الذي هو اساس النجاح في الحياة الزوجية.

اما الانسة سوزان اديب جزراوي (بغداد) فقد حملت الاهل المسؤولية الكبرى:

ان ابرز عقبة يواجهها الشباب والشابات تقوم في ان هناك اباء وامهات لا يزالون ينظرون الى الفتاة وكانها بضاعة يقدمونها لمن يدفع لهم ثمنا اكثر! فالشروط المرهقة التي يضعها الاهل تبعد الشاب عن الزواج! انهم ينتظرون شابا يملك ثروة محترمة ليتمكن من تلبية طلباتهم من ذهب ومسكن مؤثث وسيارة وقدرة عالية على القيام بمراسيم الزواج على الوجه الاكمل....

الحلول

لمعالجة هذه الظاهرة الخطيرة التي بعاني منها الشباب والشابات، طرح المشاركون حلولا واقتراحات كثيرة اتجه بعضها نحو الشباب، انفسهم، وبعضها الاخر نحو الاهل والكنيسة. كتبت سوزان:

امنيتي الوحيدة اوجهها الى الاهل، طالبة ان يتركوا الشابين يشقان طريقهما لوحدهما بدون تدخلهم المفرط. واذا كان لا بد ان يكون للاهل دور، فليكن لمساعدتهم لا لعرقلة مسيرتهم. اليس كافيا خاتم الخطوبة وهو رمز الرباط الزوجي؟ فمتى ما توفر الحب والانسجام والتفاهم، فتلك هي السعادة!

بعد ان اشار السيد حبيب هرمز حجو (جامعة الموصل) الى المشكلات المادية وشدد على "المشكلات الروحية" التي تتخذ اوجها فكرية ونفسية هامة، رجّع العقبات الى اسباب ثلاثة: ادراك ينقصه الوضوح حول دوافع الزواج، رؤية فكرية منتقصة حول غايات الزواج واهدافه، عدم وجود جهة اجتماعية، رسمية او دينية، لتوجيه المقبلين على الزواج. وفيما اكد على قدسية سر الزواج، اخلص الى الحلول التالية:

... فمن الناحية المادية، اتمنى ان تقوم الكنيسة بحملة توعية كي يكف ذوو الشباب والشابة عن المطالبة بالمال الذي لا داعي لتبذيره في امور لا طائل تحتها. اما من الجانب الروحي، فمن الضروري ان تسعى الكنيسة الى تنظيم لقاءات بين الشباب والشابات المقبلين على الزواج باشراف كاهن كفوء يسعى الى اعطائهم ثقافة دينية وانسانية مشبعة بروح الانجيل. كما انه من الضروري ان نرى نشرات دينية دورية تؤكد على الجوانب الاساسية في الزواج... فما بال الكنيسة لا تحرك ساكنا في هذه القضية الحيوية؟

فحين يكون الحب احد الدوافع الرئيسة للزواج يجب ان تجعله الكنيسة حبا ساميا محميا من قبل الشريعة الالهية.. بحيث يكون الزواج جوابا لكل حب صحيح بين اثنين. فالحب هو الطريق الامثل لتحقيق الرغبة في الالفة بين شخصين: حب يتصف بالسخاء وبذل الذات والعطاء المجاني والامانة.. على مثال حب المسيح للكنيسة.

وفيما اكد (عادل) على عدم التسرع في اتخاذ قرار الزواج، داعيا الى ترك

حرية الاختيار للشاب والشابة، على ان يكون اختيارهما "مبنيا على الحب الصادق والثقة المتبادلة والتفاهم العميق"، دعت (زينات) الى "ان يزداد الاختلاط، من دون تدخل الكبار، كي يتمكن الشباب والشابات من معرفة بعضهم البعض بشكل جاد، فيتسنى لهم الاختيار على اسس سليمة". واخلص عوني الى القول:

... القيام بانقلاب ثقافي على كافة الافكار الضيقة والمحدودة التي تسهم في بث الكآبة والانغلاق، وتؤدي الى امراض نفسية وبالتالي الى انحراف خلقي وفساد اجتماعي. فالتربية الجيدة يجب ان تتضمن توعية عاطفية وجنسية ترافق كل مراحل النمو، منذ الطفولة وحتى سن الزواج، كي يقوى الشباب على مجابهة المشاكل والعقبات التي تصادفهم في مسار حياتهم وتجنب الشعور بعقدة النقص او الانحراف في علاقات لا تحمد عواقبها. وللكنيسة في هذا المضمار دور فعال في توجيه الشباب عن طريق ندوات خاصة بهم واخرى بالاسر، واعداد كراسات ثقافية خاصة في مجال التربية وطريقة معالجة المشاكل الاجتماعية والنفسية...

•

واذا كان لابد لنا من كلمة نذيل بها هذه الطروحات والحلول التي ادلى بها القراء، فاننا ندعو الشباب والشابات، من جهة، الى تعميق الثقة بالنفس واثبات الذات بحرية مسؤولة في امر يتعلق به مستقبلهم ويعود اليهم تقريره، والى ان تكون لهم القدرة على هدم الحواجز المجتمعية وتذليل كافة العقبات التي تعرقل مسيرتهم في طريق الحب والسعادة. ومن جهة اخرى، نناشد الوالدين ان يحرصوا على احترام حرية الاختيار لدى ابنائهم وبناتهم دون ان يعفيهم هذا الاحترام من اسداء النصيحة لهم شريطة ان تكون مجردة عن الانانية والمصالح، وان تكون لهم القدرة على تجاوز الضغوط الاجتماعية والمطاليب المادية التي ترهق الشباب وتضع عقبة بوجه طموحاتهم وتطلعاتهم.

ساحة الكاتدرائيات في موسكو

كييف، نوفوكورود، زاكورسك، فلاديمير، روستوف، سوزدال... مدن تحكي كنائسها واديرتها ومتاحفها امجاد تلك الحضارة العريقة التي طبعتها المسيحية بطابع متميز. و"ساحة الكاتدرائيات" داخل اسوار الكرملن بموسكو هي احدى هذه الثروات الحضارية التي تقص ما كانت عليه "روسيا المقدسة" من ايمان عميق تجسد في فنون العمارة والنحت والرسم...

في اعقاب رحلة الى الاتحاد السوفييتي ادلى الاب بيوس عفاص بهذا التقرير عن هذه الكاتدرائيات الشامخة ذات القباب الساحرة.

لا تكاد مدينة في جمهوريات الاتحاد السوفييتي الخمس عشرة تخلو من كنائس هي بالاولى متاحف تضم نتاجا فنيا دسما، تحتل منه "الايقونات" مكان الصدارة. وتحتل موسكو، من بين المدن القديمة، مكانا مرموقا منذ ان اصبحت امارة مستقلة في نهاية القرن١٣ وعاصمة لروسيا في منتصف القرن ١٤ على عهد اميرها ايفان كاليتا، ولا سيما بعد استقلال الكنيسة الارثوذكسة الروسية عن القسطنطينية عام ١٤٤٨ وقيام البطريركية فيها عام ١٥٨٩(راجع الملف عن كنيسة روسيا: ف.م.ت٢ ١٩٧٩).

"ساحة الكاتدرائيات" التي تاوي في اسوار الكرملن، في قلب موسكو،تسحر السائح وتنقله الى اجواء القرن ١٥ حيث كان الكرملن قلعة شامخة صنعت وحدة الشعب الروسي. فالكاتدرائيات الفخمة المتجاورة ذات القباب الذهبية شيدت كلها ما بين القرن ١٤و ١٧، على انقاض كنائس من القرن ١٣، بعد ان خرجت روسيا من نير الاحتلال التتري – المغولي وتوحدت بقيادة امير موسقوفيا الكبير ايفان الثالث الذي كان اول من اطلق على نفسه لقب القيصر. ولقد شهدت هذه الساحة احداثا هامة في حياة الشعب الروسي حين كان يؤمها القادة العسكريون لطلب البركة من اولئك الاسلاف الراقدين في كاتدرائية ميخائيل رئيس الملائكة، قبل التوجه لمحاربة الاعداء، ام حين كان يتم تتويج القياصرة في كاتدرائية الانتقال... وبعد ثورة اكتوبر (١٩١٧) تحولت هذه الكنائس الى متاحف، ولا يزال العمل قائما على قدم وساق لترميمها وصيانتها بصفتها تركة حضارية فنية ثمينة.

وتقوم في صدر الساحة كنيسة الانتقال، وتواجهها كنيستان: البشارة عن اليسار وميخائيل رئيس الملائكة عن اليمين، وفيما تقوم الى يسار الانتقال كنيسة ثوب العذراء ووراءها قصر البطريرك وكنيسة الاثني عشر رسولا، يشمخ الى يمينها برج ايفان الرابع الملقب بالرهيب وقبة الجرس الملاصقة. ولكل من هذه الكنائس ميزات من حيث هندستها وقبابها ورسومها الجدارية (الافريسك) وايقوناتها، وقد عمل فيها معماريون وفنانون روس

واجانب استقدمهم ايفان الثالث من امثال ديونيسوس وابنه تئودوس وتئوفان اليوناني وروبليف وفيلاتييف ودوروئي...

ويقف الزائر مشدوها بجمال هذه الكنائس التي تتجلى فيها العظمة الى ابعد الحدود، تشده اليها تلك القباب الذهبية التي تزيدها الشمس تألقاً. وتتحول اتظاره من كنيسة البشارة ذات القباب التسع الى برج ايفان الكبير (١٥٠٨) الذي يبدو وكانه يعانق السماء (٨١ م) وقد الصقت به عام ١٥٤٣ قبة الجرس ذات الاقواس والتي تتلألأ فيها نواقيس ضخمة تزن عدة اطنان!وفيما تجول انظاره في اطراف الساحة، تلفت انتباهه قباب متعانقة — حيث الصليب يعلو الهلال — فوق معبد القديس لعازر، ضمن قصر القيصر، والذي شيد عام ١٣٩٣ في ذكرى معركة كوليكوفو على التتر، وكنيسة ثوب العذراء المشيدة عام ١٤٨٤ والتي تحوي آثارا نفسية من رسوم جدارية وايقونات واعمال خشبية ترجع الى القرد ١٦ و ١٧. ويتحول نظره برهة الى قصر البطريرك الفخم (القرن١٧) والذي يحوي كنيسة الاثني عشر رسولا. ولضيق المجال نكتفي بوصف الكنائس الثلاث الكبرى.

كاتدرائية الانتقال

في القسم الشمالي من الساحة تقوم كنيسة الانتقال، احدى اقدم كنائس الكرملن التي شيدت على انقاض كنيسة بنفس الاسم من عام ١٣٢٦. ففي عام ١٤٧٢، استقدم الامير ايفان الثالث المعماريين كريفتسوف ومشكين اللذين استلهما كنيسة الانتقال في فلادمير (القرن١٢)، بالاستعانة بالمعمار الايطالي فيور افانتي، وانجز بناؤها عام ١٤٧٩.

للكنيسة خمس قباب مذهبة ولها ثلاث مداخل يطل المدخل الجنوبي على الساحة، وعلى جانبيه ملاكان وفوقه العذراء والطفل. ولقد ترك ديونيسوس وتلامذته اروع ما الهمته مخيلته من رسوم (افريسك) لتزيين الجدران والاعمدة والسقوف وقباب المذبح، وهي تمثل مشاهد من حياة المسيح والعذراء والقديسين... بالوان زاهية متناسقة مليئة بالتعابير. الا ان الكثير من الرسوم (القرن١٥و١٦) تشوهت بفعل الشموع والحريق مما حمل القيص ميخائيل رومانوف، عام ١٦٤٢، على استقدام عدد كبير من الفنانين لاعادة الرسوم.وما زالت اعمال الصيانة تسعى الى ابراز الرسوم القديمة، ومن ابرزها "المسيح سيد العالم" في اعلى القبة الوسطية، و"الله الآب" في القبة الجنوبية الغربية، و "وجه المسيح" في القبة الشمالية الغربية... اما السقوف، فتزينها مشاهد من الانجيل كالميلاد والتقدمة الى الهيكل وقيامة لعازر والنزول الى الجحيم وصعود المسيح... فيما تزين الاعمدة رسوم الشهداء الاولين.

وفي كنيسة الانتقال ايقونات[1] عديدة، للعذراء منها نصيب كبير، ولعل ابرزها ايقونة "عذراء فلادمير" (القرن١٥) التي حاول الفنانون الروس ان يقلدوا "عذراء فلادمير" البيزنطية (القرن ١١- متحف تريتيا كوف) مضفين عليها طابعهم الخاص. ويليها في الجمال ايقونة "كل الخليقة تعظمك" (نهاية القرن١٥) التي ينسبها الاختصاصيون الى فنان من مدرسة ديونيسوس، وترينا العذراء على عرش، محاطة بالملائكة، وفي حضنها الطفل يسوع، وتحت اقدامها جمهرة من الامراء والشهداء والكهنة... اما اقدم ايقونة في كنيسة الانتقال، فهي للقديس جرجس (القرن ١٢)، وتليها في عمق التعبير ايقونة "المخلص ذو العين الرهيبة" وايقونة "الثالوث" وايقونة "القديسين بطرس وبولس"، وكلها من القرن ١٤.

وككل الكنائس البيزنطية – السلافية، يقوم في واجهة المذبح جدار عال من الايقونات ذو بوابة في الوسط يسمى "ايكونوستاز" انجز عام ١٦٥٣، وعلى مقربة من البوابة الجنوبية يقوم عرش القيصر الخشبي انجز عام ١٥٥١ لايفان الرابع، يجلس عليه القياصرة يوم تتويجهم ولدى مشاركتهم في الليتورجيا، والى جانبه عرش مرمري للبطريرك (القرن ١٦). وتحوي الكنيسة رفات رؤساء الاساقفة والبطاركة. و لم يتوقف تتويج القياصرة فيها حتى بعد ان نقل بطرس الاكبر العاصمة الى بطر سبورغ (لينينغراد) عام ١٧١٢.

كاتدرائية البشارة

في عام ١٤٨٤ امر ايفان الثالث بهدم معبد البشارة الملاصق للقصر وتشييد كنيسة جديدة ذات ثلاث قباب، الصق بها ايفان الرهيب (١٥٦٣- ١٥٦٦) اربعة معابد وشيد في الجناح الغربي قبتين وهميتين، وهكذا اصبح لها تسع قباب مذهبة. هذه الكنيسة مخصصة للعائلة المالكة، ويصلها بالقصر ممر.

وامام المدخل الشمالي من الكنيسة، تشدنا الرسوم الجدارية من كل جهة، بدءا ب "معجزة يونان النبي" (القرن ١٦) والتي تبدو وكانها بانوراما قبل الاوان! فيما تحتل وجوه الفلاسفة والكتاب والشعراء.. الجدران والسقوف. وتشاهد على يسار المدخل الغربي لوحات جدارية تمثل العذراء والثالوث وشجرة يسى... ومن المدخل الجنوبي نجدنا في صحن الكنيسة حيث يلفت انظارنا الايكونوستاز الرائع الذي تعود معظم ايقوناته الى الفنانين الشهيرين تئوفان اليوناني والراهب اندريه روبليف[٢] (القرن ١٤).

يتالف الايكونوستاز من خمسة مدرجات، ياتي في الاعلى الاباء (القرن١٩) ومن ثم الانبياء (اعيد رسمها بعد حريق الكرملن عام ١٥٤٧) وتليها ايقونات تمثل الاعياد الرئيسة، رسم روبليف سبعة منها، وتنسب الاخرى الى بروخور. وتمثل القسم الرئيسي من الايكونوستاز ايقونة "المسيح الديان" وعلى جانبيها ايقونات القديسين ومعظمها من صنع تئوفان اليوناني. ويتضمن القسم الاسفل ايقونات من ازمنة مختلفة وعلى فنانين مجهولين، ابرزها ايقونة "المخلص" (١٣٣٧).

وتستوقفنا من جديد الرسوم الجدارية في اعلى القباب وعلى اطراف الجدران والسقوف والاعمدة، انجزت كلها عام ١٥٠٨ باشراف تئودوس ابن ديونيسوس، الا ان الكثير منها جدد على يد رسامين متاخرين. اما المواضيع التي تناولتها، فهي شبيهة برسوم كاتدرائية الانتقال، إلا ان مواضيع من سفر "الرؤيا" تحتل جزءا كبيرا عن يمين وعن يسار الايكونوستاز، فضلا عن "الدينونة الاخيرة" مقابل الايكونوستاز. وتشاهد على الاعمدة رسوم الاباطرة البيزنطيين والامراء (قسطنطين، هيلانة، الامير فلاديمير[٣]، الامير دونسكوي الذي غلب التتر عام ١٣٨٠ في معركة كوليكوفو الخ...) دلالة على اعتراف الكنيسة الروسية بفضل امراء كييف الذين بدورهم تسلموا سلطتهم من الاباطرة البيزنطيين.

كاتدرائية ميخائيل رئيس الملائكة

انجز بناءها المعمار الايطالي اليغيزيو نوفي عام ١٥٠٨ على انقاض كنيسة بنفس الاسم شيدت عام ١٣٣٣. ومنذ ان دفن فيها الامير ايفان كاليتا عام ١٣٤٠ اصبحت

مقبرة للعظماء، وتضم حاليا ٤٦ ضريحا نحتت في القرن ١٧، وتحوي رفات الأمراء والقادة والاباطرة، واستمر دفن القياصرة فيها حتى نهاية القرن ١٧، حين حول بطرس الاكبر العاصمة الى بطرسبورغ، وكان اخر من دفن فيها حفيده الذي توفي عام ١٧٣٠.

تحتل هذه الكنيسة مكانة خاصة في تاريخ الشعب الروسي. وليس من الصدف ان تكون هندستها الخارجية شبيهة بالابنية المدنية التي تحمل طابع الفن الايطالي، الا انها احتفظت من الداخل بالفن المعماري الروسي. وتعود الرسوم الجدارية الاولى الى عام ١٥٦٤ على عهد ايفان الرهيب، وقد اعيد رسمها عام ١٦٥٢ في عهد القيصر الكسي ميخائيلوفيتش. اما موضوعاتها، فتستلهم المناخ التاريخي — السياسي الذي يؤكد ان امراء مسقوفيا هم وارثو سلطة امراء كييف، وان موسكو هي الوارثة الشرعية للقسطنطينية بعد سقوطها عام ١٤٥٣. وهكذا نشاهد رسوم امراء كييف (الامير فلاديمير وجدته الاميرة اولكا) وامراء فلاديمير وكل سلالة امراء مسقوفيا من ايفان كاليتا وحتى يوري شقيق ايفان الرابع، فضلا عن قياصرة بيزنطية.

وتزين جدران الكنيسة من اليمين ومن اليسار حياة ميخائيل رئيس الملائكة الذي يغلب الشيطان وقوى الشر ويهرع الى نجدة الابرياء والمظلومين... ولا تخلو من اشارات خفية الى شرعية المعارك التي خاضها الروس ضد التتر والمغول. وهناك رسم يمثل رئيس الملائكة وهو ينيء يشوع بن نون بانتصاره على اريحا، وتلك اشارة الى انتصار ايفان الرهيب على قازان (١٥٤٥- ١٥٥٢)[٤]. الا ان هناك رسوما مقابل الايكونوستاز تعكس المشاهد المالوفة من الانجيل. وللكنيسة ايكونوستاز فخم يرجع الى عام ١٧٨٠ وتنسب معظم ايقوناته الى مدرسة دوروتي زولوتاريف، وابرزها ايقونة ميخائيل رئيس الملائكة لفنان مجهول من القرن ١٤ ضمنها كل صفات المقاتل.

---

[١] الايقونة كلمة يونانية تعني "الشبه". والايقونوغرافية فن ديني متميز نشأ في بيزنطية وامتد الى بلاد البلقان وروسيا... ويعتمد فن الايقونة الرسم بالزيت الكتاني على قماش يلصق على خشب. ولا يتقيد فنانو الايقونة بالابعاد الحقيقية للاشخاص والاشياء، ولا يبالون بالعمق بقدر ما يركزون اهتمامهم على الابعاد اللاهوتية والروحية التي تجعل من الايقونة فعل ايمان ودعوة الى التامل والصلاة (اقرا الملف عن الايقونة: ف.م.ايار ١٩٧٨).

[٢] من اشهر فناني الايقونة في بداية القرن ١٤، وقد رسم في شبابه ايقونات كنيسة البشارة وعمل من ثم في كاتدرائية الانتقال في فلاديمير وفي دير الثالوث في زاكورسك وفي دير القديس الدرونيك بموسكو (حاليا متحف روبليف للفن الروسي الذي يضم الكثير من اعماله). من ابرز ايقوناته "الثالوث" (متحف تريتياكوف).

[٣] فلاديمير امير كييف (اوكرانيا) اقبل العماذ عام ٩٨٨ ودعا كافة السكان الى اعتناق المسيحية. ومنها امتدت الى كل روسيا. وتفاخر كييف بانها اول مركز للمسيحية حيث تقوم كاتدرائية القديسة صوفيا الشامخة (القرن ١١).

[٤] في الساحة الحمراء تقوم كاتدرائية القديس باسيليوس التي شيدت عام ١٥٥٥ — ١٥٦١ بامر من ايفان الرهيب، تخليدا لانتصاره على قازان. وتتالف من ثمانية معابد متداخلة حول كنيسة في الوسط تعلوها تسعة ابراج. وتعد هذه الكنيسة من روائع الفن الروسي، وقد اعيد اليها جمالها القديم بفضل الترميمات التي اجريت عليها منذ عام ١٩٢١ وحتى عام ١٩٦٥.

كوريا الجنوبية: كنيسة تلزم الصمت!

كوريا، كوريتان! يفصلهما خط العرض ٣٨ منذ الحرب العالمية الثانية التي تمخضت عن تجزئة هذا الشعب الهادئ ذي اللغة الواحدة والتاريخ المشترك والحضارة العريقة، وهو يسعى الى استعادة وحدته، بعيدا عن مسومات القوى الكبرى وبالرغم من تنافس نظامين هما على طرفي نقيض.

المقال التالي يتناول كوريا الجنوبية التي لصقت بها وصمة عار منذ مذبحة كوانجو البشعة في عهد الجنرال شون دو هوان الذي، بعد تسلمه السلطة، في اعقاب مقتل بارك، انتهج سياسة القمع والارهاب اسلوبا في الحكم بهدف اسكات كل صوت يرتفع للمطالبة بالعدالة والحرية.

ففي ظل هذا النظام الدكتاتوري، ما هو وضع المسيحيين الكوريين؟ وما هو الدور الذي لعبته وتلعبه الكنيسة، وما هو الثمن الذي دفعته؟ وماذا يعني التحول في موقفها من الجرأة التي اتسمت بها الى الصمت! وماذا يخفي موقف الصمت الذي تتخذه حاليا؟ الى العديد من هذه الاسئلة، عشية الاحتفال الذي تستعد له الكنيسة بمناسبة مرور مئتي عام على تاسيسها، يحاول هذا الملف ان يجيب.

●

ستبقى مذبحة كوانجو عالقة في الاذهان كل مرة ورد اسم كوريا الجنوبية، وكل مرة جاء ذكر رئيس جمهوريتها شون دي هوان الذي تولى الرئاسة في ٢٥ شباط ١٩٨١ في اعقاب مقتل الرئيس بارك شونك هي. تلك المذبحة كانت ولا تزال دليلا على نظام لا يحتمل المعارضة ولا يقوي على مواجهتها الا بالقمع والعنف والارهاب!

هوية كوريا

كوريا كوريتان: الشمالية تحت نظام شيوعي برئاسة المارشال كيم ايل سونك (عاصمتها بيونغ يانغ: مليون نسمة)، والجنوبية في ظل نظام دكتاتوري برئاسة شون دو هوان (عاصمتها سيئول: ٨ ملايين نسمة). تبلغ مساحة شبه جزيرة كوريا ٢٢٠٨١٧ كم٢، لكوريا الجنوبية منها ٩٨٤٤٧، وسكانها ٥٥ مليون نسمة، ٣٧ مليون منهم في كوريا الجنوبية حيث تبلغ كثافة السكان ٣٥٨ شخصا في الكيلو متر المربع.

وللكوريتين ثروات طبيعية، للشمالية منها نصيب اوفر: فمن مختلف المعادن الثمينة الى ثروة حيوانية هائلة، الى انتاج زراعي دسم، الى صناعة متطورة..وفيما تعتمد كوريا الشمالية في تجارتها على الصين والاتحاد السوفييتي بنسبة ٢٥% لكل منهما، تتجه تجارة كوريا الجنوبية نحو الولايات المتحدة واليابان واوربا. ولكوريا الجنوبية ٢٧ جامعة تضم اكثر من ٢٣٠٠٠٠طالب، بينما لكوريا الشمالية جامعة واحدة تضم حوالي ١٦٠٠٠ طالب.

بعد بارك.. شون هو هوان!

بعد مصرع الرئيس بارك عام ١٩٧٩، عمد الجنرال شون، مدير المخابرات العسكرية، الى تصفية العديد من كبار العسكريين بتهمة مشاركتهم في عملية الاغتيال، في الوقت الذي تصاعدت احتجاجات الطلبة والعمال مطالبين باطلاق الحريات واعادة الحياة الديمقراطية الى البلاد. وبلغت المعارضة اوجها في ١٥ ايار ١٩٨٠ حين التف ١٣٤ مفكرا حول المناضل الكاثوليكي كيم دي جونك ووقعوا على بيان "من اجل الحرية"، فجاء جواب شون عنيفا: القاء القبض على عدد من الديمقراطيين، في مقدمتهم جونك، اغلاق الجامعات، حل مجلس النواب ومذبحة نكراء بدات في ١٨ ايار ذهب ضحيتها اكثر من٨٠٠ قتيل و٣٠٠٠ جريح وحوالي ١٠٠٠ مختطف. وقد جرت هذه المأساة الفظيعة في مدينة كوانجو (٧٥٠٠٠٠ نسمة)، الى الجنوب من العاصمة سيئول، اثر مظاهرة سلمية قام بها الطلبة، فحولتها القوات الحكومية الى نهر من الدماء على يد مضليين اقتحموا المدينة بوحشية لا مثيل لها، قابلها السكان بشجاعة وصمود طيلة عشرة ايام الى ان تمكن الجيش من فرض سيطرته. وقد بات من الثابت الآن ان السلطة افتعلت المذبحة لتصفية المقاومة وتعبيد الطريق لتسلم شون الرئاسة!

هذا هو وجه كوريا الجنوبية في ظل دكتاتورية شون الذي كان قد بدا للعالم اكثر مرونة وتسامحا من بارك[١]. الا ان الاحداث تشير الى ان هناك تواصلا مع النظام السابق اكثر خطرا: "الفرق الوحيد هو ان اسلوبا سلطويا قديما استبدل باسلوب جديد يستخدم لغة معسولة توهم الخارج. ففي السابق، كان التعذيب اسلوبا للاقرار، والآن يتخذ التنكيل طريقا لخلق الرعب. فكل من يبدي اقل نقد للنظام يتعرض للاعتقال، وقد اختفى فعلا عدد من الاشخاص و لم يعد لهم اثر... وبكلمة يخيم الخوف في كل زاوية "! بهذه العبارات اجاب استاذ كاثوليكي على سؤال الصحفية الفرنسية مارلين توينكا التي كتبت تحقيقا لمجلة (I.C.I) نستلهمه في كتابة هذا الملف[٢].

عن هذا الخوف الذي يخيم على البلاد وينيء بالانفجار تحدث اليها ايضا الكردينال كيم رئيس اساقفة سيئول قائلا: "لقد تأزم الوضع بالاكثر. فمنذ حادثة كوانجو عم الحقد بين صفوف الشعب، حقد قد يتمخض، بين آن وآخر، عن العنف، سيما وان الشباب لا طاقة لهم على التحمل". هذا الخوف يقابله من جانب السلطة، منذ انقسام كوريا عام ١٩٤٥، خوف من خطر الشيوعية، تبرر به سياسة القوة التي تنتهجها. غير ان الواقع يدل على ان السلطة كثيرا ما استخدمت هذه الحجة لترسيخ اقدامها.

حل محل: صيانة القمع

بدا خليفة بارك عهده بفرض دستور جديد، عن طريق استفتاء وهمي منحه سلطات لاحدود لها، تمكن بموجبها من انشاء "مجلس تشريعي" احتفظ لنفسه بحق تعيين كافة اعضائه! فكان قانون "الامن القومي" وقانون "التحدد السياسي" وعدد من القوانين

تحدد التجمعات والتظاهرات وتنظم العمل والصحافة الخ.. تسبح كلها في مناخ من القمع السياسي. ومنذئذ لم يجد مرشح الرئاسة الوحيد "مبررا" لبقاء الاحكام العرفية التي احتوتها القوانين الجديدة وتخطتها –وقد رفعها فعلا في ٢٥ ك٢ الماضي، قبيل زيارته لريغان والتي كانت حصيلتها بقاء القوات الامريكية في كوريا وموافقة الولايات المتحدة على تجهيز كوريا بالطائرات المقاتلة-. وبنفس المنطلق، سبق واوقف، في ٢٣ ك٢، تنفيذ حكم الاعدام الصادر بحق معارضه الكبير كيم دو جونك.

وتشير الارقام الى ان سياسة شون تمكنت من وضع سيناريو محكم امتزجت فيه مظاهر الديمقراطية بالقمع السياسي والتصفيات الجسدية: فمن انتخابات الرئاسة المزورة والمحاكم الصورية في احداث كوانجو، الى قرارات العفو عن ٥٢٢١ سجينا لم يكن بينهم سوى بضعة سجناء سياسيين... ومن ابعاد ٨٠٠ سياسي عن المسرح والقاء القبض على ٥٢٥٦١ شخصا" غير مرغوب فيهم"، الى اعفاء ٣٥٠ صحفيا واعتقال ٣٩ اخرين! وهكذا بعد ان حصل على "شهادة حسن السلوك" حق له ان يقسم اليمين الدستورية في ٣ اذار ولمدة سبع سنوات!

وفي هذا المناخ المحموم، كان لا بد للنظام ان يسعى الى فرض رقابة مشددة على الاديان والمذاهب وما اكثرها في كوريا – ٩٠ ديانة معترف بها الى جانب حوالي ٢٠٠ من المذاهب والشيع والشعوذات!-. وفي مقدمة الاديان والمذاهب: البوذية (٨،٥ مليون) والكونفوشية (٥ ملايين) والمسيحية (٦ ملايين) والشوندوكيو(مليون) وبوذية وون (مليون).. الى جانب الاسلام والبهائية. وكان للمسيحيين الكوريين من القمع نصيب كبير، وذلك بحكم عددهم (زيادة سنوية بنسبة ٨%) وبحكم الروح الاستقلالية التي برهنوا عنها دوما تجاه السلطة.

كنيسة عمرها ٢٠٠ عام فقط

دخلت المسيحية الى كوريا على يد علماني اقتبل العماذ عام ١٨٨٤ خلال زيارته لبكين، ضمن وفد سنوي الى امبراطور الصين، وعاد الى وطنه حاملا "البشرى السارة". وتكونت للحال جماعة صغيرة اقتبلت العماذ على يده الى ان قدم، عام ١٨٠٠، كاهن صيني سرعان ما اكتشفته السطات ولاقى حتفه في العام التالي. وبقيت الجماعة المسيحية الاولى دون كاهن طيلة ٣٥ سنة حتى مقدم اسقف وكاهنين فرنسيين عام ١٨٣٦ما عتموا ان استشهدوا بدورهم بعد ان تمكنوا من اختيار ثلاثة مرشحين للكهنوت توجهوا الى الصين لاستكمال ثقافتهم. وما ان عاد اولهم، استشهد هو الاخر بعد عام فقط من مزاولة الرسالة، واستمر الاضطهاد حتى عام١٨٧٢.

وفي عام ١٨٨٤–اي بعد مرور مئة سنة على تاسيس الكنيسة الكاثوليكية- قدم المرسلون البروتستنت ولاقوا نجاحا ملموسا في نشر الانجيل عن طريق اهتمامهم الكبير بالتعليم، حيث تاسست اول مدرسة كورية على يد مرسل امريكي. ويعد البروتستنت

حوالي ٤،٥ مليون ينتمي نصفهم الى الكنيسة المشيخية، ويليهم الميتودست، الا ان هناك اكثر من خمسين كنيسة بروتستنتية مستقلة. ومن الجدير بالذكر ان مساعي جادة تبذل لتنسيق العمل في ما بين هذه الكنائس وتهيئة السبل لتحقيق الوحدة بينهما.

وبالرغم من تعددية الكنائس والمذاهب وتنافسها —في سيئول وحدها تشاهد بضعة الاف من القباب تتنافس في الارتفاع!— تشهد المسيحية الكورية ازدهارا منقطع النظير، كما ونوعا، ويلاحظ هذا الازدهار بنوع خاص في عدد المهتدين البالغين الذين يقبلون على الايمان بقناعة مدهشة. فالكنيسة الكاثوليكية هي اليوم كنيسة "شابة" حيث ان ٨٠% من المليون ونصف كاثوليكي لم تمض عشرون سنة على دخولهم في حضن الكنيسة. وان ٥٠% من الكهنة رسموا في السنوات العشر الاخيرة وان ٣ فقط من اساقفة الابرشيات الست عشرة يزيد عمرهم على ٦٠ عاما، وان عدد الاكليريكيين بلغ ٧٩١ عام ١٩٧٦، في حين لم يتجاوز عددهم ٤٢٠ عام ١٩٧٣، وكثيرا ما تضطر ادارات المعاهد الكهنوتية الى رفض العديد من الراغبين. من جانب اخر تشهد الكنيسة تصاعدا في عماذ البالغين حيث بلغ عددهم في العام الماضي في ابرشية تيكو وحدها ٨٠٠٠ شخص، فيما كان عددهم ٥٥٠٠ عام ١٩٧٦. وهكذا هي الحال بالنسبة الى الكنائس البروتستنتية حيث ان الميتودست مثلا كانوا، عام ١٩٧٥، يعدون ٣٠٠٠٠٠، وكان لهم ٢٠٠٠ معبد، في حين اصبح عددهم اليوم ٧٠٠٠٠٠ واصبح لهم ٣٥٠٠ معبد! ولتبيان ازدهار الدعوات في الكنائس البروتستنتية يكفي ان نقول بان عدد المعاهد لتخريج الرعاة بلغ ٨٠ معهدا، وهذا يعني ان عددهم يتضاعف كل عشر سنوات.

وتسائلت مبعوثة مجلة (I.C.I) عن الدوافع التي تحمل الشباب الكوريين على الايمان المسيحي وعن الحيوية التي تشهدها الكنائس المسيحية، فكتبت تقول بان البعض يعزو هذا الازدهار الى "حاجة الاستقرار" التي تنبت في زمن الازمات الاقتصادية والاجتماعية، أو الى الرغبة في الاقتراب من الغرب. أو الى حاجة في الانسان الى مزيد من العمق الروحي؛ فيما ينسبه البعض الاخر الى الرغبة في المشاركة في النضال الذي يقوده المسيحيون من اجل العدالة وحقوق الانسان. وتدلي السيدة توينكا بتصريح لاحد الاساقفة الذين التقت بهم: "يقبل الناس على الكنيسة لانهم يرون فيها القوة الوحيدة التي من شانها ان تساعدهم على التحرر من الواقع المنهك المحيط بهم".

.. تعيش في ظل الدكتاتورية

ويتبادرعفويا الى الذهن هذا السؤال: كيف تواجه الكنيسة الوضع الحالي في عهد شون؟ هل سيقوى المسيحيون ان ينضموا الى صفوف المعارضة ويعرضون انفسهم للاضطهادات.

قبل الاجابة على هذا السؤال، يجدر بنا ان نذكر بالمواقف الحازمة التي اتخذها العديد من رؤساء الكنائس المسيحية في السنوات العشر الاخيرة من عهد بارك. ويأتي الكردينال كيم في المقدمة حيث ان مواقفه الجريئة في الدفاع عن العدالة ونداءاته المتكررة

الى احترام حقوق الانسان وحرياته الاساسية جلبت عليه نقمة السلطة. وما زال صوت المطران يون رئيس اساقفة كوانجو يرن في الاذان، ابان المذبحة البشعة، وقد عاد فندد بها، في ايار الماضي، بمناسبة مرور عام على تلك "الجريمة القومية". ولا يمكننا ان ننسى المونسنيور شي هاك سون اسقف ونجو الذي قضى ثمانية اشهر في السجن بسبب مساندته مطالب الطلبة[٣]. والمطران شي معروف بجراته في فضح اعمال القمع التي تمارسها السلطة بحق كل من يجرؤ على التكلم، فلم يتردد، في خطاب له عام ١٩٧٦، بمناسبة ذكرى اعلان شرعة حقوق الانسان، من التنديد بالسياسة البوليسية التي انتهجتها حكومة بارك داعيا المسيحيين الى التضامن لمحاربة القمع.. جاء فيه: ".. جميع المسيحيين في كوريا، كاثوليك وبروتستنت، علينا ان نعمل سوية من اجل ان تحترم حقوق الانسان. ولنبدا بتنسيق هيئاتنا المختلفة والعمل مجتمعين، ولا ننسَ ان اعلان حقوق الانسان هو من صلب رسالة التبشير بالانجيل. ولنكن مستعدين للذهاب او العودة الى السجن اذا اقتضى الامر!"

واذا كان العديد من قادة المذاهب البروتستنتية المختلفة يبدون اكثر "محافظة" من رعاياهم، ويؤثرون موقف الحذر من السلطة ويتجنبون الصدام معها؛ فيما تدل مواقف بعضهم على تاييد النظام الحاكم، كراعي كنيسة الفنطقسطيين في سيئول الذي رافق الرئيس شون في زيارته للبيت الابيض! الا ان "القاعدة" تبدو اكثر تحسسا لفساد النظام حيث يسعى العديد من العلمانيين الى الالتزام الجاد في الميادين الاجتماعية والثقافية. ومن المفارقات الغريبة ان الجماعات والاتحادات التي لها صلة بالخارج، غالبا ما تكون اكثر التزاما بقضايا العدل والسلام، كالمجلس الوطني للكنائس (ست كنائس بروتستنتية كبرى) الذي يساند العمال ويدعم مطاليبهم، وكالاكاديمية المسيحية التي زج سبعة من مسؤوليها في السجن عام ١٩٧٩.

اما بالنسبة الى الكاثوليك، فتشير الصحفية الفرنسية الى ان موقفهم يرتبط الى حد كبير بموقف الكهنة ازاء الضغوط التي تمارسها السلطة، باختلاف العمر والثقافة والاصول الاجتماعية التي ينتمون اليها وللمراكز التي يحتلونها. ففي العاصمة وبعض المدن الكبرى — بوسان وتيكو مثلا— يبدي الكهنة تحفظا تجاه النظام، فيما يجرؤ زملاؤهم في المناطق الفقيرة —اندونك، ونجو، شونجو— على التصدي للاجراءات القمعية ولا سيما اثر الاعتقالات والاحكام الاعتباطية والضغوط بمختلف اشكالها التي يتعرض لها المؤمنون الملتزمون، ولم ينج منها الاساقفة والكهنة انفسهم. وهكذا هي الحال بالنسبة الى مصف الاساقفة حيث ان خمسة من مجموع الاساقفة الاربعة عشر —من ضمنهم الكردينال كيم— ابدوا مواقف حازمة تجاه الاحداث التي مرت بها البلاد، الى جانب اسقفين محافظين وبقية على جانب كبير من التردد والخوف.

"كنيسة تلزم الصمت"!

وتلفت السيدة توينكا الانتباه الى الالتزام الذي يتصف به العديد من الكهنة الشباب[٤] والراهبات — ٣٠٠٠ راهبة بينهن بضع عشرات من الاجنبيات— في خدمة

الفقراء والدفاع عن الحقيقة، حيث تذكر، من بين المحكوم عليهم ال ٣٩٠ في مذبحو كوانجو، كاهنين، احدهما الاب كيم زونك يونك ما يزال في السجن، الى جانب خمسة كهنة وراهبة اعتقلوا في سيئول اثر نشرهم تقريرا مفصلا حول المذبحة.. وتخلص الى القول بان هذا التوجه يستند الى عاملين تتميز بهما كنيسة كوريا: الاول مساهمة المرسلين- ٢٤٢ مرسلا اجنبيا مقابل ٨٨١ كاهنا كوريا- الذين يعمل العديد منهم بصفة مرشدين في الحركات الرسولية، وقد تمكنوا من اعطاء صورة جديدة تختلف عن الصورة التقليدية للكاهن "السيد في خورنيته". اما العامل الثاني، فيقوم على وعي العلمانيين العميق بمسؤولياتهم الرسولية واندفاعهم الكبير في خدمة الانجيل وذلك عبر الحركات العلمانية وابرزها الشبيبة العاملة المسيحية وحركة الفلاحين. ولقد برهن العلمانيون على نضوج مسيحي رفيع هو في الاساس من ذاك الالتزام الذي يندر وجوده في اماكن اخرى! ويكفي ان نقول بان عدد العاملين في حقل التعليم المسيحي فقط تجاوز ٥٠٠٠! ولقد اكد احد الاساقفة على الاثر تركه العلمانيون بقوله: "كنيسة كوريا تبدو وكانها تستعيد ماضيها: فبفضل صمود حركات العمل الكاثوليكي، كحركة الشبيبة العاملة المسيحية وحركة الفلاحين، اصبحت الكنيسة كلها اكثر قوة؛ ولقد سعت الحكومة الى الغاء امانات سر هذه الحركات: الا ان الاساقفة تصدوا لارادتها".

كوريا: نبذة تاريخية

تفاخر كوريا انها لم تخضع في تاريخها للاستعمار وان كانت دوما موضع مطامع اليابان والصين وروسيا، فلقد كانت الهدف من الحرب بين الصين واليابان (١٨٤٥-١٨٩٥) وبين روسيا واليابان (١٩٠٤-١٩٠٥) اسفرت عن فوز اليابان.

وبدات تجزئة كوريا في اعقاب الحرب العالمية الثانية: فبعد استسلام اليابان عام ١٩٤٥ -وقد كانت، له في كوريا قدم راسخة منذ عام١٨٧٦- امام الجيوش الامريكية والسوفييتية، اخصى السوفييت ادارة القسم الشمالي من البلاد، وتسلم الامريكيون قسمها الجنوبي. وحين عقد الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة مؤتمراعام ١٩٤٦ بغية توحيد كوريا احيلت القضية الى هيئة الامم. وفيما منحت الامم المتحدة تأييدها لجمهورية كوريا الجنوبية واعترفت بها في ١٥ آب ١٩٤٨، رفضت كوريا الشمالية القرار واعلنت في ٩ ايلول عن قيام "جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية".

ونشبت حرب بين الكوريين في ٢٥ حزيران ١٩٥٠، وتدخلت الامم المتحدة لصالح الجنوب، فيما هرعت الصين لمساندة الشمال، وكانت حصيلة الحرب ١٧٠٠٠٠٠ قتيل. وهدنة اعلنت في ٢٧ تموز ١٩٥٣ اعادت الحدود بين جزئي كوريا الى ما كانت عليه قبل الحرب، على طول خط العرض ٣٨. وما زالت المفاوضات قائمة بهدف اعادة توحيد كوريا.

●

فالى جانب علامات الحياة التي تظهر، بين حين واخر، في سماء كوريا، فان الكنيسة في مجملها تبدو اليوم، في عهد الرئيس شون "كنيسة صامتة"! فاذ لم تعد الكنيسة الكورية قادرة الان على التحرك، عبر الصحف ووسائل الاعلام او عبر مظاهرات الاحتجاج، كما في عهد بارك، فذلك لان حكومة شون دو هوان لم تعد هي الاخرى

قادرة على تحمل اية رائحة معارضة! وكان للكنيسة خيارن: فبين موقف الاحتجاج العلني الذي يعرّضها للاضطهاد، وبين الصمت الاختياري الذي يخفي احتجاجا قد يكون اكثر بلاغة واثرا من الكلام، اختارت الكنيسة موقف الصمت. وهذا الموقف يطالب به المؤمنون انفسهم، وقد ادلى العديد من الذين التقت بهم الصحفية الفرنسية بهذا التصريح: "المهم ان تسكت الكنيسة حاليا. فالناس جميعا يدركون ماذا يعني غياب الاساقفة والكهنة عن الاحتفالات الرسمية.."!

فاذا كانت الكنيسة الكورية قد اضطرت ان تلزم الصمت حاليا، الا انها تزداد عمقا ونضوجا وفاعلية، بفعل هذا الصمت المليء بالصلاة والمشاركة في الم المقهورين والمستضعفين، وتبقى تتطلع بامل مليء بالرجاء الى غد مشرق تجد فيه كوريا حريتها ووحدتها وسلامها.

---

(١) دام حكم الرئيس بارك ١٨ سنة، وقد جاء الى الحكم في اعقاب انقلاب عسكري في ١٦ ايار ١٩٦١ اطاح بحكومة جان ميون شانك رئيس الوزراء. وفي عام ١٩٦٣ ترك الجيش ورشح نفسه للرئاسة في انتخابات شبه صورية. وشهدت البلاد في عهده ازدهارا اقتصاديا تصاعدت معه صادراتها وديونها في ان واحد، الا انه لم يقو على ازالة المظالم الاجتماعية وتقليص الفوارق الطبقية حيث تشاهد في سيئول الاف"الصرائف" التي افرزتها الهجرة من الريف. وتجدر الاشارة الى ان الاصلاحات التي اقدمت عليها حكومة بارك مع مطلع ١٩٧٥، اثر تظاهرات الطلبة وفي اعقاب سقوط سايغون –وقد تصاعد الخوف من احتمال غزو كوريا الشمالية–، لم تتمكن من تهدئة النقمة الشعبية التي اودت بحياته في ٢٧ ت١ ١٩٧٩.

(٢) **-Corée du Sud ; (Pire que du temps de Park) (I.C.I, NO. 562)**

- Corée en expansion (Missi, Déc. 1976)

(٣) في خريف ١٩٧٣ قامت مظاهرات طلابية تطالب الحكومة بدستور يضمن الحقوق ويطلق الحريات. وقد منحت الكنائس المسيحية دعما لهذه المطاليب التي قابلها الرئيس بارك باعتقال ١٧١ شخصا، بينهم المطران شي الذي القي القبض عليه في ٦ تموز ١٩٧٤ وصدر بحقه حكم بالسجن لمدة ١٥ سنة. وبعد موجة من الاحتجاجات اضطرت السلطة الى اطلاق سراحه في ١٧ شباط ١٩٧٥ بمعية اغلبية السجناء السياسيين. ولدى عودته الى ونجو، جرى له استقبال حافل شارك فيه ١٥٠٠٠ شخص بينهم عدد كبير من غير المسيحيين.

(٤) لعب الكهنة الشباب دورا متميزا في حمل كنيسة كوريا على اتخاذ موقف الجراة ازاء تجاوزات الدولة. ففي اثر الحكم بالسجن على المطران شي وازاء تارجح موقف مجلس الاساقفة، تاسست "رابطة الكهنة الشباب" لمطالبة اساقفتهم بمزيد من الصراحة والحزم. وفي اعقاب فترة"الانفراج"التي افتتحها الرئيس بارك عام ١٩٧٥، ابدى مجلس الاساقفة تاييده محذرا الكهنة من تحويل "اجتماعات الصلاة" الى النقد والتجريح تجاه السلطة– وكانت "رابطة الكهنة من اجل العدالة" التي تاسست في ايلول ١٩٧٤ هي المقصودة. وقد اضطرت الى توقيف نشاطها فترة، الا انها عادت فوجهت، في ٢٨ ايلول ١٩٧٥، رسالة مفتوحة الى مجلس الاساقفة جاء فيها:"حين يامر الضمير وتتطلب العدالة بحسب الانجيل ان تتكلم الكنيسة، فان صمتها المستطيل يوحي بانها انحازت في اتجاه اللامسؤولية ولزمت جانب الظلم"!

الالتزام الوطني

كان للسؤال المطروح للمناقشة في العدد ١٦٥ اهمية كبرى في الوقت الذي يعيش العراقيون، على اختلاف اديانهم ومذاهبهم، منعطفا تاريخيا من وجودهم في ظل ثورة ١٧-٣٠ من تموز المجيدة التي سعت وتسعى الى نبذ كل اسباب التفرقة التي كانت لاجيال خلت زاد المستعمرين والطامعين، والى تجاوز كل الفروقات التي من شأنها ان تغذي الضغائن والاحقاد بين المواطنين وتهدد وحدة الأمة وتعرض مستقبلها لخطر التجزئة البغيضة.

ففي مناخ الاخوة المسيحية - الاسلامية الذي خلقته الثورة، لم يعد هناك مواطنون من "درجة اولى" الى جانب مواطنين من "درجة ثانية" بسبب انتمائهم الديني! ولم تعد هناك فئتان من المواطنين: فئة لها حقوق وامتيازات الى جانب فئة لا تقع عليها سوى واجبات والتزامات! كما لم يعد للمواطن اولوية على مواطن اخر الا بمقدار حبه واخلاصه لوطنه، وبمقدار ما يقدمه من اسهامات وتضحيات في سبيل وطنه وامته. واذا كانت لا تزال هناك رواسب عميقة -من اية جهة كانت- تعمل على ايقاظ الاحقاد السالفة، فذلك لان نفوساً مريضة لا يطيب لها ان يعيش العراقيون جميعا، من مختلف الاديان والمذاهب والقوميات، في صفاء ومحبة وسلام.

كان السؤال المطروح الى المواطنين المسيحيين وهم يعيشون التحولات الكبرى التي يشهدها قطرنا، وعلى كافة الاصعدة، في ظل ثورته التقدمية وتحت راية قيادته السياسية الحكيمة. واليكم عينة من اجابات القراء.

●

*** المسيحي الذي يهمل التزاماته الوطنية يهمل التزاماته نحو الله**

كتبت الانسة جميلة بولص خوراني (معلمة – شقلاوة) تقول:

علمتنا المسيحية الولاء والطاعة والالتزام بالنظام والاخلاص في العمل والتفاني في سبيل الواجب... فلقد كتب القديس بولس: "اعطو الجميع حقوقهم: الجزية لمن له الجزية، والاكرام لمن له الاكرام"، وكأنه يرجع صدى كلمات السيد المسيح حين قال "اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله". هذه الوصايا تحمل في طياتها توجيها للمسيحيين كي يقوموا بواجباتهم الوطنية على اتم وجه ويعطوها حقها من الاهتمام... فالمسيحي الذي يهمل التزاماته الارضية، والتزاماته الوطنية بنوع خاص، يهمل بالفعل ذاته التزاماته نحو القريب، وبالتالي التزاماته نحو الله.

* **حقوق نتمتع بها بمقدار الواجبات التي نؤديها**

السيد جورج حنا الساعور (معلم – الموصل) يلقي نظرة على ماضي العراق ويذكر بالدور الذي لعبه المسيحيون "في بناء مجده وحضارته وعزته وفي الدفاع عن كرامته باندفاع عال واخلاص متفان". وفيما ينحي باللائمة على اولئك الذين ينكمشون على ذواتهم بحجة "حساسيات" لم يعد لها مبرر اليوم، يخلص الى القول:

ان الاخلاص والانشداد الصميمي للوطن لا ياتي الا بما يقدمه الفرد، كل من موقعه.. فلا جدال في ان ميزان الاخلاص هو ان تتساوى الحقوق التي يتمتع بها الفرد، بمقدار الواجبات التي يؤديها. وبصفتنا مسيحيين، يلزمنا الانجيل بالعمل الجاد والمخلص على بناء وطننا، بشكل حر وواع وبقناعة وطيدة..

* **الدين والوطن حقيقتان لا تنفصلان**

من محافظة الانبار اجابت الانسة فيفيان شيت صوفيا (محامية – الرمادي) مؤكدة على الوشائج العميقة التي تشد الانسان الى وطنه ودينه:

الدين والوطن حقيقتان لا تنفصلان: فالوطن تربة نعتز بها، وياتي اعتزازنا بوطننا بمقدار ما نخلص له ونحميه ونضحي في سبيله، عن طريق العمل الجاد والبناء المثمر..والدين قيم سامية ترقى بالانسان الى الله وتحمله على العيش في محبة مع اخوته البشر. فالاديان كلها تحث على العمل والتضحية والاخلاص في سبيل الوطن، ونحن، كمواطنين مؤمنين، علينا ان نستلهم دوما هذه المبادىء للنهوض ببلدنا في طريق العزة والكرامة..

وبصفتي مواطنة مسيحية، لا اجد تناقضا البتة بين مبادىء الانجيل وبين التزامي بخدمة وطني، انما اجد في تلك المبادىء السامية دافعا الى مزيد من العطاء والسخاء والبذل...

* **المواطن المسيحي له من ايمانه دافع..**

وذهب السيد ميخائيل سريدار(متقاعد – الموصل) في تعداد الخدمات العلمية والصحية والثقافية والاجتماعية.. التي يقدمها العراق لكل مواطن، فقال:

ازاء كل هذه الخدمات الجليلة والمنجزات الباهرة، كيف يمكن الا يقابله المواطن بالحب والوفاء والانشداد الى الوطن.. والمواطن المسيحي له من ايمانه دافع اكبر الى ان يقابل الخير باحسن منه، فيبرهن على حبه ووفائه لوطنه عن طريق قيامه بواجباته الوظيفية او المهنية على الوجه الاكمل، وهكذا يساهم، من موضعه، في تقدم وطنه.

ليس هناك اي تناقض بين التزامي بالانجيل والتزامي بوطني، اذ ان في الانجيل مبادىء وتعاليم كثيرة تلزم المسيحي بواجب الولاء والاخلاص للوطن والتضحية في سبيله. واذا كنت -خلال سني خدمتي الوظيفية- اجسد هذا الالتزام من خلال حسن التعامل مع

الغير والنزاهة في العمل.. فاليوم اجد في، رغبتي الى اشاعة الخير والوفاق وفي سعيي الى ازالة الترسبات، صيغة لالتزامي بحياة وطني.

* **احبك يا وطني.. وسابقى احبك**

في اجابتها الى السؤال المطروح، انشدت الانسة منى عبد الاحد بشير (مهندسة - الموصل) انشودة الحب والوفاء للوطن الذي تلقنت في احضانه "مباديء الحق والعدل والارادة الحرة المستقلة.." وتعلمت من بطولة شهدائه "حب البذل والعطاء" فكتبت تقول:

حبي لوطني واجب ملقى على عاتقي تلقنته من الانجيل الذي هو نبراسي في الحياة. حبي لوطني هو وجه ثان للحب الذي أكنّه للمسيح. التزامي بحياة وطني وقضاياه المصيرية ينبع من امانتي لمبادىء الانجيل — وهو البشرى السارة بملكوت الحق والحب والحرية والعدالة. ويتجسد هذا الحب وهذا الالتزام في ما اقدمه لوطني من خدمة مخلصة في حياتي الخاصة والعامة..

* **الالتزام الوطني.. قضية شعور عميق بالمواطنة**

وفيما رجع السيد اسامة عبد الاحد (موظف- الموصل) اسباب انطواء المواطنين وابتعادهم عن "السياسة" الى عاملين: الظروف التاريخية التي "خلقت لدى المواطن شعورا بان مسالة الالتزام مسالة ثانوية"، والرغبة المقصودة لدى الحكام السابقين في تحويل انظار المواطنين عن الاحداث والقضايا المصيرية، اخلص الى القول:

الالتزام الوطني مسالة يجب ان تكون حاضرة في ذات كل مواطن. واذا كان لبعض المواطنين، في العهود السالفة، عذر في الابتعاد عن الالتزام السياسي —واخص المسيحيين منهم بالذكر— فاليوم، ومنذ قيام ثورة ١٧- ٣٠ تموز القومية الاشتراكية، لم يعد لهم اي مبرر للتنصل من مسؤولياتهم الوطنية. فالثورة منذ ولادتها رفضت ان تصنف المواطنين بدرجات متباينة من المواطنة، وقياسها لدرجة المواطنة هو اخلاص كل مواطن في العمل من اجل وطنه.

ففي الوقت الذي خصت الثورة، وعلى راسها القائد المناضل صدام حسين، بالرعاية والاهتمام كافة الهيئات الدينية من مختلف الطوائف.. يتحتم على الكنيسة ان تبرهن على مزيد من الحضور في الاحداث التي يمر بها العراق والتي تهم بالتالي كافة المواطنين.

هذه الاجابات، على قلتها، عكست ولا شك جانبا من مشاعر الحب والاعتزاز التي يغذّيها المسيحيون تجاه وطنهم العراق في ظل ثورته المظفرة التي افلحت في ارساء الاسس المتينة للاخوة والتضامن بين المواطنين، على اختلاف اديانهم وطوائفهم وقومياتهم..

وفيما نكبر في قيادتنا السياسية الرشيدة توجهها الثوري في اشاعة العدالة والاخوة والمساواة بين المواطنين، على اسس تعتمد الاخلاص والنزاهة في العمل مقياسا لتحديد المواطنة، نناشد كافة المواطنين، مسيحيين ومسلمين، الى التضامن والتكاتف والالتفاف لترسيخ الوحدة الوطنية والعمل سوية على بناء عراق حر، ابي، مستقل، ذي عزة وكرامة وشموخ.

مقالات ١٩٨٢

مع المطران جان كسباريان/مقابلة/ك٢- شباط
+ جولة في الفكر المسيحي لعام ١٩٨١/ش.ر/ك٢
وقد عادوا من الجبهة/طاولة/آذار
+ روما تعانق كونتربري/ش.ر/أيار
+ دور الشباب في حياة الكنيسة/مناقشة/حزيران- تموز
+ الكنيسة والثقافة/ش.ر/آب- أيلول
* القديس بولس في رسائله/عدد خاص/ت١- ت٢
+ الحب نظرة وآفاق/مناقشة/ك١

جولة في «الفكر المسيحي» لعام ١٩٨١

مع مطلع العام، يحاول المرء ان يستعيد في ذهنه احداث العام المنصرم.. ولكن هيهات لذاكرة مهما بلغت من القوة والنباهة ان تلم بكل الاحداث والقضايا والشؤون التي رجعت صداها وسائل الاعلام بكافة اشكالها. وغني عن القول ما للصحافة المكتوبة من اولوية على وسائل الاعلام الاخرى، كونها تتيح للقارىء ان يعود، بعين فاحصة، الى كل ما نشرته من انباء وافكار واضواء في شتى الحقول والميادين.

المقال التالي هو محاولة استعراض لما نشرته "الفكر المسيحي" من انباء ومقالات واضواء طيلة عام ١٩٨١ عكست جانبا من المواقع التي يتجسد فيها الانجيل من خلال مسيرة كنيسة، لها دعوتها ورسالتها في البشرية.

حين نودع عاما ونستقبل اخر، تمتزج الذكريات بالتطلعات وتنتصب في ذاكرتنا احداث العام المنصرم، بومضاتها وشحوبها، وقد اصبح بمقدورنا الان -بحكم البعد الزمني الذي يفصلنا عنها- ان نقيمها ونحكم عليها بنظرة ناقدة ونتخذ حيالها موقفا حياتيا جادا.

من هذا المنطلق يسوغ لنا، في بدء العام الجديد، ان نستعيد في ذاكرتنا جزءا مما نشرته "الفكر المسيحي" طيلة عام ١٩٨١، وليس هدفنا من هذه "الجولة" في صفحات المجلة "استمتاعا نرجسياً" بما حققناه، وانما نجد فيها فرصة تتيح لنا وللقراء ان نسلط الاضواء على الاحداث والقضايا التي هي في حد ذاتها "علامات ازمنة" في حياة الكنيسة في العراق والعالم، ونقصد "بعلامات الازمنة" تلك المؤشرات التي تمكننا من اكتشاف اثر الانجيل وابعاده في حياة البشرية التي تسعى الى بناء عالم افضل يسهم فيه المسيحيون، انطلاقا من رؤية انجيلية اصيلة.

الكنيسة في العراق: حضور والتزام

وتتجه انظارنا، بادىء ذي بدء الى كنيستنا في العراق وهي تعيش التحولات الكبيرة والمنجزات الباهرة التي يشهدها قطرنا، في ظل ثورته القومية التقدمية، في كافة الميادين وعلى كافة الاصعدة، حيث حركة البناء والازدهار على اشدها، بالرغم من الحرب التي يقودها مع النظام الايراني، دفاعا عن سيادته الوطنية وصيانة لحقوقه التاريخية في اراضيه ومياهه المغتصبة (افتتاحية ك٢/شباط)... هذه الحرب التي استبسل فيها جيشنا المقدام على طول الجبهة — وقد جسدت الكنيسة حضورها الى جانب قطعاتنا المرابطة حين قام وفد من الكهنة، برعاية اساقفة محافظة نينوى، بزيارة الى الجهة (ك٢/شباط،اذار)-، واستشهد فيها العديد من جنودنا الابطال الذين سفكوا دماءهم دفاعا عن الوطن، فاعطوا للاستشهاد كل معانيه في العطاء والتضحية (ك٢/شباط)، وكان للمسيحيين من شرف الشهادة نصيب كبير، نخص بالذكر قرةقوش —مدينة الفداء- التي كرمها الرئيس القائد صدام حسين بزيارته الرقيقة، ليلة عيد القيامة، في نطاق جولة في محافظة نينوى (عدد نيسان).

وفي نطاق الرعاية الكريمة التي تبديها القيادة السياسية لكافة قطاعات الشعب، يعيش المسيحيون العراقيون منعطفا هاما من تاريخهم، في ظل ثورة ١٧-٣٠ تموز المجيدة، بفضل توجهها السليم في نبذ كل اسباب التفرقة بين المواطنين على اساس الدين او القومية، وقد تجسد في رعايتها للمساجد والكنائس والاديرة —ونخص بالذكر دير مار متى ودير السيدة حيث العمل على قدم وساق لصيانتهما وابراز معالمهما التاريخية العريقة-، وهذه الرعاية تدفعهم الى مزيد من الحب والاخلاص لوطنهم (افتتاحية ايار) وتحملهم على مزيد من الالتزام بحياة وطنهم وقضاياه (سؤال للمناقشة ت٢)، كما تحملهم في الوقت ذاته على الالتزام الجاد بايمانهم —وهو وجه التزامهم الوطني- والعمل على نهضة كنيستهم العراقية التي كان لها دور تاريخي بارز في النهضة الفكرية والثقافية والعلمية (اب- ايلول،ت٢) وتطمح اليوم الى مزيد من الحيوية والنشاط في نطاق الفرص المتاحة لها (كنيسة العراق بين الواقع والطموح: ك١).

وتستقطب اهتمامنا، في هذه الجولة، القضية الفلسطينية التي هي في القلب من القضايا العربية الراهنة حيث تسعى الدول الكبرى الى تصفيتها، بشكل ام باخر، تعاطفا مع نوايا الكيان الصهيوني العدوانية الذي يوغل في غطرسته وتجاوزاته: من امتهان لحرمة الاماكن المقدسة ومحاولاته الاثيمة في تغيير معالم القدس العربية (ك٢- شباط).. الى تحرشاته المتكررة

على لبنان.. الى اعتدائه السافر على منشاتنا النووية (افتتاحية حزيران).. وازاء هذه التحديات الصارخة، يرتفع صوت الكنيسة في كل مكان، بفم احبارها واساقفتها وفي مقدمتهم قداسة البابا، ليندد ويشجب ويطالب بحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة.

الكنيسة في عالم اليوم: دور نبوي

في اطار الانقسامات الايديولوجية والسياسية والمنازعات الدولية التي تهدد السلام العالمي، بين الشرق والغرب، بين الشمال والجنوب، بين الدول الغنية والدول النامية... تتخذ الكنيسة دورا نبويا حين تذكّرالشعوب بواجب الاخوة والتضامن، وتناشد ذوي الارادة الصالحة في كل مكان للسعي الى بناء عالم اكثر عدالة واكثر انسانية، وتلفت انظار الحكام الى البنى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تسخر بحقوق الانسان وحرياته (حزيران/ش.ر) وتفرز المظالم المختلفة التي تنتج عنها احتجاجات ومقاومة في صفوف الشعب تقابلها السلطة بالقمع والارهاب والتعذيب (ايار/ش.ر)...

هذا الصوت النبوي تسمعه الكنيسة في امريكا اللاتينية (ملف اذار) حين ترفعه عاليا حتى وان دفعت ثمنه غاليا، في السلفادور او الارجنتين او شيلي او بوليفيا الخ...، سواء بفم اساقفتها من امثال الكردينال هيزيكيز في شيلي والكردينال ارنس والمطران هيلدر كامارا في البرازيل والمونسنيورريفيرا داماس خليفة المونسنيور الشهيد روميرو في السلفادور... ام بفم كهنتها وعلمانييها الملتزمين من امثال كوستافو كوتييريز من بيرو وادولفو بيريز اسكيفل المناضل الارجنتيني الحائز على جائزة نوبل للسلام (اذار/ش.ر). وهذا الصوت عينه تُسمعه الكنيسة في العديد من البلدان، ونخص بالذكر الفيليبين وزائير وكندا وارلندا واوغندا... حين تفضح المظالم والتجاوزات بصوت عال، ام حين تلزم الصمت الذي لا يخلو غالبا من معنى عميق وقد يكون احيانا اكثر بلاغة من الكلام، كما في الصين (ماف ك٢- شباط) والاتحاد السوفييتي والارض المحتلة وايران وكوريا الجنوبية (ملف ت٢) ومصر حيث اسكت النظام صوت البابا شنودة...

وفيما يتخذ موقف الكنيسة في بعض البلدان صيغة تعاطف وتضامن مع السياسة التي تبنتها الدولة، تجاه الكنيسة كما في المجر حيث استطاع الكردينال لازلو ليكاي ان يحمل الكنيسة على الخروج من عزلتها السابقة ومكنها بالتالي من الحصول على مزيد من الحرية (ك٢/شباط: مقابلة)، او كما هي الحال في فييتنام ونيكاراغوا وفي بولونيا بنوع خاص حيث عرفت الكنيسة ان تفرض حضورها الفاعل في حياة الامة وقضاياها المصيرية – واخرها انتفاضة العمال بقيادة فاليسا رئيس نقابة التضامن (ت١/ش.ر.)-، بفضل حكمة الكردينال الراحل استيفان فيشنسكي وخلفه المونسنيور جوزيف كلامب... يتخذ موقف الكنيسة سياسة الاستقلال التام عن الدولة بهدف الحفاظ على حريتها في القاء اضواء الانجيل على الاحداث والقضايا التي تواجه البلد كما هي الحال في فرنسا "الابنة البكر للكنيسة" (ملف حزيران) التي تبدي التزاما جادا لقضايا الانسان المعاصر وتبرهن على نضوج لاهوتي وراعوي في طروحات للايمان تلتقي مع انسان اليوم.

الكنيسة خميرة في العجين

لقد ادركت الكنيسة —وهي شعب الله— بان بشرى الانجيل لا تبلغ الى انسان اليوم إن هي بقيت بعيدة عن الجماهير، منعزلة عن تطلعات الانسان وقضاياه المصيرية، متجاهلة التحولات الجذرية التي طرأت على حياته (الجماعة المسيحية والمدينة/ ايار). ولقد منحها المجمع الفاتيكاني الثاني وعيا وثقة متزايدين بدعوتها وبمسؤولياتها —اعادها الى ذاكرتنا المطران كوركيس كرمو (اذار/ مقابلة)— في اقامة ملكوت الله بين البشر والمساهمة في بناء عالم افضل يلعب فيه المسيحيون دور الخميرة في العجين.

من هذا المنطلق حاولت كنيسة اليوم ان تنزل الى الساحة لتلتقي بالانسان حيث هو، في صراعاته الداخلية من اجل حرية مسؤولة يمسك هو بزمامها ولا يدع القدر يتحكم به (ملف ايار)، وفي صراعاته مع الحياة سعيا الى القضاء على التخلف بكافة اشكاله، والجوع من اكثر عوامل التخلف وطاة (ملف اب- ايلول)، وفي نضاله من اجل حقه في العمل الذي تضفي عليه كرامة الانسان كرامة، وحقه في اجر عادل يمكنه من عيش كريم، بعيدا عن كل استغلال او استلاب (ملف ك١). هذا الانسان الذي يلده العماذ لحياة جديدة ويجعل منه، في المسيح، انسانا يعي دعوته ومسؤولياته في الخلق والعطاء والابداع (ملف ت١)، وتدخله قيامة المسيح (ملف نيسان) في مشروع السر الفصحي وتنبت فيه الامل والرجاء.

فالى احترام حقوق الانسان وحرياته الاساسية.. والى مجتمع يرسو على اسس الحق والحرية والعدالة والمحبة والتضامن والسلام.. لا يني يوحنا بولس الثاني يدعو الشعوب في رحلاته العديدة، وكانت اخرها —قبيل محاولة اغتياله التي لولاها لشارك بنفسه في المؤتمر القرباني في لورد الذي عقد تحت شعار "خبز مقتسم لعالم جديد" (اب- ايلول/ش.ر)— رحلته الى الفيليبين واليابان (نيسان/ش.ر) وقد تميزت خطاباته بالجرأة حين دعا الى احترام العدالة وشدد على التاخي بين الاديان وناشد الدول الى الكف عن التسلح والسعي الجاد الى السلام.

وفيما يجعل البابا من نفسه مدافعا عن الانسان، لا ينسى في الوقت ذاته دوره القيادي في الكنيسة حين يعيد الى الاذهان تعليم الكنيسة بشان الاسرة مؤكدا على كرامة الزواج وقيمة الحب وقدسية الحياة... ازاء الانحرافات التي تهدد الاسرة وتعرضها لخطر التفكك، وكانة يرجع صدى سينودس الاساقفة الاخير(ك٢- شباط/ش.ر)، كما انه لا ينسى دوره المسكوني في التقارب والحوار مع كافة الكنائس المسيحية تمهيدا لاستعادة الوحدة المسيحية المنشودة.. ولعل اكبر تظاهرة مسكونية شهدها العام المنصرم، تلك التي جرت في القسطنطينية وروما، في آن واحد، بمناسبة ذكرى مجمعي القسطنطينية وافسس (ت٢/ش.ر).

ش.ر./ ك٢ ١٩٨٢

روما تعانق كونتربري

من المقرر ان يبدا قداسة البابا زيارته للمملكة المتحدة في ٢٨ ايار الحالي. وفيما كنا نعد هذا المقال، نقلت الانباء احتمال ارجاء الزيارة بسبب القتال الذي نشب بين بريطانيا والارجنتين حول جزر الفوكلاند...

فسواء تمت الزيارة ام لم تتم، يحاول المقال التالي ان يضع هذه الزيارة التاريخية للكنيسة الانكليكانية في اطار العلاقات المسكونية بين روما وكونتربري[1] وفي اطار الآمال التي انبتتها اعمال اللجنة الكاثوليكية الانكليكانية المشتركة -ويعد الانكليكان في المملكة المتحدة ٣٠ مليون، فضلا عن حوالي ٤٠ مليون في ارجاء العالم. كما يحاول المقال ان يعكس جانبا من القلق الذي يخيم على الكاثوليك الانكليز -ويعدون حوالي ٥ ملايين- الذين اخذ التجدد طريقه اليهم.

●

• العلاقات الكاثوليكية - الانكليكانية

تاتي زيارة البابا يوحنا بولس الثاني الى كنيسة انكلترا بعد ان انهت اللجنة الكاثوليكية الانكليكانية الدولية اعمالها في خريف ١٩٨١ وخرجت بتقرير شامل حول الاسس التي يرتكز عليها الحوار اللاهوتي نشر في اذار الماضي. وكانت هذه اللجنة (راجع ف.م.عدد ت٢ ١٩٨١) قد دأبت على العمل منذ اثنتي عشرة سنة في دراسة جادة للقضايا اللاهوتية والراعوية بهدف الوصول الى وفاق بين الكنيستين، ونشرت تقارير مشتركة هامة في ما يتعلق بالاوخارسيا والخدمة الكهنوتية... وآخرها تقرير حول السلطة في الكنيسة. وكشفت هذه التقارير عن نقاط التلاقي العميق بين الكنيستين حول القضايا العقائدية التي كانت تعتبر، حتى عهد قريب، عقبة في طريق الوحدة.

ويطرح السؤال نفسه: ما هو اثر اعمال اللجنة المشتركة في المحادثات بين الزعيمين الكنسيين لدى لقائهما في كونتربري؟

قبل الاجابة على هذا السؤال، يجدر بنا ان نستعرض ردود الفعل التي اثارها التقرير النهائي الذي خرجت به اللجنة المشتركة لقد فتح هذا التقرير آفاقا جديدة للحوار حتى في القضايا الشائكة التي ما زالت تشكل عقبة، وفي مقدمتها قضية الرسامات[2] واولوية اسقف روما. وابتسمت الآمال باستعادة الوحدة بين الكنيستين، واخذ الكثيرون ينتظرون ان تمنح الزعامتان الكنسيتان صفة رسمية لهذا التقرير.

الا ان هذه الآمال عينها التي انبتها التقرير كانت في اصل التحفظ الذي اعلنه مجمع

العقيدة والايمان الروماني وعكسته الرسالة التي بعث بها، في ٢٧ آذار، الكردينال راتزنكر الرئيس الجديد للمجمع الى رئيس الجانب الكاثوليكي في اللجنة المشتركة (لاكروا: عدد ١ نيسان ١٩٨٢). فبعد ان اثنى الكردينال على اعمال اللجنة ووصف تقاريرها بانها "تشكل حدثا مسكونيا هاما وخطوة مميزة في طريق المصالحة"، لم يخف تحفظه ازاء التفاؤل الذي سرى في الاوساط الكنسية، محذرا من القول "بان اتفاقا جوهريا قد تم على مجمل القضايا المطروحة"، ومؤكدا بان هناك عقائد كثيرة تؤمن بها الكنيسة الكاثوليكية ولا يقبلها الانكليكان كليا او جزئيا، وان هناك صيغا تضمنتها التقارير تفسح المجال لتفسيرات وتاويلات متباينة...

وفي ٥ ايار الحالي اصدر مجمع عقيدة الايمان، "ملاحظات منفصلة" (لاكروا: عدد٧ ايار) موجهة الى المجالس الاسقفية، اعلن فيها ان التقرير الختامي الذي اصدرته لجنة الحوار، وإن كان يشكل قاعدة اساسية للحوار والمصالحة بين الكنيستين، الا انه لا يشكل "وفاقا جوهريا واضحا" حول العديد من القضايا العقائدية التي تفصل بين الكنيستين، في ما يتعلق بالاوخارستيا والعذراء مريم وطبيعة الكهنوت واولوية اسقف روما والعصمة البابوية الخ...

وغني عن القول بان رسالة الكردينال راتزنكر و"الملاحظات" التي اصدرها مجمع العقيدة والايمان، كان لها وقع الماء البارد في الاوساط الكاثوليكية والانكليكانية التي ابتسمت لها الآمال باقتراب موعد المصالحة، تلك الآمال التي زادتها تفاؤلا زيارة البابا المرتقبة لبريطانيا ولقاؤه مع الكنيسة الانكليكانية.

اما من الجانب الانكليكاني، فكان التفاؤل قد اجتاح الاوساط الانكليكانية طيلة عمل اللجنة المشتركة، وقد عكسته تصريحات الدكتور رونسي الذي اكد بان التقدم في الحوار بين الجماعة الانكليكانية والكنيسة الكاثوليكية "لهو دليل على ان الانكليكان لم ينسوا دعوتهم في العمل على اعادة كيان الكنيسة الجامعة الكبرى" (ف.م. ت٢ ١٩٨١). وفي اعقاب صدور التقرير الختامي للجنة المشتركة، صرح الدكتور رونسي في مجلس الكنيسة الانكليكانية بان تقريرا كهذا "في قضايا مختلف عليها الى حد كبير، كان لا بد ان يثير الجدل"، غير انه استطرد قائلا: "الا ان اللجنة مكنت من احراز تقدم حقيقي في اتجاه المصالحة بين تقليدين" (مجلة I.C.I العدد ٥٧٢). وفيما قال رئيس اساقفة كونتربري بان هذا التقرير يبقى "ورقة عمل" هامة تعكس رؤية جديدة للوحدة بصفتها "شركة بين كنائس محلية" وتنفي المفهوم الاحادي الذي طالما شددت عليه الكنيسة الرومانية، اكد بان الحوار مع روما لا يعني البتة "ابتلاعا".

(نشرة "بيب" البروتستنتية: ٧ نيسان).

ما هي، اذن، توقعات الكنيسة الانكليكانية من اللقاء المقبل بين الزعيمين الروحيين؟ الى هذا السؤال يجيب الدكتور رونسي نفسه: انه لا يتوقع ان تدور مباحثاته مع قداسة البابا حول قضية الرسامات الانكليكانية، كما لا يتوقع ان يصدر عن لقائهما قرار يكرس ما توصلت اليه اللجنة المشتركة ويمنح لتقريرها صفة اتفاق نهائي، انما ينتظر ان

تساهم هذه الزيارة "في توثيق مناخ الاحترام والثقة المتبادلة بين الجماعتين"، مؤكدا بانها ستعمق الشعور لدى الجميع بان هناك "بين روما وكونتربري احترام ومحبة بوسعهما ان يدفعا الى امام. واذا كان من المبكر ان تجد كل الفروقات بيننا حلولا، الا انه من الخطير جدا ان تثبط عزيمة التوصل الى وفاق".

من جهة اخرى اعترف الكردينال هيوم رئيس اساقفة ويستمنستر بان زيارة قصيرة كهذه لا يمكن ان ينتظر منها ان تحدث تغييرا جذريا بين الكنيستين. وبعد ان اكد نيافته على اهمية حضور البابا في كونتربري قال: "اننا نسعى الى تحقيق وحدة تدريجية وليس الى انصهار يتم بفضل توقيع على وثيقة" وفيما اكد الكردينال هيوم بان تقارير اللجنة المشتركة لن تكتسب اهمية الا بعد ان تتبناها الكنيستان —ولن يتم ذلك قبل مؤتمر لمبث الانكليكاني المقبل عام ١٩٨٨—، لم يتردد من القول بان المرحلة الراهنة قد تدفع البابا الى "ان يفوه بكلمات يصعب سماعها على الكاثوليك كما على الكنائس الاخرى"!

• وماذا عن الكنيسة الكاثوليكية الانكليزية

هناك، اذن، قلق ولا شك يخيم على الكنيسة الكاثوليكية الانكليزية قبيل زيارة البابا. وترقى دوافع هذا القلق الى ردود الفعل التي اثارها، لدى الاوساط الرومانية، المؤتمر الراعوي الذي عقد في ليفربول في ايار ١٩٨٠ والذي خرج بتوصيات جريئة في العديد من القضايا الراعوية والمسلكية ولا سيما في ما يتعلق بالخدمة الكهنوتية وشؤون الاسرة الخ...

لقد سجل هذا المؤتمر الراعوي —وقد شارك فيه حوالي ٢٠٠٠ شخص انتدبتهم الابرشيات والخورنات في انكلترا ومقاطعة ويلس— منعطفا هاما في حياة الكثلكة الانكليزية، سيما وان المقترحات والمطاليب التي طرحها المشاركون كشفت عن توجهات جريئة وعن عزم الكثلكة على الخروج من اطار التقليد الذي لفها سنوات عديدة وحتى في اعقاب المجمع الفاتيكاني الثاني. فلقد كان هذا المؤتمر بمثابة استشارة واسعة النطاق مكنت الاساقفة الكاثوليك من الوقوف على تطلعات الكهنة والعلمانيين العاملين في حقل الرسالة الانجيلية. وقد خرج الاساقفة، بعد دراسة جادة لتوصيات المؤتمر، بخلاصة رفعوها الى قداسة البابا في نطاق الزيارة التي دعوه فيها للقدوم الى المملكة المتحدة.

واذا كانت توصيات مؤتمر ليفربول في ما يتعلق بالنضال من اجل العدالة والسلام قد لقيت ترحيبا من البابا يوحنا بولس الثاني، الا ان توصياته حول القضايا الراعوية والاخلاقية ولا سيما بشان الزواج والطلاق وتنظيم النسل الخ... لم تكن لتروق البابا — والدليل هو ان البابا، في رسالته الاخيرة حول الاسرة (راجع عدد نيسان)، لم ياخذ بعين الاعتبار الملاحظات التي طرحها الكردينال هيوم حول الاسرة في سينودس الاساقفة الاخير (ف.م. ك٢ ١٩٨١).

ويواصل مراسل مجلة I.C.I تحليله قائلا: ان مؤتمر ليفربول لم يكتف بطرح القضايا التي تتعلق بالاسرة والسلوكية الجنسية وحسب، بل تطرق الى العديد من القضايا

الراعوية كامكانية رسامة رجال متزوجين، وقبول مبدأ رسامة قسيسات، واقامة حفلات توبة تمنح خلالها الحلة الجماعية، وتعميم منح التناول على الشكلين واتاحة الفرصة لاشتراك غير الكاثوليك في الاوخارستيا في مناسبات خاصة.. ويخلص الى القول بان هناك، بين البابا وبين قادة التحدد في الكنيسة الانكليزية، تفاوتا كبيرا في المفاهيم ووجهات النظر حول هذه القضايا. ولا شك ان الكردينال هيوم كان يلمح الى هذه التفاوت حين توقع ان يفوه البابا بكلمات "يصعب سماعها"!

• ومع ذلك.. فلا زال الامل قائما

ان زيارة البابا يوحنا بولس الثاني الى المملكة المتحدة هي ولا شك زيارة راعوية مسكونية يلتقي فيها قداسته بالكنيسة الكاثوليكية من جهة، وبالكنيسة الانكليكانية والكنائس الاخرى من جهة ثانية. وغني عن القول بان هذا الجانب من الزيارة يتخذ اهمية كبرى في نطاق الحركة المسكونية التي منيت بشيء من التعثر والتحفظ، في الاونة الاخيرة، ليس في الاوساط الكاثوليكية وحسب، وانما في الاوساط غير الكاثوليكية ايضا. فمن دواعي الامل ان يكون البابا قد عزم الذهاب الى كونتربري وقبل دعوة الدكتور رونسي الى الاشتراك بخدمة دينية بصحبة ممثلين عن الاتحاد الانكليكاني والكنائس الانجيلية والارثوذكسية. وتجدر الاشارة الى ان من اهداف هذه الصلاة المشتركة بين اقطاب الكنائس المسيحية، المجاهرة بالايمان المشترك واعلان رجاء مشترك ورؤية مشتركة حول مستقبل العلاقات بين الكنائس المسيحية. وستتضمن هذه الخدمة الدينية المسكونية قراءة لنص من الانجيل يتلوها بالتناوب البابا ورؤساء الكنائس، تليها مجاهرة مشتركة بالتزامات العماذ وتلاوة صيغة لقانون ايمان مشترك.

ومن المتوقع ان يتم، في نطاق الساعات القليلة التي يقضيها قداسه البابا في كونتربري، لقاء بينه وبين رؤساء الكنائس الانكليزية يجري خلاله تبادل وجهات النظر حول العلاقات المسكونية والسبل الكفيلة بدفع عجلة الوحدة المسيحية الى امام.

---

(١) اول لقاء بين روما وكونتربري جرى بين البابا بولس السادس والدكتور ميخائيل رامسي في روما في اذار ١٩٦٦، واتفقا على فتح الحوار اللاهوتي عن طريق لجنة مشتركة بدات اعمالها عام ١٩٧٠. ومنذئذ انطلقت حركة تقارب كبيرة بين الكنيستين وترسخت في عهد الدكتور دونالد كوكان(١٩٧٤) وخلفه الدكتور روبرت رونسي الذي تسلم دفة الكنيسة الانكليكانية في ٢٥ اذار ١٩٨٠ (ف.م.اذار وايار ١٩٨٠) والذي التقى بالبابا يوحنا بولس الثاني في ايار ١٩٨٠ في غانا (ف.م. حزيران ١٩٨٠).

(٢) تعتبر هذه القضية من اكثر القضايا تعقيدا في اطار العلاقات الكاثوليكية – الانكليكانية، وذلك منذ ان اصدر البابا لاون ١٣ عام ١٨٩٦ مرسوما يقضي ببطلان الرسامات التي تمت في اعقاب الانقسام الذي حدث بسبب عدم موافقة البابا على طلاق الملك هنري الثامن(١٤٩١–١٥٤٧). ويعتقد العديد من اللاهوتيين ان هذا المرسوم تنقصه الموضوعية في شكله وفي الاسس والادلة التي اعتمدها. وتجدر الاشارة الى ان اللجنة الكاثوليكية – الانكليكانية المشتركة قد انكبت على دراسة هذه القضية الشائكة وخرجت بتقرير عام ١٩٧٩ يوصي باعادة النظر في المرسوم انطلاقا من "الوفاق" الذي توصلت اليه اللجنة في ما يتعلق بالكهنوت والخدمة الكنسية.

ش.ر./أيار ١٩٨٢

دور الشباب في حياة الكنيسة

الشباب هم امل الكنيسة: على سواعدهم تقوم، ومن طاقاتهم الزاخرة بالنشاط تستمد روح البذل والعطاء، وبفضل وعيهم والتزامهم الجاد بمسؤولياتهم تستعيد شبابها للمضي قدما في تحقيق رسالتها في الشهادة لانجيل الحب والحرية والفرح والرجاء... بهذه العبارات طرحت "الفكر المسيحي" في العدد ١٧٣ سؤالا للمناقشة، وكانت تأمل ان يكون الشباب كثرا في الاجابة اليه!

ويحق لنا، قبل ان نعكس بعض الاجابات التي وردتنا، ان نتساءل عن سبب احجام الشباب -ولهم ما يقولونه في الموضوع- عن الادلاء بآرائهم ومقترحاتهم، في هذه الزاوية التي اردناها بمثابة "منبر حر"! اهو غياب مساهمتهم في حياة الكنيسة ورسالتها ونشاطاتها... ام هو تنصل عن دورهم ومسؤولياتهم؟ اهي اللامبالاة، مقصودة ام غير مقصودة، مُنِيَ بها شبابنا المسيحي تجاه الكنيسة بفعل التحولات الفكرية والاجتماعية والسياسية...ام هي ردة فعل طبيعية تجاه رجال الكنيسة الذين لا يطيب لهم ان "يتدخل" العلمانيون، والشباب منهم بنوع خاص، في ما يعتقدونه من شانهم وحدهم؟ اليس هناك شعور خاطئ -يتقاسمه الشباب ورجال الكنيسة معا- حول جدارة العلمانيين وكفاءتهم للقيام بدور فاعل في حياة الكنيسة؟ وهذا السؤال ذاته يلد اسئلة اخرى: ما هو حجم المسؤولية الملقاة على عاتق الشباب في اثبات جدارتهم؟ وما هو حجم المسؤولية الملقاة على عاتق المسؤولين الكنسيين في الاعتراف بدور الشباب واعدادهم لهذا الدور؟

اسئلة ذات شجون طالما ايقظتها "الفكر المسيحي" بدافع من ايمانها العميق برسالة العلمانيين واوجه ممارستها المتعددة، وانطلاقا من ثقتها بقدرات الشباب وامكاناتهم على مد كنيستنا العراقية بالنشاط والحيوية. فلقد اكدت الاجابات -على قلتها- بان للشباب دورا متميزا يلعبونه في حياة الكنيسة، الا ان معظمها لم يدخل في تفاصيل هذا الدور وكيفية ممارسته، الى جانب العوائق التي تعترضه.

●

كتب **سولاقة بهنام دانو** (قره قوش) يقول بان "الكنيسة تحيا في الشباب" وان "الشباب مراة تعكس وجه الكنيسة الحقيقي... وبدونهم تضحي الكنيسة غافية". وذهب **جرجيس عبد الاحد اسحق** (قره قوش) في التاكيد على ان "الكنيسة بحاجة الى الشباب لتحديد روحيتها وبداية ولادتها الجديدة... انهم امل الكنيسة في حاضرها ومستقبلها". وفيما لفت الانتباه ان عملية التحديد هذه تحتاج الى روح المبادرة الفردية والجماعية، اخلص الى القول بان اللامبالاة لدى الشباب تحول دون تحقيق هذه الطموحات.

واجاب **عادل طوبيا بطرس** (جامعة الموصل) الى الشطر الاول من السؤال

المطروح: "كل مسيحي مخلّص، بصفته عضوا في الكنيسة، تترتب عليه مسؤولية بذل قصارى جهده في خدمة الكنيسة... ويجب علينا، نحن الشباب والشابات، ان تتضافر جهودنا في خدمة الكنيسة عن طريق المساهمة بالنشاطات الكنسية، كل حسب قدرته...".

وازاء النقص في الثقافة الدينية الذي يعاني منه الشباب، يقترح على الشباب ان يسعوا الى تعميق ثقافتهم عن طريق قراءة الكتب الدينية والمشاركة في الندوات والحلقات الدراسية ومتابعة اخبار المجالس الخورنية والابرشية والمساهمة في اعمال الجمعيات الخيرية الخ...

اما بالنسبة الى الشطر الثاني من السؤال، وهو في رايه اهم ما في المناقشة: الى اي مدى يفسح لك المسؤولون الكنسيون ممارسة هذه النشاطات، وما هي طبيعة العوائق، فيقول: "مع شديد الاسف، هناك بعض المسؤولين الكنسيين يحسبون انهم المسؤولون الوحيدون عن الكنيسة، وليس للاخرين فيها راي! فنراهم يهملون الشباب ويعاملونهم تارة بجفاء وتارة باللامبالاة، في حين يقربون اليهم عددا ضئيلا بمثابة "حاشية" —اذا سمحتم لي بهذا التعبير—، مما يزيد الاخرين ابتعادا عن الكنيسة. فالمطلوب من رجل الكنيسة ان يكون ابا للجميع ويوجه اهتمامه الى الشباب بنوع خاص، ويسعى الى تفهمهم والوقوف على معاناتهم وامانيهم، ويحملهم من ثم على المشاركة في الرسالة الانجيلية".

وترسم اجابة **حبيب هرمز ججو** (جامعة الموصل) لوحة للنشاطات التي يمكن للشباب ان يؤدوها، وفي مقدمتها اعلان بشرى الانجيل عن طريق المشاركة في التثقيف المسيحي، شريطة "ان يكونوا اهلا لهذه المهمة... ويكون للاساقفة والكهنة مفهوم ثابت وواضح عن دور الشباب فيها". وفي معرض حديثه عن العوائق التي تعترض هذه المشاركة، يشير الى شبه انعدام الثقافة الدينية لدى الشباب، وينحي عليهم باللائمة بسبب اللامبالاة التي يبدونها تجاه الدين والكنيسة، كما انه يوضح مسؤولية هذه اللامبالاة على الكهنة انفسهم، سواء اولئك الذين تنقصهم القناعة بمبدا مشاركة العلمانيين، ام اولئك الذين، بحكم رؤية سلطوية لدورهم، يابون ان يفسحوا للعلمانيين مجالات المشاركة؛ فضلا عن عدم الثقة التي يبديها احيانا الشعب المسيحي تجاه رسالة العلمانيين الشباب. ويخلص الى تقديم بعض الاقتراحات التي من شانها ان تساهم في خلق كنيسة شابة اصيلة متجددة:

١ — انشاء مجلس في كل خورنة يضم كهنة وعلمانيين شبابا يتمتعون بمؤهلات في التخطيط لروح مسيحية عميقة في كافة المجالات.

٢ — تنظيم دورات لاهوتية في كل مدينة ذات كثافة مسيحية تطرح خلالها الدراسات العميقة التي تسهم في خلق جيل مثقف دينيا.

٣ — العمل على انشاء مكتبة دينية في كل كنيسة ومركز، تعتمد مبدا الاستعارة.

٤ — الاهتمام بالشمامسة الشباب وتلقينهم اللغة السريانية كي يصبحوا قادرين على احياء الحفلات الطقسية التي تسهم في بعث الحياة المسيحية.

وفيما اكدت **جميلة بولس بطرس** (شقلاوة) على اهمية التعليم المسيحي للصغار وترى في مساهمتها الفعلية بهذا العمل –وقد دابت عليه منذ ٣ سنوات– اسلوبا للمشاركة في حياة الكنيسة ورسالتها، حيث انها من خلاله "تتعلم وتعلم"، اتسمت اجابة **حاتم مروكي ميخا** (تلكيف) برؤية شاملة للدور الذي على الشباب ان يمارسوه:

على الشباب ان يعوا بان دورهم الحقيقي هو في ان يكونوا قادة متميزين في الكنيسة، لا اتباعا طفيليين لها. والمطلوب من الشباب هو ان يلتزموا بمسؤولية نبوية في الكنيسة، ويفهموا ان لا معنى للافكار الانجيلية التي يبشرون بها ان لم يكن لهم الاستعداد الاصيل لتجسيد هذه الافكار والقيم في حياتهم اليومية... فليس الانجيل كتابا "نتثقف" به، بل بشرى نحياها...

فالصيغة التي اعتقد انها الاساس لاي دور يقوم به الشباب في الكنيسة، هو ان ينتظموا في جماعات تقرر ان تحيا حياة مسيحية صادقة وتسعى الى الخدمة... ويمكن لهذه الجماعات الصغيرة ان تتخذ شكل:

١ – مجلس شبابي تعترف به الكنيسة، مهمته تنظيم وتقييم نشاطات الشباب في الكنيسة، ويكون له ممثلون في المجالس الخورنية والابرشية بحث يتسنى لافكاره وتوصياته ان تكون موضوع اهتمام.

٢ – اخوية شبابية تحاول ان تحقق نوعا من الحياة المشتركة وتكون الطليعة في كل عمل تتبناه الكنيسة من اجل الجماعة المؤمنة.

٣ – رابطة فكرية ثقافية تعمل على بلورة الطموحات التي يحملها الشباب حول الكنيسة وممارساتها، سواء من خلال لقاءات دورية بين الشباب ام من خلال نشرة يكتب موادها الشباب انفسهم.

وفيما اكد على ما للشباب من طاقة متميزة للمشاركة في مجال التعليم المسيحي الذي يستهويهم اكثر من نشاط المؤسسات الخيرية "التي تسيرها اهداف تقليدية"، لفت الانتباه الى اهم عقبة تعترض مسيرة الشباب وتحول دون تحقيق التحديد الجذري المتوخى:

"كنيستنا الى حد الان، وفي الكثير من مفاصلها الحساسة، هي كنيسة كهنة لا كنيسة شباب. وحتى لو كان هؤلاء الكهنة يحملون رسالة التحديد المسيحي المطلوب – ونضرب صفحا عن الكهنة "الموظفين"، وما اكثرهم!– فان الساحة ما تزال غير مهيأة لنشاط الشباب النبوي، ما دام الشباب قد اعتادوا انتظار المبادرات الجاهزة التي يقدمها لهم كهنتهم! فمثل هذه المبادرات، بالرغم من ايجابياتها، لا تستطيع ان تكسب اهتمام الشباب بشكل يمكن الاعتماد عليه في مجمل نشاطات الجماعة المسيحي

الكنيسة والثقافة

أصدت "الفكر المسيحي" لهيئة كنسية جديدة استحدثها البابا يوحنا بولس الثاني، مهمتها تنشيط وتنمية "الثقافة" في خواصها الذاتية وفي مردوداتها الايجابية على حياة الكنيسة ورسالتها... ولما كان لهذا "الجهاز" الكنسي الجديد اهمية كبرى على مستقبل الحوار بين الكنيسة والحضارت الانسانية من اجل بناء عالم اكثر انسانية، يرسم التقرير التالي خطوطه العريضة.

في العشرين من ايار الماضي استحدث البابا يوحنا بولس الثاني "المجلس الحبري للثقافة" عبر رسالة وجهها الى الكردينال كاساروللي امين سر دولة الفاتيكان. وقد جاء انشاء هذا المجلس منسجما مع قناعة البابا بضرورة الحوار بين الكنيسة وحضارات عصرنا، هذا الحوار الذي يتعلق به مصير العالم، على حدّ تعبيره، وقد سبق له ان اعلن ذلك في خطابه التاريخي في مقر اليونسكو بباريس، في ٢ حزيران ١٩٨٠، حين قال بان "مستقبل الانسان يتعلق بحضارته". ومنذئذ تكثفت المشاورات والدراسات حول علاقة الكنيسة والحضارة في مختلف تعابيرها وجوانبها، وكان للكردينال غارون الفضل الكبير في نشاة هذا المجلس الذي يرئسه بتعيين من البابا.

وياتي تاسيس المجلس الحبري للثقافة، على حد تعبير البابا، بمثابة تجسيد لتوجيهات المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني الذي وضع في وثيقته الشهيرة "الكنيسة في عالم اليوم" اسس العلاقة القائمة بين الكنيسة والثقافة[1] حيث اكد على اهمية الثقافة لرقي الانسان، وشدد على الوشائج الكثيرة التي تربط بين رسالة الخلاص والحضارة، وحدد مدى التفاعل الذي يجب ان يتم بين الكنيسة والحضارات الانسانية، ودعا المؤمنين الى ادراك صيغ التفكير والذهنية لدى ابناء عصرهم من مختلف الحضارات، بهدف تطعيمها بطابع المسيحية.

وفي رسالته الى الكردينال كاساروللي، استشهد قداسته بسلفه الطيب الذكر بولس السادس الذي كان قد اكد في ارشاده الراعوي "اعلان الانجيل" (١٩٧٥) بان الانجيل، ومن ثم التبشير بالانجيل، وان كنا متميزين ومستقلين عن الحضارات، فانهما يجدان تجسدهما في اناس ينتمون الى حضارة معينة، ولا يمكن الا يستعير بناء الملكوت عناصر الحضارة والحضارات (عدد ٢٠). كما جدد قداسته ما اعلنه في اليونسكو بشان الرباط العضوي بين المسيحية والثقافة، اي بين الانجيل والانسان في كنه انسانيته قائلا: "ليس التفاعل بين الثقافة والايمان من متطلبات الثقافة وحسب، وانما هو من متطلبات الايمان

ايضا"، مخلصا الى القول: "في الوقت الذي تلهم قادة الفكر الايديولوجيات اللاأدارية المعادية للتقليد المسيحي او تلك التي تعلن الحادها بشكل واضح، يتحتم على الكنيسة، وباولى حجة، ان تدخل في حوار مع الحضارات كي تمكن انسان اليوم ان يكتشف من ان الله ليس منافسا للانسان، وانما يمنح الانسان قدرة اكبرعلى تحقيق ذاته بشكل تام... بحث يصبح لقاء الحضارات ساحة حوار فريدة بين كل البشر الذين يسعون في البحث عن انسانية جديدة لعصرنا، بغض النظر عن كل الخلافات التي تفصلهم". وتمنى قداسته ان يحقق المجلس اهدافه بروح مسكونية ويعمل على ترسيخ لقاء الانجيل مع تعدد الحضارت ويسعى الى تنمية الحوار بين الديانات المختلفة وحتى الجماعات التي لا تنتمي الى اي دين.

وبعين الاطار، وعلى بعد ٤ ايام فقط من انشاء المجلس الحبري للثقافة، استقبل قداسة البابا اعضاء لجنة "المركز الكاثوليكي الدولي لليونسكو" الذي عقد مؤتمره العاشر في روما من ٢٢- ٢٤ ايار حول موضوع "الكنيسة والثقافة" –وتناولت دراساته اربعة اوجه ذات مغزى عميق (الثقافة والتقدم، خاصية الثقافة وشموليتها، الثقافة والابلاغ، الديانات والحضارت)– ووجه اليهم خطابا اكد فيه على الاهتمام الذي يوليه الكرسي الرسولي للحوار بين الكنيسة والحضارات، مشددا على كون هذا الحوار "مجالا حيويا للكنيسة وللانسان"، ومشيرا الى "ان الرباط القائم بين الانجيل والانسان هو مصدر حضارة". وفي معرض حديثه عن المجلس الذي انشاه قداسته، اشار الى الاهداف التي يتوخاها وهي: الشهادة امام العالم عن اهتمام الكنيسة، والكرسي الرسولي بنوع خاص، باشاعة الثقافة وتنميتها، والسعي الى تعميق حوار الحضارات بهدف البلوغ الى حوار فعال بين الانجيل والحضارات المختلفة، وتعبيد السبل المؤدية الى تطعيم الحضارات الانسانية بروح الانجيل، والتعاون الجاد والبنّاء مع كل المؤسسات الدولية التي تهتم بشؤون الثقافة، وفي مقدمتها منظمة اليونسكو...

الانجيل والثقافة

"بين بشارة الخلاص والثقافة صلات متعددة. فالله، اذ كشف عن ذاته لشعبه حتى ظهوره التام في ابنه المتجسد، تكلم وفقا لانواع ثقافة يمتاز بها كل عصر عن غيره. وكذلك الكنيسة التي مرت عبر الاجيال باوضاع حياتية منوعة، استعملت مرافق الثقافات المختلفة لتنشر بشارة المسيح بين الامم.

وفي الوقت الذي ارسلت الكنيسة الى كل الشعوب في كل الازمنة وفي كل الاماكن، الا انها لا ترتبط باي عرق او امة ولا باية طريقة حياة خاصة ولا باية عادة قديمة او حديثة ارتباطا لا ينفصم وينفي كل ارتباط اخر. انها تستطيع التجاوب مع الثقافات المختلفة لانها امينة دائما لتقليدها الخاص وتدرك تماما ان رسالتها شاملة: وينتج عن ذلك زيادة في الغنى الذاتي وغنى للثقافات المختلفة.

ان الانجيل المسيح يجدد دوما حياة الانسان الساقط وثقافته...انه لا ينفك ينقي آداب الشعوب ويرفع مستواها،وبخيراته العلوية يجعل الصفات الروحية والمواهب الخاصة بكل شعب وبكل جيل تثمر وكأن ثمارها تنبع من الداخل...".

(وثيقة "الكنيسة في عالم اليوم")

وعلى ذكر اليونسكو، اشاد قداسته بالدور المشترك الذي تقوم به الكنيسة واليونسكو، كل منهما في نطاق اختصاصاته واهدافه، من اجل تنمية الثقافة بما يؤول الى خدمة الانسان وارتقائه. كما اثنى على الدور الذي يلعبه "المركز الكاثوليكي الدولي لليونسكو" ليس في بلورة التوجهات والمبادرات التي تصدرعن اليونسكو وحسب، وانما في تدعيم الاسس الفكرية لحوار الحضارات "بمنظور انتروبولوجي (انساني) ينسجم مع الايمان".

عن هذا الحوار قال الاب ايف كونكار اللاهوتي الدومنيكي الفرنسي الشهير في مقابلة اجرتها معه صحيفة لاكروا (٢٢ حزيران) في اعقاب انشاء المجلس الحبري للثقافة: "يبدو لي ان مبادرة البابا تدخل ضمن التيار الذي خلقه المجمع المسكوني بانشاء عدد من امانات السر التي هي وسائل للحوار. والحوار يعني امكانية التكلم والاصغاء، امكانية الاخذ والعطاء". وفيما اثنى على الانجازات التي حققتها امانات السر، وفي مقدمتها امانة سر وحدة المسيحيين وامانة سر العلاقة مع الديانات غير المسيحية ومع غير المؤمنين... قال: "اعتقد ان انشاء مجلس الثقافة يدخل في اطار هذا التوجه الذي يقوم على العطاء (...) ويبدو لي ان هذا التوجه هو في بالغ الاهمية، اذ ان الثقافة، كما جاء في خطاب البابا في اليونسكو، هي بحق المجال الذي من خلاله يعبر كل شعب عن ذاته، وبواسطته يتمكن كل انسان ان يمارس انسانيته كاملة، وغني عن القول بان الثقافة تخص عن قرب الايمان والتعبيرعنه".

وفيما اشار الاب كونكار الى تعدد الثقافات والحضارات التي تمر اليوم بازمة التشتت والضياع، اكد ان من واجب الكنيسة ان تدرك بانها لن تستطيع اليوم ان تجعل توجهاتها اسيرة الفكر السكولاستيكي (المدرسي) الذي اعتمد لاهوت وفلسفة القديس توما الاكويني، بالرغم من ايجابياته التي الهمت مواقفها وتوجهاتها في القرون السالفة، ويتحتم عليها ان تواجه التحولات العصرية بلغة جديدة وذهنية عصرية. وهكذا يرى الاب كونكارفي ميادرة البابا بخلق مجلس الثقافة "مغامرة رائعة"، شريطة ان لا يتحول الى جهاز "اكليريكي عقيم"، بل يكون قادرا على خوض مغامرة الانفتاح، مع كل ما يرافق هذا الانفتاح من امكانية التعثر والزلل. ان لموضوع العلاقة بين الايمان والحضارة اهمية كبيرة في عصر التحولات الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية. من هذا المنطلق انكبت وثيقة المجمع المسكوني الشهيرة "الكنيسة في عالم اليوم" على اكتناه علامات هذا التحول الكبير في حياة الانسان المعاصر بفضل العلوم الطبيعية والانسانية والاجتماعية، "بحيث اصبح من الممكن، على حد تعبير الوثيقة، التكلم عن طور جديد لتاريخ الانسان"، هذا التاريخ الذي يتميز بالتبادل والحوار بين الحضارت. وعلى هذا الاساس شددت الوثيقة على دور الايمان في اغناء الثقافة وتطعيم الحضارة، مناشدة المسيحيين الى المساهمة في بناء عالم اكثر انسانية: "عندما يزرع الانسان الارض بيديه او بالادوات التقنية حتى تثمر ثمرا وتصبح مسكنا لائقا بالعائلة البشرية كلها، وعندما يشترك عن وعي بحياة الفئات الاجتماعية، فانه يحقق تصميم الله (...)، وعندما ينكب الانسان على الفروع المختلفة من فلسفة وتاريخ ورياضيات وعلوم طبيعية، وعندما يتقن الفنون، يستطيع ان يساهم مساهمة كبيرة ليفتح عيون العائلة

البشرية على اسمى القيم من خير وحق وجمال، فتنظر الى الاشياء نظرة لها قيمة شاملة".

وفيما حذرت الوثيقة من الخطر الناجم عن تقدم العلوم والتقنية إذا ما "اصبحت اساليب البحث الخاصة بهذه العلوم قاعدة عليا للكشف عن كل حقيقة"، وحملت الانسان على الاعتقاد بانه مكتف بذاته، ابت ان تقود هذه النتائج السلبية الى تجاهل قيم الثقافة الايجابية واهمها: الامانة المتواصلة للحقيقة في الابحاث العلمية، والتضامن الدولي الذي تخلقه والشعور العميق بالمسؤولية التي يحملها العلماء في سعيهم الى بناء عالم تتوفر فيه لكل الناس اوضاع حياة اكثر حظا...

---

(١) حددت الوثيقة كلمة "ثقافة" بمعناها الواسع: "كل ما يستخدمه الانسان لصقل وتنمية امكاناته المتعددة، الفكرية والجسدية، مجتهدا الى اخضاع الكون بالمعرفة والعمل... مترجما، ناشرا وحافظا في مؤلفاته، عبر الازمنة، الاختبارات الروحية الكبيرة ونزعات الانسان العظمى حتى تستخدم لتقدم اكبر عدد من البشر". وتطرقت الوثيقة الى تعدد الثقافات التي هي حصيلة انماط حياة متنوعة ومقاييس مختلفة للقيم لدى كل جماعة بشرية.

الحب.. نظرة وآفاق

الحب! كلمة صغيرة تختفي وراءها معان لا يطالها سوى من خبر الحب في كل ابعاده وتعابيره.. الحب والحياة وجهان لا ينفصلان لحقيقة واحدة: فالحياة هي الحب والحب هو الحياة. من يحب يولد للحياة، ومن لا يحب لا يعرف طعم الحياة! خلق الانسان لكي يحب: فاذا أحب كانت له الحياة وكانت له كاملة في كل اوجهها... من لا يحب يثبت في الموت.. اما من يحب فقد انتقل من الموت الى الحياة.

الله محبة! "كل من يحب فهو مولود من الله ويعرف الله. ومن لا يحب لا يعرف الله، لان الله محبة" (١ يو ٤: ٧-٨). فكل حب انما يصدر من الله! واذا كانت هناك اشكال من الحب، الا انها كلها تنطلق من ينبوع واحد وتصب في مجرى واحد: الحب واحد وحركته واحدة، سواء اتجهت شطر الله ام البشر...

قد يخيل للقارىء، لأول وهلة، اننا نذهب بعيدا عن موضوع المناقشة الذي اطلقته المجلة في العدد ١٧٧ تحت عنوان "نظرتنا.. الى الحب"، ويتساءل: اليس المقصود هو الحب البشري في اطاره العاطفي والحسي والذي تمتزج فيه الغرائز والنزوات؟ أليس الحب البشري، في طبيعته ومظاهره، بعيدا عن الحب الذي نكنه لله ولاخوتنا البشر؟ واذا كان الحب البشري قبسا من حب الله، فلماذا يا ترى تتخلله الاثرة والانانية والكذب والاستغلال... وكلها تتنافى مع الحب الصادق النزيه الذي يقوم على الاحترام والثقة والصراحة ونكران الذات والعطاء والتجرد والتضحية...؟

من هنا تنشأ علامات الاستفهام التي يضعها "المجتمع" على الحب، متوجسا شرا في كل علاقة حب تنشأ بين شاب وشابة. ولكن من هو هذا "المجتمع" الذي نحمله تبعة هذه النظرات السلبية الى الحب؟ اليس نحن جميعا، آباء وامهات، شبابا وشابات، اساتذة ومربين...؟ السنا جميعا نساهم، بقليل او بكثير، في تكوين هذه النظرة وترسيخها، فينا وفي الآخرين، حين نابى ان نواجه الواقع الانساني ونرفض النظر الى هذا الجانب العاطفي من حياة الانسان بعيون جديدة، او حين نرضى بالتستر وراء التقاليد والعادات الموروثة ونكتفي بالتأوه والتحسر على الماضي؟!

كل فرد في المجتمع، على طول السلم الاجتماعي، يتحمل قسطه من المسؤولية في قضية الحب: فحين يحكم مسبقا على علاقة حب بانها مشبوهة، السنا نقطع الطريق لنشوء علاقات حب نزيهة؟ وحين ينظر الشباب انفسهم الى اية "علاقة" نظرة التساؤل والظنون، يتخللها التندر والاستهزاء، اليست تلك ادانة مسبقة للحب في اولى مظاهر؟ وحين يرى الشاب في الفتاة لقمة سائغة لاشباع نزواته..او حين ترى الفتاة في كل شاب "ذئبا" يريد افتراسها فتتجنبه من اول مبادرة...الا تسد هذه المواقف الطريق بوجه الحب الصحيح؟ وحين يتوجس الشقيق الكبير -وحتى الصغير احيانا!- شرا في "طلعات" ومكالمات اخته.. وحين تحذر الام ابنتها من التحدث الى الشباب بحجة صيانة السمعة.. او حين يحاسب الاب ابنته على لقاء او حديث مع شاب نقله اليه "صديق مخلص" (!)... اليس هذا التوجس وهذه التحذيرات والمحاسبات في اصل الكثير من العقد التي تمنى بها الفتاة وهي في عمر الاختبار والاختيار؟

من اجل "رد الاعتبار" للحب الصادق النزيه طرح عدد من المشاركين آراءهم حول السؤال المطروح للمناقشة، وهم حبيب هرمز حجو (خريج - بغداد)، نادية عزيز مستي (طالبة - بعشيقة)، غدير الصواف (طالب - الموصل)، وعدالله ايليا كرومي (قره قوش)، جميلة بولص بطرس (معلمة - شقلاوة)، يعقوب افرام منصور (موظف - بغداد)، غدير برصوم (الموصل)، غسان سالم حنا (معلم - قره قوش)، شموني يوحنا كليانا (طالبة - تلكيف)، نجيب ميخائيل (مهندس - بغداد)، فؤاد كامل يوحنا (سميل)، سلافة بهنام دانو(قره قوش)، عادل طوبيا بطرس (جامعة الموصل)، و.غ (موظفة - بغداد)، ج.ب. (جامعة الموصل)، خميس (قره قوش). وسنكتفي بذكر الاسم الاول في نقل اجاباتهم.

الحب..؟ ما اسماه!

"نظرتنا الى الحب"! هذا الموضوع الحيوي -كما وصفه اكثر المشاركين- القى عدد من القراء دلوهم فيه، وقد افتتحوا اجاباتهم بإعلاء شان الحب والتاكيد على قيمته وابعاده الانسانية والروحية.

كتب يعقوب: "الحب ضرب من عبادة الجمال وتامل المحاسن وتقييم الخصال والتشوق الى اللقاء والتحدث، والوجد والهيام بالمحبوب في غيابه وحضوره وتحمل المشاق لاسعاده... واذا رافق كل ذلك اعتصام بالفضيلة وتمسك بالطهر والتعفف، بلغ الحب منزلة الذروة". ورجع عادل الصدى قائلا: "الحب، كلمة كبيرة في معناها.. ولن يستطيع احد ان يعطيها كل حقها...الحب زاد الانسان، وبدونه لا يستطيع العيش". وذهبت جميلة الى القول: "قلب الانسان ينبض بالحب، ولا بد ان يفيض هذا الحب على نصفه الآخر... الحب قبس من الله الذي "هو محبة"، وهو بالتالي شيء مقدس. وراح غدير برصوم يبرز المكانة التي يوليها الكتاب المقدس للحب، مستشهدا بعبارات من سفر نشيد الاناشيد والعهد الجديد، مخلصا بان الحب مقدس لان الله مصدره. وهكذا ردد سلافة: "الحب عين تنهل منها مياه الحياة.. مياهاً ارتوى منها المسيح... ولغة تحدث بها واوصانا ان نتعامل معها".

وذهب العديد من المشاركين الى التمييز بين الحب المشبوه والحب النزيه، ونتساءل: هل هناك حبان؟ وهل الحب الذي يقوم على الغش والكذب والخداع والاستغلال... حبا؟ اليس هو بالاحرى تشويها للحب؟

كتب فؤاد: "هناك نوعان من الحب: حب مصالح، حين يحاول كل من الطرفين، في مرحلة من العمر، اشباع نزواته من خلال تستره وراء غطاء الحب... والحب الصادق العفيف يتخطى كل العقبات ويتكلل بالزواج". وقالت شموني: "ليست كل نظرة اعجاب او كل همسة او اية علاقة بين شاب وشابة..علاقة حب، وانما بعض مظاهرها"، وفيما اكدت على ان الحب "عطاء دون مقابل"، تساءلت كيف ينحرف هذا العطاء ليصبح وسيلة للبلوغ الى نزوة عابرة! وخرجت جميلة بهذه النتيجة: "شباب اليوم ليست لديهم فكرة عن تلك الصورة المشرقة للحب"! وذهب غيرها الى تحميل الشباب مسؤولية هذه الصورة المشوهة للحب حين "يتستر الشباب وراء الحب في استغلال دنيء تنعكس نتائجه وبالا على الآخرين" (عادل)، وحين "يصبح الحب طريقا الى المتعة الذاتية الانانية والتظاهر.. وكأنه ملهاة والعوبة" (وعد الله)، او حين يضحي شكلا من اشكال المغامرات

التي يتبارى فيها الشباب ويتندرون بها عبر هذا السؤال التقليدي: ماذا عن مغامراتك مع الفتيات؟ (ج.ب.) مخلصا الى ان "الحب اكبر واعظم من ان يكون مجرد متعة جنسية".

مجتمع قاس.. لا يقيم الحب!

اذا كانت التعثرات والنكسات التي ترافق نشوء الحب بين الشباب والشابات في اصل تلك النظرة السلبية التي يحملها المجتمع، افذلك يبرر توجس المجتمع من كل علاقة حب ولا سيما تلك العلاقة التي تتصف بالجدية والبراءة والاهداف الرفيعة؟ واذا سلمنا بان الحب يتعرض، في انطلاقته ومسيرته، لتعثرات وانتكاسات وحتى لانحرافات وسقطات... افذلك كاف لكي ينظر المجتمع الى كل حب نظرة شك وارتياب ويحكم على كل علاقة بالعقم والفشل؟ اليس التردد والتذبذب يلازمان الاختيار؟ اوليس الاختبار طريقا الى الاختيار؟

من هذا المنطلق انحى المشاركون باللائمة على "المجتمع": يقول "خميس" بان "المجتمع يرى في علاقة الحب فعلا شنيعا"، ويوافقه عادل: "ما زال مجتمعنا يعتبر الحب شيئا غير مسموح به وكأنه من المحرمات... فالذي يحب، ينظر، اليه وكأنه خارج عن القانون.. والتي تحب، تعتبر خاطئة"! ويعدد حبيب الاسباب التي تختفي وراء هذه النظرات السالبة: "١- الاعتقاد السائد بان الحياة ليست سوى مجموعة من العادات والتقاليد التي لا يمكن تغييرها، ٢- التفاوت الفكري والثقافي بين جيل الآباء وجيل الأبناء، ٣- الجهل السائد لدى غالبية الناس حول معنى الحب وعدم التمييز بين الحب والغريزة الجنسية، ٤- اقتفاء المربين طريقة الاجداد في تربية الجيل الجديد وكأن الزمن لم يتحرك...". وفيما قال غدير الصواف: "ان واقع الحب مرتبط بالعادات الاجتماعية الموروثة من عهود التخلف"، مؤكدا بان الانتقال لا يتم الا "بالايمان بقيمة الحب الذي هو غاية بحد ذاته"، استدرك غسان قائلا: "مجتمعنا بعيد كل البعد عن مفهوم الحب الحقيقي بحكم القوانين والتقاليد البالية التي لا تنطلق من مفهوم الانفتاح والحرية"، ويرجع ج . ب. علامات الاستفهام التي يضعها مجتمعنا "الى عدم ثقته بعلاقة الحب... بحيث ادت التقاليد المجتمعية القاسية الى عزل الجنسين مما ساهم في خلق العديد من العقد... فلا عجب اذا ما تعرض الشاب او الشابة لتصرفات منحرفة ما ان خرجا من عزلتهما وانتقلا الى جو مختلط". وتساءلت و.غ.، بقلق واسى عميقين في ما اذا كانت كل المجتمعات في العالم ترى في الحب خطأ، مخلصة: "الى متى يبقى الحب مرفوضا في مجتمعنا؟... والى متى نبقى اسرى عقلية محيطنا؟". ورجع نجيب صدى هذا القلق قائلا: "ان الاسرة التي نشأ فيها كل منا تمثل وجها من اوجه المجتمع الكبير؛ وبالتالي، فان عادات وتقاليد مجموع الاسر تكون الصورة المتكاملة لمجتمع ما... فمن المؤلم ان يدفع المرء مكرها ضريبة دون ارتكاب ذنب معين سوى ان مجتمعه لا يجيز له العمل الفلاني، بالرغم من احترام كل مجتمعات العالم المتمدنة لذاك العمل". ويواصل تحليله لهذه الظاهرة ويعزوها الى عاملين: "طبيعة المجتمع الشرقي الذي يحمل نظرة ضيقة الى الحب، والمستوى الثقافي حيث يشكل "المثقفون" في مجتمعنا نسبة ضئيلة".

عقبات بوجه الحب

وتناولت الاجابات ابرز العقبات (دينية، اجتماعية، اخلاقية) التي تعترض سبيل الحب والتي تقع مسؤوليتها على الوالدين والشباب انفسهم.

اكد معظم المشاركين بان الدين لا يشكل عقبة، سيما وانه يقدس الحب ويدعو اليه. فكتبت شموني تقول: "الله محبة.. فكيف يكون الدين عقبة في طريق الحب الطاهر الشريف؟"، ويوافقها في الراي ج.ب. قائلا: "حين نحب، نمسك باحد خيوط الحب اللامتناهية... فالحب السليم لا يتعارض مع الدين والقيم الاخلاقية". وفيما حذرت شموني من مغبة علاقة حب بين شخصين من دين مختلف، اشار حبيب الى ان الكنيسة تقصر احيانا في اعطاء ثقافة مسيحية مطعمة بنظرة انسانية واعية في قضايا الحب...، كما وجه غدير الصواف اللوم الى الكنيسة التي تتحدث عن الحب الانجيلي وقلما تترجمه في الواقع الحياتي...

وتناولت الاجابات العقبات الاجتماعية والاخلاقية التي ترجع الى خلط بين القيم الاخلاقية والعادات الاجتماعية. كتب يعقوب قائلا: "ان غالبية الآباء والامهات ما برحت تنظر الى عاطفة الحب بارتياب وتحفظ، متأثرة بما ورثته من مفاهيم اضحى الحب بموجبها مترلقا خطرا غالبا ما يؤدي الى سقوط الفتيان والفتيات في الاثم، وما يليه من تعقيدات ونتائج وخيمة...وهكذا يؤثر الاهل عدم انجرار الشبان والشابات وراءه، دفعا لهذه المكاره وصونا للشرف والسمعة...". ومن بين المفاهيم الموروثة ذاك المفهوم الذي يضحي الحب بموجبه "خطيئة" او امرا مشينا على اقل تقدير(نجيب وحبيب وعادل)، وتلك الفكرة الخاطئة التي بموجبها لا يليق بالشابة ان تحب وان عليها ان تنتظر الزواج ليتسنى لها ان تحب! (عادل)، او تلك النظرة التي بموجبها "تسقط في نظر المجتمع" الشابة التي فشلت في حب لم تكتب له الديمومة (شموني)، او تلك النظرة القاسية الى الشاب الذي يبحث عن الحب لدى فتيات كثيرات قبل ان يستقر على اختيار شريكة حياته...وغالبا ما ينتج عن هذه المفاهيم حكم مسبق، من جانب الوالدين، على كل زمالة او صداقة بين الشباب والشابات، وحذر وارتياب من كل علاقة حب...وذلك بدافع "الحرص على سمعة وشرف الاسرة (نادية وسلاقة)، او بحجة "تجنيب" ابنائهم من اخطاء ارتكبوها هم او احد معارفهم، في الماضي (شموني).

ولفتت معظم الاجابات الانتباه الى المسؤولية التي يتحملها الوالدون حين يقفون، بقصد ام بغير قصد، بوجه الحب: فهناك رغبة لدى الوالدين —قد تذهب الى حد الاصرار والتحي — الى تقرير مصير ابنائهم، دون اي اعتبار لمشاعرهم وعواطفهم واحاسيسهم وتطلعاتهم (و.غ.)، حيث تختفي وراء هذه النزعة قلة الثقة (فؤاد)، وقد تصل الى تجاوز حق الابناء في الحرية والاحترام. وغالبا ما تكون الفتاة ضحية القيود التي تفرض عليها (عادل)، لا سيما حين يكون قرار الاختيار بيد الوالدين (سلاقة وفؤاد). وفيما ينحى حبيب باللائمة على الوالدين الذين لا يوفرون لابنائهم جوا من الصراحة والثقة وينكرون عليهم الحق في الاختيار...تلفت شموني النظر الى العقبات المادية التي تقف حيال الحب بين شابين من وضع مادي متفاوت او من طبقة اجتماعية مختلفة- ويضيف سلاقة بان هناك عقبة تواجه الحب بين شابين حين تكون اسرة احدهما (ساقطة) في نظر المجتمع بسبب خطأ ارتكبه احد افرادها في الماضي السحيق!

الا ان مسؤولية الوالدين لا تنفي مسؤولية الشباب انفسهم، وقد عكسها بعظهم: فحين يكون الدافع الى الحب، الجمال والمظهر والغنى على حساب التفاهم والالتحام... او

حين يكون الحب من طرف واحد قد يكتب الفشل على حب كهذا وينتج عنه جرح عميق وندم ويأس (سلافة). وحين يكون، من جانب الشاب، حذر شديد تجاه الفتيات وتوجس مريض فيهن، او حين يسود تصرف الفتيات التكبر والجفاء واللامبالاة تجاه الشباب -ليقينهن من ان على الشباب ان يتعذبوا كي ينالوا حبهن!- ألا تقلل هذه السلوكية من الثقة المتبادلة التي هي اساس الحب؟ (عادل). وفيما وجه غدير الصواف اللوم الى الشاب الذي "يمشي مزهوا بنفسه وبقربه فتاة" ويقينه انه، بهذا الاسلوب، يفرض حبه على المجتمع، انحى غدير برصوم باللائمة على "الشاب الذي يسمح لنفسه ان يكّون علاقة مع فتاة في حين ينكر على شقيقته او احدى قريباته ان تنشيء علاقة مماثلة".

من اجل "رد الاعتبار" للحب

اما الطرق والوسائل لمعالجة ظاهرة التنكر للحب في مجتمعنا، والعمل على تقليص الهوة التي تفصل بين الآباء والابناء في قضية يتعلق بها مصير الشباب ومستقبلهم وتتوقف عليها سعادتهم، فقد اخلصت الاجابات الى التشديد على المسؤولية المشتركة.

اكد حبيب على الحاجة الماسة الى تربية عاطفية وجنسية متطورة تتم في مناخ من الثقة والصراحة، مما يساعد الابناء على تحقيق ذواتهم، مشددا على ان "الاسرة التي يملؤها الحب تجعل ابناءها يمتلأون ثقة وأملا بالمستقبل"؛ ويوافقه غسان في القول بان على الاسرة ان تكون شاهدا للحب، تعكس حب الله للبشرية.

وفيما ابدى يعقوب بعض الشك في التربية المعطاة، هي في نظره "غير مؤهلة لتلقين هذا الطراز من الحب"، شددت نادية على مسؤولية الاهل "في ترسيخ اسس الحب الصادق باعتبارهم اول مدرسة يتخرج فيها الشباب"، ودعا فؤاد الوالدين الى التغلب على التقاليد والعادات واعطاء اولادهم مزيدا من الحرية في الاختيار.

وركز بعض المشاركين على مسؤولية الشباب في عملية "رد الاعتبار"، فقال عادل: "ان ازالة العقبات بوجه الحب مسؤوليتنا نحن الشباب، حيث يتوجب علينا ان نمحو كل السلبيات التي ترافق مسيرة الحب ونبرهن على ان الحب عطاء دون تحفظ ومصارحة متبادلة وثقة عميقة واحترام وتجرد وبذل...". وأصدت له شموني بقولها: "من الواجب علينا ان نجعل الحب هدفا نصبو اليه بكل جدية، فنعكس الصورة الايجابية للحب الذي يقوم على العواطف الصادقة النزيهة وليس على المظاهر المزيفة"...مثل هذا الحب الطاهر الشريف، لا يستطيع احد -حتى الوالدان- الوقوف بوجهه (جميلة)، والشباب "مطالبون بارغام المجتمع، بدءا بالاسرة، على ان يبارك كل علاقة حب صادقة ونزيهة" (نجيب).

ومن الجدير بالذكر بان بعض المشاركين لفتوا الانتباه الى ضرورة الثقافة المسيحية - عن طريق الاخويات والندوات والسهرات الانجيلية الخ...- التي من شانها ان تساهم في ترسيخ نظرة انسانية مسيحية ناضجة الى الحب (حبيب وعادل)، مؤكدين ان بوسع الكهنة ان يكونوا خير اصدقاء للشباب في معاناتهم وتطلعاتهم (نادية) ويسهموا في تقليص الهوة بين الشباب ووالديهم (غسان).

مقالات ١٩٨٣

+ "قنبلة" الاساقفة الامريكان/ش.ر/شباط
+ كنيسة إسبانيا: بين منعطفين/ملف/آذار
+ بين رهبان الربان هرمزد/تحقيق/نيسان
+ كنيستي هكذا أريدها/مناقشة/أيار
+ رسالة الاساقفة الامريكان حول الحرب والسلام/ش.ر/حزيران- تموز
* الاسرة رابطة حب وشركة حياة/عدد خاص/ت١- ت٢

«قنبلة» الاساقفة الامريكان

في غمرة القلق الذي يخيم على العالم من احتمال وقوع حرب نووية في اعقاب تصاعد موجة التسلح المحمومة بين القوتين الكبريين، كان مجلس الاساقفة الامريكان يعد وثيقة حول الحرب والسلام. وكان من الممكن ان تمر هذه الوثيقة دون ان تحدث ضجة لولا ان البيت الابيض ابدى قلقا شديدا من مضمونها وتوجس فيها تناقضا خطيرا مع سياسته الحربية وادانة لها. وقد نشب، في الاشهر الاخيرة، خلاف خفي بين ادارة الرئيس الامريكي رونالد ريغان والاساقفة، سرعان ما تحول الى مجابهة مفضوحة هي أشبه بسيناريو اسفر عن هزيمة ريغان امام عناد الاساقفة وصمودهم.

سيناريو بثلاثة مشاهد!

في تقرير لها في مجلة "الشهادة المسيحية" (العدد ٢٠٠٣) عكست الصحفية كلوديا ورايت ملابسات هذا السيناريو في ثلاثة مشاهد:

المشهد الاول: خشي رونالد ريغان ان يصدر الاساقفة الامريكان وثيقة تشجب استراتيجيته الحربية ومخططاته لمواجهة حرب نووية مع الاتحاد السوفييتي. فبعد مشاورات مع وليام كلارك مستشاروه لشؤون الامن، تقرر ان يقوم مبعوثان بمهمة سرية لدى الكرسي

الرسولي لاقناع البابا يوحنا بولس الثاني باتخاذ جانب ريغان ضد الاساقفة الامريكان.

المشهد الثاني: تم لقاء سري بين مبعوثي الرئيس الامريكي والبابا. وقد حاول المبعوثان ان يشرحا للبابا بأن على الكنيسة ان تساند الاستراتيجية الامريكية للحيلولة دون قيام الروس باحتلال بولونيا والتغلغل في اوربا الغربية...! ولفتا انتباهه الى المردودات السلبية الناجمة من موقف الاساقفة الامريكان إن هم طالبوا بنزع التسلح من جهة واحدة. ولزم يوحنا بولس الثاني الصمت.

المشهد الثالث: مضت اسابيع على هذه التحركات دون ان تلفت الانتباه. وقبل اسبوع فقط من انعقاد دورة مجلس الاساقفة الامريكان (١٥– ٢٠ ت٢ ١٩٨٢)، قام وليام كلارك بمحاولة يائسة حين ابلغ صحفيا نبأ، مفاده ان البابا وجه تحذيرا شديد اللهجة الى المونسنيور جوزيف برناردين رئيس اساقفة شيكاغو (٥٤ عاما) الذي اشرف على كتابة مسودة الوثيقة. ونشر الخبر في الصحف واحدث ضجة كبيرة، وسرعان ما كذبه معا الاساقفة الامريكان والكرسي الرسولي. وانقلبت اللعبة ضد البيت الابيض حيث التأم مجلس الاساقفة الامريكان وانكب على دراسة مسودة الوثيقة التي طرحت تساؤلا جادا حول الطابع اللا أخلاقي لسياسة التهديد النووي...

الرسالة الراعوية في مسودتها الثانية

نشرت مجلة (I.C.I) (العدد ٥٨١ – ٢٥ ك١) تقريرا عن الرسالة في مسودتها التي ناقشها مجلس الاساقفة في دورته الاخيرة، وها نحن نعكس هنا خطوطها العريضة.

بعد مقدمة عن خطر الحرب النووية ومسؤولية الولايات المتحدة فيها والتاكيد على مسؤولية الاساقفة في الدعوة الى "اختيار واع" يجنب البشرية الفناء، يستعرض القسم الاول تعليم الكنيسة حول الحرب والسلام والذي ينطلق من مبدا كرامة الانسان. ويعلن الاساقفة ان "السلام ممكن" وان على الكنيسة ان تكون "في خدمة السلام"، وينفون صفة "الحرب العادلة" على الحرب النووية لكونها حرب ابادة... وفيما تسترسل الرسالة، في قسمها الثاني، في عرض الويلات التي تفرزها الحرب على كافة الاصعدة، تخلص الى كلمة "لا، للحرب النووية" أية كانت دوافعها، والى كلمة "لا، للتهديد النووي" الذي ينطلق من مبدا توازن القوى، مؤكدة ان سياسة التهديد المتبادل لا يمكن ان تكون غاية في حد ذاتها، بل مرحلة في طريق نزع السلاح. وفيما شجب الاساقفة كل الخطط الاستراتيجية التي تهدف الى ترسيخ سياسة التهديد، طالبوا باتفاقيات سريعة وجادة حول وقف التجارب النووية والكف عن صنع الاسلحة الجديدة وتجريد المناطق الحدودية من السلاح النووي...

وتناول القسم الثالث الاجراءات التي من شانها ان تقلص من خطر الحرب: دعم الجهود الرامية الى تقليص التسلح والسعي الى ازالة اسباب الحروب والحد من تجارة الاسلحة الخ...وطرح القسم الرابع جوابا راعويا للتحدي النووي حيث اكد الاساقفة على مسؤولية الكنيسة في توعية الضمائر نحو احترام الانسان واحترام الحياة ومحاربة العنف في كافة اوجهه: قمع الفقراء، امتهان الحقوق والحريات الاساسية، الاستغلال الاقتصادي، القمع السياسي، التفرقة الدينية والعنصرية والجنسية...

مسودة تضع النقاط على الحروف!

هذا السيناريو ليس من نسج الخيال، وانما يعكس واقع الاحداث منذ ان اعلن الاساقفة الامريكان عزمهم على اصدار رسالة راعوية تحدد موقف الكنيسة الكاثوليكية الامريكية من الاستراتيجية النووية وسباق التسلح ومن خطط الادارة الامريكية في صنع الاسلحة الجديدة. ويرقى مشروع هذه الرسالة الى عامين، حين تشكلت آنذاك لجنة من خمسة اساقفة برئاسة المونسنيور جوزيف برناردين ووضعت مسودة اولى وصفها العديد من الاساقفة والكاثوليك الامريكان بقلة الجرأة. وانكبت اللجنة من جديد على كتابة مسودة ثانية وما عتمت ان اثارت مخاوف الادارة الامريكية بسبب نبرتها الناقدة لسياسة ريغان. ففي ٣٠ تموز الماضي وجه وليام كلارك —وهو كاثوليكي واكليريكي سابق— رسالة شخصية الى اعضاء اللجنة، انتقد فيها المسودة التي اغفلت —على حد تعبيره— التذكير بمقترحات الرئيس الامريكي حول تقييد التسلح... وفي وقت لاحق، صرح كاسبار واينبركر وزير الدفاع بأن "هذه الرسالة الراعوية لم تأخذ بعين الاعتبار اختلال التوازن في القوة النووية بين القوتين الكبريين، على حساب الولايات المتحدة".

ولم يكن بوسع هذه التحذيرات والضغوط ان تحمل المونسنيور برناردين على التخاذل او التراجع في قضية تتعلق بالاخلاقية المسيحية وبالشهادة لانجيل المحبة والسلام: فاذا كانت المسودة الاولى قد اشارت الى ان سياسة التهديد النووي لا يمكن ان تكون مقبولة ادبيا ان لم ترافقها سياسة جادة من اجل نزع السلاح، فان المسودة الثانية وجهت نقدا صريحا للسياسة الحربية الامريكية حيث شجبت بقوة فكرة الحرب النووية واحتجت على التسابق في صنع الاسلحة الجديدة وفي مقدمتها الصواريخ عابرة القارات والقذائف ذات المدى المتوسط... (انظر الاطار).

"كلما نقصت الدقة زاد الاجماع"!

وكان قلق البيت الابيض يزداد كلما اقترب موعد اجتماع مجلس الاساقفة. وقبيل الاجتماع —وبالتحديد في ١٨ ت١ — تمت زيارة المبعوثين الامريكيين للفاتيكان: الجنرال فيرنون والتر السفير المتحول والكولونيل ليون مارتيني. واشارت الانباء بان المونسنيور برناردين قد التقى بالبابا، الا انه نفى ان يكون قد تلقى من قداسته اية ضغوط بشان الرسالة، وذلك ردا على ادعاءات وليام كلارك.

وفي هذه الاثناء، كان الرأي العام الامريكي يزداد وعيا بضرورة تجميد الصراع النووي الذي يهدد مستقبل البشرية، وكان للاساقفة الامريكان دور فاعل في توجهات الراي العام وقد ادلى بعضهم بتصريحات جريئة اتسم بعضها بالقوة والوضوح: فلقد قال المونسنيور كاميلتون اسقف ديترويت في مؤتمر صحفي بان هناك تناقضا صارخا بين تصريحات المفاوض الامريكي في مؤتمر جنيف حول حظر السلاح وبين خطة الزيادة في حجم الميزانية الحربية الامريكية، مخلصا الى هذا التساؤل: "ان ما يحدث في جنيف يثير

تساؤلي..واحس بان ليست هناك، من الجانب الامريكي، ارادة للبلوغ الى نتيجة في المفاوضات"! ويقول الاب بريان هيهاير الذي شارك في اعداد مسودة الرسالة: "ان الاساقفة هم اليوم على يقين من ان ريغان ليس جادا حين يتكلم عن نزع السلاح".

والتأم مجلس الاساقفة في واشنطن في موعده المحدد (١٥ — ٢٠ ت٢)، وفي جلسة الافتتاح، القى السفير البابوي خطابا تخلله الغموض حين قال بان على الرسالة الراعوية حول الحرب والسلام "ان تتحدث بوضوح وتعكس الاجماع.. وقد تقود ضرورة الوضوح والاجماع على صياغة تعليم قد تنقصه الدقة التي يتمناها البعض". وراى بعضهم في هذا التصريح صيغة تحذير من الفاتيكان! الا ان المونسنيور برناردين قال، جوابا على اسئلة كلوديا ورايت: "لا اعتقد، ولكني لا انفي الاحتمال!"، وواصل قائلا: "اذا كان الفاتيكان قد ادلى بتعليقات حول المسودة الاولى، الا انه لم يبد اي تعليق الى حد الان حول المسودة الثانية". ويدرك سيادته بان تعليقات الفاتيكان —اذا ما اتت— سيكون لها ولا شك تاثير على النص النهائي الذي سيصوت عليه الاساقفة في اجتماع خاص سيعقد في شيكاغو في ١ — ٢ ايار المقبل، وقد اخلص الى القول: "كلما نقصت الدقة زاد الاجماع، والعكس بالعكس"!

وارفضّ مجلس الاساقفة في ٢٠ ت٢، وكانت نتيجة الاقتراع المبدئي حول المسودة: ١٩٥ اسقفا الى جانبها مقابل ٧١ اسقفا ادلوا بتحفظات تجاهها، الى جانب ١٢ ضدها. وهكذا احرزت المسودة انتصارا لمعارضي السياسة الحربية الامريكية؛ الا ان "الحرب" النفسية التي اثارتها وستثيرها هذه الرسالة الراعوية لم تنته بعد! واية كانت الصيغة التي ستتخذها الرسالة في نصها النهائي، في ايار المقبل، فهناك شيء اكيد —على حد تعبير كلوديا ورايت— وهو ان الكنيسة الكاثوليكية الامريكية برهنت ولا شك على تحول عميق في توجهاتها الراعوية.

كنيسة اسبانيا بين منعطفين

اسبانيا، بلد يستهوي السياح من كل صوب.. يجد "طالبو" الشمس ضالتهم في سواحله، ويرتوي عطش الباحثين عن الفن في كنائسه وقصوره ومتاحفه، ويهتز غبطة قلب الهواة في حفلات "الفلامنكو" بالاندلس وفي حلبات "مصارعة الثيران" في اكبر المدن واصغرها... فلكل مدينة سحرها الخاص، حيث تتعانق الحضارات وتمتزج الفنون فيكوّن سمفونية يصنع انغامها شعب يعشق الحياة!

الا ان لاسبانيا وجها اخر تعكسه هذه المقولة: "التقوى في اسبانيا بليغة، غير ان الايمان قليل"! انها صورة شعب متأصل في الكثلكة، ولكنه عانى كثيرا من تحالفها مع الدولة طيلة حكم فرانكو الذي أغدق عليها امتيازات كثيرة، فجعل منها اداة طيعة في خدمة ايديولوجيته الفاشية. غير ان هذه الكنيسة العريقة ايقظها المجمع المسكوني من غفوتها، فراحت تبحث في الانجيل عن اصالة تعيد اليها استقلالها وحريتها، وهي اليوم، في ظل حكومة اشتراكية، في منعطف حاسم من تاريخها، ستتوقف مصداقيتها على الموقف الذي ستتخذه بين خيارين...

هذا الملف يرسم لوحة لكنيسة بين منعطفين.

●

في ٢٨ ت١ ١٩٨٢ هتفت اسبانيا "الكاثوليكية" لفوز الحزب الاشتراكي العمالي بالانتخابات، فوز كان قد اجمع عليه المراقبون السياسيون بعد سبع سنوات من حكم "الوسط" الذي لم يستطع، في نظر الاسبان، ان يحقق الانتقالة الى الحياة الديمقراطية التي طالما حلم بها الشعب الاسباني، هذا الملف يرسم لوحة لكنيسة بين منعطفين. هذا الملف يرسم لوحة لكنيسة بين منعطفين. في اعقاب اربعين عاما من الحكم الدكتاتوري.

وفي ٣١ ت١ ١٩٨٢، كانت اسبانيا "الكاثوليكية"على موعد مع البابا يوحنا بولس الثاني —وقد اضطر مرتين الى تاجيل هذه الزيارة المقررة في ت١ ١٩٨١، مرة بسبب حالته الصحية في اعقاب تعرضه لمحاولة الاغتيال، ومرة اخرى بسبب الضغوط التي مارستها قوى المعارضة للحكومة السابقة التي كانت قد حددت موعدها، في ١٤ ت١، في غمرة الانتخابات! وكان على البابا ان يستجيب الى طلب الاساقفة الاسبان بتأجيل الزيارة الى ما بعد الانتخابات.

الى اسبانيا ذهب اول بابا في التاريخ ليطلع بنفسه على التحولات التي شهدها هذا البلد العريق في كثلكته وفي ولائه للكرسي الرسولي، ما زالت الكاتدرائيات الشامخة في كل مكان تشهد لايمان شعب اعتبر دوما الامانة لاسبانيا امانة للمسيح. الى كنيسة عريقة اعطت الكنيسة الجامعة عشرات القديسين الذين امتدت روحانيتهم الى العالم اجمع، من

امثال يوحنا الصليبي وتريزيا الافيلية –وقد اختتم البابا في افيلا احتفالات الذكرى المئوية الرابعة لوفاتها– واغناطيوس دي لويولا مؤسس جمعية الاباء اليسوعيين... ذهب البابا يوحنا بولس الثاني. الى كنيسة تتململ في البحث –بين مد وجزر– عن الاصالة في بنيتها وتوجهاتها، في خط المجمع المسكوني، ذهب اسقف روما "ليثبت اخوته في الايمان" ويحمل اليهم نفحة التفاؤل والامل.

وبخلاف كل التوقعات والمخاوف التي ابداها المراقبون، جرى ليوحنا بولس الثاني استقبال جماهيري حافل في كل مكان، من مدريد العاصمة الى طليطلة، ومن افيلا وسالامنكا الى اشبيلية وغرناطة، الى لويولا وسرقسطة وفالنسيا الخ... (راجع ف.م.ك ١٩٨٢). وفي هذا المنعطف الحاسم من تاريخ اسبانيا، بين عهد الدكتاتورية الفاشية والحكم الاشتراكي الجديد، استطاع البابا ان يحرر الاسبان من عقدهم، ويبدد مخاوف الاساقفة، حين عبر، امام السلطات السياسية والعسكرية في القصر الملكي بمدريد، عن تاييده للديمقراطية الفتية بقوله: "اني لعالم بانكم تسعون الى خلق تعايش مدني في الحرية والمشاركة واحترام الحقوق الانسانية، في اطار تعددية الاتجاهات الشرعية والاحترام اللائق بها". وكان لهذه العبارات اثر طيب في نفوس اعضاء الحكومة، واعتبرها الكثيرون بمثابة تهنئة للشعب الاسباني وقد تحققت له المصالحة الوطنية بعد سنوات من الخلافات والصراعات.

هوية اسبانيا

تقع اسبانيا في جنوب غرب اوربا وتؤلف مع البرتغال شبه جزيرة ايبيريا التي تسبح من الشمال والجنوب الغربي في المحيط الاطلسي. ومن الشرق والجنوب في البحر المتوسط. مساحتها ٥٠٤،٧٥٠ كم٢ من ضمنها جزر البليار والكناري. سكانها حوالي ٣٦ مليون يدين ٩٥ بالمائة منهم بالكثلكة.

الشعب الاسباني مزيج من الشعوب بفعل الهجرات المتتالية عبر التاريخ، وقد استطاع العنصر الكاستيلي في قلب اسبانيا، منذ القرن ١٥، ان يفرض سيطرته السياسية واللغوية والثقافية على البلاد. وبالرغم من هذه الوحدة الوطنية، ما زالت هناك اقاليم تحتفظ بخصوصيتها واهمها اقليم الباسك (اهم مدنه: بيلباو وسان سبستيان) واقليم كاتالونيا (برشلونة).

لعبت اسبانيا دورا بارزا في التاريخ، وامتد نفوذها الى امريكا اللاتينية برمتها وقد فرضت عليها دينها وحضارتها ولغتها... وفي تاريخها الحديث عاشت حروبا وازمات داخلية كثيرة اسفرت عام ١٩٣١ عن سقوط الملكية وقيام النظام الجمهوري الذي تمخضت عنه صراعات دامية تكللت بمقدم الجنرال فرانشيسكو فرانكو عام ١٩٣٦ الذي قاد حركة تمرد، انطلقت في اعقابها اقسى حرب اهلية عرفها التاريخ وذهب ضحيتها حوالي مليون نسمة! وفي عام ١٩٣٩ استولت القوات الفاشية على العاصمة مدريد واصبح فرانكو رئيسا للدولة. واجرى فرانكو عام ١٩٤٧ استفتاء اسفر عن رغبة الشعب الاسباني بعودة الملكية، الا انه اختص لنفسه ان يعين خلفا له يحمل لقب الملك! وفي عام ١٩٦٩ عين فرانكو خلفا له في شخص الامير خوان كارلوس الذي لم يرتق الى العرش الا بعد وفاة الكوديلو عام ١٩٧٥.

على طريق الديمقراطية

عاشت اسبانيا طيلة اربعين عاما تحت قبضة الجنرال فرانكو الذي قادها بيد من حديد! وها هي منذ ثماني سنوات، بعد وفاة الكوديلو في ٢٠ ت٢ ١٩٧٥، تحاول التمرس

على الحياة الديمقراطية، ولكنها ما زالت تحمل عبء الدكتاتورية التي لم تُمحَ آثارها بعد: فالازمة الاقتصادية في اوجها، وما زالت البطالة تشكل نسبة ١٧% (حوالي مليونين) من القادرين على العمل، و لم تستطع حكومة الوسط ان تسيطر على موجة الارهاب التي يشنها الوطنيون الباسك، و لم تقو على الحد من جشع كبار الملاكين الذين يمارسون الاستغلال في جنوب البلاد؛ ومازال الجيش يسير في خط الفرانكية -كما كشفت عن ذلك محاولة الانقلاب في ٢٣ شباط ١٩٨١-، ولا يزال ٢٠% من الاسبان يعيشون دون المستوى الحياتي، فضلا عن الامية التي تشكل ٣،٨ % لمجمل البلاد و ٦،٩٥ % في الاندلس...

واذا كان دستور عام ١٩٧٨ قد اعاد الحريات الاساسية ومنح الاقليات القومية شكلا من الحكم الذاتي المحدود (في مقاطعتي الباسك وكاتالونيا)، الا ان البنى الاقتصادية والتشريعات الاجتماعية وبرامج التعليم والتربية لم يطرأ عليها تغيير يذكر... وهكذا يساور الاسبان الشك في فاعلية الديمقراطية التي لم تقو على اعطاء حلول ناجعة للمشاكل والمعضلات التي خلفها نظام فرنكو الذي كان يرسو على قواعد ثلاث: رأس المال والجيش والكنيسة. الا ان معظم الاسبان يعترفون بان الكنيسة هي "القوة" الوحيدة التي استطاعت ان تحقق الانتقال الى المناخ الديمقراطي، ويعزون هذا التحول الى المجمع المسكوني الذي احدث رجة في كل جنبات العالم وكان للكنيسة الاسبانية منها نصيب (راجع ف.م.آذار ١٩٧٧: كنيسة اسبانيا على مفترق طرق).

لقد بدأ هذا التحول في توجهات الكنيسة قبيل وفاة فرانكو حين عقد في مدريد عام ١٩٧١ مؤتمر ضم اساقفة وكهنة وعلمانيين انكبوا على دراسة شاملة لاوضاع كنيستهم التي اغدق عليها فرانكو امتيازات كثيرة على حساب استقلالها وحريتها، وكلهم عزم على تحريرها من سيطرة الدولة والسير بها في رحاب التجدد. ومن ابرز علامات التجدد البيان الذي اصدره مجلس الاساقفة الاسبان عام ١٩٧٣ في علاقة الكنيسة بالدولة حيث شدد على ان "الكنيسة لا ترتبط باية صيغة ثقافية معينة او نظام سياسي او اقتصادي او اجتماعي خاص"، مخلصا الى هذه النتيجة: "حيثما تبنّى التعاون بين الكنيسة والدولة صيغة كان لها مبررات في حقبة زمنية ما، وبدت هذه الصيغة اليوم وكانها تربط الكنيسة الى عجلة ثقافة معنية او نظام سياسي محدد، فلا بد ان تتوضح الامور للحفاظ على الاستقلال المتبادل وحماية هذا الاستقلال بخطوات تشريعية". وقد دعا الاساقفة على ضرورة اعادة النظر في المعاهدة (الكونكوردا) المعقودة عام ١٩٥٣ بين اسبانيا والكرسي الرسولي، كانت الكثلكة بموجبها "دين الدولة الرسمي". وفيما تساءلوا الى أي مدى يمكن الابقاء على صفة الرسمية للكثلكة، طالبوا بحرية الكنيسة في اختيار اساقفة الابرشيات من دون ترشيح من قبل الدولة كما تنص على ذلك المعاهدة... ولقد لعب السفير البابوي لويجي دادا غليو، منذ تعيينه عام ١٩٦٧، دورا بارزا في هذا التحول، وذلك عن طريق ترشيح كهنة منفتحين لتيار المجمع لمنصب "اساقفة مساعدين" بحيث تطعم مصف الاساقفة -وكان معظمهم من المحافظين العجز- بعناصر شابة كان لها دور الخميرة في العجين.

وبالرغم من مقاومة بعض الاساقفة المحافظين وبعض الاوساط الرومانية، فلقد سجل هذا التجدد منعطفا هاما في تاريخ الكنيسة الاسبانية. وتجدر الاشارة الى ان العديد من الاساقفة والكهنة اتخذوا مواقف جريئة تجاه سياسة فرانكو وراحوا يطالبون باطلاق الحريات الاساسية واحترام الحقوق الثقافية والعفو عن المعتقلين السياسيين الخ... وبرهنت الاعتقالات التي اصابت بعض الكهنة والتهديدات بالنفي التي مست بعض الاساقفة على ان الكنيسة الاسبانية عازمة على السير في تيار الانجيل مهما كلف الامر؛ وهكذا اصبحت الكنيسة، في نظر المراقبين، تلعب دور "المعارضة" لنظام فرانكو، مما اكسبها "شعبية" لدى الجماهير وهيأها للدخول في المناخ الديمقراطي.

كنيسة بين تيارين

يجمع المراقبون على تمييز مرحلتين من نشاط الكنيسة الاسبانية خلال السنوات الثمان بعد وفاة فرانكو: تمتد المرحلة الاولى بين الاعوام ١٩٧٥ — ١٩٧٩، وتتميز بتصفية الماضي الذي كان قد جعل من الكثلكة قوة تابعة للنظام؛ اما المرحلة الثانية، فقد بدأت عام ١٩٧٩ولا تزال، وتتميز بالسكون ان لم نقل بالتراجع.

في حفلة تنصيب الملك خوان كارلوس في ٢٧ ت٢ ١٩٧٥، حدد الكردينال انريك تارانكون رئيس اساقفة مدريد الخطة التي عزمت الكنيسة الاسبانية على انتهاجها والتي تقوم على مبدا الفصل بين الكنيسة والدولة، حيث قال: "لن تطلب الكنيسة اية امتيازات... والايمان المسيحي لا يسعه ان يتحالف مع اية سياسة"! وفي اعقاب هذا التوجه الذي زعزع عناصر المعاهدة بين اسبانيا والفاتيكان، اعلن الملك في تموز ١٩٧٦عن تخليه عن حق الدولة في ترشيح الاساقفة، وفي ٦ ك١ ١٩٧٨ قبل الشعب الاسباني، بطريق الاستفتاء العام، بالدستورالجديد الذي نص "الا يكون لاي مذهب صفة الرسمية"، وان تنشا، علاقات تعاون مع الكنيسة الكاثوليكية وسائر المذاهب". وكان الاساقفة قد لعبوا دورا بارزا ابان اعداد الدستور الجديد حين دعوا الى احترام سلوكية الاستفتاء واكدوا على ضرورة اتاحة الفرصة لكافة التيارات السياسية للتعبيرعن ذاتها، وابدوا تاييدهم للخط الذي تبنته مسودة الدستورفيما يتعلق بالحرية الدينية. وقد تكلل هذا التوجه في ٣ ك٢ ١٩٧٩حين استبدلت معاهدة ١٩٥٣باتفاقية جديدة تضمنت اربعة بنود تناولت القضايا القانونية والاقتصادية والثقافية وقضية "مرشد" الجيش والخدمة العسكرية للكهنة (ف.م.شباط ١٩٧٩).

الا ان تغييرا طرأ على توجه الكنيسة الاسبانية منذ عام ١٩٧٩. فبعد فترة "التطهير" التي اجرتها الكنيسة، اخذت توجه اهتمامها نحو القضايا الادبية والاخلاقية بنبرة الحزم والشدة، ويعزى هذا التحول الى ارتقاء يوحنا بولس الثاني كرسي البابوية. وعلى سبيل المثال نذكر التغيير الذي طرأ على موقف الاساقفة من قضيتي الطلاق والتعليم الكاثوليكي:

حين اقدمت الحكومة الاسبانية عام ١٩٧٧ على طرح مشروع اجازة الطلاق

—وكان محظوراً بحكم اتفاقية ١٩٥٣— لم يبد الاساقفة معارضة شديدة، وانما اكتفوا بالتاكيد على قدسية الزواج وعدم انحلاله. وفي عام ١٩٧٩، في ختام الدورة ال ٣٢ لمجلس الاساقفة، صدرت وثيقة اكدت بأن "على القوانين، كي تنسجم مع متطلبات النظام الادبي، ان تعترف وتضمن وتحمي ثبات الزواج". وقد خسر الاساقفة هذه المعركة حين صوت البرلمان، في ٢٣ حزيران ١٩٨١، على قانون يجيز الطلاق في حالات معينة.

اما بالنسبة الى التعليم الكاثوليكي —وكان الزاميا في كل مدارس الدولة بموجب الكونكوردا، وكانت الدولة تمول المدارس الكاثوليكية التي تستقطب ٢٥% من مجموع الطلبة[1]— ففيما اكتفى الاساقفة عام ١٩٧٦ بالدفاع عن حرية التعليم والاحتجاج ضد اولئك الذين يسعون الى رفع مادة الدين من المدارس الرسمية، عادوا عام ١٩٧٩ فاكدوا على دور المدارس الكاثوليكية وطالبوا الدولة باستمرار تمويلها. واذا كان القانون قد حدد بان تصبح مادة الدين اختيارية في المدارس الرسمية، فان قضية تمويل المدارس الكاثوليكية ستكون موضوع مجابهة عنيفة بين الكنيسة والدولة في السنوات المقبلة.

"كثلكة" تحاول النهوض

كانت الكثلكة عبر تاريخ اسبانيا عنصرا اساسيا في حياة الشعب الاسباني، وكثيرا ماكانت صفة الكثلكة ملازمة لصفة المواطنة. ولكن هل يمكننا اليوم ان نعتبر اسبانيا "بلدا كاثوليكيا" في اعقاب التحولات التي مرت بها في السنوات الاخيرة؟

اذا كان الكاثوليك الاسبان —ويؤلفون ٩٥% من السكان— متمسكين بما يسمى غالبا بالاسرار الاربعة (العماذ، المناولة الاولى، الزواج، الدفنة الكنسية!) الا ان هذه الظاهرة الاجتماعية — الدينية لا تعكس في الغالب تعلقا عميقا بالايمان والتزاما بمقوماته ومتطلباته. ولقد كشف استقصاء اجرته مؤسسة فويسا بان ٨٩% من الاسبان يعلنون انتماءهم الى الكثلكة مقابل ٩٥% من المعمذين، وان ٨٤%منهم فقط يعلنون انهم مؤمنون! ومنذ ان تم فصل الكنيسة عن الدولة وزالت العوامل الاجتماعية — السياسية التي كانت تؤثر في نسبة الممارسة الدينية، لوحظ هبوط كبير في نسبة الممارسين ولا سيما بين صفوف الشباب: ففي مدريد تبلغ نسبة الممارسة ٢٢،٣ % ولا تكاد تتجاوز ٩% في الاحياء العمالية منها! وتختلف النسب باختلاف الاقاليم، حيث تبدو الممارسة في مستوى اعلى في شمال البلاد مما في جنوبها.

ومن جهة اخرى، تشهد الكنيسة الاسبانية هبوطا في عدد الكاثوليك الملتزمين بالحركات الرسولية التي اجتاحتها ازمة داخلية في الستينات و لم تعد اليوم قوة فاعلة في حياة الكنيسة ونشاطاتها؛ الا ان هناك نهضة بدات بوادرها في اعقاب المجمع المسكوني، تتجلى في نشوء "الجماعات الصغيرة" —وهي شبيهة بجماعات القاعدة المنتشرة في امريكا اللاتينية، وان بمستوى ادنى— والتي تعد حوالي ٥٠٠٠ جماعة، بحسب احصاء اجراه مجلس الاساقفة. وبامكاننا ان نميز تيارين في هذه الجماعات التي تشكل عنصر امل في كنيسة اسبانيا:

يتميز التيار الاول في السعي الى التعميق الروحي والعودة الى المطلق- كما في

العديد من الجماعات التي نشات في اميركا واوربا-، وتاتي في المقدمة "جماعات الموعوظين الجدد" التي تعد ٤٣٢ جماعة، وتليها "الجماعات المواهبية "(كاريسماتيك) وتعد ٩٩ جماعة، وقلما يبدي اعضاء هذه الجماعات التزاما سياسيا. اما "الجماعات الخورنية" (٢٣٠ جماعة) وجماعات "التثقيف المسيحي" (١٩٤)، فهي توجه اهتمامها الى النشاطات الراعوية والخيرية والاجتماعية، وتعد بين اعضائها عددا من الملتزمين بالحياة السياسية والنقابية.

اما التيار الثاني الذي نشا في اعقاب المجمع المسكوني في الاوساط الشعبية والعمالية، فهو يتبنى خط لاهوت التحرير. ويتمثل في "الجماعات المسيحية الشعبية" التي يعلن بعضها (١٠٩ جماعة) انتماءه الى حركة "الكنيسة الشعبية". ومن الجدير بالذكر ان عددا من اللاهوتيين البارزين والكهنة يدعمون مسيرة هذه الجماعات الشعبية التي اخذت اليوم تتخلى جزئيا عن التزامها السياسي لصالح وجه من اوجه لاهوت التحرير والذي يقوم في استقراء عوامل التحرير في ظاهرة التقوى الشعبية. وتجدر الاشارة الى ان اعضاء هذه الجماعات الذين ناضلوا ويناضلون، الى جانب الاحزاب اليسارية، من اجل العدالة الاجتماعية وترسيخ عملية الانتقال الى الحياة الديمقراطية، يبدون توجها اقل حدة تجاه السلطة الكنسية ويعلنون حاجتهم الى التعمق اللاهوتي ورغبتهم في التعاون.

من "يحكم" في كنيسة اسبانيا؟

في ملف كتَبه مارلين توينكا في مجلة I.C.I (العدد ٥٧٩) بعنوان "كنيسة اسبانيا ازاء التحدي الاشتراكي" -اعتمدناه في كتابة هذا الملف- عكست الصحفية الفرنسية اثر الاشخاص في حياة الكنيسة الاسبانية، واستعرضت الادوار التي لعبها ويلعبها اربعة منهم، وهم السفير البابوي، رئيس مجلس الاساقفة، البابا، اخوة "عمل الله" (Opus dei).

لقد استطاع المونسنيور لويجي داداغليو السفير البابوي (من عام ١٩٦٧-١٩٨٠)، باسلوب لبق، ان يجعل معظم الاساقفة الاسبان ينتمون الى تيار المجمع المسكوني، ويسهم بشكل فعال في حمل الاساقفة على قبول الدستور الجديد والاتفاقية الجديدة بين اسانيا والكرسي الرسولي. الا ان بعض اعضاء الدوائر الرومانية لم يغفر له هذا التوجه، وكان عليه ان يدفع الثمن: ففي عام ١٩٨٠ استطاعت هذه الدوائر ان تستحصل قرارا باستبداله بالمونسنيور انوشنتي الذي يبدي تعاطفا مع توجهاتها!

وبفضل دهائه ومرونته، استطاع الكردينال انريك تارانكون رئيس مجلس الاساقفة الاسبان (من عام ١٩٧١-١٩٨١) ان يفرض استقلالية الكنيسة، هو من ابرز الرافضين "الكثلكة الوطنية" ومن ابرز المعارضين لفكرة انشاء حزب ديمقراطي مسيحي. فمن خلال خطة الفصل بين الكنيسة والدولة التي انتهجها، ارتضى ان تخسر الكنيسة بعضا من امتيازاتها السالفة لتكتسب قدرة على التكلم بحرية اكبر وبروح نبوية. وكان عليه هو الاخر ان يتلقى مقاومة الاوساط الرومانية قبيل استقالته — وقد تمت قبل بضعة اشهر بسبب بلوغه الخامسة والسبعين. ومنذ شباط ١٩٨١ اصبح المونسنيور دياس ميرشان رئيسا لمجلس الاساقفة والذي يضم ٧٤ اسقفا بينهم حوالي عشرة اساقفة ينتمون الى تيار "الكثلكة

الوطنية" التي يتزعمها المونسنيور كونزاليس مارتان رئيس اساقفة طليطلة، الى جانب عشرة اخرين من "النبويين" واشهرهم المونسنيور انييستا الاسقف المساعد لمدريد، فيما ينتمي الباقون الى خط المجمع المسكوني.

وللبابا في حياة الكنيسة الاسبانية دور كبير. فلقد كان للبابا بولس السادس اثر بالغ في حركة التحدد التي اجتاحت الكنيسة الاسبانية، وهو الذي كان يدعم توجهات المونسنيور داداغليو والكردينال تارانكون. ويربط العديد من المراقبين منعطف عام ١٩٧٩ بمقدم البابا يوحنا بولس الثاني، وقد دلت تصريحات مجلس الاساقفة الاسبان في السنوات الاخيرة على الضغوط التي تمارسها الدوائر الرومانية على الاساقفة، ولا سيما في القضايا الادبية والراعوية. ويطرح الكاثوليك الاسبان هذا التساؤل: الم يترك البابا العنان للدوائر الرومانية في التصرف؟

وهناك مؤسسة باسم "عمل الله" (opus dei) —وهي بمثابة رد فعل لتيار معاداة الكنيسة[٢] — ينتمي اليها حوالي ٣٠٠٠٠ عضو من الكهنة والعلمانيين مارست وما زالت تمارس، منذ تاسيسها عام ١٩٢٨، دورا اقل ما يقال فيه انه لا يخدم حركة التحدد في الكنيسة الاسبانية. ولقد ازداد نشاطها منذ ان اتخذت عام ١٩٥٠ صفة "مؤسسة علمانية" تابعة لمجمع الرهبان الروماني. وفي اعقاب المجمع المسكوني قامت هذه المؤسسة بحملات عدائية، عن طريق الكتابة الى الكرسي الرسولي، ضد العديد من الكهنة والاساقفة واللاهوتيين الذين تتوجس فيهم شرا! وبالرغم من نشاطاتها، فهي لا تحظى بتاييد الكاثوليك الاسبان وحتى المحافظين منهم، فيما ينظر اليها معظم الاساقفة بعين الارتياب اذ يعتبرونها وكانها "كنيسة داخل كنيسة". ومن الجدير بالذكر ان الكرسي الرسولي كان قد قرر في ٥ آب الماضي ان يضفي على هذه المؤسسة صفة "اسقفية شخصية" يشرف عليها البابا بنفسه. وقد وعد البابا باعادة النظر في القرار، بضغوط من مجلس الاساقفة الاسبان، الا ان القرار النهائي نشر في ٢٧ ت٢ الماضي ولم يطرا عليه تغيير يذكر!

كنيسة تحت الحكم الاشتراكي

في ٢٨ ت١ الماضي —قبل زيارة البابا بثلاثة ايام فقط— اسفرت الانتخابات عن فوز الحزب الاشتراكي بقيادة امينه العام فيليب كونزاليس، وهذه هي المرة الاولى يدخل الى الحكومة الاسبانية اعضاء لا يدينون بالكثلكة وبعضهم لا يخفي عداءه للكنيسة. وهنا يطرح السؤال نفسه: هل ستوفق الكنيسة في العيش ضمن التحربة الاشتراكية؟

"ستكون الكنيسة اكثر صحة حين تضحي ازاء حكومات اقل كثلكة"! قالها الكردينال تارانكون قبل بضعة اعوام، وكأنه كان يعد الكنيسة الاسبانية لهذا المنعطف الجديد في تاريخها. انها اليوم ازاء خيارين: اما ان ترضى، بطيب الخاطر، بان تبحث لها عن مكان اصيل ضمن مجتمع يؤمن بالتعددية، واما ان تتحصن في موقف الدفاع ولا تتردد من الدخول في صراع مع الدولة وتقبل بالتالي ان يبتعد عنها العديد من مؤمنيها ومجاهديها؟

من البديهي ان تطفو على السطح مشاكل بين الكنيسة والحكومة الاشتراكية

الجديدة، سيما وان هناك قضايا ما زالت معلقة، غير ان المهم هو الصيغة التي ستتخذها مواقف الكنيسة والدولة ازاء هذه القضايا، وفي مقدمتها مشكلة التعليم والاجهاض. واذا كانت الحكومة الجديدة لم تشدد، قبيل الانتخابات، على موقفها من هاتين القضيتين، فلانها كانت بحاجة الى اصوات الكاثوليك. الا ان اللجنة الدائمة لمجلس الاساقفة اصدرت في ٢٣ ايلول رسالة حددت موقف الكنيسة من هاتين القضيتين: ففيما يتعلق بالتعليم — ومعلوم ان الحزب الاشتراكي الاسباني يسعى الى الاشراف على المدارس الخاصة التي تحظى بمساعدات الدولة — اكد الاساقفة على حق الاسرة في اختيار صيغة التربية التي تريدها لابنائها. اما بالنسبة الى الاجهاض — وما زال الدستور يعتبره جريمة —، فان برنامج الحزب يتطلع الى اجازة الاجهاض في حالات معينة، الا ان الاساقفة شددوا على "احترام حياة الجميع، بما فيها حياة الذين لم يولدوا بعد".

وهناك قضايا في العلاقات بين الكنيسة والدولة لم تعط لها حلا نهائيا الاتفاقية التي ابرمت عام ١٩٧٩ بين اسبانيا والكرسي الرسولي، وفي مقدمتها قضية المعونات التي تقدمها الدولة للكنيسة — حوالي ثلثي مدخولات الكنيسة متأت من الدولة (٨ مليارت بيزيتا = حوالي ٢٥ مليون دينار لعام ١٩٨١) — وكانت الاتفاقية قد دعت الكنيسة الاسبانية الى السير في اتجاه الاكتفاء الذاتي، الا ان الاساقفة يخشون من الا تسد مساهمات المؤمنين حاجات الكنيسة. وهناك قضية (مرشدي) الجيش الذين يتقاضون مرتبات من الدولة اسوة بالضباط، ولا شك ان الحكومة الجديدة تتمنى ان يصار الى تغيير هذا الشان الخ...

كل هذه المشاكل وغيرها التي ستستجد على الساحة، ستكون محكا لمصداقية الايمان وقدرة الكنيسة على التكيف مع الوضع الجديد. ان الكنيسة الاسبانية هي اليوم على مفترق طرق: فاما تنطوي على ذاتها في تمسك شديد ببنيتها ومفاهيمها وتشريعاتها... واما تنطلق في مسيرة نبوية من "كنيسة امتيازات" الى كنيسة شاهدة للانجيل.

---

(١) في الكنيسة الاسبانية ٣٠٠٠ مركز تعليمي — بالاضافة الى جامعتين، و٢٦ معهدا عاليا، وقد استقطبت اكثر من مليوني طالب، وهي بادارة الرهبان والراهبات. وتجدر الاشارة الى انه، الى جانب الكهنة البالغ عددهم حوالي ٢٥٠٠٠، هناك ١٩٩٨٥ راهبا و٦٣٢٠٦ راهبة؛ فضلا عن ٩٢٥١ راهبا و١٦٦٩٧ راهبة يعملون في الخارج.

(٢) في اسبانيا تيار يكاد يكون قديما بقدم الكثلكة هو تيار "معاداة الاكليريروس" (Anti-cléricalisme) التي تصدي له الاوساط الجامعية والادبية، وكان له نفوذ كبير قبل الحرب الاهلية. واذا كان قد اجبر على الصمت في عهد فرانكو، ولم يبد نشاطا في الفترة التي عمدت فيها الكنيسة الى التجدد، الا انه استعاد في الاونة الاخيرة توجهاته المعادية للكنيسة. وقد افلح في حملته للحيلولة دون ان تتم زيارة البابا في غمرة الانتخابات، فيما اخفقت مؤسسة "عمل الله" في محاولاتها لابقاء الزيارة في موعدها الاول، بأمل ان تسهم في فوز احد الاحزاب اليمينية!

بين رهبان الربان هرمزد

لسنوات خلت كان دير الربان هرمزد -ويقع في جبل القوش التي تبعد ٤٠ كم الى الشمال الغربي من الموصل- يتلقى الزوار والسياح من كل صوب وبنوع خاص في عيده الواقع في الاثنين الثالث بعد القيامة، حين يكون الربيع قد كساه بحلة خضراء. هذا الدير العريق الرابض في قلب الجبل والذي يحتضن من علوه الوادي العميق ويشرف على السهل الفسيح حيث يقوم دير السيدة حافظة الزروع، ما زال يحكي، بصمته وجلاله، كفاح اجيال من الرهبان الذين كرسوا حياتهم لتمجيد الله وخدمة الناس، بالصلاة والعمل والعطاء...

وكان للفكر المسيحي لقاء في دير السيدة -وهو اليوم الدير الام- مع الرئيس العام وعدد من الرهبان الذين يتفنون بامجاد الاسلاف، وفي نفسهم الم مما آلت اليه الرهبانية، وفي عيونهم يلمع أمل بالمستقبل.

●

في سفح جبل القوش وقبالة دير الربان هرمزد يقوم دير شيد على اسم السيدة العذراء حافظة الزروع، يتوافد اليه الزوار من كل مكان -وبنوع خاص في ١٥ ايار- ينشدون الراحة بين ثناياه، وفي نفسهم حاجة الى الصلاة والاختلاء والتواصل مع حياة اولئك الرهبان الذين عزفوا عن الدنيا وخصصوا ذواتهم لمناجاة الله وتمجيده.

ودير السيدة -ويسمى "الدير التحتاني"- شيد عام ١٨٥٧ ليقوى على ايواء العديد من الرهبان الذين ضاق بهم دير الربان هرمزد -"الدير الفوقاني"- في اعقاب الغزوات والاضطهادات التي تعرض لها طيلة تاريخه، ولا سيما بعد ان اتجه عدد من الرهبان نحو خدمة المؤمنين الروحية في القرى المجاورة.

في دير السيدة...

على عتبة البوابة الخارجية كان في استقبالنا "اخونا شعيا" بابتسامته العريضة، ولم تمض هنيهة واذا بالشاي يقدمه "اخونا ساوا". وسرعان ما لحق بنا الاب ابراهيم رئيس الدير الذي ما ان علم بعزمنا على كتابة تحقيق للفكر المسيحي. واذا مسحة من الجد والمهابة اجتاحته وبدا لنا وكأنه سيمر بامتحان! وراح يطلعنا على اعمال الترميم والصيانة التي اجريت على الدير في مختلف اقسامه بتوجيه، من السيد رئيس الجمهورية لدى زيارته التاريخية للدير في ٧ ايار ١٩٨١، مثنيا على الرعاية الكريمة التي خصه بها الرئيس القائد برصد مبلغ ربع مليون دينار لابراز معالمه التاريخية واخراجه بحلة تليق بمكانته الروحية. واول ما يلفت الانظار السور الخارجي وقد تم تغليفه بحجر الحلان، والكنيسة التي اجريت عليها عملية تنظيف للطلاء الذي كان قد لصق بالمرمر، فضلا عن جناح الرهبان والزوار،

وقد اجريت عليهما ترميمات واسعة.

وكان العمل على قدم وساق في متحف الدير -وقد خصص له قبو قديم في الفناء الامامي للدير. وكان الرئيس الحالي قد انكب منذ بضع سنوات على تكوينه بجمع العديد من التحف والاثاث وادوات الطبخ والات العمل التي كان الرهبان يستخدمونها، بالاضافة الى الاواني والحلل المقدسة وبعض الانية الفخارية والزجاجية والمعدنية والازياء المحلية... ولقد لفت هذا المتحف الصغير اهتمام الرئيس القائد صدام حسين حين بعث سيادته، في اعقاب زيارته، بهدايا ثمينة تعبيرا عن اعجابه ودعمه، وابرزها شرشف موشح بالفضة وايقونة فضية للعذراء وصليب فضي مرصع بعقد من شذر وتماثيل جبسية واواني زجاجية وكتب اثارية وتاريخية.

الرهبانية الانطونية الهرمزدية

تم تجديد الرهبانية على يد الاب جبرائيل دنبو عام ١٨٠٨. وبعد مقتله، تعاقب على رئاسة الرهبانية الانبا حنا جرا والانبا عمانوئيل والانبا اليشاع الياس الذي في عهده شيد دير السيدة حافظة الزروع عام ١٨٥٧، وما لبث ان انتقل اليه الرئيس العام وعدد كبير من الرهبان، وقد شيد فيه جناح خاص للمبتدئين الذين اخذ عددهم يزداد باطراد. وفي السنوات الاخيرة نقل الابتداء الى الديرالجديد في بغداد (الدورة)؛ كما اصبح للرهبانية مؤخرا دير اخر في روما، بالاضافة الى دير مار كوركيس الذي اصبح عام ١٨٦٣ ديرا قانونيا ويحتضن اليوم مجموعة من الطلبة الراغبين. وتشير وثائق الرهبانية الى ان عدد الرهبان، منذ تجديد الرهبانية وحتى اليوم، بلغ ١٣٥٤ راهبا بينهم ١٤٣ كاهنا و٢٠ اسقفا وبطريرك واحد هو البطريرك يوسف اودو.

تعاقب على رئاسة اديرة الكلدان، بعد انتقال الرئيس العام الى دير السيدة، ١٤ رئيسا اخرهم الانبا ابراهيم يوسف الياس الذي انتخب عام ١٩٧١ وجدد انتخابه ثلاث مرات على التوالي. ويتم الانتخاب خلال مجمع عام يضم كافة الرهبان بحضور بطريرك الكلدان او من ينوب عنه، وفترة الرئاسة ٣ سنوات قابلة للتجديد. ويعاون الرئيس ٤ مدبرين ينتخبون.

يتوزع اعضاء الرهبانية اليوم -بعد هجر دير الربان هرمزد- على الاديرة التالية:
- **دير السيدة: ٩ رهبان بضمنهم الرئيس العام.**
- **دير مار كوركيس: ٤ رهبان (بالاضافة الى ٢١ راغبا).**
- **دير الابتداء: ٣ رهبان و١٥ مبتدئا.**
- **دير روما: ٤ رهبان (اثنان منهم في الدراسة).**

ويبلغ المجموع الكلي للرهبان، سواء كانوا في الاديرة المذكورة ام في الخورنات، باستثناء الراغبين: ٥٢ راهبا، بينهم ١٨ كاهنا واسقفان و١٧ راهبا و١٥ مبتدئا.

... مع رهبان الربان هرمزد

وكان لا بد لنا ان نقضي ليلة مع الرهبان لنطلع عن كثب على جوانب من حياتهم وقد اصبحوا اليوم قلة ضئيلة بعد ان كان الدير يضيق بهم؛ تشهد بذلك "القلايات" العديدة في الطابقين العلوي والسفلي اللذين يطلان على الفناء الداخلي بواجهة من القناطر ذات الاقواس من الجوانب الثلاثة المؤدية الى كنيسة الدير.

بعد صلاة المساء جمعنا الناقوس من جديد في غرفة الطعام لتناول العشاء على مائدة اتسمت بالبساطة والشظف. وكان لنا من ثم لقاء اخوي في غرفة الاستراحة مع رئيس الدير ورهبانه الثمانية، اصغرهم سنا في الخمسينات واكبرهم شيخ وقور تكاد لحية بيضاء مسترسلة تحجب "اسكيمه" الرهباني!

لم نشأ ان يتخذ لقاؤنا طابع استجواب... وكان علينا ان نقطع الصمت الذي خيم فترة، ونحن نرتشف الشاي، لنعود بهم الى اليوم الذي سمعوا فيه نداء الرب للانخراط في الحياة الرهبانية. استجمع الاب الراهب منصور قواه –وهو آخر رئيس لدير الربان هرمزد– واتكأ على عكازه وراح يقص علينا ذكريات دخوله الى الدير وهو شاب يافع، يدغدغ قلبه حب يسمو على الدنيا ولذاتها... ولم ينسَ ال "١٥ قرشا" التي دفعها لقافلة متجهة من كرمليس الى القوش، تاركا اهله وبيته وقريته، وفي نفسه رغبة عميقة في اللحاق باولئك الرهبان الذين عكفوا على حياة الصلاة والعمل ليشهدوا للمسيح في حبه وتجرده وسخائه وتضحيته...

وتشعب الحديث.. وراح بعضهم يعيد الى ذاكرتنا امجاد الرهبانية في الماضي السحيق حين التف عدد من الرهبان حول الربان هرمزد وشيدوا الدير"الفوقاني" الذي كان يضم، في منتصف القرن السابع، عشرات الرهبان الذين اختاروا الحياة النسكية في صوامع نحتوها بايديهم بين صخور الجبل... واخذ احدهم يستذكر حياة اولئك الرهبان الذين انكبوا على الدرس والتاليف والترجمة ونقل المخطوطات، مذكرا بالمكتبة العامرة التي شتتتها يد الاقدار مرات عديدة، وكانت تحوي على مخطوطات ثمينة لم يبق منها اليوم سوى الثرر اليسير –وقد نقلت الى دير الرهبان في بغداد. وذهب اخر في التذكير باسماء رهبان برزوا بروحانيتهم وقداستهم او بكتاباتهم ومؤلفاتهم من امثال يوحنا بن خلدون الذي كتب "سيرة الربان يوسف بوسنايا" في القرن العاشر، والراهب الخطاط دانيال في مطلع القرن١٣، ويوحنا سولاقة (اول بطريرك للطائفة الكلدانية في منتصف القرن ١٦) والبطريرك يوسف اودو(+ ١٨٧٨) والانبا اليشاع الياس (+ ١٨٧٥) والانبا شموئيل جميل صاحب المؤلفات الشهيرة (+ ١٩١٧) –ويرقد هؤلاء الثلاثة في كنيسة الدير.

اذ ذاك بدت علينا جميعا امارات الحزن والاسى مما اصاب الحياة الرهبانية في الاونة الاخيرة من جمود ينيء بالاضمحلال، واخذنا نبحث سوية في الاسباب التي ادت الى هذا الواقع الذي لم يعد خافيا على احد، وكأننا نحن الاثنين طرف في القضية!

حديث ذو شجون!

وفيما ذهب بعضهم في القاء اللوم على الشباب الذين جرفتهم الحياة في تيارها باتجاه اللامبالاة بالامورالروحية، والهتهم الملذات واغرقهم التهافت على الكسب، فلم تعد تستهويهم الحياة الرهبانية... فرض السؤال نفسه:**هل الحياة الرهبانية في صيغتها الحالية تجيب الى تطلعات الشباب الذين يعمر قلبهم بالحب والسخاء؟ وهل يعكس الرهبان الحاليون صورة مشرقة لما يجب ان يتصف به راهب اليوم من ثقافة عالية وروحانية عميقة وقدرة على الشهادة والعطاء؟**

نبذة عن دير الربان هرمزد

تاسس دير الربان هرمزد بين الاعوام ٦٢٨–٦٤٧ في عهد الجاثليق ايشوعياب الثاني، وكان بالاساس مجموعة من الصوامع المنثورة في صخور الجبل، الى جانب كنيسة يرقى قسمها الشمالي الى عهد التاسيس ودهليز يؤدي الى صومعة الربان هرمزد (بخشوكي) وضريحه ومقبرة البطاركة، فضلا عن غرفة طعام كبيرة اشبه بكهف. وقد اضيفت الى الدير اقسام اخرى منذ عهد تجديد الرهبانية في مطلع القرن ١٩.

وشهد هذا الدير طيلة تاريخه الطويل محنا وغزوات واضطهادات عديدة، بدءا من الخراب الذي حل فيه عام ٩٥٨ والسنوات اللاحقة. واصابه الاذى خلال هجوم تيمورلنك على بغداد والموصل عام ١٣٩٣ و ١٤٠١، ومرة اخرى عام ١٥٠٨ ابان الغزو المغولي على القوش وضواحيها، وفي كل مرة يصاب الدير بالنهب والدمار ويتبدد الرهبان. وفي مطلع القرن ١٦ استعاد الدير مكانته المرموقة، وقد اصبح مقرا لبطاركة كنيسة المشرق، حيث دفن فيه تسعة بطاركة من عائلة "ابونا"، اولهم مار شمعون (+١٤٩٧) واخرهم مار ايليا (+ ١٨٠٤). وتقول المصادر ان عدد الرهبان كان قد قارب المئتين عام ١٦٠٦، وسرعان ما انقضت عليه الضربات من جديد عام ١٦٥٣ و ١٧١٤، كما إبان حملة يونس اغا عام ١٧٢٧. وكانت الضربة القاضية عام ١٧٤٣ على يد نادر شاه (طهماسب) الفارسي الذي اوقع في الدير خرابا كاسحا.

وبقي الدير مهجورا حتى عام ١٨٠٨ حين تمكن الاب جبرائيل دنبو (ولد في ماردين عام ١٧٧٥) من اعادة الحياة اليه وتجديد الرهبانية. وتشير وثائق الدير ان عدد الرهبان بلغ ٥٠ عام ١٨٢٠، وتضاعف عددهم في السنوات اللاحقة. ولقد لقي الاب دنبو وثلاثة رهبان مصرعهم عام ١٨٣٢ ابان هجوم ميركور امير راوندوز على الموصل وضواحيها. وفي تاريخه الحديث قلما نعم هذا الدير بالامن والاستقرار، وقد اصابه الاذى من الغزاة الطامعين في السنوات الاخيرة مما اضطر الرهبان الى هجره.

(للمزيد من المعلومات راجع: دير الربان هرمزد للاب يوسف حبي – بغداد ١٩٧٧).

لم يُخفِ الاخ ابلحد اله ومعاناته من جراء النقص في ثقافته الدينية وقد كان له من الاستعداد ما يؤهله لحياة اكثر عطاء. واستطرد قائلا: لو بذلت الجهود لتامين ثقافة لاهوتية وروحية لكافة الرهبان، لتغير وضع الرهبانية ولاصبحت قادرة ان تجتذب الشباب. وفيما كان الاخوة يومئون برؤوسهم تعبيرا عن تاييدهم، اضاف الاخ مرقس معقبا: لقد تغلب العمل اليدوي على الاهتمام بالدراسة، سيما وكان للدير اراض واسعة وكرمان وكان يتوجب على الرهبان ان ينصرفوا للعمل في الفلاحة والزراعة لتامين حاجات الدير، فضلا عن اعمال البناء والصيانة والاعمال اليومية من نجارة وحدادة وحياكة وخياطة الخ... ولم يخف الاخ شمعونا اسفه وهو يتحدث عن المهام الكثيرة التي اسندت اليه منذ شبابه والتي فوتت عليه فرصة الانكباب على الدرس والمطالعة.

وفي خضم هذا الحديث العفوي الذي اثار شجونا كثيرة، اوضح الاب الرئيس ان العمل هو من مقتضيات الحياة الرهبانية شريطة ان يكون هناك توازن بينه وبين حياة الصلاة والدراسة. وفيما اقر بان العمل اليدوي كثيرا ما اتخذ حيزا كبيرا على حساب الدراسة، اكد على الصِلات الروحية الوثيقة التي حققتها الرهبانية عبر الحياة المشتركة التي عاشها ويعيشها الرهبان في مناخ من الصلاة وروح الخدمة والتضحية.

(بمشاركة سالم اسعد الخياط)

تحقيق /نيسان ١٩٨٣

كنيستي.. هكذا اريدها

كان السوال المطروح للمناقشة، في العدد ١٨١، بوحي من ذكرى مرور عشرين عاما على انعقاد المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني الذي كان للكنيسة بمثابة "ثورة كوبرنيكية" شرعت ابوابها وحركت فيها المياه وغيرت توجهاتها الراعوية والرسولية واكدت على الاولويات في شهادتها وعملها...

في المجمع استفاقت الكنيسة على عالم في تحول: فالتفاوت بين الشعوب كان قد بلغ مرحلة الانفجار في اعقاب يقظة البلدان النامية على بنى الظلم والاستلاب.. والثورة الصناعية كانت قد افرزت ايديولوجيات متناقضة تركت بصماتها في العلائق الفكرية والاجتماعية والخلقية.. وكانت الثورة الثقافية من جانبها قد اجتاحت الشعوب التي اخذت تبحث عن هويتها الحضارية الاصيلة.. فيما حصنت الثورة العلمية موقعها في العالم وراحت تعد الانسان بالسعادة، بعيدا عن الله والمفاهيم الدينية...

وفي غمرة هذه التحولات، كان على الكنيسة ان تبحث لها عن مكان في هذا العالم تكون فيه بمثابة "الخميرة في العجين"، مكان يتسنى لها منه ان تتكلم بحرية وتجد من يسمعها ويصغي اليها.. وكان على الكنيسة بنوع خاص ان تبحث عن هوية تمكنها من ان تخاطب البشرية بلغة العصر فتقول كلمة نبوية في الصراعات والتناقضات التي تعيشها البشرية... فكان المجمع بمثابة "مراجعة حياة" لكنيسة عزمت ان تعيد "ترتيب بيتها" وتغير صورتها، متخذة ملامح اكثر انجيلية، فتكتسب من ثم مزيدا من المصداقية في عالم ينتظر منها ان تكون شاهدة لانجيل المسيح وعلامة امل ورجاء للانسانية.

●

في اعقاب المجمع سرت في الكنيسة جمعاء هبّة ريح عليلة انعشتها وجددتها ومنحتها ديناميكية في مختلف المجالات. وفيما بقيت بعض الكنائس بمنجى من تيار المجمع، اتخذت هذه الهبة في غيرها من الكنائس شكل عاصفة احدثت رجه هائلة في البنية الكنسية، تكللت بظهور تيارت متناقضة الاتجاهات مما حمل البعض على القاء التبعة على المجمع ومحاربة التجدد او احتوائه على اقل تقدير!

وكان لا بد للفكر المسيحي —وقد واكبت حركة التجدد التي احدثها المجمع في كل جنبات الكنيسة— ان تطرح السؤال على كنيستنا العراقية: ما هي ابرز علامات التجدد في كنيستنا؟ وما هي التطلعات والاماني في هذا المضمار؟ وكان السؤال المطروح في اتجاه رصد للتجدد في مجالات قريبة الى حياة المؤمنين، تتعلق بالطقوس والاحتفالات الكنسية وصيغ منح الاسرار واساليب العمل الرسولي والراعوي والمسكوني وقضية التثقيف المسيحي والادارة الكنسية الخ...

وازاء قلة الاجابات الواردة ليسمح لنا ان نلقي هذا السؤال: اهي دليل على ان المجمع لم ياخذ طريقه بعد إلى كنائسنا.. ام ان التجدد الذي تم حتى الان لم يكن بمستوى الطموحات؟ وهل هناك شعور بالتشاؤم من طرح تمنيات لا تخرج الى حيز التنفيذ؟ وحينذاك يصبح التساؤل اكثر جدية: هل يمكن لنا –اكليروسا وعلمانيين، وكلنا لنا دلو في مسألة التجدد– ان نتنصل من مسؤولية دفع عجلة كنيستنا الى امام بالرغم من خيبات الامل التي نُمني بها احيانا ازاء الجمود الذي نشهده وازاء رغبة البعض في ابقاء كنيستنا بمنجى من تيار التجدد الذي اجتاح كنائس الله في كل مكان؟

علامات التجدد

بدأ **حبيب هرمز ججو** (بغداد) حديثه برسم لوحة قاتمة: "منذ انعقاد المجمع المسكوني بدات رياح التجدد تفعل فعلها في الكثير من كنائس العالم... ولكن من يدرس مسيرة كنيستنا العراقية خلال العشرين سنة الماضية يفاجأ بانها اصبحت كالبرج القديم الذي تصعب السكنى فيه..."! الا انه استطرد فاشار الى بعض علامات التجدد:

"لقد لمسنا تجددا في مناهج عمل بعض الاساقفة والكهنة حيث نلاحظ تفهما لدورهم الخطير عن طريق وضع صيغ جديدة لمنح الاسرار واداء الطقوس الدينية، واخص بالذكر ابرشية الموصل الكلدانية حيث تؤدى الطقوس بمشاركة المؤمنين وتقام قداديس خاصة بحسب الاعمار، كقداس الشباب، فضلا عن الدورات التثقيفية لاعداد معلمي التعليم المسيحي والاهتمام المتزايد بالعلمانيين الشباب. ومن جهة اخرى، لاحظنا خلال السنوات الاخيرة ازدهار التاليف والترجمة والنشر، وتلك ظاهرة ايجابية، الى جانب فتح مكتبة رسمية في بغداد لبيع الكتب الدينية...".

واكد **حاتم مروكي ميخا** (تلكيف) على ان التجدد اخذ طريقه، بشكل او باخر، الى كنائس العراق: ففي الكنائس التي كان المسؤولون الكنسيون يرون ان التجدد في غير مصلحتهم، اضطروا اخيرا الى الرضوخ لطموحات المؤمنين. فيما كانت الرغبة في العودة الى الاصالة المسيحية وتثبيت الهوية المسيحية هي العامل المحرك للتجدد في غيرها من الكنائس. ويخلص الى تعداد ابرز علامات التجدد:

- نمو وعي بين الشباب بجوهر الكنيسة بصفتها جماعة مسيحية مؤمنة وشاهدة، مع كل ما يتطلب ذلك من التزام ناضج ومسؤول...

تحرك المجالس الخورنية باتجاه منح الكنائس مقومات القيادة الجماعية الى حد ما، واعطاء الشعب شعوراً بالمشاركة في القرارات من خلال ممثليه على اختلاف اعمارهم ومستوياتهم. فضلا عن النشاط الجدي الملحوظ في مسيرة بعض المجالس الابرشية، واخص بالذكر مشروع الدورة اللاهوتية في ابرشية الموصل الكلدانية.

- ظهور محاولات جادة في حقل التاليف الديني، وقد ظهرت في الاونة الاخيرة كتب تحمل طابعا مسيحيا معاصرا.

- الرغبة المتزايدة لدى جميع المسيحيين بوجوب السعي الى الوحدة المسيحية، بدءاً بتوحيد الاعياد كخطوة اولى، فضلا عن الرسائل المشتركة التي يوجهها المسؤولون الكنسيون من مختلف الطوائف في بعض المناسبات.

- محاولات اعادة الصورة الاصلية لبعض الطقوس، واخص بالذكر محاولة ترجمة القداس الى اللغة المحلية بهدف تعميق المشاركة لدى الشعب، والعودة الى ممارسة رتبة التوبة الجماعية، ومبادرة "قداديس الشباب"، بصفتها ممارسة لايمانية تعمق الوعي لدى الشباب بالالتزام والشهادة.

- الندوات الدينية التي اخذت تشق طريقها في الكثير من المدن والقرى حيث تلقى المحاضرات والدراسات التي تساهم في تعميق الثقافة المسيحية لدى مختلف فئات المؤمنين ولا سيما الشباب منهم.

وكتب **ماهر منصور بطرس** (بغداد) قائلا: "ان التجدد قضية حيوية في حياتنا المسيحية قد يكون لها مردودات ايجابية وسلبية؛ لذا كان من الواجب ان تتم عملية التجديد ضمن المحافظة على المبادىء الاساسية دون الخروج عنها...". وذهب في التاكيد على دورالشباب في عملية التجديد من خلال لقاءاتهم ضمن "الاخويات" على ان تتخذ في عملها اتجاهين: "أ- السعي الى التعاون مع الكهنة في ايجاد السبل الجديدة المتطورة للعمل الرسولي، ب — تنسيق التعاون بين الاخويات في مختلف الكنائس وتبادل الخبرات في خدمة التجدد".

ولفتت **سناء بهنام فتوحي** (الموصل) الانتباه الى بعض علامات التجدد في كنيستنا، فخصت بالذكر ممارسة التوبة الجماعية، داعية الى التاكيد على ابعادها العميقة لئلا تبدو وكانها حل سهل لمشكلة النقص في عدد الكهنة؛ واشارت الى التطور الذي حدث في السنوات الاخيرة بشان التقارب بين مختلف الكنائس المسيحية" وقد اخذنا نشهد حركة تعاون وتنسيق وتوحيد المواقف بين الكنائس في بعض المجالات، ولا سيما في مجال العلاقات بين الكنيسة والدولة".

تمنيات وتطلعات

الى الشطر الثاني من السؤال المطروح للمناقشة حول التمنيات بشان التجدد المنشود، كتب **حاتم مروكي** يقول: "... حين يطلب الينا ان نحدد الصيغ العملية التي تدفع الكنيسة نحو التجدد، فغالبا ما نقف عاجزين. سيما ونحن نشعر بان كلماتنا في هذا المضمار تظل كلمات ولا تخرج الى حيز التحقيق... لذا اعتبر احجامي عن الاجابة افضاء بهموم! ومع ذلك، فطموحي الواقعي الوحيد هو ان يحاول الشباب الانتظام في مجموعات ايمانية تجدد بنفسها، وفقا لاوضاعها وظروفها، الدور النبوي الذي عليه تتوقف عملية التجدد في كنيستنا...".

الا ان معظم الاجابات صبت زخمها في التمنيات والتطلعات المستقبلية:

ففي مجال الليتورجيا، كتب **الشماس ميخائيل منصور** (شقلاوة): "بالتمنيات

تظهر النواقص...فكنيستنا تبدو، بعد عشرين عاما على انعقاد المجمع المسكوني، وكأنها في بداية الطريق، وعلى مختلف الاصعدة". وراح في تمنياته الى الالحاح على "ترجمة الطقوس الى اللغة المحلية، دون الخوف المبالغ فيه من زوال اللغة الاصلية"، والدعوة الى الاختصار في الطقوس والرتب والاحتفالات بما ينسجم مع حاجات المؤمنين. فيما اكد **عصام الياس القس الياس** (قره قوش) على "ضرورة تبني اسلوب المشاركة الجماعية في القداس وربطه بحياة الانسان المعاصر وقضاياه...بحيث يصبح اطارا حيا وجذابا للصلاة والخبرة الدينية"، اشار **حبيب هرمز** الى انه، الى جانب ضرورة ترجمة بعض الصلوات الطقسية الى لغة الشعب، يجب العمل على تدريس اللغة السريانية والعناية بالالحان الكنسية في لغتها الاصلية والسعي الى فتح مدرسة لاعداد الشمامسة، اسوة بالمعاهد الكهنوتية... كما تمنى ان يسعى الكهنة في مواعظهم الى شرح رتبة القداس والتاكيد على معنى الاسرار ورموزها كي يزداد المؤمنون وعيا باهميتها ومفاعيلها.

واتجهت الاجابات نحو دور الاساقفة والكهنة، وهم الذين تتعلق بهم عملية التجديد بالدرجة الاولى: فاكدت **سناء بهنام** على اهمية الزيارة الراعوية التي يقوم بها الكهنة للعوائل والتي من شانها ان تقلص الفجوة بين الكنيسة والمؤمنين، مطالبة ان تكون هذه الزيارة "لتفهم مشاكل المؤمنين ورصد ارائهم واقتراحاتهم حول كنيستهم وكيف يريدونها ان تكون". الى هذا "الاتصال الروحي العميق بين الكاهن والرعية" دعا **ماهر منصور**، بينما طالب **الشماس ميخائيل منصور** بتعميق التعاون بين الاكليروس في مجال التثقيف المسيحي والادارة الكنسية... وفيما ناشد **عصام الياس** الاساقفة والكهنة بتوطيد علاقات الثقة والاحترام والتعاون في ما بينهم، حمّلهم **صلاح سالم بولص** (باطنايا) مسؤولية تنشيط الحياة المسيحية عن طريق الاستجابة الى مطاليب المؤمنين، داعيا اياهم الى "المشاركة في المؤتمرات المسيحية على صعيد الوطن العربي والعالم لطرح مشكلات كنيستنا واكتساب خبرات جديدة...".

اما في مجال التثقيف المسيحي، فلقد اجمعت الاجابات على اهميته لمستقبل الكنيسة ولا سيما "في الظروف الراهنة حيث تتنافس قوى عديدة في عملية تشويه الدين" (ماهر منصور). واكد اكثر من واحد على ضرورة الاهتمام بتلقين الاطفال مبادئ الايمان، في نطاق الاسرة او عبر مراكز التعليم المسيحي (سناء بهنام)،شريطة ان تتضافر جهود الكهنة والعلمانيين في هذا المضمار (**عصام الياس**)، "وتتوسع مشاركة العلمانيين –والشابات منهم بنوع خاص– في نشاطات التثقيف المسيحي (**حبيب هرمز**)، وان "يكونوا على مستوى عال من الثقافة ومؤهلين لاداء هذه المهمة الخطيرة" (**الشماس ميخائيل منصور**). وفيما شدد اخرون على ضرورة الاهتمام الخاص بالشباب –وقد كشفت اجاباتهم عن النقص الكبير في الثقافة المسيحية لدى الشباب– عبر الندوات التثقيفية والاخويات واللقاءات بمختلف اشكالها (**صلاح سالم**)، تمنى **حبيب هرمز** ان يصار الى "اعداد منهاج ديني حياتي كامل يتناسب والواقع الذي يعيشه الجيل الجديد".

وركز المشاركون، من جانب آخر، على اهمية وسائل النشر والاعلام في خدمة الثقافة المسيحية: فاكد **صلاح سالم** على "ان للصحف والمجلات دورا مهما في توسيع الثقافة الدينية من خلال الاخبار والاحداث التي تعكسها، والبحوث والدراسات التي تتناولها"، مطالبا المؤمنين بابداء الدعم المادي والمعنوي لها، ووافقه **الشماس ميخائيل منصور** في التشديد على "واجب الرؤساء الروحيين في تشجيعها وتمكينها من الانتشار". وفيما تمنت **سناء بهنام** ان "تقوم الكنيسة باصدار مجلات اخرى الى جانب "الفكر المسيحي" و"بين النهرين" دعا **حبيب هرمز** الى "استخدام كل الوسائل المتاحة بفضل العلم بخصوص النشر استخداما دينيا، كالصورة (افلام سينمائية وافلام فيديو) والصوت (اشرطة الكاسيت) والنشر (كتب وصحف ومجلات...) لمجابهة مشكلة الجهل الديني". وهكذا دعا **ماهر منصور** الى ضرورة اشاعة فكرة "النشرات الجدارية" في كل كنيسة وحمل الشباب على المساهمة في كتابة مواضيعها.

اما على صعيد العلاقات المسكونية بين الكنائس، فقد ناشد **عصام الياس** الى "توطيد العمل المشترك وتوحيد الجهود بشكل جاد في ما يتعلق بالقضايا المشتركة، عبر اجتماعات دورية بين كافة رؤساء الطوائف المسيحية". وفيما تمنى **الشماس ميخائيل منصور وصلاح سالم** ان يزداد التقارب بين الكنائس المسيحية ويتجسد "في توحيد الاعياد والاصوام"- وتلك من اعز الامنيات على قلب المسيحيين العراقيين -، اقترح **حبيب هرمز** ان تقام، بين حين واخر طقوس (او لقاءات صلاة) مشتركة بين مختلف الطوائف كشهادة للمحبة والروح المسكونية.

هذه الامنيات والتطلعات والطموحات، كما جاءت على لسان كاتبيها، نسوقها الى رؤسائنا الاجلاء -وقد اشترك العديد منهم في جلسات المجمع المسكوني- واملنا ان ينكبوا على دراسة شاملة لاوضاع كنيستنا، دراسة اشبه ب "مراجعة حياة" يكون بمقدورها ان تجعل الاماني تخرج الى حيز التنفيذ. ولئن مضت عشرون سنة على انعقاد المجمع.. ولئن بقيت كنيستنا تتململ في مواكبة حركة التجدد.. ولئن كان التجديد الذي تم حتى الان تحت مستوى الطموحات.. فلا ضير ان نبدا اليوم، قبل الغد، باعادة ترتيب بيتنا ورصد الاولويات في التجديد المنشود! اليس تجديد ياتي متاخرا افضل من الا ياتي ابدا؟

رسالة الاساقفة الامريكان حول الحرب والسلام

احتلت رسالة الاساقفة الامريكان بعنوان "تحدي السلام: وعد الله وجوابنا" حيزا كبيرا في الصحف والمجلات، ولا سيما بعد ان ابدت الادارة الامريكية مخاوفها من مردوداتها على الراي العام الامريكي. فلقد سجلت هذه الرسالة منعطفا هاما في حياة الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية بحكم نبرتها الناقدة تجاه السياسة الحربية الامريكية، وتوجهاتها الحكيمة في قضايا راهنة وفي مقدمتها قضية الحرب، والحرب النووية بنوع خاص، ونزع السلاح وسياسة التهديد بين الغرب والشرق الخ...

لا للحرب النووية! قالها بجرأة مجلس الاساقفة الامريكان عبر رسالة راعوية وقعهان في ٢ أيار ٢٣٩، اسقفا من اصل ٢٨٨، بعد ان اجريت عليها ثلاثة تعديلات، ونذيله بتقرير موجز عن مضمون الرسالة ومقتطفات لابرز ما جاء فيها.

●

قنبلة الاساقفة الامريكان؟

في العدد ١٨١، وتحت عنوان "قنبلة الاساقفة الامريكان" تحدثنا عن الملابسات التي رافقت الوثيقة التي كان مجلس الاساقفة، منذ عامين، قد عقد العزم على اصدارها حول قضايا الحرب والسلام؛ واثر نشر مسودتها الثانية، في ٢٨ ت١ ١٩٨٢، اثارت قلق البيت الابيض ومخاوفه. وبالرغم من المناورات والضغوط التي مارسها الرئيس الامريكي رونالد ريغان ومستشاره لشؤون الامن وليام كلارك، ولا سيما عبر المبعوثين الامريكيين الى الكرسي الرسولي، لحمل الاساقفة الامريكان على التخفيف من حدة الرسالة، عقدت دورة مجلس الاساقفة في موعدها المحدد من ١٥ — ٢٠ ت٢ الماضي في واشنطن واحرزت مسودة الرسالة انتصارا لمعارضي السياسة الحربية الامريكية (١٩٥ اسقفا الى جانبها مقابل تحفظات ٧١ اسقفا ومعارضة ١٢ آخرين). وكان من المقرر ان تتخذ الرسالة صيغتها النهائية في اجتماع خاص يعقد في شيكاغو في ١ -٢ أيار ١٩٨٣.

وغني عن القول ان الضجة التي اثارتها رسالة الاساقفة الامريكان في مسودتها الثانية والتي انكبت على صياغتها لجنة من الاساقفة برئاسة المونسنيور جوزيف برذماردين رئيس اساقفة شيكاغو، ترجع الى النبرة الناقدة التي اتصفت بها الرسالة حيث احتجت على موجة سباق التسلح ودعت الى نزع السلاح وشجبت بوضوح سياسة التهديد والتهديد النووي بنوع خاص، وطالبت بوقف كل التجارب النووية والكف عن صنع الاسلحة الجديدة وتجريد المناطق الحدودية من السلاح الخ...

قمة روما

وبين اختتام دورة مجلس الاساقفة في ٢٠ ت٢ ١٩٨٢ وموعد الاجتماع الخاص المقرر في ٢ ايار ١٩٨٣، جرت اتصالات واسعة النطاق بين الاساقفة الامريكان والكرسي

الرسولي والاساقفة الاوربيين الذين كان لا بد ان تثير الرسالة اهتمامهم وهم يرئسون كنائس في بلدان اعضاء في حلف شمال الاطلسي —ومعلوم ان للولايات المتحدة قواعد عسكرية في اوربا لحمايتها من خطر التحرك السوفييتي، ولا يزال مشروع نصب صواريخ بيرشنك ٢ وقذائف كروز في اوربا موضوع مناقشات حادة.

وفي ١٧ — ١٩ ك٢ الماضي، تم لقاء في روما بين حوالي ٢٠ اسقفا وكردينالا من اوربا وامريكا قدموا للتشاور في قضية نزع السلاح. وتمثلت في هذا اللقاء المجالس الاسقفية الاوربية في شخص المونسنيور فيلنيه (فرنسا) والكرادلة هيوم (انكلترا) ودانيلس (بلجيكا) وهوفنر (المانيا) وكراي (اسكوتلندة)... فيما مثل الوفد الامريكي المونسنيور جون راوش رئيس مجلس الاساقفة والمونسنيور جوزيف برناردين —وقد رقي الى الكردينالية في شباط الماضي— الذي اشرف على كتابة مسودة الرسالة ويعتبر في مقدمة الاساقفة المعارضين لسياسة الرئيس الامريكي. وشارك في هذا اللقاء الفريد من نوعه الكردينال كاساروللي امين سر دولة الفاتيكان والكردينال راتزينكر رئيس مجمع عقيدة الايمان.

وقد وصف الفاتيكان هذا اللقاء بانه "اجتماع للتشاور" وانه جاء تلبية لرغبة الاساقفة الامريكان في تفكير مشترك حول قضية نزع السلاح النووي. وجاء في بيان الدعوة التي وجهها الكرسي الرسولي انه "من الطبيعي ان تحصل شركة بين المجالس الاسقفية والكرسي الرسولي حول القضايا الكبرى". ومثل هذه التصريحات تهدف ولا شك الى قطع دابر الاشاعات التي ترددت من ان الفاتيكان دعا الى هذا الاجتماع للحد من توجهات مجلس الاساقفة الامريكان وتهدئة اندفاع الكردينال برناردين!

في تقريرها عن هذا اللقاء في مجلة I.C.I. (العدد ٥٩٣) استطردت الزميلة بريجيت اندريه قائلة بانه لم يرشح شيء يذكر من هذا الاجتماع المغلق، وانه من الصعب التكهن بشان موقف الاساقفة الاوربيين من الرسالة والاثر الذي كان لتدخلاتهم في صياغتها النهائية. الا انها اصدت لما ادلى به الكردينال برناردين، في مؤتمر صحفي، بأن نص الرسالة "سيخضع لبعض اللمسات التي لن تغيرمن خطها الراعوي"، وان هناك فقرات ستعاد كتابتها ولا سيما في ما يتعلق ب "سياسة التهديد ومسؤولية القوتين الكبريين في سباق التسلح وضرورة التمييز بين النظامين السياسيين الامريكي والسوفييتي". وخلاصة القول ان الاساقفة الاوربيين لم يخفوا على زملائهم الامريكان قلقهم من تصريحات قد توحي بوجوب نزع السلاح من طرف واحد مما يشكل خطرا على اوربا، وقد شهدت حربين عالميتين ويحملها قربها الجغرافي من الاتحاد السوفييتي الذي يملك صواريخ (SS٢٠) على الحذر والحيطة...

ولكن الروح لم تتغير!

وقبيل الثاني من ايار، اجرى بيير — لوك سيكييون مقابلة لمجة "الشهادة المسيحية" الفرنسية (العدد ٢٠٢٥) مع الاب بريان هيهاير مستشار الكردينال برناردين واحد ابرز محرري الرسالة: فالى سؤال حول التغيرات التي طرات على الرسالة في مسودتها الثالثة، اجاب الاب هيهاير بان النص النهائي لم يخضع للضغوط التي مارستها الادارة الامريكية، وانما طرات

عليه تعديلات هي حصيلة مشاورات بين الاساقفة الامريكان انفسهم، وبينهم وبين الاساقفة الاوربيين. وتشمل هذه التعديلات ست نقاط ابرزها تعديل بشان "التهديد النووي" الذي كانت الرسالة قد شجبته بشكل سريع، وكان لا بد للمسودة الجديدة ان تحيط بكل الابعاد التي يتطلبها هذا الشجب، بما في ذلك التاكيد على الحق في الدفاع عن النفس. فضلا عن تعديل بشان العلاقات بين الشرق والغرب حيث تم التاكيد على خطر التهديد السوفييتي بشكل يحمل الدول الغربية على مزيد من الوضوح في المفاوضات الرامية الى نزع السلاح.

وفيما اشار الاب هيهاير الى ان لقاء روما حمل الاساقفة الامريكان على التمييز في "سلطة" الاحكام التي تخللت الرسالة بشان القضايا الاستراتيجية ومنظومات التسلح وسياسة التهديد -لئلا تبدو المواقف تجاه القضايا ذات الطابع المحلي وكانها تعكس تعليم الكنيسة الجامعة- اكد بان لقاء روما لفت انتباه الاساقفة الامريكان الى المردودات الخطيرة التي بوسع بعض التصريحات ان تثيرها لدى الكنائس الاخرى، مما حملهم على اعادة قراءة الرسالة على ضوء ملاحظات الكرسي الرسولي والاساقفة الاوربيين.

وحول سؤال حول استبدال كلمة "وقف" بكلمة "تقليص" في ما يتعلق بالتجارب النووية وصنع واستخدام الاسلحة الاستراتيجية، في نطاق اتفاقية ثنائية، اجاب الاب هيهاير بان هذا التعديل يكشف عن ارادة الاساقفة الامريكان في الا تبدو الكنيسة منتظمة في صف اتجاه سياسي معين كما هي الحال في حركة (Freeze) التي تنادي بتجميد سباق التسلح. ولكنه استطرد قائلا: "اذا كان الحرف قد تبدل، الا ان الروح لم يتبدل"!

وكان للرسالة مرءوسات...

وفي ٢ ايار خرج مجلس الاساقفة الامريكان برسالتهم الراعوية في صيغتها النهائية -وقد أيّدها ٢٣٩ اسقفا مقابل ٨- لتعلن ل ٥١ مليون كاثوليكي توجهات الكنيسة الامريكية في قضايا الحرب والسلام، وكان لا بد لها ان تثير ردود فعل مختلفة. ففي مقال نشرته مجلة U.S. News الامريكية (عدد ١٦ ايار ١٩٨٣) اوجز المحرر مضمون الرسالة في النقاط التالية:

- لقد رفضت الرسالة وجهة نظر الادارة الامريكية التي تدعو الى احتفاظ الولايات المتحدة بخيار استخدام الاسلحة النووية الصغيرة، اذا اقتضت الضرورة، لمنع الدبابات السوفييتية من اجتياح اوربا، في حين اعلن الاساقفة بان عدوانا كهذا "لا بد من مقاومته بوسائل غير الخيار النووي".
- وعبرت عن ادانتها لفكرة القصف النووي ضد المدن السوفييتية كاجراء انتقامي، واعتبرت "عملا لا اخلاقيا" اللجوء الى اسلوب الرد بالاسلحة التقليدية او النووية اذا ما تعدى حق الدفاع المشروع.
- واعلنت انه لا يمكن تبرير امتلاك الاسلحة النووية لرد العدوان الا كخطوة مؤقتة نحو مفاوضات نزع السلاح.

واخلصت المجلة الى القول بان البيت الابيض حاول التقليل من اهمية الرسالة حين وصفها بانها "بيان للمثاليات الاخلاقية التي لا يمكن تطبيقها في واقع العالم المعاصر"! واستطردت بان البيت الابيض يخشى ان تتنشط حركة تجميد الاسلحة النووية (Freeze) في الكونكرس والراي العام في اعقاب هذه الرسالة؛ وقالت بان بعض المسؤولين في الادارة الامريكية لم يخفوا قلقهم من ان تؤثر الرسالة سلباً على سياسة امريكا الخارجية، وبنوع

خاص على مشروع نصب صواريخ بيرشنك ٢ وقذائف كروز في اوربا، وقد تحمل على تصعيد الضغوط على الرئيس الامريكي في انتهاج منحى اكثر مرونة في مفاوضات الحد من الاسلحة الاستراتيجية مع الاتحاد السوفييتي...

"لا" للحرب النووية

مقتطفات من رسالة الاساقفة الامريكان حول الحرب والسلام

"نكتب هذه الرسالة في اطار الايمان المسيحي. فالايمان عوض ان يجعلنا غرباء عن تحديات الحياة، يزيد من شوقنا الى مواجهتها بنور الكتاب المقدس الذي يحمله الينا يسوع الناهض من بين الاموات. فمن خلال انوار العقل والايمان، نتوق الى ان نعيد الامل الى الناس وندعم على عالم محقق من الخطر النووي".

بعد هذا التحديد لاهداف الرسالة تناول الاساقفة تعليم التقليد المسيحي حول الحرب والسلام (٤٦ ص). بدءا بالكتاب المقدس:

"نظرة سريعة الى مفاهيم الحرب والسلام في الكتاب المقدس تكشف لنا بانه لا يقدم اجوبة واضحة ودقيقة الى الاسئلة التي نواجهها اليوم (...). الا ان النصوص المقدسة تدلنا على الاتجاه الواضح الذي يتوجب علينا ان نتخذه في مواجهة الواقع المعاصر. فلقد غمرنا الله بسلامه من خلال المصالحة التي تمت بيسوع المسيح، ونحن مدعوون لا الى اختبار هذا السلام لانفسنا وحسب، بل الى بناء عالم يسوده السلام...".

وتذهب الرسالة في استعراض دقيق لتعليم اللاهوت الادبي بشان الحرب والسلام، عبر تحليل عميق لبعض المفاهيم التي كانت ولا تزال موضوع مناقشات بين اللاهوتيين. واهمها مبدأ الدفاع عن النفس ومفهوم "الحرب العادلة" وفكرة اللاعنف... واذا عبرت الرسالة عن حق الدولة في حماية مواطنيها من العدوان، الا انها ابدت تحفظا تجاه دفاع يتم عن طريق اللجوء الى وسائل الدمار ولا سيما في حالة الحرب الشاملة. وتخلص الرسالة في قسمها الاول الى التمييز بين "الحرب العادلة وبين مبدأ "اللاعنف"، وكلاهما لا يتعارضان:

ان اعتراف المجمع المسكوني بحق "احتجاج الضمير" تجاه الحرب بصفته موقفا مسيحيا ذا قيمة، ونداءه الى ممارسة هذا الحق. ودعوته الى القاء نظرة جديدة الى الحرب، فسحت الطريق امام الجماعة المسيحية لتعميق فكرة اللاعنف...

ان نظرية الحرب العادلة ومبدأ اللاعنف —وكلاهما بعدان في التقليد اللاهوتي الكاثوليكي— انما اسلوبان متميزان ولكنهما متداخلان لفهم الحرب. واذا اختلفنا في بعض النتائج، الا ان لكليهما ردة فعل مشابهة تجاه استخدام القوة كوسيلة لفض النزاعات. فكلاهما يستقيان جذورهما من التقليد اللاهوتي المسيحي، وكلاهما يساهمان في اعطائنا نظرة شاملة نحن بحاجة اليها في سعينا الى السلام بين البشر. انهما اسلوبان يكمل احدهما الآخر ويتجنب احدهما تشويه توجهات الآخر...".

وتناول القسم الثاني —ويعتبر قلب الرسالة— مشاكل الحرب والسلام في عالمنا المعاصر. حيث شدد الاساقفة على ان السلام هو تحد لعالم يتعرض لخطر الفناء من جراء الحرب النووية:

"ان الموقف المسيحي الكلاسيكي يواجه اليوم تحديا فريدا من نوعه، الا وهو تحدي الحرب النووية. وهنا تكمن نقطة الانطلاق لكل دراسة اخلاقية مستقبلية. فكل المواقف الاخلاقية المحددة سابقا لا يمكنها الا التعرض لهذه المواجهة الاساسية التي خلفتها الاستراتيجية النووية الحالية (...)"

فنحن نعيش وسط مأساة كونية، وغلك قوة ينبغي الا تستخدم ابدا، ولكنها قد تستخدم اذا لم نجر تحولا جذريا في الاتجاه (...) انها لعلامة من " علامات الازمنة" ذاك الوعي المتزايد بخطر سباق التسلح (...) وسياسة لتهديد التي كانت بالامس اسلوبا ثابتا وامينا، اصبحت اليوم موضوع شك على الصعيدين السياسي والاخلاقي.

وكان لا بد ان يسفر شحب الاساقفة الامريكان للحرب النووية عن خيارات معلنة. لذا انكبت الرسالة على تحليل دقيق للايديولوجيات التي تختفي وراء سباق التسلح وللاستراتيجيات النووية

التي تتحصن بها الدول، والولايات المتحدة بشكل خاص. وبالرغم من الملابسات التي ترافق هذا الموضوع الشائك، اخلص الاساقفة الى القول:

"ان شجبنا للحرب النووية يبقى صريحا لا رجعة فيه"

"فاية كانت الظروف، لا يمكن ان تستخدم الاسلحة النووية او اية وسيلة للدمار الجماعي في تدمير المدن او الاهداف المدنية"

"اننا نرفض فكرة اندلاع حرب نووية على اي صعيد كان. فازاء النتائج المحتملة من نشوب الحرب، يصبح الخيار النووي المتعمد، في نظرنا، خطرا ادبيا لا مبرر له (...)، حتى ولو كان هذا الخيار لردع عدوان شن بالاسلحة التقليدية".

الا ان الرسالة ابدت بعض التنازلات:

"ولا بد لنا من الاعتراف في الوقت ذاته بالمسؤولية التي حملتها وتحملها الولايات المتحدة في حماية حلفائها ضد كل عدوان، تقليديا كان ام نوويا. فعلى المسرح الاوربي بنوع خاص، قد يحمل التهديد، لصد عدوان نووي، على امتلاك، وبشكل مؤقت، اسلحة نووية. الا ان استخدامها يجب ان يخضع لضوابط شديدة".

وكانت سياسة التهديد النووي من اصعب النقاط التي تناولتها بالبحث الرسالة الراعوية. فبعد دراسة مطولة حول استراتيجية التهديد التي تنيء بانفجار على المدى البعيد، اخلصت الرسالة الى القول:

"من المرفوض ادبيا ان يتخذ قتل الابرياء هدفا، وان يحشر هذا الهدف ضمن استراتيجية التهديد بوجه الحرب النووية".

وفيما قبل الاساقفة عن مضض ان تمارَس سياسة التهديد ضمن "شروط ادبية مشددة"، اكدوا انها لن تكون مقبولة الا "كاساس للسلام على المدى البعيد"، محذرين من كل تصعيد لسياسة التهديد، ومطالبين الراي العام بممارسة الضغوط على الحكومات وحملها على عدم التمادي في هذا المجال.

وتناول القسم الثالث العوامل التي من شانها ان تقلص خطر الحرب وتوطد دعائم السلام: فدعت الرسالة الى تشجيع مبادرات الحد من الاسلحة وتقييد التسلح والسعي الى محاربة اسباب الحرب وايجاد صيغ عملية لفض النزاعات بين الامم بالطرق السلمية الخ... واعطت الرسالة في قسمها الاخير اجوبة راعوية للجماعة المسيحية، فشددت على مسؤولية الكنيسة في توعية الضمائر للتضامن في احترام الانسان وصيانة الحياة ومحاربة كل اشكال العنف...

(عن تقرير في مجلة "الشهادة المسيحية": العدد ٢٠٢٥)

اما كيف سيستقبل الكاثوليك الامريكان هذه الرسالة؟

كانت مؤسسة كالوب للاحصاء قد اجرت في العام الماضي استقصاء بين الكاثوليك الامريكان اسفر عن معارضة ٥٣% منهم لفكرة تحميد الاسلحة النووية من طرف واحد مقابل ٤٧%الى جانبها. ومما لا شك فيه هو ان هذا التباين في وجهات النظر سيبرز في اعقاب هذه الرسالة الراعوية (١٥٠ صفحة!) التي وزعت على ١٨٩٠٣ خورنيات و ٩٥٤٩ مدرسة كاثوليكية في ١٧٤ ابرشية في كل اطراف الولايات المتحدة. فلقد عبر العديد من الكاثوليك عن ان الرسالة ذهبت بعيدا في احكامها وتوجهاتها، فيما راى غيرهم بانها بالغت في الفطنة والحذر اذ خضعت للضغوط التي مارستها الادارة الامريكية وانحنت امام تحفظات الكرسي الرسولي والاساقفة الاوربيين! الا ان هذا التباين لا ينقص من قيمة هذه الرسالة التي سجلت تاريخا في توجهات الكنيسة الكاثوليكية الامريكية، وسيكون لها ولا شك اثر كبير في يقظة الراي العام الامريكي حيث يمثل الكاثوليك ٣٥% من السكان، ولهم ثقلهم في ميزان القوى على صعيد الامة. وستكشف الايام المقبلة عن ان روحا نبوية هبت على الاساقفة الامريكان، وقد استجابوا لنداء الانجيل وصوت الضمير حين قالوا "لا" للحرب النووية!

ش.ر/حزيران-تموز ١٩٨٣

مقالات ١٩٨٤

+ الكلام للجميع: مؤتمر الاتحاد الكاثوليكي الدولي للصحافة/ ش.ر/ ك٢
+ الارجنتين: واخيرا اشرقت الشمس/ش.ر/آذار
+ هل سيكون لنا كهنة؟ أي نوع من الكهنة نريد؟/مناقشة/ملف/ نيسان-أيار
+ هولندا: كنيسة رائدة تعيش في قلق/ملف/حزيران- تموز
+ انطاكيا وروما تعانقنا/ش.ر/آب- أيلول
+ الانسان بين الواقع والطموح/طاولة/عدد خاص/ت١- ت٢
مع السفير البابوي في العراق لويجي كونتي/مقابلة/ك١

الكلام للجميع

مؤتمر الاتحاد الكاثوليكي الدولي للصحافة (U.C.I.P.)

"الكلام للجميع"! تحت هذا الشعار عقد الاتحاد الكاثوليكي الدولي للصحافة مؤتمره الثالث عشر من ٢٢-٢٨ تشرين الاول الماضي في فندق بيرلينكتون بدبلن (ارلندا) شارك فيه ٣١٥ صحفيا وناشرا يمثلون ٦٤ بلدا في القارات الخمس. وبدعوة من الامين العام الاب بيير شفالييه[1] شارك رئيس تحرير "الفكر المسيحي" في اعمال المؤتمر التي يوجزها في التقرير التالي.

خصص المؤتمر اعماله لليومين الاولين للقضايا التي تواجه الصحافة المسيحية في بلدان افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية. وافتتح الامين العام المؤتمر بكلمة بليغة ابرز فيها الابعاد التي تنطوي على الشعار الذي اتخذه المؤتمر "الكلام للجميع" مشددا ما لوسائل الابلاغ الاجتماعية من قدرة على خلق حوار بناء بين البشر واشاعة الاخوة والمساواة بين الشعوب انطلاقا من رؤية اصيلة للانسان يضفي عليها الانجيل بعدا جديدا.

وكان على جدول الاعمال محاضرتان: الاولى في **"حرية الصحافة"** للدكتور بول انسا (غانا) رسم فيها لوحة شاملة عن وضع الصحافة في افريقيا ولفت الانتباه الى ان لفقدان حرية الصحافة مردودات سلبية على تقدم البلدان، على كافة الاصعدة... وفيما

دعا الى السعي لقيام نظام اعلامي جديد يخرج العالم الثالث من "هامشيته"، ناشد المجالس الاسقفية في القارة الى اتاحة الفرصة لنشوء صحافة مسيحية جديرة بان تساهم فعليا في عملية التقدم من خلال التزامها الكامل بقضايا الانسان الافريقي وحقوقه وحرياته...

وكانت المحاضرة الثانية للاستاذ فرناندو ماثا (شيلي) بعنوان **"صحافة بديلة في امريكا اللاتينية"** تمكّن من قيام عالم جديد يلتقي مع امال الملايين من اولئك الذين يبحثون عن التحرير والعدالة والسلام، مؤكدا بان على الصحفيين الكاثوليك ان يعيشوا ويعكسوا الالتزامات التي اتخذها الكنيسة في ميدلين (١٩٦٨) وبويبلا (١٩٧٩) حيث اعطيت الاولوية للفقراء والمنسيين والذين لا صوت لهم، بحيث تضحي الصحافة الكاثوليكية "صحافة بديلة" تساهم في ايجاد بديل لحالة القمع والظلم السائدة في امريكا اللاتينية.

وتوزع المؤتمرون ممثلو القارات الثلاث على فرق لمناقشة ورقة العمل التي كانت قد ارسلت الى المشاركين. وعكست التقارير المشاكل التي تلاقيها الصحافة المسيحية في مختلف البلدان والقيود التي تخضع لها، سواء من جانب الكنيسة او الدولة. واجمعت التقارير على ان للصحافة المسيحية —اذا ما احترمت حريتها وطبيعتها— دورا فاعلا في بناء الكنيسة والمجتمع.

وكان اليوم الثالث مخصصا للقارة الاوربية حيث تركزت المحاضرات والمناقشات حول موضوع "الصحافة والشباب".

وبعد حفلة الافتتاح الرسمي (٢٥ ت١) —قرئت خلالها رسالة البابا الى المؤتمر ورسالة السيد مبو مدير اليونسكو...— توجهت اعمال المؤتمر حول محاور رئيسة اربعة: فحول محور **"الاتصال الاجتماعي والشركة المسيحية"** القى الاستاذ الاب دي اوليفيرا (سويسرا) محاضرة قيمة في "الاسس اللاهوتية والاخلاقية لاتصال اجتماعي متضامن" اوضح فيها بان الرؤية المسيحية لوسائل الاتصال تجعل منها وسائل للاخوة والشركة في الاسرة البشرية، وتخدم كرامة الانسان وتشيع قيم الحق والعدل والحرية... فيما اكدت محاضرة الاب الدكتور امالور بافاداس (الهند) على الصوفية التي يتصف بها الاتصال الاجتماعي من حيث هو كشف للعلاقة الصميمة بين الله والحدث بصفته مؤشرا لحضور الله الخفي في العالم، ومن هذا المنطلق يضحي الصحفي المسيحي حامل رسالة متميزة من خلال التصاقه بالاحداث التي تجري في العالم وفي مجتمعه بنوع خاص، لكونها "علامات الازمنة".

وفي محور **"سياسة وسائل الابلاغ"**، تكلم السيد ماكيزا **(الكونغو)** عن المعوقات التي تصطدم بها الصحافة المسيحية في ظل الانظمة القمعية، مشيرا الى حاجتها القصوى الى الدعم المعنوي والمادي كي يتحول صحفيوها من هواة الى مهنيين وتقوى على تأدية رسالتها في التوعية والمشاركة. اما الاب البير لونشان (سويسرا)، فبعد ان اكد على واجب الصحفي في الالتصاق بالحدث —وتلك مهمته الاولى— أوجز رسالتين في مبدأين: ان يخدم الحقيقة، مع الاحتفاظ بحريته المسؤولة. ويتم ذلك في الصحافة المسيحية حين يسعى الصحفي الى خدمة الحقيقة بصفته خادما للانجيل، ويحتفظ بحريته بصفته خادما لقرائه الذين لهم الحق في اعلام نزيه وكامل. وفيما اشار الى الصرع القائم بين الصحافة والسلطة

الكنسية، اخلص الى القول بان على الكنيسة ان تقبل بمبدا التعددية وتحترم طبيعة الصحافة في مهمتها الاعلامية وليس كوسيلة للوعظ!

وكان المحور الثالث بعنوان "**التعاون والتضامن الدولي**": انبرى السيدان تيفويد جيري معاون مدير مكتب العمل الدولي (جنيف) وجان لارنو امين عام المركز الكاثوليكي الدولي لليونسكو (باريس) في التاكيد على دور وسائل الاتصال في خلق التضامن بين افراد الاسرة البشرية. وفيما شدد الاول على دور الصحافة المسيحية في المساهمة ببناء عالم تسوده العدالة بين الشعوب، دعا الثاني الاتحاد الكاثوليكي الى مزيد من التعاون في برنامج اليونسكو التي تلتقي مع توجهات الانجيل.

اما المحور الاخير حول "**ممارسة العمل الصحفي**"، فقد تناول المحاضران نوئيل كوبان (لاكروا - باريس) وروبي رونزا (ال سباتو - ميلانو) جوانب عديدة من العمل الصحافي من خلال خبرتهما، مؤكدين على واجب الصحيفة في "اعطاء الكلام" للقراء وخلق الحوار من خلال المناقشات والاستفتاءات والطاولات المستديرة...بحيث يشعر القراء انهم مشاركون اكثر من كونهم "مستهلكين".

وحول هذه المحاور الاربعة توزع المؤتمرون، في "طاولات مستديرة" على ١٦ فرقة عمل. ونكتفي، لضيق المجال، بنقل خلاصة موجزة للمناقشات التي دارت حول محور "الاتصال الاجتماعي والشركة المسيحية": فبشان خصوصية الصحافة المسيحية، اكد المشاركون على انها تقوم في التعامل مع الحدث برؤية مسيحية، وتلك صيغتها في اعلان بشرى الانجيل. واشار الكثيرون الى دور الصحافة في اكتشاف الرأي العام والتعبير عنه بحرية ومحبة حتى وإن رشحت عنه خلافات وتناقضات داخل الجماعة الكنسية، وتلك خدمة تؤديها الصحافة. وفيما اكدت فرق العمل الاربع على مهمة الصحافة المسيحية في تنمية الوعي بالشركة المسيحية والشهادة للانجيل، شددت على استقلاليتها واحترام حريتها.

واختتم المؤتمر اعماله باجتماع عام قرئت فيه تقارير الامانة العامة حول نشاطات الاتحاد خلال السنوات الاخيرة منذ مؤتمر روما (١٩٨٠). واعرب المؤتمرون بالاجماع عن رغبتهم في ان يصار الى صياغة مقررات المؤتمر بشكل برنامج عمل للسنوات الثلاث المقبلة انطلاقا من المقترحات التي تقدمت بها فرق العمل. وارفض المؤتمر باعادة انتخاب الدكتور هانس سامان (النمسا) رئيسا للاتحاد.

---

(١) فاجأنا نبأ وفاة الاب شفالييه اثر نوبة قلبية اصابته في جنيف في ٢٩ ت٢، بعد شهر على انعقاد المؤتمر الذي كان قد وضع كل طاقاته ومواهبه في اعداده وانجاحه.
ولد بيير شفالييه في جنيف عام ١٩١٦. وبعد ان اكمل دراسته في جامعة فريبورغ ابرز نذوره الرهبانية في جمعية "مرسلي القديس فرنسيس السالزي" ورسم كاهنا عام ١٩٤٠. وانيطت به مهمات كثيرة في حقل الرسالة والتعليم والصحافة، انشأ "المركز العالمي للريبورتاج"(CIRI) عام ١٩٦٢ واشرف على ادارته ٢٠ عاما. ومنذ عام ١٩٧٤ انتخب امينا عاما للاتحاد الكاثوليكي الدولي للصحافة في مؤتمر بوينس ايرس (الارجنتين).

ش.ر/ ك٢ ١٩٨٤

الارجنتين.. واخيرا.. اشرقت الشمس

كانت الارجنتين تحتل مكانة الصدارة في وسائل الاعلام طيلة حكم الجنرال فيديلا، وابان النزاع مع بريطانيا حول جزر الفوكلاند، ما حمل البابا على القيام بزيارة وساطة عام ١٩٨٢ بعد زيارته للمملكة المتحدة ببضعة ايام (ف.م.حزيران /تموز ١٩٨٢).

فمن فيديلا الى بينيوني، مرورا بكالتييري وبالبين، جنرالات تعاقبوا على رأس دكتاتوريات عسكرية مثلت طيلة سبع سنوات أبشع أشكال القمع بحق الشعب الارجنتيني... واخيرا اشرق عليها فجر جديد حين حمل الناخبون الى رئاسة الجمهورية راوول الفونسين ووكلوا اليه مهمة توطيد الديمقراطية في البلاد. وفي هذا المنعطف الجديد يتحتم على الكنيسة الارجنتينية -وقد طبع التردد مواقفها- ان تساهم اليوم في عملية اعادة بناء البلاد انطلاقا من قراءة جديدة لانجيل الحرية والعدالة.

في ملف عن الارجنتين (ف.م. ت٢ ١٩٧٨) كانت "الفكر المسيحي" قد تساءلت: متى تشرق الشمس على هذا البلد، الثاني بمساحته في القارة اللاتينية (٢٧٧٧٠٠٠ كم٢، ٢٦ مليون نسمة ٩٠% منهم كاثوليك) والذي كان يقوده جورج فيديلا بعصا من حديد، متخذا القمع اسلوبا في الحكم. فحتى وقت قريب كانت ارقام الاعتقالات والاختطافات والاغتيالات تحكي مأساة شعب أضناه القمع، كما كانت "ساحة ايار" في قلب العاصمة بوينس ايرس حيث تتجمع امهات المفقودين، تشهد لحالة الظلم وانتهاك حقوق الانسان...

وفي ٣٠ من ت١ الماضي كانت الارجنتين على موعد مع فجر جديد حين فاز مرشح الحزب الراديكالي راوول الفونسين بانتخابات الرئاسة على منافسه البيروني ايتالو لودير ب ٥٢% من الاصوات. وتنفس الارجنتينيون الصعداء وقد راوا فيه منقذا يعيد الحياة الديمقراطية الى البلاد ويدعو الى توطيد وحدتها وسيادتها، وقد صرح في خطابه الاول: "لم ندحر احدا، وانما استعدنا حقوقنا نحن الارجنتينيين جميعا".

كانت اول خطوة قام بها الرئيس الجديد اقناع العسكريين بتسليم السلطة اليه في ١٠ ك١ وليس في ٣٠ ك٢ كما كان مقررا. وللحال شمرت حكومته الجديدة (٨ وزراء) عن ساعد الجد لاعادة تنظيم البلاد من خلال قرارات هامة تهدف الى معالجة التضخم (٤٠٠ – ٥٠٠%) والحد من تصاعد اثمان المواد الغذائية، والسيطرة على الجيش وقوى الامن (احالة ٢٨ جنرالا و ١٧ اميرالا على التقاعد)، والرغبة في مفاوضات مع بريطانيا بشان وضع جزر الفوكلاند الخ...

غير ان تطلع الشعب كان يتجه صوب ال ٣٠٠٠٠ من المفقودين؛ فبعد ان اعلن الفونسين في ١٣ ك١ بأن الجنرالات الثلاثة الذين تسلموا السلطة بعد فيديلا سيخضعون للمحاكمة، قدمت حكومته للبرلمان مشروع قانون لمحاسبة "كل الذين انشأوا جهاز الموت"، سواء كانوا من الارهابيين ام من القوات المسلحة. وتألفت للحال لجنة انيطت بها مهمة اعداد تقرير شامل حول مصير المفقودين وملاحقة المسؤولين عن عمليات الاختطاف والاعتقال ومحاكمتهم.

خلال خمسين عاما

عاشت الارجنتين منذ عام ١٩٣٠ تحت انظمة عسكرية في اغلب الاحيان، وعانت من الفقر وعدم الاستقرار وتدهور الاقتصاد والتفاوت بين الطبقات... وبعد الحرب العالمية الثانية ظهر على المسرح خوان بيرون الذي، بالرغم من صلابته وديماغوغيته، استطاع ان يكسب ثقة الشعب. وبعد الاطاحة بحكمه عام ١٩٥٥، تعاقبت حكومات عسكرية تخللتها عودة البيرونيين الى الحكم بشخص كامبورا ومن ثم بيرون ذاته (١٩٧٣). وبعد وفاته تسلمت الحكم زوجته ايزابيل (١٩٧٤) التي لم تستطع تفادي حالة الاضطراب والتردي الاقتصادي. وفي ٢٤ آذار ١٩٧٦ قام الجنرال فيديلا بانقلاب عسكري وانطلقت في عهده موجة من القمع والارهاب لم يسبق لها مثيل... وعادت الحياة الديمقراطية بفوز راوول الفونسين بالانتخابات الرئاسية في ٣٠ ت١ ١٩٨٣.

كنيسة تتململ...

لقد ظلت كنيسة الارجنتين فترة طويلة اسيرة التقليد، و لم تمتد اليها نفحة المجمع المسكوني الا بعد سنوات من انعقاد دورة ميدلين (١٩٦٨) لمجلس اساقفة امريكا اللاتينية، حين اجتاحت القارة يقظة اجتماعية — دينية تجاه بنى الظلم والتخلف، وراحت الكنائس تقوم بقراءة جديدة للانجيل في ضوء الاوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المهزوزة. وكان لهذه التوجهات اثرها على المسيحيين الارجنتينيين الذين اخذوا يعون مسؤولياتهم الانسانية والمسيحية في عملية التحرير من خلال انتظامهم في "جماعات قاعدة" في الاوساط العمالية والفلاحية، بدعم من كهنة ورهبان وراهبات دفع العديد منهم غاليا ثمن وقوفهم الى جانب الفقراء والمظلومين.

وازاء اعمال القمع والاختطاف والتعذيب التي مارستها الطغمة العسكرية بحق العديد من المواطنين، بقي المصف الاسقفي (حوالي ٨٠ اسقفا) في حالة من التردد في اتخاذ موقف موحد، مما حمل الكثير من المؤمنين الى توجيه اللوم الى الاساقفة بمؤامرة الصمت، كما جاء في رسالة وجهتها اليهم عوائل المعتقلين: "لقد كنتم وحدكم قادرين على التكلم و لم تقولوا شيئا". ويرجع هذا التردد في موقف الاساقفة الى اختلاف التيارات التي تتقاسمهم، حيث ان هناك الاساقفة المحافظين او الذين يساندون الحكم العسكري، الى جانب عدد اخر من الذين يرون لزاما عليهم ان يدافعوا عن حقوق الانسان وينددوا بالمظالم التي ترتكب ضده.

ومن الجدير بالذكر ان هذا الانقسام في مجلس الاساقفة لم يمنع بعض الاساقفة من

القيام بمبادرات فردية وان بقي مفعولها محدودا. إلا ان الضغوط التي مارستها امهات المفقودين والحركات العلمانية —فضلا عن التوعية التي قامت بها وسائل الاعلام بمناسبة مباراة كاس العالم عام ١٩٧٨، والدعم الذي منحه يوحنا بولس الثاني لكنيسة امريكا اللاتينية في نضالها من اجل حقوق الانسان ابان انعقاد دورة بويبلا (المكسيك) عام ١٩٧٨— حملت مجلس الاساقفة على اصدار مذكرات الى السلطة تناشدها للكف عن الاجراءات التعسفية التي تنال من كرامة الانسان، والكشف عن مصير الالوف من المختطفين والمعتقلين الذين لم تجر محاكمتهم

... وهي اليوم أمام منعطف جديد

في اعقاب الانتخابات الاخيرة حيا الاساقفة عودة الديمقراطية الى البلاد ودعوا المواطنين الى المصالحة ووضع طاقاتهم في عملية اعادة بناء الارجنتين "على اسس الحق والعدل والحب". وتجدر الاشارة الى ان الرئيس الجديد توجه بنفسه الى سان ميكيل ليعرض على الاساقفة المجتمعين برنامج حكومته، وقد طلب اليهم قائلا: "لا تترددوا من تذكيرنا بواجباتنا كل مرة لا نحسن التصرف"!

ويبدوا ان الاساقفة مصممون على عيش تجربة الديمقراطية بروح المسؤولية، كما يتضح من تصريح المونسنيور ميكيل هسين اسقف فبيدما لمجلة (A.R.M.، العدد ٨) ابان وجوده في باريس "ان هذا الانتخاب يمثل املا كبيرا... ففي ٢٩ ت١ كانت الارجنتين اشبه بأسرة تنتظر مولودا جديدا، وفي ٣٠ منه عشنا فرحة بلد محرر". وفيما قال بأن السيد الفونسين هو الرجل الذي سيتمكن من اخراج البلاد من حالة الفوضى التي زجته فيها سبع سنوات من الحكم الدكتاتوري، اكد بان اعادة البناء مسؤولية يتقاسمها كل الشعب، ويجب "على الكنيسة ان ترافق الشعب كي تقوم هذه العملية على اسس انجيلية". ويخلص كاتب المقال الى القول بان على الكنيسة ان تقوم بفعل اهتداء عميق الى التوجهات التي حملها المجمع ورجعت صداها وثائق ميدلين وبويبلا.

ش.ر/آذار ١٩٨٤

هل سيكون لنا كهنة؟ أي نوع من الكهنة نريد؟

هل سيكون لنا كهنة؟ اي نوع من الكهنة نريد؟ سؤال طالما طرحته "الفكر المسيحي" وتناولته، ولأكثر من مرة، بالبحث والتحليل (راجع العدد الخاص لعام ١٩٧٩: كهنة لمن؟ ولماذا؟)... ولكم لفتت الانتباه الى ازمة الدعوات الكهنوتية التي اجتاحت الغرب في السنوات الاخيرة واخذت بوادرها تلوح في سماء كنيستنا العراقية، ولا سيما ابان الرجات التي اصابت معاهدنا الكهنوتية[1] في السبعينات، في اعقاب قرار الحاقها بوزارة التربية، وفي اثر التضعضع الذي لحق بها من جراء تعثر اداراتها وتقلص اساتذتها، وخاصة بعد خضوع طلبتها لخدمة العلم... ولكم اشارت "الفكر المسيحي" ودعت الى ضرورة الانكباب على دراسة شاملة لقضية الواقع الكهنوتي في قطرنا، من كافة جوانبه، بهدف التخطيط الجاد لإعداد جيل جديد من الكهنة يحملون الشعلة ويكونون على مستوى عال من الاستعداد لتحمل المسؤولية الجسيمة المناطة بهم، وتأدية الرسالة الانجيلية، وضمان مستقبل مشرق للكنيسة في خضم التحولات الثقافية والحضارية والاجتماعية والسياسية التي طرأت وتطرأ على المجتمع العراقي الجديد.

هذا الملف -وهو حصيلة السؤال المطروح للمناقشة- يعكس جوانب من قضية الكهنوت.

●

أن تكون ازمة الدعوات ومشكلة النقص في عدد الكهنة قد ظهرتا في كنيستنا التي كانت لسنوات خلت تفاخر بانها بمنجى من هذه المعاناة، فذلك واقع اخذنا نشهده اليوم، وذلك انطلاقا من استنتاجات ثلاثة: اولها تناقص عدد الكهنة من جراء الوفيات التي حدثت في صفوف الكهنة العجز وحتى الشباب -بلغ عدد المتوفين من مختلف الطوائف المسيحية حوالي ٤٥ كاهنا خلال السنوات العشر الاخيرة (١٩٧٤ - ١٩٨٣). وثانيها غياب عدد لا باس به من الكهنة خارج القطر، سواء انتدبوا للخدمة في اقطار اخرى أم أرسلوا للدراسات العالية -وبعضهم لم يعد، فيما تخلى بعضهم عن الحياة الكهنوتية. وثالثها شحة الرسامات الكهنوتية في المعهدين الكهنوتيين اللذين اصيبا بنكسة في مسيرتهما -لم يتخرج فيهما خلال السنوات العشر الاخيرة سوى ٩ كهنة! الى جانب بضعة كهنة- رهبان.

ولدرء النقص في عدد الكهنة، ابتسمت فكرة دعوة متزوجين الى الكهنوت؛ وعمدت بعض الابرشيات الى رسامة متزوجين، من شمامسة او موظفين متقاعدين -وبعضهم من العجز- اعدوا بشكل سريع دون ان تتوفر لهم الفرصة للحصول على ثقافة لاهوتية وكتابية وراعوية جادة ومتكاملة.

ومن هنا يتضح، ولاول وهلة، ان عدد الكهنة الجدد، عزابا كانوا ام متزوجين، لم

يقو على سد الفراغ الذي يتركه الكهنة المتوفون او العاجزون. واذا ما اعتبرنا ان حوالي ٦٠% من الكهنة الحاليين تتراوح اعمارهم بين ٤٠- ٦٠ سنة، وان حوالي ٣٠% من الكهنة تجاوزوا الستين، فمما لا شك فيه اننا اصبحنا نواجه مشكلة جسيمة.

ولما كانت كنيستنا تفتقر الى رافد خصب يمدها بكهنة جدد يكونون على مستوى عال من الثقافة والروحانية ليحلوا محل المتوفين والعاجزين، فلا عجب اذا ما وجدت نفسها في مأزق، يتطلب الخروج منه معالجة جاده وشاملة وعدم الاكتفاء بدعوة متزوجين الى الكهنوت وكأنها المعالجة الوحيدة للموقف.

وازاء هذا الحل لمشكلة النقص في عدد الكهنة –وليس هدفنا هنا ان نتناول قضية الحياة الكهنوتية، وانما ان نصدي لاراء القراء في حدود السؤال المطروح للمناقشة–، وازاء هذا "النوع" من الكهنة المتزوجين الذين دعوا الى الكهنوت دون اعداد كاف، كان لا بد ان تطرح "الفكر المسيحي" السؤال بالصيغة التالية:

- **مشروع دعوة متزوجين الى الكهنوت، بهدف ملء النقص في عدد الكهنة، ألا يعتبر اختيارا لحل السهولة؟ واذا كانت الشروط المفروضة على الراغبين في الكهنوت تحت المستوى المطلوب، ألسنا نسير في اتجاه خطر يهدد مستقبل الكنيسة؟**

أزمة الدعوات الكهنوتية

هذا السؤال يتصل اتصالا وثيقا بالسؤال حول "ازمة الدعوات الكهنوتية": **هل يمكن ارجاعها الى قضية البتولية؟ أوليست الازمة قائمة بالرغم من وجود كهنة متزوجين؟**. فقد ادلى المشاركون برؤيتهم حول الازمة ووضعوا اصبعهم على الجرح بتحليل، يكاد يكون كاملا، للاسباب العميقة التي ادت وتؤدي الى تناقص عدد الراغبين في الكهنوت.

وفي تحليلاتهم للاسباب العميقة لازمة الدعوات، اخلص المشاركون الى تقديم بعض الحلول: فكان التاكيد على اهمية التثقيف المسيحي وخلق الوعي لدى الشباب (**هاني عزيز بني** –قره قوش، **خليل توما** - الشيخان)، وضرورة ضمان حياة كريمة للكاهن في شبابه وشيخوخته، كي لا ينجرف وراء المال بطرق ملتوية ومشككة، الى جانب ضرورة تحريره من الاعباء المالية والادارية... وابرز اكثر من مشارك اهمية الاكليريكية بصفتها المكان الملائم لتنشئة الراغبين في الكهنوت على الصعيد الفكري والروحي، وحاجتها الى كادر كفوء (**جميلة بولص**- شقلاوة، **صلاح سالم** - باطنايا)، وتمنى بعضهم على المسؤولين الكنسيين ان يسعوا الى انشاء كلية لاهوت تلحق بجامعات القطر وتعترف الدولة بشهادتها (**سلافة بهنام دانو** – قره قوش) واستحصال اعفاء الطلبة من الخدمة العسكرية خلال الدراسة (هاني عزيز). واقترح **ب.ح.** (الموصل) "انتداب كهنة من بعض الاقطار، كالهند مثلا ". وقاسمه الاقتراح ذاته **جرجيس مسكوني** (الموصل)...

دعوة متزوجين الى الكهنوت

بعد هذا العرض السريع لازمة الدعوات، يطفو الى السطح مشروع دعوة متزوجين الى الكهنوت، سواء كان بهدف ازاحة احد العوائق التي تعترض سبيل الراغبين في الكهنوت، ام بهدف معالجة مشكلة النقص في عدد الكهنة. وهكذا يتضح ان لهذا المشروع جانبين: اولهما امكانية افساح المجال امام الراغبين في الكهنوت من الشباب —سواء كانوا من خريجي المعاهد الكهنوتية ام لم يكونوا— للاختيار بين الزواج والبتولية قبل رسامتهم الكهنوتية، وثانيهما قبول رجال متزوجين في الخدمة الكهنوتية.

١ — بين الزواج والبتولية

حول هذا الموضوع، ادلى المشاركون برؤيتهم: فاعتبر **فرنسيس ساكو** (الموصل) بان "اللجوء الى الاكليروس المتزوج ظاهرة غير صحيحة"، ورأى فارس منصور تمس (قره قوش) فيها "مؤشرا من مؤشرات الضعف والتقهقر والانحطاط في الكنيسة" متسائلا:

"هل الكاهن المتزوج هو بمستوى المسؤولية الملقاة على عاتقه، سواء على الصعيد الكنسي او على الصعيد العائلي؟ كيف يتسنى له ان يخدم الجماعة وهو غير متفرغ كليا لهذه المهمة؟ فالكاهن يمثل شخصية يسوع المسيح على الارض، بينما الكهنة المتزوجون لا يمثلون شخصيته الكاملة... وهكذا يبدو ان السير في هذا الاتجاه خطر يهدد مستقبل الكنيسة".

ويوافقه **سولاقة بهنام** حين يؤكد بان البتولية "صفة تميز الكاهن عن سائر الناس"، مبديا تخوفه من المشاكل التي ستتولد من جراء السماح بالزواج، مع افتراض الزيادة في الدعوات الكهنوتية:

أ — الكاهن المتزوج، ستترتب عليه مسؤولية اعالة عائلته مما يؤدي الى التضارب مع مهامه ورسالته، ب — وسيضطر الى توزيع حبه واهتماماته بين زوجته واطفاله وبين ابناء رعيته.

الى صعوبة التوفيق بين المسؤوليتين، اشارت ايضا **سناء بهنام ججي** (الموصل). بينما كتب **ب. ح.** يقول:

"وارى من الضروري التفكير بكهنة من هذا الصنف وذاك: فالبتولية شرف كبير لانها تضحية في زمن كهذا، ونظرة الشعب الواعي الى هذه النوعية من الرجال هي نظرة اكبار... اما الكاهن المتزوج، فوجوده ضروري ايضا لاسباب عديدة منها ان تقليدنا الشرقي هو كذلك، وان الانجيل لا يؤكد على التزام الكاهن بالبتولية".

ومن هذا المنطلق تساءلت **نبيلة بولا** (القوش):

"صحيح ان نظام الكهنة المتبتلين قد يكون افضل لبعض الاسباب... ولكن لماذا يعتبر اختيارا لحل السهولة ما دام نظام الكهنة المتزوجين هو المعتاد في كنيستنا الى ما قبل ١٠٠ او ١٥٠ سنة؟ اليس بامكان الكنيسة ان ترجع الى هذا النظام؟"

وذهبت الاجابات في اتجاه اعطاء حرية الاختيار للكاهن قبل رسامته (**الياس ايشوع** — قره قوش)، ولاسباب كثيرة، اشار منها **كامل كوركيس نعمو** (باطنايا) الى ان الكاهن المتزوج "اقل عرضة للانزلاق" على حد قول الرسول بولس: "الزواج خير

من التحرق". بينما اكدت **جوليت فرنسيس مطلوب** (الموصل) بان الزواج لا يمنع الكاهن من القيام باعماله، مخلصة الى القول:

"ماذا يستطيع الكاهن غير المتزوج ان ينجزه اكثر من الكاهن المتزوج طالما ان لهذا رغبة عميقة في الكهنوت؟ اليس من الافضل الا تخسر الكنيسة الكاهن الفلاني الذي يترك الخدمة بعد وقوعه في لحظة ضعف... او ذاك الكاهن النشيط الذي يذهب الى الخارج ويتزوج... ولماذا نخسر الطالب الذي كانت له رغبة شديدة في الكهنوت وفي السنة الاخيرة يتخلى عنها بسبب الزواج؟"

وبعد تحليل دقيق لازمة الدعوات، لفت **غسان قاشات** (بغداد) الانتباه الى ان البتولية ليست القضية الوحيدة التي ترجع اليها الازمة، ولكنها في الوقت ذاته قضية هامة جدا.

"... وانا شخصيا اؤيد زواج الكهنة لاني اعتقد ان اغلب الناس (ومنهم الكهنة) يستطيعون ان يحبوا ويخدموا الجماعة بشكل فعال اذا ما وجد بجانبهم شخص يحبهم ويفهمهم، ويختبر معهم ما يختبرون ويعاني ما يعانون. فضلا عن ان الكاهن انسان من لحم ودم، وله شعوره واحاسيسه، امالـه وطموحاته، يختبر ما نختبره نحن من فرح والم وحب ويأس وسعادة... افليس من حقه ان يعيش بجوار شخص يكون قد اختاره بنفسه ليختبرا معا الحب والايمان وكل جوانب الحياة؟"

ودعا **الاب بول ربان** (الموصل) الى:

"... البحث عن شباب مقتنعين من دعوتهم الكهنوتية، يستعدون لها بالدراسة الكاملة، ومن ثم يخيرون بين البتولية والزواج... فلا يكون من اختار ان يكون كاهنا متزوجا نصف مثقف، وانما يتمتع بثقافة كاملة بحيث يتسنى لخدمته ان تكون متجاوبة مع حاجات المؤمنين. فمن الممكن التفكير بتبني نظام يضمن للراغبين في الكهنوت ثقافة كاملة وتخييرهم -لدى التخرج- بين البتولية والزواج... وهذا الاسلوب مارسته الكنيسة ولا يزال معمولا به لدى الكنائس غير الكاثوليكية".

والى هذا الخيار دعا العديد من المشاركين (**جرجيس مسكوني، صلاح سالم...**).

٢ – قبول متزوجين في الكهنوت

هذا المشروع الذي يبدوا لاول وهلة انه الحل لمشكلة النقص في عدد الكهنة – وتناوله بالبحث مقال للمطران عمانوئيل بني (ف.م. ك١ ١٩٨٣)– استقطب اهتمام القراء. وقد عكست اجاباتهم موقفين قد يبدوان متضادين ولكنهما يلتقيان في نقطة واحدة تحوم حول هذا التساؤل: ما هو المستوى الثقافي، اللاهوتي والراعوي، الذي يتصف به هؤلاء المدعوون إلى الكهنوت؟

كتب **سامي حبيب اسطيفو** (قره قوش):

"ان دعوة متزوجين الى الكهنوت مشروع مؤمل فيه كل خير... اذ هل اعاق الزواج الخدمة التي قدمها ويقدمها العديد من العظماء السياسيين والمفكرين والفنانين الخ... فاذا كان هذا المتزوج سيتجند لخدمة الرب والكنيسة، فلن يعيقه الزواج من اداء رسالته السامية... فالمخاوف ليست في موضوع قبول متزوجين، وانما في عدم اكتمال الشروط الجدية الواجب توفرها فيهم قبل اختيارهم. فمتانة الشروط وجديتها هما الضمان لنجاح هذا المشروع".

ولكي "يصبح هذا المشروع متكاملا وخاليا من الثغرات ويخدم بالتالي مصير ومستقبل الكنيسة" يطرح **وعدالله ايليا كرومي** (قره قوش) هذا التساؤل: هل الشروط

المفروضة على المتزوجين والراغبين في الكهنوت هي بالمستوى المطلوب؟ ولاسيما ان هذه الدعوة ليست لاداء الليتورجيا وحسب. الى هذا التساؤل يجيب الشماس **فرج يوسف مرقس** (البصرة):

"الشروط هي نفسها التي تطلب من المتزوجين والراغبين في الكهنوت، وذلك بفتح دورات تثقيفية في اللاهوت والكتاب المقدس والقضايا الراعوية الخ... على غرار ما يجري في محافظة نينوى... بينما تغلق الابواب امام الشمامسة المتزوجين في محافظات اخرى واخص بالذكر البصرة... ومثل هؤلاء الشمامسة لن يكونوا تحت المستوى المطلوب، لان لهم خبرات طويلة في شؤون الكنيسة ولهم من غيرتهم الرسولية ما يدعو الى عدم الخوف على مستقبل الكنيسة"

وتضم **نبيلة بولا** صوتها بان: "للشمامسة الافضلية في هذا الاختيار واعدادهم للكهنوت، وخاصة من لهم ثقافة عامة جيدة". ويوافقهم **عصام الياس القس الياس** (قره قوش) بقوله:

"لا اعتبر هذا المشروع اختيارا لحل السهولة، وانما اعتبره حلا اذا ما توفرت في هؤلاء المتزوجين المؤهلات الانسانية والاستعداد الفكري والروحي، الى جانب الرغبة والسخاء في الخدمة..."

ويعارض **خليل توما** (الشيخان) المشروع مستندا الى شواهد من التاريخ حول قيمة البتولية للكاهن، مؤكدا على عدم صلاحية الكاهن المتزوج في اداء خدمته، ومخلصا الى القول:

"ان دعوة متزوجين تعتبر كارثة في حياة الكنيسة، اذ كيف "يستطيع اعمى ان يقود اعمى"! فما دام الغرض من هذه الدعوة هو سد النقص في عدد الكهنة، فذلك دليل على ان الكنيسة تسير الى الوراء. فالنوعية اكثر اهمية من الكمية".

وتوافقه **لوسي ميخا توما** (البصرة) التي تعتبر هذا المشروع "خطأ جسيما" وان السير في هذا الاتجاه خطير جدا. ويضيف **فخري ايليا ملكو** (بغداد) بان هذا الاتجاه يهدد مستقبل الكنيسة" لان الكاهن المتزوج تمنعه التزاماته العائلية من تادية واجباته الدينية"، بينما يؤكد **سلافة بهنام** على ان هذا المشروع" قد يؤدي الى سد النقص في عدد الكهنة، ولكنه سيؤدي ايضا الى انخفاض وتدهور مستواهم الثقافي... فنحن لا نصبو الى كمية الكهنة بل الى نوعيتهم".

وذهبت **سناء بهنام** الى اعتبار المشروع اختيارا لحل السهولة مؤكدة:

"... وهذا يعني اننا قد اعترفنا باننا نعاني فقط من مسألة البتولية، في حين ان هناك مشاكل كثيرة تقف بوجه الشباب الراغبين في الكهنوت واخص بالذكر قلة او انعدام المعاهد الكهنوتية وعدم اتاحة الفرصة لطلبة الكهنوت لاستكمال دراستهم...".

وتصب الاجابات ثقلها في التاكيد على ضرورة الثقافة. فكتب **الاب لويس ساكو** (الموصل):

"مشروع دعوة متزوجين الذي الفناه حتى الان هو بصراحة مشروع فاشل. لا بأس ان يكون هناك كهنة من المتزوجين، ولكن يجب ان تكون ثقافتهم اللاهوتية والفلسفية والانسانية جيدة بقدر يمكنهم من القيام بواجبهم القيادي: فالكاهن قائد وليس درويشا!..."

ويوافقه **الخوراسقف جبرائيل باكوس** (الموصل) متمنيا ان يكون هؤلاء المتزوجون من الشباب، ليتسنى لهم ان يحصلوا على ثقافة جادة. بينما يتمنى **صلاح سالم** ألا تقدم الكنيسة على رسامة متزوجين "الا في الحالات الاضطرارية". وفيما يحذر الاب **بول ربان** من مغبة رسامة متزوجين بشروط تحت المستوى المطلوب، مما يشكل خطرا على مستقبل الكنيسة، يخلص الى القول:

"... ان السلطة الكنسية لا تبحث عن الحل الصحيح ولا تجابه المشكلة في اساسها وجوانبها المتعددة في الظروف الراهنة. لان الوضع الجديد الذي تعيشه كنيسة اليوم يتطلب شروطا جديدة تهدف الى صياغة كهنة من نوع جديد.

ربما يطمئن البعض ويلتجيء الى رسامة متزوجين غير كفوئين، بحجة ملء الشواغر وترقيع الشق، لئلا يجهد نفسه في ايجاد صيغة جديدة تلائم العصر. الم يحذرنا يسوع من وضع الخمر الجديدة في زقاق قديمة؟ فأن رسامة متزوجين غير كفوئين هو دليل على عدم قدرة الكنيسة في مواجهة المشكلة وايجاد حل لها يتجاوب مع الحاجات الراهنة... أليس الجهل خطرا يهدد الكنيسة بالانقراض؟"

وبمنظور شمولي يدلي غسان قاشات برأيه في أن هذا المشروع "بالرغم من كونه مشروعا مصيريا لمستقبل الكنيسة، فانه في الواقع سيتم كاختيار لحل السهولة" ويواصل قائلا:

"... فاذا تم من دون استعداد كاف، فسيكون تعميقا لازمة الكهنوت وخطرا كبيرا على مستقبل الكنيسة، عوض ان يكون حلا يقودنا الى فتح آفاق كنسية للمستقبل. فنحن ازاء ازمة اعمق من كونها ازمة دعوات، والمصدر الرئيس لهذه الازمة يكمن فينا نحن الكنيسة، جماعة المؤمنين، وبالاخص السلطة الكنسية التي تتولى دوما مسؤولية اتخاذ القرارات... فالازمة الحقيقية ليست ازمة دعوات وحسب، وانما تشمل كافة القضايا التي تخص حياة الجماعة المسيحية (المشاركة في الاسرار والطقوس، التثقيف المسيحي، رسالة العلمانيين الخ...) حيث تبرز الرغبة المتوارثة في ابقاء الامور على عواهنها، تجنبا لظهور مستجدات تقتضي مواجهة جادة، ويظهر الخوف والتردد من تحمل مسؤولية قرارات نبوية تبعث الحياة مجددا في كنيستنا، مما يؤدي الى خلق حالة من اللااستقرار في البنية الكنسية..."

نماذج جديدة من الكهنة

وكان لا بد ان يرافق التساؤل "هل سيكون لنا كهنة؟" تساؤل آخر اكثر اهمية "اي نوع من الكهنة نريد؟" الا يمكن ان نفكر بنماذج جديدة من الكهنة اكثر ملاءمة لعصرنا؟

وعكست الاجابات الصفات التي يفترض ان يتمتع بها كاهن اليوم من ثقافة لاهوتية رصينة ومتجددة، وروحية عميقة، ونشاط رسولي بتصف بالسخاء والالتزام...مشددة على صورة يكون الكاهن بموجبها "واعظا ومبشرا وشاهدا ونبيا" (**ابلحد كوركيس، غسان قاشات**)، قريبا الى كل ابناء رعيته وفي مقدمتهم الفقراء (الياس ايشوع، لوسي ميخا)،متحسسا قضايا مجتمعه ووطنه وشعبه (**جميلة بولص، وعدالله ايليا، هاني عزيز**...). إلا ان التركيز اتجه صوب مناقشة عمل الكاهن المهني او الوظيفي.

وفيما تساءلت **لوسي ميخا** "ماذا سيعمل الكاهن بوظيفته" ولديه اعمال اخرى

يقوم بها؛ وعارض **خليل توما** فكرة الكاهن الموظف او العامل بحجة "انه لا يستطيع ان يوفق بين عمله الكنسي والوظيفي او المهني"؛ وتمنت **سناء بهنام** الا "ينشغل الكاهن ببعض المهام التي تبعده عن مهمته الاولى والاساسية –ويمكن تطبيق فكرة الكاهن الموظف او العامل بعد ان يزداد عدد الكهنة–"؛ اخلص **فخري ايليا** الى القول:

"باعتقادي اننا نحتاج الى الكاهن الحالي مع بعض التجدد والتطور في نشاطاته، بحيث يكون متفرغا لخدمة الكنيسة والمجتمع.. فنحن بحاجة الى وقت الكاهن كله ولا نريد ان يشاطر حياته عمل اخر –ولا حتى الزواج! اما لمعالجة النقص في عدد الكهنة، فاقترح ان يكون هناك مرتبة جديدة –غير الشمامسة– تمنح لعلمانيين، رجالا ونساء ومن مستويات واعمار مختلفة، بصفة "مساعدين" للكاهن يتم تاهيلهم عبر دورات مركزة، وتعهد اليهم من ثم مسؤوليات كنسية...".

وفيما اكد **الاب بول ربان** بان المطلوب "ليس ان نخلق الدعوة، بل ان نكتشفها بين شبابنا –لانها موجودة–، فنهيّء قادة للغد يخدمون في مجتمع طرات عليه تحولات جذرية" شريطة ان يتكيف اسلوب تاهيلهم وممارستهم رسالتهم مع متطلبات العصر... اشار ابلحد كوركيس الى ان على الكنيسة:

"... ان تبحث باستمرار لايجاد صيغ جديدة وعديدة لكاهن اليوم، يتسنى له بموجبها ان يحمل بشرى المسيح بكفاءة في ما بين المؤمنين على كافة مستوياتهم. كما عليها ان تسعى بجدية الى تذليل العقبات التي لا مبرر لها امام الرغبين في خدمة الكهنوت، وذلك بتشجيع اساليب الخدمة المتطورة... سواء رغبوا بوظيفة حكومية او مهنة حرة يزاولونها، ام رغبوا في الزواج... ".

وذهب **غسان قاشات** الى استبدال صيغة السؤال: الكاهن، كيف يريد ان يكون؟

"نحن بازاء شخص يحمل رسالة.. اليست الشهادة للمسيح هي قضيته الاولى؟ فماذا هيأنا له حتى يستطيع ان يؤدي رسالته بحيوية وفاعلية ويضحى شاهدا بحق للانجيل؟ فالموضوع يخصنا كما يخصه هو، وقد نكون نحن –مؤمنين ومسؤولين– عاملا مباشرا في عملية القرار الذي يتخذه... ففي انتظار ان يحمل كاهننا السمات التي يريد ان يتصف بها والتي نحلم بها جميعنا، لندعه:

- **يختبر الحياة ولا يبقى "سجين" المعهد الاكليريكي، فيكتشف مشاكل الحياة ويختار اصدقاءه ويتبادل معهم الاراء حول دعوته ورسالته المقبلة.**
- **يختبر الحياة العملية فيكون عاملا او فلاحا او طبيبا او مهندسا... فقد يكون هذا هو المجال الخصب لرسالته المقبلة.**
- **يمارس العمل الرسولي بمختلف اوجهه (والتعليم المسيحي بنوع خاص) فيتحسس المشاكل التي تعترض مسيرة الايمان لدى اخوته، ويكتشف السعادة التي يحصل عليها الانسان الملتزم بالرسالة الانجيلية.**
- **يواصل دراسته العلمية واللاهوتية، فتكون له الخلفية الفكرية التي تمكنه من عيش حياته الكهنوتية بشكل مثمر.**

ورحب العديد من المشاركين بفكرة الكاهن العامل او الموظف: فكتب **نجيب قاقو** يقول:

"تلك فكرة اكثر من جيدة اذا كان مثل هؤلاء قد حصلوا على ثقافة كهنوتية رصينة تجعلهم على مستوى مسؤولياتهم الكنسية".

ويوافقه **سلاقة بهنام** بان ذلك "يعتبر تطورا جديدا في مفهوم الكاهن، حيث سيتاح له ان يعمل ويبشر في آن واحد". وعلى هذا الهدف ركّز **الخور اسقف جبرائيل باكوس:**

"يمكن ان يكون الكاهن موظفا اوعاملا، شرط ان يكون الهدف الشهادة للمسيح، باخلاصه في العمل ومثاله الصالح والتزامه قضايا زملائه وطموحاتهم".

ويضيف **الاب لويس ساكو** بانه ينبغي ان يكون الهدف من الكهنة العمال "نقل البشرى السارة الى الوسط الذي يعملون فيه.. وحبذا لو يعيشون حياة مشتركة ضمن اخوات صغيرة". بينما يفضل **عصام الياس** "ان يكون عملهم جزئيا كي لا يؤثر على اعمالهم الكنسية". وذلك بالتنسيق مع الاسقف حول عدد الكهنة العاملين وطبيعة العمل الذي يمارسونه. ويشير الشماس فرج يوسف بقوله:

"ان دخول الكاهن في مجالات العمل والوظيفة وسائر مجالات الحياة العملية سيمنحه خبرات جديدة ويوسع آفاقه ويجعله ملتصقا بواقع الحياة اليومية... الم يحن الوقت لتغيير واقع الكهنوت الذي ظل ثابتا طوال قرون؟"

وفيما دعت **د.ماركريت كوركيس** (كلاسكو) الى اعطاء دور فاعل للعلمانيين في مختلف المجالات "ما دام الكل مشتركين في كهنوت المسيح" اخلصت الى القول – يشاركها **جرجيس مسكوني** في الاقتراح:

"لا بد من التفكير بانماط وصيغ جديدة... منها البحث عن اناس متزوجين مدعوين الى الكهنوت، على ان يحصلوا هم وزوجاتهم على خبرة انجيلية تؤهلهم للقيام بالرسالة[٢]... ولماذا لا يكون لنا قسيسات، سواء من بين اللواتي نذرن انفسهن للبتولية (راهبات– قسيسات)، أم من المتزوجات؟".

... وكان لا بد من خلاصة!

يعد هذا العرض المستفيض الذي اردناه يعكس، الى ابعد حد ممكن، الطروحات التي تقدم بها المشاركون –وقد اتخذت مساهماتهم حيزا كبيرا– يطيب لنا ان نرفع الى مسامع المسؤولين في كنيستنا بعض الاراء التي طفت على السطح، بصوت، عاليا كان ام خافتا،علها تستحثهم لدراسة موضوعية شاملة حول الواقع الكهنوتي في قطرنا، بلوغا الى معالجة جادة تجنب الكنيسة السير في اتجاهات خطرة تهدد مستقبلها. وكلنا امل ان تسهم هذه "المناقشة" التي اتصفت بالحرية والجراة في القاء بعض الضوء على "ملف" الكهنة، سيما وان الاجابات وضعت الاصبع على الجرح وعكست توقعات المؤمنين وتطلعاتهم في قضية يتعلق بها مستقبل المسيحية في عراقنا الحبيب.

والاراء التي نطرحها لا تدعي انها تلم بكافة جوانب الموضوع، وانما اوحت بها اجابات القراء في حدود السؤال المطروح للمناقشة:

- السعي الى ابراز مفهوم يكون بموجبه الكاهن مبشرا ورسولا وشاهدا ونبيا، تتضح من خلاله هويته التي شوهت ملامحها قيود والتزامات قلما تمت الى الحياة الكهنوتية بصلة.

- العمل على فك الرباط بين الكهنوت والبتولية مع احتفاظ البتولية بقيمتها ومكانتها على الا تبدو وكانها شرط اساسي.
- التفكير بامكانية قيام نماذج جديدة من الكهنة لاداء الرسالة الانجيلية باساليب متعددة: الكاهن المتفرغ – وامكانية السير باتجاه تخصصه في وجه من اوجه النشاط الكنسي- والكاهن الملتزم، كليا او جزئيا، بعمل او وظيفة او مهنة...
- فتح صفحة جديدة من العلاقات بين الكاهن والاسقف انطلاقا من رؤية مجمعية في كون الكاهن "شريكا" في الشهادة والخدمة والمسؤولية.
- الانكباب على معالجة جادة لوضع المعاهد الكهنوتية واعادة النظر في بنيتها بما يتلاءم مع متطلبات العصر وحاجات كنيسة اليوم.
- دراسة مشروع انشاء "اكليريكية" للبالغين، عزابا كانوا ام متزوجين، ذات كفاءة عالية لاعدادهم للكهنوت.
- دراسة جادة لمشروع دعوة متزوجين الى الكهنوت وكيفية اعدادهم بشكل يجنبنا الوقوع في السطحية والفراغ وتدهور المستوى الثقافي للكهنة، علما بان النوعية اكثر اهمية من الكمية.
- السعي الى تنظيم دورات لاهوتية تمتد الى فترة ٣ او ٤ سنوات يتلقى خلالها الراغبون العلوم الدينية التي تؤهلهم للمساهمة في النشاطات الكنسية (والتعليم المسيحي بنوع خاص)، مما سيحمل البعض على الرغبة في مواصلة الدراسة استعدادا للكهنوت.
- خلق الوعي لدى العلمانيين بمسؤولياتهم في حياة الكنيسة ونشاطاتها المختلفة واعدادهم لدور "المعاونين الكنسيين"، مما سيحرر الكاهن من الاعباء المالية والادارية (كادارة الاوقاف واعمال البناء والصيانة ومراسيم الاكاليل والدفن الخ...).

---

(١) للكنيسة العراقية معهدان اكليريكيان: البطريركي الكلداني- تأسس عام ١٨٦٠ (ف . م . ايار ١٩٧٤)، ومار يوحنا الحبيب- تأسس عام ١٨٧٨ (ف . م . نيسان ١٩٧٣).

(٢) اقرأ الشهادة عن كاهن متزوج بعنوان "لقاء على العاصي" (ف . م . شباط ١٩٨٠).

هولندا: كنيسة رائدة تعيش في قلق

الكنيسة الهولندية اسالت الكثير من الحبر! وهي التي عرفت منذ المجمع المسكوني عنصرة جديدة، وأثارت توجهاتها اللاهوتية والراعوية ردود فعل من اقصى اليمين الى اقصى اليسار: ففيما رأى الكثيرون في توجهاتها انطلاقة نبوية اصيلة، شم غيرهم فيها رائحة الهرطقة والانشقاق!

كنيسة كانت، لسنوات خلت، تعتز بولائها العميق لروما، وتبدو اليوم وكانها "الولد العقوق" الذي يسعى الى اثبات ذاته فيتعرض لسوء الفهم ويتلقى الضربات...فخلال ١٥ سنة لم تتوقف عملية تعيينات اساقفة جدد كان الهدف منها تغيير الاوراق في المصف الاسقفي والحد من اندفاع اولئك الرواد الاوائل الذين عادوا من المجمع وكلهم تصميم على عيش تجربة "المسؤولية المشتركة"، متخذين من عبارة "الكنيسة هي نحن جميعا" شعارا يسعون الى تطبيقه في كل ابعاده ونتائجه.

●

لثلاثين سنة خلت، لم تكن الكنيسة الكاثوليكية في هولندا تثير الاهتمام، هي التي كانت طيلة اجيال منطوية على ذاتها، تتخذ من ولائها للكرسي الرسولي قوة ازاء الاكثرية البروتستنتية، سعيا الى الحفاظ على هويتها من الابتلاع. وقد طبعها قلقها الدائم من خطر الاحتواء بطابع الانعزال وغريزة الدفاع عن النفس والتمسك الشديد بالطاعة والامانة لروما.

وكان المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني بمثابة هبة ريح عاتية ايقظتها من غفوتها، فراحت تبحث عن هوية لها تمكنها من ان تكون شاهدة للانجيل في المجتمع الهولندي المعاصر. واذا كان المجمع مؤشرا واضحا للتجدد الذي اجتاح الكنيسة الهولندية، الا ان بوادر هذا التجدد ترقى الى ابعد: الى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. فبعد اجيال من القطيعة والتجاهل بين الكاثوليك والبروتستنت، هوذا الاحتلال النازي يجعلهم يلتقون في المعتقلات والسجون ذاتها! وللحال تلاشت تلك القطيعة وحل مكانها شعور عميق بالاخوة والتضامن. وازاء الخراب الذي خلفته الحرب، كان عليهم ان يعملوا يدا بيد لاعادة بناء البلاد.

وشهد منتصف الخمسينات تصاعد التحول الاجتماعي والثقافي ابان يقظة الطبقة العاملة التي اخذت الاشتراكية تمارس تاثيرها عليها ولا سيما في جنوب البلاد حيث يعيش اغلبية الكاثوليك. وفيما كان التعاون بين النقابات العمالية الثلاث (الكاثوليكية والبروتستنتية والمستقلة) على قدم وساق، واذا بتحذير من جانب الاساقفة، عشية انتخابات جرت عام ١٩٥٦، يحدث انشقاقا في صفوف العمال ويسفر عن خروج الكثيرين منهم من حضن الكنيسة الكاثوليكية، وتلك هي اول ازمة واجهتها الكنيسة الهولندية! ولقد بلغت هذه الازمة اشدها في الستينات حين اخذ المثقفون الشباب يفقدون ثقتهم بالكنيسة — المؤسسة ويهجرونها.

تحول في المسار..

ان ردة الفعل هذه كادت تكون طبيعية في بلد اخذ يشهد تحولا حضاريا منقطع النظير: فالتطور الذي احدثته التحولات الاجتماعية في العقليات جعل الهولنديين لا يحتملون اي شكل من اشكال السيطرة، هم الذين ما زال الاحتلال النازي ماثلا في ذاكرتهم. وتقول كويندولين جارزيك (لاكروا — ١ شباط ١٩٨٤) في تحليلها للواقع الكنسي الهولندي بان "كل بنية انطوائية تستثير للحال ظاهرة الرفض. وهذا الرفض يجد اساسه في ذاكرة الهولنديين بكنيسة ما قبل الحرب، والتي كانت مؤسسة سلطوية، تشريعية، ومونتينية[1] متطرفة".

وكان على الكنيسة الهولندية في الستينات ان تواجه حضارة في اتجاه العصرنة والتعددية الديمقراطية. وهذا الادراك العميق للواقع الهولندي حمل بعض الرواد الاوائل من امثال المونسنيور الفرينك — الذي سيصبح الكردينال الفرينك، رئيس اساقفة اوترخت— والمونسنيور زفارتكريس الى اجراء تحول في مسار الكنيسة، قبل المجمع وابان انعقاده، جعل الكنيسة الهولندية تكتسب وجهها الخاص دون ان تتعرض لتهمة الانشقاق عن روما.

.. من وحي المجمع

عاد الاساقفة الهولنديون من روما عام ١٩٦٥ ولهم من وثائق المجمع المسكوني ما يدعم توجهاتهم الراعوية. فاصدروا رسالة راعوية اعلنوا فيها عزمهم على حمل الكنيسة الهولندية على عيش تلك التجربة الفريدة التي عاشتها الكنيسة الجامعة ابان المجمع، ولا سيما في ما يتعلق بالمسؤولية الجماعية في الكنيسة بصفتها "شعب الله"، اكليروسا ومؤمنين. وكان الاعلان عن الدعوة الى عقد "مجمع راعوي" هو الاول في نوعه في كنائس الله.

وفي انتظار موعد انعقاده عام ١٩٦٨، كان كتاب "التعليم المسيحي" الجديد — وقد اشتهر باسم "التعليم المسيحي الهولندي" الذي اعدته، على طلب الاساقفة، لجنة من كبار اللاهوتيين والاختصاصيين— يلاقي معارضة شديدة من قبل روما. وبعد مشادة طويلة مع الدوائر الرومانية (الكوريا) كان للكردينال الفرينك دور بارز في الدفاع عن محتواه ضد التعديلات التي سعت الكوريا الرومانية الى ادخالها عليه، صدر الكتاب مع ملحق بالملاحظات التي ادلى بها لاهوتيو الكوريا، وترجم للحال الى اكثر من عشرين لغة!

وكان العمل على قدم وساق لاعداد "المجمع الراعوي" الذي ارادته الكنيسة الهولندية فرصة لمراجعة حياة شاملة. وجلس الى جانب الاساقفة السبعة حوالي مئة من الكهنة والراهبات والعلمانيين، رجالا ونساء، —انتخب معظمهم من قبل المجالس الابرشية والخورنية في البلاد— منكبين جميعا على دراسة جادة للقضايا والمعضلات التي تواجه الكنيسة الهولندية، وكلهم تصميم للخروج بسياسة راعوية جديدة تتجاوب مع حاجات العصر وتطلعات المجتمع الهولندي. واستمر هذا المجمع منعقدا في نوردو ويجكيوهوت طيلة ثلاث سنوات (١٩٦٨ - ١٩٧٠) بوتيرة جلستين كبريين في السنة، نوقشت خلالها كافة القضايا الراعوية.

وكان لا بد ان تبلغ بعض المناقشات الساخنة الى مسمع المجامع الرومانية التي لم تتاخر من ابداء مخاوفها من المسار الذي ينتهجه المجمع الراعوي، وقد اتضحت هذه

المخاوف من خلال رفض السفير البابوي، مرتين، حضور جلسات المجمع. ولا شك ان اكثر المناقشات اثارة، قضية البتولية، حين خرج المؤتمرون في الجلسة الاخيرة، بعد اقتراع لم يشترك به الاساقفة، بتوصيات تدعو الى فك الارتباط بين الخدمة الكهنوتية والبتولية الالزامية". وقد التزم الاساقفة بالدفاع عن هذا المشروع لدى السلطات الرومانية، وكان هذا الالتزام فاتحة الخلاف بين روما والمصف الاسقفي!

وتعمقت الازمة حين رفضت روما طلب الكردينال الفرينك، ودعت الاساقفة الى ان يوقفوا تجربة المجمع الراعوي. واتجهت مساعي الاساقفة حينذاك الى خلق بديل على شكل "مذكرات راعوية" ومن ثم بصيغة "لقاءات شورى" منيت بالفشل، وقاطعها اكثر المشاركين التزاما بعد ان منيوا بخيبة امل مريرة. وهكذا اسدل الستار نهائيا، عام ١٩٧٢،على هذه التجربة الفريدة.

الكنيسة الهولندية في سطور

يعد الكاثوليك ٥٦٤٠٠٠٠ ويشكلون ٣٩% من السكان البالغ عددهم ١٤ مليون. ٦٤،٥% منهم يعقدون زواجا كنسيا، ٩٦،٥% يعمذون اولادهم، ٢٢% يمارسون بانتظام. وتتمركز كثافة الكاثوليك (٨٥%) في جنوب البلاد على الحدود البلجيكية – الالمانية

للكنيسة الهولندية ٧ ابرشيات على راسها حاليا "١١ اسقفا، و١٧٨٩ خورنة في خدمتها ٣١٥٠ كاهنا بينهم ١٣٩٦ راهبا، يعاونهم ٤٠٢ من "العاملين الرعائيين". وفي كل ابرشية، عدا رورموند، "مركز رعائي" يشترك فيه كهنة وعلمانيون مع الاسقف في التخطيط لسياسة راعوية شاملة.

وتشير احصائية الى ان ٣٠٠٠٠٠ مؤمن يشاركون، بمعدل يوم في الاسبوع، في احد النشاطات التي تنظمها الخورنة من الحلقات الدراسية الى الاجواق الكنسية، ومن فرق "العالم الثالث" الى لجان التثقيف المسيحي، ومن الحركات الرسولية الى فرق الصلاة ...الخ الى جانب ٢٠٠٠ شخص، بينهم ٤٠٠ امرأة، يتابعون دراسة اللاهوت في جامعة نيميغ الكاثوليكية وكليات اللاهوت الاربع.

استراتيجية التعيينات

لقد اثارت توجهات كنيسة هولندا مخاوف الكوريا الرومانية، إذ بدت لها هذه الكنيسة الصغيرة وكانها "الولد العقوق" الذي يشق عصا الطاعة! وازداد قلق روما من احتمال "انشقاق" يسلخ الكاثوليك الهولنديين من الشركة الكنسية اذا ما استمر الاساقفة يدعمون المبادرات الجريئة التي يتبناها الكهنة والعلمانيون الملتزمون، بمساندة عدد من كباراللاهوتيين من امثال الاب سكيلبكس وهانس كونك[٢]... فكان عليها ان تقدم على تعيين اساقفة اكثر محافظة بهدف اقامة توازن في المصف الاسقفي.

وكانت اولى التعيينات من هذا النوع في كانون الاول ١٩٧٠، وحين اسند كرسي ابرشية روتردام (٨٠٠٠٠٠ كاثوليكي) الى الاب سيمونيس الذي كان قد مثل التيار المحافظ في المجمع الراعوي. وتجدر الاشارة الى ان هذا التعيين جاء خلافا لتقليد عريق يرقى الى عام ١٨٥٤-وهو العام الذي فيه أُنشئت الابرشيات الكاثوليكية- كان مجلس الابرشية بموجبه يقدم اسماء ثلاثة مرشحين، فتختار روما احدهم للكرسي الشاغر. وقد اثار تعيين المونسنيور سيمونيس ردات فعل عنيفة لدى كهنة الابرشية وعلمانييها مما حمل

الكردينال الفرينك، في حفلة الرسامة، على القول بان "على الاسقف الا يكون رائد اتجاه معين وانما راعيا لكل القطيع"، و لم يتردد من التعبير عن امله بألا يتكرر تعيين من هذا النوع.

وفي عام ١٩٧٢ تعين الاب جيسين —وكان مرشدا لاحد اديرة الرهبان— اسقفا لابرشية رورموند (مليون كاثوليكي)، واثار تعيينه احتجاجات صاخبة مما حمل البابا بولس السادس على رسامته في روما بحضور الكردينال الفرينك. وسرعان ما اتضحت توجهات المونسنيور جيسين المحافظة حين اخذ يبدي تحفظا ومعارضة تجاه العديد من القضايا التي يناقشها مجلس الاساقفة الهولنديين. وقد انشا عام ١٩٧٣ معهدا كهنوتيا مستقلا في رورموند! و لم يتردد من توجيه الانتقادات لزملائه الاساقفة عبر تصريحاته للصحافة، او في محاضرات له خارج البلاد.

وكانت استقالة الكردينال الفرينك. وخلفه عام ١٩٧٦ على كرسي رئاسة اسقفية اوترخت الكردينال فيلليبراند الذي كان منذ عام ١٩٦٠ يرئس في روما سكرتارية اتحاد المسيحيين. وجاء هذا التعيين بناء على رغبة البابا بولس السادس ولاقى ارتياحا لدى الكاثوليك الهولنديين، وهو من معدن اولئك الرجال الذين يؤمنون بالحوار سبيلا الى حل المشاكل. فكان عليه ان يقيم الجسور بين روما واوترخت، بفضل دهاء كبير ومرونة نادرة: الم ينتظر سبع سنوات كي يحصل من روما على اسقفين مساعدين له يحظيان بثقته.

تعيينات جديدة في عهد البابا الحالي

وجاءت التعيينات الاخيرة لتقلب ميزان القوى في المصف الاسقفي راسا على عقب: ففي كانون الثاني ١٩٨٢ تم تعيين اربعة اساقفة مساعدين (اثنان لابرشية اوترخت، واحد لابرشية روتردام واخر لأبرشية رورموند). وفي ٨ تموز ١٩٨٣ عين المونسنيور سيمونيس اسقف روتردام اسقفا مساعدا لرئيس اساقفة اوترخت مع حق الخلافة —ويعتبر هذا التعيين مخالفا لتقليد هولندي يقضي بان يكون الاسقف من اصل الابرشية.

وتوفي المونسنيور زفارتكريس اسقف هارليم، القريبة من امستردام العاصمة، في ٢١ تشرين الاول ١٩٨٣. وفي اليوم ذاته اعلنت تعيينات جديدة: المونسنيور بير على كرسي روتردام، والمونسنيور ليسكروفت اسقفا مساعدا له —وعلم ان مطران هارليم الراحل لم يكن على علم بهذين التعيينين الا بضع ساعات قبيل وفاته[٣]

وفي ٨ ك١ الماضي، قبلت، بدهشة كبيرة، استقالة الكردينال فيلليبراند (٧٤ سنة)، واصبح المونسنيور سيمونيس للحال رئيسا لاساقفة اوترخت. وفي ١٣ك١ اعلن المونسنيور بلويسن اسقف "بواليدوك" (اكبر ابرشية في البلاد) بانه قدم استقالته الى البابا "لاسباب صحية"، وبذهابه يذهب آخر الاساقفة الهولنديين الذين اشتركوا في المجمع المسكوني.

وبهذه التعيينات والتنقلات والاستقالات، تغير وجه المصف الاسقفي في هولندا خلال السنوات الخمس عشرة الاخيرة: فمن ٧ اساقفة الى ١١ اسقفا، ومن اسقفين "محافظين" (سيمونيس وجيسين) عام ١٩٧٢ تجاه خمسة اساقفة "تقدميين" كما كان يطلق عليهم، رجحت اليوم كفة الاساقفة الذين ينتمون الى التيارالتقليدي مقابل الذين تطلق

عليهم صفة "رجال الحوار" ولا يكادون يتجاوزون الثلاثة! وهكذا مزقت الوحدة التي كانت ميزة الاساقفة الهولنديين قبل عام ١٩٧٠ لتحل محلها وحدة من نوع اخر: وحدة كما يريدها البابا يوحنا بولس الثاني القادم من بولونيا. فالى جانب التوجهات الاصيلة التي اتخذتها الكنيسة الهولندية بوحي المجمع المسكوني، كانت هناك توجهات لم تكن لتطيب للدوائر الرومانية، وسرعان ما لصقت بها صفة التهور والتطرف. ولعل من اكثر التوجهات خطرا في نظر الكوريا، ذاك التاكيد المفرط على المسؤولية الجماعية التي سعى الاساقفة الى وضعها موضع تنفيذ.

ولا شك ان نزول عدد من "العاملين الرعائيين" الى الساحة —وهم رجال ونساء انتدبوا رسميا من قبل الاساقفة لمهام راعوية وتعليمية وليتورجية وادارية واستشارية، وقد تهيأوا لها بعد دراسة لاهوتية جادة امتدت على ست سنوات، ويبلغ عددهم حاليا ٤٠٢ في كل ابرشيات البلاد عدا رورموند— لم يكن ليطيب للمحافظين الذين اعتبروا هذه الظاهرة خطرا من شانه ان يقلص الحدود الفاصلة بين الكهنوت والحالة العلمانية، سيما بعد ان تقدم الاساقفة الهولنديون الى روما بطلب منح هؤلاء "العاملين الرعائيين" صفة قانونية.

غير ان الخلاف الكبير بين روما والكنيسة الهولندية يرجع الى المعالجة التي واجه بها الاساقفة قضية الكهنة والكهنة المتزوجين بنوع خاص. فازاء تناقص عدد الراغبين في الكهنوت —وتلك الازمة عمت اوربا كلها في السبعينات— وازاء تصاعد عدد الكهنة الذين هجروا الخدمة الكهنوتية وتزوجوا[٤]، اتجه خيار الاساقفة نحو انتداب العديد من الرهبان للخدمة الراعوية، وقبول عدد من الكهنة المتزوجين في صفوف العاملين الرعائيين، وابقاء عدد اخر منهم في منابر التعليم في المدارس والجامعات الكاثوليكية، خلافا لقرار الكرسي الرسولي باحالة الكهنة المتزوجين الى الحالة العلمانية!

فلمعالجة هذه القضايا وغيرها، كان على البابا يوحنا بولس الثاني —بعد فشل محاولته في تسوية الخلافات بين الاساقفة الهولنديين عبر مناقشتهم كل على حدا— ان يتخذ قرارا في نيسان ١٩٧٩ بدعوتهم جميعا الى (سينودس خاص) يسهم، على حد تعبيره في رسالة الدعوة، في "اعادة الشركة". وهذه هي اول مرة يدعو فيها البابا الى مثل هذا السينودس ويرئسه شخصيا.

والتأم السنودس في روما من ١٤ — ٣١ كانون الاول ١٩٨٠، وشارك فيه، الى جانب الاساقفة الهولنديين السبعة، عدد مماثل من رؤساء المجامع الرومانية ذات العلاقة وممثلين عن الرهبانيات الهولندية. وبالرغم من السرية التي احيط بها، يبدو ان مناقشة رسائل الاحتجاج التي تقدم بها الى الكوريا المحافظون الهولنديون استغرقت وقتا كبيرا من اعماله!

وخرج السينودس الخاص بوثيقة هي اشبه بقانون ايمان وضع النقاط على الحروف فيما يتعلق بالسلطة الكنسية والنظام الهيراركي في الكنيسة... وفي ذلك اشارة واضحة الى ضرورة الحد من تاثير الكهنة والعلمانيين على مسيرة المؤسسة الكنسية وقراراتها. واعلن الموقعون ايمانهم الراسخ بالتمييز الجوهري "بين الكهنوت الخدمي والكهنوت العام المشترك

بين المعمذين". مؤكدين على ديمومة "الكهنوت الخدمي" والتمسك بقانون البتولية...

مهما قيل في هذا السينودس عن كونه عملية "رد اعتبار" للمحافظين، او عملية "اعادة المتطرفين الى بيت الطاعة"، فلقد كان في الواقع محاولة لتفادي الانقسام في المصف الاسقفي وتوطيد الشركة بين الكنيسة الهولندية والكنيسة الجامعة. الا ان ثمن هذه "المصالحة" كان وقف التجربة النبوية التي عاشتها الكنيسة الهولندية، فأضحت "كبش الفداء". الم يصرح الكردينال فيلليراند في اعقاب السينودس: "لقد كان حملا ثقيلا علينا، واملنا ان كهنتنا ومؤمنينا سيساهمون معنا في حمله"؟! الم يكتب هو نفسه، بعد عام، رسالة الى كهنته عبر فيها عن خيبته بغياب تلك "الشركة" التي لم يقو السينودس على توطيدها: "ليست هناك شركة حقيقية في اي مكان، فالصراعات القائمة عادت الى الظهور اكثر حدة"؟!

"الغائب الاكبر"!

في "المجمع الراعوي"، كان العلمانيون ممثلين بحجم كبير وكانت لهم حصة كبيرة في الطروحات التي اغنت جلساته... وفي "السينودس الخاص" كان العلمانيون غائبين تماما، وبدا لهم انه لم يعد يحلو للبعض ان يرددوا شعار "الكنيسة هي نحن جميعا"! واذا كان معظم الكاثوليك الهولنديين (٨٠%) قد رأوا في السينودس محاولة لاعادة وحدة الصف بين اساقفتهم، الا انهم منيوا في اعقابه بخيبة امل مريرة، زادها مرارة التعيينات الاخيرة التي لعبت بالاوراق!

في مقال لها في مجلة (A.R.M/ العدد٨) كتبت الصحفية الهولندية مارلين توينكا -وقد اعتمدناه في الكثير من المعلومات التي وردت في هذا الملف- تقول: ان ما يطبع الكاثوليك الهولنديين، الى جانب ولائهم العميق لروما، ميلهم الى التسامح وحبهم للديمقراطية، وقد انعكست هاتان الصفتان على الكثير من توجهاتهم الراعوية. الا ان هناك صفة ثالثة: "الهولندي يتصف بروح قانونية من نوع واقعي. فحين يكون تشريع ما صالحا، يجب احترامه؛ واذا لم يكن صالحا، يجب الغاؤه". من هنا نفهم العديد من المواقف التي اتخذها الكنيسة الهولندية ولا سيما موقفها من قضية بتولية الكهنة... وهنا يطرح السؤال نفسه: ازاء الوضع الذي بلغت اليه هذه الكنيسة، ما هو موقف الكاثوليك الهولنديين من الاحداث الاخيرة التي حرمتهم من "اساقفة حوار"؟ الى هذا السؤال تحاول السيدة توينكا ان تجيب:

فبعد ان تشير الى العائق الذي تشكله اللغة الهولندية والذي جعل بعض الفقرات من كتاب "التعليم المسيحي" والرسائل الراعوية تبلغ الى روما مشوهة، وبعد ان تذكر بالضغوط التي مارسها على روما رجال الاعمال من ذوي النفوذ، فضلا عن رسائل الاحتجاج التي يبعث بها الى الدوائر الرومانية بعض الكاثوليك الهولنديين... تعكس المبعوثة الخاصة الى هولندا قلق الكثير من المؤمنين الذين اخذوا يتساءلون: هل طويت صفحة الفاتيكاني الثاني والى غير رجعة؟ وتخلص الى القول بان الكنيسة في هولندا تعيش اليوم حالة من الذهول والقلق.

ففي اعقاب التعيينات الجديدة، قامت احتجاجات عامة وفي مقدمتها احتجاج عنيف ادلى به مجلس الرهبان والراهبات: "هل البابا (او الكوريا) على علم بالألَم الذي احدثه لدى المؤمنين من خلال اسلوب التعامل السلطوي الذي يفوق كل حد؟ (...) فالى

متى تُعامَل كبالغين؟". ولعل من ابرز الاحتجاجات عنفا النداء الذي اطلقته من مارينبورغ، في ٢٧ ت٢ الماضي، ٤٤ شخصية كاثوليكية تحت شعار "نشهد للروح الذي فينا"، وقد أرادوه صرخة "للحوار في المعارضة التريهة"، تضمن تحليلا قاسيا للوضع الذي بلغت اليه الكنيسة في هولندا. وتقول الصحفية الهولندية بان مثل هذه الاحتجاجات، مع ما هي عليه من جرأة، لا تكاد تذكر قياسا لما كانت عليه قبل بضع سنوات. ذلك لان الكاثوليك الهولنديين لم يعودوا يثقون بفاعليتها، وقد اخذ بعضهم يهجرون الكنيسة المؤسسة. وقد صرح لها الكثيرون: "ان الخطر الحقيقي عندنا ليس الانشقاق وانما الهجر. فلا يمكن ان تتصوري عدد الكاثوليك النشطين الذين، منذ عام ١٩٧٠، وبموجات متتالية، ولّوا اظهرهم للمؤسسة. تلك هي ظاهرة جديدة في المجتمع الهولندي...".

الا ان هذه الهجرة من داخل الكنيسة لا يمكن ان تخفي الوجه الاخر الذي يتمثل في العديد من الكهنة والعلمانيين الغُيُر الذين لا يزال ينعشهم الامل بكنيسة تواصل السير على خطى الكردينال الفرينك والمونسنيور زفارتكريس اللذين رفعا شعار "الكنيسة هي نحن جميعا"، وهم على يقين من ان توجهات الفاتيكاني الثاني لا رجعة فيها. واذا كان الكثير من الكاثوليك الهولنديين يعترفون ببعض اوجه التطرف التي رافقت "ازمة النمو" التي مرت بها الكنيسة الهولندية في الستينات، الا انهم يضيفون للحال: "لقد كنا في طريقنا الى النقاهة بقيادة رجال حكماء وطيبين، وفوجئنا بتدخل روما عبر التعيينات"!

ومهما يكن من الصعوبات التي تنتصب بوجه الكنيسة الهولندية في الوقت الراهن، فان الانطلاقة التي اتخذتها لا يمكن ان تخبو. واذا كانت الازمة التي تمر بها اليوم اكثر حدة من الازمة التي تعرضت لها في ماض ليس ببعيد، وطالما ان لها قدرات هائلة مكنتها وتمكنها من تبوّؤ دور الريادة في التجدد، فقد تضفي عليها هذه المحنة وجها جديدا، وقد يتمخض الا لم الذي تعيشه اليوم عن عنصرة جديدة.

---

(١) نزعة فكرية ترقى الى مونتين الفرنسي (القرن ١٦) تؤكد على عدم قدرة الانسان في التوصل الى الحقيقة وتدعوه الى الاستسلام والخضوع.

(٢) الاب سكيلبكس دومنيكي بلجيكي استاذ في جامعة نيميغ الكاثوليكية الهولندية. والاب هانس كونك سويسري استاذ في جامعة توبنكن الالمانية. وقد اثارت مؤلفاتهما شكوكا لدى مجمع عقيدة الايمان، وكان لهما معه قصة (راجع: ماذا وراء قضية اللاهوتيين؟ ف. م. شباط ١٩٨٠).

(٣) اصيب المونسنيور زفارتكريس بنوبة قلبية ينسبها ابناء ابرشيته الى غياب الحوار مع روما حول تعيين خلف له على كرسي ابرشية هارليم، وهو الذي كانت امانته لروما مضرب المثل. وقد انطلقت في اعقاب التشييع موجة من الاحتجاجات على الاسلوب الذي تمت بموجبه هذه التعيينات.

(٤) سجلت هولندا هبوطا مخيفا في عدد الكهنة، وشهدت السنوات الاخيرة معدل ١٩ رسامة كهنوتية في السنة، بينما الحاجة الى ١٦٥ رسامة! وتشير احصائية لعام ١٩٨٢ ان عدد الكهنة هبط من ٣٢٧٣ الى ٣١٠٥، وان ١١ كاهنا رسموا (٦ منهم في ابرشية رورموند) بينما ترك الخدمة في السنة ذاتها ٦ كهنة اخرون! وتبلغ نسبة الكهنة دون الاربعين ٦،٥% ازاء ٥٢% من الذين تجاوزوا الخامسة والخمسين من عمرهم!

انطاكيا وروما تعانقتا

(زيارة البطريرك زكا عيواص للبابا يوحنا بولس)

في ٢١ حزيران الماضي، كان قداسة البابا يوحنا بولس الثاني على موعد مع قداسة مار اغناطيوس زكا الاول عيواص بطريرك انطاكيا وسائر المشرق للسريان الارثوذكس، وقد ضم الوفد البطريركي غبطة مار باسيليوس بولس الثاني مفريان الهند واصحاب السيادة المطران غريغوريوس يوحنا ابراهيم (حلب) والمطران سويريوس اسحق ساكا النائب البطريركي العام والاب بنيامين يوسف سكرتير قداسته.

وتاتي هذه الزيارة في اعقاب الزيارة التاريخية الاولى التي قام بها في ٢٥ تشرين الأول ١٩٧١ سلفه قداسة مار يعقوب الثالث للبابا بولس السادس -وكان قداسته قد رافقه فيها. التقرير التالي يعكس ابرز مجريات هذا اللقاء بين بطريرك انطاكيا واسقف روما.

●

ما اجمل ان يجتمع الاخوة معا! فبروح الاخوة المسيحية، وبدافع توطيد روابط الشركة الكنسية بين كرسيين عريقين: انطاكيا وروما، عزم قداسة البطريرك الانطاكي ان يزور اخاه اسقف روما. وقبيل موعد الزيارة، في الساعة ١٢،٣٠ ظهرا، توجه الكردينال فيلليبراند رئيس سكرتارية اتحاد المسيحيين، بمعية الاب بيير دوبريه امين السر، الى مقر اقامة البطريرك ليصطحبه والوفد المرافق له الى حاضرة الفاتيكان. وحين بلغ الموكب البوابة الرسمية توجه قداسة مار اغناطيوس زكا عيواص الى مكتبة البابا، وتعانق الحبران، وجرى بينهما لقاء شخصي دام زهاء نصف ساعة، تلاه لقاء مع اعضاء الوفد القى خلاله قداسة البطريرك خطابا بليغا بالانكليزية استهله بهذه الكلمات: "ان المشاعر المتأججة في قلب القديس بولس حين كان يتهيأ بفرح مسبق للقدوم الى كنيسة روما، هي عين مشاعري حين عزمت ان اتي الى هذا الكرسي الذي منه ترئس قداستكم في المحبة اكبر شركة مسيحية في العالم"، مشيرا الى ان هذه اللقاءات هي بمثابة "الاعلان عن الالتزام المشترك بخدمة وحدة الكنيسة"، ومعبرا عن التقدم الذي تم "على طريق الاعتراف المتبادل والاحترام والتضامن".

وفي معرض حديثه اشاد قداسة مار زكا بايمان الكنيسة السريانية الارثوذكسية الذي يرقى الى القديس بطرس، وامانتها على تعليم الاباء، واشعاعها الرسولي، وصمودها بوجه الصعوبات... وان عليها ان تسعى للحفاظ على تراثها الخاص لخير الكنيسة جمعاء. وفيما قال قداسته بان على الحركة المسكونية، الى جانب هدفها الوحدوي، ان تسعى الى ايجاد توجه مسيحي مشترك تجاه معضلات العالم، اكد بان المهمة المشتركة بين المسيحيين

تقوم في حمل انسان اليوم على اكتشاف ابعاده الروحية، مستشهدا بمساعي البابا وتوجهاته الانسانية في قضايا العدل والسلام من خلال رحلاته الراعوية التي يبدو فيها وكانه "سفير المسيح". وختم قداسته بالتاكيد على ان الجواب المسيحي لعالم اليوم يقوم في " الشهادة الواحدة للايمان"، مجددا التزامه "في خدمة هذه المهمة المشتركة".

وفي كلمته حيا قداسة البابا في شخص البطريرك زكا الكنيسة السريانية الارثوذكسية الانطاكية العريقة، معبرا عن فرحه العميق من ان هذه الزيارة تهدف الى "ترسيخ الروابط بين كنائسنا التي بلغ بها الامر الى الانفصال والتجاهل المتبادل... وهنا انكم جئتم لتعجلوا موعد الشركة التامة بيننا". وفيما عبر يوحنا بولس الثاني عن عمق هذه الرغبة المشتركة التي سيجسدها الاعلان عن الايمان المشترك، قال: "وهكذا سنسجل تقدما ملموسا على طريق الوحدة. ونأمل، بعد ان نكون قد اعترفنا سوية بيسوع المسيح ربنا الوحيد، الاله الحق والانسان الحق، انه سيمنحنا النعمة لتصفية الخلافات القائمة والتي تعرقل الشركة التامة، القانونية والاوخارستية، بيننا".

وقد شدد البابا في خطابه على ان السعي الى الوحدة مهمة جسيمة تقع على كاهل ابناء الكنيسة جمعاء، رعاة ومؤمنين، مشيدا بالتعاون الراعوي الذي تم في اماكن عديدة، وبالنقاشات اللاهوتية التي تنظمها مؤسسة "برو اورينتي" (من اجل الشرق) بين ممثلين عن الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الشرقية القديمة.

وختم قداسته بان الدعوة الى الوحدة هي الدعوة الى الشهادة للانجيل في عالم هو بحاجة ماسة الى رسالة الخلاص والسلام، ولا سيما حيث "يعيش مؤمنو كنائسنا في اراض يمزقها العنف والحرب، وهم مدعون... الى ان يكونوا صانعي المصالحة".

ومن ثم جرى تبادل الهدايا، فاهدى قداسة البطريرك للبابا نسخة من الكتاب المقدس بالسريانية في صندوق خشبي مزخرف (طبع عام ١٩٥٥)، فيما اهدى له البابا صليبا للصدر مرصعا بحجارة كريمة. واهدى غبطة المفريان للبابا عكازا من العاج، واهدى له البابا كأسا ثمينة. وفي ختام اللقاء تبادل الحبران قبلة السلام في جو من الخشوع والفرح. وقد صدر في اعقاب الزيارة بيان مشترك وقعه الحبران في ٢٣ حزيران، فكان بمثابة النفحة الجديدة التي اضيفت على البيان المشترك الذي كان قد وقعه في ٢٧ تشرين الاول ١٩٧١الحبران الراحلان بولس السادس ويعقوب الثالث. وفيما يلي ملخص لما جاء فيه:

أكد البابا والبطريرك رغبتهما في توثيق روابط الايمان والرجاء والمحبة والبحث الدائم عن استعادة الشركة الكنسية التامة. وفيما اعلنا ايمان كنيستيهما المشترك الذي تضمنه قانون ايمان مجمع نيقية المسكوني (٣٢٥) اعترافا بالانقسامات الماضية التي حدثت بين الكنيستين مؤكدين انها "لا تمس جوهر الايمان طالما ان هذه الصعوبات نشات بسبب تباين في المصطلحات واختلافات حضارية وصيغ ايمانية نتجت عن مدارس لاهوتية مختلفة للتعبير عن الحقيقة ذاتها"، ومقرين بالتعليم الصحيح حول شخص المسيح "بالرغم من

الاختلافات في تفسير هذا التعليم في زمن المجمع الخلقيدوني". وجدد الحبران ما اعلنه سلفاهما بولس السادس ويعقوب الثالث، في بيانهما المشترك عام ١٩٧١، بشان الايمان "بسر كلمة الله الذي تجسد وصار انسانا"، واعلنا بدورهما ان يسوع المسيح "هو اله كامل في الوهيته وانسان كامل في انسانيته، ففيه اتحد لاهوته بناسوته. وهذا الاتحاد حقيقي، تام، دون مزج او خلط (...) وفيه توجد الالوهية والانسانية مستحدثين بشكل واقعي، تام، غير منقسم وغير منفصل، وكل صفاتهما حاضرة وفاعلة فيه".

وذهب البيان المشترك في التاكيد على بعض اكبر الحقائق الايمانية المشتركة بين الكنيستين وخاصة الحقائق التي تتعلق باكنيسة واسرارها، مبرزا دور الاوخارستيا كونها قمة الحياة المسيحية ومركزها، وهي التي تعبر بجلاء عن الشركة الكنسية. فيما يعترف البيان بان الشركة الاوخارستيا، بصفتها تعبيرا عن الوحدة المسيحية، تفترض وحدة في الايمان لم تتم بعد بين الكنيستين، دعا الى مضاعفة الجهود لايجاد تقارب اكبر في وجهات النظر، والبدء بتعاون راعوي جاد على صعيد تبادل منح الاسرار حين تقتضي الضرورة، وعلى صعيد الاعداد الكهنوتي والتعليم اللاهوتي..

ويخلص البيان الى الاعلان عن رغبة الطرفين في ازالة كل العقبات التي تعترض قيام "الشركة التامة بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة السريانية الانطاكية" والسعي الحثيث الى الوحدة التي هي وحدها تمنح القدرة على الشهادة للانجيل في عالم اليوم.

الإنسان.. بين الواقع والطموح

الحياة الزوجية... تحقيق الذات ام استلاب؟ تربية الاطفال، مسؤولية مَن؟ مَن الخادم.. ومَن المخدوم؟ "الكنيسة هي نحن جميعا".. هل ينطبق ذلك علينا؟

حول هذه الجوانب من حياة الانسان، والانسان العراقي بنوع خاص، جلس فريق من قراء "الفكر المسيحي"، متزوجين وعزاباً، كهولا وشبابا، حول طاولة مستديرة كشفت عن الكثير من المعانيات، الى جانب الكثير من الطموحات. وجاءت هذه الطاولة ضمن العدد الخاص "الانسان.. على صورته ومثاله".

●

الانسان.. اثمن ما في الوجود، وقيمته بقيمة كرامته التي يستمدها من وعيه العميق بدعوته في الوجود، بصفته فردا وجماعة. فبقدر ما يجيب الانسان الى متطلبات دعوته في تحقيق الذات والبحث عن السعادة، بقدر ذلك يكتسب كرامة اسمى. وهذا الانسان رجل وامرأة، وقد خلقا للحب والالتحام والشركة والتضامن، ودعيا الى بناء اسرة هي نواة المجتمع البشري ودعامته.

هذه العلاقة بين الرجل والمراة، بقدر ما تضفي عليهما بعدا وثراء وغبطة، تحمل في طياتها توترات تفرزها الاختلافات الفكرية والنفسية والثقافية والاجتماعية الخ... فينتج عنها خلل في التوازن بين الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين..

عن العلاقة بين الرجل والمراة في نطاق الحياة الزوجية، وعن المكانة التي يحتلانها والدور الذي يلعبانه في حياة الاسرة الكنسية، جلس فريق من قراء "الفكر المسيحي" في بغداد على طاولة مستديرة -عقدت في دير القديس يوسف للراهبات الدومينيكيات- لمناقشة اتسمت بالعفوية والبساطة، في محاولة لوضع الاصبع على الواقع الذي يعيشه الانسان العراقي بمعانياته وتطلعاته.

وكان المشاركون ١١ شخصا يمثلون بضع شرائح من المجتمع، بينهم الموظف والموظفة وربة البيت والطبيب والمهندس، متزوجين وعزابا، كهولا وشبابا: جودت عرشات (متقاعد — اعمال حرة، ٤٨ سنة) وزوجته ماكروهي ارداش (خريجة — ربة بيت، ٣٦ سنة، ولهما ولدان)، صباح رسام (موظف ٤٢ سنة) وزوجته عفاف ايوب عبو المنصور(موظفة—٣٤ سنة، ولهما ٣ اولاد)، مدحت فضيل فتح الله (مهندس، ٥٢ سنة — متزوج وله ٩ اولاد)، زهير قزانجي (مهندس، ٥١ سنة — متزوج وله ٣ اولاد)، فائز تبوني (طبيب، ٤٥ سنة — متزوج وله ٣ اولاد)، السيدة منال اصفر(موظفة، ٣٥ سنة — متزوجة ولها ولدان)، الانسة نادية صباغ (موظفة، ٢٢ سنة)، غسان قاشات (مدقق — عسكري، ٢٧ سنة)، الاخت كلارا (راهبة — مدرّسة، ٤١ سنة).

الحياة الزوجية.. تحقيق الذات او اصطلاب

انطلق الحديث من واقع الاسرة في مجتمعنا العراقي، وكلنا يعلم ثقل العادات والتقاليد الموروثة التي كثيرا ما تعرقل مسيرة الاسرة منذ ان يقدم رجل او امراة على اختيار شريك الحياة، والى القضايا التي تواجه الزوجين بشان تربية الاطفال وادارة المترل، مرورا بالمشكل والتوترات التي تنتابهما خلال المعايشة اليومية.

بدأ الدكتور **فائز تبوني** بالقول: الحياة الزوجية هي عملية تحقيق الذات، وتفترض قدرة شخصين على الحب والاحترام والحوار. واضاف **غسان قاشات** بان الزواج هو عملية تعلّم الحب بكل ابعاده ومتطلباته، من خروج عن الذات ومحاولة اكتشاف الاخر والرغبة الصادقة في البذل والعطاء والجهد في التوافق والانسجام.. بينما اعادت الانسة **نادية صباغ** القضية الى جذورها، مركزة على الاختيار الحر والواعي الذي يقتضي من كل شاب وشابة بحثا جادا عن شريك الحياة، ومعايشة، قد تطول او تقصر، قبل ان يستقر الراي ويطمئن القلب. وفيما اكدت السيدة **منال اصفر** على اهمية عملية الاكتشاف التي تبدا منذ الاختيار وتتواصل طيلة الحياة، خلصت الى القول بان الانسان سيبقى عاجزا عن اكتشاف كل ابعاد شخصية الاخر التي هي دوما عرضة للتغييرات. ويوافقها **د. فائز** بقوله: كلنا تعرضنا ونتعرض للتغييرات في مفاهيمنا وقناعاتنا وحتى في طباعنا... والمطلوب في الحياة الزوجية هو ان نعرف كيف نتعامل مع هذه المتغيرات، واستطردت **منال** قائلة: المشكلة تكمن وراء مدى قبول او رفض طرف ما هذا التغيير الذي يطرأ على الطرف الآخر. ومن الضروري جدا ان يقبل كل من الزوجين هذا التغييرفي الآخر ويتصرف بمقتضاه، وهكذا يضحي الاختيار قبولا بشخص في فترة معينة، ومن ثم قبوله بعد ان يكون قد تغير!

وانبرت مناقشة طويلة للمفاضلة بين اسلوبين في اختيار شريك الحياة، فاكد بعضهم على ميزات "الزواج المرتب" الذي يقوم، على حد تعبير **زهير قزانجي**، على اسس مشتركة من شانها ان تجعل حظ النجاح اوفر مما في "زواج الحب"! بينما اشاد غيرهم —وبنوع خاص السيدة **ماكروهي آرداش** التي بدت وكانها تتكلم عن خبرة— بالزواج المبني على الحب وإن كان يخفي في طياته مفاجات وتحولات غير متوقعة. اوليست هذه التحولات عينها —في نظر **غسان ونادية**— محكا للحب الذي يخفي قدرة على التكيف والنضوج والتسامي...؟ واشتد النقاش حين طرح السؤال بشكل مباشر: كيف يتعايش الزوجان في الواقع اليومي ازاء المتغيرات التي تطرأ على حياتهما؟

الاحترام، الحوار، التضحية، التفاني، المرونة، التسامح الخ...كلمات ترددت على شفاه المشاركين. اكد **فائز** —يؤيده بايماءاته **جودت عرشات**— ان الاحترام المتبادل هو القاعدة التي يرسو عليها الانسجام بين الزوجين. والاحترام يفترض قبول الاخر كما هو، بالرغم من الاختلافات في الفكر والثقافة والشخصية والطباع... دون محاوله الضغط عليه بهدف تطويعه. انها بالتالي عملية تحقيق الذات، ومردودها ايجابي على الطرفين. والمح **صباح رسام** الى سوء التفاهم، ولا سيما في الزواجات المرتبة كما هي الحال في معظم الاسر، والذي تسفر عنه خلافات تزداد حدة مع مر الايام وتبدو معها الحياة الزوجية وكانها عبء ثقيل!

وذهب المشاركون يلفتون النظر الى اشكال الخلافات التي يتعرض لها الزوجان والى بعض اوجه "الاستلابات" التي يمارسها الواحد بحق الاخر، من جراء جهل الواحد طبيعة

ونفسية الاخر.. الى هذا الجهل المتبادل ارجعت السيدة **عفاف ايوب** الكثير من المشاكل التي تواجه الزوجين. واضافت منال بشيء من الحدة: اليس من المخجل ان يخضع الانسان —والمرأة بنوع خاص— لاستلابات تمس كرامته في الصميم؟ وعاد **صباح** فتساءل: الى اي مدى يمكن للزوجين ان "يتحمل" احدهما الاخر، لا سيما وان هناك حالات قد تصل الى طريق مسدود؟

وبنبرة التفاؤل قال **غسان**: الحب هو الحل الحاسم لكل المشاكل، اذا ما ادرك الطرفان متطلباته: السخاء في العطاء، البذل بدون حساب، الصراحة بدون رياء، التسامح والمغفرة...

وقال بعضهم: الحوار..انه الجواب لكثير من المشاكل التي يتعرض لها الانسان. واستدرك **مدحت فضيل**: ولكن الحوار يفترض نضوجا وارادة صالحة لدى الطرفين... واضاف فائز بان الحوار يفترض في كلا الطرفين قدرة على التعبير، وفي الوقت ذاته قدرة على الاصغاء للولوج الى اعماق شخصية الاخر في كل تفاصيلها وميزاتها. تلك هي عملية مراجعة الحياة التي يجب ان تؤدي الى تغيير في المواقف، وهي اشبه بمخاض: ولا نمو من دون مخاض!

تربية الاطفال.. مسؤولية من؟

وماذا عن مخاض الاطفال، وقد دعوا الى مائدة الحياة بارادة الوالدين ليكللوا اتحادهما ويوثقوا بينهما الشركة والالتحام؟ انه مخاض ولا شك، ولكنه مخاض مليء بالحب والدفء والفرح، بالرغم من المسؤوليات الجسيمة التي تضعها التربية على كاهل الوالدين. وبالرغم من المشاكل التي ترافق نمو الاطفال والتي تتطلب من الوالدين رؤية منفتحة وتوجها جادّاً يسهم في تكوين شخصيتهم تكوينا سليما.

وانبرى المشاركون في تحليل الدور الذي يعود الى كل من الاب والام في التربية، في رفض للمفهوم السائد الذي بموجبه تقع مسؤولية التربية على الام. قالت منال: من الخطأ ان ياخذ احد الوالدين، دون الاخر، مسؤولية رعاية الاطفال وتربيتهم، اذ لا يمكن ان يعوض احد عن الاخر في هذه المهمة. وبغمزة من جفنها باتجاه زوجها قالت **ماكروهي** —تؤيدها **الاخت كلارا**— بان تربية الاطفال مسؤولية مشتركة بين الزوجين، وعليهما ان يضطلعا بها بالتنسيق والمشاركة.

وكان لا بد ان تثار مشكة عمل الرجل وانحسار تواجده في البيت. فتساءلت **الاخت كلارا**: اذا كان العمل يعطي للرجل حجة، فماذا بعد ان دخلت المراة ميدان العمل والوظيفة بمختلف اشكالهما؟

يقول **مدحت**: في ظروف الحياة العصرية كثيرا ما يتحكم الوقت بمسؤولية الزوجين التربوية، فهناك حالات تمنع الرجل بنوع خاص من الاهتمام بالاطفال والتفرغ لهم بالرغم من رغبته في ذلك. ويرد عليه **زهير** قائلا: مهما كان نوع العمل وفترته وكثافته، فليست تلك حجة لتنصل احد الوالدين عن الرعاية الواجبة للاطفال، فكل تقصير في هذا المضمار سيدفع الوالدان ثمنه غاليا وغاليا جدا! ويتدخل **فائز** — وكأن الملامة موجهة اليه: اتمنى ان اقضي وقتا اكبر مع الاطفال يتسنى لي خلاله ان اشاركهم العابهم واطلع على سير دروسهم، واقف على قضاياهم ومشاكلهم... الا ان العمل، مع كونه فرصة لتحقيق ذاتي، يذهب بامنياتي الى دون المستوى المطلوب. الا ان المهم هو ادراكي العميق بان اولادي ينمون ويكبرون، وان يكون بيني وبينهم "خط اتصال"، واعتبر هذا الاتصال مجالا لنموي انا.

وتنفس **جودت الصعداء** —وهو في حالة شبيهة— مشيرا الى ضرورة حضور الاب بين اولاده حتى وان كان قصيرا، شريطة ان يكون مكثفا ومفعما بالحب والحنان.

من الخادم.. ومن المخدوم؟!

وكان لا بد للمناقشة ان تتجه صوب المسؤوليات المنزلية حيث تقوم توترات بين الزوجين حول الدور الذي يعود الى كل منهما في ادارة المنزل. ولا يخفى ما يفرزه النزاع بين الحقوق والواجبات في هذا المجال من صدامات لا تحمد عقباها.

بادر **جودت** الى القول: عقدة المراة اليوم ان تُدخل الرجل الى المطبخ! وبقهقهة يختفي وراءها احتجاج اشارت **منال** —تؤيدها المشاركات— الى وضع المراة في مجتمعنا وقد ترتبت عليها واجبات والتزامات ترهقها وتثقل كاهلها، مما يقلص من اوقات كان بوسعها ان تستغلها في نشاطات اخرى مجدية —وكلنا يعلم ماذا يعني المطبخ العراقي ومتطلبات الضيافة عندنا! ولفت غيرها من المشاركات الانتباه الى مفهوم لدى الرجال يعتبر بموجبه العمل في المنزل انتقاصا من كرامتهم، بينما تقضي الضرورة بان يتم تعاون ومشاركة: اليست المشاركة اساس الحياة الزوجية؟

وتشعب الحديث حول الادوار التي ترجع الى كل من الزوجين في نطاق اسرة متكاملة متوازنة، حيث اشار **جودت** الى ان عمل الرجل خارج المنزل هو في حد ذاته تعبيرعن حبه ورغبته في اسعاد زوجته واولاده، كما ان الاعمال المنزلية هي الاخرى وسيلة المراة في التعبير عن حبها وتعلقها... الا ان **نادية** احتجت قائلة: تلك من مستلزمات الحياة وليست حتما دليل حب! وراح **زهير** يؤكد على الروح الذي يضعه الزوجان في القيام بواجباتهما العائلية، مشددا على ضرورة الفرح والانشراح اللذين يجب ان تتصف بهما الواجبات، سواء خارج المنزل او داخله. واضاف **فائز** بان العمل خارج المنزل هو، في نظر الرجل والمراة معا، فرصة لتحقيق الذات، الا انه من الممكن ان ترافقه دوافع انانية تكون على حساب الحياة العائلية فينتج عنها خلل في التوازن النفسي والعاطفي.

وختم **صباح** النقاش مدليا بخبرته الشخصية في مضمار التعاون على صعيد الاعمال المنزلية حيث استطاع، مع مر الايام، الى تجاوز وضع "المخدوم"، آخذا قسطه من المسؤولية بروح التعاون والمشاركة. وعلى هذه المشاركة اكد معظم المشاركين.

الكنيسة هي نحن جميعا"! هل ينطبق ذلك علينا؟

كانت المناقشة قد قطعت شوطا كبيرا حين طرح هذا السؤال: كيف يفهم العلمانيون دورهم ومكانتهم في حياة الكنيسة؟ وما نوع المشاركة التي يمكنهم ان يؤدوها على صعيد الرسالة الانجيلية وعلى صعيد المسؤولية الادارية؟

ذهب **زهير** في التحدث عن توجهات المجمع المسكوني الذي خص العلمانيين بوثيقة شددت على مسؤولياتهم الرسولية ودورهم الفاعل في بناء الكنيسة، بصفتها شعب الله، سواء عبر العمل المسيحي المنظم —الحركات العلمانية والاخويات والجمعيات على اختلافها— ام عبر شهادة الحياة في الواقع اليومي... واخذ **مدحت** يذكر بان الكنيسة هي جماعة المؤمنين، اكليروسا وشعبا، وان مشاركة العلمانيين في حياة الكنيسة ونشاطاتها ضرورة لازمة، سيما وان هناك اماكن ومجالات لا يتاح للكهنة ان يؤدوا رسالتهم فيها...وقاطعهما **غسان**، وكأن صبره قد نفد، قائلا: تلك هي اسس مكتسبة لا رجعة فيها. فالكنيسة هي نحن جميعا، الا ان ما يهمنا هو كيف نمارس نحن، كعلمانيين، دورنا في كنيسة المسيح التي في العراق؟!

اجاب **زهير**: ان كنيستنا في العراق، في الوقت الذي تعاني من شحة الكهنة، تغض الطرف عن مشاركة العلمانيين في حين كان بوسعها ان تستقطب العديد منهم، ممن تتوفر فيهم الكفاءة للمساهمة الجادة في حياتها ورسالتها، واخص بالذكر مجال التعليم المسيحي الذي يتجند له، في معظم كنائس العالم، علمانيون ملتزمون، رجالا ونساء. وفيما ادلت **الاخت كلارا** بان كنيستنا اخذت تتحرك في هذا الاتجاه مفسحة المجال لمشاركة العلمانيين في بعض اوجه النشاط الكنسي، تعالت اصوات تحمل المسؤولية على السلطة الكنسية تارة، وعلى العلمانيين انفسهم تارة اخرى، الا انه كان هناك اجماع حول بطء هذه الحركة وضآلتها وتعثراتها.

في تحليله لاسباب تعثر حركة مشاركة العلمانيين قال **فائز**: ان الكنيسة الرسمية تخشى من دخول العلمانيين ليقينها من ان هذه المشاركة سوف تضطرها الى اجراء تغييرات، قد تكون جذرية، في بنيتها... وايده **غسان** بقوله: نحن نفتقر الى رجال كنيسة تكون لهم القابيلة على التجاوب مع التحولات العصرية، والقدرة على تحمل مسؤولية التغيير... ففي نظري، لا ينبغي ان ينتظر العلمانيون ان يفسح لهم المجال، بل عليهم ان ينتزعوا حقهم في المشاركة في كل ما يخص حياة الجماعة المسيحية.

كانت المناقشة قد احتدت حين تطرق جودت الى المبادرات التي اخذها بعض الكهنة الشباب، في زمن ليس ببعيد، لاحتضان المئات من الشباب ضمن ندوات او اخويات كان لها اطيب الاثر في خلق الوعي الروحي والرسولي. وفيما انحى **صباح** باللائمة على كهنة اليوم الذين اضحوا وكانهم مجرد "موظفين" لتسيير الاعمال، واشار **زهير** الى ان الكهنة اليوم اثقلوا انفسهم باعمال ثانوية كان بوسع العلمانيين ان يؤدوها عوضهم —وهم على استعداد تام للتعاون في الكثير من المجالات—، خلص **فائز** الى القول: ذلك في نظري، شكل من اشكال الهروب من الاعمال الجوهرية التي تترتب على كاهن اليوم.

وفي برهة صمت، اعاد **غسان** السؤال المطروح بهذا الشكل: نحن كعلمانيين، كيف نفهم يسوع المسيح؟ هل لنا خبرة كافية به وبانجيله؟ اليست هذه الخبرة عينها هي التي تضع علينا مسؤولية الشهادة بالحياة والعمل؟ عند هذا السؤال اجتاح المشاركين شعور اشبه بشعور مَن انيطت بهم مسؤوليات تتخطاهم، فأشار اكثر من واحد الى ضحالة الثقافة المسيحية والى ضآلة موارد هذه الثقافة... فيما ذهب بعضهم في التشاؤم حول مستقبل الايمان لدى الجيل الجديد... الا ان جميعهم خلصوا الى مسؤولية الكنيسة والاسرة في تنمية الايمان وخلق الوعي بالالتزام بحياة الكنيسة: فاكدت **عفاف** على اهمية المشاركة في القداس، ودعا صباح الى قراءة الانجيل ضمن الاسرة، وتمنى **مدحت** ان تجتمع الاسرة للصلاة اليومية، وطالب **زهير** الكهنة بتنظيم رياضات روحية للاسر... الا ان **فائز** لفت الانتباه الى المنطلق الذي يجب ان يكون وراء كل هذه المبادرات، والى الروح الذي يجب ان ينعشها: المهم هو ان يشعر الانسان، والانسان المسيحي بنوع خاص، بدعوته الى التضامن مع اخوته البشر في معاناتهم وطموحاتهم. وفي مسيرتنا الى مثل هذا الوعي العميق بدعوتنا الانسانية، سوف يساعدنا الانجيل على تسليط الاضواء ويحملنا على عيش التزامنا بالانسان في الواقع اليومي.

مقالات ١٩٨٥

+ أندونيسيا.. ملتقى الديانات/ملف/ك٢
+ البابا في اميركا اللاتينية: رحلة التحديات/ش.ر/نيسان
* الشباب ازاء مغامرة الحب/عدد خاص/ت١ - ت٢
+ المغرب: خطوة على طريق الحوار المسيحي الاسلامي/ملف/ك١

اندونيسيا... ملتقى الديانات

اندونيسيا... هذا الارخبيل الذي يمتد على مسافة ٥٠٠٠ كم من الشرق الى الغرب ويصل اسيا باستراليا، بلد هو ملتقى الديانات. ومع ان اندنوسيا تعتبر اكبر بلد اسلامي، الا ان هناك مسيحيين ينعمون بمناخ من الحرية وفق مبدأ "البانكازيلا" الذي يدعو الى التسامح بين الديانات المختلفة.

وفي تموز الماضي، احتفلت الكنيسة الكاثوليكية بذكرى مرور ٤٥٠ عاما على عماذ اول كاثوليكي في جزر موليك، وكان من المؤمل ان يشارك البابا في هذه الاحتفالات. كيف نشأت المسيحية في هذه الجزر؟ وما هو حجمها اليوم في المجتمع الاندونيسي؟ كيف تشق طريقها عبر المعضلات التي تواجهها اندونيسيا؟ الى هذه الاسئلة يحاول الملف ان يجيب.

مؤتمر باندونغ، أحمد سوكارنو، اسمان يتبادران الى الذهن لدى الحديث عن اندونيسيا! اليست اندونيسيا احدى الدول التي الهمت حركة عدم الانحياز في مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥؟ ألم يكن سوكارنو، صانع الاستقلال، احد ابرز رواد هذه الحركة؟ الا ان ما يميز اندونيسيا منذ استقلالها عام ١٩٤٥ هو مبدأ "البانكازيلا" (الاسس الخمسة) الذي هو اشبه بفلسفة أرادها سوكارنو نهجا يضمن الحرية الدينية ويهدف الى توازن المجتمع الاندونيسي. ويقوم هذا المبدأ على:

١- الايمان بالله الواحد، ٢- المجتمع العادل والمتمدن، ٣- الوحدة الاندونيسية، ٤- الديمقراطية في الحكم، ٥- العدالة الاجتماعية. وتجد هذه الفلسفة جذورها في كون اندونيسيا ملتقى الديانات الكبرى، وتعكس توجهها الى الاستقلال والسيادة بعد حوالي ٣٥٠ عاما من الاستعمار الهولندي.

اندونيسيا... بلد التسامح الديني

كانت اولى الديانات التي دخلت البلاد، الهندوسية عام ٢٠٠ ق.م.، وتبعتها البوذية على يد التجار الصينيين والتي بلغت اوجها في جزيرة جافا في القرن ٧.ومنذ القرن ١٣ تمركز الاسلام على سواحل الجزر بفضل التجار العرب والهنود. اما اول الاهتداءات الى المسيحية، فكان عام ١٥٣٤ على يد المرسلين البرتغاليين؛ الا ان هناك آثارا مسيحية ترقى الى عدة قرون خلفها مبشرون من الشرق. ومع الاحتلال الهولندي عام ١٦٠٥، طرد المرسلون الكاثوليك، والحق معظم المؤمنين بالكنيسة الانجيلية ما عدا جزيرتي فلوريس وتيمور.

وتعترف الدولة اليوم بالمذاهب الخمسة الرئيسة (الاسلام، البروتستنتية، الكثلكة، الهندوسية، البوذية). وينفي مبدأ البا نكازيلا الالحاد العلني ويلزم كل المواطنين بالانتماء الى دين؛ وقد كثفت الدولة هذا التوجه في اعقاب حملة تصفية الشيوعيين عام ١٩٦٥ والتي لقي بضع مئات الالوف حتفهم. ويعتقد علماء الاجتماع ان الانتماء الرسمي الى دين لا يعكس دوما قناعة شخصية لدى الاندونيسيين الذين تركت الأنيمية والديانات الشعبية بصماتهما فيهم. ويصح ذلك بنوع خاص في الاسلام حيث اضطر الكثيرون الى الانتماء اليه لتجنب تهمة اللادينية او الالحاد، ومن هنا كان التمييز بين المسلمين المقتنعين "سانتري" (٤٠%) وبين المسلمين المسجلين "آبانجان".

وازاء فلسفة البانكازيلا التي تجعل من اندونيسيا بلد التسامح الديني —مع انها في مقدمة البلدان الاسلامية (١٣٠مليون مسلم معظمهم على مذهب السنة)— لا يخفي المثقفون من مختلف الديانات خوفهم من ان تتحول هذه الفلسفة الى شبه "ايديولوجية" او الى "ديانة مدنية" تحل محل الديانات؟ وتعكس الصحفية الهولندية مارلين تويننكا مبعوثة مجلة A.R.M. —وقد أعتمدنا مقالها في عدد تموز /آب١٩٨٤— توجّه وزارة الشؤون الدينية التي انشئت عام ١٩٤٦ لرعاية الاديان والسهرعلى التآخي بين الجماعات الدينية، مشيرة الى المردودات التي تنتج عن الاعانات التي تقدمها الدولة (بناء المعابد وتنشئة الكوادر الخ... وعلى سبيل المثال قفزت المساجد في جاكارتا العاصمة من ٥٠٠ الى ١٥٠٠ مسجد خلال ٢٠ عاما) والتي تؤدي بالتالي الى شكل من الوصاية والتدخل في الشؤون الداخلية.

سياسة الوحدة الوطنية

تبدو اندونيسيا لاول وهلة بلدا اسلاميا، وان كان الدستورلا يعلن الاسلام دينا رسميا للدولة، والشواهد كثيرة على الطابع الاسلامي الذي يتسم به المجتمع الاندونيسي. الا ان التسامح الديني الذي تتصف به اندونيسيا هو الذي حفظ لها وحدتها الوطنية بالرغم من الاختلافات الحضارية والدينية والاجتماعية والسياسية. ويسهم في توحيد هذه الوحدة الوطنية جيش قوي (٣٠٠ الف جندي) على راسه قادة هم في الغالب مسلمون "ابانجان" —ومن المفارقات ان يكون القائد العام للقوات المسلحة كاثوليكيا هو بني مرداني، الرجل الثاني في

الدولة! ولولا حضور العسكريين على امتداد البلاد لكان من الصعب جدا ان تحافظ اندنوسيا على وحدتها من خطر الحركات الانفصالية ومن اخطار التزمت الديني الذي يتمثل اليوم في اقلية مسلمة تسعى، بمساندة السفارة الايرانية، الى اقامة دولة اسلامية على غرار ايران.

الا ان سيطرة الجيش على كافة مرافق الحياة تجعل من اندونيسيا في الوقت ذاته نظاما عسكريا يفرض سلطته بالقوة.ومن هنا كان الاكتفاء بثلاثة احزاب سياسية، وصلاحية رئيس الدولة بتعيين عدد من الاعضاء في مجلس النواب ليتسنى للحزب الحكومي "كولكار" ان يحظى بالاغلبية... مع ان اندونيسيا تفاخر بانها تحقق ديمقراطية وفق نموذج خاص تستمده من مبدا "المشاركة" والمناقشة المتاصل في روح الشعوب الاسيوية، الا انها لا تسلم من مشاكل خطيرة، ابرزها تفشي الفساد وانتشار ظاهرة الاغتيالات وتهجير الالوف من سكان جافا (حيث يعيش ثلثا السكان) الى الجزر الاخرى وفق خطة حكومية...فضلا عن مشكلة "ايريون جايا" التي تسعى الى الانفصال منذ عام ١٩٦٣، ومشكلة "تيمور تيمور" التي يتعرض سكانها للابادة[1].

هوية اندونيسيا

جمهورية في جنوب شرق اسيا تتكون من حوالي ١٣٠٠٠ جزيرة اكبرها سومطرة وجافا وكاليمنتن وسلاويسي... مساحتها ٢،٠١٩،٢٦٠كم٢ وعدد سكانها ١٥٥ مليون نسمة، وتعتبر خامس دولة من حيث الكثافة. لغتها الرسمية الاندونيسية الى جانب عدة لغات محلية عاصمتها جاكارتا (٧ ملايين).

وصلتها الفتوحات الاسلامية في القرن١٣، وفي القرن ١٦ احتلها البرتغاليون، وسرعان ما حل الهولنديون محلهم، ولم تدم سيطرة بريطانيا عليها سوى ٥ سنوات (١٨١١- ١٨١٦). وفي عام ١٩٢٢ اصبحت اندونيسيا جزءا من هولندا، ونالت استقلالها عام ١٩٤٥ بقيادة أحمد سوكارنو الذي بقي في الحكم حتى عام ١٩٦٧ حين اضطر الى التخلي عن سلطاته للجنرال سوهارتو الذي يتولى الرئاسة حتى اليوم.

يدين ٨٢،٧% من السكان بالاسلام، الى جانب ٥،٨% من البروتستنت و٣% من الكاثوليك و٢% من الهندوسيين و٩% من البوذيين، فضلا عن ١،١% من مذاهب مختلفة وفي مقدمتها الكنفوشية.

الكنيسة في اندونيسيا

اذا كانت اندونيسيا ملتقى الديانات، فهي في الوقت ذاته ملتقى الكنائس، اذا ما علمنا بان ال ٨ ملايين ونصف بروتستنتي (٥،٨% من السكان) ينتمون الى حوالي ٢٠٠ كنيسة وجمعية مستقلة ومعترف بها، تاسست في عهد الاستقلال الهولندي واصبحت اليوم وحدات تضم البروتستنت بحسب انتماءاتهم الحضارية واللغوية والجغرافية. وتجدر الاشارة الى ان "المجلس الوطني لكنائس اندونيسيا" الذي أُنشيء عام ١٩٥٠ يضم اليوم ٥٤ كنيسة محلية في خدمتها ما يقرب من ٤٠٠٠ راع، كلهم اندونيسيون، ماعدا ٨٠ راعيا.

اما الكاثوليك، فمع ال ٤،٣٠٠،٠٠٠ مؤمن (٣% من السكان) –يضاف اليهم حوالي مليون من المتعاطفين الذين لا يعلنون انتماءَهم– ياتون في المرتبة الثالثة من حيث الحجم بين الديانات، الا انهم، بفضل وحدتهم، يحتلون المكان الاول بعد الاسلام، وان كانوا يحملون وزر كنيسة تبدو اقل "اندونيسية" من شقيقاتها الكنائس الانجيلية، وذلك بحكم اكليروسها الذي لا يزال "اجنبيا"، بالرغم من الجهود المبذولة منذ المجمع الفاتيكاني الثاني لاستبداله باكليروس اندونيسي:

١٢ اسقفا من اصل اوربي من بين ٣٣ اسقفا، الى جانب ١٦٠٠ كاهن اكثر من نصفهم مرسلون اجانب (كانت نسبة الاجانب ٧٥% قبل ١٥ سنة)، وبنسبة اقل في صفوف الرهبان والراهبات. ومن الجدير بالذكر ان الكنيسة الكاثوليكية في اندونيسيا كانت حتى عام ١٩٦١ تابعة لمجمع "انتشار الايمان" الى ان اعلن البابا يوحنا ٢٣ عن انشاء المصف الاسقفي الاندونيسي، وقد تمت مصادقة روما على نظام مجلس الاساقفة عام ١٩٧٣.

"وحدة في التنوع"! هذا الشعار الوطني تعيشه اليوم الكنائس المسيحية بعد اجيال من القطيعة، حيث انها تمارس نشاطا رسوليا متميزا تشهد له الاهتداءات التي تتم بين صفوف الأنيميين ولا سيما في شمال جزيرة سومطرة بالقرب من ميدان ثالث مدينة في البلاد حيث يبلغ معدل العماذات بين شعوب الباتاك ١٠ الاف سنويا، الى جانب كنيسة الباتاك الانجيلية التي تاسست منذ ١٠٠ عام، وتعد اليوم مليون ونصف نسمة وتعتبر من ابرز الكنائس البروتستنتية في البلاد.

من اكثر مسيحيي آسيا اندماجا

اذا كان معظم البروتستنت يعيشون على السواحل الشمالية من الجزر باتجاه الغرب، والكاثوليك على السواحل الجنوبية وفي جزيرتي فلوريس وتيمور بنوع خاص، الا انهم جميعا يمارسون اليوم دورا فاعلا في حياة المجتمع الاندونيسي يفوق كثافتهم العددية، ساعين الى تبني الهوية الأندونيسية والتفاعل مع معانيات وتطلعات الشعوب الأندونيسية بمختلف تشكيلاتها. وتقول دراسة للواقع الأندونيسي في (Pro Mundi Vita 1980) "ان علاقات غالبية غير المسيحيين مع المسيحيين يطبعها الحذر من كون المسيحية ديانة غريبة فرضها الاستعمار، الى جانب قلة الثقة بنشاطات المسيحيين الرسولية؛ الا انهم يعترفون –إن على مضض احيانا– بالحجم الذي يحتله المسيحيون في اندونيسيا بفضل قيمهم الاخلاقية العالية وممارستهم المنتظمة ومؤسساتهم وتنظيماتهم الفعالة...". من هذه الشهادة تؤديها الدولة ذاتها تقييما منها للدور الذي لعبه المسيحيون في النضال من اجل الاستقلال في الاربعينات، وتثمينا لنشاطاتهم التنموية على الصعيدين الثقافي والاجتماعي بفضل المدارس والمستشفيات ودور الرعاية ومراكز الاغاثة والعون الخ...

ويعكس سعي الكنائس المسيحية الى الاندماج بالمجتمع الأندونيسي قناعة عميقة

بضرورة تجسيد الايمان في الواقع اليومي: اليس تحت هذا الشعار عقد المؤتمر العاشر للمجلس الوطني لكنائس اندونيسيا في ت١ ١٩٨٣؟ أليس حول هذا المحور تركزت، في تموز الماضي، احتفالات الكنيسة الكاثوليكية بذكرى مرور ٤٥٠ عاما على نشاتها؟ هذا التوجه، تبنته الكنيسة الكاثوليكية بنوع خاص من خلال سعيها الى تنمية الوعي لدى العلمانيين بدورهم في بناء كنيسة

اندونيسية، ليس بعدد اساقفتها وكهنتها ورهبانها الأندونيسيين وحسب، وانما بمساهمتها الجادة في حياة الامة ومواقفها الانجيلية تجاه العديد من القضايا التي تعاني منها البلاد. ويعود الفضل في هذا التوجه الى الكردينال دار موجوونو رئيس اساقفة سيما رانك الذي يحظى باحترام وتاييد الاساقفة في الشؤون التي يناقشها مجلس الاساقفة، وهو الذي قدم استقالته عام ١٩٨١ ولم يكن له من العمر سوى ٦٧ عاما، واختار ان يعود كاهن رعية فقيرة في احدى ضواحي مركز ابرشيته! ولا يندر ان تترك راهبات مدارسهن ومستشفياتهن —وهي في نظرهن تخدم الطبقات الغنية— للعيش ضمن جماعات صغيرة في خدمة القرى والارياف، الى جانب كهنة يسعون الى انشاء جمعيات تعاونية في خدمة العمال والفلاحين...

وازاء هذه التوجهات النبوية، كان لا بد للكنيسة ان تصطدم احيانا مع الدولة: ففي عام ١٩٧٤، لم يرق للدولة الاحتجاج الذي اعلنه ٤١ كاهنا على القمع الذي يمارسه الجيش بحق السجناء السياسيين. وفي عام ١٩٧٦ اتهم الكردينال دارموجوونو، مع عدد من اعضاء المجلس الوطني لكنائس اندونيسيا، بشبه "مؤامرة" على النظام القائم! كما ابدت الدولة تحفظات تجاه رسائل الاساقفة الراعوية حول الفساد (١٩٨٠) والعدالة الاجتماعية (١٩٨١).

وهكذا، بالرغم من اندماجهم في حياة بلادهم ومعضلاتها، يبقى المسيحيون على يقين من ان وجودهم مهدد، وان عليهم ان يسعوا الى الحفاظ على التوازن وعدم تجاوز الحدود. ولكنهم مع ذلك يعتبرون انفسهم احسن حظا من الاقليات المسيحية في بلدان اسيوية اخرى بفضل روح التسامح الذي يطبع الشعب الاندونيسي.

---

(١) تقول مارلين توينتكا أن بين ١٠٠-٢٠٠ الف شخص من اصل ٦٠٠ الف تيموري —غالبيتهم كاثوليك— لقوا حتفهم منذ عام ١٩٧٥. وتيمور التي كانت مستعمرة برتغالية يحتلها جيش (١٢ الف جندي) لم يقو على تطويع المقاومة (فريتلين) فراح ينتقم من السكان الآمنين، بالرغم من احتجاجات الامم المتحدة والرأي العالمي، وازاء هذه المسألة لزم الأساقفة الكاثوليك الصمت طيلة ٨ سنوات قطعوه في ١٧ ت٢ ١٩٨٣ برسالة اكدوا فيها تضامنهم مع الشعب التيموري، ويقينهم ان الاحتجاج وانجاهة قد يؤديان الى وضع اكثر سوءا ويفرزان مزيدا من القمع والقتل.

البابا في.. اميركا اللاتينية

رحلة التحديات

ما يكاد يوحنا بولس الثاني يعود من رحلة، واذا به يبدأ رحلة اخرى! فمع ٢٥ رحلة خلال ست سنوات من حبريته، يحق له ان يدعى "البابا الرحالة". وكان لامريكا اللاتينية النصيب الاكبر من رحلاته! وهذه الرحلة إلى فنزويلا والاكوادور وبيرو وترينيداد – توباكو (من ٢٦ ك٢ – ٦ شباط) هي السادسة[1] الى القارة اللاتينية.

واذا كان عدد الكاثوليك -وهناك اكثر من ٣٠٠ مليون سيشكلون عام ٢٠٠٠ نصف كاثوليك العالم- هو الذي يجتذب البابا، الا ان ما يستقطب اهتمامه بالاكثر هو ذاك الغليان الذي تعيشه هذه القارة الساخنة على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي مما يجعل الكنيسة اللاتينو-اميركية في منعطف دقيق يحتم عليها ان تقول كلمة.. وعلى نوعية هذه الكلمة يتوقف مستقبلها.

منذ بدء حبريته اتجهت انظار البابا البولوني الى القارة اللاتينية حيث الفقر يضرب اطنابه، وحيث المظالم على اشدها تفرزها البنى الاقتصادية المهزوزة، وحيث الانظمة القمعية تخضع الانسان لمختلف الاستلابات...فكانت اولى رحلاته "الراعوية" الى المكسيك، والى بويبلا بالذات حيث عقد مجلس اساقفة امريكا اللاتينية دورته العامة الثالثة –بعد عشر سنوات على دورة ميدلين (كولومبيا) التي كانت قد وضعت الاصبع على الجرح. وفي بويبلا كان البابا قد اكتشف الصراع الذي يتنازع الكنيسة اللاتينو- اميركية بين اولويتين: التبشير بالانجيل والتزام جانب الفقراء، واطلع عن كثب على توجهات العديد من الاساقفة والكهنة واللاهوتيين الذين ينادون بتبشير بالانجيل يمر عبر تحرير الفقراء والمظلومين؛ وادرك ما لهذه التوجهات النبوية من مردودات قد يكون بعضها سلبيا على مستقبل الكنيسة ان هي لم تحذر المخاطر التي ترافق التحليلات التي يقوم بها "لاهوتيو التحرير" بنوع خاص.

ومنذئذ تجند يوحنا بولس الثاني لمسك الحبل من طرفيه! فمن بويبلا الى هذه الرحلة، يرى المراقبون في توجهاته تحولا نحو نبرة عقائدية تعكس موقف الوسط بين مشروعية الوقوف الى جانب الفقراء، وبين التطرف الذي قد يقع فيه اللاهوتيون ولاهوتيو التحرير بنوع خاص. وليس من قبيل الصدف ان يمثل الاب ليوناردو بوف البرازيلي امام مجمع عقيدة الايمان، وتصدر تعليمات عن المجمع حول "بعض اوجه لاهوت التحرير"، ويجتمع البابا باساقفة بيرو في روما، وكل ذلك في الاشهر الاربعة الاخيرة!.

وإذ نصدي هنا لهذه الرحلة البابوية، نرسم ازاءها لوحة مقتضبة عن وضع الاكوادور وبيرو، فيما يتناول ملف العدد الوضع في فنزويلا.

فنزويلا (٢٦ - ٢٩ ك٢)

بعد ١١ ساعة من الطيران، وضع يوحنا بولس الثاني قدميه على ارض كاراكاس العاصمة حيث كان على راس مستقبليه الرئيس الفنزويلي جيم لوسنشي. وكان له في مقره بدار السفارة البابوية لقاء مع المصف الاسقفي استعرض فيه مسؤولية الاساقفة في التبشير ورعاية الاسرة والعمل الاجتماعي. وفي اليوم التالي، وبعد لقاء مع الجالية البولونية، تراس قداسا مشتركا في احدى ساحات كاراكاس القى خلاله موعظة في قيم الاسرة والتهديدات التي تتعرض لها.

وكان للاب الاقدس موعد مع مئات الالوف من المؤمنين في كل من ماراكائيبو وميريدا وكيوداد كويانا. وفي هذه المدينة الصناعية وجه خطابا الى العمال والفلاحين حول المعنى المسيحي للعمل والتنمية، مخلصا الى القول بان: "العمل من اجل الانسان وليس الانسان لاجل العمل". وفي لقاءاته مع الاسر او الشباب او الكهنة والرهبان، كان قداسته يلفت الانتباه الى اهمية تبشير بالانجيل يلتقي بحاجات انسان اليوم ويجيب الى تطلعاته في التحرر من كل الضغوط التي يخضع لها. وغادر البابا فنزويلا متجها الى غرب القارة.

الاكوادور (٢٩ ك٢ - ١ شباط)

هوية الاكوادور

جمهورية على الساحل الغربي من امريكا الجنوبية تحدها كولومبيا وبيرو، وتخترقها خط الاستواء الذي منه استمدت اسمها. مساحتها ٢٨٣،٥٦١ كم٢، وسكانها ٩ ملايين بينهم الهنود والمزيج والبيض. عاصمتها كيتو.

كانت الاكوادور منذ عام ١٥٣٣ مستعمرة اسبانية نالت استقلالها عام ١٨٢٢، وبعد اقيام اتحاد مع فنزويلا وكولومبيا عام ١٨٣٠، استقلت تماما. وعرفت ثورات متتالية اعقبتها فترة من الحكم الليبرالي عام ١٨٩٥. وفي عام ١٩٢٥ استولى الجيش على الحكم وعاشت البلاد اضطرابات سياسية، فضلا عن نزاع على الحدود مع بيرو خسرت فيه اكثر من نصف اراضيها. وبعد استقرار نسبي، تعاقبت الانقلابات العسكرية حتى عودة الحياة الديمقراطية عام ١٩٧٩. رئيسها الحالي ليون فيريس كوردييرو.

في مطار كيتو كان في استقبال اسقف روما الرئيس فيريس كورديرو واساقفة البلاد. وعبر جماهير على مسافة ١٠ كم، وصل الموكب الى الكاتدرائية حيث كان له لقاء مع الاكليروس، وتجلت في خطابه دعوة كان قد استهلها في فنزويلا باتجاه العودة الى "تعليم الكنيسة الاجتماعي" بصفته جوابا على المعضلات الاجتماعية التي تواجهها امريكا اللاتينية.

وكان يوم ٣٠ ك٢ مثقلا ببرنامج حافل: فبعد لقاء مع الشباب، وزيارة لمحطة الراديو الكاثوليكي، كان البابا على موعد مع اكثر من مليون شخص خلال قداس اشترك

فيه كافة اساقفة البلاد وحوالي ٥٠٠ كاهن احتفاء بذكرى مرور ٤٥٠ عاما على تنصر الاكوادور. وكان هذا الاحتفال الجماهيري اشبه بتظاهرة دينية ووطنية عكست تاريخ البلاد السياسي والديني المشترك. وفي عصره التقى قداسته بحوالي ٢٠٠٠ راهبة، ومن ثم برجال الفكر ودعاهم إلى "بذل جهد اكبر من اجل العدالة وتغيير بنى الظلم وتحرير الانسان من كل العبوديات التي تهدده" –وفي ذلك تحذير واضح من خطر القوى الاجتماعية التي تسعى الى اقامة بنى سياسية واقتصادية تسحق الانسان. وفي لقاء مع العمال دعاهم الى المساهمة في بناء عالم اكثر انسانية واكثر عدالة.

وفي لاتاكونكا التقى الاب الاقدس ب ١٠٠٠٠٠ من الهنود مثمّنا قيمهم الحضارية ومطالبا بحقوقهم، وبعد زيارة لكوينكا في الجنوب، ختم زيارته للاكوادور في مدينة كوياكويل حيث احتفل بتطويب الام ميرسيدس (القرن١٩).

الاكوادور... بلد في خطر!

ابرز ما يلفت الانتباه في هذا البلد الصغير ذاك التفاوت الصارخ بين اقلية غنية (١،٢%) واغلبية فقيرة تعيش على شفير الهاوية. فالاكوادور بلد زراعي بالدرجة الاولى، الا ان محصولاته من الزراعة لا تكاد تمثل اكثر من ٣٠% من الدخل القومي. ولم يقو قانون الاصلاح الزراعي لعام ١٩٦٤على القضاء على جشع كبار الملاكين الذين يحصلون على ١٦% من الدخل القومي، فيما يحصل ٥٠% من السكان على هذه النسبة ذاتها! واذا شهدت السبعينات شيئا من الازدهار، بفضل اكتشاف النفط والغاز الطبيعي عام ١٩٦٧، الا ان السنوات الاخيرة شهدت تقلصا في الانتاج بحيث بلغت الديون الخارجية ٧،٧ مليار دولار.

لقد كانت الاكوادور مهد حضارات عريقة، الا انها تعاني اليوم من الامية (٤٤%) ومن تمييز عنصري يخضع له الهنود (سكان البلاد الاصليين) والمزيج (نتيجة التزاوج بين البيض والهنود) الذين ما زالوا في عزلة على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، فضلا عن عداء دائم بين هاتين الفئتين حيث يمارس المزيج عملية استغلال بحق الهنود عن طريق الاستيلاء على اراضيهم.

ينتمي الى الكنيسة الكاثوليكية ٩٠% من السكان، موزعين على ١٣ ابرشية و٧ نيابات رسولية. وينص دستور ١٩٠٦ على الفصل بين الكنيسة والدولة، الا ان الكنيسة تتمتع بامتيازات بفضل الاتفاقية بين الاكوادور والكرسي الرسولي عام ١٩٣٧. ولعل ابرز موقف اتخذه اساقفة البلاد في الستينات هو تبنيهم مشروع الاصلاح الزراعي، حين اقدمت ست ابرشيات وبعض الرهبانيات على توزيع اراضيها على الفلاحين (راجع: الاكوادور، كنيسة الاصلاح الزراعي، ف. م . ملف ايار ١٩٠٨).

ويضم الاساقفة الاكوادوريين الـ ٣٤ مجلس يرئسه المونسنيور برناردينو رويز رئيس اساقفة كوياكويل الذي ينتمي الى التيار المحافظ. وفيما يحاول المجلس تطبيق توجيهات بويبلا، تبرز الخلافات بين الاساقفة حول العديد من القضايا، ولا سيما تلك التي تتعلق بالعدالة الاجتماعية ولاهوت التحرير ومشكلة اندماج الهنود الخ... في كنف هذه الصراعات يبرز وجه المونسنيور بروآنيو اسقف ريوبامبا –وقد بلغ اليوم سن الاستقالة– الذي جند طاقاته لدعم مطالب الهنود في ابرشيته، وسعى الى خلق جماعات القاعدة، وبذل نشاطا ملموسا في تثقيف الفلاحين عبر "المدارس الهوائية" (محطة ارسال) التي انشاها عام ١٩٦٢، وتقديم مختلف المعونات الفنية لهم... وقد جلب عليه هذا النشاط نقمة الاوساط الغنية والمحافظة التي كالت له ابخس التهم (اقرأ ف. م . اذار ١٩٨٢: المطران بروآنيو، اسقف الهنود).

بيرو (١ - ٥ شباط)

في بيرو بلغت الرحلة البابوية اوجها، حيث ارهف المراقبون سمعهم لكل كلمة سينطق بها يوحنا بولس الثاني في الاوضاع الشائكة التي تعيشها البلاد على الصعيدين الديني والسياسي. فبعد ان قبّل قداسته ارض مطار ليما —كعادته في كل تنقلاته— لم تقو الجماهير المحتشدة على جانبي الطريق المؤدية الى الكاتدرائية على اخفاء "بيوت التنك" التي تشكل حزاما حول العاصمة. وكان لقاؤه الاول مع ٦٠،٠٠٠ من الكهنة والرهبان والراهبات والعلمانيين الملتزمين حيث دعاهم الى التاصل في المسيح لمحاربة كل اشكال المظالم التي يخضع لها الانسان. وفي اليوم التالي توجه الى اريكويبا لتطويب الاخت آنا — الملائكة (دومينيكية — القرن١٧)، ثم عاد الى ليما ليناشد ال ٨٠٠٠٠٠ من الشباب لبناء حضارة المحبة، من دون عنف. وبعد زيارة لكوزكو حيث التقى بجموع الفلاحين وطالب باصلاحات حول الملكية الخاصة، توقف في مطار اياكوشو. وفي اياكوشو حيث تمارس حركة "الدرب المنير" اعمالها الارهابية، تكلم اسقف روما عن معنى الالم وشجب اعمال العنف مرجّعا اسبابها الى الظلم والفقر، وطالب بمجتمع ينعم بالسلام والحرية...وقد لاحظ المراقبون صمته عن اعمال القمع التي تمارسها قوى الامن.

هوية بيرو

جمهورية يحدها المحيط الهادىء من الغرب وتحيطها الاكوادور وكولومبيا والبرازيل وبوليفيا وشيلي. مساحتها ١،٢٨٥،٢١٦ كم٢ وتمثل الغابات الاستوائية ٦٠% من المساحة. سكانها ١٨،٥ مليون، ٥٠% منهم هنود. عاصمتها ليما (٦ملايين).

كانت بيرو جزءا من امبراطورية الانكا قبل الفتح الاسباني الذي دمر معالم حضارة ترقى الى ما قبل التاريخ، نالت استقلالها عام ١٨٢١ وعاشت حالة من الاضطرابات والثورات طيلة مئة عام، تخللتها نزاعات على الحدود مع الاكوادور وشيلي. وبعد انقلابات عسكرية متتالية، تسلّم الجنرال خوان الفارادو زمام الحكم عام ١٩٦٨ باتجاه اليسار. وفي عام ١٩٧٠ نكبت بيرو بزلزال ادى الى مقتل ٥٠٠٠٠ شخص. وعادت الحياة الديمقراطية في اعقاب انتخابات حرة حملت بيلوندي تيري الى الرئاسة عام ١٩٨٠.

وفي ٤ شباط، شمل برنامج الاب الاقدس ٣ مدن: كالاو حيث اقام ليتورجيا الكلمة للمرضى والمعوقين والشيوخ. وفي بيورا —وهي منطلق التبشير قبل اكثر من ٤٠٠ سنة— اكد على مهمة التبشير والشهادة للمسيح، مذكرا بان الاولوية الواجبة للفقراء لا ينبغي ان تكون "مطلقة"، ومحذرا من قراءة للانجيل تستوحي الرؤية الاجتماعية السياسية — وفي ذلك اشارة الى محاولات لاهوتيي التحرير— سيما حين انحى باللائمة على الذين "ينادون بنظرياتهم الخاصة...عوض المناداة بحقيقة المسيح"! وفي تروجيلليو لم يتردد قداسته، في خطابه الى العمال، من فضح التفاوت الصارخ بين اقلية موسرة ازاء بؤس الاغلبية، مرجعا جذوره الى بنى الظلم، ومناشدا الى استلهام تعليم الكنيسة الاجتماعي في عملية "التحرير الكامل" من كافة العبوديات.

وفي اليوم الاخير من زيارته الراعوية، تفقد البابا "مجمع التنك" في ضواحي ليما حيث يعيش حوالي نصف مليون في فقر مدقع: "الله يحب الفقراء... ولكنه لا يريد ان تبقوا فقراء"، ودعاهم الى التضامن لمحاربة كل اشكاس البؤس، مناشدا السلطات للسعي الى اقامة نظام اكثر عدالة. وكانت محطته الاخيرة اكيتوس، مدينة الهنود، حيث اتسم لقاؤه بالبساطة والعفوية في تفهم عميق للمشاكل التي يعانون منها...

• بيرو... مهد لاهوت التحرير

"ياتي البابا عندنا في وقت يعيش فيه الشعب ازمة اقتصادية واجتماعية واخلاقية بنوع خاص: الاجرام، الفساد، والعنف، بكافة اشكاله"! قالها المونسنيور دالتيروش لمراسل صحيفة لاكروا الفرنسية. فبيرو هو حقا بلد الفقر والعنف! فقر مدقع هو في اصل موجة من العنف بلغت أوجها: فهناك العنف الذاتي الذي يتمثل في الادمان وتعاطي المخدرات؛ وهناك العنف في البنية الاجتماعية التي تفرز التمييز العنصري بين الفئات التي تشكل المجتمع البيروي (البيض والهنود والمزيج). وهناك عنف اشد قسوة ووطأة وهو العنف الذي تمارسه عصابة "الدرب المنير" –تنظيم ماوي منشق عن حزب شيوعي– والتي اخضعت الشعب لخوف قاتل، وقد اتخذت هذه الحركة الارهابية في السنوات الاخيرة اساليب جهنمية في الاغتيال والاختطاف يذهب الالوف ضحيتها.

ولعلّ أبرز مشكلة تواجهها البلاد هي نزوح مئات الألوف من الهنود من المناطق الجبليّة والسُكنى في صرائف تشكل حزام الفقر حول ليما العاصمة. وغني عن القول ما تفرزه هذه "الأكوام" المكدّسة من البشر من عُنف على مختلف الأصعدة، انتقاماً لنفسها من حالة الفقر والجهل.

إنّ حالة الفقر التي يعيشها شعب بيرو العريق كانت ولا شك وراء تلك المحاولة اللاهوتيّة التي كان الأب كوستافو كوتيريز من بيرو أول مَن اطلق عليها اسم "لاهوت التحرير" –وقد اصدر كتابه بهذا العنوان عام ١٩٧١– فكانت بمثابة جواب الى صراخ الفقراء والمقهورين والمستضعفين. ولقيت هذه المحاولة تجاوباً لدى اساقفة البلاد الذين ابدوا "انحيازهم" الى جانب الفقراء، وقد برزت مواقفهم الجريئة بنوع خاص ابان انعقاد سينودس الاساقفة العام في روما عام ١٩٧١ حول موضوع "العدالة في العالم".

إلاّ أنّ السنوات الأخيرة عكست انقساماً في مصفّ الاساقفة ألـ ٥٢ حول لاهوت التحرير بالذات، ولولا وقوف الكردينال لاندازوري –ريكتز رئيس اساقفة ليما إلى جانبه، لكان كوتيريز في عداد المحرومين! وقد أظهر الكردينال جرأة نادرة حين حمل الأساقفة، بعد عودتهم من روما في ت١ الماضي، على اصدار مذكرة في ٢٦ ت١ أكدت على "الدور الأساس" الذي يلعبه لاهوت التحرير، مبرزة قيمته وشرعيته بصفته "عامل تعمق روحي ازاء أوضاع الفقر اللانسانيّة" التي تعيشها بيرو.

وفي بيرو، حيث يعدّ الكاثوليك ٩٥% من السكان، كنيسة حيّة نشطة. وتأتي في المرتبة الثانية بعد البرازيل من حيث عدد "جماعات القاعدة" وحركات العلمانيين التي تمارس نشاطاً ملحوظاً، وقد اخذت توجهاتها الراعويّة والتنمويّة والتبشيريّة تعطي ثمارها.

حصيلة الرحلة؟

وعاد يوحنا بولس الثاني الى روما –بعد توقف قصير في "ميناء اسبانيا" عاصمة ترينيداد وتوباكو–حاملا معضلات قارة طاب له ان يدعوها "قارة الرجاء" لما فيها من قدرات بشرية لا غنى عنها لمستقبل الكنيسة، إن هي عرفت ان تضعها في خدمة الشهادة

للانجيل. الا ان هناك تساؤلات خلفتها الرحلة: هل التقى البابا بشعوب هذه القارة بمعضلاتها الواقعية وتطلعاتها المشروعة؟ هل لقيت خطاباته التي شددت على العودة الى تعليم الكنيسة الاجتماعي صدى لدى شعوب الفقر والمظالم؟ اي حظ سيكون للمحاولات اللاهوتية التي تنطلق من مبدا الاولوية للفقراء؟

واذا كان من الصعب الاجابة الى هذه التساؤلات، فهناك امر لا شك فيه هو ان يوحنا بولس الثاني بدا في رحلته هذه نذيرا لا يخشى ان يعبر عن قناعاته، حتى وان خدشت مسامع البعض.

---

(١) كانت اولى رحلاته الى المكسيك من ٢٥ك٢ – ١شباط ١٩٧٩ للمشاركة في دورة بوبيلا (ف.م. اذار ١٩٧٩)، فالبرازيل من ٣٠حزيران – ١٢تموز ١٩٨٠ (ف.م.اب /ايلول ١٩٨٠)، والارجنتين في ١٠حزيران ١٩٨٢ للوساطة في النزاع على جزر فوكلاند (ف.م.حزيران/تموز ١٩٨٢). وكانت رحلته الرابعة الى امريكا الوسطى من ٢ – ٩ اذار١٩٨٣ حيث زار كلاً من كوستاريكا ونيكاراغوا وبنما والسلفادور وكواتيمالا وهوندوراس وبيليز وهايتي (ف.م.نيسان ١٩٨٣). اما رحلته الخامسة، فقد تمت من ١٠ – ١٣ ت١ ١٩٨٤ وشملت الدومنيكان وبورتوريكو (ف.م.ك١ ١٩٨٤).

ش.ر/نيسان ١٩٨٥

المغرب.. خطوة على طريق الحوار المسيحي - الإسلامي

حين توقف البابا يوحنا بولس الثاني في الدار البيضاء في ختام رحلته الى ست دول افريقية. كان العدد تحت الطبع، فلم يستطع تغطية احداث هذه الزيارة الفريدة كونها اول زيارة يقوم بها حبر اعظم لدولة عربية اسلامية بدعوة من عاهلها الملك الحسن الثاني.

ولما كان للقاء البابا، في ١٩ آب الماضي، مع ملك المغرب -والشبيبة المغربية- وهي المرة الاولى يخاطب فيها البابا شبابا مسلمين في اطار السنة الدولية للشبيبة- اهمية خاصة على الصعيدين السياسي والديني، مما حمل وسائل الاعلام العربية والعالمية على تسليط الاضواء عليه... كان لا بد "للفكر المسيحي"، في نطاق سعيها الى بعث الحوار المسيحي- الاسلامي، ان تصدي لهذا الحدث التاريخي، مغتنمة الفرصة للتعريف بالمغرب المضياف الذي يعيش على ارضه حفنة من المسيحيين تمتعوا طيلة اجيال وما زالوا بالرعاية من جانب الدولة، وبالتآخي من جانب الشعب المغربي السمح.

●

من عمق التاريخ

في اقصى غرب القارة الافريقية —ومن هنا تسميته ب "المغرب الاقصى"— بلد عريق، ترقى حضارته الى ما قبل التاريخ، وشعبه حصيلة اقوام وفدوا اليه من افريقيا واسيا والشرق الاوسط. وما زالت اثاره الباقية في فوليبيليس وشلاح وباناسا الخ... تحكي قصة الاحتلالات المتعاقبة التي خضع لها منذ عهد الرومان، مرورا بالفاندال القادمين من اسبانيا عام ٩٢٤ وحتى العصر الروماني — البيزنطي.

غير ان تاريخ المغرب العربي يبدا مع الفتوحات العربية عام ٦٨١، والتي ما عتمت ان اجتاحت شمال افريقيا، حين لجأ اليه ادريس الاول من مكة هربا من اعوان معاوية، وبايعته بالملك قبائل البربر (قتل مسموما عام ٧٩٣). ويعود الى ابنه ادريس الثاني شرف تاسيس اول مملكة في المغرب، وهو الذي اسس مدينة فاس التي سرعان ما اخذت تمارس دورا دينيا وسياسيا في عهد الموحدين، حتى بلغت اوج عزها في عهد المرينيين الذين شيدوا فيها الجوامع (مولاي ادريس والقرويين...) والمدارس (بوعنانيا والقرويين والعطارين...).

دام حكم بني ادريس قرنين. ومنذئذ تعاقبت على الحكم سلالات المرابطين (القرن١١) والموحدين (القرن ١٢- ١٣) والمرينيين (القرن ١٣- ١٤) والسعديين (القرن١٦) —وهم الذين جعلوا من مراكش مركزا حضاريا وفنيا متميزا، بعد ان شيدها المرابطون وترك الموحدون بصماتهم فيها— وآخرها سلالة العلويين (القرن١٧) الذين رسموا ملامح المغرب الحديث؛ وبرز فيهم مولاي اسماعيل (١٦٧٢-١٧٢٧) الذي حقق نهضة

حضارية وعمرانية واسعة، وجعل من مكناس عاصمة المغرب التي ما زالت تفاخر بابنيتها وقصورها وحدائقها ذات الطابع العربي الاصيل. كما برز سيدي محمد بن عبدالله (١٧٥٧-١٧٩٠) الذي منح الرباط مركزا هاما -وكان السلطان الموحدي عبد المؤمن قد اسسها عام ١١٥٠ واضفى عليها يعقوب المنصور طابعا عربيا ما زال متمثلا في سورها الجميل وجامعها "الحسن" ومئذنته الرائعة.

هوية المغرب

يقع في شمال غرب افريقيا الشمالية، تحده الجزائر من الشرق والجنوب، والصحراء الغربية من الجنوب الغربي. تطل سواحله الشمالية (٥٠٠كم) على البحر المتوسط، وسواحله الغربية (١١٠٠كم) على المحيط الاطلسي. تمتد منطقة جبال (الريف) من مضيق جبل طارق وعلى طول سواحل البحر الابيض. ويرتفع في منطقته الوسطى الاطلس الكبير (توبكال ٤١٦٥م) ويتفرع منه الاطلس المتوسط في الشمال الشرقي والاطلس الصغير في الجنوب الى ان يرتطم بالصحراء.

تبلغ مساحة المغرب ٤٥١،٨٨٠كم٢. وسكانه ٢١ مليون يدينون بالاسلام. الى جانب جالية مسيحية (٥٠٠٠٠) وجالية يهودية (٢٠٠٠٠). وللمغرب مع الكرسي الرسولي علاقات دبلوماسية منذ عام ١٩٧٦.

عاصمة المغرب الرباط وتعد العاصمة الادارية الى جانب فاس العاصمة الثقافية، والدار البيضاء العاصمة التجارية (٤ ملايين). عرف المغرب نموا اقتصاديا بنسبة ٨،٥% بين ١٩٧٣-١٩٧٧ أعقبه انخفاض يعزى الى النفقات العسكرية وتصاعد في الديون الخارجية.

يعمل ٨٠% من السكان في الزراعة ولا تكاد الاراضي المستثمرة بالطرق الحديثة تتجاوز ٢٥%. ويتمتع المغرب بثروة سمكية وحيوانية كبيرة، ويعتبر ثاني بلد في انتاج الفوسفات (٢٠%من الصادرات) فضلا عن ثروات معدنية اخرى (المنغنيسيوم والرصاص والحديد والفحم...). وتشمل الصناعات المغربية السمنت والحديد والنسيج والسكر والمعلبات... الى جانب الصناعات اليدوية كالمفروشات والمصوغات الفضية والنحاسية...

ظل المغرب سلطنة طيلة قرون تعرض خلالها لمحاولات السيطرة الاوربية في اعقاب انتهاء الوجود العربي في الاندلس عام ١٣٨٢، حين استطاع البرتغاليون ان يجعلوا من سبتة اول مستعمرة لهم عام ١٤١٥ وتحولت من ثم في يد الاسبان عام ١٥٨٠. وسرعان ما امتد الاحتلال الاسباني الى مليلة وطنجة... وفي القرن ١٩ تنازعت اسبانيا وفرنسا على المغرب حتى انتهى بهما الامر عام ١٩١٢ الى تقسيمه الى محميتين: سيطرت اسبانيا على القسم الشمالي، وفرنسا على القسم الجنوبي، ولم يعد للسلطان سوى سلطة اسمية.

وفي عام ١٩٢٠ قامت انتفاضة في منطقة الريف (تطوان) بقيادة عبد الكريم الخطابي، الا انها لم تفلح في انتزاع السيادة المغربية، وبعد الحرب العالمية الثانية، وازاء محاولات القوى الوطنية للحصول على الاستقلال، نفى الفرنسيون السلطان محمد الخامس عام ١٩٥٣، وسرعان ما اضطروا الى اعادته. ونال المغرب استقلاله عن فرنسا في ٢ آذار ١٩٥٦، وعن اسبانيا في ٧ نيسان، واصبح المغرب نظاما ملكيا دستوريا في اعقاب اعتلاء الملك الحسن الثاني عرش "الدولة الشريفية" عام ١٩٦١ خلفا لابيه محمد الخامس.

وبقيت طنجة منطقة دولية الى ان اعيدت الى المغرب عام ١٩٦٠؛ وما زال النزاع قائما مع اسبانيا حول استعادة مدينتي سبتة ومليلة. وفي عام ١٩٧٤ برز خلاف بين المغرب والجزائر بشان الصحراء الغربية التي كانت اسبانيا تسيطر عليها: فبعد ان تنازلت عنها موريتانيا، اخذت الجزائر تطالب باستقلالها لصالح جبهة البوليساريو، وقد تحول هذا الخلاف وما يزال الى نزاع مسلح بين الدولتين الشقيقتين.

الكنيسة في المغرب

ترقى المسيحية في المغرب الى الاجيال الاولى حين استقرت في شماله جماعات مسيحية صغيرة لعبت دورا هاما في التاريخ الكنسي، وسرعان ما اضمحل اثرها قبيل الفتح الاسلامي[١]. ومع بدء توافد الاوربيين اليه في القرن ١٣، تجدد الحضور المسيحي وازداد حجمه ابان الاستعمار البرتغالي والاسباني. ومن الجدير بالذكر ان المغرب ابدى تسامحا تجاه الوجود المسيحي على ارضه، وتشهد بذلك "المطرانيات" التي أُنشئت والعلاقات التي توطدت مع الكرسي الرسولي عبر تبادل الرسائل والبعثات[٢]. واصبح للكنيسة الكاثوليكية عام ١٦٣٠ كيان تابع لمجمع "انتشار الايمان" في عهد الطوباوي الفرنسيسكاني جان دي برادو، حين انيطت بالرهبان الفرنسيسكان من اقليم سان ديبكو في الاندلس مسؤولية مد "الارسالية" بالرهبان الذين كانت مهمتهم الراعوية الرئيسة رعاية الاسرى المسيحيين المحتجزين في المغرب. وفي عام ١٦٩٤ عين المجمع نائبا رسوليا على المغرب من الرهبانية الفرنسيسكانية.

لم يلق الفرنسيسكان الاوائل ارتياحا من جانب السلطات المغربية من جراء الخلافات الدينية —السياسية بين المغرب واسبانيا. وفي عهد السلالة العلوية، تحسنت الظروف حتى ان السلطان مولاي اسماعيل سمح لهم بالعيش في ما بين الاسرى واجاز لهم تشييد معابد لاقامة الصلاة للمسيحيين الوافدين لخدمة البلاد او لتعاطي التجارة. وافلح الرهبان في اكتساب ود السلطان الذي وكل اليهم ادارة مستشفى في قلب العاصمة مكناس، وراحوا يتمتعون بامتيازات كثيرة كحرية التجول في ارجاء البلاد، والحق في ممارسة مهامهم الراعوية تجاه المسيحيين المقيمين. والاعفاء من الضرائب الكمركية على البضائع والاموال التي كانوا يستقدمونها لحاجاتهم او لافتداء الاسرى.

وبعد وفاة مولاي اسماعيل، تمتع الرهبان بمزيد من الحرية والاحترام في ظل حكم السلطان سيدي محمد الذي افتتح عهد الوفاق مع الدول الاوربية حين اخذ يوقع معاهدات سلام تلزم الطرفين بوقف اعمال القرصنة البحرية وتحرير العبيد وتبادل الاسرى. واذا كانت سماحة السلطان قد حملته الى هذه المواقف الانسانية، فلقد كان للرهبان الفرنسيسكان دور هام في هذا الانفتاح وقد راى فيهم وسطاء اكفاء للتفاوض مع "الدول المسيحية". وفي هذه المصالحة مع الغرب، لعب الابوان بارتولومي جيرون وخوزبه بولتاس دورا كبيرا، اذ كان السلطان يثق بهما ويستشيرهما في العديد من القضايا الهامة ويوكل اليهما مهمة مرافقة بعثاته الدبلوماسية.

وابان الحملة المعادية للاكليروس في اوربا في القرن ١٩، تقلص عدد الرهبان في المغرب وكادت رسالتهم تضمحل طيلة نصف قرن. ولكنها استعادت نشاطها في منتصف القرن ١٩، وبرز بين المرسلين الجدد الاب خوزيه ليرشوندي الذي عرف ان يندمج في حياة المغاربة ويتقن لغتهم —واليه يعود الفضل في وضع اول كتاب للنحو واول معجم في اللغة لمساعدة الاجانب على تعلم اللغة العربية— وكانت له حظوة لدى السلطان مولاي الحسن الاول (+ ١٨٩٤).

الكنيسة الكاثوليكية في المغرب

• ابرشية الرباط

تضم ٤٠٠٠٠ كاثوليكي كلهم اجانب وفي مقدمهم الفرنسيون، الى جانب حوالي ٣٠ جنسية. يرئس الابرشية المطران هوبرت ميشون (٥٨ سنة)... وقد مارس مهمته الكهنوتية الى جانب مهنة الطب الى ان رسم اسقفا عام ١٩٨٣.

وللابرشية ٦٤ كاهنا معظمهم فرنسيون، بينهم ٢٥ راهبا فرنسيسكانيا، يخدمون في الخورنات والحركات الرسولية، الى جانب نسبة ضئيلة من الموظفين. وهناك ٧ اخوة من الفرنسيسكان والسالزيين واخوة يسوع الصغار وحوالي ١٠٠ راهبة من مختلف الرهبانيات.

• ابرشية طنجة

تمتد على مساحة ٢٨٠٠٠كم٢ —وهي مساحة اسبانية— وتعد اكثر من ٨٠٠٠ كاثوليكي بأبي الاسبان في المرتبة الاولى. في عدادهم ٢٠ كاهنا كلهم فرنسيسكان، بينهم ١٦ اسبانياً وايطاليان وفرنسيان، موزعين على ٩ خورنات. وهناك ٥ اخوة و١٢٨ راهبة بينهن ٥٣ من راهبات المحبة و٢٤ من الفرنسيسكانيات... يرئس الابرشية المطران انطونيو بيتزو.

واصبح للنيابة الرسولية في المغرب، ابان الانتداب الفرنسي والاسباني، مركزان: طنجة والرباط، وقد اصبحا عام ١٩٥٦ ابرشيتين يدير شؤونهما رئيسا اساقفة. وفي عام ١٩٨٣ اخذت الكنيسة الكاثوليكية تتمتع بوضع قانوني في اعقاب رسالة وجهها العاهل المغربي الى البابا يوحنا بولس الثاني كرست حرية الكنيسة وحقها في "ممارسة شعائر الصلاة والسلطة الكنسية والادارة الداخلية والخدمة والتعليم"، فضلا عن الاعفاء من الضرائب الذي شمل الكهنة والرهبان والراهبات واماكن العبادة والمؤسسات ذات الطابع التربوي والخيري...

هذه "الكنيسة" —وتعد اليوم حوالي ٥٠٠٠٠ مؤمن، كلهم اجانب— استطاعت، بفضل صبر طويل ان تقطع صلاتها مع عهود الاستعمار، لتبدو، بالرغم من طابعها الاجنبي، ملتصقة بحياة الشعب المغربي وشاهدة في وسطه للمسيح بروح التعاون المخلص والتزيه. والحوار المسيحي — الاسلامي في مفهومها انما هو "حوار الحياة" الذي يتخذ صيغة علاقات انسانية، مبنية على الاحترام المتبادل والتضامن البناء في مجالات الحياة المختلفة، حيث تتجلى الشهادة المسيحية عبر مبادرات يقوم بها كهنة ورهبان تعكس احترامهم وحبهم للشعب المغربي المضياف، ونخص بالذكر "مركز الينبوع" في الرباط الذي يديره الاب جاك ليفراد

ويريده "مكانا" يجنب الجماعة المسيحية خطر الانطواء، و"ملتقى" للصداقة بين المسيحيين والمسلمين عبر مكتبته العامرة في التراث العربي الاسلامي.

وكان للمغرب موعد مع البابا!

في ٢ نيسان ١٩٨٠ كان الملك حسن الثاني، بصفته رئيسا للجنة القدس المنبثقة عن مؤتمر فاس (١٩٧٩)، قد زار البابا حاملا اليه وجهة النظر العربية في مسألة القدس[٣]. عن هذا اللقاء كتب احمد علوي في صحيفة Le matin du Sahara (١٨ آب ١٩٨٥) المغربية: "انها المرة الاولى يلتقي ملك هو في الوقت ذاته امير المؤمنين، بحبر اعظم... مما اضفى على الحدث صفة فريدة في العلاقات الاسلامية – المسيحية". وتجدد هذا اللقاء حين لبى البابا الدعوة التي كان قد وجهها اليه العاهل المغربي، وحل في الدار البيضاء في ١٩ آب الماضي.

وكعادته. انحنى يوحنا بولس الثاني ليقبّل الارض المغربية –وكان لهذه المبادرة وقع خاص في نفوس المغاربة. وكان على رأس مستقبليه الملك الحسن الثاني واولاده الثلاثة واعضاء الحكومة...وبدأت زيارته التي لم تستغرق سوى خمس ساعات بقداس في كلية "شارل دي فوكو" شارك فيه ٢٥٠٠ من كاثوليك المغرب وممثلون عن الكنائس الانجيلية والانكليكانية واليونانية. وكان للبابا لقاء شخصي مع عاهل المغرب في القصر الملكي، اعقبه لقاء مع علماء الدين حيث القى سكرتير مجلس العلماء كلمة قال فيها بان: "هذا اللقاء التاريخي بين ممثلي مليارين من المؤمنين سيفتح عهدا جديدا من التضامن بين الديانتين الكبريين"

وكان مليون من المغاربة على موعد مع البابا على طول الطريق المؤدية الى ملعب محمد الخامس الرياضي، حيث رحب الحسن الثاني بضيف المغرب الكبير: "يحل بيننا وعلى ارضنا صديقنا الكبير... وقد التقت ارادتنا نحن الاثنين في هدف واحد: نسج وتقوية خيوط الحب والصداقة والوئام بين الامم والديانات". وذكر جلالته برده على تساؤل البابا: –ماذا سافعل إذا جئت الى المغرب؟– "جماهير المغرب والشبيبة بنوع خاص سيسرها ان تسمع منكم خطابا في الاخلاق...".

هذا الخطاب المنتظر القاه يوحنا بولس الثاني على مسامع ٨٠٠٠٠ من شباب المغرب والرياضيين القادمين من ٢٣ بلدا عربيا بمناسبة الدورة السادسة للالعاب العربية (٢ – ١٦آب)، وقد استهله بالعربية بهذه الكلمات: "ايها الشباب الاعزاء. احييكم من صميم القلب واحيي من خلالكم شعب هذا البلد النبيل". وبدأ قداسته بتأدية الشهادة للايمان بالله، على مثال ابراهيم ابي المؤمنين جميعا، مناشدا اياهم "ان يعززوا الصداقة والاتحاد بين البشر" في عالم يتوق الى الوحدة والسلام. ومؤكدا على ضرورة الحوار بين المسيحيين والمسلمين بدافع من امانتهم لله، في عالم يتنكر له.

ودعا الاب الاقدس الشباب ان يسعوا الى بناء عالم اكثر عدالة واكثر انسانية. ويواجهوا باقدام عالما تتفشى فيه المظالم والانقسامات والحروب...، متجنبين خطر التعرض للاستسلام او العنف: "انكم مسؤولون عن عالم الغد...". وعالم الغد لن يكون افضل الا

اذا عرف البشر انهم "متساوون في الكرامة، مختلفون في المواهب"، واحترموا من ثم هذه التعددية في القيم والحضارات والاديان: "اني على يقين من انكم قادرون جميعا على الحوار، فانتم تأبون ان تقيدكم الاحكام المسبقة، ولكم الاستعداد لبناء حضارة ترسو على المحبة... وترغبون في محبة تتخطى الحواجز القومية والعرقية والدينية".

وفيما ذكر قداسته شباب المغرب بالتراث الفكري العريق لدى العرب والمسلمين ودعاهم الى الغرف من ينابيع المعرفة، من اجل فهم اوسع للعالم وتذوق اكبر للحقيقة، وضعهم وجها لوجه ازاء القيم المشتركة بين المسيحيين والمسلمين (الايمان بالله الواحد، الصلاة، الصوم، الصدقة، التوبة، الغفران، الثواب...) دون ان يغفل الاشارة الى اختلاف الرؤية: "وتقضي النزاهة ان نعترف باختلافاتنا ونحترمها، وابرزها نظرتنا الى شخص يسوع الناصري وعمله. فانكم تعلمون ان يسوع بالنسبة الى المسيحيين يدخلهم في معرفة صميمة لسرالله وفي شركة بنوية في هباته، ومن ثم فهم يعترفون به ربا ومخلصا. هذا الاختلاف يدعو البابا الى ان نقبله بروح الاحترام والتسامح، متخطين ازمنة التجاهل والجدال العقيم والحروب المضنية، واضعين يدا بيد من اجل بناء عالم "يكون فيه لله المكانة الاولى".

على هامش الزيارة البابوية

لقد استاثرت هذه الزيارة الخاطفة باهتمام المراقبين: كان العاهل المغربي، بصفته زعيما سياسيا وروحيا —ويختص لنفسه صفة "اميرالمؤمنين"— ينتظر من الزيارة البابوية مزيدا من الشعبية لدى شبيبة مغربية في غليان فكري وسياسي، وفرصة لترسيخ صورة "المحامي" عن القضايا العربية لدى الاوساط العربية والدولية. كما انه يسعى الى ان يبدو من رواد الحوار المسيحي — الاسلامي بوجه النعرة المتطرفة لدى بعض الدول الاسلامية، وبوجه ظاهرة "العنصرية" التي يتعرض لها العمال المسلمون في بعض الدول الغربية. ومن اولى بهذا الدعم غير البابا؟

والبابا، من جهة اخرى، كان على علم بالملابسات التي ترافق زيارته: فهناك النزاع بين الجزائر والمغرب بشان الصحراء الغربية، والخلاف بين الدول العربية تجاه القضية الفلسطينية، والتزمت الديني لدى بعض الدول الاسلامية وعلى راسها ايران، والوضع الحساس الذي تتعرض له الاقليات المسيحية في بلدان تدين بالاسلام الخ...

وازاء كل هذه الاعتراضات والملابسات يخلص جان بيير مانين مبعوث مجلة (A.R.M./العدد ٢٦) الى القول بان البابا، بعد هذا الحساب، اختار سبيل المجازفة، معللا النفس بالمردودات الايجابية التي تحملها الزيارة واهمها انه استطاع ان يسمع صوت الكنيسة لملايين من المغاربة ومن خلالهم لعشرات الملايين من العرب والمسلمين، مسدلا الستار على ازمنة التباعد والتجاهل، فاتحاً عهد المحبة والوفاق بين المسيحيين والمسلمين في عالم يبحث فيه البشر عن اجوبة لتساؤلاتهم العميقة ومعضلاتهم الكبرى.

واذا كان خطاب يوحنا بولس الثاني ملتزما بتوجيهات اخلاقية قصيرة المدى، الا

انه تميز في بعض فقراته بتلميحات لم تخف اهميتها، سواء حين شجب "ان يُستَخدَم الله لغايات خاصة"، ام حين دعا الى احترام "الحرية الدينية" لدى اطراف الحوار، ام حين قادته الصراحة الى اعلان "الاختلاف" في الرؤية حول شخص المسيح، مخلصا الى القول: "وهنا يكمن سر سينيرنا الله بشانه يوما"!

وخلاصة القول ان الزيارة البابوية للمغرب اسهمت الى حد كبير في حمل المسيحيين والمسلمين معا على ان يثمنوا قيمهم الدينية والحضارية ويتخطوا صراعاتهم الماضية والحاضرة ويفتحوا صفحة جديدة من علاقات التسامح والتضامن، من اجل بناء حضارة تسودها المحبة ويرفرف عليها السلام.

---

(١) اقرأ "المسيحية في المغرب العربي"، ف . م . ملف/آذار ١٩٨٤

(٢) عام ١٢٤٦ بعث البابا انوشنسيوس الرابع رسالة الى سلطان المغرب ابو الحسن السعيد يهنئه على الرعاية التي خص بها كنيسة المغرب، ويطلب اليه مزيدا من الحماية للمسيحيين بوجه المعتدين... وفي عام ١٢٥٠ كتب الخليفة عمر المرتضى الموحدي (١٢٤٨- ١٢٦٦) رسالة جوابية الى البابا انوشنسيوس الرابع يطلب فيها اليه ان يعين كاهنا يهتم بشؤون المسيحيين، على ان يكون مستقيما، نزيها، مزينا بالفضائل الاخلاقية والفكرية...".

(٣) عكست الرسالة الخاصة حول مدينة القدس التي وجهها البابا في نيسان ١٩٨٤، بمناسبة اختتام السنة المقدسة، اهتمام الكرسي الرسولي بقضية القدس مدينة السلام ورمز التعايش بين الديانات (راجع ف. م . حزيران/ تموز ١٩٨٤).

المراجع

- Le matin du Sahara: Nos. 18- 24 août 1985
- La Vie; Nos. 2086, 2087
- Actualité religieuse, No. 26
- La Croix: 25 juillet 1985

مقالات ١٩٨٦

+ إفريقيا: كنيسة في منعطف/ملف/آذار - نيسان
+ بين طلبة معهد شمعون الصفا الكهنوتي/تحقيق/ش.ر/أيار
جولة في كنائس العراق/تحقيق/عدد خاص/ت١ - ت٢
+ إسيزي: ملتقى الديانات/ش.ر/ك١

افريقيا كنيسة في منعطف

في القارة الافريقية بلدان لم يمض على استقلالها سوى ربع قرن، ولا تكاد المسيحية فيها تجاوزت قرنين! ولن نغالي اذا قلنا بان الكنيسة الافريقية ظلت سنوات طويلة مجهولة ومنسية الى ان اخرجها المجمع المسكوني من عزلتها حين شاهدنا اساقفة وكرادلة افارقة كان لهم ما يقولونه للكنيسة الجامعة.

هذه الكنيسة الشابة تعيش اليوم في ظل مجتمعات تمزقها انقسامات وصراعات ايديولوجية وسياسية واقتصادية وقبلية ودينية، وقد اخذت تبحث لها عن هوية افريقية تؤهلها لان تشق طريقها الى المجتمع الافريقي، فتحمل اليه انجيلا بوجه افريقي، وتكون هي شاهدة فيه لحضور المسيح وتغلغله في قلب الحضارة السوداء.

هذا الملف يحكي واقع كنيسة قارية في منعطف هام بين امانتين: امانة للانجيل وامانة للحضارة، وهي تسعى الى اكتناه الاولويات في انتظار "مجمع" افريقي يكون بمثابة عنصرة جديدة.

حين نتكلم عن الكنيسة الافريقية، لا ينبغي ان ننسى بانها كنيسة حديثة العهد بالايمان، ما خلا الكنائس الشرقية العريقة في مصر واثيوبيا. واذا تركنا جانبا تاصل المسيحية في شمال افريقيا في القرون الاولى والمحاولات التبشيرية في القرن ١٤-١٥ التي رافقت فترة اكتشاف القارة، نجدنا ازاء كنائس "شابة" لا تكاد تتجاوز القرن! وفيما كانت الى عهد قريب كنائس تابعة لمجمع "انتشار الايمان"، في اعقاب فترة الارساليات التي واكبت حقبة الاستعمار الاوربي لافريقيا في القرن ١٩، ها هي اليوم في منعطف هام

يتوجب عليها ان تقوم بعملية الكرازة بالانجيل، ليس على ايدي كهنة واساقفة اجانب، وانما على ايدي كهنتها واساقفتها وعلمانييها الافارقة، فتصبح كنيسة افريقية ذات هوية متميزة[1]. وتجدر الاشارة الى ان الكنيسة الكاثوليكية الافريقية انتظرت عام ١٩٣٩ لتحصل على اول اسقف افريقي (اوغندا)! ولا يزال امامها طريق طويل قبل ان "يتأفرق" كل اكليروسها!

كنيسة على طريق "الافرقة"

"بلغت الكنائس في افريقيا منعطفا يتحتم فيه على الايمان ان ينضج ويعطي ثمارا تكون افريقية اصيلة ومسيحية اصيلة"! قالها البابا يوحنا بولس الثاني ابان رحلته الثالثة الى ست دول افريقية (٨-١٩ آب ١٩٨٥)، وقد لمس رغبتها الملحة في ان تصبح كنيسة افريقية متاصلة في الايمان المسيحي والحضارة الافريقية.

"والافرقة" تتعدى كونها قضية استبدال الكهنة والاساقفة الاجانب بافارقة، وانما هي مشروع يهدف الى جعل الانجيل يتاصل في الواقع الحضاري الافريقي بكل ايجابياته وملابساته. انها بالاحرى قضية "تأقلم" (Inculturation) الكنيسة وتكيفها وتفاعلها مع الحضارة الافريقية. بحث يضحي الانجيل قادرا ان يخاطب الانسان الافريقي المعاصر بلغة يستسيغها وذهنية تلقى لديه صدى.

انه طرح جديد يلخصه الاب بينوكو استاذ المعهد الكاثوليكي في ابيجان (ساحل العاج) بقوله: "ما زال الايمان المسيحي لا يعطي سوى اجوبة قليلة عن التساؤلات والمطاليب الجمة للافريقي المتنصر والغارق في اعتقادات تقليدية.. فماذا من تأقلم رسالة المسيح في كنائسنا المحلية؟ هل اتخذ المسيح جسدا افريقيا؟..."[2].

ان هذا التساؤل بحد ذاته يضع للكاثوليك الافارقة منهاج عمل طويل الامد. ذلك لان تاقلم الايمان المسيحي في الواقع الافريقي يطرح مسالة التعددية في الكنيسة ويبرز حق الكنائس المحلية في التعبيرعن ايمانها، بنهج خاص ولاهوت متميز وليتورجية تستوحي عناصر حضارية.. ومثل هذا المشروع يتوجب ان ياخذ بعين الاعتبار الوضع الذي يعيشه المسيحي الافريقي المعاصر، وهو في صراع بين ايمانه الجديد وتقاليده الافريقية العريقة، وفي بحث دائم للتوفيق بين المقومات الحضارية والرؤية الجديدة التي يحملها اليه الايمان المسيحي. بهذا الصدد يواصل الاب بينوكو قوله بان افرقة المسيحية تعني "جعل الرؤية الروحية للكون والمفهوم القدسي للانسان والتاريخ والبعد الجماعي والتضامني للاسرة، وكل ما تعيشه الاقوام الافريقية.. تخضع لجدة الانجيل". هذا التوجه اصبح منذ بضع سنوات هاجس الكنيسة الافريقية في نطاق دراساتها ومؤتمراتها ومجالسها الاسقفية. وها نحن نستعرض ابرز الاولويات التي انكب عليها.

من اجل ليتورجية افريقية

الصلاة بالنسبة للافريقي لا تقتصر على الروح، وانما تتطلب مشاركة الجسد، على حد تعبير الكردينال زونكرانا، رئيس اساقفة اواكادوكو (فولتا العليا) الذي يمضي الى القول بان التعبير الليتورجي يجب ان يتجلى في "حركات مستقاة من اسلوب حياتنا (طريقة السجود

وتبادل السلام...)، وهتافات محلية والحان مستوحاة من التراث، يرافقها ايقاع جسدي واحيانا رقصات دينية...". وتلك ميزات لا غنى عنها في الليتورجيا كي تصبح تعبيرا اصيلا عن الايمان.

وهكذا اتجهت عملية التاقلم نحو الليتورجيا وفي مقدمتها الاحتفال بالاوخارستيا – وغني عن القول ان الكنائس الافريقية تبنت الطقس اللاتيني مع الكثلكة، وحتى عهد قريب كانت الطقوس تؤدى باللغة اللاتينية! وانطلقت اولى المحاولات لافرقة الليتورجيا من زائير منذ الستينات، بمبادرة الكردينال جوزيف مالولا رئيس اساقفة كينشاسا الذي ارسى قواعد "طقس زائيري" للقداس يتميز بطابعه الافريقي في الحلل المقدسة وفي الحركات الايقاعية والموعظة التي اتخت صيغة حوار بين اعضاء الجماعة المسيحية.. وسرعان ما امتدت هذه الحركة الى العديد من البلدان الافريقية. وتجري حاليا محاولات مماثلة ما زالت قيد الاختبار، كقداس "اشانتي" في غانا حيث تقترن الروح المسيحية بالتقوى الشعبية: فتبدا الليتورجيا بتبادل السلام، يعقبه "تقديم الضحية" (القرابين) على صوت الطبول، والكلام الجوهري والتناول، ومن ثم ليتورجيا الكلمة (قراءات من الكتاب المقدس) لتدل على ان المسيح قد حل بين الجماعة حاملا رسالة يجب ان تحظى بالقبول والتجاوب.

ولما كانت الطقوس الافريقية القديمة، برموزها ومقوماتها، ترافق كافة مراحل الحياة، كان لا بد ان تتجه حركة التطعيم نحو اسرار الكنيسة وسائر الاحتفالات الطقسية، بدءا بالعماذ الذي يدخل المؤمن الى حضن الكنيسة –وهناك اوجه شبه مع طقس الانتماء في التقاليد الافريقية. فنشات طقوس جديدة لسري العماذ والتثبيت استلهمت عناصر من الطقوس الافريقية (الدخول الاحتفالي في حضن الجماعة المسيحية، اعطاء المعتمذ اسما...). وامتدت مبادرات مماثلة الى طقس الرسامات والنذور الرهبانية وحفلة الاكليل الخ...كأن يقتاد الوالدان المرتسم ويقدمانه الى الاسقف، وتسكب الناذرة قطرة دم من اصبعها علامة لتضحيتها..

ولا يزال الطريق مفتوحا لاكتشاف غنى الرموز الافريقية واستخدامها في الاحتفالات الكنسية، وذلك عبر دراسات انتروبولوجية ولاهوتية. الا ان الهدف الرئيسي من عملية التاقلم هو ان تتوصل الطقوس الى حمل المؤمن الافريقي على الالتقاء بالمسيح، والا تحولت الى ظاهرات فولكلورية! ويقول الكردينال زونكرانا: "نحن نتحاشى التمثيل.. ولا نهدف الى افرقة الليتورجيا بقدر ما نسعى الى جعل المؤمنين يلتقون بالمسيح وفق الروح الافريقية".

من اجل لاهوت افريقي

ان افرقة المسيحية لا تتم من دون ان يكون في متناول الكنيسة الافريقية فكر لاهوتي ينبع من واقع القارة السوداء ويتجه نحو قضاياها ومعاناتها وتطلعاتها. وهذا التطلع الى لاهوت افريقي كان قد دعا اليه منذ عام ١٩٦٠ الاب تشيبانكو (وهو الان مطران مساعد لابرشية كينشاسا – زائير) حيث كتب: "ستصبح الكنيسة متاقلمة مع افريقيا حين سيكون بمقدور المسيحيين الافارقة ان يصوغوا معطيات الايمان بلغتهم، وعبر كافة وسائل التعبير الخاصة بهم". ومعلوم ان السعي الى خلق لاهوت افريقي لا يعني الاستغناء عن خبرة الكنيسة الجامعة، وانما العمل على ايجاد صيغ فكرية للتعبير عن الايمان بما يلائم الذهنية الافريقية، وتبني نهج في الممارسة يجسد حاجات الانسان الافريقي وانتظاراته. ولكي يكون اصيلا عليه، الا يكتفي

بعملية تكييف او توليف انطلاقا من كليشيات فكرية جاهزة، بل ان ينطلق من الطروحات الافريقية التي يضفي عليها الانجيل زخما روحيا عميقا. لذا فهو لن يكون لاهوتا على غرار"لاهوت التحرير"، وان كانت فيه عناصر تدعو اللاهوتيين الافارقة الى التضامن معه. ويقول الاب بينوكو الآنف الذكر: "عوضا عن ان نعتمد ايديولوجيات ومفاهيم واساليب عمل مستوردة، نؤثر الانطلاق من رؤيتنا الخاصة للعالم، لتحليل الوضع وتقديم البديل". ويمضي الى القول بان الروح الافريقية تدعو الى خلق "لاهوت الاخوّة" الذي يذهب ابعد من لاهوت التحرير ويعطيه "معنى ومضمونا اكثر عمقا، كونه يبقى الايمان في اطار قوة الحب".

وان فكرة لاهوت افريقي انطلقت من القناعة بان لافريقيا خصوصيات تمكنها من صياغة نهج لاهوتي يثري الكنيسة الجامعة. ولقد تناغمت هذه الفكرة مع حركة افرقة الاكليروس في الخمسينات ومع افرقة الليتورجيا في الستينات، واصبحت هدفا يسعى اليه اللاهوتيون منذ السبعينات حين كتب المونسنيور تشيبانكو: "لقد بلغنا حدا لم يعد فيه اللاهوت الافريقي قضية مبدأ... وبقي علينا ان نبدأ بأنشائه". ومنذئذ انطلقت بحوث ودراسات وحلقات ومؤتمرات لاهوتية تكللت بقيام "رابطة اللاهوتيين الافارقة المسكونية" في اكرا (غانا) عام ١٩٧٧ لارساء اسس فلسفية لفكر لاهوتي اصيل، انطلاقا من مفهوم افريقي للانسان والكون. وتجدر الاشارة الى ان اللاهوتيين الافارقة يحاولون البقاء في صلة وثيقة مع لاهوتيين من اوربا وامريكا اللاتينية، كما تم في لقاء ياوندي (الكاميرون) في نيسان ١٩٨٤. ويجري تبادل خبرات اللاهوتية عبر (المجلة الافريقية للاهوت) التي تصدر مرتين في السنة عن كلية اللاهوت في كينشاسا، وعبر العديد من مؤسسات البحث اللاهوتي التي نشأت في ساحل العاج ونيجيريا وكينيا..

جماعات بشرية بحجم بشري

في اطار البحث عن الهوية الافريقية، شهدت الكنائس الافريقية، منذ اكثر من ١٥ سنة، نشوء نمط جديد لعيش الانجيل ضمن جماعات صغيرة اطلق عليها اسم "جماعات القاعدة"[٣] او بالاحرى "الجماعات المسيحية الصغيرة"[٣] وهي جماعات تستلهم بنية المجتمع الافريقي ذي الحس الجماعي، وتهدف الى تجسيد قيم التضامن والاخوة والاقتسام والمشاركة تجاه متطلبات الايمان والكرازة بالانجيل. ولقد نشأت هذه الجماعات الصغيرة بصيغ عديدة واساليب متنوعة وفق ظروف واوضاع تختلف من بلد الى اخر[٤]، ولكنها تلتقي في توجهات رئيسة: كونها موقعا يمكّن المسيحي الافريقي من عيش ايمانه بوعي ونضوج، ومكانا ملائما لاختبار امكانية المؤمنين من اقتسام المسؤولية في نطاق الجماعة المسيحية ومعالجة قضاياهم ومشاكلهم الحياتية بانفسهم، فضلا عن كونها منطلقا للشهادة للانجيل والالتزام بحياة المجتمع في كل اوجهها وابعادها.

ويعود الفضل في نشأة جماعات القاعدة الى زائير، حين اعلن اساقفتها عام ١٩٦١ عن تصميمهم على خلقها، وسرعان ما امتدت الى كافة الابرشيات. ويقول المونسنيور مونسينكوو رئيس مجلس اساقفة زائير بان مسؤولية هذه الجماعات عهدت الى المؤمنين انفسهم، على الصعيدين الروحي والمادي، عبر وظائف اربع: رئيس الجماعة، منشط التعليم

المسيحي، مرشد العائلة، خادم البركات؛ ولا يضمن الكاهن حضوره الا في ما يتعلق مباشرة بخدمته الكهنوتية. وتلتقي هذه الجماعات الصغيرة (من ١٠-٣٠ شخص) كل اسبوع للصلاة والتامل بالانجيل ومعالجة القضايا والحاجات بروح المحبة والتضامن، وكانها وحدات متراصة في قلب الجماعة الكبرى اي الخورنة. ومن الجدير بالذكر ان المنشّطين العلمانيين —وبعضهم يشرف على كافة نشاطات الخورنة— يتابعون دراسة لاهوتية وكتابية وطقسية مكثفة طيلة سنتين او ثلاث في مراكز ومعاهد للعلوم الدينية.

ولا يسعنا المجال ان نستعرض نشأة جماعات القاعدة في كل ارجاء القارة، والخصوصيات التي تمتاز بها في كل بلد، ونكتفي بالقول بان معظم المجالس الاسقفية وضعت في اولوياتها العمل على خلق ودعم هذه الحركة؛ ويحدث ان تشترك عدة مجالس في التخطيط لقيامها، كما تم عام ١٩٧٣ في اطار "اتحاد المجالس الاسقفية لافريقيا الشرقية" الذي يضم ٧ بلدان ناطقة بالانكليزية، وفي مقدمتها كينيا وتنزانيا وملاوي. وان ما يلفت النظر في جماعات القاعدة هو، من جهة، رؤية الاساقفة والكهنة لمكانة المؤمنين ودورهم في حمل المسؤولية الكنسية، ومن جهة اخرى، تصاعد وعي المؤمنين ونشاطهم الروحي والرسولي من خلال المبادرات التي تشمل كافة اوجه الحياة، من مهمة التثقيف المسيحي والعمل الرسولي الى اغاثة المعوزين وحل المشاكل الاسرية، مرورا بمبادرات التنمية ومعالجة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية... ومما لاشك فيه ان قيام هذه الجماعات في افريقيا خلق واقعا جديدا في بنية الكنيسة حيث تقلصت تلك الهوة التي كانت وما تزال توحي بوجود طبقتين في الكنيسة. كما ان توجهاتها في الالتزام الاجتماعي خلق، هو الآخر، واقعا جديدا اخذت تنظر اليه الانظمة الحاكمة بشك وريبة، لا لكون هذه الجماعات تمارس عملا سياسيا، وانما لكونها تبدو اداة فاعلة في حركة التحرر التي يطالب بها الافارقة المسيحيون. ومن هنا نشهد محاولات بعض الانظمة في محاربة هذه الجماعات كما في بوروندي حين منعت الحكومة عام ١٩٧٩ كافة الاجتماعات المسيحية، ما خلا قداس الاحد، على ان يتم في اماكن العبادة!

كنيسة على طريق الحوار

لقد اتصفت العلاقات بين الكنائس المسيحية في القرن ١٩ بالتجاهل والفرقة، واحيانا كثيرة بنزاعات رافقت تنافس المرسلين الكاثوليك والبروتستنت في التبشير-وكان المبشرون البروتستنت قد سبقوا الكاثوليك في حركة التنصير التي واكبت الاستعمار الاوربي. وكان ينبغي انتظار المجمع المسكوني كي تشهد العلاقات عهدا جديدا من التسامح والتقارب. ومن ابرز عوامل الانفتاح، التعاون الجاد في ترجمة الكتاب المقدس حيث هناك ٣٧٥ مشروعا لترجمة الى اللغات المحلية، وقيام "مجالس مسيحية" لتنسيق الجهود بين مختلف الكنائس على صعيد قطري او اقليمي. وتمارس هذه المجالس دورا فاعلا بفضل المبادرات والمواقف المشتركة تجاه المعضلات التي تعاني منها البلدان الافريقية، سواء على الصعيد الثقافي ام الاجتماعي ام الصحي...

وهناك وجه اخر للحوار باتجاه الديانات غيرالمسيحية: فعلى صعيد الحوار المسيحي — الاسلامي، تختلف العلاقات باختلاف حجم المسلمين الذين يؤلفون اغلبية ساحقة في

شمال القارة، ونسبا متفاوتة في غربها وشرقها. وكان للمجمع المسكوني اثره في اسدال الستار على عهود التجاهل والحذر المتبادلين ومد جسور التعارف والتقارب والتعاون. فانطلقت مبادرات لحوار اتخذ معظمها صيغ التضامن على مستوى الخدمات الانسانية، كما في مالي حيث يعمل المسلمون والمسيحيون يدا بيد في المجالات الخيرية، وفي السنغال وغيرها حيث تتسم العلاقات بطابع "حوار الحياة".

افريقيا في صلور

تعدّ افريقيا ٥٣ بلدا، اكبرها مساحة: السودان والجزائر وزائير (اكثر من مليوني كم٢). وليبيا وتشاد ونيجر وانغولا ومالي واثيوبيا (اكثر من مليون كم٢)، ومن حيث عدد السكان: نيجيريا (٩٠ مليون) ومصر واثيوبيا وزائير وجنوب افريقيا.

يقدر عدد المسيحيين الافارقة ب ١٥٠ مليون من مجموع ٥٥٠ مليون (٢٨%)، بينهم ٦٦ مليون كاثوليكي (كانوا ١٥ مليون عام ١٩٥١) و٦٠ مليون بروتستني من مختلف الكنائس والمذاهب و ٢٥ مليون ارثوذكسي. ويقدر عدد المسلمين ب ١٦٠ مليون، الى جانب ٢٤٠ مليون من المنتمين الى الديانات التقليدية (الانيمية).

وتبلغ اعلى نسبة للكاثوليك في غينيا الاستوائية وغابون وزائير واوغندا والكاميرون ورواند وبوروندي.. وللكنيسة الكاثوليكية في افريقيا ١٧٤٠٠ كاهن بينهم١٠٦٠٠ راهب من مختلف الرهبانيات، الى جانب ٨٢٠٠ طالب كهنوت في حوالي ١٠٠ اكليريكية كبرى و٣٣٠٠٠ في الاكليريكيات الصغرى. فضلا عن ٣٧٠٠٠ راهبة، نصفهن افريقيات، ينتمين الى العديد من الرهبانيات العالمية والمحلية. ويرئس الابرشيات اكثر من ٢٠٠ اسقف بينهم ١٢ كردينالا.

اما على صعيد العلاقة مع الديانات التقليدية، فلقد تم تحول كبير في الاحكام والمواقف التي كانت تطبع توجهات الكنائس، وقد اخذت تعترف بالقيم الحضارية والروحية لدى الديانات القديمة وتستلهمها في عملية التاقلم التي انكبت عليها في السنوات الاخيرة. ولا شك ان رحلات البابا الثلاث الى افريقيا اسهمت الى حد كبير في التخفيف من حدة القطيعة التي كان المرسلون قد احدثوها تجاه العادات والتقاليد الافريقية.

كيف تتطلع الى "مجمع" افريقي

ان اللوحة الي رسمناها للكنيسة الافريقية اعلاه تبقى ناقصة ما لم نُشِرْ الى الجهود التي تبذلها في مجالات التنمية والرقي، والمواقف التي تتخذها تجاه المعضلات الكبرى التي تعاني منها القارة، وفي مقدمتها الجفاف والمرض والتمييز العنصري والتخلف والجهل... وقد تجسد هذا التوجه بنوع خاص ابان الدورة العامة السابعة لمجالس اساقفة افريقيا ومدغشقر (سيئام) -وتلتئم كل ثلاث سنوات- التي عقدت في كينشاسا، في تموز ١٩٨٤، حول موضوع "الكنيسة ورقي الانسان في افريقيا اليوم". وفي مقدمة القضايا التي استاثرت باهتمام الكنائس: مسكلة الجوع الذي كان ولا يزال يهدد ثمانية بلدان على الساحل الافريقي، ومعضلة اللاجئين (٥ ملايين) الذي يشردهم الجفاف، فضلا عن الحروب والنزاعات الايديولوجية والسياسية والقبلية والعنصرية (انغولا، موزمبيق، ناميبيا، جنوب افريقيا، السودان، تشاد...).

وازاء المآسي والمظالم التي يتعرض لها الافارقة في العديد من البلدان، تنكب الكنائس

الافريقية على معالجة اسبابها وتتحند، عبر مؤسساتها العديدة، في عملية الكفاح من أجل العدالة، ويقينها ان التبشير بالانجيل لا ينفصل عن السعي الى صيانة الحقوق واستباب العدالة والسلام — وهو موضوع انكبت عليه الدورة السادسة للمجالس الاسقفية لعام ١٩٨١ في ياوندي (الكاميرون). الا ان هذه التوجهات تلقى احيانا عقبات من جانب الدولة ولا سيما تلك التي تسوسها انظمة دكتاتورية قمعية. فكثيرا ما تتهم الكنيسة بالاصطفاف في خط المعارضة للنظام الحاكم، وبالرغبة في ان "تصبح دولة داخل دولة" من جراء مواقفها النبوية تجاه القضايا الاجتماعية او الاقتصادية او السياسية... والتي كثيراً ما تتخذ صيغة احتجاج على الانتهاكات لحقوق الانسان وحرياته الاساسية. وهكذا لا يندر ان تعمد بعض الانظمة الى الحد من نشاط الكنيسة واغلاق مؤسساتها وطرد المرسلين الاجانب منها وتضييق الخناق على العديد من الاساقفة والكهنة والعلمانيين الافارقة، كما جرى حتى عهد قريب، في زائير وانغولا وافريقيا الوسطى وتشاد... ويجري حاليا في جنوب افريقيا وبوروندي[٥] واثيوبيا...

وازاء المعضلات الكبرى التي تعاني منها افريقيا، وبدافع الروابط القارية التي تجمع بين الكنائس المحلية التي تواجه هي الاخرى مشكلات كثيرة على الصعيدين الداخلي والخارجي، وانطلاقا من وعي الكنائس بضرورة توحيد مواقفها وتنسيق جهودها، ابتسمت عام ١٩٧٧، في غضون مؤتمر عقد في ابيجان حول "الحضارة السوداء والكنيسة الكاثوليكية"، فكرة "مجمع" افريقي عام يمنح الكنيسة انطلاقة جديدة في منعطف دقيق من تاريخها. وتجند اساقفة زائير للفكرة وعرضوها على البابا ابان زيارته للبلاد عام ١٩٨٠، وراح العديد من اللاهوتيين الافارقة يلفتون الانتباه الى القضايا التي على المجمع المقترح ان ينكب عليها... وبالرغم من مخاوف بعض الاساقفة من ردود فعل روما وتحفظاتها، ترسخت الفكرة ابان انعقاد الدورة السابعة لمجلس "سيئام" عام ١٩٨٤ في كينشاسا، حين تم انتخاب الكردينال مالولا لرئاسة المجلس، وهو من ابرز الدعاة لمجمع افريقي يمنح الاساقفة الافارقة وعيا جماعيا تجاه القضايا والمعضلات التي تواجه الكنيسة الافريقية. ومن الجدير بالذكر ان البابا اعطى، وان مع بعض التحفظ، الضوء الاخضر لعقد مثل هذا المجمع.

وسيكون هذا المجمع —وتجري حاليا بشانه استشارات واسعة النطاق بين اساقفة القارة— بمثابة مراجعة حياة تسلط فيها الكنيسة الافريقية الاضواء على مسيرتها، ٢٠ عاما بعد المجمع المسكوني، وتضع الخطط لمستقبل اكثر اشراقا. انه بالتالي نفحة باتت ضرورية وملحة، على حد تعبير الاب بينوكو: "نحن بحاجة الى نفحة ثانية تاتينا هذه المرة من صميم خبرتنا بالمسيح: نفحة مجمع افريقي، لا لصياغة تصريحات رسمية او اكاديمية، وانما لدراسة شاملة وتخطيط مستقبلي، في الامانة لنفحة الروح".

---

(١) اقرأ: افريقيا، كنيسة تبحث عن ذاتها (ف . م . ك٢، ١٩٨٠ – ملف).

(٢) تعتمد بصورة رئيسة عددا من مجلة (MISSI): كنيسة في افريقيا (ك١ ١٩٨٥).

(٣) راجع ف . م . حزيران. ١٩٧٧، ك١ ١٩٨٤

(٤) سبق للفكر المسيحي ان تناولت عددا من البلدان الافريقية: جنوب افريقيا (ت١ ١٩٧٧)، زائير (ك١ ١٩٧٨)، زيمبابوي (آذار ١٩٧٨)، ناميبيا (آذار ١٩٨٢)...

(٥) ف . م . شباط ١٩٨٦.

ملف/آذار– نيسان ١٩٨٦

بين طلبة معهد شمعون الصفا الكهنوتي

بمناسبة يوم الدعوات

بنايتان شامختان في منطقة الدورة (بغداد)، توحي هندستهما بالفن البابلي، تحتضنان "ديرشمعون الصفا الكهنوتي لبطريركية الكلدان".

وكان قد تاسس في الموصل عام ١٨٥٩ — ١٨٦٠ وواصل مسيرته فيها طيلة مئة عام، وتخرج فيه قرابة مئتي كاهن، الى ان انتقل عام ١٩٦٠ الى بغداد.

وفي اعقاب ٢٠ سنة من التعثر والتذبذب، استعاد الدير الكهنوتي نشاطه في السنوات الاخيرة. ويضم اليوم ٩٤ طالبا بينهم ٢٣ في قسم الكبار يتابعون دراستهم الفلسفية واللاهوتية استعدادا لمغامرة الكهنوت.

وكان لا بد "للفكر المسيحي" -ويهمها انتعاش الدعوات الكهنوتية في وقت باتت فيه الحاجة ملحة الى كهنة شباب- ان تلتقي بهؤلاء الاكليريكيين (فلاسفة ولاهوتيين) الذين يضيق صدرهم بالاحلام والاماني ويتطلعون بامل نحو المستقبل، فتعكس جانبا من آمالهم ومعانياتهم وطموحاتهم، فكان هذا التحقيق.

زيارة كان لا بد منها!

منذ امد بعيد وانا أُمَنّي النفس بزيارة دير شمعون الصفا الكهنوتي البطريركي الكلداني في الدورة (بغداد) للاطلاع على مسيرته الروحية والثقافية، ولا سيما بعد ان طرأ عليه تحول في السنوات الثلاث الاخيرة في اعقاب الضعف والتعثر اللذين لازماه في العشرين سنة الماضية. ولا اخفي اني كنت انظر اليه بكثير من التحفظ المقترن بالتشاؤم حول مستقبل الدعوات الكهنوتية فيه! وذات يوم عقدت النية على اقتحام اسواره التي كانت تبدو لي منيعة، وبعد مناورات في شوارع الدورة التي شهدت هي الاخرى "تحولات" جذرية عما كانت عليه قبل ٢٠ عاما، اهتديت الى مبناه، وقد عرفته من قبل شريدا، يطفو على مساحة جرداء خالية من الاحياء السكنية.

وعلى بوابة الدير(قسم الكبار) تلقاني اكليريكي بزيه الرهباني —وهو واحد من اربعة رهبان مبتدئين من الرهبانية الهرمزدية يتابعون الدراسة فيه. وفي غياب الاب المدير، وجدتني بين اكليريكيين شباب طاب لي ان اتبادل الحديث واياهم، وبنوع خاص مع آخر من طرق ابواب الدير في غضون هذا العام— وقد تخلى عن دراسته الجامعية وجاء يلبي نداء اصبح ملحا لديه الى تخصيص ذاته لخدمة الرب!

وسرعان ما دق ناقوس الغداء، و لم استطع مقاومة دعوتهم الى اقتسام "الخبز والملح" واياهم. وسرعان ما توثقت في ما بيننا الفة حسبتها ترقى الى زمن بعيد، إذ وجدتني

بين اخوة بدوا وكانهم كانوا ينتظرون هذا اللقاء بفارغ الصبر! وفيما كنا نجول في اروقة الدير الفسيح، بين المعبد وقاعات الدرس وغرف النوم والمكتبة —واعجبني اهتمامهم بتبويبها وتنظيم "فيش" لمحتوياتها (حوالي ٧٠٠٠ كتاب)— لمست لدى هؤلاء الاكليريكيين الشباب الذين يضيق صدرهم بالاحلام والطموحات، عطشا الى السخاء في خدمة الانجيل عبر مغامرة الكهنوت الكبرى التي يستعدون لها بكل كيانهم.

وسرعان ما ابتسمت لي فكرة اجراء تحقيق لقراء "الفكر المسيحي" عن حياة الاكليريكية. ولحق بنا، ونحن في المكتبة، الاب شليمون، مدير الاكليريكية، وسرعان ما ابدى ارتياحه للفكرة، وكأنه كان هو الاخر في انتظار المبادرة! وكان اليوم التالي موعدا مع هؤلاء الشباب.

شيء عن بدايات المعهد الكهنوتي

حتى عام ١٩٦٠، كان معهد شمعون الصفا الكهنوتي البطريركي الكلداني في الموصل يرفد الكنيسة الكلدانية بكهنة شباب تلقوا في احضانه ثقافة متكاملة على يد اساتذة من كهنة الطائفة وعلمانييها. ويزيد عدد الكهنة الذين تخرجوا فيه، منذ تاسيسه عام ١٨٦٠، على المئتين، برز منهم اساقفة مرموقون وكتاب شهيرون اغنوا المكتبة المسيحية بتآليفهم ومصنفاتهم.

وترقى بدايات المعهد الى عهد البطريرك يوسف اودو (١٨٤٨ - ١٨٧٨) الذي وضع لبنته الاولى في دار ملاصقة لكنيسة مار اشعيا في الموصل، ولكن سرعان ما انتابه التعثر واضطر الى غلق ابوابه. وعادت اليه الحياة بهمة الاخ روفائيل آل مازجي —وهو راهب كلداني لعازري من ديار بكر قدم الى الموصل عام ١٨٦٤— الذي سعى الى تهيئة الدور الملاصقة لكنيسة شمعون الصفا الاثرية لتكون مقرا للمعهد الجديد الذي عاد ففتح ابوابه عام ١٨٦٨ لستة طلاب بادارة المطران عبد يشوع خياط (+١٨٩٩). وإبان فترة الاضطرابات الداخلية التي تعرضت لها الكنيسة الكلدانية، اضطر المعهد الى غلق ابوابه عام ١٨٧٣[١]، ولم تفتح من جديد الا عام ١٨٨٢ على عهد البطريرك ايليا عبو اليونان (١٨٧٩- ١٨٩٤) الذي اناط ادارته بالقس يوسف توما (البطريرك عمانوئيل). وقبيل نهاية القرن، انتابت المعهد تعثرات كثيرة لم تذلل الا مع اعتلاء ما يوسف عمانوئيل السدة البطريركية عام ١٩٠٠، وفي عهده عاش المعهد عصره الذهبي، وان تخللته صعوبات جمة من جراء الحربين العالميتين الاولى والثانية[٢]. وواصل مسيرته بانتظام في عهد البطريرك يوسف غنيمة (١٩٤٧- ١٩٥٨). ومن مدرائه البارزين القس عمانوئيل رسام والقس بولس شيخو (البطريرك)... وآخر مدير له في الموصل القس كوركيس كرمو (المطران).

وفي عهد البطريرك بولس الثاني شيخو، انتقل المعهد الكهنوتي بقسميه الى بغداد عام ١٩٦٠، حيث احتضنته بناية ضخمة في منطقة الدورة. وتخللت مسيرته تعثرات كثيرة من جراء تعدد الادارات التي تعاقبت عليه: فمن الآباء الكرمليين الملباريين، الى الآباء اليسوعيين[٣]، الى كهنة من الطائفة... وخلال الفترة ما بين ١٩٦٠— ١٩٧٧ تخرج فيه ٢٧ كاهنا، قلما توفرت لبعضهم فرصة الحصول على برنامج دراسي منتظم، من جراء

تذبذب الكادر التعليمي وضعف الادارة. و لم يتخرج فيه بين الاعوام ١٩٧٨– ١٩٨٥ سوى ٣ كهنة. واستقرت الادارة مع الاب شليمون وردوني في العام الدراسي ١٩٧٨– ١٩٧٩، حين كان عدد الطلبة قد بلغ حده الادنى في قسمي الكبار والصغار (٢٢ طالبا). وفي اعقاب صدور قانون تاجيل طلاب الكهنوت من الخدمة العسكرية، انطلقت الدراسة الفلسفية واللاهوتية في قسم الكبار(٣ طلبة)، و لم تنتظم الا في العام الدراسي ١٩٨٣– ١٩٨٤[٤] حين تطعم الكادر التدريسي باساتذة من الآباء المخلصيين ومن ثم بكرمليين ودومنيكي وكهنة ذوي اختصاصات. ويبلغ حاليا عدد الاكليريكيين الكبار ٢٣ طالبا، بينهم ١٦ في مرحلة الفلسفة و ٧ في مرحلة اللاهوت.

"فلاسفة" و "لاهوتيين" يتحدثون...

كانت الثقة قد توطدت حين عدت في اليوم التالي، في غمرة امتحانات نصف السنة، لأطرح اسئلتي على هؤلاء الشباب من "فلاسفة" و "لاهوتيين" الذين اضفت "السوتانة" السوداء عليهم سمة الوقار، فبدوا فيها اكبر مما هم عليه، في حين لا يتجاوز اكبرهم سنا الثالثة والعشرين! وبعفوية، ومن دون تكلف، انطلق حديث تناول جوانب من حياتهم وتطلعاتهم ومعاناتهم...

● كيف نشات دعوتكم الى الكهنوت؟ ما هي الدوافع التي حملتكم على الانخراط في سلك الاكليريكية؟

وتشعبت الاجابات حول بدايات الدعوة: عزاها احدهم الى شهادة كاهن مفضال حبب اليه فكرة الكهنوت؛ وارجعها آخر الى روح الخدمة التي سيتيح له الكهنوت ان يمارسها؛ وقال آخر ان امثلة كهنة ليسوا في مستوى المسؤولية كانت وراء دعوته الى حياة كهنوتية اكثر جدية واكثر اشعاعا. وفيما اكد كثيرون ان منطلق دعوتهم هو شعورهم بمسؤوليتهم ازاء النقص في عدد الكهنة الذي بدأت تعاني منه الكنيسة، لم يخف احدهم بان دعوته كانت بمثابة استجابة لنداء داخلي اتخذ لديه شكل صراع خرج منه بيقين من ان الرب يدعوه الى مزيد من السخاء.

وسرعان ما اخذ هؤلاء الاكليركيون الشباب يعكسون الصراع الذي ينتابهم بين الصورة التي يحملونها عن الكاهن المثالي والصورة التي يعكسها الكهنة الحاليون.

وراح بعضهم يعدد الاسباب التي تختفي وراء عدم الارتياح الذي يعيشه بعض الكهنة وينعكس من ثم على حياتهم وطباعهم ورسالتهم ونشاطاتهم؛ ولا يندر ان يبلغ القرف ببعضهم الى حد اللامبالاة بالدعوات الناشئة وحتى الى حد تحذير الشباب من مغبات الانخراط في سلك الكهنوت! وفي مقدمة هذه الاسباب العزلة التي يعاني منها كاهن اليوم والتي تعرضه لكثير من المشاكل التي لا تخفى، الى جانب الفراغ الروحي والفكري الذي يتعرض له بعض الكهنة الذين فقدوا روح المثابرة على الدرس والمطالعة، وخبت لديهم روح المبادرة في النشاطات التي كادت تقتصر على منح الاسرار وتادية المراسيم والاحتفالات... فيما حشر البعض الاخر نفسه في انشغالات ومهام مادية ليست، في الاساس، من صلب الرسالة الكهنوتية...

• اية صورة ترونها لكاهن الغد؟ وما هي الحلول التي ترتسم امامكم كي تضحي صورته اكثر اشراقا؟

كان الحديث قد اثار شجونا في نفوس هؤلاء الشباب الذين يستعدون للكهنوت ويحملون عنه مفهوما عاليا، بصفته خدمة يقوم بها الكاهن في قلب الجماعة المسيحية تنطلق من وعيه العميق بمسؤولياته في الشهادة للانجيل عبر كافة اوجه الشهادة، وما اكثرها. واعجبتني فيهم رؤيتهم للصورة التي يجب ان تتمثل في كاهن الغد، في عصر كثرت متطلباته، وبين شعب تنوعت انتظاراته وتشعبت حاجاته.

ماذا عن العزلة التي كثيرا ما يمنى بها الكاهن؟ ماذا عن الصدامات التي يتعرض لها في علاقاته مع اسقفه واخوته الكهنة وابناء رعيته... وقد تحول دون تحقيق الكثير من الطموحات التي ارتسمت امامه يوم رسامته؟ وماذا عن البتولية، وقد تضحي يوما عبءاً ثقيلا؟

انهم على بيّنة من الصعوبات والمشاكل التي ترافق حياة الكاهن الجديد، وقد تعيق مسيرته وتحبط مساعيه ومخططاته، إلا انها في نظرهم محك يكشف لهم عن عمق دعوتهم واصالتها: فالبتولية، بالرغم من متطلباتها، تبدو لهم "قيمة انجيلية تجعل من الكاهن انسانا مكرسا للرب وممكنه من التفرغ الكامل للبشارة الانجيلية، وهي، على حد تعبير احدهم، "طاقة حب كاملة" في خدمة الاهداف الكبرى التي يقتضيها الكهنوت... انهم لا يجهلون الاغراءات والانحرافات التي يتعرض لها الكاهن الشاب، ولكنهم يرون في الامانة للبتولية "قضية التزام وتعبئة روحية وسهر دائم"، بدافع من الحب للمسيح وللكنيسة، امانة تقوى عليها النفوس السخية المعطاء.

وإذا كان الحوار قادرا ان يتخطى الخلافات في وجهات النظر بين الكاهن الجديد واسقفه وابناء رعيته، فالعزلة التي يتعرض لها تبدو لهم من اكثر المعوقات وطأة، وهي، في نظرهم، في اصل "التقوقع والانطواء اللذين يمنى بهما بعض الكهنة".

"نحن نعيش في الدير حياة مشتركة بالرغم من تعدد طباعنا واختلافاتنا..."! قالها احدهم، ويقينه ان هذه الخبرة يجب ان تمتد في الحياة الكهنوتية؛ واكد بعضهم على ان الالفة بينهم تتطلب جهدا مستمرا لتخطي التوترات والانقسامات التي تطفو على السطح، فيما اشار آخرون الى ضرورة التمرس على "مراجعة الحياة" اذ يرون فيها مشروعا يجب ان يحقق لتوطيد اواصر المحبة والتعاون في ما بينهم.

"وحبذا لو يعيش الكهنة حياة مشتركة... نحن نحلم ان يتاح لنا العيش ضمن جماعة كهنوتية يسودها التماسك والتضامن"! قالها بصوت واحد هؤلاء الشباب الذين يتطلعون الى حياة كهنوتية تنفي العزلة والملل، وتقي الكاهن الجديد مخاطر الاستسلام للجمود او المنافسة او الانطواء على الذات او التوجه نحو المادة... وهذا التوجه نحو حياة مشتركة، او اقله نحو صيغة من صيغ التعاون وتبادل الخبرات بين الكهنة، يبدو انه اصبح لديهم مشروعا جليلا يتمنون ان يتحقق ليتمكنوا من عيش كهنوتهم بروح التضامن على الصعيد الروحي والرسولي والراعوي، وان ساورتهم مخاوف حول امكانية تحقيقه، وهم يشاهدون الانفرادية التي يتحصن وراءها الكهنة. فالى ترسيخ هذا التوجه يسعى الاب

شليمون –وقد شارك في جزء من هذا الحوار– مؤكدا على دور الحياة الروحية في بناء شخصية الكاهن، بصفتها السند المتين لحياته والمنطلق الاساس لرسالته، ومتمنيا على التلاميذ ان يتجاوبوا مع هذا المطلب الذي يبدو اليوم ملحا بقدر ما للثقافة الكهنوتية من اهمية.

- **انتم طلاب كهنوت... وذلك يعني انكم طلاب ثقافة كهنوتية. كيف تتعاملون مع الدراسة لتكونوا على مستوى مسؤولياتكم في كنيسة الغد؟**

وككل الطلبة، يشعر الاكليريكيون بعبء الدراسة وكثافة المواد التي يشكّون احيانا بفائدتها او ضرورتها، الى جانب ضجرهم من عبء الامتحانات! ومع ذلك، فهم على يقين من ان الثقافة الفلسفية واللاهوتية والكتابية التي يتلقونها هي "رصيد" يختزنه طالب اليوم ليكون في الغد قادرا على تحمل مسؤولياته التربوية والتثقيفية في عصر كثرت فيه التساؤلات والتحديات، ولا بد للكاهن ان يكون على مستوى عال من الثقافة كي يستطيع ان يلبي حاجات المؤمنين المتزايدة الى ثقافة مسيحية جادة.

بين المواد التي يتابعونها، هناك مواد تروق لهم ويتفاعلون معها، وفي مقدمتها "لاهوت الكنيسة" و "الكتاب المقدس"... الى جانب مواد اخرى لا يستسيغونها ويتابعونها عن مضض! فيصفون بعضها بالجمود او ينسبون ضجرهم منها الى محدودية الاستاذ والى اسلوبه في التدريس... ولم يخف بعضهم حاجتهم الى اساتذة اكفاء ذوي اختصاص يحببون اليهم المادة ويحملونها على التجاوب معها، ولا سيما في مواد يغلب عليها الطابع النظري كمادة "الوحي" و"تاريخ الفلسفة" و "علم ما وراء الطبيعة"...

"الدراسة.. امر لاغنى عنه، الا ان الخبرة الحياتية اكثر ضرورة"! تلك كانت بمثابة الخلاصة التي خرج بها هؤلاء الاكليريكيون بشأن الدراسة –وتستغرق ست سنوات بعد السادس الاعدادي: سنتان لمناهج الفلسفة و٤ سنوات لمناهج اللاهوت بمختلف فروعه–، إذ يخيل اليهم انها لا تكفي لاعدادهم لمواجهة المجتمع الذي سيزجون فيه سريعا. هوذا احدهم يقول: "ما زلت اشعر بحاجة الى المزيد من الخبرة الانسانية"؛ ولم يخف آخر قلقه من انعدام فرص اللقاء مع الشباب، وهو يدرك ان عليه ان يمنحهم الاولوية في اهتمامه ونشاطه، بصفتهم "أمل الكنيسة ": "تنقصني الجرأة في التعامل مع الشباب"! وقال اكبرهم سنا، وهو يستعد للرسامة الكهنوتية في حزيران المقبل: "اتمنى لو تخصص السنة الاخيرة من الدراسة لعيش تجربة راعوية في احدى الخورنات".

هذه الحاجة الى مزيد من الخبرة الحياتية تبدو مطلبا ملحا لهؤلاء الشباب الذين يدركون انهم سرعان ما سيجدون انفسهم كهنة في وسط الجماعة المسيحية، ازاء الالتزامات الكثيرة التي ستلقى على كاهلهم، والمطاليب المتنوعة التي ستواجههم. وانبروا يعبرون عن امان راودهم وتراودهم: فتمنى احدهم ان تتاح لهم الفرصة للقيام بزيارات راعوية للعوائل؛ واقترح آخر ان تنظم لقاءات دورية مع شباب الخورنات؛ وعبر بعضهم عن رغبتهم في لقاءات مع كهنة يدلون اليهم بخبراتهم الراعوية والرسولية؛ ولفت آخرون الانتباه الى اهمية العطلة الصيفية لاكتساب الخبرة مع الشباب... وفيما اكد بعضهم على الفائدة التي جنوها، خلال العطلة، من مساهماتهم في النشاطات الكنسية، ولا سيما في مجال

التعليم المسيحي والندوات الدينية، لم يخف آخرون خيبتهم ازاء اللامبالاة التي واجهوها لدى كهنة قلما فسحوا لهم مجال المشاركة في حياة الخورنة.

وبصدد الاحتكاك بالعالم الخارجي، عكس اكثر من واحد شعوره بالتغرب عن المجتمع من جراء عدم توفر فرص "النزول" الى المدينة والذي —ما عدا العطلة الربيعية وجزء من العطلة الصيفية— قلما يتعدى مرة في الشهر! وفيما اكد بعضهم على ضرورة الاكثار من الخروج واللقاءات "كي لا نصاب بعقدة الشعور باننا سجناء"، ركز آخرون على اهمية الاستفادة من هذه الفرص للاطلاع وتوسيع الافق.

وكان لابد، لاستكمال هذه اللوحة، من لقاء مع الاب شليمون وردوني الذي يشرف على ادارة الدير الكهنوتي، بقسميه، ويضيق صدره بالآمال والتمنيات، وهو يدرك ان مهامه الكثيرة تحول دون تحقيق الكثير من طموحاته. فبعد استذكار اولى سنوات ادارته التي اتسمت بالمصاعب —حين كان قسم الكبار يحتضن ثلاثة طلبة لا غير— لم يخف فرحه وهو يرى انبعاث الدعوات التي تنبيء بالامل. فهو، وان ساوره الشعور بالعجز ازاء المطاليب التي تنتظر منه —والكادر التوجيهي الثابت لا يتعدى ثلاثة كهنة—، الا ان شعورا عارما بالعزاء يجتاحه وقد وفق الى الحصول على كادر تعليمي لقسم الكبار (١٨ استاذا)، ويتمنى ان يتطعم هذا الكادر بكهنة وعلمانيين ذوي اختصاصات من العراق وخارجه، وان يتاح له ادخال مواد جديدة على المناهج، وفي مقدمتها اللغة الفرنسية وعلم الاديان واللاهوت الشرقي والحركة المسكونية الخ...

"التقدم بحكمة وان ببطء"! ذاك هو الشعار الذي يطيب للاب المدير ان يردده، مؤكدا ان الامكانات الراهنة تحول دون تحقيق الكثير من التطلعات، ولكنه على يقين من ان روح المثابرة والتطلع الدائم نحو الافضل سيمكنان الدير من رفد كنيسة العراق بكهنة على مستوى المسؤولية، وتمنى ان يبدي الاساقفة والكهنة مزيدا من التعاون كي يقوى الدير على متابعة مسيرته باطراد في خدمة الكنيسة.

---

(١) عام ١٨٧٨ تأسس في الموصل معهد مار يوحنا الحبيب بادارة الآباء الدومنيكيين (راجع ف.م. نيسان١٩٧٣) والذي رفد الكنيستين الكلدانية والسريانية، طيلة مئة عام، بالعديد من الكهنة. وفي عام ١٩٧٣ اغلق قسم الكبار في اعقاب قرار الحاق المعاهد الكهنوتية بوزارة التربية والزامية الخدمة العسكرية. وتابع قسم الصغار مسيرته الى ان اغلق هو الآخر في العام الماضي.

(٢) راجع المقال/الملف للاب بطرس حداد عن المعهد الكهنوتي: ف.م. ايار١٩٧٤.

(٣) انيطت بهم ادارة قسم الصغار (١٩٦٤-١٩٦٩). وبعد مغادرتهم العراق، تم دمج القسمين بادارة كهنة من الطائفة، ولم يتم فصلهما كليا الا في العام الدراسي ١٩٨٥- ١٩٨٦ حين احتضنت الصغار بناية على مقربة من قسم الكبار، اجريت عليها ترميمات جذرية. وهم حاليا ١٧ طالبا —بينهم ٧ من طلاب معهد مار يوحنا الملغى— يتابعون الدراسة في المدارس المتوسطة والثانوية ويتلقون دروسا في الدين واللغة والطقس باشراف الابوين فوزي ابرو ومنصور المخلصي.

(٤) منذ بدء هذا العام احتضن الدير الكهنوتي طلبة من الطائفة السريانية، ولا سيما في اعقاب اغلاق معهد مار يوحنا الحبيب وتعثر مشروع قيام اكليريكية سريانية في دير مار بهنام، ويبلغ عددهم حاليا ١٢ طالبا بينهم اثنان في قسم الكبار.

تحقيق/ش.ر/ايار ١٩٨٦

اسيزي: ملتقى الديانات

يوم صلاة من اجل السلام

سيبقى يوم الاثنين ٢٧ ت١ ١٩٨٦ يوما مشهودا لم يسبق له مثيل في التاريخ، فيه شهد العالم ممثلين عن مختلف الديانات الرئيسة جاءوا الى اسيزي (ايطاليا) للصلاة من اجل السلام! وسرعان ما يبرز التساؤل: اهي تظاهرة تحد يقوم بها رجال الدين تجاه رؤساء الدول الذين بيدهم مصائر الشعوب وبهم يتعلق صنع السلام؟ ام هو اعتراف علني بان سبل السلام خرجت من ايدي البشر، وان الله وحده قادر ان يصنع السلام؟ ولماذا لقاء صلاة بين ممثلي الديانات وليس لقاء للحوار بين الديانات؟ لقاء كهذا، ألا يوحي بان الديانات كلها سواء، وقد جلس جنبا الى جنب البابا والبونز البوذي والحاخام اليهودي وعالم الدين المسلم الخ...؟!

●

كل شيء بدا في ٢٥ ك٢ الماضي، من كنيسة القديس بولس خارج الاسوار، في ختام اسبوع الصلاة لاجل وحدة المسيحيين، حين اعلن يوحنا بولس الثاني عزمه على دعوة القادة الروحيين في العالم الى لقاء صلاة من اجل السلام، لقاء يتزامن مع السنة الدولية للسلام التي اعلنتها الامم المتحدة. وكانت قد سبقت الاعلان اتصالات مكثفة مع رؤساء الكنائس المسيحية وكبار ممثلي الديانات غير المسيحية، ولقيت الفكرة ترحيبا واهتماما يكاد يكون شاملا.

وفي حزيران، كان الاعداد لهذا اليوم على قدم وساق، وكانت تحفظات بعض الجماعات الدينية قد تبددت بعد ان اوضح الكردينال اتشيغاراي رئيس لجنة "العدل والسلام" الحبرية بأن هذا اللقاء لا يهدف، بأي شكل من الاشكال، الى محاولة توحيدية بين الديانات، ولا ينبغي ان تُشْتَمّ منه هذه الرائحة. وقد اكد بانه لن يكون لقاء لصلاة مشتركة تذوب فيه خصوصيات كل ديانة، وفقا للتوجه الذي اعطاه البابا منذ الاعلان عن اللقاء: "لا نجتمع لنصلي سوية، وانما نجتمع سوية لنصلي"! من هذا المنطلق، استخرج نيافته مردودين ايجابيين من قمة اسيزي: اولهما التاكيد على اهمية الصلاة — طالما ان السلام نعمة من الله تتقبلها القلوب التائبة والساعية الى التزام العدالة؛ وثانيهما ايقاظ الوعي على اهمية الحوار بين الديانات ومسؤولية المسيحيين في دفع هذا الحوار الى أمام.

يوم صلاة.. يوم هدنة

وقبيل موعد يوم الصلاة، وفي ٤ ت١ بالتحديد، ومن مدينة ليون الفرنسية حيث كان البابا في زيارة راعوية، فاجأ يوحنا بولس الثاني العالم بنداء الى هدنة يتوقف فيها اطلاق

النار بين الاطراف المتنازعة:" ان اجتماعا للصلاة من اجل مستقبل للبشرية اكثر سلاما، ستكون له ثمار اوفر إذا ارتضى اولئك الذين يتعاطون عمليات حربية ان يشتركوا فعليا فيه. لذا (...)، يطيب لي ان اطلق علنيا، الى كل اطراف النزاع في العالم، نداء حارا وملحا، كي تلتزم، أقله طيلة يوم ٢٧ ت١، بايقاف كامل للمعارك". وتطلع العالم بامل الى ذلك اليوم الذي فيه سيحج الى مدينة القديس فرنسيس الاسيزي، رسول الاخوة الشاملة، وفود ١٢ ديانة من مختلف الآفاق والالوان، ليعلنوا، بمجرد لقائهم الذي ما كان يصدق لسنوات قليلة خلت، بان السلام حاجة ملحة لعالم اليوم، وانه ممكن اذا ما توفرت النوايا الحسنة.

كيف تلقت الدول، والمناطق السخنة بشكل خاص، هذا النداء؟ لقد استجابت حوالي ٦٠ دولة ومنظمة نداء البابا الى ايقاف القتال، من سري لانكا الى جامعة الدول العربية، ومن لبنان الى جبهة البوليساريو في الصحراء الغربية، ومن السلفادور الى منظمة الجيش الجمهوري الارلندي السري... وتوجه هذا النداء البابوي بنوع خاص الى العراق وايران وقد تجاوزت الحرب عامها السادس واصبحت في قائمة النزاعات المستعصية، بطولها وضراوتها وعدد ضحاياها... وفيما قابلته ايران باللامبالاة والرفض، استقبله العراق باهتمام كبير، جسدته عبارات الرئيس القائد صدام حسين في رسالته الجوابية الى قداسة البابا: "...يسعدنا ان نبلغ قداستكم باننا نستجيب لندائكم وندعم هذا النداء.. إلا انكم تدركون ولا شك ان تطبيق هذا النداء من طرف واحد غير ممكن، وذلك لاسباب معروفة. ولو كان ممكنا لاوقفنا اطلاق النار من طرف واحد طيلة يوم ٢٧ ت١، وسنكون مسرورين لو وافق الايرانيون واستجابوا لهذا النداء..." (الجمهورية: ٢٧ ت١).

ان البابا يدرك بان نداءه لن يقوى على محو نزاعات تأصلت واستفحلت، إلا انه يؤمن بفاعلية الرمز. ونداؤه الى يوم هدنة، إن هو سوى رمز يشير الى انه، اذا كان بامكان الاطراف المتنازعة وقف المعارك ليوم واحد، فبامكانهما وقفها لمدة اطول، لا بل وقفها نهائيا! ففيما احترمت الهدنة عدة دول وحركات تحرر في العالم، سمعت اطلاقات النار في مناطق اخرى، وبقي نداء السلام لحنا تتغنى به الشعوب انطلاقا من ذاك المبدأ الاخرق: "إذا اردت السلام فاستعد للحرب"!

بُعد آخر للصلاة

"هذا هو اليوم الذي صنعه الرب"! ففي ٢٧ ت١ جلس في كنيسة "عذراء الملائكة"، على بعد كيلومترين من اسيزي، جنبا الى جنب، رجال من حوالي ٣٠ بلدا يمثلون المسيحيين والمسلمين والهندوس والبوذيين واليهود والشنتويين والزردشتيين والسيخ والجاينياس وبعض ابرز الديانات الافريقية. وفي خطابه الافتتاحي، دعا يوحنا بولس الثاني ممثلي ٣ مليارات من الخلق ان يكون يوم الصلاة هذا "صورة لعالم في سلام"، مشيرا الى ان هذ اللقاء هو بمثابة دعوة الى العالم "كي يدرك بان هناك بعدا آخر للسلام وشكلا آخر لتوطيده غير المساومات السياسية والاقتصادية، ينبع من الصلاة التي تعبر، من خلال تعددية الاديان، عن العلاقة مع قوة عليا تفوق امكاناتنا البشرية". وفيما اكد قداسته بان هذا

التجمع الفريد لا يسعى الى تحقيق "اجماع" ديني في قضايا الايمان، وانما هو تاكيد على ان معركة السلام الكبرى يجب ان تستقي دوافعها من منابع الضمير البشري.

وفي حوالي الساعة ١١ صباحا، خرجت الوفود، سيرا على الاقدام، في اتجاه اسيزي حيث اعدت اماكن للصلاة تؤديها كل "اسرة" دينية بمفردها. وهكذا، وعلى مسافات متقاربة، تجاور القادة الروحيون، وارتفعت صلواتهم وادعيتهم الى رب السلام الذي هو وحده قادر ان يليّن القلوب لتستجيب الى نداء السلام. وجدت هذه الصلاة امتدادا لها، في اليوم ذاته، في العديد من اماكن العبادة في العالم...

ولا بد من الاشارة الى ان لقمة اسيزي وجها مسكونيا جسده حضور ممثلين عن مختلف الكنائس والمذاهب المسيحية (٨٨ شخصية) اقاموا سوية الصلاة في كاتدرائية القديس روفين —وكانت هذه الصلاة المسكونية قد اعدت في مقر مجلس الكنائس العالمي بجنيف الذي كان قد منح دعمه الكامل لدعوة البابا وحث الكنائس الاعضاء على المشاركة في يوم الصلاة هذا— حيث تليت قراءات من العهدين القديم والجديد وصلوات وتراتيل بلغات مختلفة من بينها العربية، وختم الاحتفال بتبادل السلام والصلاة الربية.

وفي فترة الظهر التزم المشاركون بصوم كان له مدلوله العميق. وفي الساعة الثانية بعد الظهر، بلغ اللقاء ذروته حين اصطف ممثلو الديانات الاثنتي عشرة في الساحة السفلى من كنيسة القديس فرنسيس، وجلسوا على كراسي متناظرة، قبالة الجمهور، تعلوهم لوحة كتب عليها كلمة "السلام" ب ١٤ لغة. ومن هنا رفع كل وفد بالتناوب، وعلى مسامع الجميع، صلاته لاجل السلام تخللتها فترات صمت عميق، تلقى بعدها كل مشارك غصن زيتون، رمز التزامه بقضية السلام. وفي خطابه الختامي، لم يتردد البابا من اعلان قناعته التي يشاركه فيها كل المسيحيين من ان "السلام يحمل اسم يسوع المسيح"، ومن الاعتراف بان المسيحيين لم يكونوا دوما "صانعي السلام"، داعيا الجميع الى جعل هذا الحج الى اسيزي فعل توبة: "إما ان نتعلم السير سوية في سلام ووفاق، او نسير نحو الهاوية لهلاكنا وهلاك الآخرين".

وقبل ان ينفصل القادة الروحيون، تبادلوا قبلة سلام ومصالحة تخللها اطلاق حمامات سلام. ومن ثم توجه الجميع الى قاعة الطعام في دير القديس فرنسيس لتناول عشاء اخوي (نباتي) تميز بالبساطة والخدمة الذاتية (self service) اقتسموا فيه جميعا رغيفا (طوله ١،٢٠ م ووزنه ٥ كغم) نقشت عليه كلمة "سلام" بلغات عديدة. وارفض هذا التجمع الفريد على اقتراح تقدم به المجلس الياباني لممثلي الديانات الى تكرار هذه الخبرة في العام القادم في كيوتو.

ان يوم اسيزي برهن للعالم بان الصلاة من اجل السلام هي دعوة الى الالتزام ببناء السلام، وهي نداء الى كافة القادة كي يركنوا الى التعقل ويجنبوا العالم ويلات الحرب. ولا بد لمثل هذا النداء ان يجد صدى في نفوس كل الذين، في العالم، يهمهم ان تنعم البشرية بالامن والسلام.

ش.ر/ك١ ١٩٨٦

مقالات ١٩٨٧

+ التنمية والتضامن، مفتاحان للسلام/ش.ر/ك٢
+ دير مار كوركيس بين الحاضر والماضي /تحقيق/آذار- نيسان
+ تشيكوسلوفاكيا: في انتظار ربيع آخر/ملف/أيار
مع الاب دميان بيرن رئيس عام الدومينيكان /مقابلة/حزيران- تموز
+ النمسا: من آل هابسبورغ الى فالدهايم /ملف/آب- أيلول

التنمية والتضامن، مفتاحان للسلام

منذ عام ١٩٦٧ دعا البابا بولس السادس ان يكون الاول من كل عام يوما عالميا للسلام. وكل عام يوجه البابا رساله يعالج فيها قضية السلام من احدى زواياها...

الرسالة التي يوجهها البابا يوحنا بولس الثاني لهذا العام تحمل عنوان "التنمية والتضامن: مفتاحان للسلام". وتاتي في الذكرى العشرين لتاسيس يوم السلام العالمي، والذكرى العشرين لصدور الرسالة العامة "في تقدم الشعوب" التي اطلق فيها بولس السادس هذا الشعار: "التنمية هو الاسم الجديد للسلام".

"التنمية والتضامن: مفتاحان للسلام"! حول هذين المحورين تدور رسالة البابا يوحنا بولس الثاني ليوم السلام العالمي العشرين:

فاذا كانت التنمية هي السبيل الى السلام، حين تسود العدالة بين الشعوب والامم ويتمكن كل انسان من العيش بحرية وكرامة، فالتضامن بين افراد الاسرة البشرية ليس اقل شانا، ذلك لان التضامن ينبع من تلك الحقيقة الاساسية وهي: اننا جميعا نؤلف اسرة بشرية واحدة بالرغم من تعدد حضاراتنا وقومياتنا واوطاننا ولغاتنا ودياناتنا...

"ان الاقرار بالتضامن الاجتماعي بين اعضاء الاسرة البشرية يقترن بمسؤوليتنا في البناء انطلاقا مما يوحدنا، وهذا يعني السعي الحثيث الى توطيد المساواة في الكرامة بين الجميع دون استثناء،طالما انهم كائنات بشرية يحق لها ان تتمتع بحقوق اساسية لا يناقلها مساس. وهذا يشمل

كل اوجه الحياة الخاصة، والحياة في الاسرة، وفي المجتمع الذي نعيش فيه، وفي العالم، فما ان ادركنا اننا اخوة واخوات في انسانية مشتركة، استطعنا،على ضوء التضامن الذي يجمعنا، ان نحدد مواقفنا من الحياة، وهذا يصح بشكل خاص في كل ما يتعلق بالمشروع الشامل والاساس: السلام".

ويذهب قداسته الى القول بان شعورنا بوحدة البشرية قد ترسخ منذ ان راينا صورة الارض من الفضاء، ومنذئذ اصبح التضامن بين الشعوب ضرورة حيوية لضمان مستقبل الانسانية. وهذا التضامن يتجسد بنوع خاص ازاء الكوارث الطبيعية والحروب والمجاعات التي تتعرض لها الشعوب:" نحن شهود على رغبة جماعية متزايدة – فوق الحدود السياسية والجغرافية والايديولوجية – في مد يد العون الى اعضاء الاسرة البشرية الاقل حظا". وفي هذا المضمار يثني قداسته على هيئة الامم المتحدة التي جعلت شعار السنة الدولية لعام ١٩٨٧: "مأوى للذين من دون مأوى"، مؤكداً ان مثل هذا التضامن من شأنه ان يصبح، اذا ما توجه الى كافة اعضاء الاسرة البشرية، مفتاحا للسلام.

الا ان هناك عقبات بوجه التضامن تضعها رؤى سياسية وايديولوجية لا تعترف بالمساواة الاساسية بين البشر. ويشير يوحنا بولس الثاني الى نزعة "العداء تجاه الاجانب" التي تغلق امما على ذاتها، والى قرار "اغلاق الحدود" الذي تتخذه بعض الدول بشكل اعتباطي، والى الايديولوجيات التي تفرز الحقد بين الاجناس والطبقات والاديان.. ولا شك ان مثل هذه الاحقاد، اذا ما تسربت الى العلاقات بين الشعوب، افرزت العداوات والحروب... لذا يبدو التضامن الفعلي امرا ضروريا، ولا سيما في ميدان التنمية:

"في نطاق المهمات البشرية، قد تبدو الحاجة الى التضامن الاجتماعي في ميدان التنمية من اكثر القطاعات اهمية. وان جزءا كبيرا مما قاله بولس السادس في الرسالة التي نحتفل بذكراها العشرين ينطبق اليوم بشكل خاص. فلقد رأى بوضوح ان المعضلة الاجتماعية قد اخذت بعدا عالميا (رقم٣)، وكان من اوائل الذين لفتوا الانتباه الى ان التقدم الاقتصادي غير كاف، في حد ذاته ما لم يقترن بتقدم اجتماعي (رقم ٣٥). وهو الذي شدد على ضرورة تنمية متكاملة، اعني تنمية تشمل كل انسان والانسان كله (رقم ١٤- ٢١)...".

ويلفت البابا الانتباه الى ان التضامن في ميدان التنمية يجب ان يتوجه الى الانسان في كل ابعاده، وان على التنمية ان تضع الانسان في المركز من مبادراتها ومشاريعها، مع احترام عميق للقيم التي تخدم الاشخاص والمجتمعات: "فلا يكفي ان نمد يد العون الى الذين هم بحاجة، بل ان نساعدهم على اكتشاف القيم التي تمكنهم من ان يبنوا حياة جديدة، ويأخذوا مكانهم العادل في المجتمع وفق متطلبات الكرامة والعدالة". ويواصل قداسته بان ما يصح في نمو الاشخاص، يصح ايضا في نمو المجتمع: فكل ما يعيق الحرية الحقة يعتبر طعنة ضد النمو، كالاستغلال والتهديد والتطويع واستئثار فئة بالحكم والقرار على حساب الاخرين الخ..وغني عن القول ان هذه التجاوزات سرعان ما ينتج عنها تكثيف القمع من جهة، وتصاعد العنف من جهة اخرى، وكل ذلك يذهب بأمل السلام؟

"ان التضامن الذي يمكن من تنمية متكاملة هو التضامن الذي يصون الحرية الشرعية لكل انسان، والامن العادل لكل امة (...). والحرية التي يجب ان تتمتع بها الامم

لضمان تقدمها ونموها...هي رهن بالاحترام المتبادل في ما بينها. فاذا سعت امة الى اكتساب تفوق اقتصادي اوعسكري او سياسي على حساب حقوق امم اخرى، فذلك يحطم كل امل بنمو حقيقي وسلام حقيقي".

وتبلغ الرسالة ذروتها حين يؤكد بأن التضامن والتنمية هما مفتاحان للسلام، وذلك لان التضامن يفرض على البشر ان يعيشوا في وفاق وتعاون، والتنمية تحملهم على اقتسام خيرات الارض بروح العدالة. وتتوقف الرسالة عند بعض ابرز المعضلات الراهنة، وفي مقدمتها الديون الخارجية التي ترهق كاهل الدول النامية، مطالبة بنظرة جديدة الى هذه القضية من منطلق التضامن الذي يسعى الى اخراج الدول المدينة من مآزقها (رفع اسعار المواد الاولية مثلا...). وازاء التفاوت القائم بين الدول التي تمتلك العلم والتكنولوجيا والدول المحرومة منها، تؤكد الرسالة ان "هناك ضرورة خلقية يفرضها التضامن تقوم في اقتسام التقدم التكنولوجي مع الدول التي لم تبلغ اليه، والامتناع عن جعل هذه الدول حقل تجارب...". وتخلص الرسالة الى تبيان الصلة الوثيقة بين التنمية ونزع السلاح:

"لقد اظهرت دراسات حديثة حول الصلة القائمة بين نزع السلاح والتنمية —وهما معضلتان في غاية الخطورة يواجههما عالم اليوم— بأن التوترات الحالية بين الشرق والغرب، والتفاوت بين الشمال والجنوب تشكل تهديدا خطيرا على سلام العالم. ويتضح اكثر فاكثر بان عالما في سلام يضمن فيه امن الشعوب والدول، يتطلب تضامنا فاعلا في الجهود الرامية الى تحقيق التنمية والى نزع السلاح في الوقت ذاته".

والتضامن الذي يدعو اليه الاب الاقدس من شانه ان يحمل الدول على اتخاذ مسؤولياتها في معالجة الفقر الذي تعاني منه دول اخرى، والسعي الى انجاح مفاوضات نزع السلاح، والعمل على وقف النزاعات والحروب المحلية: "فلكل دولة مسؤولية في سلام العالم، وهذا السلام لا يتم ما لم يستبدل تدريجيا الامن المبني على الاسلحة بأمن مبني على تضامن الاسرة البشرية".

وفي ختام رسالته شدد قداسته على العلاقة الوثيقة بين متطلبات العدالة في العالم وامكانية السلام، مستشهدا بكلمات بولس السادس في رسالته "في تقدم الشعوب": "السلام لا يقوم على غياب الحرب بفضل توازن مهزوز بين القوى، وانما يبنى، يوما بعد يوم، عبر البحث عن النظام الذي اراده الله، نظام قوامه عدالة اكبر بين الناس". وهذا السعي الى العدالة والسلام، انما هو التزام يقع على عاتق كل المؤمنين، والمسيحيين بنوع خاص:

"... نحن ايضا مدعوون الى التشبه بالمسيح فنكون صانعي سلام، عبر المصالحة، والمشاركة في مهمة حمل السلام الى الارض عبر سعينا في دفع قضية العدالة لكل الشعوب وكل الامم. ولا ينبغي لنا البتة ان ننسى كلماته التي توجز بمحمل تعابير التضامن البشري: "ما تريدون ان يفعله الناس لكم فافعلوه انتم لهم" (متى ٧: ١٢). فعلى المسيحيين ان يدركوا بانهم يضحون سبب انقسام حين لا يمتثلون هذه الوصية".

ويختم يوحنا بولس الثاني رسالته بنداء الى البشرية كي تجعل من العام الجديد عام سلام، بدءا من رؤساء الدول وممثلي الديانات، والى كل انسان ذي ارادة صالحة.

ش.ر/ك٢ ١٩٨٧

دير مار كوركيس بين الحاضر والماضي

بعد التحقيق في دير مار متى (ايار ١٩٨٢) ودير السيدة والربان هرمزد (نيسان ١٩٨٣) ودير مار بهنام (ك١ ١٩٨٣) ودير مار ميخائيل (آب/ايلول ١٩٨٦). كان لا بد للفكر المسيحي ان تلتفت الى دير مار كوركيس، وقد اصبح داخل حدود الموصل، فتخصه بتحقيق يتزامن مع عيديه اللذين يقعان في الربيع: "موسم مار كوركيس" في الاحد الخامس من الصوم ويحتفل به اهالي الموصل على اختلاف ملّلهم، وعيد مار كوركيس الشهيد ويقع في ٢٤ نيسان بحسب الكلندار الكلداني ويُسبَق يوما في الكلندار السرياني!

لمحات تاريخية عن بدايات دير مار كوركيس، اهم الاصلاحات والتجديدات التي طرأت عليه، الرسالة التي اداها في الماضي ويؤديها اليوم... تلك هي بعض الملامح التي يرسمها هذا التحقيق.

●

لسنوات خلت كان دير مار كوركيس يبدو للعيان من الجانب الايمن من نهر دجلة، قبالة دير مار ميخائيل، رابضا على تلة هي غير التلال التي تحيط به، وكأنها اسوار اقامتها الطبيعة لتحمي هذا الاثر المسيحي العريق. وها هو اليوم قد اصبح وكأنه جزء من الحي العربي (١٠كم الى الشمال من مركز الموصل)، إلا ان الشارع الجديد الذي يشق طرف المدينة ابى الا ان يحفظ للدير عزلته وهيبته وإن لم تعد تفصله عنمنازل الحي سوى بضعة امتار.

واول ما يشاهده الزائر وهو يقترب من الدير، الكنيسة العليا وقد قامت فوقها قبة شامخة من حجر الحلان تيدو وكأنها تحتضن الدير، لا بل تغطي عليه! وهذه الكنيسة كانت في ماض سحيق النواة الاولى لهذا المزار الشهير الذي لم يكن ديرا، باديء ذي بدء، وانما كنيسة لقرية "بعويرة" (المعبر). وسواء ولجنا من المدخل الجانبي عبر الدرج او من البوابة الكبيرة عبر البستان، يواجهنا مدخل الدير الذي جدد عام ١٩٤٦، يعلوه نقش يمثل مار كوركيس، ذاك الفارس الاسطوري الذي لا يشاهد إلا وهو يطعن التنين برمحه! ويشاهد اليوم الى يمين المدخل تمثال برونزي صب في مصهر تابع لوزارة الشباب بهمة الفنان مقبل جرجيس.

من كنيسة "بعويرة"...

لا نعلم بالضبط متى انتقلت قرية بعويرة من موضعها السابق، في اعقاب تحول مجرى نهر دجلة نحو الغرب، تاركة كنيستها في يد الاقدار... وتفيد كراسة عن "دير مار كوركيس" للاب يوسف حبي —اعتمدناها في هذا التحقيق— بان لقرية بعويرا وكنيستها ماضيا زاهرا وان لم يصلنا منه الشيء الكثير. الا انه من الثابت ان كنيسة القرية كانت

عامرة في اواسط القرن ١٠، وقد جاء في كتاب "المجدل" ذكر احد كهنتها عبد يشوع (الجاثليق عبد يشوع الاول: ٩٦٣- ٩٨٦). ولا شك ان تاسيسها يرجع الى عهد ابعد.

وتنقطع اخبار القرية وكنيستها حتى القرن ١٦ حين يرد ذكرها في مخطوطة استنسخت عام ١٥٤٩. اما اول ذكر يرد عن دير مار كوركيس، فياتي من مخطوطة لعام ١٦٩١ "نسخت لدير مار كوركيس بالقرب من الموصل". ومنذئذ يتوالى ذكر الدير[١] في مخطوطات عديدة، بعضها يشير الى "كنيسة مار كوركيس في بعويرة".

وخلاصة القول ان كنيسة مار كوركيس اصبحت ملكا للرهبان في اواسط القرن ١٦، ولا شك انهم اخذوا يقومون ببعض الخدمات الروحية الى ان قيض لهم ان يتخذوه ديرا.

... الى دير مار كوركيس

تشير المعلومات الى ان البطريرك الكلداني نيقولا زيعا قام، عام ١٨٤٣، بتحديدات هامة في الدير، ابرزها تجديد الكنيسة العليا -وإن قضى على معالمها القديمة- كما تدل كتابة الى اليمين من باب الكنيسة جاء فيها انه غيّر شكل المذبح والخورسين، وانه اضاف سبع قلال وطاحونة الى جانب باب الدير الخارجي (انظر الكراسة -ص١٨). ويبدو ان الغرض من هذا التحديد والتوسيع كان مشروع معهد كهنوتي. وتجدر الاشارة الى ان المساعي لهذا المشروع بلغت اوجها في عهد البطريرك يوسف اودو (١٨٤٧- ١٨٧٨) والقاصد الرسولي الاب بندكتس بلانشيه، إلا ان خلافات كثيرة وملابسات عديدة اجهضت المشروع.

- **متى اصبح هذا المزار "ديرا" قانونيا يسكنه الرهبان؟**

هذا السؤال توجهنا به الى الاب هرمز شلال رئيس دير مار كوركيس، وقد لقيناه في عصر احد الايام وهو يمد يده ليودع زوارا ويستقبل اخرين جاءوا يطلبون منه غرفة يقضون فيها ليلتهم... فأجاب: لقد كان للرهبان منذ اوائل القرن ١٧ صلة وثيقة بهذا المزار الذي كان المؤمنون يقصدونه للصلاة والاستشفاء والراحة. ويذكر ان راهبا واحدا عام، ١٨٥٠ كان يقوم بحراسة الدير. وليس لدينا ما يشير الى ان رهبانا سكنوه بشكل منتظم قبل عام ١٨٦٣، حين طلب البطريرك يوسف اودو من الرهبانية الهرمزدية ارسال كاهن وبضعة رهبان يتخذون هذا المزار ديرا يضاف الى سائر الاديرة[٢]، كما جاء في سجل الاخبار اليومية المحفوظ في دير السيدة. وجاء الاب قرياقوس كوكا مع ثمانية اخوة وباشروا العيش في الدير بتاريخ ١٧ ت١ ١٨٦٣، ومنذئذ اصبح هذا المكان ديرا قانونيا يسكنه الرهبان ويعيشون بين احضانه حياتهم الرهبانية.

- **من هم ابرز "الرؤساء"؟ وما هي اهم انجازاتهم في فترة رئاستهم؟**

وبكثير من التردد اخذ الاب الرئيس يقول بان هناك غموضا حول الحقبة التي اعقبت رئاسة الاب قرياقوس كوكا، استمر حتى عام ١٩٠٣ حين تسلمها الاب اندراوس. ولقد برز الاب بنيامين اوزا الذي جدد الدير عام ١٩٠٨ وهو الذي بنى "قلالي" الرهبان

الداخلية. اما اهم التجديدات، فقد تمت في سني رئاسة الاب موشي ارميا (١٩٢٤-١٩٣٦) وابرزها: بناء الكنيسة الصغيرة الى يمين المدخل الرئيسي (١٩٢٤)، تجديد الكنيسة العليا (١٩٣٠)، اضافة ٥ غرف الى يسار الكنيسة العليا (١٩٢٩) و٩ غرف ورواقين وسرداب (١٩٣٦) – زهو الجناح المحاذي للطريق الصاعد الى الدير.

وباعتزاز كبير، توقف الاب شلال عند الاب يوسف داديشوع نكارا الذي تسلم الرئاسة عام ١٩٣٦ ولست سنوات متتالية: فهو الذي اشترى عقارات واسعة للدير وسجلها في دائرة الطابو[٣].

- **ما هي ابرز التجديدات التي تمت في عهدك؟**

كان الاب هرمز، بالرغم من شيخوخته، قد امتلا حيوية، وهو يستذكر ما خلفه اسلافه من انجازات عمرانية مكنت الدير من ان يكون "محجة" صلاة وخلوة يؤمها المؤمنون، و "منتجعا" يأوي اليه المرضى، و"محطة" راحة يقصدها اهالي الموصل وضواحيها، وفي فصل الربيع بشكل خاص!

وبارتياح لا يخلو من تواضع، راح الاب الرئيس –وقد تسلم الرئاسة عام ١٩٦٦ وجددت سبع مرات متتالية– يحكي بعض ابرز الترميمات والتجديدات التي تمت في عهده وفي مقدمتها صيانة السطوح (١٩٦٨) وتجديد الجناح الغربي من بيت الرهبان (١٩٧٢) واعادة بناء الكنيسة العليا (١٩٧٧)– وقد اصبح من الممكن الوصول اليها عبر الدرج الذي يشق التلة الاثرية المشجرة. ولقد شملت اعمال الصيانة والترميم تسييج الدير واصلاح غرف الرهبان والزوار ورصف الافنية... وتكللت مؤخرا بتلبس جدران الدير الخارجية بحجر الحلان.

- **"مدرسة" لتهيئة دعوات رهبانية**

وكان لنا لقاء آخر مع الاب صليوا هرمز الذي يشرف على شؤون التلاميذ الصغار الذين يحتضنهم الدير ويرعاهم ليهيأهم للدخول في الحياة الرهبانية. والاب صليوا لا يزال محتفظا بنشاطه المعهود الذي يخفي عمره الحقيقي (٦٦ سنة)، وله من خبرته الطويلة مع الصغار ما يهيؤه لهذه المهمة.

- **ما هي بدايات هذه "المدرسة"؟**

هذا السؤال عاد بالاب صليوا الى الاعوام ١٩٥٨– ١٩٦٢ حين اوفد الى الدير الاب بولس نويا اليسوعي[٤] ليفتح فيه "مدرسة رسولية" تعد رهبانا جددا ينشطون الحياة الرهبانية في الطائفة الكلدانية. وقال: بعد تعثر هذا المشروع وفشله إحتفظ الدير بهذه المدرسة الرسولية بهدف تهيئة عدد من الفتيان واعدادهم للدخول في دير الابتداء التابع للرهبانية الهرمزدية الكلدانية (الدورة – بغداد). وقد اسهمت هذه الصيغة في مد الرهبانية بشباب انخرطوا في سلكها.

وبفرح مقترن بالامل واصل الاب صليوا قائلا: يحتضن الدير حاليا ٢٢ طالبا بينهم ٨ في الصف الخامس الابتدائي و ١٤ في الصف السادس، وهم يتابعون الدراسة في مدرسة تلكيف ويتلقون في الدير دروسا في الدين[٥] واللغة والطقس، فضلا عن التوجه الروحي الذي يعطى لهم. وحين ينهون السادس الابتدائي نرسلهم الى دير السيدة (القوش) ليواصلوا دراستهم المتوسطة، ويتواصل اعدادهم للدخول في دير الابتداء –ويوجد حاليا في دير السيدة خمسة طلاب.

- **كيف يتم اختيار التلاميذ؟ وما هي الصفات المطلوبة فيهم؟**

ان اختيارهم يتم عادة عن طريق كهنة الرعايا الذين يقدمون عددا من المرشحين للدير، فبعد ان نتعرف عليهم شخصيا وعلى ذويهم، نختار من تتوفر فيهم صحة جيدة وقابلية على الدرس... وقد يحدث احيانا ان نقبل اولادا فقراء او في اوضاع صعبة، وذلك من قبيل المساعدة. واننا نسعى قدر المستطاع الى الاهتمام بهؤلاء الطلبة، وهم في عمر الزهور، وتأمين الرعاية لهم على مختلف المستويات، مع عناية خاصة بالجانب الثقافي والروحي.

هذه العناية التي تحدث عنها الاب صليوا، عكسها هؤلاء التلاميذ انفسهم، عبر لقاء قصير معهم جرى في غرفة الدرس، وقد بدوا فرحين مسرورين من عيشهم في احضان الدير، على أمل ان يصبحوا يوما رهبانا او كهنة.

مار كوركيس الشهيد

قصة مار كوركيس (مار جرجس) الشهيد تناقلتها اجيال من المسيحيين في الشرق والغرب، وقد امتزجت بها الاسطورة حتى طغت على النواة التاريخية.

جرجس عسكري اهتدى الى المسيحية في مطلع القرن ٤، ودفعه حماسه الى ان يمزق المرسوم الذي اصدره الامبراطور ديوقلسيانوس باضطهاد المسيحيين، فالقي القبض ونفذ فيه حكم الاعدام ومات شهيدا.

ومن الحكايات الشعبية التي نسجت حول الشهيد اسطورة التنين –ولها مثيلها في الحضارات والديانات– التي جعلت من مار كوركيس فارسا شجاعا يقتل التنين ويُنجي ابنة الملك من اجلها الخوم ومن ثم تعتدي المملكة كلها الى الايمان المسيحي!

لا عجب ان تحاك مثل هذه القصص ابان الاضطهادات التي انقضّت على المسيحيين، بهدف احياء الثقة لديهم وحملهم على الامانة والصمود وعدم التخاذل ايا كانت المضايقات التي يتعرضون لها.

رسالة الدير خدمة واشعاع

وكان علي ان اواصل الحديث مع الاب الرئيس، وإن بدت جعبته قد نفدت، حين قرع الناقوس داعيا الرهبان الى العشاء –وهم اربعة، اثنان منهم راهبان– وهؤلاء التلاميذ الصغار الذين طاب لي ان اقاسمهم عشاءهم الشظف. هل يؤدي الدير رسالته بصفته مركز اشعاع روحي؟ وتلخصت اجابته الى هذا السؤال على النحو التالي: الى جانب الخدمات

الروحية التي يقدمها للمؤمنين الذين يقصدونه من كل صوب (قداس الاحد، درب الصليب في جمع الصوم، العماذات —وتزيد على ٨٠ عماذا في السنة— خدمات الدفن للمسيحيين الوافدين من القرى الخ...)، يشرع الدير ابوابه لكل الذين يؤمونه بدافع الصلاة والتبرك وطلب الشفاعة او بهدف التنزه والراحة والاستجمام —ولتلكيف صلة تاريخية بالدير ويقصده اهاليها حتى ولو تغربوا! وسواء جاءوا لزيارة خاطفة او لتقديم نذورهم وعطاياهم، ام طاب لهم ان يمكثوا فيه لبضعة ايام - وتطيب الاقامة لبعضهم في ايام الاعياد والعطل، وبدافع الاقتصاد احيانا!— فكلهم يشعرون بان الدير هو دارهم.

وهنا لم املك نفسي من الافصاح عن تشكيات بعض الزوار الذين ياتون الى الدير ويعودون دون ان يكون قد تلقاهم احد او تحدث اليهم او كان لهم دليلا... "لو كان هناك رهبان"! صرخة اطلقها الاب هرمز شلال وقد تضمنت نداء بقدر ما عكست وضعا شاذا لا يجد له مخرجا. ذلك لأن قلة عدد الرهبان، وكلهم متقدمون في السن، تحول دون الاجابة الى متطلبات الاستقبال والضيافة... ويبرز هذا النقص بشكل خاص في مواسم الاعياد وفي مقدمتها "موسم مار كوركيس" —ويقع في الاحد الخامس من الصوم الكبير— حين "تنتقل الموصل" عائلات عائلات، الى التلال والسهول المحيطة بالدير وقد كستها الطبيعة بابهى حللها، وفي عيد مار كوركيس الشهيد (٢٤ نيسان) حين يزهو الدير بالوف الناس الذين ياتون من كل القرى المجاورة بأزيائهم الشعبية، وكأنهم في مهرجان...

ويسرنا ان نشير الى ان هذه المواسم شهدت في السنوات الاخيرة نفحة من روح الصلاة، بهمة بعض الكهنة والراهبات الذين سعوا الى ان تتخذ هذه المواسم طابعا دينيا من خلال تاملات وخواطر وتراتيل تنقلها مكبرات الصوت الى البعيد. وإذ كان لنا امنية، فهي ان تجسد هذه التظاهرات التقوية الشعبية كل معاني المحبة والفرح والتضامن بين المؤمنين، وان تكون فرصة للاقتراب من الرب وتعميق الروابط بين الاخوة.

---

(١) جاء وصف للدير في مطلع القرن١٧ على لسان الاب كورماشيتك الدومنيكي- نشر في "تاريخ الرهبنة الدومنيكية" (بالفرنسية — روما ١٨٩٦)- بان الدير "محاط بحائط مرتفع وكأنه سور، تتوسطه كنيسة. ويقوم على حراسته شماس نسطوري يسكن فيه مع عائلته. ويعتاش من العطايا التي كان المؤمنون يجودون بها عليه عندما يقومون بزيارة الموضع" (انظر الكراسة — ص١٣).

(٢) ان هذا التدبير الذي اتخذه البطريرك اودو يوحي برغبته في اثبات ملكية الدير وعائديته الى الطائفة الكلدانية في اعقاب الخلاف مع روما بسبب مشروع المعهد الكهنوتي الذي كان القاصد بلانشيه قد سعى اليه، مجريا على الدير ترميمات وتجديدات هامة. ويبدو ان هذا الخلاف بلغ اوجه بين الاعوام ١٨٥٩ — ١٨٦٤ ولم يحسم الا عام ١٨٦٥ (راجع الكراسة ص١٥...).

(٣) بالاضافة الى مساحة الدير ومن ضمنها البستان — وتبلغ اكثر من ٣ دونمات — هناك ست قطع زراعية تبلغ مساحتها الكلية ما يقرب من ٤٠٠ دونم مسجلة باسم الاب داديشوع (انظر الكراسة ص١٧ - ١٨).

(٤) كلف مجمع الكنائس الشرقية (روما) الاب بولس نويا اليسوعي الكلداني باحياء وتنشيط الرهبانية الكلدانية. وقد سعى الى اختيار عدد من الرهبان لاستكمال تأهيلهم الرهباني من جهة. وانكب على تنشئة تلامذة صغار على الحياة الرهبانية من جهة اخرى. وفي اعقاب اربع سنوات لم يلق مشروعه تشجيعا. وذهب طي النسيان.

(٥) من الجدير بالذكر ان الدير اتخذ في بدء العام الدراسي الحالي مركزا للتعليم المسيحي لطلبة الابتدائية في الساحل الايسر. ساهمت فيه راهبات القلب الاقدس اللواتي يقوم ديرهن الجديد "دير النصر" على مقربة من دير مار كوركيس. ويتم بين الديرين تعاون وثيق.

تشيكوسلوفاكيا: في انتظار ربيع آخر

هذا البلد المنسي بين بلدان المعسكر الاشتراكي، شهد في فترة ما بعد الحرب الثانية خضتين كبريين: اولاهما عام ١٩٤٨ حين تسلم زمام البلاد الحزب الشيوعي، وثانيهما عام ١٩٦٨ حين تعرض هذا النظام ذاته للانهيار بما سمي بـ"ربيع براغ". تميزت تشيكوسلوفاكيا بعدائها العنيف للكنيسة، بعده وصلت موجة القمع اوجها. الا ان ذلك الربيع وجد له امتدادا عبر يقظة دينية شقت طريقها الى المؤمنين التشيكيين ساندتها "شرعة ٧٧" الشهيرة من جهة، وانتخاب البابا البولوني عام ١٩٧٨ من الجهة الاخرى....

هذا الملف يرسم ملامح كنيسة في انتظار ربيع جديد.

●

شيء من التاريخ

تنتمي تشيكوسلوفاكيا الى العالم السلافي (بلغاريا، يوغسلافيا، بولونيا، جمهوريات روسيا وروسيا البيضاء واوكرانيا)، ويدل اسمها على تركيبتها الثنائية: بوهيميا —مورافيا الى الغرب (وتمثل ثلثي المساحة)، وسلوفاكيا الى الشرق. وفي بوهيميا —واسمها السلافي "تشيشي"— استقرت في القرن ٦ الشعوب السلافية، وفي القرن التاسع ولدت مملكة "مورافيا الكبرى" التي عظمت مكانتها في اعقاب تنصير شعوبها على يد الاخوين القديسين قورلس وميتوديوس من سالونيقي اللذين اوفدتهما القسطنطينية عام ٨٦٣ للتبشير بالانجيل في مورافيا (وكانت تشمل انذاك تشيكوسلوفاكيا وهنغاريا). وقد نجح الاخوان —ويعود اليهما الفضل في اختراع الكتابة السلافية— في هذه المهمة التي كان قد بدأ بها مرسلون بندكتيون، ارلنديون والمان، اصطدموا بعقبة اللغة والذهنية. وما ان ترجمت الكتب اللاهوتية والطقسية الى السلافية، واذا بالاوساط اللاتينية تقاوم مبادرة رسولي الشعوب السلافية اللذين اضطرا الى الدفاع عن قضيتهما امام البابا ادريانوس الثاني والذي منحهما تأييده الكامل. وفيما توفي قورلس في روما، عاد ميتوديوس وقد رسمه البابا اسقفا. وبعد ان لقي مقاومة عنيفة توفي في مورافيا عام ٨٨٥.

لم يكتب لمملكة مورافيا الكبرى عمر طويل، اذ سرعان ما احتلها المجريون في القرن العاشر، واسفر الاحتلال عن الحاق سلوفاكيا بالمجر فظلت طيلة الف عام معزولة عن جارتيها مورافيا —بوهيميا اللتين خضعتا للنفوذ الجرماني. وكان من نتيجة هذه الخضات تشتت تلامذة قورلس وميتوديوس في اليونان وبلغاريا ودلماسيا.... وبذلك تقلصت الصلات التي كانت تربط مورافيا الكبرى بالشرق المسيحي.

ونشأت — مملكة تشيكية ضمن الامبراطورية الرومانية الجرمانية عرفت عصرها

الذهبي في القرن ١٣ و ١٤. وفي هذه الفترة رفعت اسقفية براغ اللاتينية الى مقام رئاسة اسقفية عام ١٣٤٤، وكانت قد نشأت عام ١٤٧٣ والحقت من ثم بامبراطورية آل هبسبورغ عام ١٥٢٦ التي تمكنت من اكتساح المجر واحكام السيطرة عليه حتى عام ١٩١٨. وتمخضت الحرب العالمية الاولى عن قيام دولة تشيكوسلوفاكيا التي ما عتمت ان فرقتها من جديد الحرب العالمية الثانية، واعلنت حدودها الجديدة بعد انضمامها الى المعسكر الاشتراكي عام ١٩٤٨.

ومن الجدير بالذكر انه، الى جانب الكنيستين اللاتينية والسلافية، نشأت في بوهيميا مع مطلع القرن ١٥ حركة اصلاحية بقيادة جان هوس (ولد عام ١٣٦٩) عميد جامعة براغ الذي وجه انتقادات لاذعة ضد انحرافات الاكليروس وطالب باستقلال بوهيميا عن النفوذ الجرماني. وناصب مناصروه العداء للكنيسة والامبراطور، وقد اسفر هذا الصراع عن حرب تمخضت عن انفصال شعب بوهيميا عن الكنيسة[١]. ففي هذا المناخ المضطرب شق الاصلاح اللوثري طريقه الى البلاد. وشهد القرن ١٧ صراعات دامية بين الكاثوليك والبروتستنت كشفت عن غياب روح التسامح والتعايش بين الاخوة.

محنة المصيحيين التشيكيين

كانت الكنيستان الرئيستان، الكاثوليكية والبروتستنتية، على جانب كبير من الضعف والانحلال حين تسلم الحزب الشيوعي زمام الحكم عام ١٩٤٨ والذي سرعان ما وجه ضربة قاضية الى "كل القوى الرجعية" وفي مقدمتها الكنيسة الكاثوليكية بصفتها القوة الوحيدة التي كانت تبدو مستقلة وتحظى باحترام ٦٠% من التشيكيين و٧٥% من السلوفاكيين. وازاء رفض السلطة الكنسية الانصياع للارادة الشيوعية، انقضت على الكنيسة حملة شرسة من القمع بهدف عزلها عن الفاتيكان من جهة، وعن قاعدتها الشعبية من الجهة الاخرى[٢]. وانشيء عام ١٩٤٩ "مكتب لشؤون العبادة" مهمته الاشراف على سير الحياة الدينية، ومن خلاله احكمت الدولة قبضتها ورقابتها على الكنيسة.

وذهبت مضايقات الدولة الى فرض "قسم الولاء" على الاكليروس، مما حمل الاساقفة على اصدار رسالة راعوية قالوا فيها:" ها ان الكنيسة امام خيار: الخضوع للاوامر او للقمع...لقد دقت الساعة لكاثوليك تشيكوسلوفاكيا..."! وهكذا آثرت الكنيسة الكاثوليكية التشيكية ان تخضع للقمع من ان تفقد استقلاليتها. وكان ينبغي ان تمر ٢٠ سنة كي يتضح المعنى العميق من هذا الخيار الذي اتخذته الكنيسة في شخص الكردينال بيران الذي قال في احدى تصريحاته الاخيرة عام ١٩٤٩: مهما كان من امر... فاني لن اوقع ابدا، بحريتي، اتفاقا يخرق قوانين الكنيسة.... ولا يمكن لمن يرفض ان يخون الله ان يتهم بانه يخون وطنه او شعبه"[٣].

وفيما بقيت ابرشيات عديدة شاغرة، اضطر العديد من الكهنة ان ينتموا الى حركة "كهنة من اجل السلام" التي انشأتها الدولة لاحكام سيطرتها على الاكليروس، لا

سيما وان الانتماء اليها كثيرا ما اصبح المنفذ الذي يتيح للكهنة ممارسة رسالتهم التي كادت تقتصر على اقامة الشعائر الدينية!

وتجدر الاشارة هنا الى ان نصيب الكنائس البروتستنتية من هذا القمع كان اقل وطأة لسببين: اولهما ان النظام سعى الى احتواء البروتستنت ليبرر اضطهاداته ضد الكاثوليك[٤]، وثانيهما ان بعض اللاهوتيين البروتستنت من امثال هرومادكا ولوخمان وقفوا من النظام موقف التفهم، ويقينهم ان الحوار ممكن بين المسيحيين والماركسيين. ومهما يكن من امر، فان الموقف الكاثوليكي الصلب في الخمسينات والموقف البروتستنتي المرن في الستينات هيئا الطريق، على الصعيد الفكري، لبزوغ "ربيع براغ".

ما بعد "ربيع براغ"!

وهبت نسمة الربيع من داخل النظام حين عمد الكسندر دوبسيك في ربيع ١٩٦٨ الى تبني خط الانفتاح في سياسة البلاد الداخلية والخارجية، فتنفس التشيكيون الصعداء وان لفترة وجيزة. وفيما التقت تطلعات البروتستنت مع التوجهات الجديدة، رأى الكاثوليك فيها فرصة لاستعادة حقوقهم المهضومة عبر العديد من المطاليب بشأن الحرية الدينية[٥]. الا ان هذه الشرارة لم يكتب لها ان تدوم طويلا، اذ سرعان ما خنقتها موسكو في مهدها حين اجتاحت قواتها براغ في صيف ١٩٦٨. وللحال انطلقت حملة من "التصحيحات" بقيادة كوستاف هوساك الذي تسلم منصب امين سر الحزب واشرف على عملية "تطبيع" واسعة النطاق في مختلف القطاعات تميزت بكونها اكثر دهاء واكثر فاعلية من حملات التصفية في الخمسينات.

ففي مجال العلاقة بين الكنيسة والدولة، تبنت سياسة هوساك ستراتيجية تفويض الكنيسة من الداخل عبر العديد من الاجراءات التي تشل حركتها وتضعف من قدرتها على الشهادة. ومما لا شك فيه ان حركة "السلام في الارض" التي حلت محل حركة "كهنة من اجل السلام"، وباساليب مبطنة، كانت ولا تزال بمثابة الشعرة التي تقصم ظهر البعير!

ويرجّع جاك روبنيك، في مقالة بمجلة (Etudes)، نجاح سياسة هوساك الى كون الكنيسة خرجت منهكة القوى في اعقاب ٢٠ عاما من المطاردة، فلم يكن بوسعها ان تصمد بوجه موجة القمع الجديدة، لاسيما وانها فقدت ابرز اساقفتها وكهنتها الذين تميزوا بشجاعة نادرة في الخمسينات، فكان همها الوحيد ان تصون حريتها في ممارسة شعائر العبادة! ويضيف بان سياسة الفاتيكان باتجاه دول اوربا الشرقية في السبعينيات كانت قد تبنت مبدأ الانفتاح تجاه دول اوربا الشرقية مقابل الحصول على بعض الحقوق الدينية، لم تنجح في تشيكوسلوفاكيا التي لم تكن على استعداد، بعد "ربيع براغ"، لا للانفتاح ولا للتنازلات! فازاء مطاليب الفاتيكان بتعيين اساقفة للابرشيات الشاغرة، فرضت الدولة حق الفيتو على كافة التعيينات –وهذا يعني انها تفرض في المرشح انتماءه الى حركة "السلام في الارض"! وهكذا بالرغم من مرونة الفاتيكان، لم تتراجع الدولة عن سياستها المعادية

للكنيسة والتي تعد من اكثرها قسوة بين دول المعسكر الاشتراكي. ويكفي ان نقول بان ثمانية كراسي اسقفية، من اصل ١٣، ما زالت شاغرة، وان اكثر من ثلث الخورنات ما زالت بدون كاهن! ويخلص روبنيك قائلا بان سياسة الكرسي الرسولي "عوض ان تصون الكنيسة، عرضتها للتفكك الروحي والادبي، مفرزة قطيعة بين الاكليروس والمؤمنين".

من اجل "ربيع" آخر؟!

لم يكن المؤمنون التشيكيون، قبل ١٩٦٨ وبعدها، اوفر حظا من كنائسهم الرسمية. فلقد امتدت اليهم اشكال الضغوط والمضايقات بهدف عزلهم عن الكنيسة – المؤسسة، وافلحت سياسة التطبيع في خنق كل مبادرة للمطالبة او الاحتجاج. وهكذا حكم عليهم ان يصبحوا مواطنين "من الدرجة الثانية" ويصبح الايمان "قضية فردية" جسدها انخفاض نسبة الممارسة الدينية وانحسار معظم صيغ الشهادة المسيحية. وكان ينبغي ان تمر ١٠ سنوات اخرى على "ربيع براغ" لينبت الامل من جديد في نفوس المسيحيين التشيكيين من خلال حدثين بارزين: شرعة ٧٧، وانتخاب البابا البولوني عام ١٩٧٨.

• شرعة ٧٧

ان صدور هذه الشرعة التي وقعها مفكرون وسياسيون وأدباء من كافة الميول والنزعات، بينهم نسبة عالية من المؤمنين الكاثوليك والبروتستنت، سجل منعطفا هاما في حياة الشعب التشيكي. فلقد دافعت هذه المذكرة عن حرية الضمير –والحرية الدينية بنوع خاص– في نطاق مطالبتها باحترام حقوق الانسان في تشيكوسلوفاكيا التي وقعت على ميثاق الامم المتحدة ومقررات مؤتمر هلسنكي.

تشيكوسلوفاكيا في سطور

جمهورية فيدرالية في وسط اوربا تحدها كل من بولونيا وهنغاريا والنمسا والمانيا الغربية والشرقية والاتحادالسوفييتي. مساحتها ١٢٧٨٧٧كم٢ ونفوسها في حدود ١٦ مليون: يمثل التشيكيون (وعاصمتهم براغ) ثلثي السكان، ويتألف الثلث الاخر من السلوفاكيين (وعاصمتهم براتيسلافا) واقليات المانية واوكرانية وبولونية...

تقسم البلاد الى ثلاث مناطق جغرافية رئيسية: في الشمال تمتاز بوهيميا بجبالها الغنية بالغابات والمياه والمعادن، وفي الجنوب ترتفع سلسلة "الكربات" التي كانت بمثابة درع بوجه الغزوات المغولية والتركية، وبين هاتين المنطقتين تقوم مورافيا في سهول هي طريق المواصلات بين وادي الدانوب ومنخفضات سيليسيا وبولونيا.

بعد هزيمة المانيا النازية، الف الشيوعيون والاشتراكيون عام ١٩٤٦ جبهة سياسية من ستة احزاب، وفي عام ١٩٤٨ امسك الشيوعيون بزمام الحكم واعلنت تشيكوسلوفاكيا جمهورية ديمقراطية شعبية. في عام ١٩٦٨ برز خط في الدولة اقل تشددا بقيادة الكسندر دوبسيك رئيس الوزراء، اطلق عليه "ربيع براغ"، وسرعان ما خنق باجتياح القوات السوفييتية البلاد، وانطلقت حملة تطهير واسعة بقيادة كوستاف هوساك الذي لا يزال يمسك بزمام الدولة. وفي عام ١٩٧٠ اعلن قيام دولة فيدرالية تضم الجمهوريتين الاشتراكيتين: الجمهورية التشيكية (بوهيميا– مورافيا) والجمهورية السلوفاكية (سلوفاكيا) وتعتبر براغ عاصمة الجمهورية الفيدرالية (مليون وربع نسمة).

وفيما اتخذت الكنيستنا الرسميتان، الكاثوليكية والبروتستنتية، وبضغوط من الدولة، موقفا محايدا من الشرعة، ازداد المؤمنون يقينا من ان رؤساءهم الروحيين مكتوفو الايدي[٦]، وانهم بمواقفهم المتذبذبة، ان لم نقل المتخاذلة، يعرّضون مصداقية الكنيسة للخطر، مما ينعكس سلبيا على حياة المجتمع برمته.

وفي تحليله لهذه الحركة، كتب جاك روبنيك يقول بان شرعة ٧٧ تمثل "محاولة جادة لاعادة بناء الاسس الخلقية والروحية للمجتمع التشيكي". فهي، بالرغم من بعض التحفظات التي واجهها بها بعض الكاثوليك، استقطبت وتستقطب عددا متزايدا من "مسيحيي القاعدة" الذين اخذوا يدركون بان مستقبل الايمان رهن بالموقف النبوي الذي يتخذونه، بوحي من الانجيل، وان تعرضوا للاضطهاد والمطاردة. ويخلص روبنيك قائلا:" كما ان الشرعة اسهمت في تحريك اوساط المعارضة الكاثوليكية، فان حركة حقوق الانسان تاثرت هي الاخرى، على مر السنين، بثقل المسيحيين المتزايد".

وفيما برهنت الشرعة على ان الشعب التشيكي لا يسكت على الضيم طويلا، برهنت ايضا بان المسيحيين التشيكيين لم يعودوا يتحملون المساومات بين الكنيسة والدولة، مما اسفر عن نشوء ما يسمى بالجناح غير الرسمي او "الكنيسة السرية" الى جانب الكنيسة الرسمية. وهذه الكنيسة الموازية – وتسمى ايضا "كنيسة الديناميس" كشفت عن يقظة دينية بين صفوف العلمانيين تمثلت في نتاج ديني سري دسم[٧] وفي ممارسة دينية اتخذت صيغا جديدة (فرق صغيرة للصلاة ودراسة الانجيل الخ...). وتطالعنا الانباء باجراءات تعسفية تتخذها الدولة تجاه كهنة وعلمانيين يمارسون مثل هذه النشاطات.

- **البابا البولوني:**

وكان لارتقاء رئيس اساقفة كراكوفيا الى البابوية اثر ايجابي كبير على الكنيسة التشيكية ككل، ذلك انه، اذ قام نفسه مدافعا عن حقوق الانسان، منح، بشكل غير مباشر، دعمه للمعارضة وألهم الاساقفة ان يكونوا حماة هذه الحقوق والحريات، وفي مقدمتها الحرية الدينية. فلقد افتتح يوحنا بولس الثاني سياسة مع الانظمة الشيوعية اعطت الاولوية لاستقلال الكنيسة الروحي اكثر مما لوضعها كمؤسسة، وتلك هي احدى الاولويات التي يطالب بها مسيحيو القاعدة. وتجسد هذا التوجه في المفاوضات بين الفاتيكان والدولة وفي المواقف التي اخذت تتبناها الكنيسة التشيكية حيال القضايا والاحداث الوطنية والدولية.

فالى جانب مبادراته باتجاه المسيحيين السلاف[٨]، لم يتردد البابا البولوني من اتخاذ موقف حاسم من حركة "السلام في الارض" عبر المرسوم الذي صدر عام ١٩٨٢ عن مجمع الاكليروس، وبموجبه منع الاكليروس من الانتماء الى منظمات سياسية، ومن ضمنها "تلك التي تساند ايديولوجيات معينة او انظمة سياسية..."[٩]. ولقد رد النظام على هذا الموقف بحملة معادية ضد البابا الذي اتهم ب "التدخل في الشؤون الداخلية"، وكثّف محاولاته الرامية

الى عزل الكنيسة التشيكية عن الكرسي الرسولي. ألم يصرح نائب الرئيس التشيكي بان "كل مهاجمة لمنظمة (السلام في الارض)، انما هي مهاجمة غير مباشرة للنظام الاشتراكي"!

وهنا يبرز دور الكردينال فرنسيس توماسيك (٨٣ سنة)[١٠] رئيس اساقفة براغ، استجابة منه لضغوط الكاثوليك "الانفصاليين"، وبفضل الدعم الذي تلقاه من البابا الذي تربطه به علاقة حميمة، اقام نفسه مدافعا عنيدا عن حقوق المؤمنين عبر تصريحاته التي تميزت، في الاونة الاخيرة، بالجرأة والشجاعة. فلقد صرح امام المؤتمر العالمي للسلام الملتئم في براغ في حزيران ١٩٨٣: "من يمتهن احترام العدالة، فهو يهدد السلام، ومن يهدد حريات الانسان الاساسية، بما فيها الحرية الدينية، فهو يهدد السلام...."! كما انه لم يتردد في مقابلة صحيفة اجرتها معه صحيفة Kurier النمساوية (٣٠ تموز ١٩٨٦) من التصريح بان النظام التشيكي يسعى الى "استعباد الكنيسة" معبرا عن ارتياحه ليقظة الايمان لدى الشباب التي شهدتها وتشهدها السنوات الاخيرة (عن جريدة لاكروا: ٢آب ١٩٨٦).

والخلاصة هي ان يقظة دينية شقت طريقها -بفضل العديد من الكهنة والرهبان الذين منعوا من ممارسة واجباتهم- الى الشباب التشيكي الذي لم يعد يحتمل الدعاية الالحادية. ومن علامات هذه اليقظة ارتفاع نسبة الممارسة وتصاعد عدد المشاركين في الحج الى المزارات الشهيرة في البلاد، والتهافت على قراءة الكتاب المقدس والكتب اللاهوتية والروحية... ويقول جاك روبنيك في ختام مقاله بان هذه اليقظة التي يقف حيالها النظام بدهشة وتساؤل، هي بمثابة رد فعل على القمع الذي مارسته الدولة بحق المؤمنين، بحيث يمكن القول بان النظام اسهم في خلق "كنيسة الديناميس" التي اصبحت رمزا للمعارضة: "ان اليقظة الدينية هي جواب المجتمع على محاولات الدولة الى جعل الماركسية اللينية أشبه بدين". ويضيف بان الجيل الجديد الذي لم يعرف ربيع ١٩٦٨ اخذ يرى في المسيحية "بديلا" لما تقدمه الايديولوجية الماركسية!

---

[١] حرم جان هوس عام ١٤١٢ واحرق حيا عام ١٤١٥، وانقسم تلاميذه الى جناحين. وبعد الحرب التي خاضوها (١٤١٩- ١٤٣٦) واسفرت عن بعض التنازلات من جانب الكنيسة، خضع الجناح المعتدل لتاثير الاصلاح اللوثري، فيما شكل الجناح المتشدد "اتحاد الاخوة الموراف".

[٢] تضمنت حملة التصفية القاء القبض على كافة الاساقفة وفي مقدمتهم الكردينال بيران رئيس اساقفة براغ، وتشغيل حوالي ٣٠٠٠ كاهن "من مجموع ٧٠٠٠" في معسكرات العمل واعتبارهم موظفين في الدولة يتقاضون رواتبهم منها، مما يخولها الحق في فصل غير المرغوب فيهم وتعيين من يبدون اكثر ولاء لها... كما تمت مصادرة ممتلكات الكنيسة وفي مقدمتها الاراضي (٣٢٠٠٠٠ هكتار). والغيت كافة الرهبانيات واعتقل ٨٠٠٠ راهب من مجموع ١٢٠٠٠، وامتدت سيطرة الدولة الى المدارس الاهلية والمعاهد الكهنوتية وكليات اللاهوت ما عدا معهدين، ومنعت كافة وسائل النشر الدينية، واتلفت ملايين الكتب من المكتبات (٢٧ مليون كتاب بين الاعوام ١٩٤٨ - ١٩٥٥) الخ....

[٣] - ما بين المصادر التي اعتمدناها في هذا الملف، نخص بالذكر:
- عدداً من مجلة Missi(ك١ ١٩٨٢)
- مقالا في مجلة Etudes (ايلول ١٩٨٦) بقلم جاك روبنيك.

[٤] لم يتردد الكردينال بيران من التصريح في المجمع المسكوني بان الكنيسة الكاثوليكية في تشيكوسلوفاكيا تدفع

الان ثمن اخطائها الماضية ضد الحرية الدينية، وفي مقدمة هذه الاخطاء حرق جـان هـوس في القـرن ١٥ والاكراه على العودة الى الكثلكة في القرن ١٧!

(٥) الى جانب المطالبة بعودة الاساقفة الى ابرشياتهم وعودة الكرديناال بيران من روما –وكان قد اطلق سراحه واجبر على مغادرة البلاد–شدد الكاثوليك على استقالة الاب بلوشار من رئاسة حركة "كهنة مـن اجـل السلام". وقد خلفتها عام ١٩٧٠ حركة مماثلة بقناع اخر "السلام في الارض" –وهو عنوان رسالة عامـة للبابا يوحنا ٢٣– للترويج بان التوجهات المسيحية تلتقي مع النظام الاشتراكي؛ وينتمي اليها كافة الاساقفة عدا الكرديناال توماسيك رئيس اساقفة براغ وحوالي ثلث الكهنة.

(٦) لم يتردد بعضهم من اقام المسؤولين الكنسيين بالتواطؤ مع الدولة. فلقد كتب اللاهوتي الكاثوليكي جوزف زفيرنا الى الكرديناال توماسيك:" لقد تكلمت الشرعة عن حقوق الانسان والمواطن وعن الحريـة الدينيـة –وتلك مواضيع كان عليك ان تتحدث عنها قبل كل احد (...) الا يعني ذلك انك تـستهين بالكنيـسة والدين! ونجد لدى بعض الفلاسفة البروتستنت انتقادات مماثلة لكنيستهم ركزت على خط السير في اتجـاه النظام.

(٧) كشفت مطاردة الدولة لنشاط المسيحيين السري عن ان هناك نتاجا دينيا ينشر في الخفاء لم يسبق له مثيل، ولا يوازيه النتاج الادبي الذي شق طريقه هو الاخر. فلقد احصي عام ١٩٨٢ اكثر من ٧٠٠ كتاب ديني طبع في مطابع سرية، فضلا عن بعض المجلات. وكلها تلقى رواجا كبيرا لدى الشباب بنوع خاص.

(٨) اعلان الاخوين القديسين قورلس وميتوديوس "رسولي السلاف وشفيعي اوربا" ورغبته في حضور احتفالات الذكرى المئوية الحادية عشرة لوفاة القديس ميثوديوس – تموز ١٩٨٥– وان لم تـستجب (راجـع ف.م. اب/ايلول ١٩٨٥).

(٩) وافق صدور هذا المرسوم زيارة الاساقفة التشيكيين للبابا، ولم يخف على احد ان هذا التحذير شمل "منظمة السلام في الارض" التي سرعان ما اخذت تفقد العديد من اعضائها. وكان هذا الموقف في اصل تأزم العلاقة بين تشيكوسلوفاكيا والكرسي الرسولي، بالرغم من محادثات وزير خارجيتها مع البابا عام ١٩٨٣، وزيارة مبعوث الفاتيكان الى براغ عام ١٩٨٤ (راجع ف.م. نيسان/ايار ١٩٨٤).

(١٠) عرف فرنسيس توماسيك السجن في الخمسينات، وبعد اطلاق سراحه، تعين مدبرا رسوليا لابرشـية براغ عام ١٩٦٥، في اعقاب مغادرة الكرديناال بيران البلاد، ورقي الى رتبة الكرديناالية في حزيران ١٩٧٧. ولا يزال في منصبه كرئيس اساقفة براغ بالرغم من تجاوزه سن الاستقالة، وذلك على طلب من البابا.

النمسا من آل هابسبورغ الى فالدهايم

النمسا، هذا البلد المسالم، وريث امبراطورية آل هابسبورغ التي امسكت بزمام اوربا قرابة ٧ قرون، سلطت عليها الاضواء بفرصة انتخاب كورت فالدهايم رئيسا للجمهورية في حزيران ١٩٨٦ واستقبال البابا له في حزيران الماضي - وهو المتهم بجرائم قتل ابان الاحتلال النازي للنمسا..

تلك فرصة للفكر المسيحي كي تسلط الاضواء، انطلاقا من هذه الاحداث، على تاريخ هذا البلد الكاثوليكي العريق وعلى كنيسة عرفت ان تكون، بوحي من المجمع ، خميرة فاعلة في المجتمع النمساوي ووسيطة سلام بين شطري اوربا.

●

قلما سلطت الاضواء على النمسا، هذا البلد المحايد، كما سلطت عليه في الاونة الاخيرة ابان انتخابات الرئاسة، حين كان على الساحة منافسان: كورت ستاير مرشح الحزب الاشتراكي، وكورت فالدهايم مرشح حزب الشعب ذي النزعة اليمينية. وسرعان ما انطلقت حملة عشواء ضد فالدهايم قادها المؤتمر اليهودي العالمي الذي الصق به "جرائم الحرب" ابان الحكم النازي.

النمسا في ظل كورت فالدهايم

كل شيء بدأ حين أقدم السكرتير العام السابق للامم المتحدة على ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية النمساوية، فكان لا بد "لملفه" ان يفتح ولاوراقه ان تكشف! وملخص القضية ان فالدهايم متهم بجرائم قتل اقترفت في البلقان بين الاعوام ١٩٤٢-١٩٤٤، وهي الاعوام التي لفها الصمت وتجاهلها هو ذاته. من المحتمل ان يكون فالدهايم (وهو الكاثوليكي المحافظ) قد تورط، مع مئات الالوف من مواطنيه ابان الاحتلال النازي للنمسا، حين كان ضابطا في الجيش، في فرقة ويهرماخت.ولكن التساؤل يفرض نفسه: لماذا هذه الاتهامات في هذا الوقت بالذات؟ ولماذ هذا "النبش" حول ماض شخص رفعته كل الدول، وعلى دفعتين، الى منصب السكرتير العام للامم المتحدة منذ عام ١٩٧٢؟

ومهما يكن من دوافع هذه الحملة التي شنها اليهود[١]، فان النمساويين استطاعوا ان يصمدوا بوجه هذا "التدخل في شؤونهم" ويسكتوا عن "صمت" —او كذب— فالدهايم الذي لم يدافع عن نفسه الا بعبارة: "قمت بواجبي"! فصوتوا الى جانبه في ٨ حزيران ١٩٨٦ وبنسبة ٥٣،٩ %، وبقي عليه هو ان يستعيد مصداقيته التي تخلخلت قليلا ويعيد للنمسا تلك الصورة التي ما انفكت ترسمها لذاتها منذ ٤٠ عاما، صورة بلد جعل من الحياد رمزا للتعايش السلمي.

وما كادت الاضواء تخفت، واذا بها تعود لتتسلط من جديد على الرئيس النمساوي الجديد في اول زيارة له خارج النمسا، حين استقبله البابا يوحنا بولس الثاني في الفاتيكان في ٢٥ حزيران الماضي. ولسنا نكشف سرا اذ ا قلنا بان المنظمات اليهودية لم تتاخر في الافصاح عن ردود فعلها الحاقدة[٢] والتي كانت ردّاً على بعض التصريحات التي ادلى بها رجال كنيسة من وزن الكردينال ديكورتراي (ليون) والكردينال لوستيجير (باريس)! وفيما كان فالدهايم في حضرة البابا، كان نفر من اليهود يتظاهرون في ساحة القديس بطرس عبر شعارات معادية:" كيف يفلت من يد العدالة، ويستقبل في الفاتيكان؟"، "المدينة المقدسة تستقبل نازيا!" الخ...

وهنا ايضا يفرض السؤال نفسه: لماذا قبل البابا ان يستقبل، وقبل اية دولة، كورت فالدهايم؟ بالرغم من تصريحات الفاتيكان من ان البابا لا يرفض طلبا بالمقابلة يتقدم به رؤساء الدول، وانه استقبل فالدهايم بصفته رئيسا للنمسا وليس بصفة شخصية...فان التساؤل يبقى قائما حول السرعة التي تمت بها هذه الزيارة! ولا شك ان احد العوامل التي حملت البابا على قبول زيارة رئيس النمسا الجديد يكمن في المكانة التي تحتلها النمسا في نظره، بصفتها جسرا بين الشرق والغرب، ويعز عليه ان تفقد دور الوساطة الذي تلعبه في الصراع القائم بين شطري اوربا. ولنقلها بوضوح، كما تردد في الاوساط الرومانية عقب الزيارة: لقد برهن يوحنا بولس الثاني على صموده بوجه الضغوط الامريكية واليهودية، و لم تثنه انتقادات الاوساط اليهودية التي تعكس مواقفها هذا الشعار: من ليس لهم فهو عليهم! وكأنها تناست مواقف البابا الجريئة وادانته المتكررة للنازية، ونخص بالذكر تصريحاته الاخيرة في زيارة لالمانيا ولوطنه بولونيا.

ان هذه الاحداث التي اقلقت، لاكثر من عام، راحة النمسا، كانت فرصة للفكر المسيحي كي تلتفت الى هذا البلد الامن ذي التاريخ العريق، وقد زاره البابا عام ١٩٨٣ (راجع ف.م. ك١ ١٩٨٣) وسيزوره مجددا في العام المقبل.

النمسا... امبراطورية طويلة المدى

في عام ١٩٧٦ احتفلت النمسا بالذكرى الالفية لتاسيسها، الا ان تاريخها الحقيقي بدأ عام ١٢٧٨ حين انتخب الامراء الالمان رودولف آل هامبسبورغ ملكا، والذي ما عتم ان تسلط على فيينا وكل الاراضي النمساوية في معركة مارشفيلد الشهيرة. ومنذئذ نشات امبراطورية مترامية الاطراف شملت بلدان اوربا الوسطى واسبانيا، وبعاصمتين: فيينا ومدريد. ودام حكم آل هامبسبورغ اكثر من ٦٠٠ عام تمتعت النمسا خلالها بمكان الصدارة بين دول اوربا، سياسيا واقتصاديا وحضاريا ودينيا... وكان من ابرز اباطرتها شارل الخامس (١٥١٩-١٥٥٦). وتعكر سلام النمسا مرتين حين شرعت الامبراطورية العثمانية تناصب اوربا العداء، واستطاعت قواتها ان تبلغ الى ابواب فيينا وتحاصرها مرتين: عام ١٥٢٩ وعام ١٦٨٣، و لم يستتب السلام الا بعد معاهدة كارلويتز عام ١٦٩٩

باعتراف العثمانيين بحقوق آل هامبسبورغ على المجر.ولقد احتفلت النمسا عام ١٩٨٣ بالذكرى المئوية الثالثة لتحريرها بفضل جيوش الحلفاء، ذكرى طالما تطرق اليها البابا لدى زيارته للنمسا في ايلول ١٩٨٣.

ومع امتداد نفوذ آل هابسبورغ اصبحت لفيينا مكانة مرموقة بين عواصم العالم، واخذت تستقطب رجال السياسة والادب والفن والموسيقى، ولا سيما في القرن ١٨ ابان حكم الامبراطورة ماري – تيريز (١٧٤٠ - ١٧٨٠)، والتي بنت قصر شونبرون الشهير. وكان على "امبراطورية النمسا" ان تواجه نابليون الذي ما عتم ان احتل فيينا، عام ١٨٠٩، فلم يكن بوسع الامبراطور فرانسوا الاول سوى ان يختار سبيل السلم ويقدم ابنته ماري لويز زوجة لنابليون!

وعرفت البلاد فترة انتفاضات سياسية واجتماعية ابان حكم فرديناند الاول، الا ان الدوقة صوفيا استطاعت بفضل ولاء الجيش لها، ان تخنق ثورة ١٨٤٨ في مهدها وترفع الى العرش ابنها فرانسوا جوزيف الاول الذي دام حكمه ٦٨ عاما (١٨٤٨- ١٩١٦). وشهد عهده حروبا واضطرابات كانت ابرزها الحرب الايطالية (١٨٥٩) والحرب النمساوية- البروسية (١٨٦٦). وفي عام ١٨٦٧ ولدت "الامبراطورية النمساوية – المجرية" وكانت تمتد على رقعة ٦٧٦٢٥٠ كم٢ ويسكنها ٥١ مليون نسمة بينهم نمساويين والمان ومجريون وتشيكيون وبولونيون وصربيون الخ..

وفي عام ١٩١٤، وعلى اثر مقتل ابن شقيق الامبراطور فرانسوا جوزيف، على يد وطنيين صربيين، اعلنت النمسا حربا على صربيا التي هرعت روسيا وفرنسا لنجدتها.. ونشبت الحرب العالمية التي اسفرت عام ١٩١٨ عن سقوط الامبراطورية وتلاشي عهد الامبراطوريات ونشوء دول صغيرة. وهكذا عادت النمسا الى حجمها الطبيعي: جمهورية فيدرالية يسكنها ٧ ملايين نسمة على رقعة لا تتجاوز ٧٠٠٠٠ كم٢. ولم يمض سوى ٢٠ عاما من حياة هذه الجمهورية الفتية، واذا بنوايا ادولف هتلرالتوسعية تلتقي بتطلعات الشعب النمساوي الذي رحب بانضمام بلاده الى المانيا النازية عام ١٩٣٨، فيما لقي حتفهم الوف الوطنيين النمساويين الذين ابدوا مقاومة للاحتلال النازي. وفي اعقاب الحرب العالمية الثانية احتل الحلفاء النمسا (فرنسا، بريطانيا، الاتحاد السوفييتي، الولايات المتحدة) طيلة عشر سنوات تمخضت عن معاهدة وقعها وزراء خارجية الدول الاربع في ١٥ ايار ١٩٥٥ وحصلت النمسا بموجبها على استقلالها مجددا وبقائها على الحياد بين الاطراف الدولية.

النمسا...كثلكة باضواء وظلال

النمسا "بلد كاثوليكي" بنسبة ما يقارب ٩٠% وان لا تحمل هوية النمساويين الرسمية اية اشارة الى هذا الجانب! فكل شبر يحكي تأصل الكثلكة فيه، وعلى مختلف الاصعدة العمرانية والادبية والفنية.. وخير شاهد تلك الاديرة القديمة المبعثرة في جباله والكاتدرائيات الرائعة في مدنه. ويشير المؤرخون الى ان دخول المسيحية اليها يرقى الى

القرن ٥، ولكنها لم تزدهر الا في القرن ٨ مع اسقفية سالزبورغ وانتشار الاديرة التي انشأها الامراء لتكون مراكز اشعاع: فمن رهبان القديس كولومبان وبندكتس (القرن ١١- ١٢) الى الدومينيكان والفرنسيسكان (القرن١٣)، الى اليسوعيين والكبوشيين والكرمليين الخ...(القرن١٦).

وكانت الكثلكة دين الامبراطورية الى ان شق بعض البروتستنت طريقهم، ومنذ عام ١٥٢٠، الى سالزبورغ وفيينا. وتغلغلت حركة الاصلاح بين صفوف النبلاء المحررين والنمساويين كرد فعل على سيطرة الاباطرة؛ ومما اسهم في انتشارها ضعف الادارة لدى خلفاء فرديناند الاول من جهة، والفوضى التي احدثتها الهجمات التركية من الجهة الاخرى. وكان ينبغي انتظار الامبراطور ماثياس عام ١٦١٢ ليشن حربا عشواء على اتباع لوثر وكلفن بحجة الحفاظ على وحدة الامبراطورية؛ ومنذئذ انطلقت حملة مضادة للاصلاح دامت قرنا ونصف تخللتها حروب ضارية سفكت فيها دماء من كلا الجانبين. وفيما افلح القمع في بوهيميا والنمسا السفلى في فرض الكثلكة وارغام البروتستنت على الارتداد والهجرة، لقي هذا القمع ذاته مقاومة مسلحة في المجر قادها النبلاء واسفرت عن اعلان الحرية الدينية عام ١٧١١.

وظلت الكثلكة "حليفة" العرش طيلة اجيال وحتى ابان عهد الجمهورية الاولى (١٩٢٢- ١٩٣٨) عبر حزب الشعب الذي يستلهم مبادىء الديمقراطية المسيحية، ويحظى بدعم وتاييد رجال الكنيسة. وتجدر الاشارة الى ان اول مستشار كان المونسنيور سيبل الذي انقذ البلاد من الافلاس واحدث بعض الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية. وفي اخر الثلاثينات، بلغت الازمة الاقتصادية اوجها، وتحولت انظار النمساويين (الكاثوليك) نحو المانيا الهتلرية التي تشدهم اليها روابط تاريخية عميقة، وهكذا دخل هتلر فيينا دخول الفاتحين! وما ان انكشفت اوراقه، واذا بالعديد من الوطنيين النمساويين —بينهم مئات الكهنة والعلمانيين— يدفعون غاليا ثمن وقوفهم بوجه الاحتلال النازي.

كنيسة وسيطة بين الغرب والشرق

حين نتكلم عن النمسا، تنتصب امامنا للحال صورة فرانس كونيك رئيس اساقفة فيينا منذ عام ١٩٥٦ الذي ترك بطابعه على كنيسة النمسا في فترة ما بعد الاستقلال، وعلى مدى ثلاثين عاما؛ وهو"رجل الوسط" الذي ابى ان تبقى الكنيسة تحمل وزر تحالفها مع العرش طيلة حكم ال هبسبورغ. فراح يسعى الى وضع ضوابط لتعاملها مع الدولة من دون ان تثنيها هذه الروابط والحدود عن التزامها ببناء المجتمع النمساوي ومسؤولياتها في توطيد اسس السلام بين شطري اوربا.

وبرز اسم الكردينال فرانس كونيك ابان المجمع الميكوني بتدخلاته الجريئة حول العديد من الوثائق، وعظمت مكانته حين تسلم عام ١٩٦٥ رئاسة سكرتارية غير المؤمنين التي انشاها البابا بولس السادس؛ واليه يعود الفضل في انجاح سياسة الانفتاح على اوربا

الشرقية التي تبناها الكرسي الرسولي، فكان اول من عبر "الستار الحديدي" بدءا بزغرب (يوغسلافيا) وبودابست (المجر) وفرصوفيا (بولونيا) وبراغ (تشيكوسلوفاكيا). ولقد صرح في مقابلة اجرتها معه مجلة A.R.M (عدد٤ - ١٩٨٣): "ادركت بأن تاريخ وجغرافية فيينا يفرضان على رئيس اساقفتها ان يتطلع دوما نحو الشرق"، ويقينه ان الحوار ضرورة ملحة، ليس مع رجال الدولة في اوربا الشرقية حسب، وانما مع الكنائس الارثوذكسية فيها ايضا، ويجب من ثم على فيينا ان تلعب دور الوساطة في هذا الحوار.

هوية النمسا

جمهورية في قلب اوربا تحدها المانيا الغربية وسويسرا وليختنشتاين وايطاليا ويوغسلافيا والمجر وتيشكوسلوفاكيا. مساحتها ٨٣٨٤٩ كم٢ ونفوسها ٧،٥ مليون، معظمهم من اصل جرماني ويتكلمون الالمانية. يشكل الكاثوليك غالبية السكان (٨٧%)، الى جانب ٦% من اللوثريين واقليات من المصلحين والكاثوليك القدماء وبضعة الاف من اليهود. عاصمتها فيينا (اكثر من مليون ونصف) وتعتبر المقر الثالث للامم المتحدة.

تمثل مرتفعات الالب ٧٠% من المساحة، ومرتفعات بوهيميا ٢٠%، وبالكاد تمثل السهول ١٠%. وتتمتع النمسا بغابات كثيفة تمثل ٣٧% من اراضيها، كما لها ثروات طبيعية كالحديد والنفط والغاز الطبيعي والطاقة الكهربائية.... فهي من ثم بلد صناعي زراعي.

وتعتبر النمسا من البلدان السياحية، يؤمها حوالي ١٣ مليون نسمة سنويا، تجتذبهم جبالها بثلوجها الخالدة —ولا سيما في منطقة التيرول في غرب البلاد— ومدنها ذات الطابع الخاص والتي تستقطب محبي الفن وعاشقي الموسيقى (كراس، سالزبورغ، انسبروغ)... فضلا عن الوف القرى الرائعة المبعثرة والتي يعيش فيها حوالي نصف سكان النمسا، وبكثافة تتراوح بين ١٠٠٠ — ١٠٠٠٠ نسمة.

تقسم النمسا الى تسع مقاطعات، لكل منها مجلس اقليمي. وينتخب رئيس الجمهورية بالاقتراع العام وهو الذي يعين المستشار ووزاراته. ويتقاسم النمساويين حزبان رئيسان: الحزب الاشتراكي وحزب الشعب الذي كان متفوقا طيلة فترة ما بعد الحرب الثانية، الا انه مني بخسارة عام ١٩٧٠ حين اوصل الحزب الاشتراكي الى منصب المستشار برونو كرايسكي الذي استطاع ان يحقق تحولات اجتماعية واقتصادية هامة. وفي عام ١٩٨٣ اضطر كرايسكي الى الاستقالة وتشكلت حكومة ائتلافية من الحزبين الاشتراكي والليبرالي. وفي انتخابات الرئاسة لعام ١٩٨٦ خرج حزب الشعب من صمته وقاد الحملة الانتخابية لصالح كورت فالدهايم.

كنيسة على طريق التجدد

ان اهتمامات الكردينال كونيك بشؤون الكنيسة الجامعة لم تنسه مسؤولياته تجاه ابرشيته وسائر الابرشيات التي تتوزع على مقاطعات النمسا التسع، وتضم ٣٠٦٣ خورنة يخدمها ٦٦٦٤ كاهنا بينهم ٢٢٠٦ رهبان، فضلا عن ١٠٣٦٦ راهبة (عن MISSI- عدد١٠- ١٩٨٣). ففي اعقاب المجمع، انكب رئيس الاساقفة والمصف الاسقفي النمساوي على تحريك المياه في كنيسة انهكها ثقل التقليد طيلة اجيال، وانطلقت حركة تجدد واسعة النطاق شملت العديد من الميادين وابرزها: التجدد الليتورجي، الحركة المسكونية، مشاركة العلمانيين في العمل الكنسي الخ... فالى هذه الكنيسة التي لفحتها

رياح المجمع —وبقي عليها ان تستوحيه في توجهاتها نحو عالم العمال والطلبة البعيدين عن الكنيسة— ذهب البابا يوحنا بولس الثاني عام ١٩٨٣ ليذكرها بمسؤولياتها في تطعيم المجتمع النمساوي والاوربي بالروح المسيحية الاصيلة: "لتكن لكم الشجاعة والقوة المستمدتين من مسؤولياتنا المسيحية كي تلتزموا حتى بالسياسة والحياة العامة من اجل خير الانسان والمجتمع في بلادكم والى ما وراء الحدود".

وسيرجع الكردينال كونيك صدى هذا النداء في ١٢ ايار ١٩٨٥، بمناسبة الاحتفالات بالذكرى الاربعين لتحرير النمسا والثلاثين لاستقلالها، حين ناشد النمساويين الكاثوليك للسعي لبناء مجتمع. ينفي كل اشكال الانانية والانطواء والروح الاستهلاكية.. ويؤمن بقيم الاخوة والعدالة والتضامن والسلام..

... ثريلة الا تسلل مصيرتها!

وكان لا بد لكنيسة النمسا ان تدع عميدها الكردينال كونيك (٨٠ عاما) يغادر، كرسي فيينا — وقد قبل البابا استقالته في ٦ ايلول ١٩٨٥ بعد ان ارجأها ٥ سنوات — ليتسلم زمامها المونسنيور هرمان كرويز الذي عين في ١٦ تموز ١٩٨٦، وكان تعيينه مفاجأة للكثيرين! ومثل هذه التعيينات —المفاجاة كررها البابا في آذار الماضي حين عين الاب كورت كرين اسقفا مساعدا لفيينا— وهو الرابع[٣] في هذا المنصب، وينتمي الى تيار المحافظين. وقد اثار تعيينه ردود فعل عنيفة في صفوف الكاثوليك[٤]، ليس بسبب هذا الاختيار حسب، وانما بسبب صيغة التعيين الذي لم تسبقه اية استشارات بين المؤمنين.

الا ان غضب كنيسة النمسا تصاعد في اعقاب تصريحات الكردينال النمساوي الفونس ستيكلر — عضو الكوريا (المجامع) الرومانية والمقيم في روما — الذي قال بان البابا شاء بهذا التعيين "احتواء بعض النزعات التي لا تتجاوب مع انتظاراته"! و لم يتردد الكردينال من توجيه اللوم الى مجلس الاساقفة النمساويين "لمرونته" وتساهله مع تعليم الكنيسة الرسمي.. وقد رد المجلس بشدة على هذه الهجمات، بلسان رئيسه المونسنيور بيرغ رئيس اساقفة سالزبورغ، معتبرا "اهانة" التشكيك بامانة الكاثوليك النمساويين، ومعلنا بأن البابا "لم يطلب اليهم ابدا تغيير توجهاتهم الراعوية".

هذه الامانة ستوضع على المحك لدى زيارة البابا الثانية للنمسا في ايلول ١٩٨٨، وسيترتب على كنيسة النمسا ان تبرهن على امانتها للكنيسة الجامعة، مع بقائها امينة للتوجهات التي تبنتها بوحي من المجمع المسكوني.

---

(١) ان التهديدات التي اطلقها رئيس المؤتمر اليهودي العالمي، في حالة فوز كورت فالدهايم، لم تبق مجرد كلام وانما تجسدت في الضغوط التي مارسها اليهود على وزارة العدل الامريكية حين اعلنت في ٢٨ نيسان الماضي حظرا على دخول كورت فالدهايم الى الولايات المتحدة! وقد سرى هذا الحظر الى عدد من الدول.

(٢) اتسمت بعض ردود الفعل بالتطاول والتهجم الرخيص: فاحتج رئيس المؤتمر اليهودي الاوربي

قائلا:" لماذا نساعد فالدهايم على الهروب من ماضيه؟" ووصف المؤتمر اليهودي العالمي الزيارة انها "مأساة للفاتيكان ويوم اسود للعلاقات بين الديانتين اليهودية والمسيحية". وفيما طالب الكنيست اليهودي بـ "ايضاحات"، لم يتردد اسحاق شامير من القول بان بادرة الفاتيكان "ستفسّر في العالم بمثابة تبرير للجرائم"! الخ...

(٣) من الجدير بالذكر ان رئيس اساقفة فيينا الجديد عهد الى كل من الاساقفة المساعدين الاربعة حقلا من حقول العمل الراعوي (الزيارات الراعوية، تاهيل الكهنة والعلمانيين، الارساليات واعانات التنمية، شؤون العلم والفن والثقافة – وهذه سيتفرغ لها الاسقف الجديد بصفته استاذ اللاهوت ونظرا لاهمية هذا القطاع (في فيينا وحدها ٨ جامعات تضم ١٠٠٠٠٠ طالب و١٢٠٠ استاذ و٣٠٠٠ استاذ مساعد).

(٤) نقلت مجلة A.R.M (عدد ٤٤– ١٥ نيسان ١٩٨٧) رد فعل مجلس "العمل الكاثوليكي" الذي، في تصريح له، دعا "الا تتشوه صورة كنيسة منفتحة" عرفها الكاثوليك النمساويون منذ الفاتيكاني الثاني، وطالب بتغيير اسلوب التعيين بشكل يتيح لشعب الله ان تكون له فيها كلمة. من جهة اجرى كتب مسؤولو ١٧ خورنة كبرى في فيينا رسالة مفتوحة الى الاسقف المعين، قبيل رسامته، يطلبون فيها اليه ان يتخلى عن المهمة التي وكلها اليه البابا "حرصا على وحدة الابرشية" التي ستتاثر بالتوجهات التي يحملها والتي "لا تلتقي مع التوجهات التي تبناها الكثيرون في الابرشية"! وخلصت الرسالة الى القول:" لكثير من الكهنة والعلمانيين بدا تعيينكم وكأنه ادانة لجهودهم طيلة سنوات!".

المصادر

- Missi, No 10- 1983
- Encyclopedia Universalis, Corpus 3, Paris 1985
- A.R.M., NNoo 4, 1983, 39, 1986,44,1987
- La Croix, NNoo. 30 avril 1986 , 20, juin- 27 juin 1987
- La Vie , No . 2183,4 juillet 1987.

مقالات ١٩٨٨

+ ١٠٠٠ سنة على تنصر روسيا/ش.ر/شباط- آذار
** اللاعنف: روحانية وموقف/ملف/أيار
+ الطفل ابن الكنيسة/عدد خاص/ت١ - ت٢

١٠٠٠ سنة على تنصر روسيا

إذا احتفل الاتحاد السوفييتي في ت٢ الماضي بالذكرى السبعين على ثورة اكتوبر (٢٥ ت١ - ٧ ت٢)، فالكنيسة الروسية تحتفل هذا العام بذكرى مرور ١٠٠٠عام على عماذ فلاديمير امير كييف مع ابناء شعبه! فمن كييف (اوكرانيا) امتدت المسيحية الى طول البلاد وعرضها، وما زالت نوفكورود وفلاديمير وباروسلاف وموسكو وزاكورسك الخ... تحكي امجاد تلك الحضارة التي وسمتها المسيحية البيزنطية بطابعها الخاص...

من "روسيا المقدسة" لم يبق اليوم سوى ٧٠٠٠ كنيسة في خدمة حوالي ٥٠ مليون (من مجموع ٢٧٠ مليون) ينتمي معظمهم الى الكنيسة الارثوذكسية الروسية التي تتطلع الى استعادة حقوقها وحرياتها في ظل سياسة الانفتاح التي انتهجها الزعيم السوفييتي ميخائيل كورباتشوف.

بمناسبة الذكرى الالفية على دخول المسيحية الى البلاد الروسية، يضع المقال التالي هذا الاحتفال بين امجاد الماضي وواقع اليوم وتطلعات المستقبل...

تحتفل الكنيسة الارثوذكسية الروسية هذا العام بذكرى مرور الف سنة على دخول المسيحية الى البلاد عن طريق كييف (اوكرانيا) التي ما زالت تفاخر بانها كانت المنطلق لمسيحية تأصلت في اعماق الشعب الروسي وطبعت في الصميم بلدا التصق تاريخه وحضارته وفنونه بالمسيحية. وما زال — بالرغم من سبعين عاما في ظل النظام الشيوعي — يفخر باديرته العريقة وكنائسه الرائعة ذات القباب الذهبية، وتراثه الديني الزاخر، وفنه الساحر الذي خلدته الرسوم الجدارية والايقونات الناطقة التي تملأ الكنائس والمتاحف

(راجع ف.م. ساحة الكاتدرائيات في موسكو – ت١ ١٩٨١). الف سنة على عماذ اولئك المسيحيين الاوائل الذين ورثوا عن القسطنطينية –وكانت في اوج مجدها على الصعيدين الديني والسياسي– ايمانهم العميق الذي تعكسه تلك الليتورجيا البيزنطية المهيبة التي كانت وما زالت رصيدا ثريا تعتز به الكنيسة الروسية ايما اعتزاز، وتعتبره اليوم وسيلتها الوحيدة –في غياب الوسائل الاخرى– لنقل الايمان الى احفاد اولئك المسيحيين؛ وقد اخذوا اليوم، وفي اعقاب ٧٠ عاما من الدعاية الالحادية والحملة المعادية للدين، يطرحون تساؤلاتهم العميقة عن الله والمسيح والكنيسة ومعنى الوجود الخ... مما يشير الى يقظة دينية اكيدة ولا سيما في صفوف الشباب، يقظة هي اليوم موضوع تساؤلات جادة لدى واضعي الاستراتيجية الالحادية!

اوليست هذه "الليتورجيا المقدسة" التي يشارك فيها اليوم، في الكنائس القليلة المفتوحة للعبادة، شعب لا يكل من الوقوف ساعات طويلة، لا يكف خلالها يرسم عشرات "اشارات الصليب" باصابع اليد الثلاثة. –ومن اليمين الى اليسار– دليلا على تواصل بشرى الانجيل عبر ما ترددة الليتورجيا البيزنطية السلافية من هتافات ايمانية، وما تعرضه من غذاء لاهوتي وروحي دسم عبر المواعظ والاناشيد والفروض والقراءات الخ...

اوليست هذه الطقوس التي يحتل فيها السر الفصحي مكانة القلب –"المسيح قام من بين الاموات ووطيء الموت بالموت..."– عربون امل ورجاء بعودة الحياة الى كنيسة جردت من كل اوجه النشاط الديني واصبحت سجينة المعابد؟ مثل هذا الرجاء تعيشه الكنيسة الروسية كل يوم وتغذيه عبر المضايق والمضايقات التي عرفتها في السبعين سنة الاخيرة من تاريخها الالفي.

احتفالات الذكرى الالفية

كانت الاستعدادات. منذ عام ١٩٨٠، على قدم وساق للاحتفال بالذكرى الالفية لتنصر الشعوب الروسية. وفي بدء هذا العام اعلن البطريرك بيمين بطريرط موسكو وعموم روسيا بان عام ١٩٨٨ هو عام يوبيلي للكنيسة الارثوذكسية الروسية. وستبدأ الاحتفالات الرسمية بهذه الذكرى في ٥ حزيران المقبل باحتفال ليتورجي كبير يجري في كاتدرائية موسكو، ويليه مجمع مقدس يعقد من ٦- ٩ حزيران في دير الثالوث بزاكورسك يتمثل فيه اساقفة وكهنة ومؤمنون من الابرشيات ال ٧٦ داخل الاتحاد السوفييتي ومن الابرشيات الخمس عشرة في الخارج. وفي ١٠ حزيران ينطلق اعضاء المجمع الى العديد من المدن الروسية (كييف، فلاديمير، لينينغراد...) لاجراء احتفالات صلاة بهذه المناسبة. ويواصل المطران فلاديمير، في مقابلة اجرتها معه صحيفة لاكروا الفرنسية (٢٤ ك١ ١٩٨٧)[1] تصريحاته قائلا بان الدولة لا تشارك رسميا بهذه الاحتفالات التي تحتفظ بطابعها الديني، وان كانت ملتصقة بتاريخ روسيا، الا انها تبدي تفهما وتعاونا تجسَّدا في اعادة دير مار دانيال في موسكو ودير اخر في ياروسلاف وعدد من الكنائس التي كانت مغلقة حتى الان، فضلا عن "انها فسحت لنا المجال لطبع الكتاب المقدس وبعض الكتب الطقسية، كما

وعدت بتصوير كل الاحتفالات التي ستجري بهذه المناسبة". وعلى سؤال حول مشاركة الكنائس المسيحية في احتفالات الذكرى الالفية، اجاب المطران فلادمير: "كنيستنا عضو في مجلس الكنائس العالمي، ومن ثم فنحن نرحب بمشاركة كل اخواننا المسيحيين"، واستطرد قائلا بان الكنائس الكاثوليكية والبروتستنتية في الاتحاد السوفييتي تستعد للمشاركة، واوضح سيادته بان دعوات توجهت الى البطريرك المسكوني والبابا وكافة رؤساء الكنائس المسيحية في العالم. وفيما اكد بان البطريرك المسكوني دمتريوس الذي زار موسكو في الصيف الماضي وعد بانه سيعود في الصيف القادم، اكتفي بالقول حول احتمال مشاركة البابا: "القرار هو بيد روما" — ومعلوم ان مثل هذا القرار يتعلق بموافقة السلطات السوفييتية من جهة، ومن جهة اخرى بالشروط التي يضعها الكرسي الرسولي لمثل هذه الزيارة، وفي مقدمتها ان يتاح للبابا القيام بزيارة راعوية الى كاثوليك جمهوريات البلطيق، فضلا عن الحقوق والحريات التي يطالب بها لهم ولكاثوليك اوكرانيا الشرقيين[٢] الذين لا تعترف بهم الدولة، ويلح الفاتيكان ان يعترف الكرملن بشرعية الوجود للكنيسة الاوكرانية الكاثوليكية.

الكنيسة الكاثوليكية في الاتحاد السوفييتي

يقدر عدد الكاثوليك في الاتحاد السوفييتي ب ١٢— ١٣مليون هم في معظمهم من اصل بولوني او الماني وينتمون الى الطقس اللاتيني. اما الكاثوليك الشرقيون من الطقس السلافي، فهم "المتحدون" بروما منذ عام ١٥٩٦، ولم يعودوا سوى اقلية ضئيلة (راجع ف.م: الكاثوليك في الاتحاد السوفيتي — نيسان ١٩٨٠).

- الكاثوليك اللاتين: يعيشون في جمهوريات البلطيق الثلاث (ليتونيا واستونيا وليتوانيا)، وتعتبر ليتوانيا الجمهورية الكاثوليكية الوحيدة (٣،٥ مليون، ٨٠% منهم كاثوليك)، وقد احتفلت في العام الماضي بالذكرى المئوية على تنصرها (راجع ف.م: آب/ايلول ١٩٨٧). وللكنيسة الكاثوليكية معهدان اكليريكيان احدهما في ريكا (ليتونيا) والاخر في كوناس (ليتوانيا). وقلما تتعدى رسالة الكهنة حدود اقامة الشعائر والطقوس، فيما يشمل العديد منهم حظر في ممارسة الخدمة. وتعترف الدولة بالسلطة الكنسية، وأن تضع عراقيل بوجه روما في تعيين اساقفة للابرشيات (٧ ابرشيات في ليتوانيا وابرشيتان في ليتونيا). وتجدر الاشارة الى ان البابا رقى عام ١٩٨٣المونسنيور فايفودس (٨٧ سنة) مطران ريكا الى رتبة الكردينالية فاصبح أول كردينال يقيم في الاتحاد السوفييتي.

- الكاثوليك الشرقيون: كان عددهم قبل الحرب الثانية يتجاوز ٥ ملايين يعيشون في جمهوريتي اوكرانيا وروسيا البيضاء، وقد حسم القسم الاكبر منهم قسرا الى الكنيسة الارثوذكسية عام ١٩٤٦. فيما بقي آخرون يعيشون ايمانهم في الخفاء. وتكشف الارقام عن ان للكنيسة الاوكرانية "المحظورة" ٣— ٤ اساقفة واكثر من ٣٠٠ كاهن وبضعة الاف راهب وراهبة.اما الاوكرانيون المهاجرون، فيطلق عليهم لقب "الكنيسة الاوكرانية في المنفى".

ماذا قبل ١٠٠٠ سنة؟

"... وفي الغد ذهب فلادمير مع كهنة الامبراطورة وكهنة شيرسون الى ضفاف دنيبر، واجتمع شعب لا يحصى. ونزلوا الى الماء، بعضهم حتى العنق وبعضهم حتى الصدر، والصغار على الضفاف في الماء حتى الصدر، وغيرهم كانوا يحملون اولادهم... وكان فرح في السماء وعلى الارض برؤية هذه النفوس تُخلّص...

ولما تعمذ الشعب رجع كل واحد الى بيته. وفرح فلادمير لانه عرف الله، هو وشعبه. فرفع طرفه الى السماء وقال: ايها المسيح الاله الذي خلق السماء والارض، انظر الى هؤلاء الناس الجدد واعطهم يا رب ان يعرفوك انت الاله الحق كما عرفتك البلدان المسيحية...

"مبارك الرب يسوع المسيح الذي احب شعبا جديدا، الارض الروسية، وانارها بالعماذ المقدس". تلك هي قصة تنصر "روسيا المقدسة" –كما كانت تدعى حتى وقت قريب– بفضل عماذ فلادمير امير كييف مع ابناء شعبه في نهر دنيبر، بحسب "قصص الازمنة الغابرة" للسنة ٩٨٧- ٩٨٨!

وفي كييف بالذات، وعلى هضبة مطلة على نهر دنيبر، وعند اقدام تمثال برونزي، قال دليلنا السياحي فلادمير: "من هنا، يقول التقليد، نزل امير كييف الى نهر دنيبر واعتمذ هو وكل مملكته"! قالها وهو يشير الى طريق ضيق بين الاشجار ينحدر حتى ضفاف ذلك النهر الواسع والجبار، ويكشف لنا عن ان التمثال –وقد جرد من الانارة الساطعة التي كانت تبعث اشعتها الى البعيد قبل ثورة ١٩١٧– يخلد فلادمير امير كييف الذي يعتبره اهالي كييف "قديسا"؛ وكانت تلك الشموع والزهور المنشورة حوله تعكس ولا شك اكرامهم واجلالهم لذاك الذي فتح اوكرانيا وروسيا كلها لنور الايمان والحضارة المسيحية. وفي غفلة من رفاقي السياح العراقيين –عام ١٩٨١–، وبعد ان اطمأن فلادمير من حسن نواياي قال لي: ان تاريخ اوكرانيا المسيحي مدين الى القسطنطينية التي عنها اعتنق شعبنا الدين المسيحي. وقد رأى في كنائسها وطقوسها ما يجيب الى احساسه المرهف بالجمال وتذوقه الرفيع للفن.

ان تاريخ "الدولة الروسية" الاولى بدأ حين تجمعت القبائل السلافية حول مركزين: نوفكورود وكييف، واستطاع الامير اوليغ عاو ٨٨٢ ان يحكمها. الا ان الامير فلادمير (٩٨٠ - ١٠١٥) هو الذي وحد السلافيين تحت ظل دولة "روس" وعاصمتها كييف. ولما كانت القبائل السلافية على الوثنية، كان على فلادمير ان يوحدها في عبادة الاله الاكبر:بيرون، اله الرعود! فيما كان هناك، في طرف من كييف، تواجد مسيحي حديث العهد.

وفي بحثه عن ديانة ترسخ اسس الوحدة بين السلاف، كان لا بد ان تلتفت انظار فلادمير الى الامبراطورية البيزنطية التي كانت قد اثبتت تفوقها على الصعيدين الديني والسياسي. وبحكم عوامل سياسية واقتصادية وحضارية، تم تقارب بين المملكة الجديدة وبيزنطية القديمة، سيما وان مبعوثي فلادمير الى القسطنطينية عادوا مسحورين بالحضارة البيزنطية التي طبعتها المسيحية في معظم مظاهرها، ولا سيما عبر الطقوس والفنون الكنسية كالموسيقى والرسم والنحت والعمارة... وهكذا كان عماذ فلادمير وتنصره ختما لمعاهدة بين كييف والقسطنطينية. وبالاحرى بمثابة شرط للمصاهرة بين فلادمير والاميرة حنة شقيقة الامبراطور باسيليوس الثاني.

اما ما كتب عن عماذ شعب كييف برمته عام ٩٨٨ فيلاحظ المؤرخون ان هذا العماذ الجماعي هو من قبيل الاسلوب الادبي الذي يضفي على ازدهار المسيحية في كييف

وضواحيها شيئا من الرومنسية. ويقول المؤرخ فلاديمير فودوف، في مقابلة لمجلة La Vie (العدد ٢٢١٠): "... كانت هناك، منذ ما يقارب من نصف قرن، جماعة مسيحية، وحين توفي فلاديمير عام ١٠١٥ لم تكن المسيحية قد تخطت كييف وبعض المناطق المجاورة، ومن المحتمل انها وصلت نوفكورود وتشيرنيكوف لا غير... وهكذا يتضح ان انتشار المسيحية مهمة تركها فلاديمير لخلفائه".

الكنائس الارثوذكسية في الاتحاد السوفييتي

• **الكنيسة الارثوذكسية الروسية:** تأتي في مقدمة الكنائس في الاتحاد السوفييتي من حيث الحجم والمكانة، وكان ينتمي اليها، قبل ١٩١٧، غالبية السكان.

يعد الارثوذكس الروس اليوم حوالي ٥٠ مليون موزعين بين ٧٦ ابرشية يرئسها ٧٠ مطرانا. وتضم جمهورية روسيا لوحدها ٤١ ابرشية، وجمهورية اوكرانيا ١٨ ابرشية. وتتضاءل نسبة الارثوذكس في جمهوريات البلطيق حيث يشكل الكاثوليك او اللوثريون اغلبية، وفي جمهوريات اسيا الوسطى حيث الاغلبية للمسلمين.

وتشير الارقام الى ان عدد الكنائس سجّل انخفاضا في الثلاثين عاما الماضية: من ٢٠٠٠٠ الى ١٧٠٠٠! كما لم يعد للكنيسة الروسية سوى ٣ معاهد كهنوتية من اصل ٨، وهي اكاديمية اللاهوت في موسكو – زاكورسك ولينينغراد واوديسا، وتضم حوالي ١٠٠٠ طالب فضلا عن ٩٠٠ طالب، معظمهم كهنة، يتابعون الدراسة عن طريق المراسلة. وهناك ٦ اديرة للرجال–ويصعب تقدير عدد الرهبان– و١٢ ديرا للنساء ويقدر عدد الراهبات بـ ١٠٠٠ يتواجدون في منطقة كييف. وليس هناك ارقام رسمية حول عدد الخورنات والكهنة، إلا ان التخمينات تتحدث عن ١٥٠٠٠– ١٧٠٠٠ كاهن.

ويمسك بزمام السلطة في الكنيسة الروسية "مجمع" ينتخب بطريركا تُسلّم إليه الادارة. والبطريرك الحالي هو بيمين الذي انتخب عام ١٩٧١ يعاونه "سينودس مقدس" مؤلف من ٨ اعضاء. وتجدر الاشارة الى ان تأسيس النظام البطريركي في روسيا يرقى الى عام ١٥٨٩ اثر استقلال الكنيسة الروسية عن كرسي القسطنطينية (١٤٤٨). وفي عهد القيصر بطرس الاكبر (١٦٨٢– ١٧٢١) الذي احكم سلطته على الكنيسة، ألغي نظام البطريركية واستبدل بسينودس دائم، ولم تعد البطريركية إلا في مجمع عقد في ١٥ آب ١٩١٧، قبيل الثورة البلشفية (راجع ف.م .: كنيسة روسيا، ظلال واضواء – ملف ت٢ ١٩٧٩). وتسود علاقات بطاركة موسكو بالدولة "هدنة" يعتبرها كثير من الارثوذكس الروس "تواطؤا"!

• **الكنيسة الارثوذكسية في جيورجيا:** وهي الكنيسة التي استعادت استقلالها عام ١٩١٧ ولم تعترف بها الكنيسة الارثوذكسية الروسية الا عام ١٩٤٥، فاستطاعت إذ ذاك ان تنتخب لها بطريركا. بطريركها الحالي هو ايليا الثاني، كاثوليكوس عموم جيورجيا. وينتمي اليها حوالي ٥ ملايين مؤمن موزعين بين ١٥ ابرشية و٢٠٠ خورنة يخدمهم ١٢ اسقفا وحوالي ١٨٠ كاهنا، في حوالي ٥٠ كنيسة فقط مفتوحة للعبادة، فضلا عن معهد كهنوتي واحد (٥٠ طالبا).

• **الكنيسة الارمنية الرسولية:** وهي الكنيسة العريقة على ارض الاتحاد السوفييتي كونها ترقى الى القرن ٤، في عهد الملك درتاد الذي اعلن المسيحية دين الدولة الرسمي. شفيعها هو القديس غريغوريوس النوراني وتسمى باسمه "الكنيسة الغريغورية الارمنية". وكرسيها في اتشميازين حيث يقيم الكاثوليكوس فازكين الاول. ولقد ظل كرسي اتشميازين شاغرا بين الاعوام ١٩٣٨– ١٩٤٥ الى ان تمت تسوية بين الكنيسة والدولة اسفرت عن اعادة تنظيم الابرشيات والخورنات وفتح معهد كهنوتي. وينتمي الى الكنيسة الارمنية الارثوذكسية ٤ ملايين –فضلا عن مليونين خارج الاتحاد السوفييتي– يعيش معظمهم في جمهورية ارمينيا، وتضمهم ٣٠٠ خورنة ودير.

كييف.. مهد المسيحية الروسية

تفاخر كييف انها كانت اولى المدن الروسية التي ارتفعت في سمائها قباب الكنائس الرائعة: فهذه كنيسة "سانت صوفيا" التي بدأ بناؤها عام ١٠٣٧ على غرار كنيسة "آجيا صوفيا" (الحكمة المقدسة) في استانبول، وهي ذات خمس قباب، وتمتاز من الداخل بمساحات واسعة من الموزائيك (ياروسلاف ابن فلاديمير ووريث عرشه. والمسيح والعذراء...) والرسوم الجدارية. وهذه الكاتدرائية التي تعتبر آية الفن في العصر الوسيط تحولت عام ١٩٣٤ الى متحف.

والى طرف آخر من المدينة يقع دير عريق —هو الآخر متحف اليوم— يقوم على مساحة ٣٠ هكتار، تعانق قبابه المذهبة سماء كييف. واول ما يستوقف السائح في دير بيتشرسك —او الكهوف— ضخامة كاتدرائية الانتقال وشموخ قبة الاجراس؛ وباعلانه متحفا عام ١٩٦١ وضعت السلطات السوفييتية حدا لتسعة قرون من الاشعاع الروحي لرهبان اوكرانيا. ويقول دليلنا السياحي —وهو يدرك ان مقولته لا تصدق- ان اغلاق الدير تم بسبب قلة الرهبان، والتكاليف الباهظة التي تتطلبها ادامته! ويزداد اعجابنا حين نترل الى الكهوف —وكانها دياميس روما— حيث مدافن الرهبان الذين ما زالت أجساد بعضهم لم يعترها الفساد! وسرعان ما يأتي جواب الدليل جاهزا: عوامل مناخية جيولوجية! فبشأن هذا الدير العريق الذي يشهد لبدايات المسيحية كثرت المطالبات باعادته الى الكنيسة الروسية عشية الاحتفال بالذكرى الالفية.

الكنائس الانجيلية

• اللوثريون: ويشكلون ٨٠% من المؤمنين في استونيا و٥٦% في ليتونيا. وتضم رئاسة اسقفية استونيا ١٥٠٠٠٠ عضو موزعين على ١٤٣ خورنة يخدمها ٤٩ راع و٣٦ واعظ. ولها معهدلاهوتي في تالين. اما اسقفية ليتونيا، فتضم ٢٠٠٠٠٠ عضو موزعين على ٢٠٧ خورنات في خدمتها ١٠٢ راع. ولها معهد للتثقيف اللاهوتي في ريكا. ولا تكاد اسقفية ليتوانيا تعد ٣٠٠٠٠ يخدمهم ١١ راعيا في ٢٧ خورنة.

• المعمذانيون: تحت اسم "اتحاد المسيحيين الانجيليين المعمذانيين" ينضوي منذ عام ١٩٤٤ حوالي نصف مليون من "المعمذانيين" و "المسيحيين الانجيليين" و "الفنطقسطيين" "الممونين". ويعقد الاتحاد مؤتمرا كل ٥ سنوات. ويعود الفضل، بنوع خاص، للمعمدانيين في الفات نظر العالم الى وضع المؤمنين في الاتحاد السوفييتي.

• مذاهب مصلحة: وهناك اعداد ضئيلة من "الميتوديين" في استونيا و "المجيئيين" (السبتيين) في اوكرانيا واستونيا، فضلا عن "الكنيسة المصلحة" في ليتوانيا (١٠٠٠٠ مؤمن وراعيان) و ٧٠٠٠٠ من الكلفينيين من اصل هنغاري (٩٠ خورنة و ٣٠ راعيا).

ان الذكرى الالفية لتنصر روسيا هي في حد ذاتها فرصة للكنيسة الروسية كي "تراجع" تاريخها الطويل وتعيد قراءته على ضوء التجارب الماضية، وبنوع خاص على ضوء المحنة التي هي فيها منذ ثورة اكتوبر. وقد تكون سياسة الانفتاح، عبر ال "بيروسترويكا"

(اعادة التنظيم والبناء) التي باشر بها السكرتير الاول ميخائيل كورباتشوف، مناسبة فضلى للمطالبة باحترام الحرية الدينية في كل مقوماتها واوجهها وتعابيرها، فتضحي الكنيسة، لا مؤسسة يحتويها النظام، او واجهه للتمويه، او تراثا من الماضي السحيق، وانما صوتا نبويا داخل المجتمع الروسي وضميرة في عجين هذه الارض التي شهدت للانجيل طيلة عشرة قرون وعليها ان تواصل الشهادة مهما كلف الثمن. مثل هذا الصوت النبوي لم يختفِ من كنيسة ذاقت مرارة الاضطهاد، وان جاء من اشخاص في القاعدة سرعان ما يطلق عليهم صفة "المنشقين" و "الهامشيين". فسواء جاء على لسان المعمذانيين ذوي الجرأة النادرة، ام عبر "لجنة الدفاع عن حقوق المؤمنين في الاتحاد السوفييتي" التي يؤلف اعضاءها كهنة ومؤمنون ارثوذكس وكاثوليك وانجيليون، اوليست الرسالة التي بعث بها الى كورباتشوف. في ايار الماضي، عدد من الارثوذكس الروس، وفي مقدمتهم الاب غليب ياكونين، دليلا على ان الصوت النبوي لم يختف، وانما يتحين الفرص للانطلاق؟ وقد جاء فيها: "ترى كيف تعجز دولة بقوة دولتنا على ان تمنح لقسم من مواطنيها الحق، ليس في ان يكون لهم دينهم حسب، بل ان يكون في مقدورهم ان يعيشوه"! و لم تخشَ الرسالة -وهي في حد ذاتها حدث- من المطالبة بالعديد من هذه الحقوق المسلوبة والمنسية، كزيادة نسخ الكتاب المقدس، وحرية الاجتماعات للتثقيف المسيحي، والتعليم المسيحي للصغار، واعادة فتح كنائس واديرة مغلقة، وعودة الايقونات الى الكنائس الخ... (اقرأ هذه الرسالة في ف.م. عدد آب/أيلول ١٩٨٧).

عسى يسفر الاحتفال بالذكرى الالفية عن فجر جديد للمؤمنين الروس.

---

(١) عدد خاص بمناسبة الذكرى الالفية، ومنه استقينا الاحصائيات عن الكنائس والمذاهب والاديان.

(٢) يعيش عدد كبير من الاوكرانيين الكاثوليك المهاجرين في اوربا والولايات المتحدة، يخدمهم اساقفة وكهنة اوكرانيون وعلى راسهم الكردينال لوباشيفسكي متروبوليت لفوف في المنفى، وقد خلف الكردينال جوزف سليبي الذي كانت السلطات السوفييتية قد اطلقت سراحه عام ١٩٦٣ بعد اكثر من ٢٠ سنة في السجن، فاقام في روما الى ان وافته المنية عام ١٩٨٤ عن ٩٢ عاما. ولقد وافق البابا الحالي مؤخرا ان يكون للكنيسة الاوكرانية الكاثوليكية سينودس -وقد عقد دورته الاعتيادية الخامسة في روما في ايلول الماضي- يضم اساقفة الابرشيات الاوكرانية في المنفى (حوالي ٢٠ ابرشية)، والتي ستحتفل بالذكرى الالفية في كنيسة صوفيا بروما، بحكم استحالة الاحتفال بها في كاتدرائية صوفيا بكييف! وتشير المعلومات التي كشفها المجاهد الاوكراني جوزيف ترجا الذي اطلق سراحه مؤخرا واستقبله البابا، الى ان الكرملن قد يصبح اكثر مرونة في المفاوضات مع الفاتيكان بشان اعادة الشرعية الى الكنيسة الاوكرانية الكاثوليكية.

ش.ر/شباط- آذار ١٩٨٨

الطفل ابن الكنيسة

زرع بذرة الايمان وتنميتها، خلق مناخ ليتسنى فيه لهذه البذرة ان تتفتح وتشع.. حق تمارسه الكنيسة ومسؤولية تضطلع بها بصفتها جماعة مؤمنين تسلمت من الرب مهمة المناداة بالانجيل والشهادة له.

"العماذ، التثبيت، الاوخارستيا"، هي اسرار التنشئة المسيحية، وهي بمثابة منعطفات في حياة الطفل تطبع مسيرته الايمانية نحو اكتشاف شخص يسوع المسيح.. منعطفات يتحتم فيها على الجماعة المسيحية ان تواكب مسيرة "مؤمنيها الصغار"، وتتعهد خطواتهم، وتحملهم على التأصل في الايمان، وذلك منذ الطفولة المبكرة، مرورا بمرحلة التعليم المسيحي، وحتى التناول الاول الذي ليس هو محطة وصول وانما نقطة انطلاق...

تلك هي الخطوط العريضة لهذا المقال ضمن العدد الخاص "الاطفال..أمل المستقبل".

●

حين نتكلم عن "ايمان" الاطفال وانتمائهم الى الكنيسة بفعل العماذ، يتبادرالى ذهننا هذا السؤال: هل يحق للوالدين ان يورثوا اولادهم دينهم وايمانهم ومعتقداتهم الخ.. في مرحلة من العمر ليس لاولادهم فيها لا حول ولا قوة ولا قدرة على الاختيار؟! وازاء هذا السؤال المشروع، يفصح بعض الوالدين عن قناعتهم بان الواجب يفرض عليهم ان يعمذوا اولادهم ويمنحوهم الحد الادنى من التربية المسيحية.. ويترتب على الاولاد من ثم، في مرحلة الشباب، ان يختاروا طريقهم بحرية. فيما يذهب بعض الوالدين الى القول بان ممارسة اي شكل من اشكال التاثير على الاطفال في ما يتعلق بالمفاهيم والمثل الدينية يعتبر اجحافا بحرية الاطفال وتجاوزا على حقهم في اختيارات دينية حرة!

مثل هذا السؤال يطرح في الواقع مشكلة اكثر شمولية من المسالة الدينية، الا وهي مسألة التربية بشكل عام ومسألة التكييف (Socialisation) بشكل خاص. ذلك لان الطفل منذ ولادته —لا بل قبل ولادته– يخضع لاشكال شتى من التأثيرات والضغوط الوراثية والصحية والحضارية والاجتماعية الخ.. التي تصوغ شخصيته وتطبعها بصفات وميزات مستمدة من البيئة العائلية والجغرافية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية التي ينمو ويترعرع فيها الطفل. انها سنّة الحياة تجعل من الحرية قيمة نسبية وتضع حدودا لقدرة الانسان على التحكم بالعوامل التي تسهم في تكوين شخصيته في كل ابعادها وتشعباتها.. فمن قبيل الخيال او المغالطة ان نحلم بانسان يولد حرا شريدا ويشق طريقه دون قيود او ضغوط! — وحتى انسان الغاب ذاته سيخضع هو الاخر لتاثيرات وضغوط تصوغ

شخصيته وتطبعها. إلا ان قيمة الانسان تكمن في قابليته على الاندماج والاقتباس والتلاحم والتفاعل... والتصرف من ثم بحرية، وفق مثل وضوابط تسهم في التأثير، سلبا او ايجابا، على حريته واختياراته.

من هذا المنطلق يمكننا ان نلقي الضوء على مسؤولية الوالدين الدينية من جهة، وعلى حرية الاطفال من جهة اخرى: فاذا كان هناك ما يبرر اعادة النظر في الصيغة التي يُطلب بها العماذ ويمنح، فليس ما يبرر احجام الوالدين عن ممارسة اي تأثير ديني خشية المساس بحرية اولادهم! ويكفي ان نقول بان الطفل لا حرية له في اختيار والديه ولا جنسه ولا قوميته ولا وطنه او لغته..! كما ليس هناك ما يبرر موقف الوالدين الذين يعتبرون مسؤولياتهم الدينية تبدأ بالعماذ وتنتهي بالتناول الاول – وكلاهما فرصتان لحفلات عائلية تفرضها الاعراف والتقاليد، وقد تتغلب على الدوافع الدينية! فليس من قبيل ممارسة التاثير على الطفل اشراكه في حياة الايمان التي يعيشها والداه، إذ ان هذه المشاركة تعتبر حقا من حقوقه، فضلا عن كونها مسؤولية لا يحق للوالدين باي شكل من الاشكال ان يتنصلوا منها. وكما ان واجباتهم التربوية تفرض عليهم تأمين حاجات اطفالهم المتنوعة ورعاية نموهم الانساني وتفتحهم العقلي.. هكذا يتوجب عليهم ان يسهموا في تفتحهم للايمان، ويتعهدوا خطواتهم في مسالكه.. وغني عن القول ان هذه المسؤولية الدينية تنفي كل اساليب الاكراه والقهر والقمع التي قد يستسلم لها الوالدون احيانا، بل تستوجب بالعكس كل اساليب الحوار والمناقشة والاقناع..

ان معالجتنا الموضوع من هذا المدخل، انما هي بالتاكيد على حق الكنيسة في اعتبار الطفل ابنا يتوجب عليها ان تزرع فيه بذرة الايمان وترعاها وتسهم في تفتحها ونضوجها.. ولا يحق لاحد ان يرى في مسؤولية الكنيسة التربوية تجاه الاطفال انتقاصا من حريتهم، او تجاوزا على حقوقهم! ولنقلها مرة واحدة ان الكنيسة، إذ تمارس هذا الحق وتضطلع بهذا الواجب، فهي انما تنطلق من قناعتها بانها لا تفرض الايمان بقدر ما تعرضه، وانها لا تسعى الى "نقل" الايمان بقدر ما تسعى الى خلق مناخ يسهم في تفتحه وتأصله.

بالعماذ يصبح الطفل ابن الكنيسة

وإذا اعترفنا للكنيسة –بصفتها جماعة مؤمنة بيسوع المسيح وشاهدة له– بحقها وواجبها معا على حمل بشارة الانجيل والشهادة له والدعوة اليه، فمعنى ذلك انها تتقاسم مع الوالدين مسؤولية زرع الايمان ورعايته وتنميته في نفوس المولودين الجدد؛ وكان لها من ثم الحق في ان تختص الطفل وتحتضنه وتربيه بصفتها اما روحية له، تلده للحياة المسيحية بفعل سر العماذ الذي يعد بحق اول اسرار الانتماء الى الجماعة المسيحية. اليس العماذ ولادة ثانية كونه يحقق انتقالا الى حياة جديدة في المسيح؟

فالعماذ[1]، قبل ان يكون سرا تمنحه الكنيسة للطفل كي يحصى في عداد "شعب الله"، هو سر يطلبه والداه من الكنيسة، بفعل ايمانهما العميق بالمسيح ورغبتهما الصادقة في

ان يكونا دليلين يقودان خطوات طفلهما على طريق الايمان. لذا يسوءُنا ان نشهد تدهورا في صيغة هذا السر وفي صيغة منحه في الوقت ذاته، حتى اصبحنا وكاننا احيانا امام طقس "سحري" يرتضي الوالدان ان يؤدى لاطفالهم، حرصا على "سلامتهم" من جهة، ولكونه فرصة لحفلة عائلية من جهة اخرى! كما يرتضي الكهنة من جانبهم ان يمنحوه في متسع من وقتهم، وسط جلبة الاطفال وتعليقات الكبار، وبلغة لا يفقهها الحاضرون – وبغياب الوالدين احيانا! –، وبخفة وسرعة لا تعكسان اهمية هذا السر وابعاده...

فاذا كان سر العماذ سر الدخول الى حضن الكنيسة، جماعة المؤمنين، يتحتم من ثم ان يحاط بكثير من الجدية والرصانة، وان يحظى الوالدون باعداد جاد – اقله عبر كلمة تسبق منح السر – يحيطهم علما بالالتزامات التي يضعها عليهما هذا السر. وليسمح لنا ان نقول في هذا الصدد: حبذا لو تخصص بضع امسيات تضم الوالدين الذين يتهيأون لعماذ اطفالهم، يحصلون خلالها على توعية جادة حول سر العماذ والتزاماته.. ويجري العماذ من ثم لمجموعة من الاطفال في احتفال طقسي تدعى اليه جماعة الخورنة وتتخلله شهادات وتعهدات يدلي بها اباء وامهات.. وهكذا تقلّص تلك العماذات الفردية التي تخفي ابعاد سر العماذ الجماعية بصفته فعلا تقوم به كل الجماعة المؤمنة، محتفلة باستقبال عضو جديد ومتعهدة بان تشهد امامه بايمانها. ومثل هذه الامسيات التثقيفية والاحتفالات الجماعية بالعماذ، يجب ان تقام عدة مرات في السنة بحيث يتاح لكافة الاسر في الخورنة ان تشارك فيها.

بالتثبيت يصبح الطفل شاهدا للمسيح

غالبا ما نؤكد على اهمية سر العماذ ونتناسى سرا آخر يمنح للطفل عقب العماذ، وفي غفلة من انتباه الحاضرين! انه سر التثبيت (الميرون) الذي يجعل من المعمذ، بقوة الروح القدس، شاهدا ليسوع المسيح وحاملا رسالته بين الناس. ولا بد لنا من الاعتراف بان انحسار الاحتفال بسر التثبيت بشكل جلي يرجع الى عوامل تاريخية اصبح بموجبها يمنح مع العماذ، وعلى يد الكاهن، بينما كان وقفا على الاسقف[٢].

وان الاهمية التي للعماذ في حياة المسيحي لا ينبغي ان تقلل من المكانة التي يحتلها سر التثبيت – ويدل اسمه على التأصل الذي يحققه الروح القدس في نفس المعمذ. فاذا كان العماذ يدخل الانسان في شعب الله ويجعل منه عضوا في جسد المسيح السري.. فالتثبيث هو سر الروح الذي يفيضه يسوع على المؤمنين به ليجعل منهم شهودا ينادون باسمه بجرأة تذهب بهم حتى الشهادة بالدم.. فنحن، اذن، ازاء سرين متميزين مترابطين يعكسان وجهين لسر واحد هو سر اجتياح الروح للانسان: ففيما يشدنا العماذ الى نعمة الفصح التي استحقها لنا المسيح بموته وقيامته ليلدنا لحياة جديدة، يشدنا التثبيت الى نعمة العنصرة حيث يهب المسيح الممجد روحه ليمكن الكنيسة من الانطلاق الى العالم والكرازة بالانجيل.

ولا بد لنا هنا من ان نلفت الانتباه الى الدور الذي يجب ان تلعبه الجماعة المؤمنة في حياة اعضائها الصغار لتعدهم للشهادة للمسيح. ومما لاشك فيه ان افضل اعداد لهذه

الشهادة هو ان تعيش هذا الجماعة قيم هذه الشهادة امامهم، وان تعكس مواقفها ونشاطاتها الروحية والرسولية غيرتها على الكرازة بالانجيل عبر كافة الوسائل المتاحة. وهكذا ينمو المسيحي الصغير وينمو معه الوعي بضرورة التبشير بالمسيح والشهادة له بالقول والفعل...

ولما كنا لا ندعو الى فك الارتباط بين سري العماذ والتثبيت، الا اننا نتمنى على الرعاة والكهنة استحداث رتبة خاصة باسم "المجاهرة بالايمان" يتاح فيها للاولاد في عمر ما بين ١٢ — ١٤ سنة ان يجاهروا بايمانهم بالمسيح ويأخذوا على انفسهم التزامات الشهادة له، وحبذا لو حلت هذه الرتبة محل ما يسمى ب "تجديد مواعيد المعمودية"؛ ويمكن ان تتم ضمن الاحتفال بالتناول الاول او ان تعقبه بفترة، شريطة ان تتضمن عناصر تبرز دور الروح القدس في حياة المسيحي الصغير؛ كما ان بوسعها ان تستقطب مشاركة الوالدين واعضاء الخورنة الذين، بينهم ومعهم، سيتمكن هؤلاء الفتيان والفتيات من عيش الانجيل والشهادة له...

... نحو سر الاوخارستيا: كسر الخبز

ان سر الاوخارسيا يؤلف مع سري العماذ والتثبيت اسرار التنشئة المسيحية التي تدخل المسيحي في حياة الكنيسة ورسالتها. فالروح القدس الذي زرع الايمان في نفس المعمذ ومنحه قوة للشهادة للايمان، هو ذاته يقود المؤمن الى الاتحاد التام بالمسيح في سر موته وقيامته، عبر الجلوس على مائدته واقتسام خبز الحياة مع الجماعة المؤمنة.

ان الفترة التي تفصل الطفل المعمذ والمثبت عن يوم جلوسه الى مائدة الرب في الاوخارستيا تتراوح ما بين ٩ — ١٢ سنة. وغني عن القول ان هذه الفترة تشكل مرحلة هامة من حياة الطفل، يتعرف خلالها على شخص يسوع ويتدرب على حياة الايمان ويسعى الى التجاوب مع متطلبات الحياة المسيحية، ويمكننا ان نقسم هذه الفترة الى ٣ مراحل:

١ — مرحلة الطفولة المبكرة

إذا كانت الكنيسة جماعة المؤمنين بيسوع، فالطفل، منذ اقتباله سري العماذ والتثبيت، هو عضو في هذه الجماعة وله فيها من ثم حقوق وواجبات. وهو مدعوّ منذ نعومة اظفاره ان يأخذ مكانه في الجماعة المسيحية التي عليها هي الاخرى ان ترحب به وتحتضنه وتتعهد خطواته... ومن هذا المنطلق لا ينبغي ان يشعر الوالدون بالحرج إذا ما جاءوا الى الكنيسة بطفلهم الرضيع او الذي يخطو خطواته الاولى.. شريطة ان يحرصوا على ضبطه حفظا على جو الصلاة. وستكون الكنيسة للطفل فرصة لطرح اسئلة كثيرة حول كل ما يشاهده فيها، بدءا بالناقوس والصور.. وانتهاء بالكاهن وجرن العماذ وكرسي الانجيل...

وفي مرحلة متقدمة من العمر (٤ — ٨ سنوات)، سيكون باستطاعة الطفل الذي نشأ في اسرة مؤمنة ان يرافق والديه الى قداس الاحد وسائر الاحتفالات الكنسية، ولاسيما في الاعياد التي يجب ان يكون فيها للاطفال حضور فاعل كالميلاد والسعانين.. وسينعش

هذا الحضور – سيما ان كان مُعَدًا – حياته الايمانية، حين سيشعر انه وسط جماعة تـؤمن بيسوع وترفع اليه صلاتها بقلب واحد، وانه يشاركه ايمانها به وحبها له، عبر ما يردد مـن صلوات تلقنها وطلبات يرفعها ببساطة وعفوية.. ولنغتنمها فرصة للثناء على الخورنات التي اتخذت عادة جمع الاطفال في قاعة مجاورة للكنيسة وتهيئتهم للقداس عبر قراءات وصـلوات تلائم اعمارهم، واشراكهم، من بعد الموعظة، في قداس المؤمنين..

والجدير بالذكر ان مرافقة الاطفال لوالديهم الى القـداس وسـائر الاحتفـالات الطقسية –ولا سيما بمناسبة منح العماذ لاخ او اخت او تناول احد الاشقاء والاقـارب– تسهم في تفتحهم للايمان وتعابيره وصيغ عيشه. كما يمكنهم من طرح تساؤلاتهم الكـثيرة حول مختلف اوجه الحياة المسيحية ومظاهرها.. وسيتحتم على الوالدين ان يكونوا على أهبة للاجابة الى هذه التساؤلات بدقة وصدق وعمق، سيما وان بعضها سيطرح قضايا جوهرية كالحب والخطيئة والموت والخلود الخ.. وسيعتاد الاطفال، عبر احتكاكهم بالكنيسة، علـى رؤية الكاهن واكتشاف دوره ومهماته.. فعلى الكهنة ان يمنحوهم التفاتا خاصا ويشملوهم بالحب ويصغوا اليهم ويجيبوا الى اسئلتهم.. وسيترك هذا اللقاء بالكاهن اثـرا عميقـا في نفوس الاطفال، وقد يحملهم في المستقبل الى اتخاذه صديقا ومرشدا، ولربما يكـون فرصـة لنشوء دعوة كهنوتية او رهبانية في اعماقهم..

٢ – مرحلة التعليم المسيحي

ان كانت المهمة الاولى للكنيسة المناداة ببشرى الانجيل، فهذه المنـاداة يجـب ان تتوجه بشكل خاص نحو الاطفال. تلك هي المسؤولية التي يتحتم على الكنيسة ان تمنحهـا الاولوية في اهتماماتها. واذ لايسعنا المجال ا نبحث واقع التعليم المـسيحي في المـدارس[٣] ومضمونه، نركز اهتمامنا هنا على مراكز التعليم المسيحي[٤] التي قامت بمبادرة الكنيـسة واشرافها، وهي في الغالب مباني الكنيسة ذاتها او القاعة والغرف التابعة لها؛ ويندر ان يكون هناك مركز خاص للتعليم المسيحي مهيّأ لهذا الغرض، ومجهز بكافة الوسائل والمستلزمات!

لقد نشطت مراكز التعليم المسيحي في السنوات الاخيرة، في العديد مـن المـدن والقرى، وذلك بفكرة فك الارتباط بين "مادة الدين" التي تعطى في المدارس وبين "التعلـيم المسيحي" بصفته كرازة تعلن بشرى يسوع. ومن هنا كان هذا الاخـتلاف الجـوهري في توجهات الكنيسة بعد المجمع المسكوني، والتي اخذت تشدد على كون "التعليم المـسيحي" وسيلة للكشف عن شخص يسوع، اكثر مما هو مجموعة عقائد وتعاليم ومعلومات تحـشر في عقل الاطفال وذاكرتهم! فالهدف الرئيس من التعليم المسيحي هو افساح المجال للاطفال لعيش خبرة ايمانية حية في واقع حياتهم اليومية، وهذه الخبرة يعيشونها ضمن جماعة مسيحية تسهم في تعميقها وتمكنها من ان تشع... وغني عن القول ان كل "تعليم مسيحي"، سـواء اعطي في نطاق الاسرة او المدرسة او الكنيسة، يمنى بالفشل ان لم ترافقه شهادة حياة ايمانية يؤديها الوالدون والمربون والكهنة ومنشطو "التعليم المسيحي" في ما بين هؤلاء الصغار الذين يكتشفون بسرعة التناقض بين ما يتلقون وما يشاهدون!

ويجب ان يدرك المشرفون على مراكز التعليم المسيحي بان المهم ليس تامين ثقافة دينية، بقدر ما هو تربية جادة للايمان يتاح من خلالها للاطفال لان يعلنوا ايمانهم بالمسيح ويمنحوه حبهم وولاءهم ويتدربوا على عيش متطلبات الانجيل في حياتهم اليومية. ويطيب لنا بهذا الصدد ان ندعو الى ان يكون "لاولاد التعليم المسيحي" موقع خاص في الجماعة المسيحية، وفي احتفالاتها بنوع خاص، بحيث يتسنى لهم ان يتدربوا على حياة الصلاة والشهادة للايمان وعيش المثل الانجيلية.. كما ندعو الى تنظيم قداديس واحتفالات ولقاءات صلاة خاصة، يتاح لهم خلالها ان يشاركوا مشاركة فاعلة في اعداد الصلوات والاناشيد وتأدية فعاليات تنطلق من واقعهم وتجيب الى حاجاتهم وتلائم اذواقهم..

واذ يسرنا ان نشهد مراكز نشطة في اماكن عديدة من العراق، يشرف عليها كهنة وراهبات، ويعاونهم علمانيون ملتزمون ذوو ثقافة لاهوتية جيدة، يعدون خطة جادة للتعليم ويقومون بمهمة التعليم بصفتهم "شهود ايمان" اكثر من كونهم "معلمين"... نتمنى على مضمون التعليم المسيحي ان يكون متحددا ابدا، يعتمد المنطلقات الاساسية في تربية الايمان، ويستخدم الاساليب الحديثة في التربية والتعليم...

٣ – مرحلة التناول الاول

يحقق التناول الاول في حياة الاطفال انتقالا الى عضوية فاعلة في الكنيسة، إذ يحصيهم في عداد "البالغين" في الايمان الذين يجلسون معا على مائدة الاوخارستيا ليقدموا "الشكر" (وهذا معنى الاوخارستيا) و "يكسروا الخبز" ويقتسموه، دليلا على الشركة في ما بينهم..

ومن المفارقات ان يحرص الوالدون والكهنة على تامين التناول الاول، وان بدوافع مختلفة واحيانا متناقضة: فيرتضي الوالدون بطيب الخاطر ان يبذلوا جهودا استثنائية لتامين هذا الاحتفال لاولادهم، فيما يرتضي كهنة الرعايا احيانا بالحد الادنى من الشروط والاستعدادات لدى الاهل والاولاد! مثل هذا "التواطؤ" غير المعلن بين الاسرة والكنيسة لا يمكن ان يتم الا اذا اغتنمته الكنيسة وسيلة للتوعية، بتحويل "التناول الاول" الى فرصة تضع الاولاد ووالديهم في تيار يقظة الايمان وانطلاقته. وفيما ناسف ليقظة اثارها التناول سرعان ما خمدت في اعقابه، يسرنا ان نشهد تحولات ايمانية جادة في حياة بعض المتناولين ووالديهم، وينبغي من ثم ان يتواصل هذا التحول وتترسخ هذه اليقظة. وهنا ناتي الى جوهر المسالة عبر هذا التساؤل: هل التناول الاول محطة وصول ام مرحلة انطلاق في رحاب الايمان بكل ابعاده وتعابيره وصيغ عيشه واساليب اشعاعه...؟ وللاجابة الى هذا السؤال، علينا ان نستعرض بدايات التناول وما لحق به من تشويه، وصولا الى اعادة الزخم لهذا الاحتفال الذي يشكل منعطفا هاما في المسيرة الايمانية.

كان الدافع الى اقامة "التناول الاحتفالي" –وكانت بداياته في الغرب في اواسط القرن ١٧– التاكيد على حضور المسيح في الاوخارستيا وانعاش الحياة المسيحية من الداخل عبر ما تحققه المناولة من اتحاد روحي وثيق بالمسيح.وكان من ثم فرصة لترسيخ مبادىء

الايمان المسيحي في عقول الاطفال، انطلاقا من الملخصات الايمانية التي كان قد خرج بها المجمع التريدنتيني (١٥٤٥ - ١٥٦٣) الذي عقد كردة فعل تجاه الاصلاح اللوثري. ومن هنا جاءت تلك الفكرة التي كان بموجبها على الاطفال ان يحفظوا، على ظهر قلوبهم، مجمل المبادىء والعقائد والوصايا عبر كتيب كان البابا بيوس ١٠ (١٩٠٣- ١٩١٤) قد عمم استخدامه لاولاد المناولة الاولى! وغني عن القول ما احدثه هذا الاسلوب من انتقاص في عملية "نقل" الايمان الى الصغار.. وليسمح لنا هنا ان ننحي باللائمة على الاساليب البالية التي ما زالت بعض الكنائس تستخدمها حتى اليوم في اعداد التناول الاول والاحتفال به، وقد لا يتعدى هذا الاعداد شهرا يُصرف نصفه على تأدية الاحتفال! كما لا يسعنا ان نخفي اسفنا لتلك الظاهرة التي اصبح التناول الاول بموجبها فرصة لحفلات دنيوية تنفق فيها المبالغ الطائلة ويضيع معها الطابع الديني للاحتفال.

وازاء التساهل الذي قد يبديه بعض الكهنة بقبول اولاد للتناول دون استعداد كاف، وازاء اللامبالاة من جانب الوالدين الذين لا يدعمون عملية التثقيف التي يجب ان يحظى بها الاولاد قبل التناول وبعده، فلا عجب إذا امسى التناول خاتمة الواجبات الدينية، بينما كان ينبغي ان يصبح منطلقا لمزيد من العمق والنضوج في حياة الايمان ولمزيد من الوعي والالتزام بمتطلباته لدى الاولاد والوالدين معا. ويطيب لنا ان نتطرق هنا الى اربعة جوانب من شانها ان تجعل من التناول نقطة انطلاق.

أ – مضمون "تعليم" التناول:

ان ما قلناه عن مرحلة "التعليم المسيحي" يصح وباولى حجة على مرحلة التناول الاول، كونها تشكل خطوة هامة في حياة الاطفال على طريق اللقاء بيسوع والصداقة معه والعيش بحسب انجيله، بعد ان يكون "التعليم المسيحي" قد كشف لهم عن ملامح يسوع ومكنهم من التعرف عليه عبر بعض من اقواله وافعاله... وللوصول الى مثل هذه العلاقة الحميمة مع المسيح يفترض في مضمون التعليم الذي يعطى للمتاهبين للتناول ان يتضمن برنامجا مدروسا يكون في مقدوره ان يحملهم على اكتشاف صورة صادقة عن يسوع، كما عكستها ريشة الانجيليين بصفتهم شهود ايمان وحاولوا ان يعبروا عن خبرتهم الايمانية وخبرة الجماعة المسيحية الاولى بيسوع الحي الناهض من بين الاموات...

وما ان انطلق التعليم من هذا المنفذ، اتخذت كل التعاليم الايمانية والمثل الاخلاقية وكل الوصايا والالتزامات بعدا جديدا ينسجم مع المفاهيم والمثل الانجيلية: فيسوع هو بشرى خلاص للعالم، عبر العديد من مواقفه وتعاليمه.. وهذا الخلاص يحققه يسوع بموته وقيامته، ولا يزال يواصله عبر الاوخارستيا – وهي العشاء "الفصحي" الذي يحيي ذكرى موت المسيح وقيامته ويحقق لنا "عبورا" الى حياة جديدة... وسيكون للروح القدس دور هام في حياة الكنيسة، وهو الذي بنوره عرفنا حقيقة يسوع ورأينا فيه "ربا ومسيحا"، وبقوته اصبحنا شهودا له في العالم... وبموجب هذه المفاهيم سيصبح يسوع "مرسل الاب" الذي يكشف لنا عن وجه اله كله حب وحنان، اله هو اب لجميع الناس الذين تجمعهم

اواصر الاخوة، وكلهم مدعوون الى الدخول في "ملكوت" يقوم علي الحب والحق والعدل والحرية والسلام... وهكذا يصبح الانسان دليلا الى الله. وتصبح المحبة لاخوتنا البشر برهانا على محبتنا لله... وهكذا ايضا يصبح الله قريبا من الانسان، وتصبح العبادة لـه ضـرورة حيوية.. وسيصبح الحب، وليس الخوف، دافعا الى امتثال وصاياه الخ...

وخلاصة القول ان المهم في هذه المرحلة الا نحـشو أدمغـة المتنـاولين الجـدد بالمعلومات، وانما ان نتعهد خطواتهم في اكتشاف شخص يسوع وتكوين علاقة حميمة معه. ويجب على مجمل التعليم الذي يتلقوه ان يمكنهم من الحصول على حس ديني عميق يحملهم على عيش الايمان في كل ابعاده والتزاماته.

ب – فترة الاعداد للتناول:

إذا كنا على قناعة بما للتناول من اثر بالغ في حياة الاطفال الايمانية، كـان مـن الضروري ان تمتد فترة الاعداد له على مدى سنة على الاقل، سيما وان هناك اولادا لم يسبق لهم ان تلقوا مبادىء الايمان، لا في نطاق الاسرة ولا في نطاق المدرسة! ومثل هذه الفترة التي قد تبدو طويلة، لا تكاد في الواقع تكفي للاستعداد الذي نطمح اليه، وهي في حـد ذاتهـا ستعكس الاهمية التي تعلقها الكنيسة على هذه الخطوة الهامة في حياة ابنائها الصغار.

وفي هذه الفترة يجب ان يحرص المشرفون على اعداد التناول على بعدين في حيـاة المتناولين: اولهما ان يشعر افراد الجماعة المسيحية الذين بينهم سيتقدم هؤلاء الصغار مـن مائدة الاوخارستيا، انهم ادلاء لهم الى المسيح؛ ويدرك المتناولون الجدد بدورهم ان الجماعة المسيحية ستتعهد خطواتهم في المسيرة الايمانية التي سـيقطعونها، يـدا بيـد، متماسـكين متضامنين... اما البعد الثاني، فيقوم في السعي الى جعل هذه الفترة الاعدادية فرصة لحيـاة المحبة والشركة والاقتسام بين المتناولين الجدد، بحيث يكون بوسعهم ان يختبروا معا علاقات اخوية تتسم بالصدق والنزاهة والاحترام والتعاون والتسامح... ويضيق بنا المجال اذا اردنـا ان ندخل في تفاصيل حياة الصغار وما تتسم به من مفارقات تقترن فيها المحبـة بالـشجار والخدمة بالمشاكسة، والتعاون بالانانية، والاحترام بالسخرية الخ... وكلها فرص لزرع قيم الانجيل والتدرب على المثل المسيحية.

ونغتنمها فرصة للتاكيد على دور الوالدين في هذه الفترة التي يجب ان تصبح لكل افراد الاسرة فرصة ليقظة ايمانية، وقد تتحول الى "اهتداء" حقيقي يجعل من الاسرة "خلية" حية في شعب الله. ففيما نثني على المراكز التي تنظم لقاءات دورية مع الوالدين تـسهم في ايقاظ الوعي لديهم بمسؤولياتهم التربوية وتحملهم على جعل التوجيه يقترن بالمثل، نـدعو الوالدين الى اغتنام فرصة تناول احد اولادهم لتعميق ثقافتهم الدينية وتنشيط حياتهم الايمانية وممارساتهم الروحية (مشاركة في قداس الاحد، قراءة الانجيل ومناقشته في نطاق الاسـرة، الصلاة العائلية، الدراسات والمطالعات الدينية الخ...)، وهكذا يصبح "التناول الاول" فرصة لاقتراب كل افراد الاسرة من المسيح، واحتفالا متميزا في حياة الاسرة يتم في جـو مـن الفرح والبهجة. وليسمح لنا ان نقول بصدد مظاهر الاحتفال: ان يحافظ على البـساطة في

ملابس المتناولين بشكل يقضي على الفروقات الطبقية بينهم، وان يتجنب الاهل مظاهر التباهي والمفاخرة والتنافس في الاحتفال والتي قد تتجاوز احيانا حدود اللياقة!

ج – يوم الاحتفال بالتناول:

كل ما قلناه اعلاه، يهيء ويعد الاطفال لهذا اليوم السعيد في حياتهم والذي تبقى ذكراه محفوظة في اعماقهم مدى الحياة. انه يوم دخولهم في جماعة المؤمنين البالغين وجلوسهم معهم جنبا الى جنب على مائدة الرب، مرورا بسر التوبة الذي هو بالاحرى سر المصالحة الذي سيكون قد اعدهم لتجديد صداقتهم مع المسيح وعزمهم على العيش بنوره. ونلفت انتباه المشرفين الى ضرورة تقديم سر التوبة للاطفال بصفته سر المصالحة مع الرب ومع القريب، دون ان يخلقوا فيهم شعورا بالذنب او رهبة مبالغ فيها من الاعتراف الذي يشكل عنصرا من عناصر سر التوبة.

وياتي الاحتفال بالتناول الاول تكليلا لمسيرة ايمانية قطعها المؤمنون الصغار على طريق اللقاء بيسوع في الاوخارستيا. لذا يتوجب ان يتسم هذا الاحتفال بالخشوع والجدية، والا تعكر صفاءه وهيبته تلك المظاهر السلبية التي تجعل منه احيانا "حفلة اطفال" يقومون بادوار على مسرح الكنيسة، بين اضواء الكاميرات وجلبة مكبرات الصوت... لذا كان من الضروري ان يُعَدّ له المتناولون وذووهم، وان يكون لهم متسع من المشاركة الفاعلة (شهادات يدلي بها المتناولون ووالدوهم عن خبرتهم الايمانية، مقاصد والتزامات يتخذونها او طلبات يرفعونها على مسمع الحاضرين الخ...). وحبذا لو اجريت تعديلات وتجديدات على طقس القداس تنسجم مع المناسبة، ويصح ذلك بنوع خاص بالنسبة الى الصلوات والاناشيد التي اعتاد المتناولون ان يؤدوها كل عام. كما ندعو الى التطوير في صيغة "تجديد مواعيد المعمودية" بحيث تصبح "مجاهرة بالايمان" كما سبق ان اقترحنا اعلاه.

ولا شك ان هذا الاحتفال سيتخذ في كل كنيسة طابعا ولونا بحسب توجه وذوق منظمي الاحتفال، الا اننا نتمنى ان تبذل جهود جادة كي يكون "التناول الاول" فرصة لتظاهرة ايمانية خاشعة، بعيدا عن الابتذال والسطحية او التمثيل.

د – متابعة المتناولين الجدد:

يشكو العاملون في مجال التناول الاول من ظاهرة تبخر وخمود ذاك الاندفاع الذي اتسم به المتناولون الجدد، وكأن التناول الاول كان خاتمة الواجبات الدينية! وكأنهم حصلوا، في فترة الاستعداد للتناول، على "شهادة تخرج" تعفيهم من ارتياد مراكز التثقيف المسيحي، ومن كافة الالتزامات التي اخذوها على انفسهم يوم تناولهم الاول! وهذه الظاهرة هي في حد ذاتها مؤشر على اللامبالاة التي تطبع موقف الوالدين الذين قلما يدركون بان مسؤولياتهم التربوية تفرض عليهم مواصلة العمل الذي بدأه الروح القدس في نفوس اولادهم بفرصة التناول الاول؛ ومثل هذه المسؤولية الجسيمة تتقاسمها الاسرة والكنيسة معا: فالكنيسة من جانبها يجب ان تسعى بكل طاقاتها الى اتخاذ التدابير وتهيئة

الظروف التي يتسنى بموجبها للمتناولين الجدد ان يواصلوا المسيرة الايمانية التي منحها التناول الاول انطلاقة كبرى[٥]. وعلى الاسرة من ثم ان تدعم مساعي الكنيسة، فتمكن ابناءها من ارتياد مراكز التثقيف المسيحي والمواظبة على المشاركة في الاوخارستيا الاسبوعية[٦]...

ويطيب لنا ان نلفت الانتباه الى المكانة الخاصة التي يجب ان يحظى بها المتناولون ضمن جماعة الخورنة: فمن جهة، نتمنى ان يكون للمتناولين الجدد دور فاعل في قداس الاحد عبر مشاركتهم ببعض الادوار والصلوات والاناشيد...، ومن جهة اخرى ندعو الى تنظيم لقاءات خاصة تجمع المتناولين في ما بينهم، وتتضمن دروسا ومناقشات ونشاطات ثقافية واجتماعية... وحبذا لو تقام لهم، بين حين وآخر، قداديس خاصة يعدونها هم ويشاركون فيها بصيغ تتجلى فيها مواهبهم التعبيرية عن الايمان، وباساليب تتجاوب مع اعمارهم واذواقهم وحاجاتهم...

اطفال وبالغون... مسيرة مشتركة

والخلاصة التي نتمنى ان تستخرج من هذا المقال هي ان الايمان المسيحي هو في جوهره قضية حب وولاء لشخص يسوع المسيح. وهو من ثم مسيرة طويلة يشترك فيها الاطفال مع ذويهم، إذ يضعون يدا بيد للدخول في سر الله الذي كشفه يسوع بحياته وموته وقيامته... وهذا السر لا يمكن للمسيحي، صغيرا ام كبيرا، ان يكتشفه لوحده او ان يعيشه لوحده، وانما هو خبرة يعيشها مؤمنون، بالغين كانوا ام حديثي السن، يساعد بعضهم بعضا ويسند بعضهم بعضا في مسيرة مشتركة للكشف عن وجه يسوع وابعاد رسالته والسعي الى عيش الانجيل بكل متطلباته في واقع الحياة اليومية.

فمن هنا كانت الاهمية التي نعلقها على البعد الجماعي للايمان والذي يجب ان يطبع كافة المساعي التي تتوجه نحو الاطفال، سواء على صعيد الاسرار الكنسية ام على صعيد التعليم والممارسة الدينية. فالاطفال هم ابناء الكنيسة وهم بالتالي ابناء الجماعة المؤمنة التي عليها ان تحتضنهم وترعاهم وتسهر على نمو الايمان فيهم وتمكنهم من ثم من ان يشعوه ويشهدوا له. ويجب ان يكون هذا البعد حاضرا في فكر وسلوك المؤمنين والاكليروس معا، بشكل يكون قادرا ان يسم بطابعه كافة الاسرار، والقداس بنوع خاص، وسائر الاحتفالات الطقسية والنشاطات الروحية والرسولية والثقافية والاجتماعية....

---

(١) نشير الى المقالات التي تناولت سر العماذ في مقوماته اللاهوتية وابعاده الروحية: عماذ الاطفال ك٢ ١٩٧٥)، رتبة العماذ ومعانيها (آذار ١٩٧٥)، الانسان على ضوء سر العماذ (ت ١ ١٩٨١).

(٢) يشير سفر اعمال الرسل الى ان السامرة بعد ان "قبلت كلمة الله" واعتمذ اهلها على يد فيلبس احد السبعة، انحدر الرسولان بطرس ويوحنا ووضعا عليهم الايدي "لكي ينالوا الروح القدس"(اعمال٨: ١٤). وسرعان ما اقترن وضع الايدي بزيت الميرون لدى منح سر التثبيت للدلالة على القوة التي يمنحها الروح القدس لتمكّن المؤمن من الشهادة للمسيح. وكان الاسقف، بصفته خليفة الرسل ورمز الوحدة في الكنيسة، هو الذي يمنح سر التثبيت، للتدليل بأن هذا السر يكرس المسيحي للمساهمة في رسالة الكنيسة. الا ان امتداد الخورنات وتباعدها جعل الكنائس في الشرق، ومنذ القرن الرابع، تحتفل بالسرين معا وتعهد منحهما الى الكاهن (اقرأ: سر التثبيت، عهد بالالتزام – ف. م. ايلول ١٩٧٥).

(٣) منذ ان امّت المدارس الاهلية عام ١٩٧٤، اصبحت دروس الدين تعطى في المدارس التي يشكل فيها الطلبة

المسيحيون اغلبية. وغني عن القول ان هذا الواقع، مع ميزاته، يحرم العديد من الطلاب من الحصول على ثقافة دينية، ولا سيما في المدن. اما الكتب المنهجية التي اقرتها وزارة التربية، فهي بحاجة الى اعادة تأليف في بنيتها ومفرداتها واسلوبها...كما ينبغي ان يتم اتفاق بين الكنيسة والوزارة حول تعيين معلمين كفوئين بتدريس مادة "الدين" في المدارس، وضرورة اعداد كتاب خاص يساعدهم في هذه المهمة. وللمزيد، نحيل القراء الى المقالات التي نشرتها المجلة حول واقع التعليم المسيحي ومضمونه وسبل تجديده ونخص بالذكر: التثقيف المسيحي..الى اين؟(حزيران؛ ت١ ١٩٧٥)، التعليم المسيحي بين جيلين (ت١- ت٢ ١٩٨٦)..

(٤) راجع التحقيق في المجلة عن هذه المراكز في كل من الموصل (آذار ١٩٨٣) وبغداد (ك١ ١٩٨٤).

(٥) نقترح ان يتواصل تثقيف المتناولين الجدد سنة كاملة تتكلل برتبة "المجاهرة بالايمان" في احتفال خاص او أقله ضمن احتفال التناول للعام التالي والذي سيجمع المتناولين الجدد مع المتناولين القدامى.

(٦) حول الاوخارستيا راجع: دور الاوخارستيا في بنيان الكنيسة (ك٢ ١٩٧٦)، البعد الجماعي للاوخارستيا (ايلول١٩٧٦)، اقامة الاوخارستيا عبر التاريخ (آب / ايلول ١٩٨٢)، مفهوم الانسان على ضوء الاوخارستيا (ك٢ ١٩٨٤).

+ رومانيا: في ظل نيكولاي شاوشيسكو/ملف/نيسان
+ الفكر المسيحي في يوبيلها الفضي/احتفالات الموصل/آب- أيلول
+ الفكر المسيحي... صناعة/عدد خاص/ ت١- ت٢

رومانيا في ظل نيكولاي شاوشيسكو

وضع اقتصادي مترد حتى الحضيض! سياسة مهزوزة عرضة للتقلبات المزاجية! شعب لا طاقة له على الكلام وهو يشعر بمساس في كرامته وحقوقه! كنيسة تفاخر بماضيها، وهي تعاني من الشلل، بعد ان حصرت بين جدرانها الاربعة، وتمني النفس بأيام افضل!...

تلك هي ملامح من وجه رومانيا في ظل النظام الشيوعي وفي قبضة الرئيس الروماني نيكولاي شاوشيسكو.

هذا الملف يحكي مسيرة هذا البلد الذي طبعته المسيحية في الصميم، وقد اضحى عرضة للاستلاب والقمع والتمزق والفقر والجوع... وبات يتطلع بلهفة الى ازمنة الانفراج. ملف هو اشبه بريبورتاج!

شعب مستلب وجائع! خائف وكئيب! يعبد الدولار! تلك هي اولى الانطباعات التي يخرج بها السائح بعد زيارة خاطفة لرومانيا التقى خلالها بأناس -وطلبة اجانب بالدرجة الاولى- عرضوا عليه سعرا خياليا للدولار سيمكنه من العيش في بحبوحة دون ان يسأله احد عن طريقة هذا التبادل، طالما ان الرومانيين يحنون رؤوسهم امام سيكارة "كنت" ويضعفون ازاء قنينة صغيرة من الكحول وغيرها من المواد النادرة والمفقودة! وكل ذلك يتم بعيدا عن اعين قوى الامن (Securitate) التي خلقت رعبا جعل هذا الشعب الرقيق يعيش في شبه سجن كبير خفف من وطأته جمال الطبيعة الساحرالذي لا يكتشفه السائح ان هو اكتفى ببوخارست العاصمة وكوستنزا الساحلية.. ولم تتوغل قدماه في مقاطعتي مولدافيا وترانسلفانيا حيث جبال كربات الشامخة، وحيث كل شيء يحكي قصة حضارة عريقة طبعتها المسيحية بسمات عميقة لم تقو اربعون سنة من النظام الشيوعي على

اخفائها، بالرغم من حملات الاضطهاد التي تعرضت لها الكنائس في الخمسينات، وكان للكنيسة الكاثوليكية، بشقيها اللاتيني والبيزنطي نصيب كبير منها[1].

ورومانيا الاشتراكية التي طالما فاخرت بنظامها وسياستها الخارجية وتوجهاتها الوطنية في ظل الرئيس نيكولاي ساوشيسكو الذي تملأ صوره العملاقة شوارع بوخارست وابنيتها، تعيش اليوم اقسى ازمة اقتصادية عرفتها في تاريخها، وقد اصبحت في اخر مرتبة بين دول الكتلة الشرقية بعد البانيا، بسبب سياسة اقتصادية مهزوزة! ولم يعد الرومانيون يثقون بالشعارات التي يرفعها "حزب العمال" وينادي بها "القائد المحبوب" الذي يتكلم عنه الكل سرا دون ان يلفظوا اسمه!

"لقد أمْسَكَنا النظام عن طريق الجوع والخوف"! قالتها دوينا كورنيا المفكرة المنشقة لمراسل مجلة (La Vie) وهي تعاين شعبها، وقد شوهته سوء التغذية وفارقته الابتسامة منذ امد بعيد. طالما ان المواد الغذائية مقننة –فيما اذا توفرت– ولا يحصل عليها الا بعد ساعات من الانتظار![2]

هوية رومانيا

احدى دول اوربا الشرقية، تحيطها كحزام روسيا من الشرق، وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا من الشمال، والمجر ويوغسلافيا من الغرب، وبلغاريا من الجنوب–ويشكل نهر الدانوب حدودها معها– ولها فوهة من الجنوب الشرقي على البحر الاسود مساحتها ٢٣٧٠٠٠كم مربع وتتوزع ثلاثا بين الجبال (كربات الشرقية والجنوبية) والتلال والسهول.

سكانها ٢٣ مليون بينهم ٨% مجريون، ١،٦% المان، ١،١% غجر، واقلية يهودية. لغتها الرسمية الرومانية ذات الاصول اللاتينية، عاصمتها بوخارست (١،٧٠٠،٠٠٠) وتبدو حديثة في اثر الحريق الذي حدث عام ١٨٤٧. من اهم المدن: براشوف، كلوج، ياشي، تيميشوارا، بلويشتي (محطة بترول).

تشتهر رومانيا بغاباتها الكثيفة (٣٧%) وتربية المواشي، ومن محاصيلها الزراعية الحبوب والفواكه والخضراوات... من ثرواتها الطبيعية الرئيسية البترول الذي كان انطلاقتها في التصنيع وفي مختلف الصناعات الثقيلة والخفيفة.

صفحة في تاريخ مضطرب

ليس بوسع هذه الصورة ان تعتم على وجه رومانيا الماضي الذي يرقى الى يوم كانت تدعى "داشيا" حين احتلها تراجان على دفعتين (١٠١ و ١٠٦ بعد الميلاد) ، فاصبحت مقاطعة رومانية واصبحت اللاتينية لغتها. وحين تخلى عنها الامبراطور اوريليان عام ٢٧١، بدأت فترة غامضة من تاريخها استمرت عشرة اجيال تخللتها غزوات السلافيين في القرن ٦، ومنذئذ دخلت رومانيا في فلك بيزنطية التي كان لها الفضل في تنصيرها في نهاية القرن ٩.

وفي غمرة الانطلاقة الحضارية والاجتماعية والسياسية، انقضت على البلاد غزوات التتر من الجنوب (القرن ١٠– ١٣) واحتلت المجر الجزء الغربي منها (ترانسلفانيا) في اواخر القرن١١، وهكذا اجتاحها النفوذ الغربي – وما زالت الكاتدرائيات الغوطية شاهدة عليه. وشهد القرن١٣ قيام الامارات في مقاطعتي فالاشيا في الجنوب ومولدافيا في الشمال الشرقي،

ولكن سرعان ما اجتاحها الغزو التركي في اوائل القرن ١٥. ومن المفارقات ان تميزت فترة الاحتلال العثماني بانطلاقة عمرانية وثقافية وفنية بفضل همة وحكمة اميري فالاشيا (بوخارست) ومولدافيا (ياشي) اللذين حرصا على تنمية خصوصيات شعوبهم الثقافية والدينية — وتشهد على ذلك الاديرة والكنائس والقصور، ونخص بالذكر اديرة مولدافيا[٣]، فضلا عن ازدهار المدارس والمطابع في القرن ١٧. من جانب اخر عرفت ترانسلفانيا بدورها ازدهارا مماثلا: فبعد مقاومة عنيفة للاحتلال العثماني، وبعد انهيار مملكة المجر عام ١٥٢٦، اصبحت ترانسلفانيا امارة في ظل السلاطين، وعرفت حركة ثقافية تمثلت في المطابع التي انشئت في مدنها والتي اخذت تنشر نتاجات باللغة الرومانية.

وبعد الفشل الذي منيت به محاولة الاتحاد بين الامارات الثلاث، وفشل امارتي فالاشيا ومولدافيا في التحرر من نير الاتراك عام ١٧١١ —فاصبحتا تحت سيطرة الاسر اليونانية من الفنار (استانبول)- انقلبت محاولة امارة ترانسلفانيا في التصدي للنمسا الى التحاقها بآل هبسبورغ عام ١٦٩١. وفي اعقاب تضعضع الامبراطورية العثمانية، اصبحت رومانيا عرضة لمطامع النمسا وروسيا، وفي الوقت ذاته اخذ الشعور القومي ينمو في اتجاه تثبيت الهوية واشاعة اللغة الرومانية. وكانت اولى الانتفاضات من فالاشيا (١٨٢٠)، اعقبتها انتفاضات مماثلة في مناطق اخرى اسفرت عن تعاقب سيطرة القوى الخارجية على الامارات، الى ان تقرر دوليا عام ١٨٥٨ حصول مولدو — فالاشيا على حكم ذاتي والحاق ترنسلفانيا بالمجر... وفي عام ١٨٨١ اعلن الامير كارول ملكا على رومانيا الموحدة والمستقلة. الا ان الاستقلال لم يعفها من المنازعات القومية والفوضى الاقتصادية، وكان ينبغي انتظار الحرب العالمية الاولى لاستعادة اجزاء كبيرة من اراضيها المسلوخة وقيام ما سمي بـ "رومانيا الكبرى".

بعد الحرب عانت رومانيا كثيرا من جرى بنيتها القومية وتناحر الاحزاب السياسية واهتزاز السياسة الزراعية الخ... مما ادى بالملك كارول الثاني (١٩٣٠) الى تبني النظام الفاشي عبر "الحرس الحديدي". وابان الحرب العالمية الثانية، انظمت رومانيا الى دول المحور واشتركت مع المانيا في الهجوم على روسيا؛ الا ان انتصار الاتحاد السوفييتي على المانيا الهتلرية اوصله الى بوخارست عام ١٩٤٤. ومن خلال ائتلافات مع الاحزاب اليسارية، تمكن الحزب الشيوعي من فرض ذاته في ت٢ ١٩٤٦، وفي ٣٠ ك١ استسلم الملك واعلنت "جمهورية رومانيا الشعبية"؛ ومنذ ١٣ نيسان ١٩٤٨ امسك "حزب العمال الروماني" بزمام السلطة وراح يقود البلاد وفق النموذج السوفييتي..

كنيسة رومانية متعددة الوجوه

دخلت المسيحية الى رومانيا من الجنوب على يد المبشرين السلاف، فنشأت كنيسة مرتبطة بالاسقفيات البلغارية وبليتورجية بيزنطية وبلغة سلافية. ومع احتلال المجر لترانسلفانيا، دخلت الكثلكة الى البلاد من الغرب حيث نشات كنيسة على الطقس اللاتيني. وابان انتشار حركة الاصلاح في المانيا والمجر، نشأت كنائس بروتستنتية، لوثرية

وكلفينية. ومما لا شك فيه ان الكنائس لعبت دورا هاما في النهضة الثقافية والمعمارية والفنية... واسهمت بشكل فاعل في حركة الاستقلال والسيادة الوطنية. فمنذ عام ١٣٥٩ اصبح للكنيسة الارثوذكسية رئاسة اسقفية، وبدأت حركة نقل الليتورجيا من اللغة السلافية الى الرومانية في القرن ١٦. وفيما شهد القرن ١٧ انطلاقة ثقافية كبرى عن طريق المدارس والمطابع، جاء القرن ١٨ ليضع الكنيسة في امارتي فالاشيا ومولدافيا تحت نير القسطنطينية، ويلحق ترانسلفانيا بعرش النمسا الذي ارغم الكنيسة الارثوذكسية فيها الى الانضمام الى الكثلكة، وذلك عبر سينودس عقده معظم الاساقفة في البا يوليا عام ١٧٠٠ واعلنوا فيه اتحادهم بروما مع احتفاظهم بالطقس البيزنطي.

وحين اعلن استقلال رومانيا عام ١٨٨١، حصلت الكنيسة الارثوذكسية على استقلالها عن القسطنطينية عام ١٨٨٥، وانشيء الكرسي البطريركي في بوخارست عام ١٩٢٥. ومنذ ان امسك الحزب الشيوعي بزمام البلاد، اعتمد سياسة لا تهدف الى ازالة الكنائس بقدر ما تهدف الى تشديد الرقابة عليها وتحديد نشاطاتها عبر وزارة الاديان.

الكنائس في ارقام

• الكنيسة الارثوذكسية الرومانية: وتضم ٧٠-٨٠%من الشعب الروماني، وتنقسم الى ٥ مراكز رئيسية (متروبوليطية) تضم ٥ رئاسات اسقفية و٧ اسقفيات لرعاية ٨١٠٠ خورنة يخدمها حوالي ٩٠٠٠ كاهن؛ ويلوذ بها حوالي ٢٥٠٠ راهب وراهبة في ١١٤ ديرا. يدير الكنيسة السينودس المقدس للشؤون الروحية، والجمعية الكنسية الوطنية للشؤون الادارية، ويتم انتخاب البطريرك والاساقفة في الجمعية الكنسية بحضور ممثل من وزارة الاديان، وتخضع القرارات لموافقة المجلس الوطني.

• الكنيسة الكاثوليكية: بعد الغاء الكنيسة البيزنطية الكاثوليكية عام ١٩٤٨، لم يبق على الساحة سوى الكنيسة اللاتينية التي ينتمي اليها اكثر من مليون ونصف، بينهم ٧٠٠ الف من اصل مجري (ابرشيتا ألبا يوليا واورادیا مع ٥٠٠ كاهن) و٤٠٠ الف من اصل الماني(ابرشية تيميشوارا مع ١٣١ كاهنا- ١٩٧٠) وحوالي نصف مليون روماني (ابرشية ياشي مع ٩٧ كاهنا - ١٩٧٤) وابرشية بوخارست مع ٤٠ كاهنا - ١٩٨٢. وللكنيسة معهدان اكليريكيان يخضعان لرقابة صارمة.

• الكنائس البروتستنتية: ويقدر عدد مؤمنيها بحوالي مليون، معظمهم من اصل مجري والماني، وتاتي الكنيسة المصلحة في المقدمة (٨٠٠ الف مع اسقفين)، فضلا عن عدد من المنتمين الى المذاهب والبدع (المعمذانيين، المجيئيين، الفنطقسطيين)...

• الكنيسة الارثوذكسية الرومانية

بعد التطهير الذي قامت به الدولةعام ١٩٤٨ في جهاز الكنائس، اصدرت قوانين تنظم مسيرة الكنيسة وتحدد صفة (الولاء) شرطا لقبول الاساقفة والكهنة في مواقع المسؤولية. وتبنى سينودس الكنيسة الارثوذكسية هذا النظام الذي بموجبه تخضع كافة القرارات الكنسية لموافقة الدولة، وهكذا تمتعت الكنيسة الارثوذكسية -بصفتها كنيسة الاغلبية الساحقة من المواطنين- بكيان متميز، وقد سعت الدولة احيانا، ولاسيما في منتصف الستينات، الى توطيده كلما وجدت فيها ما يخدم صورتها في الخارج. ومن هذا المنطلق عمدت الدولة الى تخصيص مرتبات لرجال الكنيسة وسعت الى ترميم وصيانة

الكنائس والاديرة الاثرية بصفتها جزءا من تاريخ رومانيا... ولكنها من جانب آخر، قيدت نشاط الكنيسة التعليمي داخل جدرانها وحددّت عددا من الاسر لقيام الخورنات (٤٠٠ اسرة عوضا عن ٢٠٠، مما يحرم العديد من القرى من الخدمة الراعوية!)، ووضعت شروطا قاسية للدخول في الحياة الرهبانية[٤]، وحددت عدد الطلبة في المعاهد الكهنوتية الستة واكاديميتي اللاهوت (بوخارست وسيبيو).

ويعزى هذا التوجه الذي تبنته الكنيسة الارثوذكسية الى حكمة البطريرك جوستينيان منذ انتخابه عام ١٩٤٨. وقد واصل سياسة "الولاء" للدولة خلفه جوستان عام ١٩٧٧، وهو الذي سعى الى تطوير ثقافة الاكليروس ونشر سلسلة "آباء الكنيسة"، فضلا عن طبعات جديدة لكتاب المقدس. وقد خلفه منذ ١٩٨٦ البطريرك تيوكتيست (ولد عام ١٩١٥) في منعطف صعب من حياة الكنيسة.

- **الكنيسة الكاثوليكية**

حتى عام ١٩٤٨ كان ينتمي اكثر من مليون على الطقس اللاتيني واكثر من مليون ونصف على الطقس البيزنطي – وهم ارثوذكس ترنسلفانيا الذين اتحدوا بروما عام ١٧٠٠، وابان الحرب العالمية الثانية، الحقوا قسرا بالكنيسة الارثوذكسية، حين قرر ٣٦ كاهنا (من مجموع ٢٠٠٠) العودة الى الكنيسة الام في ما يسمى ب (سينودس كلوج)! وتكرس الغاء الكنيسة البيزنطية الكاثوليكية في سينودس عقده البطريرك جوستنيان في ألبا يوليا في ٢١ ت١ ١٩٤٨. وصادق عليه المجلس الوطني الروماني في ١ ك١ ١٩٤٨، وهكذا كانت نهاية "الكنيسة المتحدة"[٥] شبيهة ببداياتها التي كان للسياسة فيها دور.

اما الكنيسة الكاثوليكية اللاتينية، فبعد محاولات فاشلة لجعلها "كنيسة وطنية"، استطاعت ان تصمد بوجه المضايقات الشديدة التي عرفتها في الخمسينات[٦]. ولقد استعادت بعضا من نشاطاتها، بعد ان اطلق سراح عدد من كهنتها ورهبانها في الستينات. وحتى عهد قريب لم يكن لها سوى اسقف واحد –وتلك هي اكبر مشكلة عانت منها هذه الكنيسة بالرغم من المساعي التي بذلها الفاتيكان لاستحصال الحق في تعيين اساقفة للابرشيات الشاغرة. ولقد افلحت السياسة التي انتهجها الكرسي الرسولي مع الدول الشرقية في عهد البابا بولس السادس– وكان قد استقبل الرئيس شاوشيسكو عام ١٩٧٣– اسفرت عن تعيين اسقفين لابرشية ألبا يوليا ومدبرين للابرشيات الاربع الاخرى. وكانت آخر بادرة من جانب رومانيا قبولها عام ١٩٨٤ اسقفا جديدا لابرشية بوخارست التي ظلت ٣٠ عاما من دون راع.

٢٥ عاما في ظل نيكولاي شاوشيسكو

حين تسلم شاوشيسكو مقاليد الحكم عام ١٩٦٥، واصل سياسة سلفه، مؤكدا من جهة على استقلال رومانيا ومعطيا عنها صورة بلد شيوعي لا يدور في فلك موسكو! ألم يرفض مساندة الاتحاد السوفييتي لدى تدخله في تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨؟، وواضعا من جهة اخرى كل طاقات البلاد في خدمة التصنيع وعلى اضخم المستويات، معتمدا على

رؤوس اموال من اوربا الغربية! وهكذا تمتعت رومانيا بمكانة مرموقة على الساحة الدولية، وتمتع "عبقري الكربات" و "النجم الساطع في سماء الاشتراكية" –كما تطلق عليها وسائل الاعلام الرومانية– شعبية واسعة في السنوات الاولى من حكمه؛ ولكن سرعان ما اخذ الشعب الروماني يدفع الثمن من جرى الوضع الاقتصادي المتردي والذي انعكس في شحة المواد الغذائية وسياسة "شد الاحزمة" من جهة، وفي القمع وانتهاك حقوق المواطنين وحرياتهم من جهة اخرى.

وازدادت وطأة النظام على الرومانيين منذ ان اعتمد الرئيس "الاوفر حبا" اسلوب "التعديلات الوزارية" في السبعينات، بغية اشراك "الاسرة المالكة" في الحكم، وفي مقدمتها زوجته ايلينا وابنه الاصغر وقرابة ٢٠ شخصا من الاقرباء! واصبحت عبادة الشخصية بمختلف مظاهرها من العلامات المميزة للنظام، بعد ان اضحى الحزب بكل اجهزته وسيلة لاحكام السيطرة على الشعب وخنق كل رائحة انتفاضة او تمرد، والتعتيم على كل ما يجري في الداخل.

وبعد فشل سياسته الاقتصادية[٧] التي اعطت الاولوية للتصنيع السريع على حساب الزراعة –وكان بوسع رومانيا ان تصبح "مستودع حنطة" لكل دول اوربا الشرقية طالما ان ٤٢% من السكان يعيشون في الريف– وبغية تحويل انظار الشعب عن مشاكله اليومية، اتجهت عبقرية شاوشيسكو نحو السياسة الدولية عبر تبني مواقف السلم ونزع السلاح وعدم الانحياز الخ... كما اتجهت مهارته في الداخل نحو دغدغة مشاعر الرومانيين بماضيهم المجيد الذي يسعى الى احيائه ومواصلته.. الا ان هذا الاسلوب لم يعد قادرا على الحظوة بالمصداقية ازاء الانتهاكات الصارخة لحرمة الاديرة والكنائس في بوخارست، وازاء التجاوزات الفظيعة على حقوق الاقليات القومية والدينية. فمنذ عام ١٩٧٧ عزم الرئيس الروماني ان يعطي لبوخارست وجها جديدا؛ وكانت ضحية المخطط احياء سكنية وبنايات تاريخية وبضع كنائس واديرة اثرية مسحت او نقلت من مكانها كي يتاح فتح شارع جبار يخترق العاصمة باسم "انتصار الاشتراكية"! ومن بين اماكن العبادة التي هدمت كنيسة من القرن ١٦ ودير من القرن ١٧، الى جانب عدد من الكنائس والاديرة المهددة بالهدم وفي مقدمتها الصرح البطريركي وكنيسة من القرن ١٨. وازاء هذه الاجراءات التعسفية، برزت، هنا وهناك اصوات احتجاج قابلتها رومانيا بصمت رهيب! ومن جهة اخرى شمر شاوشيسكو عن ساعده "لتنظيم الريف" بما يهدف الى تمير ٧٠٠٠ قرية (من اصل ١٣٠٠٠ في كل البلاد) وتهجير سكانها وايوائهم في ٥٨٨ مجمعا سكنيا! وهل هي صدفة ان تكون غالبية هذه القرى في ترانسلفانيا حيث السكان من اصل مجري!؟ اليست تلك خطة للقضاء على الخصوصيات القومية لحوالي مليونين من المجريين؟! وازاء هذه القرارت الاعتباطية، احتجت هيئات مسيحية في العالم كمجلس الكنائس العالمي واتحاد الكنائس المصلحة العالمي؛ كما تظاهر اكثر من ٥٠ الف مجري في بودابست دفاعا عن اخوانهم في ترانسلفانيا، وكتب مفكرون وفنانون رومانيون، ومن بينهم دوينا كورنيا، رسالة احتجاج الى الرئيس خلصوا فيها الى القول:" ليس الناس اشياء"!

وإذا لم تتخذ الكنيسة الارثوذكسية الرومانية موقفا بحكم ضعفها، وإذ كانت

الكنيسة الكاثوليكية قد لزمت الصمت بحكم شفافية وضعها، فهناك اليوم يقظة لدى مؤمنين من مختلف المذاهب تمثلت في ما يدعى ب "اللجنة المسيحية للدفاع عن الحريات الدينية" –وقد برز فيها رعاة معمذانيون راحوا يستقطبون الشباب– سعت وتسعى في الكشف عن التجاوزات والانتهاكات التي تلحق بحقوق الانسان الروماني وحرياته، وتدافع عن حق "الكنيسة المتحدة" في الوجود وعن ما يسمى ب "جند الرب" –وهم كنيسة انشقت عن الارثوذكسية وتعد حوالي ٤٠٠ الف مؤمن يتميزون بالروح النقدية تجاه الكنيسة والدولة. وقد الغيت عام ١٩٤٨.

تلك هي رومانيا في عهد الرئيس شاوشيسكو الذي افتتح العام الخامس والعشرين من حكم نسج من مشاريع اقتصادية فوق القياس، وشعارات ايديولوجية تلامس الخيال، وخطط ووعود ما زالت انتظارات لا غد لها، واجراءات ضيقت الخناق على المواطنين! فلم يبق لهذا الشعب المسكين سوى ان يعيش بانتظار ايام افضل!

---

(١) الى جانب المصادر التي اعتمدناها لكتابة المقال، اعتمدنا معلومات وانطباعات حملناها من زيارة لرومانيا، التقينا خلالها بكهنة ومؤمنين ادلوا الينا بشهادات ومكاشفات التزمنا ابقاء اصحابها طي الكتمان.

(٢) ٤١٠غرام من الخبز للفرد يوميا. ١٠٠ غرام من الزبدة للفرد شهريا. لتر من الزيت وكيلو من السكر والدقيق واللحم للاسرة شهريا الخ... ناهيك عن السلع التي يشاهدها المواطن في واجهات الاسواق المركزية باسعار تفوق قدرته الشرائية (مرتب العامل في حدود ٢٠٠٠ لي (Lei) ما يعادل ٢٥ دولار في السوق السوداء!).

(٣) في نيتنا كتابة ريبورتاج عن هذه الاديرة التي تمتاز بفن معماري رفيع ورسوم جدارية رائعة.

(٤) في عام ١٩٥٥ كان عدد الرهبان والراهبات يربو على ٨٥٠٠ موزعين على ١٩٩ ديرا. وازاء ازدهار الحياة الرهبانية، عمدت الدولة عام ١٩٥٩ الى تقليص اعدادهم بمجموعة من القرارات التعسفية اسفرت عن سجن بعضهم واحالة بعضهم الى العلمنة. فضلا عن اغلاق عدد من الاديرة.

(٥) نمت هذه الكنيسة بسرعة هائلة (عام ١٧٣٣ كان لها ٢٢٩٤ كاهنا "متحدا" مقابل ٤٥٨ رفضوا الاتحاد...)، وكان لها اليد الطولى في تنمية الشعور الوطني وتبني الابجدية اللاتينية عوضا عن السلافية في اللغة الرومانية.. وكان لهذه الكنيسة "الملغاة" ٥ ابرشيات ونيابة اسقفية في بوخارست، وكان مؤمنوها موزعين على ١٨٠٠ خورنة، فضلا عن بضع جمعيات رهبانية و ٣ اكليريكيات ومدارس عديدة... وقد توفي في السجن اساقفتها الست مع عدد من الكهنة والمؤمنين الذين رفضوا الالتحاق بالكنيسة الارثوذكسية. وتشير المعلومات الى ان عددا من الكهنة انتموا سرا الى الطقس اللاتيني، فيما بقي غيرهم بشكل ما يسمى ب "كنيسة الخفاء" – وتعتبر المشكلة رقم (١) في العلاقات بين روما وبوخارست.

(٦) قبل عام ١٩٤٨، كانت للكنيسة اللاتينية ١٢٢٠ كنيسة يخدمها ١٠٨٦ كاهنا و ١٥٧٨ راهبة، وكان لها ١٢٦ مدرسة و ٣٣ مجلة وصحيفة واحدة. وقد الغيت المجلات واممت المدارس وحلت كافة الرهبانيات (٢٢ رهبانية) وسجن بعضهم والتحق بعضهم بالخدمة الراعوية، وما زال بعضهم يعيش في الخفاء في جماعات صغيرة لا تلفت الانتباه.

(٧) تمثل هذا الفشل بنوع خاص في شحة المواد الاولية وعدم كفاءة اليد العاملة والتفاوت بين توظيف الاموال الهائل ونسبة الانتاج. فضلا عن شحة النفط الروماني مما اوجب عملية الاستيراد وتحمل فوضى الاسعار... فكانت الديون الخارجية المتراكمة (١٠ مليارات دولار عام ١٩٨١!) التي اثقلت كاهل البلاد وضعضعت ثقة الغرب بها... وكان لتحديد الاستيراد وزيادة التصدير مردودات سلبية على حياة المواطنين وحاجاتهم الاساسية.

المصادر

- **Encyclopdia Universalis,Corpus 16, 1985.**
- **E.L'homel: Roumanie, un régime aux abois (Etudes, oct. 1982).**
- **Les chrétiens en Roumanie (I.C.I., 1 fév. 1965).**
- **Le grand bond en arrière (La Vie, 28 Avril 1988).**
- **A.R.M. NNoo. 19,37 , 40,47, 52,60.**

ملف / نيسان ١٩٨٩

الفكر المسيحي في يوبيلها الفضي

(١٩٦٤ - ١٩٨٩)

احتفالات اليوبيل في الموصل

كان حلما ان تحتفل "الفكر المسيحي" باليوبيل الفضي، وهي المجلة التي لم يكن يقدّر لها انبياء الشؤم ان تعيش طويلا! وها هي قد شقت طريقها طيلة ربع قرن، عبر نجاحات واخفاقات، وتألقات وكبوات، لتصل الى اليوم الذي طالما تمنيناه وتمناه عليها قراؤها واصدقاؤها، وكثيرون منهم واكبوا طفولتها في الستينات وحداثتها في السبعينات وشبوبيتها في الثمانينات...

احتفالات اليوبيل في الموصل (٧- ١٠ تموز) وبغداد (٢١- ٢٨ تموز) كانت اشبه بمهرجان استقطب قابليات ومواهب وطاقات العديد من اصدقاء "الفكر المسيحي". وذلك بعطاء وسخاء لا مثيل لهما... ففيما نصدي هنا لهذا المهرجان، يطيب لنا ان نرفع اسمى آيات الشكر والتقدير والثناء الى كل الذين، في الموصل وبغداد، ساهموا، من بعيد او قريب. بقليل او كثير، في جعل هذه المناسبة تظاهرة اعلامية في خدمة "الفكر المسيحي" التي نأمل - كما يأمل قراؤها- ان تبقى شمعة موقدة دوما في كنيسة العراق.

.... وكان عام ١٩٨٩ عام اليوبيل الفضي، كونه العام الخامس والعشرين من مسيرة "الفكر المسيحي" الفعلية —وكانت قد تعرضت عام ١٩٦٩ لتوقف دام قرابة عام. وكان لا بد ان يعطى لهذه الذكرى ما تستحقه من الاهمية، ليس لكون "الفكر المسيحي" صمدت بوجه المتاعب طيلة ٢٥ عاما حسب، وانما لكونها المجلة الوحيدة في تاريخ الصحافة المسيحية في العراق بلغت هذا الشوط من عمرها!

ومنذ بدء هذا العام، انطلق نداء الى المشاركة في نشاطات ثقافية وفنية تصب في معارض تقام في الموصل وبغداد. وسرعان ما بدأت المشاركة تتجسد من قبل الفنانين والهواة، وفي مختلف الحقول، حتى انها فاقت حدود التوقعات... ولنقلها بصراحة: لقد وقفنا مشدوهين ازاء مساهمات فنية رائعة اتسمت بالعطاء والابداع، سيما وان الاحتفال باليوبيل تزامن مع اقسى ازمة مالية عرفتها المجلة في تاريخها.

وكان يوم ٧/٧ موعدا في الموصل لافتتاح احتفالات اليوبيل برعاية المطران قورلس عمانوئيل بني رئيس اساقفة الموصل للسريان الكاثوليك بصفته صاحب الامتياز. وتميز الاحتفال بقداس شكر مشترك اقامه سيادته في كنيسة مار توما (مقر المجلة) بمعية سيادة المطران كوركيس كرمو رئيس اساقفة الموصل للكلدان وخمسة من الكهنة اعضاء هيئة التحرير، وحضره المطران غريغوريوس صليبا شمعون للسريان الارثوذكس والمطران

توما كوركيس للكنيسة الرسولية الجاثليقية القديمة، وعدد غفير من الكهنة والرهبان والراهبات والمؤمنين من مختلف الطوائف. وكان فناء الكنيسة قد اتشح بحلة المهرجان من اشرطة الزينة واللافطات والشعارات الخ... لتقول ما حمله "بوستر" اليوبيل (الشمعة المتوهجة): "٢٥ عاما في خدمة كنيسة العراق".

وتخللت القداس —وقد تناوب الشعب وهيئة التحرير وجوقة الكنيسة في المشاركة بصلواته وقراءاته وتراتيله— كلمة بليغة للمطران عمانوئيل بني ذكّر فيها ببدايات "الفكر المسيحي" حين كانت مشروعا يخطط له "كهنة يسوع الملك" في بدء حياتهم الكهنوتية المشتركة... وفيما اكد سيادته على اهمية الصحافة المسيحية وحاجة قطرنا الملحة اليها، خلص الى ابراز الاهمية والضرورة اللتين تكتسبهما مجلة الفكر المسيحي، مثنيا على "الاستمرارية" التي تميزت بها (انظر الاطار).

كلمة المطران عمانوئيل بني

(...) لست هنا في صدد تقييم مجلة الفكر المسيحي. فذلك امر متروك لكم، انما اريد ان اؤكد على نقطة قد تكفي وحدها لتبرز ما للقائمين على اصدار هذه المجلة من دور يستحقون عليه الثناء والتشجيع وهو الاستمرارية في اداء هذه الرسالة.

انه ليس بالامر الهين ان تستمر مجلة، طيلة ربع قرن، على الصدور، لاسيما اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار بعض العوامل التي من شأنها ان تعرقل هذ المسيرة او ان تثبط عزيمة اصحابها. واذا ما القينا نظرة على المعوقات التي رافقت مسيرة مجلة الفكر المسيحي، فباستطاعتنا حينئذ ان نقدر حق قدرها الجهود التي بذلها القائمون على المجلة، ليس فقط لكي تبقى، بل ايضا لتتطور شكلا ومضمونا. ففي مقدمة المعوقات كانت ضآلة الموارد وهي تنحصر في بدلات الاشتراك والمناصرة، وهي بالواقع ابعد من ان تسد المصاريف لو أتبع هنا اسلوب المكافآت للعاملين في المجلة كما هو الحال في المجلات الاخرى! يضاف الى ذلك متاعب الطباعة وارتفاع الاسعار، واسعار الورق بالذات، بشكل لا يكاد يصدق (...). وهنا لا يفوتنا ان نذكر بعض المواقف غير المشجعة ان لم نقل المناوئة.. وقد تكون هذه المواقف مبرّرة احيانا الى حد ما.. التي كان على هيئة التحرير مواجهتها! واننا لعلى يقين بان ذلك كله قد اكسبها خبرة واسعة تساعدها على اداء رسالتها بشكل انجح.

تمنياتنا لمجلة الفكر المسيحي ان تبقى وان تسير من حسن الى احسن، وان تكون اداة للتثقيف المسيحي الرصين وللاعلام الجاد والبناء. اننا نقر ان ذلك ليس بالامر الهين لاننا نعلم انه من الصعب جدا ان ترضي مجلة، اية مجلة، جميع الاذواق، ولكننا نؤكد هنا، وهذا ما قلناه مرارا لهيئة التحرير، ان القاعدة الذهبية التي يجب الا تغيب عن بالهم، وهم يحررون المقالات وينقلون الاخبار، ان من يكتب يجب عليه اولا ان يعرف لمن يكتب: فهناك بعض المقالات التي هي فوق مستوى القراء. وهي اشبه بالطعام الثقيل والدسم الذي يعطى لطفل صغيرلا يقوى على هضمه، مثل هذه المقالات لا تاتي بفائدة تذكر ان لم نقل انها قد تشوش وتبلبل افكار القراء، كما ان هناك بعض الاخبار المثيرة التي نشرت، وان كانت صحيحة، قد قدم ولا تبني، لان القارىء، غالبا ما، ليس بمستوى يؤهله لفهم الخبر على حقيقته واستخلاص العبرة من نشره.

مع اعتزازنا بما حققته مجلة الفكر المسيحي خلال هذه المسيرة الطويلة، ومع الثناء على القائمين عليها للجهود المضنية التي بذلوها، نتمنى عليهم ان يبدأوا هذه المرحلة الجديدة بايمان راسخ وهمة عالية ووعي متزايد، لكي تستمر المسيرة في خدمة الكلمة والكنيسة، وعلى بركة الله.

وفي ختام القداس، القى رئيس التحرير كلمة المناسبة شدد فيها على كون "الفكر المسيحي" رسالة من والى كنيسة العراق، عبر قرائتين: قراءة للشوط الذي قطعته المجلة، وقراءة باتجاه المستقبل (اقرأ ابرز فقراتها في افتتاحية حزيران/ تموز). وفيما عبر، في ختام كلمته عن شكره لمختلف الجهات واعتزازه بكل اشكال المشاركة، استخلص امانتين يتحتم على "الفكر المسيحي" الالتزام بهما في اداء رسالتها الاعلامية والثقافية لدى مسيحي العراق: "امانة لكلمة الله التي يجب ان تعلن بحرية وجرأة دون ان تخبو او تُشوَّه او توثق، إذ (ان كلمة الله ليست بموثقة)، وامانة لطبيعة العمل الصحافي في كل مقوماته واسسه واساليبه".

وبدأ افتتاح المعارض بموكب سار فيه ٢٥ من المتناولين الجدد حاملين الشموع، وتلاهم الاباء الكهنة والسادة الاساقفة الذين تناوبوا على افتتاح معرض المجلة والايقونة والاشغال اليدوية والخط ورسوم الاطفال. وبعد استراحة قصيرة في فناء الكنيسة، توجه موكب السادة الاساقفة الى دير الاباء الدومينيكيين الذي كان قد احتضن معرضي الفنون التشكيلية والفوتوغراف. وتميزت المعارض على اختلافها بالطابع الفني الذي اتسمت به المعروضات، وقد وضع فيها صانعوها كل طاقاتهم الفنية، مما اضفى عليها سمة الابداع. وينطبق ذلك في اعمال السنارة والمنسوجات، كما في السيراميك والاعمال الخشبية.. وبشكل خاص في الازياء الشعبية (٣٦ دمية تمثل ازياء القرى الشمالية)، كما ينطبق في اللوحات الفنية والصور الفوتغرافية ولوحات الخط العربي والسرياني الخ... واذ لا يتسع المجال لوصف اكثر دقة لما امتاز به كل معرض، نكتفي هنا بوصف سريع لما تضمنه معرض المجلة الذي لم يكن يخيل لغالبية الزوار انه سيضم تلك "الموسوعة" من المعلومات عن مسيرة المجلة خلال ربع قرن!

كانت نواة هذا المعرض مجموعة من الاعداد والتقاويم والفولدرات التي اصدرتها المجلة... وسرعان ما امتدت المخيلة الى جوانب كثيرة من عمل المجلة، فكانت لوحات جدارية شارك فيها عدد من المصممين والخطاطين والرسامين الشباب، كانوا هم اول المكتشفين لما تعنيه وتتطلبه صناعة المجلة!

واول ما تقع عليه عين المشاهد مجموعة كاملة مجلدة من "السلسلة" (٦ مجلدات: ١٩٦٤-١٩٧٠) ومن المجلة (١٨ مجلدا: ١٩٧١- ١٩٨٨). وتبدا الزيارة من ثم بلوحة "المجلات المسيحية في العراق"، وقد عكست تاريخها شجرة حملت اغصانها اسماء ونماذج من المجلات والنشرات، اولها "اكليل الورد" (١٩٠٢) وآخرها "النور" (اختفت عام ١٩٥٦) وحتى ظهور "الفكر المسيحي" (١٩٦٤). وفيما استعرضت لوحة "الفكر المسيحي في سطور" التطور الذي عرفته "الفكر المسيحي"، عاماً بعد عام، من حيث الحجم وعدد الصفحات والابواب المستحدثة الخ... كان بوسع الزائر ان يشاهد مجموعة من اوراق الاعلان والتقاويم والاستقتاءات والفولدرات التي اصدرتها المجلة. وتوقفه لوحة اخرى على المراحل التي تمر بها المجلة قبل ان تصل اليه: من المسودة المكتوبة الى المسودة المنضدة التي تم تصليح اخطائها الطباعية... ومن التنضيد اليدوي طيلة ١٤ عاماً في الموصل، الى التنضيد

باللاينو في بغداد منذ نيسان ١٩٧٧، ومن ثم الطباعة بالاوفسيت والالوان.. وصولا الى التنضيد التصويري الالكتروني...، فضلا عن لوحة تفصيلية حول صناعة العدد.

وفيما رسمت بعض اللوحات اسلوب ادارة الاشتراكات واسماء وكلاء المجلة ووتيرة الاشتراكات عبر خطوط بيانية وخارطة للعراق تحمل نسب المشتركين...رسمت لوحات اخرى "الاعداد الخاصة" (١٤ عددا) ومواضيع منها، واثبتت غيرها صور اعضاء هيئة التحرير الى جانب اسماء الكتاب الذين كان لهم مساهمتان فما فوق. وفي نطاق الابواب الثابتة في المجلة كان لا بد للملفات الاعلامية (٥٠ بلدا في مختلف القارات) والدراسية ان تُبرّز، فضلا عن المقابلات و "شؤون راهنة" وكل ما نشر عن "كنيسة العراق"... وكانت قمة العرض قسم الارشيف: وقد تناول مصادر المجلة عبر عرض رائع لمجموعة كبيرة من المجلات والصحف العربية والاجنبية: وُثّقت المجلات الشهرية والفصلية منها في بطاقات "فيش"، فيما احتفظ بقصاصات من الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية في مجموعة كبيرة من الاضابير. علما بان البطاقات والاضابير مبوبة بحسب موضوعات رئيسية، تنقسم بدورها الى مواضيع فرعية. وكان هناك عرض لنماذج منها في اتجاهين: بحسب البلدان وبحسب الموضوعات. وذلك بالنسبة الى الصحف والمجلات الاجنبية من جهة، والصحف العراقية من الجهة الاخرى.

من جانب اخر تضمن جناح الارشيف كشافا بمقالات "الفكر المسيحي"، مستلة ومبوبة، بحسب موضوعات رئيسية وفرعية. فضلا عن ارشفة كاملة لباب الانباء، مستلة ومبوّبة، بحسب البلدان في مختلف القارات (١٣٠ بلدا). وخلص الجناح الى عرض ارشيف الصور الذي منه تستقي المجلة صورها ابان إعداد "ماكيت" العدد. وهي مبوبة بقسمين رئيسيين: قسم الشخصيات باختلافها، وقسم الموضوعات بتعددها. وهكذا الحال بالنسبة الى ارشيف الافلام الذي يوثق المسودات السالبة الموجبة للصور المنشورة، مبوبة بالاسلوب ذاته.

وفي اطار فعاليات اليوبيل الثقافية، اقيم في ١٣ تموز في خورنة مار افرام الكلدانية (الموصل الجديدة) معرض للكتاب المسيحي العراقي – باشرف الاب يوسف حبي وبالتعاون مع الاباء الدومينيكيين وجهود لجنة مشتركة نشطة من راهبات وعلمانيين ضم مجموعة كبيرة من الكتب الدينية والروحية والطقسية الخ... باللغتين السريانية والعربية. وفي مقدمتها طبعات الكتاب المقدس. وذلك على مدى اكثر من ١٠٠ عام، كان لمطبعة الاباء الدومينيكيين فيها دور الريادة من حيث القدم والكثافة.

وفي نطاق النشاطات الثقافية، نظمت "الفكر المسيحي" ثلاث محاضرات عامة القيت في قاعة مار نرساي (كنيسة ام المعونة) من ٢١ – ٢٣ آب، وهي على التوالي: ١ – حركة النشر المسيحي في العراق (للاب يوسف حبي). ٢ – الاعلام في الصحافة المسيحية (للاب بيوس عفاص). ٣ – مسيرة المجلة خلال ٢٥ عاما (للاب جرجس القس موسى).

الفكر المسيحي... صناعة

حين نتكلم عن صناعة الفكر المسحيي، فلأن المجلة -كل مجلة او صحيفة- الى جانب كونها نتاجا ثقافيا، هي في الوقت ذاته نتاج صناعي يتطلب مواد اولية، وتوظف فيه اموال، ويخضع بالتالي لقوانين السوق الاقتصادية... انها بضاعة معدة للاستهلاك، وان كانت بضاعة من نوع خاص تتوجه الى فكر الانسان وعقله وقلبه وضميره ومشاعره... واذا كانت الصحيفة اليومية تباع اليوم بسعر النسخة، وتباع في الايام التالية بالوزن! إلا ان المجلة -والمجلة الشهرية بنوع خاص- تحتفظ بقيمتها التي تزداد بمضي الاشهر والاعوام... وقد تصبح احيانا أثراً يفتش عنه الباحثون ويدفعون ثمنه غاليا! ويسرنا ان الفكر المسيحي هي من المجلات التي يعتز بها الكثيرون من القراء باحتفاظهم بأعدادها منذ خمسة وعشرين عاما، سلسلة ومجلة، وقد سعى بعضهم الى تجليدها، سنة بعد سنة، بعد أن أصبحت أشبه بموسوعة دينية يرجع اليها القارىء كل مرة احتاج الى معلومات سبق لها ان نشرتها. والمقال يأتي ضمن عدد خاص بمناسبة اليوبيل الفضي.

صناعة "الفكر المسيحي"

ان صناعة "الفكرالمسيحي" تتطلب ولا شك نفقات تاتي في مقدمتها اسعار الورق وتكاليف الطباعة.. ونضرب صفحا عن نفقات التحرير والادارة والتوزيع، الى غير ذلك من النفقات التي لو احتسبت، لما استطاعت المجلة ان توازن بين وارداتها ومصروفاتها! ولكانت تعرضت لعجز مالي يتجاوز سبعة الاف دينار سنويا على اقل تقدير! ويكفي ان نقول بان المشترك لا يكاد يدفع في الواقع سوى ثمن الكلفة.. وان بدل اشتراكه اصبح في الاونة الاخيرة -بحكم تصاعد الاسعار- دون مستوى الكلفة! ولا نظن ان هناك من يفكر او يعتقد بان "الفكر المسيحي" كانت او ما زالت "بضاعة رابحة"، لا سيما اذا علم ان تكاليف الطباعة قد قفزت بنسبة ١٥٠٠% عما كانت عليه عام ١٩٧٧، وان اسعار الورق قد قفزت هي الاخرى في السنة الاخيرة بنسبة ٤٠٠% الخ...، بينما ارتفاع بدل الاشتراك لم يواكب هذه القفزات الا بنسبة ٤٠٠% عما كان عليه عام ١٩٧٧.

وغني عن القول ان "الفكر المسيحي" استطاعت ان تصمد بوجه الازمات المالية بفضل امانة قرائها لها وتصاعد عددهم، عاما بعد عام، فضلا عن الدعم الثمين الذي قدمه لها الكثيرون منهم عبر اشتراكات "المناصرة"... ولِمَ لا نقولها صريحة: الا يعود جزء من هذا الدعم الى اصحاب المطابع -ونخص بالذكر شركة مطبعة الاديب البغدادية- الذين ابدى معظمهم تعاونا مخلصا مع المجلة طيلة ٢٥ عاما تنقلت خلالها بين ٩ مطابع!

وليس من قبيل المغالاة اذا قلنا مرارا بان ديمومة "الفكر المسيحي" كانت وما زالت رهنا باتساع رقعة انتشارها: فالرقم ١٠٠٠٠ مشترك هو الحد الادنى للموازنة المالية. كما اننا لا نكشف سرا اذا قلنا بان كل تطوير في المجلة على صعيد الاخراج والطباعة والادارة والتوزيع.. وحتى التحرير، يقضي زيادة ملحوظة في مدخولاتها. وهل من زيادة في الرصيد اكثر جدوى من تلك التي يحققها تصاعد عدد المشتركين والذي يجيب الى اهداف ثلاثة في آن واحد: فائدة تعم اكبر عدد من القراء، وقدرة على مواجهة الازمات المالية، وخطة جادة للتطوير والتوسيع والتحديث... على مختلف الاصعدة.

الطباعة: من التنضيد اليدوي...

كانت اولى علاقات "الفكرالمسيحي" بالطباعة مع "ابي شكر" صاحب المطبعة العصرية بالموصل الذي كان لنا معه جولات من المفاوضات والمساومات —واحيانا المشاجرات(!)— لم تتعد التوسل اليه بتنضيد المتبقى من المقال بحرف (١٢) كي يتسع له المكان!! وكانت الطباعة انذاك تتم بطريقة التنضيد اليدوي (صف الحروف) وعلى عدة دفعات لشحة الحروف المتوفرة. اما الصور والخطوط —على قلتها— فكانت تتحول الى "كليشة" بطريقة التصوير على الزنك في معامل الزنكوغراف، في بغداد، لتأخذ مكانها الى جانب الحروف المنضدة وفي مستواها. وبعد تصحيح الاخطاء تباعا، تبدأ عملية الطباعة عبر ماكنة "هيلدلبرغ" الصغيرة (بمعدل صفحتين لكل طبعة)، ومن ثم تجري عملية التصحيف اليدوي (طوي وتجميع وكبس وقص). واستمرت الطباعة على هذا الشكل البدائي طيلة ١٤ سنة (١٩٦٤- ١٩٧٧) وباسعار تبدو اليوم زهيدة للغاية! (٢٠ دينارا لتنضيد وطبع وتصحيف ٣٠٠٠ نسخة، باستثناء الورق). ونقولها للتاريخ بان "الفكرالمسيحي"، سلسلة ومجلة، اتسمت طيلة النصف الاول من عمرها بالاناقة والنظافة والاتقان، فضلا عن دقة مواعيد صدورها في الاول من كل شهر!

وبدأت مشاكل "الفكرالمسيحي" مع المطابع حين اضطرت، مع عدد نيسان ١٩٧٧، الى الانتقال الى بغداد —بحكم محدودية الامكانات في مطابع الموصل— وكانت هناك اول تجاربها مع طريقة التنضيد باللاينوتايب لدى مطبعة شفيق (ويقوم هذا التنضيد بالضرب على آلة —شبيهة بآلة الطابعة— تستجمع اوتوماتيكيا حروف مقعرة في سطر كامل يصب من الرصاص السائل). وتمتاز هذه الطريقة، بالمقارنة مع التنضيد اليدوي، بسرعتها، حيث بالامكان تنضيد مواد المجلة كلها بمدة لا تتجاوز بضعة ايام، اذا لم تكن هناك معوقات! الا ان المشكلة تكمن في ان كل خطا يطرا في سطر ما يتطلب اعادة تنضيد السطر باكمله، وكثيرا ما يغيب الخطأ الاول وتطرأ اخطاء اخرى!! اما الطباعة، فكانت تتم على ماكنة ضخمة تستوعب ملزمة كاملة (١٦ صفحة من حجم ورق ١٠٠×٧٠ سم) لكل طبعة، مما يجعل عملية الطباعة لا تستغرق وقتا طويلا. وبعد التصحيف اليدوي ترزم النسخ المطبوعة وتجهز للسفر، عن طريق النقليات، الى الموصل حيث كانت تعد للانطلاق الى المشتركين.

... الى الاوفسيت والتنضيد الالكتروني

ومع ك٢ ١٩٧٨اضطرت المجلة الى الانتقال الى مطبعة سلمى حيث استمر التنضيد باللاينو (بحرف ١٤ مما جعل المضمون يقفز بنسبة ٥٠%) وبدأت الطباعة بطريقة الاوفسيت والتي تقوم بتحويل المواد المنضدة من نسخة محبرة الى افلام (نكتف ومن ثم بوزتيف بعد الرتوش) تجري عليها عملية مونتاج لكل ثمان صفحات، يسبقها تنفيذ ورقي... وغني عن القول ان الطباعة بالاوفسيت –بالرغم من مراحلها الكثيرة المعقدة– فسحت المجال لكي تاخذ الصور مكانها الطبيعي في التعبير الى جانب الكلمة المكتوبة، كما مكنت "الفكرالمسيحي" من الظهور باخراج يلائم طبيعتها (اطارات، تضليل، ارضيات ملونة الخ...) ومنذئذ اصبح التصحيف اوتوماتيكيا.

وكانت بدايات التنضيد التصويري عام ١٩٨١عبر (الشريط المخرم) الذي ينضد بواسطة "كيبورد" ويخرج بجهاز الكتروني. وتراوح استخدامه دون انتظام الى ان اعتمدته المجلة في اذار ١٩٨٤ قبيل انتقالها من مطبعة الرشيد[1] الى مطبعة ثويني حيث كان التنضيد التصويري، عبر الشاشة والاسطوانة، يخرج جداول من البرومايت، وبتشكيلة كبيرة من الحروف من حيث الشكل والحجم. ومنذ بداية عام ١٩٨٥ وحتى اليوم اصبح التنضيد الكترونيا (اشعة ليزر) لدى شركة مطبعة الاديب. ومن الجدير بالذكر ان هذا الاسلوب في التنضيد، علاوة على كونه انيقا وسريعا، جعل مضمون المجلة يقفز بنسبة ٧٠% عن عام ١٩٧٧ مع احتفاظها بملازمها الثلاث (٤٨ ص)!

مراحل يمر بها العدد قبل ان يصلك

كل شيء يبدا بورقة وقلم! هي تلك قصة كل عدد قبل ان تجهز مواده وترسل مسوداته للتنضيد... مسودات يكتبها محررون، قد تتكرر اسماؤهم! ويمر عليها قلم التحرير، اقله لتصحيح خطأ نحوي او لضبط عبارة وسبكها.... ويؤشر عليها رئيس التحرير –وتلك مهمة "سكرتير التحرير"– نوعية الخط المطلوب (اسود، ابيض، مائل...) وحجمة (١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٦ الخ...) ومساحة السطر المطلوبة (الميجر)، وترسل المواد بدفعتين او اكثر الى مطبعة الاديب لتنضيدها على الاجهزة الالكترونية وتخريجها من ثم في اعمدة طويلة من البرومايت اللماع. وللحال –لدى وصولها الى مقر المجلة– تبدأ عملية التصحيح ومن ثم تدقيق الاخطاء التي طرأت، وهي احيانا بمعدل خطأين في السطر الواحد! ومن ثم تعاد الى المطبعة ليتم تصليح الاخطاء المؤشرة ويعاد تخريجها في اعمدة جديدة (ويكون بالامكان لدى تدقيقها من جديد، طلب تنضيد كلمات مفردة تلصق في موقع الاخطاء الشاردة، كما يمكن تلافي هذه الاخطاء بلمسة من قلم التحبير).

وبعد ان تكون مادة العدد كلها قد نضددت وصححت، يقوم مصمم بتجهيز "ماكيت" هي اشبه بنموذج لما سيكون عليه العدد، حيث توزع المواد على الصفحات المقررة والمساحات المتاحة، وتخصص مواقع للصور وتؤشر الاطارات والتضليلات المطلوب ادخالها الخ... ويضطر المصمم (او رئيس التحرير بغيابه) ان يمسك المقص ليحذف، وان

على مضض، اسطرا من هنا وهناك لا تحتويها الصفحة، ويرتضي بالتالي ان يتعرض للملامة والانتقاد من قبل كُتّاب المقالات!! وطبقا لهذه الماكيت، يتم التنفيذ الورقي الذي يقوم به "منفذ" او "منفذة" –كما هي الحال منذ بضع سنوات– فتنتقل المواد المصححة من الاعمدة الى صفحات بارقام تتضمن المقالات والعناوين المخطوطة والاطارات مع "نوافذ" للصور محددة بحسب القياس المطلوب.

في هذه المرحلة تكون ملامح العدد قد ارتسمت، الا ان عليه ان يقطع شوطا آخر قبل ان يصل الى الجمهور. ويبدأ هذا الشوط بعملية التصوير، حيث تتحول الصفحات المنفذة من جهة، والصور المختارة للمقالات او الانباء من جهة اخرى، الى افلام سالبة، وبحسب القياس (اذ بالامكان القيام بتكبير او تصغير). وبعد عملية "رتوش" على الافلام السالبة وفتح النوافذ لادخال الصور السالبة، يتم تحويلها الى افلام موجبة –وهي التي تعتمد في المونتاج حيث يلصق "المونتير" الصفحات الفلمية الجاهزة على طبقة من الاسترلون الشفاف (بحجم ٥٠×٣٥ سم) بحسب تسلسلها وموقعها في كل ملزمة (٨ صفحات وجه و٨ صفحات ظهر). وخلال عملية المونتاج يمكن ادخال ارضيات مظللة (شبك) او عناوين سالبة... كما يمكن ادخال اللون على الملازم[٢].

وحين يكون المونتاج قد انجز، تبدأ الاستعدادات للطباعة، حيث يتم تحويل الملزمات الجاهزة الى صفيحة من الالمنيوم (بليت) عبرعملية تحسيس ضوئي، ومن ثم تاخذ هذه الصفيحة مكانها في اسطوانة ماكنة الطبع، وتبدأ الطباعة بمعدل ١٠٠ نسخة او اكثر في الدقيقة – وغني عن القول ان كل ملزمة تمر مرتين في الماكنة طالما انها تحمل لونين، الا اذا كانت هناك ماكنة تطبع بلونين (كما كانت الحالة لدى مطبعة ثويني)، او اربعة الوان دفعة واحدة، وتجدر الاشارة الى ان كل هذه المراحل خضعت لها المجلة منذ ان اعتمدت الطباعة بالاوفسيت عام ١٩٧٨ والتي تزامنت مع التاخير الذي اخذ يطرأ على ظهور الاعداد، ولكن لم يعد بامكانها ان تعود القهقرى الى الطباعة العادية.

اما التصحيف، فمنذ بضع سنوات، التزمه معمل "سمير" للتحليد حيث تجري عملية "تكسير" (طوي) الملزمات بمكائن اوتوماتيكية، ويقوم العمال من ثم بتجميعها وكبسها وتنظيفها (تعريش) من جوانبها الثلاثة... وكم نفاجأ احيانا بين كمية النسخ المطبوعة وكمية النسخ المعدة للتوزيع، والله اعلم على من تقع المسؤولية!!

وهكذا يقطع كل عدد شوطا كبيرا، عبر عثرات وعراقيل جمة، من كل نوع، وقد يتجاوز هذا الشوط شهرا كاملا منذ تسليم المواد للتنضيد وحتى وصول العدد الى المشتركين، واذا اضفنا قرابة شهر في تحرير المواد واعدادها، يكون كل عدد قد تطلب شهرين! ومن هنا جاء التاخير في ظهور الاعداد، قد يتقلّص حينا ويمتد حينا آخر؛ ولا تكاد عطلة المجلة (تموز وآب) تكفي لتلافي التأخير المتراكم، حتى انها اضطرت منذ عام ١٩٨٣ ان تختزل عددا واحدا لكل عام.

(١) منذ ك٢ ١٩٨٣ تسلمت مطبعة "الرشيد"، بادارة "ابي رياض" (عادل مروكي) طبع المجلة، وباتقان ونظافة نتحسر عليها! وبعد فترة من الطباعة الانيقة لدى مطبعة "ثويني"(حزيران ١٩٨٤-ك١ ١٩٨٨)، عادت المجلة الى "الرشيد"، ومكثت فيها قرابة عامين. ومنذ ك١ ١٩٨٨ تسلمتها مطبعة "اليرموك"، ولا تزال في رعايتها الكريمة.

(٢) اعتمدت المجلة اسلوب الارضيات الثابتة ذات اللون في الملزمات الثلاث والتي يجري مونتاجها، مرة واحدة، في بدء العام. وهكذا بالنسبة الى الغلاف الذي يتم اخراجه في بدء العام ويطبع مسبقا بلونين، في انتظار اللون الثالث (الاسود) الذي تنزل به صورة الغلاف وكتاباته لكل عدد -وتلك سمة تميزت به الفكر المسيحي: لكل عام تصاميم والوان ثابتة. وتجدر الاشارة هنا الى مواكبة الفنان ماهر حربي مسيرة "الفكر المسيحي" منذ عام ١٩٧١ من حيث التصميم والخطوط، ولا سيما منذ أن اعتمدت الطباعة بالأوفسيت. وما عدا فترة تسلّم فيها الاخراج الفني، بجدارة، الزميل أبكار ليون (١٩٨٥-١٩٨٨)، استمر الزميل ماهر حربي ولا يزال يترك في المجلة بصماته الفنية التي نعتزّ بها ايما اعتزاز.

مقالات ١٩٩٠

+ لقاء القرن: موسكو- الفاتيكان/ش.ر/ك٢- شباط
** القيامة في ايمان المسيحيين الاولين١/ملف/نيسان
** القيامة في ايمان المسيحيين الاولين٢/ملف/أيار
+ البابا في تشيكوسلوفاكيا: ربيع جديد/ش.ر/أيار
* الكنائس الشرقية الكاثوليكية: عقبة أم جسر/عدد خاص/ ت١- ت٢
+ الكنائس الشرقية: معلومات وارقام /عدد خاص/ ت١- ت٢

لقاء القرن: موسكو- الفاتيكان

"ما لم يخطر في البال تم، وما كان مخفيا ظهر، وما كان فوق التصور اصبح واقعا، وانتصر سر التاريخ على المخططات البشرية"! بهذه العبارات وصفت "الاوسرفاتوري رومانو"، الناطقة باسم الفاتيكان، اللقاء التاريخي الفريد، في ١ ك١ ١٩٨٩، بين ميخائيل كورباتشوف، سكرتير الحزب الشيوعي ورئيس الدولة في الاتحاد السوفييتي، وبين البابا يوحنا بولس الثاني، اسقف روما ورئيس الكنيسة الجامعة!

التقرير التالي يرسم لوحة للظروف التي احاطت بهذه الزيارة وهيأت لها، ويعكس حصيلتها ومردوداتها على أطلاق الحرية الدينية للمؤمنين كافة، وللكاثوليك خاصة.

أن تلتقي موسكو مع واشنطن، ويجلس الزعيمان السوفييتي والامريكي على طاولة المفاوضات... فتلك ضرورة فرضتها وتفرضها التطورات الراهنة في العالم. اما ان يسبقه بيوم لقاء بين خليفة ستالين وخليفة بطرس، فتلك مفاجأة كانت، قبل اشهر فقط، من قبيل المستحيلات! ولقد تم هذا اللقاء التاريخي، الاول من نوعه منذ ثورة اكتوبر ١٩١٧، بين ميخائيل كورباتشوف ويوحنا بولس الثاني، في جو من الثقة والصراحة والانشراح، فسجل منعطفا هاما في العلاقات بين موسكو والفاتيكان، وشكل خطوة الى أمام على طريق الحرية الدينية في الاتحاد السوفييتي وعلى طريق الاعتراف بالكنيسة الكاثوليكية "المتحدة" في اوكرانيا.

اليس هذان المطلبان من الشروط التي وضعتها روما لهذا اللقاء، ومن المواضيع التي احتلت الاولوية في المباحثات بين القطبين الشيوعي والكاثوليكي؟!

وكانت قد هيأت لهذا اللقاء الفريد التحولات الهامة في الاتحاد السوفييتي الداخلية والخارجية بفضل ال "بيريسترويكا" (اعادة البناء) وال "كلاسنوست" (الشفافية) —هذان المحوران اللذان انتهجهما الزعيم السوفييتي مضحيا بالايديولوجية الماركسية اللينينية التي سارت عليها البلاد منذ الثورة البلشفية، ومخرجا اياها من المأزق الخطير الذي هي فيه. وكان عليه ان يصمد بوجه المعارضة التي ابدتها طبقة حاكمة عرّضت سياسته مصالحها للخطر!! وسيحق للتاريخ ان يجعل من كورباتشوف "رجل القرن" الذي عرف في الوقت المناسب ان يجنب الاتحاد السوفييتي، ومن ثم دول اوربا الشرقية، من انفجارات دموية لا تحمد عقباها.

ولعل انتخابات "مجلس الشعب" في آذار، الذي اسفر عن اندحار العديد من القادة الشيوعيين، كان في اصل الانتفاضات الشعبية المتتالية، بدءاً في باضراب عمال المناجم في تموز، وانتهاءً بمطالبة الليتوانيين باستقلال حزبهم عن موسكو في ك١، مرورا بجملة من النزاعات القومية في جيورجيا وارمينيا واذربيجان، ولا سيما في دول البلطيق الثلاث التي، عبر حزام بشري من مليون ونصف على امتداد ٥٠٠ كم ادانت، في آب، قرار الحاقها بالاتحاد السوفييتي عام ١٩٣٩، والمطالبات الجماهيرية بالحرية الدينية وبالاخص في اوكرانيا حيث تظاهر، في ايلول، اكثر من ١٠٠٠٠٠ كاثوليكي للمطالبة بشرعية كنيستهم التي كانت قد الحقت قسرا بالكنيسة الارثوذكسية عام ١٩٤٦.

الحرية الدينية؟ بعد ان كان الدين "افيون" الشعوب، وبعد اكثر من ٧٠ عاما من القمع والاضطهاد والمضايقات التي ذاقتها الكنائس، والكنيسة الكاثوليكية خاصة؟! حرية لم يكن بوسع البابا ان يطالب بها لولا سياسة الانفراج باتجاه الشرق التي افتتحها بولس السادس في الستينات واصبح يوحنا بولس الثاني رائدها دون منازع —وهو البابا الآتي من بولونيا التي، في اعقاب زيارته الاولى لها عام ١٩٧٩، انطلقت فيها الاضرابات العمالية واسفرت عن اتفاقيات كدانسك وولادة نقابة "التضامن".. وتكللت، في آب الماضي، بقيام حكومة غير شيوعية! وليس من قبيل المغالاة اذ قلنا بان السلطات السوفييتية كتمت غيضها آنذاك وتوجست شرا في من كان رئيس اساقفة كراكوفيا- ولم تكن محاولة اغتياله في ١٣ ايار ١٩٨١ بعيدة عن هذا التوجس والحذر!

لم يكن الحديث عن الحرية الدينية ممكنا لو لم يكن لدى المؤمنين —كاثوليك وارثوذكس— وعي عميق اقترن بصمود عنيد حمل الكثيرين منهم، ولاسيما في اوكرانيا وليتوانيا التي تضم اغلبية من الكاثوليك، على عيش ايمانهم في الخفاء بشجاعة منقطة النظير (قداديس في المنازل، رسامات في الخفاء، نشرات سرية...). وهكذا نشأت، على هامش الكنيسة الرسمية، جماعات القاعدة امتازت بشهادة بليغة. الا ان التحول الكبير باتجاه الحرية الدينية انجزه كورباتشوف ذاته الذي شعر بيقظة الايمان لدى مواطنيه، كما لمس في الوقت ذاته ازمة خلقية تمثلت في اللامبالاة والانانية وغياب القيم الاجتماعية وضعف روح المبادرة وتعثر الاخلاص في العمل الخ... اليست ازمة القيم التي تؤدي الى الانفرادية والبحث عن المصلحة الخاصة عائقا يحول

دون تحقيق الاصلاحات التي ينوي القيام بها؟ وهكذا تناغمت قناعة الرئيس ومعاونيه مع مطاليب العديد من "المنشقين" –وفي مقدمتهم اندريه ساخاروف الذي اطلق سراحه عام ١٩٨٦ ووافته المنية في ١٤ ك١ الماضي– الذين دافعوا عن حرية الراي وتعددية الاحزاب، وحاموا عن ضحايا القمع السياسي واحتجوا على كبت الحريات، وبخاصة الحرية الدينية.

وليس من الصدف ان تكون الاحتفالات بالذكرى الالفية لتنصر روسيا عام ١٩٨٨(راجع ف.م. شباط /اذار). قد تزامنت مع العديد من الاجراءات[1] السمحاء تجاه الاديان والكنائس –وتمثلت باعادة العديد من الكنائس والاديرة ورفع بعض القيود عن المؤمنين الخ... الا ان السؤال يطرح نفسه هنا: الى اي مدى ستقوى الكنائس على انتزاع الحرية لمؤمنيها؟ وما هو الدور الذي سيتسنى لها ان تلعبه في مجمل حركة التحرر؟ ويجيب ايميه سافار –في مقال له في العدد ٢٣٠٨ من مجلة (La vie) الاسبوعية– بان الكنيسة الارثوذكسية الروسية خرجت مترفة بعد ٧٠ عاما في ظل الشيوعية: مصف اسقفي لا رصيد له، اكليروس مسحوق، مؤمنون عجز دون ثقافة... فما عدا اقليات من المؤمنين الجدد الذين صقلهم الاضطهاد، تبدو الكنيسة غير قادرة على مد البلاد بنفحة روحية. ويلفت الصحفي الفرنسي الانتباه، من جهة اخرى، كيف استعادت الكنيسة الكاثوليكية حيويتها بسرعة في جمهوريات ليتوانيا واوكرانيا وروسيا البيضاء بحيث لم يعد بوسع موسكو ان تتجاهل ثقلها او ان تقلل من اهمية الدور الذي لعبه ويلعبه الكاثوليك، ليس في بولونيا حسب، وانما في المجر وتشيكوسلوفاكيا ايضا (راجع الملفين عنهما: ف.م. ك٢ ١٩٧٩ وايار ١٩٨٧). فمن اجل كل هذه الاسباب، طلب زعيم الكرملين ان يلتقي زعيم الكثلكة!

ما هي يا ترى حصيلة هذه الزيارة التاريخية؟

عن المطلب الاول، يبدو الفاتيكان راضيا عن الخطوات التي تتخذها موسكو باتجاه تشريع يفسح المجال للحرية الدينية، وقدعكسها خطاب كورباتشوف في الكابيتول الايطالي، عشية اللقاء مع البابا، حين قال: "ان بوسع القيم الاخلاقية التي يطرحها الدين ان تخدم قضية التجدد، وقد خدمته فعلا، وفي بلدنا بالذات". اما عن وضع الكاثوليك السلاف، ومسألة منح وجود قانوني لكاثوليك الاتحاد السوفييتي: فبالرغم من معارضة الكنيسة الارثوذكسية، تلوح ملامح الانفراج، سيما وقد علم مؤخرا ان وفدا من الفاتيكان يجري مفاوضات جادة مع بطريركية موسكو. الا ان هذين المطلبين لا ينبغي ان يعتما على القضايا الدولية التي تحدثا فيها الزعيمان: السلام ونزع السلاح، "البيت الاوربي المشترك"، تطور الاوضاع في اوربا... وقد كشف المراقبون عن تقارب بينهما في وجهات النظر، ولا سيما في ما يخص قلقهما المشترك حول مستقبل دول اوربا الشرقية، اذا ما استسلمت للعنف لدعم مطالبيها الاقتصادية والقومية. واذا ما انحرفت باتجاه المظاهرات السلبية التي يعاني منها الغرب. او اسفر بركان التحررعن فقدان تراثها وقيمها الحضارية والروحية...

---

[1] كان الاب غليب ياكونين احد مؤسسي "لجنة الدفاع عن حقوق المؤمنين" قد تزعم تحرير رسالة جريئة الى كورباتشوف تضمنت مطالبات عديدة بمناسبة الذكرى الالفية (اقرأ نصها في ف.م.آب/ايلول ١٩٨٧) بعنوان: رسالة الارثوذكس الروس.

ش.ر/ك٢– شباط ١٩٩٠

البابا في تشيكوسلوفاكيا: ربيع جديد

كان يوحنا بولس الثاني قد تمنى عام ١٩٨٥ ان يرئس احتفالات القديس ميثوديوس رسول السلاف... وجدد امنيته في حفلة اعلان قداسة الاميرة اغنيسة البوهيمية (القرن١٣) التي تمت في روما في ١٢ ت٢ الماضي، حين كانت تشيكوسلوفاكيا في غمرة انتفاضتها.. وها هو اليوم يلبي بفرح عارم دعوة فاكلاف هافل الذي كان، في الامس، في مقدمة "المنشقين" في ظل اكثر الانظمة الشيوعية عنفا وتصلبا!

هذه الزيارة البابوية (رقم ٤٦) فرصة لنا لتحديث ما كان قد رسمه ملف بعنوان "تشيكوسلوفاكيا: في انتظار ربيع آخر" (ف.م. ايار ١٩٨٧) عن شعب يعشق الحرية وكنيسة ذاقت الاضطهاد وعرفت ان تشهد في الخفاء، وعليها اليوم ان تشهد بصوت عال!

●

كان ينبغي ان تمر ٢١ سنة على "ربيع براغ" لتهب على تشيكوسلوفاكيا رياح خريف ١٩٨٩. ويا للمفارقات! ففي ربيع ١٩٦٨، ما ان افتتح الكسندر دوبشيك تيار المرونة في الحكم الشيوعي حتى انقضّ على براغ صيف ساخن باجتياح القوات السوفييتية اعقبته تصفيات رهيبة ابان حكم كوستاف هوساك! وحين صعد الى "القصر" فاكلاف هافل —الكاتب الدرامي، احد كبار "المنشقين" وابرز المحركين لشرعة ٧٧ دفاعا عن حقوق الانسان— كانت احدى امنياته الاولى ان يرى البابا بين شعب بحاجة الى دعم.

ربيع دائم في اجواء القيامة، عاشته مدن ثلاث في عطلة نهاية الاسبوع ٢١- ٢٢ نيسان: براغ العاصمة، فيلهراد، براتيسلافيا. اليست هذه الزيارة البابوية، الاولى بعد بولونيا، لاحدى دول اوربا الشرقية، دليلا على رغبة هافل في الاعتراف بفضل البابا البولوني الذي، منذ ارتقائه كرسي القديس بطرس عام ١٩٧٨، لم ين يدافع عن حقوق الانسان وحرياته الاساسية؟ الم يردها هافل بالتالي فرصة لتقييم الدور الذي لعبه الكاثوليك التشيكيون في الاعداد لانتفاضة الحرية، وفي مقدمتهم الكردينال فرانتيسك توماسك (٩١ سنة) رئيس اساقفة براغ؟

ان لزيارة يوحنا بولس الثاني لتشيكوسلوفاكيا مدلولات على اكثر من صعيد.. فاذا تركنا جانبا الانعكاسات السياسية التي علقت بها —وقد جاءت قبل الانتخابات التي فيها سيختار التشيكيون النموذج الديمقراطي الذي يجيب بالاكثر الى تطلعاتهم— يليق ان نضع هذه الزيارة "التاريخية حقا" في اطار الواقع الذي عاشته وتعيشه كنيسة عرفت اقسى اضطهاد بين كنائس اوربا الشرقية كافة، فنبرز من ثم مردوداتها على مستقبل قد تكون الشهادة فيه اكثر صعوبة من الشهادة في زمن المحنة!

من كنيسة "صامتة"...

ليس بالامراطين ان تقوى كنيسة على الصمود طيلة ٤٠ عاما لو لم يكن فيها "انبياء" ناضلوا في سبيل الحق والحرية والعدالة بكل ما لديهم من وسائل وامكانات، سيما حين كانت تتحول هذه الوسائل التي استخدمها الملتزمون من ابنائها الى حجة بيد النظام لتبرير اساليب القمع والتصفية والتعذيب...

فمن الصعب جدا ان تقوى كنيسة انهكها الاضطهاد على النهوض واعادة بناء ذاتها، اداريا وراعويا، بعد ان بقيت ابرشيات وخورنات عديدة، ولفترة طويلة، من دون راع! وبعد ان ضمت حركة "السلام على الارض"[1] الموالية للنظام الشيوعي حوالي ثلث كهنة الرعايا والذين ينظر اليهم المؤمنون اليوم بريبة وحذر!

تلك هي ملامح الكنيسة التشيكية التي اخذت تستعيد حياتها، متسابقة مع الزمن الذي لا يمهلها فرصة التنفس! واذا اخذت الكنيسة اليوم ترص صفوفها، وقد نصب رعاة لابرشياتها الشاغرة، ووضعت الاسس الراسخة لقيام مجلس الاساقفة، واعيدت الرهبانيات المحظورة وفتح العديد من الكنائس والاديرة والمؤسسات الخ... فلأن يقظتها كانت قد بدأت في اعقاب "شرعة ٧٧" التي كان ثلث الموقعين عليها من المؤمنين، والتي تكللت عام ١٩٨٧ بمضبطة للدفاع عن الحرية الدينية، بمبادرة العلماني الكاثوليكي اوغسطين نافراتيل. وقع عليها الكردينال توماسك ذاته، وحظيت بحوالي مليون توقيع!

ولعل اكبر شاهد على هذه اليقظة، على صعيد القاعدة، ظهور نتاج ديني غزير في الخفاء لم يسبق له نظير: فلقد اصدت احصائيات لعام ١٩٨٢ لحوالي ٧٠٠ كتاب ديني طبعت في مطابع سرية، فضلا عن عدد من المجلات والنشرات والاوراق التي كان الشباب يتداولونها سرا. اما على صعيد الكنيسة الرسمية، فلقد تميز موقف الدولة منها بالصرامة حتى ان سياسة الانفتاح التي انتهجها الفاتيكان في السبعينات لم تجد نفعا يذكر، لا في عهد بولس السادس ولا في عهد خلفه يوحنا بولس الثاني الذي توجست الحكومة التشيكية فيه شرا، واعتبرته صحافتها "من اكثر البابوات رجعية"! ومن المفارقات انه هو الذي، من طرف خفي، حمل الكنيسة التشيكية على التحلي بالجرأة والحزم عبر رئيس الاساقفة توماسك الذي تميزت مواقفه وتصريحاته، في السنوات العشر الاخيرة، بالشجاعة والصمود، مما اكسبه والكنيسة الكاثوليكية معه شعبية عظيمة. الم يكن هو وراء يقظة الايمان لدى الشباب، يقظة وقف فيها النظام مشدوها متسائلا؟! الم تكن تحديا جريئا الاحتفالات التي اقيمت في تموز ١٩٨٥، في فيلهراد، بمناسبة الذكرى المئوية الحادية عشر لوفاة القديس ميثوديوس مبشر البلاد السلافية، وقد شارك فيها اكثر من ١٥٠٠٠٠ من الشباب؟!

... الى كنيسة "شاهدة"

هذه اليقظة من جانب القاعدة، وتلك الجرأة من رئيس الاساقفة، فضلا عن مشاركة العديد من المجاهدين والمفكرين الكاثوليك في صفوف المعارضة وتعرضهم للسجن

والمطاردة...اسهمت كلها في مجيء ثورة نوفمبر السلمية، واعطت من ثم صورة مشرقة لكثلكة كانت، حتى عهد قريب، تحمل تركة تاريخ تخللته صفحات مظلمة[٢]، وها هي اليوم تفاخر بابنائها المجاهدين، وفي مقدمتهم يان كارنوغورسكي الذي تقلد منصب نائب رئيس الوزراء غداة خروجه من السجن[٣]! وليس من قبيل الصدفة ان يُصرّ فاكلاف هافل —الذي لا يخفي ايمانه العميق وان كان لا يعلن انتماءه الى كنيسة ما— على قبول "البركة" من رئيس الاساقفة بعد تسلمه زمام الرئاسة، اعترافا منه بوزن الكثلكة في حياة الامة. وليس بغريب عن فكر الرئيس التشيكي ان بوسع الزيارة البابوية ان تسهم في توثيق عرى المحبة والوحدة بين الكاثوليك والبروتستنت، وقد علمتهم سنوات النضال السلبي ان يتناسوا الجروح الماضية ويتعاونوا، وعلى اكثر من صعيد[٤].

وهنا يطرح السؤال نفسه: اي وجه تريد الكنيسة التشيكية ان تعكسه في زمن ما بعد الشيوعية؟

لا شك ان الكنيسة الكاثوليكية التشيكية ستبقى تحمل اثار الاستشهاد الذي مزقها وانهكها طيلة ٤٠ عاما.. ولكنها في الوقت ذاته ستبقى تفاخر بانها ناضلت في الخفاء من اجل الديمقراطية وعرفت ان تشهد للمسيح بالرغم من كل المضايقات... وفي كل الاحوال ستحتاج الى فترة من الزمن تستعيد فيه قواها وحيويتها. الا ان ما يخشى عليها، فيما ترفع الوية الانتصار والظفر، ان تصاب بالكبرياء والاكتفاء بالذات، فتنسى مسؤولياتها في العمل المسكوني المشترك مع سائر الكنائس! كما يخشى ان تحملها مواقفها الدفاعية الماضية على الانطواء على ذاتها، حفاظا على عقائدها وشعائرها وممارساتها، او على اتخاذ موقف الحذر والادانة تجاه المجتمع التشيكي الذي تتوجس اخطارا في ممارسته للحرية وتعامله مع الديمقراطية وما يرافقها من تعددية الاتجاهات...! فاذا كان الاساقفة التشيكيون —وبدعم من البابا— سيسعون الى اعادة تنظيم الادارة الكنسية ويضعون الخطط للعمل الراعوي بمختلف اوجهه... الا ان هناك ولا شك عددا من الكهنة والعلمانيين الذين تمرسوا على الشهادة وسط المضايقات، سيسعون من اجل قيام كنيسة نبوية تقرأ علامات الازمنة وتبحث عن اساليب وصيغ جديدة للشهادة للايمان، في خضم التحولات التي يعيشها المجتمع التشيكي الجديد.

---

(١) حركة انشاتها الدولة عام ١٩٧٠ لتخلف حركة "كهنة من اجل السلام" بهدف احتواء الاكليروس داخل الايديولوجية الماركسية واحكام السيطرة عليهم. وحين صدر عام ١٩٨٢ مرسوم عن الكرسي الرسولي يحظر انتماء الاكليروس الى المنظمات السياسية، رأى المراقبون فيه ادانة لهذه الحركة، ووجدت فيه الكنيسة التشيكية فرصة لتخرج من صمتها.

(٢) ما زال حرق جان هوس عام ١٤١٥ رمزا للتزمت الكاثوليكي —وقد امتدحه البابا في خطابه— كما ان سيطرة آل هبسبورغ على البلاد واعلان الكثلكة دين الدولة عام ١٦٢٠ واكراه البروتستنت على الدخول فيه الخ... تركت اسوأ الاثر في ذاكرة الامة (راجع ف. م. ملف ايار ١٩٨٧).

(٣) المحامي الكاثوليكي الذي دافع عن المنشقين وذاق السجن، اجاب الى سؤال لمجلة "الشهادة المسيحية" الفرنسية: "ان زيارة الاب الاقدس تؤكد على البعد الروحي للحركة الاجتماعية في تشيكوسلوفاكيا". وفيما

قال بان تلبية البابا الدعوة هي دليل على تقييمه الاسلوب السلمي الذي تمت به الانتفاضة، اكد ان هذه الزيارة تمثل مرحلة جديدة في حركة التطور الاجتماعي للبلاد.

(٤) ٦٥% من التشيكيين (١٦ مليون نسمة) هم كاثوليك، بنسبة ٨٠% في سلوفاكيا و٦٠% في مورافيا و٢٠% في بوهيميا، فضلا عن حوالي نصف مليون من الطقس البيزنطي السلافي. وهناك اكثر من ٢٠ كنيسة لوثرية ينتمي اليها قرابة مليون مؤمن تاتي في مقدمتها الكنيسة "الهوسية" (نصف مليون)، الى جانب اقلية ارثوذكسية. وتجدر الاشارة الى ان هناك بين صفوف البروتستنت حذرا من الادعاء والتفوق الكاثوليكي يخشون مردوداته على مستقبل الحركة المسكونية.

رحلة ٣٦ ساعة!

حين حطت الطائرة البابوية في مطار براغ، في صباح٢١ نيسان، خرج يوحنا بولس الثاني ليقبّل الارض، كالظافر الذي تحققت احلامه بسقوط الشيوعية، وقد سبق له ان تعاها منذ بدء حبريته! هو الذي لا ينى يحلم بتوحيد اوربا ويسعى دوما الى تذكيرها بجذورها المسيحية ومناشدتها للحفاظ على طابعها المسيحي وقيمها المسيحية. وفي كلمة الترحيب بـ "ابن الامة البولونية"، لم يتردد الرئيس التشيكي فاكلاف هافل من الكلام عن "الزيارة – المعجزة"! وما من شك ان اللقاء في قصر الرئاسة جرى في جو من الثقة والصراحة، طالما ان الرجلين متفقان حول العديد من القضايا المستعجدة على الساحة التشيكية كما على ساحة شرق اوربا.

في براغ، كان حوالي ٣٠٠٠٠٠ شخص، في ساحة الاحتفالات الكبرى، على موعد مع اول قداس بابوي على ارض بوهيميا. وبعد كلمات التهنئة الابوية، لم يتردد قداسته من التنبيه الى الامراض المتفشية في المجتمع التشيكي: اللامبالاة الدينية، الالحاد، البدع، نزعة الاستهلاك، الاباحية، المخدرات الخ... وما دامت هذه الافات وغيرها نتيجة "عالم بدون الله"، فلا بد للكنيسة ان تستطلع بمسؤولياتها في محاربتها ومعالجتها.. الا ان قداسته يدرك انه بازاء كنيسة منهكة، عليها ان تبدأ بترتيب بيتها عبر "مشاريع ومخططات راعوية على المدى البعيد".

وعبر خطاباته وعظاته على مدى يومي السبت والاحد، لم يخف البابا السلافي مساندته بسقوط "الايديولوجية المادية"، ليس بهدف الانتصار، وانما بغية تمجيد ذكرى اولئك "الشهداء" الذين ذهبوا ضحية "الدولة الاستبدادية"، ولا سيما بين صفوف الاكليروس والعلمانيين الملتزمين... واذا تميزت محطته الاولى في براغ بالموازنة بين الدولة والكنيسة في مجالات نشاطاتها المتميزة، كانت محطته في فيلهراد –حيث رفات رسول السلاف الكبيرالقديس ميثوديوس– اشادة بدورالحضارة المسيحية في حياة الامة وعموم اوربا، وتقييما للكنيسة الكاثوليكية على الطقس السلافي التي عرفت ان تحافظ على تقليدها الشرقي الاصيل. اما محطته الاخيرة، فكانت براتيسلافا عاصمة سلوفاكيا –وكانت اخر قد احتلتها طيلة ١٠٠٠عام، ويشكل فيها الكاثوليك اغلبية السكان– حين خرج اكثر من نصف مليون شخص لاستقباله، وكان لقاؤه بهم لقاء الراعي الذي جاء يثبت اخوته في الايمان ويحملهم على التمسك الدائم بتعاليم الكنيسة... ومما لاشك فيه ان توجيهاته المألوفة اتخذت هنا، في مناخ تشيكوسلوفاكيا الخاص، طعما خاصا، وخلّفت بهجة عارمة لدى المؤمنين التشيكيين!

مقالات ١٩٩١

** إنجيل طفولة يسوع/ملف/ك٢- نيسان
** قراءة إيمانية للحرب/ملف/أيار- تموز
+ يوم الشبيبة العالمي السادس/ ش.ر/آب- ت١
مع البطريرك ميشيل صباح/مقابلة/ آب- ت١

يوم الشبيبة العالمي السادس

"لقد اقتبلتم روح الأبناء"

في شيستوكوفا (بولونيا) حيث مزار "السيدة السوداء" الشهير، جازنا غورا، كان اكثر من مليون شاب وشابة من كل انحاء العالم على موعد مع البابا يوحنا بولس الثاني في وطنه، من ١١- ١٥ آب، للاحتفال بيوم الشبيبة العالمي السادس تحت شعار "لقد اقتبلتم روح الأبناء" (رومية ١٥/٨)

لقاء الشبيبة هذا كان قد دعا اليه قداسة البابا قبل عامين، في سانتياغو دي كومبوستيلا (اسبانيا) حين التقى باكثر من نصف مليون من الشباب (راجع ف. م. آب-ايلول ١٩٨٩)، وفي حينه حدد موعده وموضوعه، بعد ان اصبح "يوم الشبيبة" تقليداً سنوياً، يُقام سنة على صعيد الأبرشيات، وسنة أخرى على الصعيد العالمي، بدءا من عام ١٩٨٦. كما كان قداسته قد وجه في ١٥ آب من العام الماضي رسالة الى الشباب يدعوهم ويعدهم لليوم العالمي السادس عند اقدام السيدة العذراء في شيستوكوفا -وهكذا يفعل في كل عام حين يعرض على الشباب موضوعاً هاماً مستوحى من الحقائق الانجيلية الأساسية يهدف الى تغذية ايمانهم ويمنح رسالتهم انطلاقة جديدة وزخماً روحياً اكبر.

في لبنان الذي أخذ يستعيد سلامه وعافيته ببطء ويتطلع بأمل كبير الى اعادة بناء ما دمرته الحرب، بهمة شبابه -وهم في سوادهم الأكثر "ابناء" الحرب وضحاياها طيلة ١٦ عاماً- كانت شبيبته على طول موجة واحدة مع شبيبة العالم الملتئمة في بولونيا حول الأب الأقدس. ففي معهد مون لاسال، في عين سعادة، وفي الأيام ١١-١٥ آب، وبمبادرة من المجلس الرسولي العلماني، واشراف ومشاركة اللجنة الأسقفية لرسالة العلمانيين المنبثقة من مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان، اجتمع حوالي ٧٠٠ شاب وشابة من كل أنحاء لبنان، يمثلون الخورنات والحركات العلمانية الروحية والرسولية -وقد تمثل الأردن وللمرة الأولى بوفد من الشبيبة قوامه ٣٥ شاباً وشابة، وكم تمنينا أن يشارك شباب العراق في هذا التجمع الكبير والرائع. وكان المجلس الرسولي العلماني قد اوفد مجموعة من الشبيبة اللبنانية الى بولونيا لينضموا الى المليون شاب وشابة، حاملين معهم معانيات لبنان وتطلعاته في أعقاب محنته القاسية.

فمن عين سعادة واكبت شبيبة لبنان اللقاء العالمي السادس، متبنية المنهاج ذاته الذي انكبت عليه شبيبة العالم. ويطيب لنا أن نصدي بايجاز لأبرز فقرات هذه التظاهرة الشبابية التي امتدت على ٤ ايام وتكللت باللقاء الكبير في ١٥ آب والذي فيه أمّنا حضور العراق، بكنيسته وشبابه!

مقتطفات من رسالة البابا الى الشبيبة
(...) "لقد اقتبلتم روح الأبناء"

إن تفكيري يتّجه نحو التغيرات العميقة الجارية في العالم. فأبواب الأمل بحياة اكثر كرامة وإنسانية تنفتح أمام شعوب كثيرة (...) وان عالمنا الواقف على عتبة الالفين يبحث بقلق عن سبيل لبلوغ حياة اكثر تضامنا.

إن ميراث أبناء الله يشتمل على محبة أخوية على مثال يسوع "البكر بين أخوة كثيرين"، "احبوا بعضكم بعضاً كما أنا أحببتكم". فعندما ندعو الله "ابانا" لا نستطيع إلا الاعتراف بقربنا -أيّا كان- كأخ لنا، له الحق بمحبتنا. إذ ان التزام أبناء الله، انما هو السعي لبناء حياة اخويّة مشتركة بين الشعوب. أوليس هذا ما يحتاجه العالم المعاصر؟ إن لدينا إحساساً قويّاً بأن لدى الشعوب عطشا للوحدة كفيلاً بأن يُسقط كل حواجز اللامبالاة والبغض، وعلى عاتقكم أنتم ايها الشباب تقع المهمة الكبرى، المتعلقة ببناء مجتمع أكثر تضامناً وعدالة.

(...) إن الحرية الخارجية التي تضمنها قوانين مدنية عادلة، لهامّة وضروريّة، واننا لنفرح حقا اليوم عندما نرى ازدياد عدد البلدان التي تحترم حقوق الشخص البشري الأساسيّة، وإن كلّفَ ذلك ثمناً باهضاً من التضحيات والدماء. غير ان الحرية الخارجية، مهما غلت، لا تكفي وحدها، ينبغي أن تقوم على اساس الحرية الداخلية التي يتميّز بها ابناء الله الذين يحيون بحسب الروح، ويهتدون بضمير مستقيم قادر على اختيار الخير الحقّ: "حيث روح الله هناك الحرية". انه السبيل الوحيد لبناء انسانيّة ناضجة جديرة بهذا السم.

(...) ان الحجّ الى شيستوكوفا سيكون لنا جميعاً، شباب الشرق والغرب، الشمال والجنوب، شهادة ايمان أمام العالم بأسره. سيكون حجّ الحرية عبر حدود الدول التي تنفتح أكثر فأكثر على المسيح فادي الانسان...
يوحنا بولس الثاني / (عن نشرة المجلس الرسولي العلماني-لبنان)

"نلتقي..وننطلق لبناء مجتمعنا.. بالتضامن والعدالة والمحبة"! بهذه العبارات، وتحت شعار "لقد اقتبلتم روح الأبناء"، انكبّ مئات الشبان والشابات على اكتشاف دعوتهم المسيحيّة الى مزيد من القداسة والأخوّة والحرية، وكلهم ثقة من ان هذه "البنوّة" تجعل منهم رُسُلاً للمسيح وشهوداً له في عالم هو احوج ما يكون الى قيم الأخوّة والتضامن والعدل والحرية والمحبة والسلام..

افتُتح اللقاء عصر يوم الأحد ١١ آب بكلمات رئيس المجلس المطران حبيب باشا، متروبوليت بيروت للروم الكاثوليك، والامين العام السيد انطوان شهوان، وقراءة لرسالة البابا الى الشبا.وتوالت ندوات ثلاث على الأيام ١٢-١٤ آب:

١) "في الروح ندعو الآب أبّا" للمطران جورج اسكندر،
٢) "حيث يكون الروح تكون الحرية" للمطران غي نجيّم،
٣) "الروح الذي يجدد وجه الأرض" للمطران حبيب باشا.

وشارك في كل ندوة كاهن وعلمانيان القى كل منهم اضواء لاهوتية وراعوية مع نظرات الى الواقع واخرى في اتجاه الطموحات. وعقب الندوة حوار مفتوح على شكل حلقات صبّت في لقاء عام... وتخللت ايام اللقاء فعاليات، وانشطة فنية وقداديس وصلوات وسهرات ترتيل وتمثيل وشعر وفكاهة...

وبلغ المنهاج قمّته في التجمع الكبير صبيحة عيد السيدة العذراء حين كان الشباب من كل مناطق لبنان على موعد مع البابا عبر نقل مباشر للتجمع الشبابي العالمي في بولونيا، وقد جاءوا الى مون لاسال ليعبّروا عن آمالهم الكبيرة بلبنان السّلام والأخوّة وبكنيسته الشاهدة والخادمة، آمال أودعوها في أوخارستيا خاشعة ديناميكية عكست ايمانهم العميق بذاك الذي هو وحده مصدر حركتهم وصخرة ارتكازهم ومحط تطلعاتهم -اوخارستيا ترأسها المطران رولان ابو جودة النائب البطريركي العام ونقلها التلفزيون واذاعة صوت المحبة. وارفض هذا اللقاء، الأول من نوعه بعد الحرب، على أمل ان يتجدد بعد عامين!

ش.ر/آب- ت١ ١٩٩١

مقالات ١٩٩٢

+ رواية الآلام بحسب لوقا الانجيلي/ آذار- نيسان
+ التناول الاول.. خطوة ايمانية /مناقشة/ أيار- تموز
+ الاوخارستيا في نصوص العهد الجديد/عدد خاص/ آب - ت١
+ الدورة العامة الرابعة لمجلس اساقفة امريكا اللاتينية /ش.ر/ت١- ك١

رواية الآلام بحسب لوقا الانجيلي

من النافل ان نرى في الانجيل "تحقيقا صحفيا" مباشرا للاحداث كما جرت ابان حدوثها! او نتعامل مع النصوص الانجيلية وكأنها تنقل اقوال يسوع وامثاله ومعجزاته ومجادلاته بحرفيتها! ونقع في خطأ جسيم إن نحن اردنا ان نرى في الانجيليين "مؤرخين" بينما هم لاهوتيون تركوا لنا "شهادات ايمانية" عن يسوع، دونت ما بين السنوات ٧٠ — ١٠٠ أي بعد حدث القيامة بحوالي ٤٠— ٧٠ سنة، فتحدثوا عن يسوع في الثلاثينات كما عن يسوع الحي في الجماعات المسيحية في السبعينات او الثمانينات...

ان لهذه الفكرة التي خرجت بها الدراسات الكتابية الحديثة اهمية كبرى، كونها تحملنا على ان نقرأ في الاناجيل ايمان الجماعة المسيحية بقيامة المسيح، ونكتشف ان النصوص مطبوعة بطابع القيامة المضفى على الاقوال والروايات والمعجزات... ومتسمة بالهدف التعليمي الذي يسود اهتمام الانجيليين الذين لم يكتبوا بقصد "التوثيق"، وانما بهدف الدعوة الى الايمان وترسيخه والتجاوب مع متطلباته، كما جاء في فاتحة انجيل لوقا: "... لتتيقن صحة ما تلقيت من تعليم" (١: ٤).

وغني عن القول ان مرحلة شفهية سبقت كتابة الاناجيل حيث تبلورت خلالها صور ليسوع، ساهم المؤمنون الجدد في "تظهيرها" كما يُظَهَّر الفيلم السالب في المختبر، عبر تساؤلاتهم الكثيرة حول شخص يسوع وتعاليمه، وحول المواقف التي يجب اتخاذها في الحياة اليومية...وكان النشاط الليتورجي بمثابة المحيط الذي نشأت فيه اولى الروايات الانجيلية، ولا سيما عبر اجتماع المسيحيين الاوائل حول "عشاء الرب" (كسر الخبز) والذي كان بمثابة

الفرصة لابراز المعاني العميقة التي انطوت على عشاء يسوع الاخير، في علاقته الوثيق بآلامه وموته. ففي وقت مبكر نشأت اول رواية للآلام استقى منها كل انجيلي من ثم ما يناسب رؤيته اللاهوتية. وهكذا كان لنا اربع روايات للآلام تلتقي في ما بينها بقدر ما تتميز وتتباين، إلا انها كلها تشكل تأملا عميقا في سر موت يسوع يعكس ايمان الانجيلي وايمان جماعته المسيحية بيسوع الحي الذي كانت تروي آلامه وموته في ضوء قيامته المجيدة.

ولا بد من الاشارة هنا الى ان مرقس كان اول من ابتكر "فن" كتابة الانجيل في حوالي السنة السبعين، وهو الذي وضع لحياة يسوع اطارا جغرافيا وزمنيا تبناه كل من لوقا ومتى —ولا بد انهما قد اتخذاه مصدرا لهما، واصبح بوسعنا ان نضع اناجيلهم الواحد بازاء الآخر، ومن هنا تسمية الانجيليين "الازائيين" الثلاثة. وفيما نؤكد على ضرورة قراءة كل انجيل بمفرده، نؤكد ايضا على قراءة روايات الالام بحسب كل من الانجيليين الاربعة. وننكب هنا على رواية لوقا التي تحمل تفاصيل كثيرة انفرد بها (٤١ آية من أصل ١٢٦) ، فيما تهمل تفاصيل اخرى جاءت في روايات مرقس ومتى ويوحنا.

رواية لوقا اشبه بتراجيديا

تحتل رواية الآلام لدى لوقا فصلين (٢٢- ٢٣)، وسرعان ما يخيل الينا اننا بازاء "تراجيديا" يبرز فيها قطبان: "الله والشيطان! ويتوزع "الممثلون" بحسب قربهم من الله (التلاميذ، النساء، قائد المئة، اللص الصالح...). او بحسب خضوعهم لسلطان الظلمة (رؤساء الكهنة، يهوذا، بيلاطس، هيرودس، اللص الآخر...). اما بطلها، فهو يسوع الذي نراه يتكلم حينا ويسكت احيانا كثيرة، إلا انه حاضر في كل المشاهد، ولمختلف الاشخاص موقف تجاهه! فالآلام في نظر لوقا هي المعركة الحاسمة بين يسوع وقوى الشر المتمثلة بالشيطان الذي "دخل في يهوذا"، معركة سيخرج منها يسوع منتصرا.

انها رواية تتسم بطابع الحب الذي يكنه لوقا ليسوع "ربه" بحيث لم يطاوعه قلمه ان يذكر تخلي التلاميذ عن يسوع وتعرضه للجلد وسخرية الجنود... بينما انفرد بذكر ما يعكس حنان يسوع ورحمته: استقبل يهوذا برقة، شفى اذن الغلام، نظر الى بطرس بحب حمله على الندامة، عزى نساء اورشليم، قبل توبة اللص الصالح، غفر لصالبيه...

العشاء الاخير.. عشاء فصحي

وضع لوقا، على غرار مرقس ومتى، عشاء يسوع الوداعي في اطار عشاء فصحي اشتهى ان ياكله مع تلاميذه قبل آلامه، وفيه استبق موته واضفى عليه معنى عبر تقدمة الخبز والخمر. وانفرد لوقا بالحديث عن كأسين تقاسمهما يسوع: كأس الشكر التي تذكّر بالفصح —ذكرى الخروج من مصر و "العبور" من العبودية الى الحرية— والكأس الثانية بعد العشاء يجعل منها يسوع "كأس العهد الجديد بدمي" لتصبح مع الخبز المكسور "هو جسدي يبذل من اجلكم" علامة افتتاح ازمنة العهد الجديد الموعود بها (ارميا ٣١: ٣١) وهي تنفتح على آفاق "ملكوت الله" حيث يعد الله المأدبة المسيحانية لكل الامم (اشعيا

٢٥: ٦). اما وصيته "اصنعوا هذا لذكري" —و لم ترد لدى الانجيليين الآخرين— فهي اشارة الى ان موت يسوع اصبح بمثابة فصح جديد ينجز عمل التحرير لشعب العهد الجديد ويحتفل به من ثم. وهنا نلاحظ تطابقا بين لوقا وبولس الذي يضيف: "كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تعلنون موت الرب الى ان ياتي" (١قورنثية ١١: ٢٦). وهكذا يتضح ان رواية تأسيس الاوخارستيا نشأت في اطار ممارسة "كسر الخبز" في الكنيسة الاولى التي كانت تضفي على موت يسوع طابع الاستشهاد والذبيحة.

النزاع في بستان الزيتون

بعد الكشف عن خيانة يهوذا والاصداء لجدال عن السلطة بين التلاميذ، ينتهي المشهد بالتاكيد على "الخدمة". وبعد التماس الشيطان "غربلة" التلاميذ وفي مقدمتهم سمعان الذي "يصلي يسوع من اجل ثبات ايمانه"، يدخلنا لوقا مع يسوع الى جبل الزيتون حيث يغوص في "نزاع" حتى "صار عرقلة كقطرات دم"! إنه صراع اليم يبدو فيه يسوع في اعمق انسانيته وفي ذروة الفته مع الآب: "يا ابتاه، إن شئت فاصرف عني هذه الكأس"، صراع سيخرج منه منتصرا بعد ان شدد الله عزيمته عبر الملاك، كما سبق وان جرى لايليا النبي (١ملوك١٩: ٧). وقد جعل لوقا من هذا المشهد دعوة الى التلاميذ —وقد قال عنهم انهم ناموا من شدة "الحزن"!— الى عدم الاستسلام للتجربة، بقوة الصلاة التي بوسعها ان تحملهم على مطابقة ارادتهم على ارادة الله، "لا مشيئتي بل مشيئتك"، على شبه "العبد المتألم" (اشعيا ٥٣) حيث شدد لوقا على طابع الاتضاع والخدمة اكثر مما على الطابع التكفيري الذي اكده كل من مرقس ومتى.

الدعوة امام مجلس اليهود

بعد ان صمد يسوع بوجه التجربة واصبح بامكانه ان يواجه آلامه وموته بثقة وسكينة، يضعنا لوقا امام عصابة يتقدمها يهوذا: "كأنكم خرجتم على لص بسيوف وعصي... تلك هي ساعتكم، وهذا سلطان الظلمة"! وهكذا يصور لنا الشر والتعامي والظلم في ابشع مظاهرها، وكان قد سبق فوضع على لسان يسوع: "يجب ان تتم فيّ هذه الكتابة: واحصي مع المجرمين" (اشعيا ٥٣: ١٢). وقبل ان تبدأ الدعوة، ينكر بطرس "الرب" ثلاث مرات، وستكفي نظرة ملؤها الحب والرحمة لتحمله على ان يبكي "بكاء مرا"!

ويتم مثول يسوع امام المجلس في صباح اليوم التالي، فيهمل لوقا ذكر شهود الزور وكلام يسوع عن خراب الهيكل ليركز على سؤال وحيد يميز بين لقب "المسيح" ولقب "ابن الله"، خلافا لمرقس ومتى اللذين يجمعانهما. لا يجيب يسوع على سؤال عظماء الكهنة والكتبة: "ان كنت المسيح فقل لنا" لانه يعلم انهم لن يصدقوه ولن يدركوا مسيحانيته التي علقت بها الالتباسات السياسية، ومع ذلك فهوذا يقول: "ابن الانسان سيجلس بعد اليوم عن يمين الله القدير" ويعلم ان هذا الكشف سيذهب به الى الموت، طالما انه أنبأ بسيادته المطلقة التي ستحققها قيامته القريبة والتي ستدخله المجد! —ومن المعلوم ان عبارة يسوع التي جمعت بين رؤيا دانيال (٧:١٣) في "ابن الانسان" وبين المزمور ١١٠، ١٠٩ ستحمل

المجلس على ان يستنتج: "أفأنت ابن الله اذن؟". وسيقبل يسوع هذا اللقب الذي يضع حدا للمحاكمة: "ما حاجتنا الى شهود...". وهكذا ينضم يسوع الى سلسلة الانبياء والشهداء الابرارالذين سبق لاورشليم ان قتلتهم.

"لانه لا ينبغي لنبي ان يهلك خارج اورشليم" (لوقا ١٣: ٣٣)!

مثول يسوع امام بيلاطس وهيرودس

لم يبق للسلطة الدينية التي حكمت على يسوع سوى ان تستحصل حكم الاعدام من بيلاطس الحاكم الروماني على اليهودية، وذلك عبر ٣ اتهامات "سياسية": يثير الامة، يمنع من اداء الجزية لقيصر، يدعي انه المسيح الملك! يقابلها بيلاطس –بعد سؤال واحد "أأنت ملك اليهود؟" –بتبرئة على ٣ دفعات! ويتخلل الدعوى مشهد مثول يسوع امام هيرودس، ينفرد به لوقا فيعكس صمت يسوع ازاء اسئلة الساخر– وكان يسوع قد لقبه بالثعلب (لوقا ١٣: ٣٢)– وكأنه يريد ان يفهمنا بانه يستحيل على الانسان ان يتعامل مع يسوع تعامل الفضولي![1].

ويتواصل مشهد المحاكمة امام بيلاطس الذي لا يجد في يسوع "شيئا مما يتهمونه به". ويعرض عليهم امكانية "تأديبه" واطلاقه من ثم، إلا انهم اثروا ان يطلق لهم برأبا ويطالبوا بصلب يسوع على ثلاث دفعات! وحين تغلق بوجه بيلاطس كل سبل اطلاقه، ينحني لطلبهم، فيسلم يسوع الى مشيئتهم"!

على طريق الجلجلة

في قمة المأساة، يصور لنا لوقا مشهد الجلجلة كخاتمة يتجلى فيها "بر" يسوع، ذلك الصدّيق الذي يحكم عليه ظلما بتحريض من رؤساء اليهود وتخاذل بيلاطس –ولا يتردد لوقا من تسويد صفحة اليهود وتبييض صفحة الرومان! – وسرعان ما نجدنا في موكب من "جمع كثير من الشعب" وكأننا نسير في "درب صليب" يتقدمنا سمعان القيريني الذي "يحمل الصليب وراء يسوع"؛ ونلتقي بنساء اورشليم اللواتي يعزيهن يسوع ويعلن لهن عن براءته– وقد شبه ذاته "بالعود الرطب" الذي دفع للحرق! الا ان ذروة المجد هو صلب يسوع بين لصين والتناقض الفاضح بين موقفين: لص يشتم، بينما ينتهره اللص الآخر ليعلن براءة يسوع وينادي باسمه: "يا يسوع اذكرني متى جئت في ملكوتك"! رؤساء وجند يهزأوون وشعب "وقف ينظر" مع النساء والاصدقاء!

على الصليب: الكلمات الاخيرة

بعد ان "احصي مع المجرمين"، هوذا الآب يعلن براءة ابنه وبره عبر مواقف ثلاثة تضمنت ثلاث عبارات: وعد للص الصالح "اليوم تكون معي في الفردوس"، وصلاتان وضعت الاولى في بدء المشهد: "يا ابتاه، اغفر لهم لا نهم لا يعلمون ما يفعلون"، والثانية في الخاتمة بمثابة فعل استسلام بنوي: يا ابتاه، بين يديك استودع روحي"[2]. وسرعان ما يضعنا لوقا امام خيار ويدعونا الى اتخاذ موقف الى جانب اللص التائب وقائد المئة الذي

يعلن ايمانه: "في الحقيقة كان هذا الرجل بارا" -وليس "ابن الله" كما في مرقس ومتى- للتاكيد على كون يسوع "العبد المتألم" الذي يقف الله الى جانبه وينصره، وبالتالي الى جانب جماهير عادت "وهي تقرع صدرها"! وقد سعى لوقا طوال المأساة ان يجعل الشعب في موقف الحياد ان لم نقل في موقف التعاطف مع يسوع، خلافا لمرقس ومتى اللذين جعلا منه طرفا في المأساة!

وتنتهي رواية الآلام بحسب لوقا بدفن يسوع على يد يوسف من الرامة، عضو مجلس اليهود، الذي "لم يكن يوافقهم على قصدهم ولا عملهم"! وبمشهد النساء اللواتي "ابصرن القبر" ورجعن "ليعددن طيبا وحنوطا" فيحفظنه في قبضة الموت (!) بينما كانت "قد بدت اضواء السبت" لتكشف عن سر ذاك الذي سيقيمه الله من بين الاموات، كما سيوحى الى النساء فجر القيامة: "لماذا تبحثن عن الحي بين الاموات؟".

ينفرد لوقا بـ:

* خطاب الوداع بعد العشاء (٢٢: ٢٤ - ٣٨)
* ملاك يشدد يسوع، عرق الدم (٢٢: ٤٣ - ٤٤)
* يسوع يشفي اذن الغلام (٢٢: ٥١)
* بيلاطس يعلن ثلاثا براءة يسوع، الجلد يهدف اطلاق سراحه (٢٣: ٤ - ٥، ١٦ - ٢٢)
* مثول يسوع امام هيرودس (٢٣: ٦ - ١٢)
* حديث يسوع مع نساء اورشليم (٢٣: ٢٧ - ٣٣)
* كلمات يسوع الثلاث:
- حوار مع اللص الصالح (٢٣: ٤٠ - ٤٣)
- غفران يسوع لصالبيه (٢٣: ٣٤)
- استسلام يسوع للاب (٢٣: ٤٦)
* اهتداء الجماهير (٢٣: ٤٨)
* اعداد الحنوط (٢٣: ٥٦)

يصحح لوقا عن:

* دهن يسوع بالطيب (مرقس ١٤: ٣ - ٩)
* انباء يسوع بضعف التلاميذ (مرقس ١٤: ٢٧ - ٢٨)
* شهادة الناس على يسوع بانه قال: سانقض هذا الهيكل وابنيه... (مرقس ١٤: ٥٥ - ٥٩)
* سؤال ثان يلقيه بيلاطس على يسوع حول كثرة الشهادات ضده، وصمت يسوع (مرقس ١٥: ٤ - ٥)
* تألب الجنود على يسوع وتوشيحه الارجوان وتكليله بالشوك وضربه بالقصبة، والبصق عليه والسجود له والسخرية منه (مرقس ١٥: ٢٩ - ٣٠)
* صرخة يسوع: الهي الهي لماذا تركتني؟ وسوء فهم السامعين (مرقس ١٥: ٣٤ - ٣٥)
* سماح بيلاطس بتسليم جثمان يسوع الى يوسف الرامي (مرقس ١٥: ٤٤ - ٤٥)

وجه يسوع في رواية الآلام

لقد رسم لوقا لوحة ليسوع تتسم بالرقة والحنان ليحملنا على التأمل في وجه ذاك "البار" الذي ذهبت به امانته لرسالته حتى الموت، موت الصليب! وسيكرر لوقا مرارا: "كان ينبغي لابن الانسان ان يعاني هذه الآلام ويدخل في مجده" (٢٤: ٢٦)، للدلالة على موقع الآلام في مقاصد الله، وانها السبيل الى المجد. فالقيامة تكشف عن المعنى العميق من سر

الآلام وهي بالتالي لن تمحو ذكرى المصلوب! وهكذا تحتفظ رواية الآلام بكل قيمتها التعليمية للمسيحي الذي يريد ان يتبع يسوع، ويلزمه ومن ثم ان يرافقه على درب الصليب فيبلغ معه الى المجد: "إن متنا مع المسيح فسنحيا معه" (رومية ٦: ٨).

ان رواية لوقا الرائعة تتيح للتلميذ، في اي زمان، ان يقتدي بيسوع، بدءا بالتحصن ضد قوى الشر وحتى النصر النهائي: فيدرك ان السلطة في الكنيسة خدمة، وان الصلاة ضرورية ابان التجربة ويجب ان تتسم بطابع الالفة مع الله "أبّا، بابا"، وان بوسع نظرة يسوع ان تشفيه كلما تعرض للضعف، وان عليه ان يحمل الصليب وراء يسوع ولا سيما حين يدرك انه في وضع "البار المتألم" الذي لا تزعزع امانته المحن والصعوبات، وفي ساعة موته يستودع حياته بين يدي الآب بعد ان يكون قد غفر لكل من أساء إليه...

وهكذا تبقى رواية الآلام تحكي "مأساة" رجل حي خرج من آلامه وموته منتصرا، وهو لا يزال حاضرا بين تلاميذه كلما اجتمعوا "لكسر الخبز" حيث يحيون الحدث الفصحي ويحتفلون سوية بذكرى موت المسيح وقيمته في انتظار مجيئه الثاني!

---

(١) يرى بعض المفسرين في هذا المشهد رغبة لوقا في ابراز التشابه بين آلام يسوع وآلام بولس الذي مثل امام المجلس (اعمال ٢٢: ٣٠) والحاكم الروماني فستس (٢٥: ٦) والملك هيرودس اغريبا الثاني(٢٥: ٢٢). وهذا المصير سيواجهه تلاميذ يسوع الذين ستصبح الامهم فرصة للتشبه به، وسيصح ذلك بنوع خاص على بطرس (اعمال ٤: ١١) وعلى اسطيفانوس (٦ –٧)؛ وهكذا نفهم ايضا ما وضعه لوقا على لسان يسوع:"يسلمونكم الى المجامع والسجون وتساقون امام الملوك والحكام من اجل اسمي" (لوقا ٢١: ١٢).

(٢) انها اية من المزمور ٣٠(٣١) احتلت مكان المزمور ٢١(٢٢) لدى مرقس ومتى "الهي الهي لماذا تركتني"، إذ لم يكن بوسع قراء لوقا ان يفهموا تخلي الله عن مسيحه ؛ فضلا عن ان فعل الاستسلام هذا يؤكد بان يسوع قد اتم رسالته وختمها بدمه، وبوسعه الان ان يموت بسلام وثقة واطمئنان.

التناول الاول خطوة ايمانية

من علامات الصحة في كنيستنا العراقية ان يكون التناول الاول قد اتخذ مكانة مرموقة في مجمل الاحتفالات الكنسية. ومن دواعي الغبطة انه اصبح "خطوة" يُجمع على اهميتها الرعاة والوالدون معا، وان اختلفت قناعاتهم بشأن ابعادها في حياة المتناولين الايمانية وانعكاساتها على مستقبل الايمان في كنيستنا.

ولن نبخس هذه الخطوة قيمتها ان نحن نظرنا اليها من زاوية كونها "ظاهرة" يحرص الوالدون بشدة على ضمانها لاولادهم بثمن كثير من التضحيات، ويعتبرونها من ابرز مسؤولياتهم الدينية تجاه اولادهم، وهي احدى المناسبات الاجتماعية الدينية بعد العماذ وقبل الزواج! كما لن نغالي اذا قلنا بان هذه "الظاهرة" تقوم على شبه "تواطؤ" بين الكنيسة والاسرة بشان ضرورة هذه الخطوة، شريطة ان تكتسب بعدا ايمانيا اكثر عمقا تكون له مردوداته الجيدة على المستوى الايماني الذي نطمح ان يبلغ اليه ابناء الجيل الجديد من المسيحيين.

وما دام التناول الاول خطوة تحرص الاسرة والكنيسة معا على ضمانها، كان لا بد ان يحصل تنسيق جاد وتعاون وثيق بين الجانبين كي يصبح التناول خطوة ايمانية فريدة ومتميزة تهيّىء لنشوء اجيال من المسيحيين الناضجين والواعين والملتزمين، يكون بوسعهم من ثم ان يؤدوا الشهادة للمسيح في مجتمع ينتظر منهم ان يجيبوا على "من يطلب منهم دليل ما هم عليه من الرجاء" (١ بطرس ٣: ١٥).

ونظرا لاهمية هذا الموضوع، وتزامنا مع فترة التناولات في معظم الخورنات، وبهدف مد هذه الظاهرة بزخم ثقافي وعمق روحي، اطلقت "الفكر المسيحي" مع العدد الاول لهذا العام، سؤالاً للمناقشة عبر محاور ثلاثة من شانها ان تسهم في جعل التناول الاول منعطفا حاسما في المسيرة الايمانية لفتياتنا وفتياننا.. وها نحن نصدي لابرز الاجابات التي تمنيناها تكون اوفر عددا واعمق مضمونا...

●

فرصة لتنشئة ايمانية جادة

تجمع الاجابات على كون التناول الاول "فرصة" لحصول الاولاد على تنشئة ايمانية قلما تلقوها في سني طفولتهم، بسبب ضعف وضآلة المعلومات الدينية التي اكتسبوها في البيت او في المدرسة، إن وجد فيها تعليم مسيحي! او في الكنيسة فيما لو كانوا من رواد مراكز التعليم المسيحي!! فقد ورد في اجابة مشتركة من ندوة (الاخوّة الجامعية في قره قوش) تأكيد على دور الوالدين الاساسي في تنشئة اولادهم الدينية وتلقينهم مبادىء الايمان المسيحي والصلوات... وفيما حمّلهم (**منير عبودي**) هذه المسؤولية الجسيمة، جعل منها (**رياض شعان**) جزءا مهما من مسؤولياتهم الوالدية الدائمة والتي لا ينبغي ان تقتصر على مرحلة التناول الاول.

وفيما يتطلع الكثيرون الى ان تسد الكنيسة، بفرصة التناول الاول، ما لم تقم به الاسرة والمدرسة، يعبر اخرون عن ضحالة المعلومات التي يفاجأ بها مُعِدوّا التناول الاول، ولا يخفون اسفهم حين تقتصر دورات التناول احيانا على تلقين بعض المبادىء الاولية و "تحفيظ" بعض المعلومات (وصايا الله، وصايا الكنيسة الخ...) فضلا عن اداء الصلوات والاناشيد... وهنا تنبري الاجابات في التشديد على المسؤولية المشتركة بين الكنيسة والوالدين وسبل التعاون بين الطرفين: فيرى (**نبيل اليسو**) –يدعمه الاب **روني اسحق**– من الضرورة ان "تقام لقاءات دورية للاهل تلقى خلالها محاضرات دينية وتربوية تعدهم لمتابعة اولادهم"، وتصدي لهما (**الاخوّة الجامعية**) التي تقترح ان تنظم لقاءات، على عدة مجاميع، لاسر المتناولين الجدد "تناقش فيها المشاكل والمعوقات التي تعترض المتناولين". وتشير (**كوكب فرج**) الى واجب الاهل في "مناقشة اولادهم يوميا حول الدروس التي تعطى لهم"... وهكذا يصبح التناول الاول فرصة للاولاد والوالدين، لتعميق ثقافتهم الدينية وتنشيط حياتهم الروحية في نطاق الاسرة، من خلال التامل المشترك بالانجيل والصلاة المشتركة في البيت والمشاركة الاسبوعية مع جماعة المؤمنين في قداس الاحد الخ...

مقترحات من اجل "تناول" افضل

ان التناول الاول يشكل منعطفا في الحياة المسيحية يعيش الكبار ذكراه الطيبة لفترة طويلة، ويبقى يوما سعيدا يتوق الى قدومه الصغار بفارغ الصبر... ولكن ما عسى ان يكون هذا "التناول" في مخيلتهم ومفاهيمهم؟ وكيف يتهيأون لهذا اليوم؟ وما هي المضامين التي تنطوي على هذه الخطوة في حياتهم المسيحية؟ اسئلة تراودنا جميعا، ولا بد ان نجد لها اجوبة شافية لدى المتناولين الجدد ووالديهم، فلا يكون التناول "واجبا" يرتاح لاتمامه ضمير الوالدين، او "نشاطا" لا بد ان يؤديه الكاهن لابناء خورنته الصغار، أو "محطة" يختتم بها المسيحي الصغير مسيرته الدينية!

سرني جدا ان اقرأ في الاجابات الواردة، على قلتها، توجها جادا بشأن عمر التناول –وقد تمنى كثيرون ان لا يقل عن ١٢ سنة (**ثامر فرنسيس، اندراوس جولاغ، عبدالله رفو الشيخ، الاب روني...**)– فيما اكدت اجابات اخرى على ضرورة اقامة اكثر من دورة (ولا سيما في القرى الكبرى حيث يتراوح عدد المتناولين بين ٢٠٠ –٥٠٠) كي لا يزيد عدد المتناولين عن المئة في كل دورة، وتمنت (**الاخوّة الجامعية**) ان يوزع المتناولون على مجموعات صغيرة برعاية نخبة من منشطي التعليم المسيحي الذين سبق لهم ان تابعوا دورة تاهيلية... وكم سرني حين عبر كثيرون عن تمنياتهم في ان تستمر فترة الاعداد للتناول مدة سنة او اكثر: "من الضروري ان نبدأ معهم منذ بداية السنة الدراسية كي يتشبعوا من الايمان ويدركوا اهمية التناول وما ينبغي ان يحدثه من تغيير في حياتهم" (سلوى انطوان). "اقترح ان يكون الاعداد طيلة الفترة الدراسية التي تسبق التناول، ويكون التعليم في صف مستقل ايام الجمعة" (**رياض شعان**). "... حبذا لو امتدت فترة الاعداد على مرحلتين او موسمين، كأن يتلقى الطفل تعليم اولي في السنة الاولى، ويستكمل استعداده في

السنة التالية" (**اندراوس جولاغ**). "ارجو ان يكون الاستعداد للتناول على مدى سنتين على الاقل" (**ثامر فرنسيس**).

وكانت هناك اجابات لفتت الانتباه الى اهمية هذه الخطوة في المسيرة الايمانية، فشددت على الا يكون التناول "نهاية العلاقة بين الاولاد والكنيسة" (**كوكب فرج**)، بل "منعطفا لمزيد من العمق "والنضوج والالتزام" (**جورج عبدال**)، و"تكون هناك متابعة جادة بعد التناول من قبل الكنيسة والاسرة..." (ع.م.)...وكم نتمنى نحن ان تُلحَق فترة الاعداد بسنة تكميلية بعد التناول!

واذا اكد المشاركون على ضرورة استخدام، وباقصى ما يمكن، الوسائل السمعية البصرية في التعليم، إلا انهم قلما اعربوا عن تقيمهم لمضمون هذا التعليم، وقد يكون السبب شعورهم بالعجز عن هذا التقييم وعن تقديم البديل... فتمنت (**كوكب فرج**) التركيزعلى "حياة وموت وقيامة المسيح"، شريطة ان يكون المعلم "شخصا ملتزما بكون مثالا للاولاد". ووافقتها (**سلوى انطوان**) حين اكدت "الا يكون مجرد تعليم "حشو دماغ" بل معايشة حية يومية مع المسيح الحي فيهم". وفيما ركزّ (**نبيل اليسو**) على اهمية الكتاب المقدس وتحليل نصوص منه وتطبيقها على حياة الاطفال... تمنى (**جورج عبدال**) ان يكون الانجيل محورا اساسيا في الاعداد يهدف الى "الكشف عن شخص يسوع وتكوين علاقة حميمة معه".

مظاهر الاحتفال في يوم التناول

حول هذا المحور انبرى المشاركون، عبر السؤال المطروح للمناقشة، في التشديد على الجانب الروحي لهذا الاحتفال الديني، والتنديد بكل مظاهر الاسراف والتباهي والتنافس التي تلحق به، ولاسيما حين ينطلق —على حد تعبير احدهم— "الطبل والمزمار والعبارات النارية احيانا" مع نشيد المتناولين الختامي!! فبشأن الاحتفال الكنسي يوم التناول، اعرب بعض المشاركين عن ارتياحهم لتوحيد زي المتناولين الذي "قضى على الفروقات الطبقية"، وتاييدهم "للتحديد الذي طرأ في بعض الكنائس على الاناشيد والصلوات"، فيما طالب بعضهم بابتكارا مبادرات تكسر طوق الروتين في طقس هذا الاحتفال، وفي مقدمتها اقتراب المتناول من المائدة المقدسة يحيط به والداه (**سلوى انطوان، عبدالله رفو الشيخ، الاب روني...**). ويطيب لي ان اضيف: حبذا لو اتخذت فقرة "تجديد مواعيد المعموذية" صيغة مجاهرة بالايمان عبر اجابات مكثفة الى اسئلة يلقيها المحتفل بالقداس، ولو افسح المجال للمتناولين وذويهم بمشاركة اكبر عبر قراءات من الكتاب المقدس وطلبات وشهادات حية ومقاصد عملية الخ... واخيرا نددت بعض الاجابات بظاهرة فوضى كاميرات التصوير والفيديو، مطالبة بمعالجتها بشكل يحفظ للاحتفال هيبته وخشوعه.

اما بشان الحفلات العائلية، ففيما عكست الاجابات مشروعية التعبير عن فرحة التناول عبر بعض المظاهر الخارجية، كأن يجتمع شمل الاسرة والاقارب والاصدقاء على مائدة افطار اوغداء اوعشاء، شريطة ان تتسم هذه الاجتماعات او السهرات بالبساطة

والذوق الرفيع الذي ينسجم مع المناسبة...، انحى معظمها باللائمة على تلك الحفلات التي تقام في الفنادق والمطاعم حيث تنفق الالوف بروح التباهي والتفاخر والمنافسة في القدرة على الصرف والاسراف فيه الى حد الابتذال وتدني الذوق وتجاوز الحدود التي تؤدي الى ضياع المعنى وتشويه طابع المناسبة الديني (**منير عبودي، اندراوس جولاغ، كوكب فرج، جورج عبدال...**).

ولمعالجة هذه الظاهرة السلبية الخطيرة، ولا سيما في ظروف الحصار، وقد ضاقت فيها ذات اليد لدى الطبقات الوسطى والفقيرة، أدلى المشاركون باقتراحات مختلفة: ان لا تنساق الاسرة وراء "القيل والقال"، فتقرر ما تراه يتناسب مع توجهاتها الروحية وامكاناتها المادية، وتحجم عن نفقات لا طائل تحتها؛ وقد يتسنى لبعض الاسر الموسرة ان ترصد النفقات او نسبة منها لمساندة المعوزين او لدعم بعض المشاريع الخيرية... (**سلوى انطوان، اندراوس جولاغ، عبدالله رفو الشيخ**)، وتمنى بعضهم ان تقام حفلة افطار جماعية في قاعة الكنيسة (او قاعة مناسبة) تشترك الاسر المختلفة في تكاليفها، بحسب امكانياتها (**منير عبودي، عبدالله رفو الشيخ**)، فيما حدد (**رياض شعان**) مفردات اقتراح تنشأ بموجبه لجنة من الوالدين تقوم بتنظيم حفلة للمتناولين ومدعويهم في مكان يتناسب وعدد المشاركين... وغني عن القول ان مثل هذه المقترحات تفلح حين تحجم الاسر المشاركة عن القيام بحفلات اخرى جانبية!! وتمنى الكثيرون على الكنيسة ان تكثف مساعيها التوعوية لدى الاسر كي تقلل او تحجم عن كل مظاهر البهجة التي تتجاوز حدود اللياقة، في صيغتها ونفقاتها، والتي تتنافى بالتالي مع قدسية هذا السر وسمو هذه الخطوة الايمانية.

•

عسى هذه الخلاصة للاجابات التي بعث بها عدد من قرائنا تسهم في اعادة نظر رصينة، لدى الوالدين والرعاة والكهنة ومنشطي التعليم المسيحي، بشأن هذه الخطوة الايمانية الاولى، بعد العماذ، التي يقوم بها مسيحيونا الصغار وهم في منعطف هام من حياتهم (وندعو الى مراجعة العدد الخاص لعام ١٩٨٨ "الاطفال امل المستقبل"، ولا سيما المقال الذي يحمل عنوان: الطفل ابن الكنيسة). فاذا كان استعدادهم لهذه الخطوة جيدا وجادا، فقد ينطلقون في مسارات ايمانية اكثر عمقا تكسبهم قدرة على الشهادة للمسيح طيلة حياتهم... وبعكس ذلك يؤسفنا ان نشهد كيف تتبخر بسرعة الشعلة التي اضرمها التناول والحرارة التي اتسم بها ان كان الاعداد له ضحلا او سطحيا، و لم تعقبه متابعة جادة من جانب الاسرة والكنيسة معا! فليكن "التناول الاول" انطلاقة تنعش بذرة الايمان التي زرعها العماذ في الطفل، والتي على الاوخارستيا (احياء ذكرى موت المسيح وقيامته عبر "كسر الخبز") ان تجعل منه حبا وتعلقا والتزاما وشهادة وعطاء وبذلا...

مناقشة /أيار– تموز ١٩٩٢

الاوخارستيا في العهد الجديد

لدى الحديث عن الاوخارستيا ينتقل فكرنا للحال الى العشاء الاخير حيث وضعت اسس هذا السر الذي كان وسيبقى علامة حضور المسيح في ما بيننا، عبر "كسر الخبز" و"اقتسام الكاس"... ونطمئن الى ان الانجيليين الازائيين الثلاثة (متى ومرقس ولوقا) أجمعوا في نقل "وقائع" هذا العشاء وإن باختلافات طفيفة، ولحق بهم القديس بولس الذي سلم الى القورنثيين ما "تسلمه من الرب" (١قور ١١: ٢٣). اما سكوت انجيل يوحنا عن نص تأسيس الاوخارستيا، فقد ملأه خطاب طويل ليسوع عن خبز الحياة (٦: ٢٢- ٥٩)، فما حاجتنا الى المزيد؟

وتنطلق حاجتنا الى المزيد من خلال سؤال عن تاريخ كتابة هذه النصوص "الاوخارستية". وما ان علمنا انها تعقب الحدث بسنوات (الرسالة الاولى الى قورنثية عام ٥٤، والازائيون ما بين ٧٠ — ٩٠، وانجيل يوحنا في حدود العام ١٠٠)، وانها لا تنقل حدثا تم في الثلاثين بقدر ما تنقل ممارسة انتشرت بين الجماعات المسيحية، كتبت في ضوء قيامة المسيح التي اعطت لاقواله واعماله وموته كل معانيها وابعادها... فحينذاك لن نعود نتكلم عن "تحقيق" مباشر للعشاء الاخير، وانما عن شهادات بشأن احتفال المسيحيين الاولين بذكرى يسوع الحي في وسطهم، ومن ثم لن يسوءَنا ان عجز اهل الاختصاص عن اعادة صياغة "وقائع" الحدث بشأن ما قاله وفعله يسوع في ليلة موته.

نصوص من نتاجات الجماعات المسيحية

ها نحن في قلب الموضوع، بحثا عن المعنى الذي اراد الكّتاب، وفي مقدمتهم بولس، ان يُقاسمونا اياه من خلال نصوصهم التي تعكس ممارسة اساسية جمعت المؤمنين بيسوع، منذ عهد مبكر، واوجزها لوقا في سفر اعمال الرسل بقوله: "وكانوا مواظبين على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات" (٢: ٤).

ولا بد ان نذكر بان اولى "الروايات" عن يسوع تكونت في اطار اجتماعات المسيحيين، وفي مقدمتها اجتماعهم "لكسر الخب" والذي كان يتم عادة "في البيوت" (أع ٢: ٤٦)، وغالبا "في اليوم الاول من الاسبوع" (أع ٢: ٧). وكان لهذا الاجتماع الاسبوعي طابع تعليمي فرضته اسئلة المؤمنين الجدد بشأن معاني "كسر الخبز" وعلاقته بموت المسيح وقيامته... مما حمل الرسل على استخراج المعاني التي انطوت على حركات يسوع واقواله في العشاء الاخير... وهكذا نشأت الرواية الشفهية عن تأسيس الاوخارستيا في اطار رواية اشمل عن الآلام والقيامة، الى ان اصبحنا بازاء الرويات المدونة التي ننكب عليها في هذا المقال. ومن المفارقات ان اول نص جاءنا بقلم القديس بولس (١ قور ١٠-

١١) في اطار تقويم اعوجاج في جماعة قورنثية بشأن "عشاء الرب" الذي سرعان ما تشوهت ممارسته! فكان عليه ان يعيد هذه الممارسة الى اصالتها، مؤكدا على اهمية المحبة التي تعطي لعشاء الرب كل ابعاده، ومحذرا من مغبة "عدم التمييز" بين عشاء وعشاء: "فمن اكل وشرب وهو لا يميز جسد الرب، اكل وشرب الحكم على نفسه"!

نحن، اذن، قبالة اربعة نصوص بشأن تأسيس الاوخارستيا، تتآلف وتختلف في الوقت ذاته. وللحال يمكننا ان نوزعها الى مجموعتين: بولس ولوقا، وهما يبرزان ما في موت يسوع وهو يمنح حياته بصفته "النبي" الشهيد، ومرقس ومتى، وهما يبرزان ما في موت يسوع من طابع الذبيحة. ويرجع اهل الاختصاص هذا الاختلاف في النظرة الى تقليدين طقسيين يعكسان بدورهما ممارستين للاوخارستيا: الاولى في فلسطين –وهي الاقدم– (مرقس ومتى) والثانية في انطاكيا والعالم الوثني (بولس ولوقا)، ونجهل ان كان لوقا قد عرف الرسالة الى قورنثية واخذ روايته عنها، او انه استقاها من الكنائس التي اسسها بولس.

الاوخارستيا.. في مناخ العشاء الاخير

ان قراءة يقظة لنصوص تأسيس الاوخارستيا في الاطار الذي جاءت فيه، وبحسب النظرة اللاهوتية لكل مؤلف، تكشف لنا، اولا، بان الانجيليين الازائيين وضعوا رواياتهم للعشاء الاخير في زمن الفصح اليهودي بحيث بدا عشاء "فصحيا" –بخلاف بولس الذي لم يهتم لذلك اذ لم يكن هذا هدفه الاول. وكان مرقس اول من كتب (حوالي عام ٧٠)، وتبعه من ثم متى ولوقا في تثبيت هذا الاطار الفصحي: "وفي اول يوم من الفطير، وفيه يذبح الفصح..." (مر١٢:١٤)، ولكن من دون ذكر الحمل الفصحي في هذا العشاء الطقسي[١] الذي كان يحتفل فيه اليهود بذكرى الخروج من مصر وذكرى العهد في سيناء..! إلا ان المهم هو ان القرب الزمني بين الفصح والعشاء الاخير حمل الانجيليين –وهم يكتبون بين السبعينات والتسعينات– على ان يعكسوا ايمان الجماعات المسيحية بكون يسوع هو "الحمل" المذبوح، علامة الفداء والتحرير، وانه هو "الفصح الجديد" (١قور ٥:٧) –الا تعني كلمة "فصح" عبورا: من العبودية الى الحرية لدى الخروج من مصر، وعبورا من الظلمة الى النور لشعب العهد الجديد بموت يسوع وقيامته؟

وهناك توافق بين الانجيليين الاربعة في اضفاء صفة "الوداع" على العشاء الاخير. فاتخذت محادثات يسوع مع تلاميذه صفة "خطبة الوداع" لدى لوقا –وقد احاط روايته بمقدمة وخاتمة حول الخدمة (١٤:٢٢ – ٢٧)–، وصفة "وصايا اخيرة" لدى يوحنا (الفصول ١٣– ١٧)... وتجدر الاشارة الى ان الازائيين وضعوا العشاء الاخير في فاتحة رواية الآلام لابراز المعنى الذي اضفاه يسوع على موته عبر تقدمة الخبز والخمر؛ ذلك ان يسوع، بعد ان اتم في العشاء طقس "البركة"[٢] على الخبز والخمر وطقس "الاقتسام"، شاء ان يضفي على هذين العملين الطقسيين المألوفين معنى جديدا، باقامة الصلة مع موته القريب!

نصوص التأسيس لدى بولس والازائيين

هذا هو جسدي... يبذل من اجلكم (لوقا).. انه من اجلكم (بولس) هذا هو

دمي، دم العهد... هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي (بولس ولوقا). هذه الصيغ المختلفة توحي للحال بأن يسوع يدرك المعنى الذي ينطوي على موته، فيكشفه لتلاميذه: فالجسد —او اللحم— في المفهوم اليهودي هو تعبير عن كيان الشخص، وكأن يسوع يقول: ها انا بكليتي —لحما ودما—، هذه حياتي اهبها.. اما الدم فيضفي على هذا العطاء فكرة الذبيحة: ها انا اقدم ذاتي ذبيحة! هكذا يستبق يسوع موته بما فيه من عطاء وبذل وذبيحة واستشهاد: "من اجلكم" (بولس ولوقا).. "من اجل جماعة الناس" (مرقس ومتى) — ويضيف متى: "لمغفرة الخطايا". وفيما يؤكد مرقس ولاسيما متى ما في موت يسوع من طابع تكفيري، على مثال "العبد المتالم" (اشعيا٥٣: ١٢)، يؤوّن لوقا، بعد بولس، الخلاص بموت يسوع (اعني يجعله حاضرا وآنيا) دون ان ينفي طابعه الشمولي.

تأسيس الافخارستيا في العهد الجديد

٢٦. وبينما هم ياكلون،		٢٢. وبينما هم ياكلون،	٢٣. الرب يسوع
اخذ يسوع خبزا		اخذ خبزا	في الليلة التي اسلم فيها
وبارك ثم كسره	١٩. ثم اخذ خبزا	وبارك ثم كسره	اخذ خبزا
وناوله تلاميذه	وشكر وكسره	وناولهم	٢٤. وشكر ثم كسره
وقال:	وناولهم اياه	وقال:	
خذوا فكلوا	وقال:	خذوا	وقال:
هذا هو جسدي	هذا هو جسدي	هذا هو جسدي	هذا هو جسدي
	يبذل من اجلكم		انه من اجلكم
	اصنعوا هذا لذكري		اصنعوا هذا لذكري
٢٧.ثم اخذ كاسا	٢٠. وكذلك الكاس	٢٣.ثم اخذ كاسا	٢٥. وكذلك الكاس
وشكر وناولهم اياها	بعد العشاء	وشكر وناولهم	بعد العشاء
		فشربوا منها كلهم	
قائلا:	فقال	٢٤. وقال لهم:	فقال
اشربوا منها كلكم			
٢٨. فهذا هو	هذه الكأس هي	هذا هو	هذه الكاس هي
دمي، دم العهد	العهد الجديد	دمي، دم العهد	العهد الجديد
	بدمي		بدمي
يُراق	الذي يراق	يُراق	
من اجل جماعة الناس	من اجلكم	من اجل جماعة الناس	
لمغفرة الخطايا			
			كلما شربتم
			فاصنعوه لذكري
			٢٦.كلما اكلتم هذا الخبز
			وشربتم هذه الكاس
			تعلنون موت الرب
٢٩. اقول لكم:	١٨. فاني اقول لكم:	٢٥. الحق اقول لكم:	
ن اشرب بعد الآن	لن اشرب بعد اليوم	لن اشرب بعد الآن	
من عصير الكرم	من عصير الكرمة	من عصير الكرمة	
حتى ذلك اليوم	حتى	حتى ذلك اليوم	الى
الذي فيه اشربه معكم		الذي فيه اشربه	
جديدا		جديدا	
في ملكوت ابي	يأتي ملكوت الله	في ملكوت الله	ان يأتي

والكاس التي يتقاسمها يسوع مع تلاميذه هي "دمي، دم العهد" (مرقس ومتى) اوهي "العهد الجديد بدمي" (بولس ولوقا)، وذلك انباء بالعهد الجديد الذي تكلم عنه ارميا النبي (٣١:٣١) والذي سيقيم شعب الله الجديد. وهذا العهد يختم بدم يسوع، مما يجعل من موته ذبيحة عهد على مثال ذبيحة سيناء (خروج٢٤)، ولكنها ذبيحة "عهد جديد" بثمن حياة مبذولة و "دم مهراق" لمغفرة الخطايا وخلاص الناس جميعا.

ويلتقي الازائيون حول عصير الكرمة التي لن يشرب منها يسوع "بعد الان"، الا في "ملكوت الله" (مرقس ومتى) – "حتى يأتي ملكوت الله" (لوقا). فمرقس لم يشأ ان يرجع اصول الاوخارستيا الى العشاء الاخير بقدر ما اراد ان يكشف عن سر موت يسوع الذبائحي، لذا فهو يقدم العشاء بمثابة استباق للعشاء الذي يعد بمجيء ملكوت الله حيث تتم الوليمة المسيحانية التي تكلم عنها اشعيا (٢٥: ٦) والتي توطدت في التقليد اليهودي... وحين يقول لوقا "...حتى يأتي ملكوت الله"، فهو يوحي بأن يسوع وضع حدا للفصح القديم وانشأ لتلاميذه رتبة جديدة تقوم في احياء ذكرى موته لما فيه من بعد فصحي، وقد انفرد لوقا، من بعد بولس، بوصية يسوع: "اصنعوا هذا لذكري" ليدل بان عطية يسوع حياته ستكون سبيلا لكل الذين يريدون اتباعه؛ ولذا اصبح الاحتفال الاوخارستي ذكرى دائمة! وهكذا فهم بولس الاوخارستيا: "كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكاس تعلنون موت الرب الى ان يأتي". اما متى، فكان اكثرهم وضوحا بشأن العلاقة بين ممارسة الاوخارستيا والعشاء الاخير: فان روايته توحي بان قراءه فهموا ان ممارستهم الاوخارستية، انما هي امتداد لذكرى عشاء الرب، وانهم انما يجلسون دوما على مائدة "يتناولون" عليها جسد الرب ودمه، هو الذي "منذ الان" قد اصبح "الناهض من بين الاموات والجالس عن يمين القدير" (٢٦: ٦٤).

الاوخارستيا في انجيل يوحنا

يعتقد اهل الاختصاص ان انجيل يوحنا لم يجهل رواية التأسيس التي هي من الاهمية بمكان، الا انه وضع عوضها رواية "تغسيل الارجل" التي تعبر بشكل كامل عن معنى الاوخارستيا: انها رتبة ترافقها كلمات تبرز معانيها، ويطلب يسوع تكرارها (١٣– ١٥). الم تكن حركة نبوية قام بها يسوع ليعلن لتلاميذه موته القريب ويعطيهم علامة حبه الكبير الذي يتجسد في "الخدمة" التي تجد في غسل الارجل علامة بليغة، وسيتعين عليهم من ثم ان يجسدوا حبهم له في خدمة اخوتهم البشر؟ اليست الاوخارستيا في جوهرها مكانا نلتقي فيه بحب المسيح الذي مات وقام، عبر اقتسام الخبز والخمر وما ينطوي على هذا الاقتسام من محبة وتضامن؟

فالى جانب خمسة فصول (١٣– ١٧) خص بها انجيل يوحنا عشاء الوداع، هناك الفصل السادس الذي يعتبر اروع تعبير عن الاوخارستيا. انه يبدا برواية تكثير الخبز –وهي المعجزة الوحيدة التي اوردها الانجيليون الاربعة– التي تكثر فيها التلميحات الاوخارستية: "اخذ يسوع الارغفة وشكر ثم وزع منها..." (٦: ١١)؛ ونلاحظ ان يسوع، في رواية

يوحنا، هو الذي "يوزع" ويعطي كما في العشاء الاخير! ويرى المفسرون في قول يسوع: "اجمعوا ما فضل من الكسر لئلا يضيع شيء منها" علامة على اننا بازاء خبز يفيض، بعد ان يشبع، ولن ينفد! وياتي خطاب يسوع، في الغد، للتدليل بان من اشبع الجموع من "الخبز الفاني" يستطيع ان يشبعها ب "خبز الحياة" الذي يقود الى الحياة الابدية (٦: ٢٧). وهذا الخطاب يعكس ايمان الجماعة، المسيحية وهي دائبة على الاحتفال الاوخارستي؛ وفي الوقت ذاته يرسخ ايمانها بحقيقة حضور المسيح الحي في وسطها، وقد اضحى غذاء سريا عبر علامات الخبز والخمر: "...والخبز الذي اعطيه هو جسدي، ابذله لحياة العالم". وحين يصعب الايمان بحقيقة الاوخارستيا وتبرز التساؤلات وتظهر الشكوك، ياتي الجواب واضحا وقاطعا: "ان لم تاكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه فلن تكون فيكم الحياة... من اكل جسدي وشرب دمي ثبت في وثبتُ فيه..." (٦: ٥٣ - ٥٨).

---

(١) لا يرى المفسرون في العشاء الاخير عشاء فصحيا، لسببين: ١- اذا كان العشاء قد تم، بحسب الازائيين، ليلة الفصح، فمعناه ان احداث الآلام والصلب قد تمت في عيد الفصح -وذلك يستحيل بحكم فريضة العيد. ٢- يحدد انجيل يوحنا محاكمة يسوع عشية الفصح (١٩: ١٤) مما ينفي كون العشاء الاخير عشاء فصحيا؛ ويمنح المفسرون ثقة كبيرة لاشارات انجيل يوحنا التاريخية والجغرافية.

(٢) ينفرد لوقا "بذكر كأسين": لقد جعل من العشاء الاخير عشاء فصحيا فيه تُقَدَّم كأس اولى للمترئس يرفعها لله مع صلوات الشكر على هباته واعماله -وفي مقدمتها عمل التحرير الذي انجزه في "الخروج". وعن هذه الكاس قال يسوع: لن اشرب بعد اليوم...(الآية ١٨ التي جعلناها في جدول النصوص تلتقي بمثيلتها لدى مرقس ومتى). اما الكاس الثانية، فهي التي قال فيها يسوع، "هذه الكاس هي العهد الجديد بدمي..." (الآية ٢٠).

الدورة العامة الرابعة لمجلس اساقفة امريكا اللاتينية

(١٢ – ٢٨ تشرين الاول ١٩٩٢)

في ١٦ ت١ ١٩٩٢ منحت جائزة نوبل للسلام للانسة ريكوبيرتا مينشو "لكفاحها من اجل احترام حقوق الاقوام الاصليين والدفاع عنهم". وجاء هذا التكريم لابنة كواتيمالا -ومن خلالها لكل الهنود الحمر في اميركا اللاتينية- فيما كان اساقفة القارة مجتمعين في سان دومينغو (جمهورية الدومنكان) من ١٢-٢٨ ت١ ليحتفلوا بذكرى مرور ٥٠٠ عام على تبشير القارة اللاتينية الامريكية، وينكبوا على دراسة سبل "تبشير جديد" ينسجم مع حاجات وتطلعات شعوب قارة تواجه معضلات مزمنة، ويشكل الكاثوليك ٩٥٪ من سكانها ويمثلون حوالي نصف كاثوليك العالم!

١٤٩٢—١٩٩٢! خمسة قرون انطوت منذ ان حطت سفينة كريستوف كولومب على سواحل سان دومينغو! ومنذئذ بدأ، على يد البرتغاليين والاسبان، تاريخ استعمار بشع رافقته اشكال من التهجير والقمع والاستغلال والابتزاز والقتل... وفي قمته طمس معالم حضارة عريقة لسكان القارة الاصليين من هنود حمر وافارقة. وكان ان تلوث وجه المسيحية في هذه العملية المخجلة، في عصر كانت القوة فيه سبيلا الى التبشير، وكان البحث عن الذهب يلتقي مع البحث عن ضالين للهداية!!

المقال التالي يُصدي لاعمال الدورة الرابعة لاساقفة امريكا اللاتينية -وقد حضر البابا يوحنا بولس الثاني افتتاحها.

كان لا بدّ ان تكون الاحتفالات بالذكرى المئوية الخامسة (١٤٩٢- ١٩٩٢) على تبشير القارة الامريكية اللاتينية فرصة لالتئام الدورة العامة الرابعة لمجلس الاساقفة —وقد ارجئت الى ١٩٩٢ لهذا الغرض، فيما كانت الدورة الثالثة قد عقدت عام ١٩٧٩ في بويبلا (المكسيك) والثانية عام ١٩٦٨ في ميدلين (كولومبيا)...

دورة في نطاق الذكرى المئوية الخامسة

٢٤ سنة مضت على دورة ميدلين التي كانت قد سجلت منعطفا هاما في حياة الكنيسة الامريكية اللاتينية، لتوجهاتها النبوية في فضح بنى الظلم والتزام جانب الفقراء والمظلومين... وها نحن في سان دومينغو حيث تتمركز اهتمامات الاساقفة على "تبشير جديد لامريكا اللاتينية" في اعقاب خمسة قرون على التبشير الاول الذي رافق عملية اجتياح القارة والاستيلاء على ثرواتها وطمس حضاراتها... وكان من الطبيعي ان تكون الاحتفالات بالذكرى المئوية الخامسة موضوع خلاف بين الذين يريدونها مناسبة لاعلاء شان الفاتحين والمبشرين الاوائل الذين "كسبوا" للكنيسة قارة برمتها، وبين الذين ارادوها فرصة لمراجعة حياة يتم فيها اعتراف علني بالاخطاء والتجاوزات بحق سكان القارة الاصليين الذين لم يكن لهم ازاء هذا "الغزو" لا حول ولا قوة! (راجع ف .م .: كنيسة ترفع صوتها /ملف اذار ١٩٨١).

وكان من المنتظر ان ياتي مثل هذا الاعتراف من قبل البابا يوحنا بولس الثاني، الا انه لم يرد في خطابه بوضوح. كما لم تصدر عن الكنيسة الرسمية مبادرة في هذا الاتجاه، ما عدا بعض الوثائق الراعوية التي اصدرتها المجالس الاسقفية في بعض بلدان القارة، ونخص بالذكر دعوة الاساقفة البرازيليين الى احتفال توبة علنية في كاتدرائية سان دمينغو بالذات والتي اصطدمت بمعارضة الكردينال رودريكيز رئيس اساقفة سان دومينغو المتعاطف مع النظام! وهكذا اقتصرت المبادرات على احتفال ذي طابع توبوي، تم في ٢٣ ت١ على نطاق الاساقفة فقط!

وماذا عن الهنود الحمر الذين كانوا ينتظرون ان تتم عملية "رد اعتبار" لهم، ان لم نقل اعادة ما سلبه اياهم جشع الفاتحين، وما احدثته "غيرة" المرسلين من مساس بحقوقهم وتجاوز على حرياتهم؟ بهذا الصدد كتب سيرج لافيت المبعوث الخاص لصحيفة "الشهادة المسيحية" (T.C.) الاسبوعية الفرنسية (عدد ٢٤ ت١ ١٩٩٢) –وقد اعتمدناه في هذا التقرير– بأن "الهنود الحمر والافارقة الامريكيين تأثروا كثيرا باستقبال يوحنا بولس الثاني لهم ورأوا فيه اعترافا بنضالهم من اجل ارساء حقوقهم –الحقوق المدنية والحق في الارض وفي الحضارة"– وترسيخ كرامتهم ومكانتهم بدرجة كاملة في الكنيسة. ولقد غيّر يوحنا بولس الثاني، باتجاه ايجابي واضح، فحوى الخطاب الذي كان قد أُعدّ له للمناسبة! ومع ذلك فانهم انتظروا، ومعهم كثيرون، اكثر من تلك الاشارة العابرة، عند اقدام منارة كولومب، الى خطايا –وأية خطايا؟– تبشير لم يكن سلميا البتة"!

ويذهب سيرج لافيت الى القول بان تلميحات البابا، لدى لقائه مع وفد من الهنود، الى "التجاوزات" التي ارتكبت بحقهم لم تلق لديهم ارتياحا كبيرا، ولا سيما بعد ان اعقبها بنداء الى المغفرة! كما انه، في خطاب افتتاح الدورة الرابعة، كان قد قام بقراءة "دفاعية" للتاريخ، بحيث بدت الكنيسة فيه "المدافعة الدائمة عن الهنود"، بفضل بعض رجالها الذين ادانوا آنذاك التعسف الذي خضع له الهنود، في مقدمتهم لازكازاس (١٤٧٤– ١٥٦٦) الذي ستبقى كلماته مع ذلك شاهدة لتلك الصفحات السوداء من التاريخ (راجع ف . م .: الذكرى المئوية الخامسة لاميركا اللاتينية/ملف ايار– تموز١٩٩٢).

ان مواقف بعض رجال الكنيسة الذين دافعوا عن الهنود، لا يسعها ان تمحو خطيئة كل الذين، في الامس او اليوم، لم يعترفوا لهم بالمساواة التامة في الحقوق و لم يفعلوا شيئا من اجل اعادة السيادة لهم على اراضيهم...لذا ستبقى الكنيسة مطالَبة بمواقف علنية جريئة تبرهن فيها عن وقوفها الى جانبهم وتضامنها معهم. اليس غياب اساقفة وكهنة هنود في الماضي، او قلتهم في الحاضر، مؤشرا الى ان الكنيسة ما زالت تجر وراءها ذيول الماضي وتواصل خطاياه؟! ألم يكرر البابا ذاته النداء الذي كان قد وجهه في كواتيمالا عام ١٩٨٣ بان على الكنيسة ان تكون الى جانب الهنود في "نضالهم السلمي لاحقاق كرامتهم وانمائها"، وان تقوم "بمبادرات راعوية تمكنهم من اندماج اكبر ومشاركة افضل في حياة الكنيسة"؟ اوليست هذه المشاركة بعدُ في اول الطريق، طالما ان هناك، في عموم القارة، ٤ اساقفة مع بضعة كهنة من الهنود فقط؟!

حصيلة دورة ما بعد ميدلين وبويبلا

خلال اسبوعين، أنكبّ ممثلوا، المجالس الاسقفية في قارة يربو عدد اساقفتها على

الالف على جدول اعمال مكثف حول جوهر الايمان وكيفية التبشير به في قارة تعاني من مشكلات جسيمة من جرى البُنى السياسية والاقتصادية المهزوزة. وكان من العسير جدا ان ينتظر من دورة كهذه توجه لاهوتي وراعوي يجمع عليه اساقفة من اقصى اليسار الى اقصى اليمين، في الوقت الذي تمارس فيه الدوائر الرومانية ضغوطا كبيرة في اتجاه المواقف التقليدية. لذا قامت الدورة الرابعة على توازنات —كي لا نقول مساومات— بين المنطوق العقائدي والفوقي الذي يمثله بيروقراطيو الفاتيكان وبين ديناميكية منفتحة وخلاقة تمثلها بعض المجالس الاسقفية المتميزة. ذلك كان المناخ الذي ساد الجلسات العامة ورفرف على اعمال اللجان الفرعية؛ الا ان فرق العمل استطاعت ان تنتزع لها حرية ستنعكس الى حد ما في الوثائق. وغني عن القول ان هذا التوازن كان وراء "الوثيقة الختامية" التي قُبلت مسودتها "الحيادية" في ١٦ ت١، وانصبت الجهود كي يظهر مضمونها بمظهر الاجماع فيعكس وحدة المصف الاسقفي، حتى وان اختفت وراءها تناقضات صارخة وصراعات ايديولوجية حادة. ويقول سيرج لافيت بان مسودة هذه الوثيقة كانت قد حملتها معها من روما "اللجنة الحبرية لامريكا اللاتينية"، ومن ثم ادخلت عليها، وبشكل مصطنع، حصيلة مداخلات فرق العمل التي كان عليها ان تبرز ما يواجه الكنيسة اللاتينية الامريكية من اولويات وتحديات...

وعقب انتهاء اعمال الدورة الرابعة، وبعنوان "ولا دة عسيرة"، كتب سيرج لافيت في الصحيفة المذكورة (عدد ٣١ ت١) بان الوثيقة الختامية التي كانت ثمرة عمل مضن ونتيجة "اسلوب عمل مخيب" —على حد تعبير عدد من الاساقفة— "لم تقو على اخفاء الشق الاساسي بين اعضاء هذه الدورة: بين (العقائديين) حماة لاهوت لا صلة له بالواقع، وقد هيمن على مضمون الوثيقة، وبين (الراعويين) الضالعين في حياة الشعوب اللاتينية الاميركية والذين بفضلهم كانت هناك فقرات جريئة ولا سيما في الاقسام التي تناولت النماء الانساني من جهة والحضارة الاصلية من جهة اخرى". ويمضي مبعوث "الشهادة المسيحية" الى القول بان المحصلة النهائية كانت "لا غالب ولا مغلوب"! الا انه يؤكد بانه كان بالامكان ان تكون النتائج اكثر سوءاً لولا صمود بعض الاساقفة الذين طالبوا بتعديلات كثيرة على النصوص او رفضوا اقساما منه، كما فعلوا بشأن المقدمة التاريخية التي كانت قد "بيضت" صفحة الحقبة الاستعمارية من جهة، وتركت في الظل، من جهة ثانية، كل النشاط اللاهوتي والكتابي والراعوي والاجتماعي الذي انطلق في اعقاب دورة ميدلين وبوبيلا.

ان وثيقة سان دومينغو التي تبنتها الدورة الرابعة —بعد ٥٠٠٠ طلب تعديل!— ولم تعلن الا بعد مصادقة البابا عليها، ستبقى شاهدة على "شبه ردة"، قياسا بالتوجهات النبوية التي كانت قد اتخذتها الكنيسة اللاتينية الاميركية في السبعينات، بفضل لاهوتيي التحرير وجماعات القاعدة... ومع ذلك فانها لم تقو على عرقلة توجّه "الاولوية للفقراء" التي كانت وما زالت من اولى الاولويات في قارة يمثل الفقراء ٧٠% من سكانها! وبقي امل واحد: الا تُميِّع هذه الاولوية لحساب خيارات لاهوتية عقائدية ليس لها من الاهمية ما لخيار الالتزام بالنضال ضد التخلف والفقر والظلم والفساد... وغني عن القول ان التزام هذا الخيار هو وجه من ابرز اوجه التبشير بالانجيل!

ش. ر. /ت٢– ك١ ١٩٩٢

مقالات ١٩٩٣

+ كتاب "التعليم المسيحي" الجديد/ش.ر/ك٢- آذار
+ إذا أردت السلام فاذهب الى لقاء الفقراء/رسالة بابوية/ ك٢- آذار
+ الكردينال سلفستريني في العراق/ش.ر/ نيسان- حزيران
** الصلاة الربية.. صلاة المؤمنين/ملف/ت٢- ك١

كتاب «التعليم المسيحي» الجديد

تحت عنوان "التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية"، صدرت في باريس، في ١٦ ت٢ ١٩٩٢، الترجمة الفرنسية، قبيل الموعد الرسمي المقرر في ٧-٨ ك١ في روما. وقد جاء "التعليم الرسمي الشامل"، كما سمي، استجابة لرغبة اساقفة طالبوا عام ١٩٨٥، ابان انعقاد سينودس الاساقفة العام، بمناسبة ٢٠عاما على اختتام المجمع الفاتيكاني الثاني، بخلاصة للمعتقد الكاثوليكي توضع تحت متناول العاملين في حقل التثقيف المسيحي فتقيهم الترددات او الاجتهادات التي لازمت المناهج في العديد من البلدان. ومن المعروف ان حركة نشطة كانت قد انطلقت في اعقاب المجمع المذكور بهدف تكييف التعليم على الحاجات المعاصرة، وكانت مناهج التعليم المسيحي في كنيسة هولندا (١٩٦٦) في مقدمة المحاولات الجريئة، اعقبتها محاولات اخرى في عدد من البلدان من ابرزها المناهج الفرنسية عام ١٩٨١ بعنوان "حجارة حية" -وكانت موضوع جدال في الاوساط الرومانية!

تعليم بهدف التواصل

الكتاب الجديد الذي اراده الكرسي الرسولي اساسا للتعليم الذي يجب ان يحظى به كاثوليك العالم في كل مكان، استغرق انشاؤه سبع سنوات واشرفت على اعداده لجنة من كرادلة واساقفة تشكلت عام١٩٨٦ برئاسة الكردينال جوزيف راتزينكر رئيس مجمع عقيدة الايمان. وانكبت على انشائه لجنة من سبعة اساقفة اتبعت التقسيم التقليدي الذي فرضه المجمع التريدنتيني (١٥٦٣): ١) اعلان الايمان (قانون الايمان والعقائد)، ٢) الاحتفال بالسر المسيحي (الاسرار)، ٣) الحياة في المسيح (الاخلاق والوصايا)، ٤) الصلاة المسيحية.

وتجدر الاشارة الى ان الانشاء الاول الذي اخضع لاراء اساقفة العالم اجمع، عام ١٩٩٠، اثار ٢٤٠٠٠ طلب تعديل، ولا سيما في القسم الاخلاقي الذي كان وما يزال عرضة لانتقادات وتحفظات كثيرة، و لم يصبح الكتاب جاهزا للنشر الا بعد تسع مسودات متتالية!

لا يسعنا ان نقدم عرضا مستفيضا لهذا الكتاب الضخم (٦٨٠ ص) او نقوم بمناقشة بنوده (٢٨٦٥ بند)، وانما جل ما نسعى اليه هنا هو ان نحيط قراءنا علما بكتاب ارادته الكنيسة الكاثوليكية "دليلا" الى تعاليمها على المستويين العقائدي والاخلاقي، و"اداة" في خدمة المسؤولين عن حفظ "وديعة الايمان" ونقلها، فنلقي الضوء عليه انطلاقا من ردود الفعل التي اثارها وسيثيرها. ولنقلها منذ الان ان ذلك لا يعني ان على مناهج التعليم المسيحي في كل مكان ان تصبح نسخة مصغرة لهذا الدليل، وسيكون من الخطر الجسيم ان تعتمده المناهج خطة في التعليم!

ان فكرة وضع خلاصة للتعليم المسيحي تحت متناول الصغار ترقى الى لوثر عام ١٥٢٥. وابان المجمع التريدنتيني الذي كان بمثابة الرد على حركة الاصلاح اللوثري، بوشر بوضع "تعليم مسيحي" يحدد حقائق الايمان وقواعد الاخلاق، انجز، عام ١٥٦٦، وقد اعتمدته المناهج عبر اسلوب الاسئلة والاجوبة الذي عرفناه في صغرنا وحتى الخمسينات! ويأتي "التعليم المسيحي" الجديد ليكلل مسيرة اربعة اجيال من عملية "نقل الايمان"، وقد استحثّت ظهوره عوامل كثيرة، في مقدمتها خشية الكنيسة على تعاليمها من الضياع والفوضى في اعقاب الفاتيكاني الثاني!

امنية: تعليم واحد وشامل

نبدا محاولتنا التحليلية من هذا التساؤل: الى اي مدى يمكن للدليل ان يدّعي ضمان وحدة التعليم وشموليته؟ ان محاولة الدليل في احتواء الخلافات والتناقضات التي رافقت تاريخ الكنيسة، سرعان ما تفضي الى عملية "رصف" للمعتقدات لن تقوى على اخفاء التباين في وجهات النظر اللاهوتية المختلفة. كما انه لن يقوى على تقليص الهوة بين "تقليديين" يريدون تعليما مسيحيا يكرر المقولات العزيزة وينقلها جيلا بعد جيل، من دون انتباه الى التحولات الحضارية...، وبين "مجددين" يابون ان يبقى الايمان اسير قوالب فكرية جامدة، ولا يرضون باقل من "تجذر" الايمان في الحضارات المختلفة! الم ترشح تلك الهوة من بين بنود الدليل وقد اتسمت بصعود ونزول، بومضات مشرقة الى جانب اخرى اقل اشراقا؟ ونكتفي بمثل واحد: فبعد ان عرضت جذور سر الاوخارستيا وابعاده اللاهوتية والكتابية العميقة بصفته احياء لسر موت المسيح وقيامته... هوذا الدليل يعود بنا الى المجمع التريدنتيني بصدد "الاستحالة الجوهرية"!

لقد تبنى الدليل خط التريدنتيني في عرض العقائد انطلاقا من قانون الايمان، وفي المسائل الاخلاقية من الوصايا العشر. بهذا الصدد كتب فيليب وارنييه (لاكروا: ٢٥-٢٦ ك١ ١٩٩٢) يقول بان ذلك يوطد اسس لاهوت ينطلق من الله كي يصل الى سر التجسد، بينما الافضل تبني الطرح اللاهوتي الذي ينطلق من يسوع التاريخ، متجذرا في

خبرة التلاميذ الاولين الايمانية، فيفضي الى ايمان يكون بمثابة خبرة فريدة يعيشها المسيحي في قلب الصراعات الحضارية والفكرية.

وهكذا نجدنا في عمق الدليل، وقد تحصنت طروحاته بيقين بعيد عن كل شك او تردد! وكان بالامكان ان يبدو اكثر تواضعا، طالما ان الايمان الذي يعرضه هو اشبه بمسيرة تتخللها قناعات اساسية، الى جانب اخرى اقل رسوخا ومطلقية. فالى خطر اليقين الذي تحصن فيه الدليل، اشار جان بول كيتني (بمجلة A.R.M. عدد ك١ ١٩٩٢) حيث يخيل للقارىء انه ازاء طروحات في مستوى واحد، حيث بدت العقائد الاساسية جنبا الى جنب مع الحقائق الثانوية، واسس الايمان بازاء القضايا المسلكية! ويخلص رئيس تحرير المجلة قائلا: "ان كثرة الحقائق التي يجب الايمان بها، او كثرة القواعد التي يجب ممارستها قد تضيّع طبيعة الايمان المسيحي العميقة وتجرد المؤمن من الديناميكية التي تطبع ايمانه"!

وما دمنا بصدد اليقين الذي رشح من طروحات الدليل حيث يكتسب بعضها مصداقية كبرى، فيما تنقص غيرها تلك المصداقية بحكم كون بعض الطروحات حصيلة اجتهادات لاهوتية مرهونة بحضارة هي في الغالب حضارة غربية لاتينية... فلا بد لنا من طرح السؤال التالي:

الى اي مدى يمكن الزام المؤمنين بقبول مبادىء وتعاليم ليست على مستوى واحد من المصداقية؟ وماهي النتائج السلبية المترتبة على فرض وجهة للايمان والاخلاق قد تتبدل مع الزمن بفعل التحولات الحضارية او الطروحات اللاهوتية والكتابية الحديثة؟ السنا هكذا نزج المسيحية في مازق ونجعلها تبدو وكانها تصب هي الاخرى في تيار الاصولية؟ وبالتالي: ألسنا نحجم عمل الروح القدس حين نؤطر التعليم المسيحي بأُطر الحرف والجمود، ولا ندعه ينطلق في مجالات حرية ابناء الله...؟

ان ما اثار بالاكثر ردود الفعل بين اللاهوتيين هو "ادعائية" هذا العرض الشامل للتعليم المسيحي، وقد بدا بمنأى عن كل تردد او تحفظ ولا سيما في قضايا كانت وما تزال عرضة للنقاش والجدل. الا ان هذه الردود لم تتجاهل الجهود الكبيرة المبذولة في عرض مجمل التعليم المسيحي بشكل بنود واضحة مدعومة باستشهادات كتابية متراصة واقوال مختارة من كتابات الاباء والمجامع ورسائل البابوات الخ...

ويطيب لنا ان نعكس ادناه جانبا من هذه الردود في موضوعين هامين: لاهوت الكنيسة بقلم اللاهوتية سوزان تونك، واللاهوت الادبي بقلم اللاهوتي بييردي لوخت (صحيفة الشهادة المسيحية": عدد ٢١ ت٢ ١٩٩٢).

اضواء على لاهوت الكنيسة

يسبح التعليم بشان "الكنيسة" في مناخ الفاتيكاني الثاني، ولكنه لم يقو على تجاوز التحديات التي تراكمت على مر الاجيال حول نشاتها وطبيعتها ورجالها الخ... وتقول سوزان تونك بان علامات الانفتاح بدت هزيلة بازاء الفكر التقليدي، وتضيف بان الدليل

"يقول دون تردد من هو الله ومن هو الروح القدس، فيما كان القديس بولس نفسه اكثر تواضعا!"، وتخشى ان يبدو هذا التعليم غريبا على غير المؤمنين!

ويقول الدليل ان الكنيسة هي "شعب الله" وان للعلمانيين فيها مكانة ودورا ويحق لهم من ثم ان يعبروا عن آرائهم لخير الكنيسة، الا انه يعود فيشدد على "الهيراركية المقدسة" التي ترقى الى المسيح طالما انه اسس الكنيسة لدى اختياره الاثني عشر الخ... وفي خط الانفتاح يؤكد الدليل على احترام المذاهب والديانات الاخرى، ولكنه يعود فيؤكد على عبارة "لا خلاص خارجا عن الكنيسة"! وفيما تلاحظ اللاهوتية تونك بان بنية الكنيسة بحسب الدليل تقوم على السلطة الكنسية المتمثلة في شخص الحبر الاعظم الذي يستمد سلطته من كونه "خليفة بطرس"، واولويته من كونه "اسقف روما"، بحيث تصبح له اسبقية على المجمع المسكوني، تخلص الى القول: "وهكذا حلت من دون تردد هذه القضية التي استمرت مناقشتها مدة طويلة في تاريخ المسيحية"! ولا عجب من ثم ان تصبح مثل هذه التحديدات، وفي قمتها عصمة البابا، عائقا في سبيل التقارب بين الكنائس.

اما بشان الكهنة "معاوني الاساقفة"، فتكتفي اللاهوتية بالتعليق على "استبعاد" النساء عن الكهنوت، بقولها في محرري الدليل: "انهم لم يأبهوا بالمواهب التي بوسعهن ان ينلنها من الروح"! وهكذا الحال بالنسبة الى المتزوجين الذين استمر منعهم من الكهنوت، في الكنيسة اللاتينية، ومن دون اسس كافية. وتختم سوزان تونك تحليلها قائلة: فمع هذا الجهد المبذول في هذا البناء الشامخ، لا بد من التساؤل: اي اثر يكون في العالم المعاصر لوثيقة ترفض مبدئيا اية مناقشة؟!

اضواء على اللاهوت الادبي

يدور القسم الثالث من كتاب التعليم المسيحي الجديد حول اللاهوت الادبي، فيجعل من الوصايا العشر اساسا للاخلاق! من هنا ينطلق اللاهوتي المعروف بيير دي لوخت في نقده: لقد كان بالامكان رسم اخلاقية تنطلق من الخبرة البشرية، مرورا بمعطيات الايمان التي تسلط على الاخلاق اضواء الانجيل... الا ان الدليل، كما كان متوقعا، سار بالاتجاه المعاكس، منطلقا من الايمان الذي يملي على الانسان وصايا وقواعد خلقية. وهكذا يبدو هذا القسم، في نظره، وكأنه يعرض "حقائق لا رجعة فيها ولا تدع مجالا للتساؤلات"! وغني عن القول ان هذا القسم الاخلاقي يتناول مواضيع هامة، كالحرية والضمير والفضائل والخطيئة والعدالة الاجتماعية الخ...، كما يتناول قضايا تمتد من "حق الدفاع عن النفس" الى الحرب وسباق التسلح، مرورا بالاعدام والاجهاض ومنع الحمل...

ومثل هذه القضايا المعاصرة اثارت حولها وسائل الاعلام ضجة كبرى، ولا سيما حين منح الدليل للسلطة المدنية "الحق في الاعدام" في حالة الضرورة "القصوى"، وتعامل بمكيالين في موضوع الحرب: حين اجاز للدول استخدام القوة في بعض الحالات، وادان بحزم الاجهاض وشجب بقوة وسائل منع الحمل الاصطناعية... ونكتفي هنا بتساؤل خرج به بيير دي لوخت: الى اي مدى يستطيع هذا الدليل ان يضيء الطريق للمؤمنين الذين

تطرح عليهم الحياة تساؤلات خطيرة تحتاج دوما إى اجابات ملائمة، بينما بدا وكأنه "قانون إيمان اخلاقي" لا يدع مجالا للخبرات الحياتية ان تتبلور في اتجاه موقف يكون اكثر انسجاما مع روح الانجيل؟ ويتمنى هذا اللاهوتي الكبير على الكنيسة الا تكتفي بترديد مواقف حاسمة ونهائية، وانما عليها ان تثق بقدرة اعضائها الخلاقة، اقله بشان بعض التساؤلات المطروحة حاليا على مؤمني اليوم... ذلك لان اللاهوت الادبي، في نظره، يجب ان يبقى متسما بطابع البحث والارتقاء.

وفيما سجل دي لوخت عددا من النقاط الايجابية في الدليل، كادانة التمييز بين البشر والعمل على صيانة السلام ومسؤوليات المؤمن الوطنية الخ... اثنى على ما جاء بشان اهداف الزواج حيث احتل الاولوية خير الزوجين وسعادتهما، وبدا الجنس عنصر توازن في خدمة "وحدة الانسان"... الا انه كشف عن الضعف التي اتسمت به بعض القضايا، وتمنى لو أعطي ثقل اكبر "للحكم" الذي يجب ان يتخذه المؤمن انطلاقا من ضميره الحي، متجاوزا احيانا القوانين والقواعد... فاللاهوتي بيير دي لوخت يتطلع الى ان يجعل من المسيحي المستنير بضوء الانجيل حَكَماً على مواقفه واعماله والتي يكون فيها للظروف والعوامل الخارجية دور.

ويختم تحليله بالقول: "ومهما يكن، فان التعليم المسيحي الروماني الجديد يشكل مرجعا هاما، وآمل ان يكون بمثابة نداء من شانه ان يوسع ضميرنا بفضل مختلف اوجه المسؤولية الانسانية، وان يكون ايضا بمثابة دعوة لكل منا، افرادا وجماعات، للمساهمة بشكل دائم وملحّ، في انضاج القيم الكبرى في حياة الانسان".

اذا اردت السلام.. فاذهب الى لقاء الفقراء

رسالة البابا في يوم السلام لعالمي ١/١ /١٩٩٣

هذا هو عنوان الرسالة التي وجهها البابا يوحنا بولس الثاني بمناسبة يوم السلام لهذا العام. وقد اختار هذا الشعار لقناعته العميقة بان السلام لا يقوم على غياب الحرب حسب، وانما في توطيد اسس يعيش في ظلها الانسان بكرامة وحرية ومساواة وامان. ويقول قداسته بان هناك افرادا وشعوبا يعيشون في فقر مدقع، وان ظاهرة التفاوت بين البشر تشكل خطرا يهدد السلام، وان على قادة الشعوب ان يسعوا الى اقامة "مجتمع يكون فيه كل انسان مقبولا ومحبوبا".

هناك ولا شك صلات بين الفقر والسلام، وبنوع خاص الفقر الذي ينتج عن الحرب والذي يزيده الحرب تفاقما! وهنا يوجه الاب الاقدس الانظار الى ان "التخلي عن تجربة التفوق الاقتصادي على الشعوب الاخرى يعني التخلي عن سياسة تلهمها دوافع الكسب"، وهكذا يصبح البديل: سياسة التضامن ولا سيما مع من هم اكثر فقرا! الا ان للفقر وجه اخر، هو انه يولّد الحرب: "ان هناك تهديدا للسلام يتأتى من الفقر، ولا سيما حين يصبح الفقر مرادفا للبؤس" ويجر وراءه اصناف الماسي من جوع وعدم استقرار وفوضى وامراض وتشرد وانحرافات الخ...، وكل ذلك يشكل خطرين: فالبؤس "اهانة كبرى بحق الكرامة الانسانية" من جهة، وهو عامل من عوامل "عدم الاستقرار الاجتماعي" من الجهة الاخرى.

واذا كان البابا قد صب دلوه، هو الاخر، في موضوع "المساعدات الدولية" للبلدان الفقيرة والمتضررة -شريطة ان لا تكون هناك دوافع نفعية لدى الدول الغنية!-، الا انه لم ينس بان للفقر اسبابا "بنيوية" حبلى بالكثير من الصراعات... لذا يرى من الضرورة ان يصار الى اصلاح الانظمة الاقتصادية من اجل توزيع للخيرات، افضل واكثر عدالة. ويعدد قداسته اسباب الفقر، بدءا من الجهل والبطالة.. ومرورا بالمخدرات والهجرات الجماعية.. وانتهاء ب "الديون الخارجية" التي تثقل كاهل البلدان النامية وتزيدها فقرا وتبعية.

وهكذا يتضح ان البؤس هو التهديد الاكبر للسلام! تلك هي الخلاصة التي تخرج بها الرسالة البابوية التي تدعو الى ان يصبح السعي من اجل السلام سعيا الى لقاء الفقراء، والعمل، بكل الوسائل المتاحة، على اخراجهم من فقرهم واستعادة كرامتهم طالما ان الكرامة والعدالة والتضامن والاخوة هي اولى اسس السلام!

ك٢- اذار ١٩٩٣

الكردينال سلفستريني في العراق

كانت الكنائس الشرقية الكاثوليكية في العراق، من ١ — ٦ أيار، على موعد مع رئيس مجمع الكنائس الشرقية، الكردينال اكيل سلفستريني، وقد جاءها باسم قداسة البابا يوحنا بولس الثاني ليعبر عن اهتمام الكرسي الرسولي في الوقت الذي تعيش فيه محنة كبيرة في اعقاب العدوان على العراق. انها اول زيارة يقوم بها مسؤول كنسي بهذا المستوى لكنيسة العراق في هذا المنعطف الدقيق من تاريخها.

وجرى لضيف الكنيسة العراقية الكبير استقبالات حاشدة أعدّها له كنائس العراق في شخص رعاة الابرشيات وكهنتها ورهبانها وراهباتها ومؤمنيها، مفي مقدمتهم غبطة مار روفائيل الاول بيداويد بطريرك بابل على الكلدان وسيادة السفير البابوي المونسنيور ماريان اوليش. وقد شاركت فيها مختلف الكنائس الشقيقة في شخص رؤسائها او ممثليها، مما دل على الروح المسكونية التي تسود الكنائس المسيحية في العراق، وقد لمسها سيادته بنفسه مدة اقامته القصيرة بين ظهرانينا.

وسواء في اول استقبال جرى لممثل قداسة البابا لدى وصوله الى بغداد، مساء ١ ايار، او خلال القداديس التي اقامها او تراسها في بغداد والموصل —وبنوع خاص في الدير الكهنوتي البطريركي الكلداني وكنيسة سيدة النجاة للسريان الكاثوليك وكاتدرائية القديس يوسف اللاتينية— اعرب مسؤولو الكنائس الكاثوليكية عن تعلقهم بالكرسي الرسولي وشكرهم للاهتمام الذي يبديه الاب الاقدس بكنيسة العراق وقضاياها ومعضلاتها وتطلعاتها، والتحسس الكبير بمعاناتها الكثيرة من جرى الحصار الظالم المفروض على كافة ابناء العراق... كما اعرب نيافته، في كلماته في كل مكان، عن حبه لكنائسنا العريقة وتقديره لطقوسها وتقاليدها وخصائصها الحضارية والروحية، وتقييمه لثباتها في الايمان والشهادة، وصمودها ابان المآسي التي عرفتها في سنوات الحرب...

وخلال لقائه بالاساقفة والكهنة والرهبان والراهبات، عبر الكردينال سلفستريني عن حب البابا للعراق وكنيسته والذي تجسد بمواقفه الجريئة ابان الحرب... وتناول في خطاباته عددا من القضايا التي لها الاولوية في اهتمامات الكنيسة الجامعة، وفي مقدمتها قضية الدعوات الكهنوتية والرهبانية، والحضور المسيحي الفاعل في المجتمع المدني، والحوار المسيحي الاسلامي البناء، والشهادة للمحبة المسيحية في كل اشكالها... وتجدر الاشارة الى ان نيافته، وعلى خطى البابا في رسائله وتوجيهاته، شدد كثيرا على رسالة الكهنة ومسؤولياتهم الروحية والرسولية، وبشكل خاص على وحدتهم فيما بينهم ومع اساقفتهم، داعيا الى رعاية الدعوات ونموها —وقد جاءت زيارته في غضون الاحتفال باليوم العالمي للدعوات (الاحد ٣ بعد القيامة)، كعلامة على حيوية الكنيسة وازدهارها.

وفي اطار هذه الزيارة "الراعوية" لكنيسة العراق، كان لرئيس مجمع الكنائس الشرقية لقاء هام مع سيادة الرئيس القائد صدام حسين يوم الاثنين ٣ ايار عادت وسائل الاعلام العراقية في اليوم التالي فبثت النص الرسمي الكامل لمحضر اللقاء، لما تميز به من طروحات هامة في عدد من القضايا التي تتعلق بموقع العراق على الساحة الدولية في اعقاب التحالف الدولي الذي ما زال مستمرا عبر الحصار الجائر (انظر الاطار). كما قام الكردينال بزيارة للسيد طارق عزيز نائب رئيس الوزراء، صحبه فيها غبطة البطريرك بيداويد والسفير البابوي، فضلا عن الوفد المرافق له؛ كما كان له لقاء مماثل مع السيد سعدي مهدي صالح رئيس المجلس الوطني...

وكان للكردينال سلفستريني مع الموصل موعد قصير (٤ ايار) بدأ باستقبال شارك فيه اساقفة واكليروس الابرشيات في محافظات نينوى وكركوك واربيل ودهوك، ومن مختلف الطوائف، توجه الموكب الى كاتدرائية مسكنتة حيث القى كلمة الترحيب سيادة المطران كوركيس كرمو، ورد نيافته عليها بكلمة بليغة... وتكللت زيارته للموصل بقداس اقامه في دير مار كوركيس وسط شعب غفير كان خاتمة يوم حافل اعرب فيه نيافته عن شكره العميق لمؤمني الموصل وفي مقدمتهم رؤساء وممثلي الطوائف المسيحية كافة.

وفي بغداد ختم الكردينال زيارته للعراق بحضور جلسة افتتاح سينودس الكنيسة الكلدانية. وغادرها يوم ٦ ايار حاملا قضايا كنيسة العراق ومعاناتها مع اماها وتطلعاتها، وبقي ان نتطلع بأمل الى ما ستسفر عنه هذه الزيارة من خير للكنيسة والمجتمع.

الكردينال والرئيس

في لقائه مع السيد الرئيس القائد، اكد الكردينال سلفستريني موقف البابا الواضح من حرب الخليج وآماله في سلام شامل يسود المنطقة وفي اخوة بين شعوبها، ولا سيما بين الديانتين المسيحية والاسلامية اللتين تشكلان "القوة المعنوية الكبرى للانسانية"، وبوسعهما ان تتعاونا في مواجهة المشاكل الانسانية، كمشكلة الغذاء والفقر ونزع السلاح الخ...

وتطرق السيد الرئيس في طرحه مشكلة السلام الى العدوان الظالم ليلة ١٧/١ والمخطط له من قبل، والمستمر في الحصار الذي يحصد الاطفال بسبب نقص الغذاء والدواء... وتساءل: "اين هي حقوق الانسان التي يتشدق البعض بالحديث عنها؟". وفيما اشار سيادته الى مأساة البوسنة واوضح معنى احجام العراق عن الانسياق في تيار "الدعايات قصيرة النظر"، خلص الى القول: "اعتقد ان البابا مطالب بان يبرىء المسيحية من هذه الاعمال السيئة والمشينة لكي لا يحصل ربط غير واع لاي تصرف يتخذ باسم المسيحية، هنا او هناك...". وطلب سيادته من الكردينال ان يقول للبابا باننا في العراق "نعيد بناء ما دمره العدوان" و "نتقاسم رغيف الخبز كشعب واحد، مسيحيين ومسلمين".

وكان للكردينال من ثم حديث طويل —وقد تطلب من السيد الرئيس صبرا!— عرض فيه وجهة نظره في قضية السلام في الشرق الاوسط. وانطلق من المعطيات الراهنة التي تنبىء "باحتمالات تحقيق تقدم على طريق السلام"، عبر مبادرة يقوم بها العراق باتجاه تنقية الاجواء، بشجاعة وحكمة، سيما وان تجاوزه لازمة الخليج يمكّنه من الحصول على المصداقية في "قيادة عملية السلام".

وكان لا بد للرئيس القائد ان يعلق على مقترحات رئيس مجمع الكنائس الشرقية، منتقلا من مستوى المبادىء الى مستوى التطبيق، ليكشف لنيافته عن قلة امله في الكثير من حكام العالم الذين تختفي المصلحة وراء دوافعهم، ويعلن عن رؤيته الواضحة للحقوق الثابتة للشعوب التي "من حقها ان تعيش وفق الطريق الذي تختاره"، ولكن ليس على حساب الحقوق الثابتة للاخرين". وهنا لم يخف سيادته عما اسفر عن تطبيق القانون الدولي "تحت غطاء الامم المتحدة" من مآس وتجاوزات، مؤكدا: "ومع كل ما حصل في العراق.. لم نتحول الى نظرة متعصبة، دينيا او عرقيا او طائفيا"، وهو على يقين من ان نيافته قد استطاع، من خلال لقائه بالمسيحيين العراقيين، ان يستنتج "ان العلاقات في هذا البلد لا تقوم على اسس نظرة دينية متعصبة"، وان في العراق "لا تشعر اية اقلية بالغربة"...

وبلغ سيادته الى بيت القصيد بشأن قضية السلام التي تمنى عليه الكردينال ان يتخذ منها موقف الشجاعة المعهودة، فقال: "ليرضَ الفلسطينيون اولا بحل عادل وشامل"، ومن ثم يتسنى للعراقيين ان يعربوا عن رأيهم بعد ان تكون الظروف الطبيعية قد استتبت! وترك سيادته للتاريخ ان يقول كلمته في مفاوضات السلام الجارية.

المسكونى مقالات ١٩٩٤

+ من اجل سلام على الارض/ ش.ر/ ك٢- آذار
* من اجل قراءة جديدة للكتاب المقدس/عدد خاص/ تموز- ت١
+ مغامرة عمرها ٣٠ عاما /عدد خاص/ تموز- ت١
+ سينودس الاساقفة: الحياة المكرسة/ ش.ر/ ت٢- ك١

من اجل سلام على الارض

عشية العام الجديد انتصبت في ذاكرتنا احداث دامية في مواقع من العالم "لم تكن اكثر جرماً" من سائر المواقع! وإنما الاجرام كان ولا يزال من جانب تلك الأصابع الخفيّة التي تغذي الأحداث وتحرّك الصدامات العرقية أو الدينيّة أو السياسيّة... خدمةً لِمصالح يلفّها الغموض، وبهدف مكاسب تسخر بالتضحيات البشرية والمادية مهما بلغت!

لوحة قاتمة رسمتها الريبورتاجات لتضعنا بازاء عالم كأنه وجدَ للاقتتال وكأنّ السلام "لم يُسلّم عليه" البتة! أو بازاء شعوب كانها خُلِقَت لينهش بعضُها بعضًا حتى الفناء. وكأنها تعيش في عصر "آكلي لحوم البشر"! أليس هذا ما يجري في سراييفو وموقاديشو، وبلفاست وبنوم بين.. هذه العواصم الساخنة في العالم؟ فضلاً عن المعضلات الإنسانيّة الكبرى والمآسي الأليمة التي تواجهها بلدان، بدءاً من قلب الشرق الأوسط -وتجري على ساحته مفاوضات واتفاقيات ومؤامرات!- وبالتحديد فلسطين ولبنان والعراق، ومروراً بشرق أوربا وجنوب اسيا، وعلى امتداد اميركا اللاتينية وحتى اقاصي القارة السوداء..

وفي قلب هذه الصراعات الدامية على صعيدين، ينبت الرجاء هنا وهُناك ويبتسم الأمل في هذه الزاوية أو تلك من العالم بفضل رجال ونساء ما زالوا يؤمنون بعالم كما أراده ويريده الله: آمنا، مسالماً، متآخياً، حراً، سعيداً.. عالم لا يكون فيه الانسان ذئباً، بل عالم يسكن فيه العدل والحق والحب والسلام.. وعبر مبادرات سلمية، على صعيد الأفراد أو الجماعات. يزهر في قلوب "صانعي السلام" التوق الى توطيد أسس للسلام لا تكون ثمنه

تنازلات عن حقوق مقدّسة، ولا تكون الدوافع اليه عجز اقتصادي أو استتراف قوى أو تواطؤ خسيس مع ذوي الجاه والسلطان!!

إن مبادرات السلام "العادل والدائم" التي يقوم بها محبو السلام تسهم في بناء عالم أكثر عدالة وأخوة وتضامناً.. إلا أن هناك من لا تُسلط عليهم الأضواء، وقد اخترنا منهم اثنين في منطقتين ساخنتين: القدس وسراييفو!

عفيف صافيه الفلسطيني المسيحي "سفير دولة فلسطين" في بريطانيا والذي عاد الى القدس في ميلاد ١٩٩٣، في زيارة خاصة، بعد ٢٥ عاماً بالمنفى في خدمة القضية الفلسطينية، في الوقت الذي كانت الاتصالات بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، على قدم وساق! وكذلك المفاوضات بين اسرائيل والفاتيكان، وفي بعض القضايا الشائكة (الحقوق الفلسطينية ومستقبل القدس الخ..)، قبل إقامة العلاقات الدبلوماسية.. عسى يتحقق في اورشليم، مدينة السلام، حلم هذا المناضل الفلسطيني في امكانية سلام عادل يعيد للشعب الفلسطيني حقّه في الأرض والسلام!

جيلينا برايسا من زغرب، مسؤولة "كاريتاس" تشنّ حرباً على كل أنواع الشقاء التي أفرزها وتفرزها الحرب المجنونة في البوسنة وفي قلب عاصمتها سراييفو حيث الاقتتال بلغ أقصى درجات الوحشية بين الصرب والبوسنييين والكرواتيين (وهم بالتالي ارثوذكس ومسلمون وكاثوليك) ولكل فئة اهداف ومصالح ونوايا.. إنه خيار تقوم به هذه المرأة الكرواتية لنجدة ضحايا الحرب من كافة الفئات المتناحرة.

والتقريران ادناه ننقلهما عن مجلة "الحياة: La Vie" الفرنسية السبوعية (عدد ٢٣-٣٠ كانون الأول ١٩٩٣) عبر مبعوثيها سليمان زغيدور وصوفيا بروكاس.

(أثبت التقريران معرّبين في العدد ذاته)

مغامرة عمرها ٣٠ عاما

أصحيح ان "الفكر المسيحي" في ايدي "اصحابها" منذ ٣٠ عاما؟ سؤال طرحه ويطرحه العديد من الشباب الذين عرفوا المجلة في الثمانينات والتسعينات، وهم لا يصدقون ان بوسع مجلة ان تقاوم ٣٠ عاما وتبقى في عهدة روادها الاوائل! سيما وانهم منيوا بخيبات امل مريرة، وكانوا يرون المبادرات في كنيسة العراق تخفت بعين السرعة التي تنطلق بها! وكأن مكتوبا على مشاريعها بقصر النفَس وقصر العمر!!

وما دامت "الفكر المسيحي" تحتفل هذا العام بالذكرى الثلاثين على ظهورها، يحق لقرائها، والشباب منهم بنوع خاص، ان يعرفوا شيئا عن بداياتها. انها قصة جديرة بان تحكى -وساحكيها وان بدوت لهم شيخا، ولست بشيخ!- ليس بدافع التباهي او المكابرة، وانما لكي اقيم واياهم الشوط الذي قطعته المجلة، في الوقت الذي نستعد لتسليمها في ايادٍ امينة، "كي يطول عمرها" وتواصل رسالتها الاعلامية والثقافية في كنيسة العراق التي هي منها ولها..

انها قصة مغامرة فريدة تلامس الاعجوبة في كثير من اوجهها! انها قصة الاحلام الكبيرة في عهد الشباب، وقد تحولت الى حقيقة ملموسة يعكسها اليوم الحيز الذي اتخذته مجلداتها في رفوف المكتبة! فاذا قصصتها عليكم، قرائي الاحباء، شبابا كنتم ام كهولاً، فلكي احملكم على المشاركة في فرح خبرة رائعة عشناها طيلة ٣٠ عاما وسيعيشها خلفاؤنا ولأعوام مديدة باذن الله!

(هذا المقال جاء ضمن صفحات، بمناسبة الذكرى الثلاثين، توسطت عددا خاصا بعنوان "المسيحي والمعاصرة").

●

واصبح للفكر المسيحي تاريخ!

كل شيء بدأ في ظهيرات تموز عام ١٩٦٣، وفي الجو الخانق في مبنى "الاخوية" الملاصق لكنيسة مار توما في الموصل، حين كنا اربعة[1] وطدنا العزم على سد الفراغ في مجال النشر المسيحي، في اعقاب ثماني سنوات على انحجاب آخر المجلات الدينية، فانكببنا ندبج مقالات لتكون اعدادا في "سلسلة" اطلقنا عليها، بعد ترددات، "الفكر المسيحي"- تتألف كل حلقة من ١٠ اعداد على مدى سنة.

وظهر العدد الاول بعنوان "الكنيسة عبر القارات"، وبديباجة "يصدرها كهنة يسوع الملك"، ومن دون ان يحمل تاريخا! هل يسوغ لنا ذلك الاغفال ان نرى فيه اشارة

الى ان "الفكر المسيحي" ستبقى الى ما شاء الله!! وقد ظهر قبيل ميلاد ١٩٦٣. وانتشر في الناس مع غمرة الافراح باعياد الميلاد والسنة الجديدة، ريثما يظهر العدد الثاني ليعلن انه الثاني في (الحلقة الاولى ١٩٦٤) وقد اعتبرناه عام ميلاد "الفكر المسيحي".

لم يكن اطلاق العدد الاول بالامر الهين! فكان يعني "مادة" يقدمها كتّاب باستمرار وهيئة مشرفة، ومطبعة تلتزم، ووكلاء يتطوعون، ومشتركين يدفعون مسبقا دون تقسيط! —وكان الاشتراك السنوي انذاك ٢٠٠ فلس!— وادارة تسهر على الاشتراكات والتوزيع.. ولنقلها بامانة بان تجاوب العديد من الكهنة والرهبان والراهبات والعلمانيين الملتزمين ولا سيما من الاخويتين المريمية والطلابية[٢] جعلنا نقوى، ومن دون رأسمال، على مجابهة نفقات الطباعة، وقبيل صدور العدد الاول — وكانت ٢٠ دينارا وبكمية ٢٥٠٠ نسخة!

ومنذ سنتها الاولى وطيلة السنوات الست، بقي عدد المشتركين يحوم حول الرقم ٣٠٠٠ لينخفض قليلا في الاعوام الاولى من تحولها الى مجلة، ويعود ليتصاعدَ، بدءًا من العام ١٩٧٧، فيتجاوز ٤٣٠٠ مشترك عام ١٩٨١، ويستمر صعودا ليتراوح حول الرقم ٧٥٠٠ بدءًا من العام ١٩٩٠ —وغني عن القول ان هذا الرقم يمثل قراء يقدرون بحوالي ٤٠٠٠٠!

من سلسلة الى "مجلة"..

ظهرت "السلسلة"، باديء بدء، من دون امتياز، وبصفة "كراريس" تجيزها، في كل مرة، رقابة المطبوعات بوزارة الثقافة والاعلام.. واستمر الامر على هذه الحال حتى عام ١٩٦٨ (الحلقة الخامسة) —وكنا قد باشرنا بادراج ٨ صفحات بلون خاص في وسط العدد، تضمنت افتتاحية وزاوية "اخبار العالم المسيحي"— حين توجب علينا في غضونه ان نتقدم الى الوزارة بطلب امتياز. وصدرت الموافقة بتاريخ ١٩٦٨/٥/١٨. وظهر العدد(حزيران ١٩٦٨) ليواصل اعداد الحلقة الخامسة تحت رقم ١/٤٦، وبدا وكأنه العدد الاول من السنة الاولى!

وما ان ظهر عدد كانون الثاني ١٩٦٩ حاملا الرقم ٥١ (الحلقة السادسة) حتى صدر قانون المطبوعات الجديد في اعقاب ثورة ١٧- ٣٠ من تموز المجيدة، وبموجبه توقفت كل الصحف والمجلات عن الصدور ريثما يعاد النظر في الامتيازات الممنوحة، وهكذا توقفت "الفكر المسيحي" عن الصدور قرابة عام الى ان حصلت الموافقة[٣] في ١١/٢٥/ ١٩٦٩. وكان عليها ان تواصل اعداد الحلقة السادسة، فظهر العدد بعد الامتياز الجديد يحمل الرقم ٥٢ (كانون الثاني ١٩٧٠)، وهكذا اكتملت الحلقات الست من "السلسلة" بالعدد ٦٠ (تشرين الثاني ١٩٧٠)، فبدأت منعطفا جديدا من مسيرها مع العدد الاول من عام ١٩٧١[٤]. ولنقلها للتاريخ ان "الفكر المسيحي" لم تواجه طيلة مسيرها اية ضغوط من جانب الوزارة، وظلت تتمتع بحرية التعبير، مكتسبة ثقة الاوساط الاعلامية والصحافية.

الاعداد الخاصة

منذ عام ١٩٧٤ بادرت "الفكر المسيحي" الى اصدار اعداد خاصة امتازت بمضمونها ومعالجاتها الجريئة وحجمها واخراجها... انها قلادة من ١٩ عددا رصعت صدرها بين الاعوام ١٩٧٤ – ١٩٩٤.

- ت ١ و ت٢ ١٩٧٤: المسيحي في مجتمعه (١٠٠ ص)
- ت ١ و ت٢ ١٩٧٦: قضايا الجيل الجديد (١٠٨ ص)
- ايلول ١٩٧٧: كنيسة العراق (٨٢ ص)
- ايلول ١٩٧٨: البابا بولس السادس (٤٨ ص)
- ايلول ١٩٧٩: كهنة لمن؟ ولماذا؟ (٦٤ ص)
- كانون الاول ١٩٨٠: شخصية يسوع المسيح (٨٠ ص)
- ايلول ١٩٨١: كشاف ١٩٧١– ١٩٨٠ (٥٦ ص)
- ت ١ و ت٢ ١٩٨٢: الكتاب المقدس (٩٦ ص)
- ت ١ و ت٢ ١٩٨٣: الاسرة المسيحية (٨٠ ص)
- ت ١ و ت٢ ١٩٨٤: الانسان "على صورته ومثاله" (٩٦ ص)
- ت ١ و ت٢ ١٩٨٥: الشباب.. وعي وطموح (٩٦ ص)
- ت ١ و ت٢ ١٩٨٦: كنيسة العراق، ٢٠ عاما بعد الجمع (٩٦ ص)
- ت ١ ١٩٨٧: "ام الفادي (رسالة بابوية)" (٥٦ ص)
- ت ١ و ت٢ ١٩٨٨: الاطفال.. امل المستقبل (٩٦ ص)
- ت ١ و ت٢ ١٩٨٩: الفكر المسيحي، ربع قرن في خدمة الكلمة (٩٦ ص)
- ت ١ و ت٢ ١٩٩٠: الحركة المسكونية، ٢٥ عاما بعد الجمع (١٠٠ ص)
- ايلول ١٩٩١: كشاف ١٩٨١ – ١٩٩٠ (٦٤ ص)
- آب و ت١ ١٩٩٢: الاوخارستيا..شركة وقسام (٦٤ ص)
- تموز و ت١ ١٩٩٤: المسيحي والمعاصرة (٨٠ ص). يضمنه كشاف ١٩٩١– ١٩٩٤

إلى أمام.. من عام إلى عام!

ولا بد لنا ان نشير الى التغييرات التي طرات على حجم "الفكر المسيحي" وصفحاتها وطرق طباعتها وبدلات الاشتراك فيها..

بدأت "السلسلة" بحجم ١٢× ١٦ سم و ١٦ ص، وسرعان ما بلغت الى ٢٠ ص في الاعوام ١٩٦٥– ١٩٦٧، والى ٢٨ ص في الاعوام ١٩٦٨–١٩٧٠. وفي عام ١٩٧١ اصبحت "مجلة" بحجم ١٧× ٢٤ سم و ٣٢ ص، قفزت الى ٤٠ في العام التالي والى ٤٤ في العامين ١٩٧٣و١٩٧٤، لتستقر على ٤٨ ص منذ العام ١٩٧٥. وهنا تجب الاشارة الى ان اعتماد المجلة التنضيد باللاينوتايب، منذ عام ١٩٧٧، جعل مضمونها يرتفع بنسبة ٤٠$، وسيزيده ارتفاعا اعتماد التنضيد الالكتروني، وقد بدأ عام ١٩٨١ واعتمد بشكل دائم منذ عام ١٩٨٥. فباستثناء صفحات الحلقات الست من السلسلة (١٣٢٠ص من الحجم الصغير)، يبلغ مجموع صفحاتها للاعوام ١٩٧١– ١٩٩٤ اكثر من ١٠٠٠٠ص تعادل في الواقع حوالي ١٥٠٠٠ ص![٥].

اما بدل الاشتراك، فلقد اعتمدت "الفكر المسيحي" دوما خطة تهدف الى ازدياد الكمية لموازنة الكلفة، وهكذا لم يواكب بدل الاشتراك الازدياد في عدد الصفحات والارتفاع في تكاليف الطباعة... وخير دليل على ذلك ان الاشتراك في "السلسة" بين الاعوام ١٩٦٤– ١٩٧٠ لم يرتفع الا من ٢٠٠ الى ٣٠٠ فلس! وانه خلال عشرين عاما من مسيرة المجلة (١٩٧١- ١٩٩١) ارتفع من ٧٥٠ فلسا الى ٥ دنانير فقط! واشتدت الازمة المالية بسبب الحصار الجائر في اعقاب الحرب العدوانية على العراق، فلم يعد بوسع المجلة ان تلحق بركاب جنون الاسعار، بل كان جل همها ان تصمد بوجه الازمة وتستمر في الظهور.

وفيما عمدت، منذ عام١٩٩١، الى الظهور بوتيرة ٤- ٥ اعداد، عمدت ايضا الى تحديد بدل الاشتراك لعام ١٩٩٢ ب ٧ دنانير، وتوجهت الى اصدقائها ومناصريها بالنداء الى الدعم، عبر الاشتراك التعضيدي (٥٠٠ دينار فما فوق)، فكان تجاوب يدعو الى الاعجاب! وهكذا لم تشأ ان تحّمل قراءها وزر اعبائها ونفقاتها المتصاعدة، ولا سيما بسبب الارتفاع الهائل في اسعار الورق، فكانت تدعم بدل الاشتراك في الحد الادنى بمبلغ مماثل! وكانت المفاجأة عام ١٩٩٣ حين افاقت المجلة على بدل اشتراك (١٠ دنانير) لم يعد يسد كلفة عدد واحد!! وبلغت الازمة أوَجَها في اوائل هذا العام حين اصبحت كلفة العدد الواحد تزيد على بدل الاشتراك (٢٥دينارا)!! ومنذئذ كان لا بد للفكر المسيحي ان تتوجه الى عدد من المساهمين في الطباعة"[٦].

الفكر المسيحي: امانتان

كانت "الفكر المسيحي"، منذ نشاتها وطيلة مسيرتها الطويلة، قد حرصت على حريتها في التعبير، وبقيت بمنأى عن كل الضغوط الاقتصادية والسياسية والدينية التي من شانها ان تكبل حريتها أو تحد من جرأتها او تضعف نبرتها النبوية.. وكان ذلك بفعل نظرة مستنيرة للعمل الصحافي في الوسط الكنسي تقوم بالتمسك بامانتين: امانة للكلمة الحرة، الناقدة والبناءة في الكنيسة، وامانة لطبيعة العمل الصحافي في سننه وقوانينه واساليبه... وبوسعنا ان نرجع الكثير من سوء التفاهم او الاتهامات غير المسؤولة او الصراعات الجانبية التي تعرضت لها المجلة احيانا، الى تجاهل هاتين الامانتين وما يتصل بهم امن التزامات.

من هذا المنطلق عمدت المجلة مرارا الى تحديد اهدافها والتاكيد على كونها "مجلة مسيحية اعلامية ثقافية ملتزمة"... وقد تزامن هذا التحديد مع المنعطف الذي اتخذته المجلة عام ١٩٧٧ بتبني النهج الاعلامي، مما اضفى على مضمونها طابعا صحافيا متميزا، من دون ان يعفيها ذلك من رسالتها الثقافية، طالما كانت ولا زالت "المجلة المسيحية الوحيدة" على الساحة العراقية.

كتاب "الفكر المسيحي"

الى جانب هيئة التحرير الرئيسة (كهنة يسوع الملك –اخوّة الحياة المشتركة / كنيسة مار توما– الموصل) احاطت "الفكر المسيحي" نفسها منذ السبعينات بهيئة تحرير استشارية في الموصل وبغداد.. وقد تطعمت مرارا بكهنة وراهبات وعلمانيين ذوي خبرة وكفاءة كان لهم دور رئيس في مسيرة المجلة.

ويطيب لنا ان نثبت اولا اسماء المحررين الذي كانت لهم اكثر من ١٥ مقالة، على مدى ٣٠ عاما، وهم الآباء: افرام سقط، البير ابونا، يوسف عفاص، جرجس القس موسى، خليل توجمصاري، الاخت سانت اتين، عبد السلام حلوة، فرج رحو، فرنسيس يوسف، لوسيان جميل، لويس ساكو، الاخت ماريان ابراهيم، منصور المخلصي، ميخائيل جميل (المطران)، يوحنا عيسى، يوحنان جولاغ، يوسف حبي، يوسف توما، يوسف عتيشا؛ ومن العلمانيين السيدة برناديت عفاص والسادة ماهر حربي ونجيب قاقو ويعقوب افرام منصور.

ومن بين حوالي ٢٠٠ كاتب ساهموا بكثير او قليل، نذكر من كان لهم اقل من ١٥ مساهمة واكثر من ٥ مساهمات، وهم الآباء: اسطيفان كجو(المطران)، بنام كجو، المطران بولس دحدح، بول ربان، جان فيلب لاشيز، جبرائل شماس، جودت القزي، حنا ياكو، المطران صليبا شمعون، المطران عمانوئيل بني، المطران كوركيس كرمو، لويس قصاب، منصور لكونت، نجيب موسى، نعمان اوريدة؛ ومن العلمانيين: امير حراق، السيدة اورور يامكي، بنام عفاص، سالم اسعد الخياط، سهى رسام، سهيل قاشا، صباح حنا بشي، عصمت عنائي، يوسف حنا للو.

وما دمنا في صدد التحرير –وهو الذي يعطي للمجلة وجهها ويعكس توجهاتها وخطها الفكري– لا بد لنا ان نتوقف قليلا عند الكشّافين اللذين رصدا كتّاب "الفكر المسيحي" (انظر الاطار) طيلة ٢٠ عاما من مسيرتها الصحافية، واعتبرا –وان لم يحملا رقما– عددين خاصين لعام ١٩٨١ وعام ١٩٩١، اخذا مكانهما في ما يسمى بحق "قلادة" المجلة! (انظر الاطار بشأن الاعداد الخاصة).

وكانت فكرة اصدار كشاف يغطي مواد السنوات العشر الاولى (١٩٧١–١٩٨٠) بدافع تسهيل عثور القراء على المواضيع التي سبق للمجلة ان عالجتها؛ وسرعان ما اصبح الكشاف رقم ١ اداة ثمينة لتوثيق المقالات وتبويبها، سيما وقد الحق به "فهرس الكتاب".. وفي اعقاب ١٠ سنوات اخرى (١٩٨١– ١٩٩٠) صدرالكشاف رقم ٢ الذي جاء دسما من حيث مادته واخراجه، فغطى ٤٤٤٨ ص تضمنت موادا تقدر باكثر من ٧٠٠٠ ص[٧]!

اليوبيل الفضي: ١٩٦٤ – ١٩٨٩

وكان عام ١٩٨٩ عاما يوبيليا اعلنته "الفكر المسيحي" لتحتفل بمرور ربع قرن على ظهورها –وهو شوط كان لا بد ان تُخلّد ذكراه. فكان اعلان سرعان ما استقطب ذوي الكفاءات والمواهب الفنية لاعداد معارض تشمل عددا من الفنون. وانطلقت حركة عارمة، في الموصل وبغداد، بين قراء المجلة واصدقائها ومناصريها الذين هرعوا الى المشاركة، وراح الكثيرون منهم يقدمون نتاجاتهم هدايا!

وكان يوم ٧ تموز في كنيسة مار توما يوم مهرجان حافل! فافتتح اليوبيل – برعاية المطران عمانوئيل بني صاحب الامتياز –بقداس شكر رائع، ورجعت الصلوات والكلمات ما حمله البوستر "الشمعة المتوهجة": ٢٥ عاما في خدمة كنيسة العراق! ومن بين المعارض الكثيرة تميز معرض المجلة بجداريات حكت بالكلمة والرسم والصورة "قصة" الفكر المسيحي ومضامينها، عبر ابوابها وزواياها وكتابها واسلوب عملها الصحافي ومراحل صناعتها وادارتها وتوزيعها الخ.. –وقد التقطت صور للجداريات كونت لوحة محفوظة في مقر المجلة.

واحتضنت احتفالات اليوبيل في بغداد كاتدرائية القديس يوسف (٢١– ٢٨ تموز) برعاية غبطة البطريرك روفائيل الاول بيداويد –وقد شاءت ظروف ان تغيبه عن الاحتفال– فافتتحت بقداس شكر ترأسه المطران بولس دحدح، تلاه افتتاح المعارض الفنية التي شغلت كل قاعات الكاتدرائية ومداخلها، وشارك فيها ذوو المواهب ولا سيما في مجالات الفنون التشكيلية والفوتوغراف والسيراميك الخ.. واضفت بهجة على الاحتفالات حفلة موسيقية الى جانب عمل مسرحي.. (راجع التقرير: عدد آب/ ايلول١٩٨٩).

وتجدر الاشارة الى ان عددا خاصا (تشرين١ وتشرين٢ ١٩٨٩) بعنوان "ربع قرن في خدمة الكلمة، خلد هذه الذكرى، وجاء بمثابة خلاصة مكثفة لمسيرة تخللتها اضواء واشراقات الى جانب بعض الظلال..

ويؤسفنا ان تكون الحقبة الاخيرة من المسيرة قد تزامنت مع الحصار الجائر، فما ان بدا عام ١٩٩٠ باعداد نفاخر بها من حيث المضمون والاخراج –وقد تميز بالعدد الخاص عن "الحركة المسكونية" والذي عكس مسيرة مسكونية واكبتها المجلة طيلة ٢٥ عاما بعد المجمع– واذا بالحرب توقف العدد الاول لعام ١٩٩١، والذي سيظهر من ثم في ظروف قاسية وللاشهر (كانون الثاني – نيسان)؛ ولكنه سجل تحديا رائعا طالما كانت "الفكر المسيحي" من اولى المجلات العراقية التي ظهرت غداة الحرب! وحذار ان يفسر انخفاض وتيرة الاعداد في السنوات الاربع الاخيرة بالتعثر والاهتزاز، بينما هو مؤشر على صمود "الفكر المسيحي" في اصعب حقباتها! لذا فهي لن تني تعلن عن كونها "مجلة شهرية" وإن تقلصت اعدادها!

تلك هي بايجاز قصة المغامرة التي خاضها "كهنة يسوع الملك" ومعهم محررون وكتّاب وقراء ووكلاء ومناصرون، ارادوا ان يكون لمسيحيي العراق اداة تنطق باسمهم.. وما احلاها مغامرة!

---

(١) الآباء جرجس القس موسى ونعمان اوريدة وبيوس عفاص الذين عمدوا، غداة رسامتهم الكهنوتية عام ١٩٦٢، الى العيش المشترك، ومعهم زميلهم الشماس جاك اسحق الذي اقتبل الرسامة في العام التالي.

(٢) نذكر للنكهة التاريخية الام اسميري لراهبات التقدمة التي دفعت مسبقا ٤٠ دينارا (ثمن ٢٠٠ اشتراك لعام ١٩٦٤) فاعفتنا من استدانة تكاليف الطباعة!! ومنذئذ اتخذ متطوعون من كل الفئات صفة "وكلاء"، فكان لهم

دور كبير في نشر "الفكر المسيحي " في كل مكان من العراق، وفي المقدمة بغداد حيث يشكل المشتركون حوالي ٥٠% وحيث يزيد عدد الوكلاء على ٧٥ وكيلا، بينهم من تجاوزت قائمة المشتركين لديهم ٤٠٠ مشترك!!

ولا يسعنا ان نحصي كل الوكلاء الذين تعاقبوا على هذه الخدمة الجليلة طيلة ٣٠ عاما، في العراق وخارجه – وبينهم من سبقونا الى دار الخلود – وقد لا نخطئ اذا قلنا بان عددهم الكلي يتجاوز ٧٠٠ وكيل ووكيلة، ونغتنمها فرصة للتعبير عن عميق شكرنا لكل الوكلاء القدامى والجدد.

(٣) كان اول امتياز قبل الثورة قد منح باسم السيد سعيد بلو بصفته صاحب الامتياز والاب زهير(بيوس) فضيل عفاص بصفته رئيس التحرير. وتجدد الامتياز بعد الثورة باسم المطران عمانوئيل بني، وقد تولى الاب زهير رئاسة التحرير حتى خريف ١٩٧٢ حين توجه للدراسة في جامعة لوفان (بلجيكا) /قسم وسائل الاعلام، فتولاها الاب جرجس القس موسى وعلى مدى ٤ سنوات..، واستعادها الاول مع بدء عام ١٩٧٧. وفي خريفه توجه الاب جرجس الى الجامعة ذاتها في قسم علم الاجتماع ليعود في نهاية عام١٩٧٩، ليعملا، يدا بيد، طيلة ١٥ سنة هي سنوات "الفكر المسيحي" السمان!

(٤) كان عدد كانون الثاني ١٩٧١ قد حمل في الداخل هذه الديباجة (السنة الاولى –العدد١) وسرعان ما حمل العدد الثاني ديباجة اخرى (السنة السابعة – العدد٢ –١٩٧١) باعتبارها السنة الفعلية السابعة. الا ان الترقيم ظل يتجاهل سنوات "السلسلة" السابقة حتى بلغ الرقم ٥٠ مع عدد كانون الاول ١٩٧٥، ومنذئذ اجري تصحيح تم بموجبه احتساب ظهور ١١٠ اعداد (٦٠ عدد للاعوام الستة الفعلية من "السلسلة" فضلا عن ٥٠ عددا للاعوام الخمسة الاولى من"المجلة") فظهر عدد كانون الثاني لعام ١٩٧٦(وهو العام الثاني عشر) يحمل الرقم ١١١. ويستمر الترقيم حتى يحمل العدد الاخير من عام ١٩٩٤ الرقم ٣٠٠ للدلالة على مسيرة ٣٠ سنة طالما ان سنة المجلة عشرة اشهر.

(٥) استمرت "الفكر المسيحي" باصدار ١٠ اعداد في السنة، ولم تشذ عن القاعدة الا عام ١٩٨١، مع بدء الحرب العراقية الايرانية، حين اختزلت عددا في مطلعه (كانون الثاني /شباط١٩٨١)؛ ومنذ عام ١٩٨٣ استمر اختزال عدد واحد، ولم تنخفض وتيرة ظهورها الا مع بدء عام ١٩٩١.

وكان لها مع المطابع قصص! فقد تنقلت بين ١٠ مطابع! فبعد ان بقيت في عهدة (المطبعة العصرية) في الموصل، بالتنضيد اليدوي، بين الاعوام ١٩٦٤–١٩٧٧، اضطرت مع عدد نيسان ١٩٧٧ الى الانتقال الى (مطبعة شفيق) في بغداد. ومع بدء عام ١٩٧٨ دخلت المجلة عالم الاوفسيت مع (مطبعة سلمى) حين اخذت الصورة مكانها الطبيعي في التعبير. واستمر التنقل: من السندباد (ايلول ١٩٧٩) الى المشرق (ايلول ١٩٨٠) فالرشيد (كانون الثاني ١٩٨٣) وثويني (حزيران ١٩٨٤)، ثم عودة الى الرشيد (كانون الثاني ١٩٨٦) ومن ثم اليرموك (كانون الاول ١٩٨٨) حتى استقرت منذ كانون الثاني ١٩٩٠ في رعاية شركة مطبعة الاديب التي ابدت تعاونا متميزا نعتز به ايما اعتزاز.

(٦) في هذا العام، تتحمل المجلة، كلفة تزيد على ١٢٥٠٠٠ ديناراً للاعداد الاربعة التي تصدرها –وهي في الواقع كلفة ٥ اعداد، طالما انها اضافت ٣٢ ص على هذا العدد الخاص، وستضيف ١٦ ص على العدد الرابع والاخير الذي سيحمل كشافا للاعوام الاربعة الاخيرة (١٩٩١– ١٩٩٤). ويطيب لنا ان نغتنمها فرصة لنجدد لاولئك الذين تلطفوا وقدموا مساهمة سخية (٥٠٠٠٠ د.)، اعمق آيات الشكر والتقدير، كما ولكل المشاركين في التعضيد والمناصرة، مؤكدين ان الازمة المالية لم ولن تقوى على الحيلولة دون ظهور "الفكر المسيحي".

(٧) عمدت الفكر المسيحي منذ قرابة ١٥ سنة الى ارشفة جميع مقالاتها عبر عملية الاستلال والتصنيف بحسب موضوعات والحفظ في اضابير –وقد كان هذا الارشيف منطلقا للكشافين– وهكذا تمت ارشفة الانباء التي نشرتها المجلة فاصبحت تكوّن مجموعة اضابير تغطي معظم بلدن العالم.

وتجدر الاشارة ايضا الى ان في حوزة المجلة قسما لارشيف الصور والافلام، وقد وزعت في اضابير تغطي الشخصيات والموضوعات المختلفة، ومنها تستمد المجلة ما يدعم المقالات والانباء بالصور المعبرة.

سينودس الاساقفة: الحياة المكرسة

(٢- ٢٩ تشرين١ / ١٩٩٤)

ليس من قبيل الصدف ان يكون سينودس الاساقفة العام في دورته التاسعة (٢-٢٩ ت١) قد انكب على «الحياة المكرسة» بعد ان خصت الدورة الاخيرة لعام ١٩٩٠ بالبحث «تنشئة الكهنة» (راجع ف. م . ك١ ١٩٩٠). ذلك لان عمل الكنيسة الروحي والراعوي والرسولي يتجلى بشكل متميز في هذا العدد الكبير من الرجال والنساء (اكثر من مليون) الذين يخصصون حياتهم في خدمة البشرى الانجيلية.. في عصر باتت رسالتهم فيه اشبه بتحد، ويتحتم عليهم من ثم -عشية الألف الثالث للميلاد- ان يكونوا على مستوى عال من المسؤولية، وعلى قد كبير من الروح النبوية ليخاطبوا بني عصرهم بلغة يفهمونها، وبمضامين تستقطب اهتمامهم..

●

لقد اصبح سينودس الاساقفة — ووراءه خبرة ٣٠ عاما (انظر الاطار) اشبه بماكنة تتحرك فور اختتام دورة سابقة، عبر ورقة "الخطوط العريضة" (Lineamenta) التي تطرح مفردات الموضوع المقترح على الهيئات الاسقفية في العالم الكاثوليكي بشكل "اسئلة" مكثفة. ومن خلال الاجابات الواردة —وكان اخر موعد لها في ١ تشرين الثاني ١٩٩٣— تعد الامانة العامة ورقة العمل (Instrumentum Laboris)، وهي بمثابة المسودة الاساسية المعروضة لمناقشة اباء السينودس في الجلسات العامة او من خلال فرق العمل حيث يتوزعون عليها بحسب اللغات. ومن الجدير بالذكر ان وفرة الاجابات كشفت عن الاهمية القصوى التي اولتها الكنائس المحلية في العالم للحياة الرهبانية بشكل عام.

ولما لم تصلنا الى حد كتابة هذا التقرير اصداء صحفية عن السينودس — وهذا وجه من اوجه الحصار المخزي - نكتفي برسم الخطوط العريضة التي تضمنتها ورقة العمل التي انكب على مناقشتها الكرادلة والبطاركة والاساقفة ممثلو المجالس الاسقفية ورؤساء الرهبانيات الكبرى؛ وقد قدمها منذ ٢٠ حزيران المطران ج. شوت امين عام السينودس (الاوسرفاتوري رومانو بالفرنسية).

في قسمها الاول بعنوان "الحياة المكرسة اليوم"، تطرح ورقة العمل الواقع اللاهوتي والروحي والراعوي للحياة الرهبانية، كونها "الخميرة في العجين" عبر الشهادة التي تؤديها للانجيل، فضلا عن كونها مدعوة، في قلب التحولات التاريخية، الى ان تعطي جوابا ايمانيا وتصبح "علامة" رجاء بفضل الثراء الذي تتضمنه توجهاتها التجددية والتي تتجلى في الحياة المشتركة بشكل خاص. وفيما تثار مشكلة اختلاف الاوضاع البشرية التي تتطلب من الرهبانيات جهدا للتجذر في الحضارات المختلفة والتكيف مع الحاجات الجديدة، في الامانة لهويتها وتوجهاتها الاساسية، تؤكد ورقة العمل على تأصل الحياة الرهبانية في "صلب سر الكنيسة"، عبر دعوتها الفريدة الى القداسة وخدمة شعب الله بمختلف اشكال الخدمة وصيغها..

سينودس الاساقفة: ٣٠ عاما

منذ ان اراده البابا بولس السادس، عام ١٩٦٥، "هيئة استشارية" في القضايا التي تواجهها الكنيسة الجامعة، كان "سينودس الاساقفة العام" اداة فاعلة في ابراز الوجه الشمولي للكنيسة وتلاحم وجهات النظر بين المصف الاسقفي في مختلف انحاء العالم. ففي خلال ٣٠ عاما على نشأة هذه الهيئة الاسقفية، بقرار من المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢- ١٩٦٥)، عقدت ٩ سينودسات عامة اعيادية، وسينودسان فوق العادة: الاول عام ١٩٦٩ حول "الجماعية في الكنيسة"، والثاني عام ١٩٨٥ لتقييم عمل المجمع المسكوني بمناسبة مرور ٢٠ عاما على اختتامه. فضلا عن ٣ سينودسات خاصة: السينودس بشان هولندا (١٩٨٠) والسينودس "من اجل اوربا" (١٩٩١) والسينودس الافريقي (١٩٩٤).

ويلتئم السينودس الاعتيادي في الخريف بمعدل مرة كل ٣ سنوات، وان تغيرت جزئيا هذه الوتيرة منذ الثمانينات - وقد اصدرت "الفكرالمسيحي" لمعظم السينودسات المنعقدة في الثمانينات.. واليكم مواضيع الدورات الاعتيادية التسع:

١. قضايا راعوية	(١٩٦٧)	٦. المصالحة والتوبة	(١٩٨٣)
٢. الخدمة الكهنوتية والعدالة في العالم	(١٩٧١)	٧. دور العلمانيين في الكنيسة	(١٩٨٧)
٣. الكرازة بالانجيل	(١٩٧٤)	٨. تنشئة الكهنة في الظروف الراهنة	(١٩٩٠)
٤. تعليم مسيحي لعصرنا	(١٩٧٧)	٩. الحياة المكرسة في الكنيسة والعالم	(١٩٩٤)
٥. دور الاسرة المسيحية	(١٩٨٠)		

ويتناول القسم الثاني "الحياة المكرسة في قلب سر المسيح والكنيسة" حيث تبرر الاسس اللاهوتية التي تستند اليها شهادة المكرسين: انها دعوة الى السير في اثر المسيح.. وما المشورات الانجيلية (الفقر والطاعة والعفة) سوى شهادة للسر الفصحي. ويتجلى ذلك في الحياة المشتركة حيث تعاش المحبة في اعمق ابعادها، كما تتجلى في حياة رسولية نشطة..

اما القسم الثالث، فيتمحور حول "الحياة المكرسة في الشركة الكنسية"، ويسعى الى ترسيخ مفهوم "شركة قائمة على الاسرار". ولما كان تكريس الذات في الحياة الرهبانية اشتراكا متميزا في وظائف المسيح الكهنوتية والنبوية والملوكية، فانه يتشح بصيغ خاصة في نطاق الكنيسة الجامعة والكنائس المحلية معا؛ ذلك لان مختلف صيغ عيش الحياة المكرسة، على صعيد الكنائس المحلية، تسهم في توطيد الشركة بين الجماعة المؤمنة، كما تفتح الافاق لشركة شاملة في قلب الكنيسة الجامعة. ومن هنا كانت ضرورة ايجاد توازن بين استقلالية الرهبانيات و"عائديتها" بحسب كونها "حبرية" (ترجع الى الكرسي الرسولي) او تابعة لابرشية ما، فضلا عن ضرورة التماسك في ما بينها، في احترام التعددية في الدعوة والروحانية وصيغ العيش واساليب الرسالة...

وينكب القسم الرابع والاخيرعلى "الحياة المكرسة في خدمة رسالة الكنيسة من اجل العالم"، حيث تجد الرهبانيات مكانها المرموق في رسالة الكنيسة وتقوم بواجبها ازاء "تحديات المستقبل" من تنشيط الحياة الروحية وتنمية الدعوات وفسح مشاركة اكبر للنساء المكرسات في الرسالة الكنسية الخ.. الا ان الافاق المستقبيلة التي يتوجب على الرهبانيات ان تعانقها، فتكمن في عملية "التبشير الجديد" وفق حاجات العصر وعلى مختلف الاصعدة (التربية والصحة والاغاثة ورعاية الاطفال والشباب والشيوخ)، كما تكمن في توجيه الجهود نحو وحدة المسيحيين والحوار مع الديانات الاخرى والسعي الى توطيد العدل والسلام.. ولم تغفل ورقة العمل دعوة الرهبانيات الى الشهادة للمسيح من خلال تبني بعض الوظائف والمهن المتخصصة، مع اولوية للفقراء والمرضى.. تلك هي باختصار المحاور الرئيسة التي انكب على دراستها ابناء السينودس وخرجوا بتوجهات ومقترحات سيتعين على البابا ان يعكسها في رسالة او ارشاد روحي..."

ش . ر/ت٢- ك١ ١٩٩٤

ملفات الكتاب المقدس

مجلة بيبلية متخصصة مصورة، معربة عن الفرنسية *Les Dossiers de la Bible* تصدر منذ عام ٢٠٠٠

عن دار بيبليا للنشر بوتيرة اربعة ملفات في السنة.

السنة الاولى: ٢٠٠٠
١- الحديث عن القيامة/أيلول
٢- الافخارستيا/ كانون الأول

السنة الثانية ٢٠٠١
٣- ايليا واليشاع/كانون الثاني
٤- امثال يسوع/نيسان
٥- ما وراء الموت/تموز
٦- عجائب يسوع/تشرين الأول

السنة الثالثة ٢٠٠٢
٧- قراءة في انجيل متى/كانون الثاني
٨- اعمال الرسل/نيسان
٩- قراءة في مؤلف لوقا/تموز
١٠- حزقيال النبي/تشرين الأول

السنة الرابعة ٢٠٠٣
١١- اناجيل الطفولة/كانون الثاني
١٢- القديس بولس/نيسان
١٣- سفر يونان/تموز
١٤- كنيسة البدايات/تشرين الأول

السنة الخامسة ٢٠٠٤
١٥- القديس مرقس/كانون الثاني
١٦- سفر المزامير/نيسان
١٧- النبي عاموس/تموز
١٨- صلاة الابانا/تشرين الأول

السنة السادسة ٢٠٠٥
١٩- انجيل يوحنا/كانون الثاني
٢٠- الروح القدس/نيسان
٢١- الاناجيل المنحولة/تموز
٢٢- اشعيا النبي/تشرين الأول

السنة السابعة ٢٠٠٦
٢٣- سفر ايوب/كانون الثاني
٢٤- ارميا النبي/نيسان
٢٥- سفر الرؤيا/تموز
٢٦- الغفران في ك. م. /تشرين الأول

السنة الثامنة ٢٠٠٧
٢٧- اشعيا الثاني وتلاميذه/كانون الثاني
٢٨- أوجه يسوع/نيسان
٢٩- الآلام بحسب يوحنا/تموز
٣٠- سفر الخروج/تشرين الأول

السنة التاسعة ٢٠٠٨
٣١- لا فقراء بعد اليوم!/كانون الثاني
٣٢- الآلام بحسب انجيل لوقا/نيسان
٣٣- روح العنصرة/تموز
٣٤- العهد: من سيناء الى يسوع/تشرين الأول

السنة العاشرة ٢٠٠٩
٣٥- العماذ في ك.م.+عدد خاص/كانون الثاني
٣٦- بولس وقورنتس/نيسان
٣٧- حين يتكلم الله/تموز
٣٨- مريم، ام يسوع/تشرين الأول

السنة الحادية عشرة ٢٠١٠
٣٩- اورشليم مدينة السلام/ كانون الثاني
٤٠- كما في الكتب/ نيسان
٤١- واعطاها اسما (الحيوانات في ك.م.)/نيسان
٤٢- روايات الكتاب المقدس/ تشرين الاول

السنة الثانية عشرة ٢٠١١
٤٣- الجبل في الكتاب المقدس/كانون الثاني
٤٤ - الحرب والسلام/نيسان
٤٥ - ابراهيم خليل الله/تموز
٤٦ - طرق لتفسير الكتاب المقدس/تشرين الال

السنة الثالثة عشرة ٢٠١٢
٤٧- ملائكة الميلاد/ كانون الثاني
٤٨ - يسوع من الناصرة/نيسان
٤٩ - هل أملى الله الكتاب المقدس (يظهر في تموز)
٥٠ -
(يظهر عدد خاص بمناسبة اليوبيل الفضي لـ م.د.ك)

تتوفر مجموعات من الملفات باسعار مخفضة

مجموعة ٦ اعوام (٢٠٠٦ – ٢٠١١)	الملفات ٢٣ – ٤٦	٢٣٠٠٠ د.
مجموعة ٥ اعوام (٢٠٠٦ – ٢٠١٠)	الملفات ٢٣ – ٤٢	١٨٠٠٠ د.
مجموعة عامين (٢٠٠٦ – ٢٠٠٧)	الملفات ٢٣ – ٣٠	٥٠٠٠ د.
مجموعة عامين (٢٠٠٨ – ٢٠٠٩)	الملفات ٣١ – ٣٨	١٠٠٠٠ د.
مجموعة عامين (٢٠١٠ – ٢٠١١)	الملفات ٣٩ – ٤٦	١٠٠٠٠ د.
مجموعة ٣ اعوام (٢٠٠٩ – ٢٠١١)	الملفات ٣٥ – ٤٦	١٢٠٠٠ د.

سلسلة ابحاث كتابية

وبضمنها سلسلة تفاسير

١. قراءة مجددة للعهد الجديد	تأليف: أ. بيوس عفاص	٥٤٠ص/١٩٩٩	(٤٠٠٠ د)
٢. يسوع الذي من الناصرة، بقلم مرقس الانجيلي	تعريب: أ. بيوس عفاص	٢٣٤ص/٢٠٠٢	(١٠٠٠ د)
٣. قراءة في العهد القدم/ج١: قبل الجلاء		٢٤٠ص/٢٠٠٣	(١٥٠٠ د)
٤. قراءة في العهد القدم/ج٢: من الجلاء الى يسوع		٢٧٢ص/٢٠٠٤	(٢٠٠٠ د)
٥. قراءة في العهد الجديد/ ج١: الاناجيل الاربعة		٢٥٦ص/٢٠٠٤	(٢٠٠٠ د)
٦. قراءة في العهد الجديد/ ج٢: اعمال الرسل، الرسائل، الرؤيا		٢٥٦ص/٢٠٠٤	(٢٠٠٠ د)

وتؤلف الاجزاء الاربعة الاخيرة من تعريب الأب بيوس عفاص [وتضمها علبة خاصة]
مدخلا متكاملا الى الكتاب المقدس بسعر ٨,٠٠٠ دينار
(سعر خاص للجزئين من "قراءة في العهد الجديد": ٣٠٠٠ د. فقط)

٧. الكنيسة التي ورثناها عن الرسل	تأليف: أ. ريموند براون ت: م. جرجس القس موسى	٢٠٨ ص/٢٠٠٥	(٢٠٠٠ د)
٨. لوقا – الاعمال/ وعد التاريخ	تأليف: دونالد يوئيل تعريب: أ. البير ابونا	٢٠٠ص/٢٠٠٦	(٢٠٠٠ د)
٩–١٠. روايات الآلام والقيامة/ بحسب الانجيليين الاربعة	تأليف: أ. بيير بنوا تعريب: أ. بيوس عفاص	٣٣٦ص/٢٠٠٦	(٣٥٠٠ د)
١١. يسوع الذي هو المسيح	تأليف: أ. برنار راي ت: م. جرجس القس موسى	١٣٦ص/٢٠٠٧	(٢٠٠٠ د)
١٢. من اجل ايمان جاد/ الايمان بحسب القديس يوحنا	تأليف: ك. كارلو مارتيني تعريب: أ. البير أبونا	١٧٦ص/٢٠٠٨	(٢٠٠٠ د)
١٣. الانجيل بحسب القديس متى/ سلسلة تفاسير ١	تأليف: كلود تاسان تعريب: أ. بيوس عفاص	٢٨٨ص/٢٠٠٨	(٣٠٠٠ د)
١٤. مذكرات مريم، فتاة الناصرة	تأليف: جاكلين هوري ت: م. جرجس القس موسى	٢٨٨ص/٢٠٠٩	(٣٠٠٠ د)
١٥. الانجيل بحسب القديس يوحنا / سلسلة تفاسير ٤	تأليف: آلان مرشدور تعريب أ. بيوس عفاص	٢٨٠ص/٢٠٠٩	(٣٠٠٠ د)
١٦. رسائل القديس بولس/ج١: ١و٢ قورنتس/سلسة تفاسير ٦	تأليف: بول دي سرجي موريس كاريس ت: م. جرجس القس موسى	٢٣٢ص/ ٢٠١٠	(٣٠٠٠د)
١٧. رسائل القديس بولس /ج٢: (روما وغلاطية) / سلسلة تفاسير ٧	تأليف: جان– بيير ليمونون تعريب: الاخت باسمة الخوري	٢١٦ص/ ٢٠١٠	(٣٠٠٠د)
١٨. رسائل القديس بولس / ج٣: (الرسائل التسع الاخرى)/سلسلة تفاسير ٨	تأليف: شانتال رينييه ميشيل تريماي تعريب: أ. البير ابونا	٣٤٠ص/٢٠١١	(٣٠٠٠د)

(وتؤلف الاجزاء الثلاثة الاخيرة "ثلاثية" تغطي رسائل بولس الثلاث عشرة تباع بسعر خاص : ٧٠٠٠ د. فقط)

١٩. الرسائل الاخيرة/ سلسلة تفاسير ٩ (عب، يع، ١و٢ بط، ١–٣يو، يه)	تأليف: ادوار كوتنيه ميشيل موركن، البير فانوا تعريب: أ. فادي مسلم	٢٤٨ص/ ٢٠١١	(٣٠٠٠د)
٢٠. الانجيل بحسب القديس مرقس– سلسلة تفاسير ٢	تأليف: جاك هيرفيو تعريب: الاب بولس الفغالي	٢٤٠ص/٢٠١٢	(٣٠٠٠د.

سيظهر تباعا

٢١. الانجيل بحسب القديس لوقا– سلسلة تفاسير ٣	يظهر في خريف ٢٠١٢
٢٢. سفر أعمال الرسل– سلسلة تفاسير ٥	يظهر في اوائل ٢٠١٣
٢٣. سفر الرؤيا– سلسلة تفاسير ١٠	يظهر في خريف ٢٠١٣

سلسلة تفاسير

(Commentaires)

عشرة اجزاء تغطي اسفار العهد الجديد، صدرت عن الخدمة البيبليـــة "انجيـــل وحياة" (Evangile et Vie) بقلم اختصاصيين في العلوم البيبلية. تنـــشرها دار بيبليا على مدى ٥ أعوام.

ظهر منها:

① كلود تاسان
تعريب الاب بيوس عفاص
٢٨٨/٢٠٠٨ص – ٣٠٠٠د.

④ آلان مرشدور
تعريب الاب بيوس عفاص
٢٨٠/٢٠٠٩ص– ٣٠٠٠د

⑥ بول دي سيرجي وموريس كاريز
تعريب م. جرجس القس موسى
٢٣٢/٢٠١٠ص–٣٠٠٠د

⑦ جان بيير ليمونون
تعريب الاخت باسمة الخوري
٢١٦/٢٠١٠ص–٣٠٠٠د.

⑧ شانتال رينييه وميشيل تريماي
تعريب الاب البير ابونا
٣٤٠/٢٠١١ص–٣٠٠٠د.

وتؤلف هذه الاجزاء الثلاثة "ثلاثية" برسائل بولس الثلاث عشرة

(تباع بسعر خاص: ٧٠٠٠د. فقط)

⑨ ادوار كوتنيه
ميشيل موركن
البير فانوا
تعريب الاب فادي مسلّم
٢٤٨/٢٠١١ص–٣٠٠٠د.

② جاك هيرفيو
تعريب الاب بولس الفغالي
٢٤٠/٢٠١٢ص–٣٠٠٠د.

ترقبوا ظهور الاجزاء الثلاثة الباقية لتكتمل السلسلة

③ الانجيل بحسب القديس لوقا — تعريب الاب بيوس عفاص — (يظهر في خريف ٢٠١٢)

⑤ سفر اعمال الرسل — تعريب الاب ايوب شهوان — (يظهر في اوائل ٢٠١٣)

⑩ سفر الرؤيا — تعريب المطران جرجس القس موسى — (يظهر في خريف ٢٠١٣)

• في سلسلة "مسبات الأحد" / الآباء البولسيون-حريصا

العدد ٤٧: العلماء والدين

العدد ٥٢: الكسي كارل

• في سلسلة "الفكر المسيحي" / كهنة يسوع الملك- الموصل (١٩٦٤-١٩٧٠)

الأعداد: ١. الكنيسة عبر القارات، ٩. صندوق الاسئلة، ١٥. صندوق الاسئلة ٢٠، العلم والدين، ٢٣. صندوق الاسئلة، ٣٠. الانبياء، اعلنوا المسيح، ٤٥. صندوق الاسئلة، ٤٩. هل الايمان عثرة؟، ٥٦. صندوق الاسئلة.

• في سلسلة "كلام الله" / الآباء الدومينيكيون

– الكتاب المقدس والانجيل / العدد ٥	الموصل ١٩٦٢
– لوقا، انجيليّ المخلص / العدد ١١	الموصل ١٩٦٤

• في سلسلة "الحياة الروحية" / دار المشرق

– صل لتحيا: الاب رنيه فوايوم	بيروت ١٩٨٠ (ط٤ ١٩٩٩)

• في سلسلة "دراسات في الكتاب المقدس" / دار المشرق

-٢٢. الله ابونا: الاب جان بويي	بيروت ٢٠٠٠

• في سلسلة "أبحاث كتابية" / بيبليا للنشر

١. قراءة مجددة للعهد الجديد (تأليف)	الموصل ١٩٩٩
٢. يسوع الذي من الناصرة/بقلم مرقس الانجيلي	الموصل ٢٠٠٢
٣. قراءة في العهد القديم/ج١ قبل الجلاء	الموصل ٢٠٠٣
٤. قراءة في العهد القديم/ج٢ من الجلاء الى يسوع	الموصل ٢٠٠٤
٥. قراءة في العهد الجديد/ج١ الاناجيل الاربعة	الموصل ٢٠٠٤
٦. قراءة في العهد الجديد/ج٢ اعمال الرسل، الرسائل، الرؤيا	الموصل ٢٠٠٤
٩-١٠. روايات الآلام والقيامة	الموصل ٢٠٠٦
١٣. الانجيل بحسب القديس متى (سلسلة تفاسير/١)	الموصل ٢٠٠٨
١٥. الانجيل بحسب القديس يوحنا (سلسلة تفاسير/٤)	الموصل ٢٠٠٩
٢٢. الانجيل بحسب القديس لوقا (سلسلة تفاسير/٣)	يظهر في خريف ٢٠١٢

• في سلسلة "مختارات الفكر المسيحي" / بيبليا للنشر

– اسئلة واجوبة (٣) –اعداد وتقديم	الموصل ٢٠٠٦
– افتتاحيات (٤) –اعداد وتقديم	الموصل ٢٠٠٧
– من وحي الانجيل (٦) –اعداد وتقديم	الموصل ٢٠٠٨
– خواطر وشذرات (٧) –اعداد وتقديم	الموصل ٢٠٠٩
– المختار من الاعداد الخاصة (٨) – اعداد وتقديم	الموصل ٢٠١٠
– كتاب رحلو وتركو اثرا (٩) – اعداد وتقديم	الموصل ٢٠١١
– ملفات الفكر المسيحي (١٠) – اعداد وتقديم	الموصل ٢٠١١
– من البيدر العتيق (١١) – اعداد وتقديم	الموصل ٢٠١٢
– ثلاثون عاما مع القلم (١٢) – اعداد وتقديم	الموصل ٢٠١٢

• في ملفات "الكتاب المقدس" / بيبليا للنشر

(١) الحديث عن القيامة/ايلول ٢٠٠٠، (٢) الافخارستيا/كانون الاول ٢٠٠٠، (٥) ما وراء الموت/تموز ٢٠٠١، (٩) قراءة في مؤلف لوقا/تموز ٢٠٠٢، (١١) اناجيل الطفولة/كانون الثاني ٢٠٠٣، (١٩) انجيل يوحنا/كانون الثاني ٢٠٠٥، (٢٤) ارميا النبي/تموز ٢٠٠٦، (٢٨) اوجه يسوع/نيسان ٢٠٠٧، (٣٢) الآلام بحسب انجيل لوقا/نيسان ٢٠٠٨، (٣٧) حين يتكلم الله/تموز ٢٠٠٩ ، (٣٨) واعطاها اسما

• الصحافة المسيحية (تحليل الفكر المسيحي)	اطروحة بالفرنسية/لوفان ١٩٧٦
• كنيسة مار توما، في ماضيها وحاضرها (مستنسخ)	بيبليا للنشر–الموصل ٢٠٠١

أنجزت مطبعة الديوان

طبع الجزء الثاني عشر من "مختارات الفكر المسيحي"

زفته دار بيبليا

الى الاب بيوس عفاص

بمناسبة اليوبيل الكهنوتي الذهبي

الأول من حزيران ٢٠١٢